

الشيخ عبد الله العلمي الغزالي دمشقي

مؤتمراً

تفسير سورة يوسف  
عليه السلام

الجزء الثاني

دار الفكر

الفصل الخامس

يوسف (ع) يعرف بحاله ويمهد الدعوة للتوحيد

آ (٣٧) ﴿ قَالَ : لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا  
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ، ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ، إِنِّي  
تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية السابعة والثلاثون فقام السيد عبدالحق الداغستاني وقال:  
( قال ) يوسف ، بلسان المعرف بنفسه تمهيداً لما بعده ، مخاطباً الفتيين في  
السجن ( لا يأتكما ) ولا يحمل اليكما في هذا السجن ( طعام ترزقانه ) تأكلانه  
وتشربانه من أي نوع كان من المأكولات والمشروبات . وهذا العموم مستفاد من  
وقوع التكررة وهي ﴿ طعام ﴾ في سياق النفي ، ومن كلمة ترزقانه أيضاً التي  
قصد بذكرها تأكيد إفادة العموم والشمول . أي لا يحضر لكما وقت الصباح أو  
وقت الظهر أو المساء طعام ، أي طعام كان ، ترزقانه ويجب لكما من الحكومة أو  
أو من يوتكما ﴿ إلا نبتكما بتأويله ﴾ أي بعبارة لو فرض أنكما رأيتما مناماً  
﴿ قبل أن يأتكما ﴾ تأويله ، أي قبل مايقع مصداقه ، و ﴿ ذلكما ﴾ التأويل  
والتعبير ﴿ مما علمني ربي ﴾ سبحانه وتعالى ، وكيف لا يكون لي ذلك و ﴿ إنني  
تركت ﴾ أي اجتنبت ﴿ ملة قوم ﴾ كأهل مصر ومن كانت الفتيان على دينهم  
ونحوهم ﴿ لا يؤمنون بالله ﴾ قائماً بذاته ، غير منتشر في ذرات هذا العالم ، ولا حال ،  
ولا منبث في أحد من المخلوقين ، وليس له شريك ولا وسيل ، سوى عبادته وطاقته  
وحده ، ﴿ وهم بالآخرة ﴾ أي بدار الجزاء ﴿ هم كافرون ﴾ منكرون وجاحدون .  
قال : ﴿ لا يأتكما طعامٌ ترزقانه إلا نبتكما بتأويله قبل ... الخ الآية ﴾

- ١ -

هنا وقف الرئيس وتوجهي لثلاثة علماء كبار من علماء المؤتمر بأن يقولوا كل واحد بما يفتح الله به عليه في تفسير هذه الآية ، فنهض الأول وهو العلامة الطرابلسي<sup>(١)</sup> وقال :

### يوسف يترجم حياته الشخصية والعلمية

بدأ يوسف « ع » في هذه الآية والتي بعدها . يذكر للفتيين شذوذاً من ترجمة حياته الشخصية . والحياة العائلية ، العلمية والدينية ، بساطاً وتمهيداً للعظة ، التي أزمع على إلقيها عليهما ، فكأنه جرى في كلامه على ما يسمونه بسياسة ( المراحل ) أى التقدم مرحلة مرحلة ، ومن كلامه ظهر لهما أمران :

( ١ ) أن هذا السجين بعدما كان في أعينها مجهول الأصل ، ومنسب النسب ، إذا هو شريف عريق من أهل البيوتات الدينية الكبيرة .

( ٢ ) أن هذا السجين بعدما كان في نظرها مجرمًا ، ظهر أنه هادي مرشد واعظ معلم للخير .

ولم يكن تعبير الرؤيا ليهم يوسف أكثر مما يهمه الوعظ والتعليم سند سنوح الفرصة ، فلذا ابتدأ بما هو أهم في نظره ، وكأنه عليه السلام ، رام أجر أعلى تعبيره رؤيها ، ولكن ما هو هذا الأجر ياترى ؟ ليس هو ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً ما من الأمور المادية ، ولكنه إعفاء رئيس السقاة ورئيس الخبازين لتعليمه ووعظه .

وهذه طريقة لطيفة ، على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفته واحد منهم أن يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة أولاً ، ويدعوه الى ما هو أولى به وواجب عليه مما استفى فيه ، ثم يفتيه بعد ذلك ، وفيه ان العالم

(١) نسبة الى طرابلس من بلاد الشام ( لبنان )

إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده ، وكان غرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين ، لم يكن من باب التزكية .

ثم ان ماعمله يوسف ( ع ) يذكرنا اليوم بما يفعله أصحاب المستشفيات أو المدارس التبشيرية ، فانهم يطببون المرضى ، ويعلمون التلاميذ ليس في مقابلة أجرة من دينار أو درهم ، ولكن هذه الأجرة هي إصغاؤهم للكرز الديني ، الأمر الذي يشجعنا نحن أن نعمل مثل هذا العمل ، ويدعوننا أن نفترس الفرص كلما لاحت لأجل أن ندعو الجحدة للإيمان ، وترشد العصاة للطريق القويم .

كان السكوت سائداً في غرفة السجن التي فيها الرئيسان ، فوقف يوسف أمامها وقال بملء فيه : سأشرح لكما تعبير رؤييكما . ولكن أحب أن تنتظرا قليلاً ، ريثما أنكلم معكما ببندة صالحة من تعريفكما بشخصي ، ومن العظة والذكرى . قبل كل شيء إنني أشكر الله على أنه لا يأتيكما طعام ترزقانه من أي نوع كان مما يرزق عادة إلا نباتكما بما يؤول ويصير إليه ولو فرض أنكما رأيتما مناماً ، قبل أن يحدث لكما مصداقه وعاقبته يقظة ، فأنا مستعد أن أخبركما عنه قبل وقوعه وحدثه ، وهذا الذي أذكر اني أعلمه في عبارة الرؤيا هو مما علمني إياه ربي فعلته ، فهو شيء استفدته من قبيل السماء ، لا من قبيل الأرض — وأتي بكلمة ﴿ ترزقانه ﴾ ونكر ﴿ طعام ﴾ في سياق النبي لافادة العموم — كأنه يقول : إن علمي بتأويل الرؤى عام . وليس مقصوراً على تأويل طعام دون طعام ، بل إنني قدبر على تفسير أي رؤيا كانت ، في أي طعام يكون ، مما يرزق عادة ، فكل نوع من أنواع الأطعمة التي ترزق إذا رآه الانسان في منامه أقدر أن أفسره . فأنا قدبر على تعبير رؤيا طعام الحجر ، ورؤيا طعام الخبز ، كما إنني قدبر على تفسير ماعداها من صنوف الطعام عموماً .

ولست أريد المكاثرة بذلك ، ولكن التعريف برجل مجهول الهوية (عندكم) ، إنني تركت منذ ديت الى أن شببت ملة قوم لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً .

وسببه انهم لا يؤمنون بوجود الله مطلقاً ، أو بوحدانيته ، لأن من لم يؤمن بالوحدانية ليس مؤمناً بالله الإيمان المطلوب شرعاً ، وهم كافرون بيوم الجزاء ، وان إنكار الصانع ووحدانيته مع الكفران بيوم الدينونة هو العقبة الوحيدة في سبيل تلبية العلوم الدنية من السماء .

فقوله : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ الْخَيْرَ ﴾ تعليل أقوله : ﴿ ذَلِكَ مَا سَأَلْتَنِي بِهِ ﴾ ، ومنه نعلم أن جزاء الإنسان على عقائده الحقة وأعماله السالحة قد تتعجل شيء منه في الدنيا ، ثم ذلك الشيء المتعجل في الدنيا قد يكون مادياً ، وقد يكون معنوياً كما هنا ، فان الله تعالى جازى يوسف على عدم ابتداعه بابتداع ملة الكافرين ، وعلى اتباعه لملة التوحيد بأن علمه مما يشاء : ﴿ وَاتَّبِعُوا اللَّهَ وَاتَّبِعُوا كُتَابَهُ ﴾ (٢ : ٢٨٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَشْتَفُوا اللَّهَ بِحَمْلِ الْكُفْرَانِ فَارْقَانًا ﴾ (٢٩ : ٨) ويريد يوسف بقوله ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ الْخَيْرَ ﴾ إلى آخر آية ٣٨ ، إن الدين الذي دمه عليه اليوم ليس دين « تعيين » عينته فيه أبوه مثلاً ، ولا هو دين « تهايد » ، كما أنه فيه الأسلاف ، بل هو دين « انتخاب » انتخبه هو نفسه ، بالدايات والبرهان ، واعتنقه مختاراً له من دون سائر الأديان .

وقد يكون قد أشار بقوله : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ الْخَيْرَ ﴾ إلى أنه عرف معنى « الخَيْر » أنه سيشير بقوله : ﴿ وَاتَّبَعْتُ الْخَيْرَ ﴾ إلى أنه « نظامي » وهو جامع لجميع الهدى . ما تيسر لنا الآن . واتباع الحق أسلم ، والله تعالى أعز .  
ثم نهض العالم الثاني وهو العلامة المحصي وقال :

### يوسف يغتتم الفرصة فيعظ الفتيين تمهيداً لدعوتها للتوحيد

يقول يوسف مخاطباً الفتيين السجينين ، إني بحمد الله على استمداد نام بوجه عمومي لتفسير كل ماترون ، فعلى الخبير سقطتما — فقنالا له : ذاك الظن بان ، أمها الانسان المحسن — قال : ياسائلي أما وأبيكما اثنتان ، فمن كان له منكم أذنان

لسمع فليسمع ، ومن كان له قلب فليحضره ، لا يأتيكما في اليقظة طعام مأكولاً كان كالتبخر الذي رآه أحدكما ، أو مشروباً كالعصير الذي رآه الآخر ، ترزقانه - (عبر بذلك لإفاده العموم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ ( ٦ : ٣٨ ) فزاد « في الأرض وجناحيه » لإفاده التعميم والاحاطة ، وكذلك هنا زاد كلمة « ترزقانه » لإفاده الاستغراق والشمول ، فكأنه قال : أي طعام كان مما عادته أن يرزقه الانسان في هذه الدنيا ) - إنباتكما تأويله ، أي مصداقة ومرجعه ، وهو نفس الشيء المخبر عنه . أي أنبثكما بالتأويل بلفظي وبياني ، قبل أن تريا التأويل بالذات ذلكما مما علمني ربي ، ولا فخر ، فما أنا إلا سفير من سفراء الحق ، واسان من أسنة الصدق ، ولهذا فتأويل الرواى مها عظمت هو أهون عليّ من قطع الخيط ، ولا أقول ذلك مقتحراً ، فان آفة الحسب الفخر ، بل تحدثاً بنعمة الله تعالى .

جعل يوسف ( ع ) العلم اللدني ثواباً على تركه ملة من لم يؤمنوا بالله ولا بيوم الدين ، ثم أخذه بجملة التوحيد ( انظر التعليق الرابع من خطاب مولانا عمر البيلاي على قوله : ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ ( آ : ٢٢ ) .

ثم قال الصديق عليه السلام تميماً لوعظه للفتيين : ولا اكذبكما ، ولا أخفي عنكما ، ما كان عرض لي أني استعملت عقلي ، واستخدمت أفكاري ، وجعلت البرهان رائدي ، والتبصر مطيبي ، وتفكرت في سائر الملل والنحل ، حتى وصلت انور الحق ، وعرفت ماهي الملة التي ينبغي طرحها ، وماهي النحلة التي يجب اعتناقها . ﴿ فتركت ملة قوم .. الخ ﴾ ، وأتما لو سلكتما طريقي هذه لكفيتما شر التقليد ، ووصلتما الى نور الاستقلال الفكري ، الذي هو أصل كل خير ، وكنتما بعده تصلان الى الملة الحقه فتعتنقانها .

هذا مرمى كلام الصديق ( ع ) ونري أنه قد افترض فرصة سؤالها له ، فحول - بجري الحديث الى عظمتها ، وأخذت جعل الوعظ تنثال على شفتيه .

آس منها ارتياحاً ، فأحب أن يطيل معها الحديث ، جرياً على رأي من قال :  
وقد وجدت مكان القول ذا سعة فان وجدت لساناً قائللاً فقل  
اقتحم هذه الفرصة لإرشادها ، لأنه رجل دني ، وأهل الدين يكرسون  
حياتهم لاستتابة المجرمين وأصحاب الذنوب ، حتى إنهم ليطوفون السجون  
ويتعرفون إلى المسجونين ، ويتوددون إليهم ، ويعظونهم ويدعونهم إلى الحق ،  
ويحرضونهم على التوبة ، فما أتاه يوسف هو من أهله في محله .  
سألاه فعول على اغتنام السانحة ، لعلمه يستطيع التسلط على أوتكارها ، وكاشعها  
بأنه هو على عقيدة التوحيد ، خلافاً للمصريين ونحوهم ، ووفقاً لعائلته الكريمة .  
أتى في هذه الآية والآيات الأربع التي بعدها بحديث ذي شجون ، منه ما يتعلق  
بترجمة شخصه ، ومنه ما يتعلق بترجمة أصوله ، ومنه ماله علاقة بالدعوة الدينية  
والوعظ والارشاد ، ومنه ما هو جواب على سؤالها .

### المراد « بالترك » الامتناع

والمراد بكلمة « الترك » في قوله ﴿ إني تركت ﴾ الامتناع عنها رأساً ، كما  
يفصح عنه قوله الآتي : ﴿ ما كان لنا أن نشارك بالله من شيء ﴾ (آ: ٣٨) ، لتركها  
بعد ملاستها — حاشا — وإنما عبر بهذا التعبير لكونه أدخل بحسب الظاهر في اقتدائها  
به (ع) فهو الاستجلاب لها أن يتركها ملتها ، وقوله : ﴿ إني تركت الخ ﴾ أول  
غمزة ، ولكن في الحاشية . وقوله الآتي : ﴿ ماتعبدون الخ ﴾ هي الغمزة الثانية ،  
ولكن في الصميم .

### القوم الوثنيون الذين عناهم يوسف

وأما هؤلاء (القوم) الذين ذكرهم السيد الصديق فلم يبين المفسرون رضي  
الله عنهم من هم ، وكأنه لأن بيانهم من هم ليس مهماً ، ولكننا نحن نظن أنهم

سكان العراق وسوريا وفلسطين ومصر ، الذين كانوا معاصرين له ومحيطين به ،  
وهم الأمم التالية :

(١) — القَيْنِيَّون : ، وهم قبيلة من العرب كانت متفرقة في الجنوب ،  
بين العماقة .

(٢) — الحِثِّيَّون : وهم قبيلة قوية ، استولوا على سوريا ، وكانت عاصمتهم  
مجاورة لبلدة ( حماة ) .

(٣) — الفِرِزِّيَّون : وهم إحدى قبائل فلسطين ، سكنوا في الجبال  
في داخلية البلاد ، وكانوا رعاة لا مدن لهم .

(٤) — الأموريون : وكانوا في الدرجة الثانية بعد الحثيين في القوة ،  
كانوا في اليهودية الجبلية ، وفي شرقي الأردن .

(٥) — الكنعانيون : وهؤلاء ينقسمون الى خمسة أمم ، ( صيدوني ) سكان  
صيدا وصور ، و ( عرقي ) سكان لبنان ، و ( أروادي ) سكان جزيرة أراس ،  
و ( حماي ) سكان حماة ، و ( حوتي ) سكان شكيم أي نابلس .

(٦) — اليَبُوسِيَّون : سكان أورشليم وهي بيت المقدس .

(٧) — الكلدانيون : سكان العراق .

(٨) — القِيبُط : سكان مصر .

(٩) — الفلسطينيين : سكان البلاد التي بين نهر الأردن شرقاً ، والبحر

الأبيض المتوسط غرباً .

فهؤلاء الأمم كانوا وثنيين ، ولا يعتقدون بحقيقة يوم الدين ، وكانوا معاصرين  
لابراهيم فاسحاق فيعقوب عليهم السلام ، وبالطبع كان يوسف قد عرفهم ، لأنه  
تولد في العراق ، وبقي فيه الى أن بلغ من العمر عشر سنين ، ثم هاجر مع أبيه



يعقوب وسائر الأسرة اليعقوبية الى سوريا ففلسطين ، وبقي في فلسطين سبع سنين ولما بلغ من العمر ١٧ سنة أخذ مصر ، وعاش فيها الى أن توفي ، وانما قلنا : نظن أنه عنى بلفظ ( قوم ) هؤلاء الأمم لأنه عاش فيهم واختلط بهم وجاورهم وعرفهم حق المعرفة . وهنا فوائد مهمة ، لا بد من التنبيه عليها :

### الادوار التي سكت فيها يوسف والادوار التي تكلم فيها

الفائدة الأولى — تعلم أنه كان أتى على يوسف منذ نيابه عن والده ثلاثة ادوار ( الدور الأول ) أخذ ( السيارة ) إياه مصر . كسلعة تجارية ، ( الدور الثاني ) — حالة الخدمة والعبودية للعزيز فوطيفار ، ونراه في هذين الدورين ساكتاً ، لم يهتف بشيء من مدح شخصه ، ولم يقرظ أهله بشيء من أنواع التقريظ ، ذلك لأنه لم يجد داعياً لذلك ، ولكنه الآن وقد انزعج الى ( الدور الثالث ) — دور الاستقال في أعماك السجون ، مع المجرمين ، منهم تهرب ، انه حزين فقد رأى من اللازم اللازم أن يهتف بشيء من الثناء على شخصه ، وإن لم يقرظ أسرته وأصوله بعض التقريظ ، شأن كل واحد ، دون دهره شربه من طائر الناس وتصوِّح غصن فضله في أعينهم ، وابتدىء نلبه ، وشترع في التمسك به . وانفس عنه ، فانه عندئذ يبين فضل نفسه بنفسه بقدر ما تستدعي الحاجة . وهناك السلجح ويستند على أثيل منبته ، وكرم أصله ، ويأوى الى سباج من شربه ضربه من حوله ، ولله در هذا الصديق ، ما أحسنه في الحين ، حال التكلم .

### معنى ترزقانه

الفائدة الثانية معنى ( ترزقانه ) تعطيانه وتنتفعان به ، جعل البحر ترزقاً لأنهم لم يكونوا يعتقدون تحريم شربها . و الرزق هو كل ما انتفع به مطلقاً ، سواء كان حلالاً أم حراماً .

## معنى ذلكما مما علمني ربي

الفائدة الثالثة — قوله ( ذلكما مما علمني ربي ) كما أن الله علمت يوسف تأويل الرؤيا في قديم الأيام ، كذلك علمت ( ابن سيرين ) تأويلها في العصور الحديثة ، ( فابن سيرين ) هو يوسف ( البصريين ) كما أن ( الصديق ) هو يوسف المصريين ، فان ابن سيرين رزق من علم ( عبارة الرؤيا ) العجب العجائب .

## مصدر فضل يوسف

الفائدة الرابعة - قوله : ( اني تركت ملة قوم الخ الآية الى أن يقول : واتبعتم الخ الآية ) يبين أن ليس مصدر فضله كونه ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، بل جعل مصدر فضله تركه ملة أولئك الجاحدين ، واتباعه ملة آباؤه الموحدين ، ففضل الانسان بأعماله لا بنسبه ، قال أبو العلاء المعري :

لا يفخرن الهاشمي : على امرئ من آل بربر

فالحق يحلف ماعليّ عنده الا كقنبر

## ( ترك يوسف ملة الوثنيين بدونه سبق مزاولته )

ثم هو يريد بقوله : ( تركت ) رفضت بدون سبق مزاولته ، كما ان ( العود ) قد يطلق على الصيرورة ، بدون سبق المزاولته أيضاً ، ومنه : ﴿ أَوْ يُعِيدُكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ﴾ ( ١٨ : ٢٠ ) معناه يصيروكم ، لأن هؤلاء القوم لم يسبق لهم أن اعتنقوا ملة التثليث ، ومنه حديث معاذ : ( أعدت فتاناً يا معاذ ؟ ) ، أي أصرت ، ويقول كعب : ( وددت أن هذا اللاتين يعوذ قطراناً ) أي يصير ، ف قيل له : لم ذلك ؟ فقال : ( تتبع قريش أذئاب الابل ، وتركوا الجماعات ) ، فكما ان العود الى الشيء قد يستعمل بمعنى الصيرورة اليه ، بدون سبق مزاولته

له ، فكذلك ترك الشيء قد يستعمل بمعنى رفضه وعدم معاناته ، بدون سبق التلبس به كما هنا ، والآن فالأنبياء معصومون من الكفر والشرك ، حتى قبل النبوة .  
 ويعجبي ما رأيت له لبعض المحققين من تعليل آخر لتعبيره بكلمة ( الترس ) ، وهو أنه لما كان يوسف مختلطاً بالوثنيين بالعراق ثم في فلسطين ثم في مصر ، وكان مكثوراً بهم ومغموراً بينهم - عبر «بالترك» نظراً للظاهر لهؤلاء الجهلة بحاله ، وورث منه ما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ آمَنُوا كِبْرًا مِنْ قَوْمِهِ : ثُمَّ هَرَجْنَا بِهِ آسَافًا وَذُرِّيَّاتَهُ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أُولَئِكَ عُودُنَا فِي مِلَّتِنَا . قَالَ : أُولَئِكَ كَانُوا مِنْ قَوْمِي قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ لِيَذِمَّ إِنِّي لَمُذْمَبٌ مِنَ النَّاسِ . وَبَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا ، وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا . ﴾ الخ ( ٧ : ٨٧ و ٨٨ )  
 وقد عثرت لبعض العصريين (١) على تحقيق مهم في هذا المقام ، علامته :

( العوامل التي تجذب البشر الى السعادة او الشقاء )

( يوجد في هذا الكون عوامل تجذب البشر الى السعادة ، وانشاءً ؛ ومن أمثلة تلك العوامل ، أولاً ( الحكومة ) التي تسيطر على الناس ، وثانياً ( الجمال أو النادي ) الذي يحتشد فيه القوم للحديث ، أو السحر أو اللهو أو التسلية ، وثالثاً ( العائلة ) التي يربي الأبناء فيها ، والرابع ( الأصدقاء ) التي تنتقل من الآباء والأمهات والأجداد والحداث . سواء من جهة الأب أو من جهة الأم ؛ وحامساً ( الاقليم ) الذي يشربون مائه ، ويسعدون بموائمه ، ويدوقون حرته وبرده ، وبقناتون محسوساته ، وهذا المؤثر الخامس هو ما سميته علماء النفس ( بالبيئة الجغرافية ) واما العوامل السادسة فيسببونها ( البيئة الاجتماعية ) .

### البيئة الوثنية التي عاش فيها يوسف وتغلبه عليها

إذا تقرر هذا نقول : إذا كان الإنسان أسير من أن يتنقل بين بيئاته ،

( ١ ) وهو العلامة الشيخ عبد العادر عيسى الخوري ، دكتور في الفلسفة ، ص ١٠٠ .

سيطره ( الحكومة ) التي تعتقد تلك العقيدة ، أو ( المحفل ) الذي يؤثر بالاختلاط أو ( العائلة ) التي منها الجد والجدة لأم ، ومنها الخال ، أو ( الاقليم ) ، ثم قاوم تلك المؤثرات ، واتخذ لنفسه عقيدة استحسنها ، فانه يصح له أن يعبر بقوله : ( تركت كذا واتبع كذا ) لأنه كان بسبيل أن يفعل ويتأثر وينجذب لبعض هذه الجواذب ، ولكنه قاوم هذه كلها أشد المقاومة ، فيوسف الصديق كان عاش في العراق عشر سنين ، تحت سيطرة ( حكومة ) وثنية على دين الصابئة ، وكانت عيشته تلك المدة في بيت جده لأمه ( لابان ) الذي كان وثنياً ، ثم عاش سبع سنين بفلسطين الوثنية ، ثم عاش بمصر في بيت ( فوطيفار ) نحو عشر سنين ، وأصحاب هذا البيت وسكانه كلهم وثنيون ، ثم دخل ( السجن ) مع سجناء من الشعب المصري الوطني وشعب الاحتلال الهكسوسي ، وكلهم من أهل الوثن ، وكل من كان كذلك كان بسبيل أن يكون على ملة هذه البيئات ويخشى عليه من وراثة طريقة أحواله ، واكن يوسف الصديق بما أوتي من عقل وافر ، وحفظ إلهي ، تغلب على كل هذه المؤثرات ، ولم يجذبه شيء من هذه الجواذب ، ولم يتمسك إلا بعقيدة التوحيد ، والايان بالنشأة الآخرة ، لاسيما وأن ذلك هو ملة آباؤه الكرام ، كان كل هذا قبل النبوة ، وأما بعدها فالأمر ظاهر .

### الوثنيون لا يؤمنون بالله واحداً والماديون لا يؤمنون به موجوداً

الفائدة الخامسة - قوله : ﴿ لا يؤمنون بالله ﴾ يحتمل معناه : لا يؤمنون بالله واحداً ، بل يشركون معه غيره ، وذلك ( كالقوم ) الذين عاصروهم يوسف ، من عراقيين وفلسطينيين ومصريين ، لأن هؤلاء كلهم وثنيون ، لا يجحدون وجود الله ، بل يعترفون به ، واكنهم لا يؤمنون به الايمان الحق ، الايمان المطلوب ، وهو ايمان التوحيد ، بل يشركون معه غيره من الآلهة التي يعبدونها لتقربهم الى الله زلفى ، ويحتمل أن معناه موجوداً ، وذلك كالماديين ، مع أن المادة جاهلة ، لا يمكن ان

ينشأ عنها هذا الابداع في الكون ، وارتباط المصالح في سائر العوالم ، مع وجود الحكمة في كل ما نرى ونسمع ونحس ، فكل صنوع لغرض صحيح وقصد مقبول ولا يمكن للمادة — وهي لا تعقل شيئاً وانما تُحدث عنها التفاعيل آثاراً صماء — أن توجد عقولاً مدبرة مفكرة ، تعمل بالحكمة وبمقدار في هذا الوجود .

### الرد على وجود الله تعالى

كان يجب أن لا يختلف الناس في العقيدة بوجود الله ، لأن دلالة الأثر على المؤثر والنظام على المنظم ، والعقل المحكم على الحكيم — بديهية ، بل قالوا ، إن ذلك بما يدركه الحيوان ، فضلاً عن الانسان ، فانك إذا ضربت الحمار مثلاً ، التفت ابرى من ضربه ؟ لأنه مركوز في فطرته ان الأثر لا يكون بلا مؤثر ، والفعل لا يكون بلا فاعل ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ ، كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤١:٢٤) وأب إذا رأيت كلمة من ثلاثة احرف لم تشك في أن كاتباً كتبها ، وإن رأيت ساعة تشير الى الأوقات ، أيقنت أن لها صانعاً ، رتب أجزاءها واعدتها لتلك الغاية ، وما مثل من ينكر وجود الخالق — وهو أظلم من الشمس — إلا كمن رأى ( خزان اسوان ) بالقطر المصري ، أو ( برج إفل ) بباريس ، أو ان ذلك على فخامته وضخامته لا يحتاج الى ( مهندس ) ولا ( صانع ) !!! ، أو ان رأى ( كتاباً ) بديعاً في مبانيه ، بليغاً في معانيه ، ومبه من العظمة العجيبة ، والأفكار السامية ، ما يفوق أفكار ( أفلاطون ) وفلسفة ( أرسطو ) ومنه من الأدب الرائع ، والنسر البارع ، ما يسمو على شعر ( المتنبي ) ، ولما نظر ببه قال : ما هذا الكتاب إلا أوراق كانت في صندوق ، وكان معها شيء من حروم الطباعة ، ثم هز الصندوق هزات متوالية ، فوجد ذلك الكتاب على منزونه . مهلاً ترمي صاحب ذلك القول بالجنون ؟ .

وإذا كنت لاتسلم أن ( ساعة ) توجد بلا صانع ، وأن ( باخيره ) توجد

بلا مهندس ، بل لا تسلم أن « كلمة صغيرة » توجد بلا كاتب ، فكيف تسلم أن هذا « الكون » العظيم ، الذي يهز العقول ، وبحير الألباب ، قد وجد بلا موجد ، ونظم بلا منظم ، وكان كل ماويه من نجوم وغيوم وقفار وبحار وليل ونهار وظلمات وأنوار وأشجار وأزهار وشموس وأقمار ، الى أنواع لا يحصها العد ، ولا يأتي عليها الحصر ، وقد وجدت بلا موجد بخرحها من العدم ، وينوعها الى ما لا يحصى من الأنواع ، ويمتعا بما شاء من الخصائص المختلفة ، والمزايا المتباينة ، والصفات المتقابلة ؟ وقد قال بعض الفلاسفة : « يكفيني في الدلالة على الله وجود - الأتى - بجانب - الذكر - فهل علمت الطبيعة أن النوع لا يبقى ولا يحفظ إلا بوجود « المرأة » فأوحدتها ؟ وغابت بينها وبين الرجل ، وأعدتها لما يراد منها ، فخلقت لها الرحم والمهبل ، ومنعتها بما يجذب الرجل اليها ، من صفات الجمال ، حتى في صوتها ، ومنحتها ما يحتاج اليه طفلها الصغير ، وقال أفلاطون : « يكفيننا ما في - العين - من التدبير الذي جعلها في مكان مكين من الحجاج<sup>(١)</sup> ، وجعل لها - الحاجب - ليقبها من العرق أن يتساقط فيها ، و - الهدب - ليقبها من الغبار ، ولا يمنعها الضوء » ، وهذا الباب واسع جداً ، وفيما ذكرناه كفاية .

### عقيدة ابراهيم (م) واولاده وعقيدة العرب الجاهليين

والاعتقاد بوحدانية الله تعالى هو دين ابراهيم وأولاده من جهة إسحاق ومن جهة إسماعيل ، غير أنه كان وجد في العرب مشركون لله في العبادة لا في الخلق والإيجاد ، يعني أن هؤلاء الصنف من العرب كانوا مع اعترافهم بوحدانية الربوبية ، مشركين في الألوهية ، قال تعالى : ﴿ لَسِنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُوا : اللهُ ، فَأَنى يُؤْفَكُونَ !! ﴾ الى أن يقول : ﴿ وَلَسِنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ -

(١) هو الحفرة العظيمة التي فيها العين ويقال لها وقب .

بعد موتها؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ، قُلِّدْ الْحَمْدُ لِلَّهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ (٢٩: ٦١ و ٦٣) وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ؟ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟ فَسَيَقُولُونَ: اللهُ فَقُلْ: أَفَلَا تَتَّقُونَ؟﴾ (١٠: ٣١) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تصرح بأن مشركي العرب إنما كانوا مشركين في الألوهية، دون الربوبية، وهكذا وحده في اليهود أناس كثيرون كذلك كما يعلم من البيان الآتي:

### بيان سقوط اكثر بني اسرائيل في هاوية

#### التوثن حسب التوراة التي هي اليوم بأيديهم

- (١) في عصر يعقوب: كان (على ذمة التوراة) يوجد في بيت يعقوب اناس وثنيون في بعض أيام حياته، كما نستفيد من قول التوراة: (فكان يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم) (٣٥: ٢) وقولها (فاعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم) (٣٥: ٤)
- (٢) في مدة إقامتهم بمصر - « كانوا عبدوا آلهة المصريين » (لا ١٧: ٧) و (يش ٢٤: ١٤) و (جز ٢٠: ٧ و ٨) و (أر ٤: ٨ - ١٩)
- (٣) في أول مدة الخروج « عبد بنو إسرائيل المعجل في البرية معه، حور حوا من مصر في مقاطعة جبل سيناء حتى قتل منهم نحو ثلاثة آلاف رجل » (خر ٣٢: ٢٧ و ٢٨)
- (٤) في آخر مدة الخروج - « عبد بنو إسرائيل بعل وفور وداب حينه كانوا في الغور فغضب الله عليهم وأمات منهم بالوباء ٢٤ ألفا » (خر ٩: ١٥)
- (٥) في مدة التيه - وقع أكثر بني إسرائيل في وهدة الشرك في جميع مدة

التيه البالغة ٤٠ سنة لا فرى بين الآباء الذين خرجوا من مصر تحت قيادة موسى ولا بين أبنائهم الذين تولدوا في البرية ، فالجميع عبدوا الأصنام في البرية ، وقربوا لها القرابين ( خر ٢٠ : ٧ - ٢٦ ) و ( تث ٩ : ٧ )

( ٦ ) في عصر يشوع - وقد وقعوا في وهدة الشرك ، وهم تحت قيادة يشوع لآخر أيام حياته ( يس ٢٤ : ١٤ و ٢٣ )

( ٧ ) من موت يشوع إلى أول قاضي - وقد رجع بنو إسرائيل للسقوط في أودية الوثنية في الجبل الذي بعد يشوع إلى أيام أول قاض قام فيهم وهو «عثنيثيل» بن قناز ( قض ٢ : ٨ - ٢٣ وقض ٣ : ٥ - ٩ )

( ٨ ) بعد موت القاضي الأول - مات القاضي «عثنيثيل» فعاد بنو إسرائيل لشركهم المعبود ( قض ٣ : ١٢ - ١٤ ) مع ملاحظة ما في ( قض ٢ : ١٩ )

( ٩ ) بعد موت القاضي الثالث - وقع بنو إسرائيل في أودية الوثنية بعد موت القاضي « شمجر » بن عناة ( قض ٤ : ١ مع ملاحظة ما في قض ٢ : ١٩ )

( ١٠ ) بعد موت دبورة وباراق - عاد بنو إسرائيل لشركهم وأدخلوا عبادة البعل الى وسط البلاد وأقاموا له مذبحاً وسارية ( قض ٦ : ٦٥ و ٢٨ و ٣٠ )

واعتقدوا أن البعل إله ، وبقوا على هذا الحال حتى قام القاضي جدعون (قض ٦ : ١) ( ١١ ) في أيام جدعون - ثم وقع بنو إسرائيل بواسطة مخلصهم جدعون

في الوثنية في أيام جدعون ، على إثر مقاتلته المديانيين ( قض ٨ : ٢٤ - ٢٧ )

( ١٢ ) على أثر موت جدعون - كان بعد موت جدعون أن بني إسرائيل رجعوا وزنوا وراء « البعليم » وجعلوا لهم بعل بريث لها ( قض ٨ : ٣٣ )

( ١٣ ) بعد موت يائير - بعدما مات « يائير » الجلعاذي الذي كان قاضياً ثامناً على بني إسرائيل عادوا يعملون الشر ، وعبدوا « البعليم والعشتاروت » وآلهة

« آرام » وآلهة « حيدون » الخ ما في ( قض ١٠ : ٦ و ١٠ و ١٣ - ١٦ )



- ( ١٤ ) بعد موت عبدون - بعد ما مات القاضي « عبدون » عاد بنو إسرائيل يعملون الشر المهوديين وهو الوثن ( قض ١٣ : ١ ) مع ملاحظة ما في ( قض ١٩ : ٢ )
- ( ١٥ ) شرك بعض اللاويين - ثبت إن بعض اللاويين كان يكن في بيت الأصنام ( قض ١٧ : ٤ - ١٣ ) في قرية « الطيبة » التابعة لقضاء « طول كرم »
- ( ١٦ ) شرك سبط الدانيين - ثبت أن سبط « الدانيين » صعدوا الى جبل أفرايم ، ونهبوا من بيت ( ميخا ) الذي في قرية ( الطيبة ) التمثال المنحوت والأفود والترافيم والتمثال المسبوك التي هي آلهة ( ميخا ) ، وأقاموا لأنفسهم التمثال المنحوت للعبادة ( قض ١٨ : ١٧ و ٢٤ و ٣٠ الخ ) .
- ( ١٧ ) في عصر صموئيل - ثبت أن بني إسرائيل سقطوا في حفرة الشرك أيام النبي ( صموئيل ) ، فكانوا يعبدون في عصره الآلهة الغريبة و ( المشتاوت والبلعيم ) ( ١ صم ٧ : ٣ و ٤ ) .
- ( ١٨ ) في عصر ملك شاول - ثبت انه كان يوجد في عصر ( شاول ) أول ملوكهم في بيت ابنته ( ميكال ) أصنام صغيرة ومجسمة ، على هيئة الانسان ، بحيث من رآها يظنها إنساناً ، وتسمى هذه الأصنام ( ترافيم ) ( ١ صم ٢٩ : ١٣ ) وهي في شريعة اليهود وحسب كتبهم قرينة الوثن ( ١ صم ١٥ : ٢٣ ) .
- ( ١٩ ) في عصر سليمان - تقول اليهود إن نساء سايمان أم لئان قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه ، فذهب وراء أربعة آلهة ، وهم « عشروت » و « ملكوم » و « كهوش » و « مولك » ( ١ مل ١١ : ٤ - ٨ ) وكان يوجد في الرعية في عهده قوشن ، فتركوا الرب وسجدوا للآله « عشروت » وللآله « كهوش » والآله « ملكوم » ( ١ مل ١١ : ٣٣ ) وكانوا يقربون أباءهم وبناتهم للآله « مولك » وهو محمي بالنار ( ٢ مل ٢٣ : ١٠ ) .
- ( ٢٠ ) أيام رحبعام - ثبت من التاريخ ان أهالي المملكة الجنوبية تملكة يهوذا أيام ملكها « رحبعام » بن سليمان ، عملوا الشر وعبدوا الآلهة الباطلة ، وبوا

لها مرتفعات وأنصاباً وسواري ( ١ مل ١٤ : ٢٣ و ٣٢ ) وكذا هم يقولون إن نفس الملك رجعم أشرك بالله ( ١ مل ١٥ : ٣ و ١٢ ) .

( ٢١ ) أيام أبيتا — سار « أبيتا بن رجبعام » في جميع خطايا أبيه الذي تقدم آنفاً أنه كان مشركاً ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الله ( ١ مل ١٥ : ٣ ) ولم تنزع الأصنام في مدته ، ولكن في مدة أبيه « آسا » ( ١ مل ١٥ : ١٢ ) .

( ٢٢ ) أخزيا قوثن « أخزيا » ملك يهوذا بن « يهورام » ( ٢ مل ٨ : ٢٦ ) وأما الرعية فكانوا سقطوا في الوثنية بهمة أبيه « يهورام » أيام ملكه عليهم ( ٢ أي ٢١ : ١١ — ١٣ ) .

( ٢٣ ) عثليا — « عثليا » ملكة يهوذا كانت مشركة ، لأنه هي التي أدخلت عبادة « البعل » إلى يهوذا ( قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست ) .

( ٢٤ ) أيام يواش — رجعت يهوذا وهم أهالي مملكة القدس إلى السقوط في الوثنية أيام الملك « يواش » ( ٢ أي ٢٤ : ١٨ و ١٩ ) حتى انه لما قام النبي زكريا ينصحهم رجوه بالحجارة ، بأمر الملك « يواش » في دار بيت الله ( ٢ أي ٢٤ : ٢٠ و ٢١ ) .

( ٢٥ ) أيام أمصيا — وسقط أهالي مملكة يهوذا أيام « أمصيا » في القدس الشريفة في هوة الوثنية ( ٢ مل ١٤ : ٤ و ٢ أي ٢٥ : ٢٠ ) كما أن ملكهم « أمصيا » كان كذلك ( ٢ أي ٢٥ : ١٤ — ١٦ ) .

( ٢٦ ) أيام آحاز — وسقطت أهالي مملكة يهوذا في الوثنية أيام ملك القدس آحاز ، هم وملكهم جميعاً ( ٢ مل ١٦ : ٣ و ٤ و ٢ أي ٢٨ : ٢ — ٤ و ٦ و ٢٣ — ٢٥ ) .

( ٢٧ ) أيام منسى — وسقطت أهالي مملكة يهوذا في الشرك أيام ملكهم « منسى » . ملك أورشليم ( ٢ مل ٢ : ٢ — ١٦ و ٢ أي ٣٣ : ٢ — ١١ ) .

- ( ٢٨ ) أيام آمون — عبد « آمون » ملك يهوذا الأصنام التي عبدها أبوه « منسى » ومسجد لها ، وترك الرب إله آباؤه ( ٢ مل ٢١ : ٢١ ) وهكذا الشعب ( ٢ مل ٢٢ : ١٧ و ٢ مل ٢٣ : ٤ — ٢٦ ) .
- ( ٢٩ ) أيام يوشيا — وسقطوا في الوثنية أيام « يوشيا » ملك يهوذا ( ٢ أي ٣٤ : ٣ — ٧ ) ولكن الملك كان موحداً مصلحاً .
- ( ٣٠ ) أيام يهوياقيم — سقط « يهوياقيم » ملك أورشليم وشعبه في الوثنية ( ٢ مل ٢٣ : ٣٧ و ٢٤ : ٢ و ٣ ) .
- ( ٣١ ) أيام صدقيا — سقطوا في الوثنية كل أيام الملك « صدقيا » ملك يهوذا ( ٢ أي ٢٦ : ١٢ — ١٧ ) .
- هذا ما يتعلق بمملكة أورشليم التي هي مملكة يهوذا الجنوبية ، وأما الكلام على مملكة الأسباط العشرة الشمالية التي عاصمتها « شكيم » — وهي نابلس اليوم — فلها بالاجمال من دون استثناء قد سقطوا جميعهم في الشر من أول أن نشكلت المملكة الى أن زالت ، كما يعلم ذلك صريحاً من أسفار العهد العتيق ، ولا حاجة للاطالة بذكر تلك المواضع ، ثم أيام سبي اليهود الى بابل كانوا سقطوا في الوثنية أيضاً ( حز ١٤ : ٢٢ و ٢٣ ) .

### الإيمان بالله واليوم الآخر

القائدة السادسة — عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، هو مصدر كل الشرور والأضرار كما بالمقابلة ان الإيمان بالله واليوم الآخر ، هو مصدر كل خير ونفع ، قال تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، يُؤَادُونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أَوْلِيَاءَ لَكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ، وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أَوْلِيَاءَ لَكَ

حِزْبِ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٨ : ٢٢﴾ وقال تعالى : ﴿فَإِذَا بَلَغَتِ الْمَرْءَاتُ أَجْلَهُنَّ ، فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ قَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ ، وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ، ذَلِكَ لَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٦٥ : ٢﴾ وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿٣٣ : ٢١﴾ وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ - أَي فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ - أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿٦٠ : ٦﴾ وقال تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ، وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ، إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢ : ٢٢٨﴾ وقال تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ، فَبَلَغْتُمْ أَجْلَهُنَّ ، فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ، إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢ : ٢٣٢﴾ ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ، فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٤ : ٥٨﴾ وقال تعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿٢٤ : ٢﴾ .

### يوم الآخرة

الفائدة السابعة - قوله : ﴿وهم بالآخرة هم كافرين﴾ الآخرة هي اليوم الأخير الذي يتبدى حين ترفع الشمس جاذبيتها عن الكواكب ، بإذن الله تعالى ، والأدلة متضاربة على وجود هذا « اليوم » المنتظر ، وأقربها تناولاً أنه إذا لم يكن آخرة ولا عقاب ولا ثواب ، كانت الحياة ضرباً من العبث ، لأن العدل في

هذه الدنيا غريب تائه ، لا يعرف مأوى ، ولا نرى في أعمال الناس غير المظالم الفادحة ، نرى الأشرار في رغد وهناء وسعادة ، بينما نرى الأبرار يقاسون مرارة العذاب ، وما كان ربك ليثيب الظالمين ، فستأتي ساعة تلقى فيها كل نفس ما كسبت ، إن خيراً وإن شراً ، ﴿ فويلٌ للذين كفروا من مشهدٍ يومٍ عظيمٍ ﴾ (٣٧: ١٩) ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٦ : ٣٠) .

### الإيمان بالآخرة والطوائف التي لا تعتقد به

الإيمان بالآخرة هو دين ابراهيم وأولاده سواء كانوا من سلالة إسحق ، أو من سلالة إسماعيل ، إنما وجد من سلالة إسماعيل طائفة من العرب كانوا لا يعتقدون بالآخرة : ﴿ وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا ، وما نهلكنا إلا الدهر ﴾ (٤٥ : ٢٣) ، كما أنه وجد من سلالة إسحق طائفة يقال لهم « صدثوقيون » نشأوا كما قاله « يوسيفوس » نحو سنة ( ١٥٠ ) فم أنكروا القيامة ، لأنهم أنكروا خلود النفس ، أي اعتقدوا أن النفس تموت مع الجسد ، فإذا كانت النفس قد تلاشت عند الموت ، لم يبق باب لحياة الجسد ، وهؤلاء طائفة صغيرة في اليهود ، وسطوتهم قليلة بين الشعب ، وكان لهم ميل شديد الى الفلسفة وكانت أفكارهم دنيوية ، وكان اعتبارهم للديانة الموسوية اعتباراً سطحياً ، وهم اذا رفضوا تعليم « القيامة » سقط عندهم تعليم الثواب والعقاب ، وهم يرفضون الاعتقاد بالملائكة والأرواح . ( هذا ما يؤخذ من قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست ) ومن « الكنز الجليل » في تفسير الانجيل للدكتور وليم أدبي الاميركافي . وقد كان يوجد شيعة في الاسلام يقال لهم « الخطائية » زعموا أن الدنيا لا تفتى ، وأن الجنة هي ما يصيب الانسان في الدنيا من خير ، وأن النار هي ما يصيبهم من شر ، وقريب منهم فرقة يونانية ، يقال لها « التناسخية » يقولون بتناسخ الأرواح ، وأن لابعث ولا آخرة ، وأما اليوم فيوجد فرقة ، يسمون

أنفسهم « بالبهائية » ، مركز تبشيرهم بدينهم عكا وحيفا ، وهم لا يستقدون بالآخرة ولا بالملائكة بالمعنى الذي نعرفه ، بل يأولون ذلك بأن الآخرة هي آخرة الأفراد أو الأمم في الدنيا ، وأن الملائكة هم خيار الناس وملحاثوهم ، هذا ما تيسر لنا الآن ، والله تعالى أعلم .

(مرحى)

ثم نهض العالم الثالث وهو الملامة الحموي وقال :

### اتباع يوسف ملة آباؤه بعد التفكير

يقول السيد الصديق عليه السلام : انه قبل أن يتبع ملة آباؤه وأجداده ، كان تحرر واستقل وافتكر في ملل الناس ونحلهم فلم ترق له ولم تعجبه ، فلزم ملة آباؤه وأجداده ، لأنه رآها بالبرهان الساطع أحسن من غيرها ، من ملل المعاصرين ، ونحل المجاورين ، فلم يكن متبعاً لملة آباؤه لمجرد التقليد المحض ، حسب العوائد المطردة ، عند أكثر الناس - حاشا له من ذلك - بل إنما كان ذلك بعد الإيفال في التأمل والتفكير العميق ، ذلك لأنه كان تولد فيه منذ الصغر الميل الى البحث عن الأسباب ، والتماس البرهان عن كل شيء ، فنشأ لا يبالي إلا بمقائق الأمور ، ولا يحترم سوى العقيدة التي يطمئن لها القلب ، ويثلج بها الصدر ، وذلك لا يكون إلا غب الاستقلال ، وبعده التفكير ، ثم الاتتجال ، فكأنه يقول :

إنني حررت نفسي من كل تقليد ، وركنت الى الاستقلال الفكري ، واستخدمت العقل ، وتعمقت في التفكير ملياً ، حتى وصلت بالبرهان والعقل لملة التوحيد ، التي هي ملة آبائي وأجدادي ، وانا إذا لم أكن قد حررت نفسي سابقاً من كل تقليد ولم أركن الى الاستقلال الفكري ، فلست مستحقاً أن أقوم بالدعوة الدينية ، التي أطلب فيها من المدعو أن يعمل نظير ما عملت ، يتحرر ويستقل ويعتمد على البراهين ، حتى يصل للمقيدة الحققة .

## الفرق التي لا تؤمن بالله كما يجب له

وقوله ﴿ لا يؤمنون بالله ﴾ أي لا يؤمنون بوجوده مطلقاً كالدهرية والمادية والطبيعية ، ولكن الاعتقاد بالله يكاد يكون عاماً بين الشعوب ، ولا تسكاد نجلو أمة متبدية أو متحضرة من اعتقاد إله ، ولكن فكرة الألوهية وأوساف الإله تختلف اختلافاً كبيراً بين الأمم ، ولذلك فيمكن أن يكون قد عني بقوله ﴿ لا يؤمنون بالله ﴾ انهم لا يؤمنون به كما يجب له من « الانفراد » ، خلافاً « للوثنيين » ، ومن « الاختيار » ، خلافاً لفريق من « علماء الهيئة » ، ومن « إحاطة » علمه بكل شيء ، حتى الجزئيات ، خلافاً « للفلاسفة » ، ومن أنه « خالق كل شيء » ، خلافاً « للمانوية » ، ومن كونه هو الذي تقدم له وحده أنواع « المبادات » كلها ، وأنه هو « الشارع » ، لا غير ، خلافاً للمشركين له في « الألوهية » ، ومن أنه « لم يتولد من شيء . ولم يتولد عنه شيء » ، خلافاً « للنصارى » ، ومن أنه تعالى واحد ، ليس اثنين هما الأب والابن ، خلافاً « للمكدونيين » الذين يقولون بالوهية الآب والابن فقط ورفضون ألوهية الروح القدس ، فهم لذلك نصارى مثنية وإمامهم في ذلك مكدونيوس ، أسقف القسطنطينية ، ومن أنه تعالى واحد في ذاته وطبيعته الألوهية ، خلافاً للنصارى « الملكانية » الذين يقولون بالثالوث وبطبيعتين ، « فالثالوث » معناه الآب إله والابن إله والروح القدس إله ، والكل إله واحد ، ومعنى الطبيعتين أن لأقنوم الابن طبيعة الناسوت وطبيعة اللاهوت ، أو طبيعة الانسان وطبيعة الاله ، وكل طبيعة على حدتها لم تمتزج مع الطبيعة الأخرى ، وهؤلاء مثل اللاتين والروم الأرثوذكس والكاثوليك والسرمان الجديد والبروتستانت ، فهؤلاء يقولون بطبيعتين في أقنوم واحد ، أو بأقنوم واحد في طبيعتين ، وبناء عليه يقولون عن السيدة مريم : « إنها أم الاله ، أو أم الله ، أو والدة الاله » .

ومن أنه تعالى واحد في ذاته وطبيعته ، ولكن طبيعته ليست تتزجه بطبيعة الانسان ، خلافاً للنصارى « اليعاقبة » مثل السريان القديم والأرمن والأقباط بمصر وكانت اليعقوبية منتشرة في « غسان » وسائر قبائل الشام ، وكذا في نصارى « نجران » ، فهؤلاء الطوائف يعتقدون أن المسيح طبيعة واحدة متكبة من طبيعتين ، يعنون أنه صار امتزاج الطبيعة الألوهية بالانسانية أو بالمكس ، وهؤلاء هرطقة (١) في نظر الملكانية .

ومن أنه تعالى واحد ذو أقنوم إلهي واحد ، خلافاً « للنساطرة » القائلين بأقنومين أقنوم إلهي ، وأقنوم بشري ، كلاهما ممتاز عن الآخر ، والأول مشرق على الثاني إشراق الشمس على الكون تقريباً ، وبناء عليه هم لا يقولون عن السيدة مريم انها أم الله ، بل أم الانسان فقط وهم على كل حال على غير حق ، وان كانوا أقرب اليه بالنسبة إن سوام ، حتى مؤرخي النصارى اعتبرهم « كالأريوسيين » ولذلك وقع اتفاق النصارى الملكانية واليعقوبية على ان هؤلاء النسطورية هرطقة ومعظم أهالي هذا المذهب في المعجم وفيما بين النهرين ( دجلة والفرات ) « في جبل النساطرة » وعند منابع نهر الزاب وبحيرة أرمية ، وبين الفرات وحدود إيران وجنوبي الهند وفي الموصل على دجلة ، وفي أذربيجان ، ويسمون « الكلدان » ، وكانت النسطورية منتشرة في « الحيرة »

ومن أنه تعالى واحد ولا دخل فيه للانوثة والذكورة ، خلافاً « للمريميين » من النصارى ، فانهم يقولون بربوبية المذراء . وهؤلاء كانوا بجزيرة العرب وهم معدودون في نظر جميع الطوائف النصرانية هرطقة ومن أهل البدعة .

ومن أنه تعالى ليس إله جمال فقط ، ولا إله أرياح فقط ، ولا إله قبيلة

(١) الهرطقة الخارجون على الدين عند النصارى .



واحدة دون أخرى ، ولا أمة واحدة دون سواها ، خلافاً لقدماء اليونان ،  
و . . . الخ الخ .

### عقيدة الايمان الكاملة بالله

تلخيص عقيدة الايمان الكاملة بالله بأنه : ( هو اللهُ أحدٌ ، اللهُ الصمدُ ، لم  
يلدْ ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحدٌ ) ( ١١٢ ) ، ( وربك يخلق ما يشاء ويختار )  
( ٦٨ : ٢٨ ) وهو ( خالق كل شيء ) ( ١١٢ : ٦ ) ، ( إياك نعبد وإياك نستعين )  
( ٤ : ١ ) وهو ( رب العالمين ) ( ١ : ١ ) ، ( ولله ما في السموات وما في الأرض )  
( ١٠٩ : ٣ ) ، ( هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ) ( ٢٩ : ٢ ) ( الذي  
خلق السموات والأرض وما بينهما ) ( ٥٩ : ٢٥ ) ( الله ربكم ورب آبائكم  
الأولين ) ( ١٢٦ : ٣٧ ) ( الله الذي سخّر لكم البحر ) ( ١١ : ٤٥ ) ، ( وألقى  
في الأرض رواسباً أن تميد بكم ) ( ١٥ : ١٦ ) ، ( الله الذي رفع السموات  
بغير عمد ترونها ) ( ٢ : ١٣ ) . ( وهو الذي رسل الرياح بظنرأ بين  
يدي رحمتيه ) ( ٥٦ : ٧ ) ، ( جعل لكم الأرض بساطاً ) ( ١٩ : ٧١ ) ،  
( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ) ( ٧٢ : ١٦ ) ( والله أنزبتكم من  
الأرض نباتاً ) ( ١٧ : ٧١ ) ، ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ،  
ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسفط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في  
ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) ( ٥٩ : ٦ ) ،  
( إن الله على كل شيء قدير ) ( ٢٠ : ٢ ) ، ( إن ربك هو القوي العزيز )  
( ٦٦ : ١١ )

« أحسن »

## يوسف (ع) يبدأ بالدعوة الى التوحيد

آ (٣٨) \* وَاَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ، اِبْرَاهِيمَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ،  
 مَا كَانَ لَنَا اَنْ نُشْرِكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ ، ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ  
 عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ، وَلٰكِنْ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُوْنَ \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثامنة والثلاثون فقام السيد فتح الله اليماني وقال:  
 يقول يوسف : ( واتبعت ) مع تمسكي بالدليل والبرهان ( ملة آباي ابراهيم و )  
 ابته ( اسحق و ) ابته ( يعقوب ) الأنبياء الكرام ، المعروفين في العراق وسورية  
 والحجاز وفلسطين ، فأنا بحمد الله من بيت نبوة وتوحيد ، ( ما كان ) ما صح  
 ( لنا ) نحن معاشر الأنبياء ( أن نشرك بالله من شيء ) لا شيئاً من الشرك ولا  
 شيئاً من الشركاء ، فلا نشرك في عبادته ، وهو شرك الألوهية ، كما لا نشرك معه  
 غيره ، وهو شرك الربوبية ، و ( ذلك ) التوحيد ( من فضل الله علينا ) معاشر  
 الأنبياء الهادين ( وعلى الناس ) المهتدين ، فلذلك نحن وهؤلاء الناس شاكرون له  
 فعلاً بتمسكنا بالتوحيد ، وشاكرون له قولاً بتقديرنا هذه النعمة واعترافنا بهذا  
 الفضل ، وثناءنا لله عليه ( ولكن أكثر الناس ) مع الأسف خاصة هؤلاء المصريين  
 ( لا يشكرون ) نعمة التوحيد ، لا فعلاً باتباعهم ، ولا قولاً بالثناء على مجديها .  
 ووجه كون التوحيد من فضل الله انه تعالى نصب الأدلة التي ينظر فيها الانسان  
 ويستدل بها ثم لطف بمن لطف حتى توفيق للتوحيد ، وقد نصب مثل تلك الأدلة  
 لسائر الناس من غير تفاوت ، ولكنهم لم ينظروا ولم يستدلوا اتباعاً لأهوائهم فبقوا  
 كافرين غير شاكرين ، قال تعالى : ( وقليلٌ من عبّادِي الشُّكُورِ ) ( ١٣: ٣٤ )  
 والشاكرون في المائة لا يتجاوزون عدد الأنامل ، ولا حركات العوامل .

## واتبعت ملة آباي ، ابراهيم واسحق ويعقوب

— ١ —

وقام صنع الله الصيداوى<sup>(١)</sup> وقال :-

### ملة آباء يوسف

كان يوسف عليه السلام تابعاً لملة آباؤه ، عقيدة وشريعة ، وكان تابعاً في ذلك لأبيه يعقوب ، التابع لأبيه اسحاق ، التابع لأبيه ابراهيم ، عليهم الصلاة والسلام ، ( فالملة ) هي في البدء لابراهيم ، وأما أنسالة المذكورون ، فتابعون له فيها ، وإن كانوا أنبياء . ومن أمثلة ذلك أن أنبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام ، تابعون له في شريعة التوراة وعقيدتها ، مؤبدون لها ، مفسرون لها ، حصون على العمل بها والرجوع اليها ، مع ان كل واحد منهم ، نبي ، وقد يكون المعص منهم رسولا أيضاً ، وقد يكون كثير منهم أصحاب أسفار مجيده .

### اصول الدين الموجودة في كل ملة موحدة

نعلم من سابق قوله : ( إنني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ) ولاحق قوله ( واتبعت ملة آباي الخ ) ان ملة آباؤه هذه التي اتبعها هي الايمان بالله وبالآخرة ، ثم بالطبع كل من آمن بالله والآخرة لزم أن يعمل عملاً صالحاً ، وهذه الثلاثة هي أصول دين الله تعالى الموجودة في كل ملة ، لا يفتلين فيها دين ودين ، بل الأديان فيها سواء ، قال تعالى : ( إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) (٦٢:٢) وقال تعالى :

( ١ ) نسبة الى صيدا من بلاد الشام (لبنان)

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ،  
 وَبُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ( ٣ : ١١٤ ) ، وقال  
 تعالى : ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ؟ ،  
 وكان الله بهم عليماً ﴾ ( ٤ : ٣٨ ) ، وقال تعالى : ﴿إنما يعمر مسجداً لله  
 من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، ولم يخش إلا  
 الله ، فمضى أولئك أن يـكـونوا من المهتدين ، أجمعلتهم سقاية الحاج  
 وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل  
 الله ؟ لا يستوون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ( ٩ : ٢٠ و ١٩ )  
 وقال تعالى : ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ  
 ما يفتق قلوباً عند الله وصلوات الرسول ، ألا إنها قربة لهم ، سيدخلهم  
 الله في رحمته ، إن الله غفور رحيم ﴾ ( ٩ : ١٠٠ ) ، وقال تعالى :  
 ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم  
 الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يـمـطوا  
 الجزية عن يدي ، وهم صاغرون ﴾ ( ٩ : ٣٠ ) وقال تعالى : ﴿والى مدين  
 آخاهم شعيباً ، فقال : يا قوم اعبدوا الله ، وارजूو اليوم الآخر ، ولا تعفوا  
 في الأرض مفسدين ﴾ ( ٢٩ : ٣٦ ) ، وقال تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول  
 الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله  
 كثيراً ﴾ ( ٣٣ : ٢١ ) ، هذا ما يحضرنى الآن من الآيات التي تجمع الأصول الثلاثة  
 المهمة ، وهي الإيمان بالله ، والإيمان باليوم الآخر ، والعمل الصالح .

### اركان الايمان الستة

ويزاد على هذه الثلاثة ثلاثة أيضاً ، وهي : الايمان بالملائكة والأنبياء والكتب  
 السماوية ، ومجموع الستة هو أركان الأيمان ، وهذه الستة مذكورة في نحو قوله

تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ، وَآتَى الْمَالَ ( عَلَى حُبِّهِ ) ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ( ٢ : ٢٧٦ )

### العمل بأركان الايمان شرط مهم في الدين

فالعمل شرط مهم لا ندحة عنه ، إذ ليس الغاية من الدين مجرد الاتساق اليه ولا مجرد فهمه ومعرفته حق المعرفة ، فان ذلك لا يهدي إلى خير ، ولا يدفع شرأ ، وإنما العمل الانتفاع بكل ما جاء فيه ، هو الذي يرفي صاحبه إلى ذرى الكمال ، وذلك « كالطب » ، فانه لا يكفي أن يعتقد الإنسان أنه نافع ، ويبرأ من مرضه وأوصابه ، وإنما يحصل ذلك باستعماله والالتزام بأوامره ، والانتفاء عن نواهييه ، ولذلك حرصت جميع الأديان على تبيان هذه الحقيقة للناس ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ( ٤٩ : ١٥ ) ، وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وَجُوهَكُمْ ﴾ الخ الآية التي تقدمت ، فالبار الصادق التقى هو بحكم هذه الآية من جمع بين العقيدة الصحيحة ، والأعمال البدنية والمالية والأخلاق الحميدة ، وقال تعالى ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ ، مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَأُولَٰئِكَ يَتَّخِذُونَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ ( ٤ : ١٢٢ و ١٢٣ ) وفي القرآن الكريم : ﴿ وَقَالُوا : لَنْ نَسْتَأْذِنَكَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ : أَتُخِذُونَ عِنْدَ اللَّهِ

عَمَّ دَأ ؟ فَلَنَنْ يُخْلَفَ اللهُ عَهْدَهُ ، أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ؟ بَلَى  
 مَنْ كَسِبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ ﴿ ٢ : ٨٠ - ٨٢ ﴾ وفي القرآن الكريم : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ  
 إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ؟ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ، قُلْ : هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ، وَهُوَ مُحْسِنٌ ، فَلَهُ أَجْرُهُ  
 عِنْدَ رَبِّهِ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ( ٢ : ١١١ و ١١٢ )

ونقل عن المسيح مامناه : « كل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل  
 بنى بيته على الصخر ، فنزل المطر ، وجاءت الأنهار ، وهبت الرياح ، ووقعت على  
 ذلك البيت ، فلم يسقط ، لأنه كان مؤسساً على الصخر ، وكل من يسمع أقوالى  
 هذه ولا يعمل بها ، يُشَبَّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر ، وجاءت  
 الأنهار ، وهبت الرياح ، وصدمت ذلك البيت فسقط ، وكان سقوطه عظيماً » ( مت  
 ٧ : ٢٤ - ٢٧ ) ونقل عنه أيضاً مامناه : « ماذا تظنون ؟ كان لإنسان ابنان ،  
 فجاء إلى الأول وقال يا ابني ، اذهب اليوم اعمل في كرمي ، - فأجاب وقال :  
 ما أريد ؛ ولكنه ندم أخيراً ومضى ، وجاء إلى الثاني وقال كذلك - فأجاب وقال :  
 ها أنا ياسيد ، ولم يعرض ، فأبى الاثنين عمل إرادة أبيه ؟ قالوا له : الأول - قال لهم  
 يسوع : الحق أقول لكم ، إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله » .  
 ( مت ٢١ : ٢٨ - ٣١ )

### عمن تلقى يوسف عقيدة التوحيد

كان نسب يوسف عليه السلام غامضاً عند المصريين ، وكان يحسب أنه من غمار

الناس ، سواء أيام وجوده عبداً في بيت العزيز ، أو في أزمته سجنه ، ولكنه لما وجد أنه اضطهد اضطهاداً زائداً ، وقد حانت له الفرصة ، أظهر نسبه أمام الفتيين فبغتا عند سماعها كلامه ، وعظم في أعينها أكثر من ذي قبل ، إذ قال لها لاني متولد من سلالة الموحدين ، دعاة التوحيد ، وقد اتبعت ملتهم وهم إبراهيم وإسحاق عليها صلوات الله ورحمته وبركاته ، ويعقوب حفظه الله : فان كنتما ممن سمع بهم فقد كفا كما ماسمعتاه وإن كنتما لم تسمعا بهم ، فسلوا عنهم من أهل « ما بين النهرين » وأهل مملكة « آرام » ومملكة « أبي مالك » .

وغني عن البيان أنه لا يريد بهذا القول الفخار بذكر سلسلة النسب ، لأن سائر الشرائع السماوية جاءت تدعو لمحو التعصب للقبيلة والتمسك بالأنساب ، ففي الحديث الشريف : « المؤمنون اخوة ، تتكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم » ، ولكن يوسف عليه السلام ذكر آباءه ضمن ذكره اتباع عقيدة التوحيد ؟

أو تقول : ذكر ذلك على سبيل التحدث بالنعمة ، لاعلى سبيل الفخر والمنجية وعلى كل فهو « ديمقراطي » صميم ، وليس فيه شيء من « الثيوقراطية » .

وهنا نذكر الشيء بالشيء فنقول إن إبراهيم عليه السلام ولد سنة ( ٢٦٢٠ ) ف.هـ وكل حياته ( ١٧٥ ) سنة ، وبعد ( ١٠٠ ) سنة من عمره ولد له إسحاق عليه السلام فيكون إسحاق قد عاش مع أبيه ( ٧٥ ) سنة ، وكل حياة إسحاق ( ١٨٠ ) سنة ، وبعد ٦٠ سنة من عمره ولد له يعقوب عليه السلام ، فيكون يعقوب قد عاش مع أبيه ( ١٢٠ ) سنة ، وكل حياة يعقوب ( ١٤٩ ) سنة ؛ وبعد ( ٩٣ ) سنة من عمره ولد له يوسف عليه السلام ، فيكون يوسف قد عاش مع أبيه ( ٥٦ ) سنة ، وبذلك أمكن ليوسف أن يتلقى التوحيد ويتلقنه جيداً من أبيه يعقوب ، كما أمكن ليعقوب أن يتلقاه ويتلقنه جيداً من أبيه إسحاق ، كما أمكن لإسحاق أن

يتلقاه ويتلقنه جيداً من أبيه إبراهيم ، فضلاً عن أن كل واحد منهم قد صار فيما بعد نبياً ورسولاً كريماً عليهم جميعاً أفضل الصلاة والتسليم .

إذا تقرر هذا ، فقلوه : ﴿ واتبعتم ملة آباي .. الخ ﴾ يحمل على اتباع فرد من أفراد الأمة لنبياها ، بالنسبة لمدته التي قبل نبوته ، حينما كان من أمة أبيه يعقوب تابعاً صرفاً له ، ثم صار بعد ذلك رسولاً ، كما قال : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به ، حتى إذا هلك ، قلتم : لن نبعث الله من بعده رسولاً ﴾ ( ٤٠ : ٣٤ ) ، فيوسف في هذا مع أبيه نظير « لوط » عليه السلام مع عمه إبراهيم ، حيث كان قبل نبوته فرداً من أفراد أمة عمه ، تابعاً له ، كما قال تعالى : ﴿ فأمن له لوط ﴾ ( ٢٩ : ٢٦ ) ، ثم صار لوط من بعد ذلك نبياً ورسولاً ، كما قال تعالى ﴿ وإن لوطاً لمن المرسلين ﴾ ( ٣٧ : ١٣٣ ) وهكذا كان « يوشع بن نون » ، فتي موسى بالنسبة لموسى ، وسليمان بالنسبة لأبيه داود ، عليهم جميعاً الصلاة والتسليم .

﴿ ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ﴾

— ١ —

وقام مولانا صنعة الله الهندي وقال :

يوسف ينهى عن الشرك بالله والسواب القرآن في

استعمال النفي بمعنى النهي

يقول يوسف عليه السلام : ( إن كل شيء من أمر الجاهلية والتوثن هو تحت أقدامنا ، هو موضوع ليس له قيمة ، هو خلاف قضية العقل ، ولا يجوز لنا شرعاً ولا عقلاً أن نجعل لله شريكاً في عبادته وطاعته ، كما في ربوبيته ) أو هو نفي بمعنى



النهي ، أي لنته عن الشرك . ويوجد في القرآن من هذا الأسلوب الشيء الكثير ،  
واليكم بعض الشواهد :

( ١ ) قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا  
اسْمَهُ ، وَسَمَى فِي خَرَابِهَا ؟ .. أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾  
( ٢ : ١١٤ ) ، أي لا ينبغي للمؤمنين أن يمتنعوا هؤلاء من دخول مساجدكم ،  
إذ ما كان لهم في حكم الله وشرعه أن يدخلوها إلا خائفين ، فهذا النفي كناية عن  
نهي المؤمنين من أن يمتنعوا أحداً من الخلق الأذى بمساجدكم .

( ٢ ) قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ( ٣٣ : ٥٣ ) ،  
أي لا يباح لكم ذلكم ، فهو نفي للاباحة ، أو هو نهي بمعنى لا تؤذوا .. الخ .

( ٣ ) قوله تعالى ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ( ٥٦ : ٧٩ ) ، أي لا يجوز  
لهم مسه بغير طهر ، أو هو نهي في المعنى أي لا يمسسه إلا المطهرون .

( ٤ ) قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْمَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ ، عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾  
( ٤ : ١٤٠ ) أي لم يكن ليُجعل من أحكام شريعته ، ما يلزم المسلمين  
بالخنوع والانتقاد لأحكام الكافرين ، ولا يوجب عليهم السكون والطمأنينة  
لسلطانهم ، لأنه يريد أن تكون كلمة الذين كفروا هي السفلى ، وكلمته هي العليا ،  
أو هو محمول على النهي ، والمعنى لا تجعلوا أيها المؤمنون سبيلاً عليكم للكافرين ، قال  
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾  
( ٤ : ٥٨ ) ، فكلمة « منكم » صريحة في أنه ليس للمؤمنين أن يطيعوا أولي الأمر  
من غير أنفسهم إلا أن يتقوا منهم تقاة ، إلى غير ذلك من الشواهد والأمثال القرآنية .

### دين التوحيد هو الدين الخالص الذي جاء به الانبياء

دين التوحيد هو الدين الخالص الذي جاء به الأنبياء حتى المسيح ، فالسميح

ما جاء لينقض الناموس ، الذي أساسه التوحيد ، بل ليتمم ، ولكن « بولس » الذي هو أفضل مقدس عند النصارى ، نقض الناموس حجراً حجراً ، ولبنة لبنة ، مع انه يوجد عندهم نصوص واضحة في عقيدة التوحيد ، وإنما هم مع الأسف - أهملوها وأولوها وحرفوها .

### نصوص عقيدة التوحيد في الانجيل

منها - قول المسيح : ( وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته ) ( يو ١٧ : ٣ ) فبيّن أن الله تعالى هو الإله وحده ، وأن يسوع المسيح إنما هو رسوله فقط ، وهذا هو الذي دعا إليه القرآن ، وهو عندهم بمثابة ما هو عندنا ، من قولنا : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، وكان يجب أن يكون هذا النص أساس عقيدتهم ، يرد اليه بالتأويل كل ما يوهم خلافه ، لأجل المطابقة بين المنقولات بعضها مع بعض ، ولأجل موافقة المنقول للمقول .

ومنها - أن احد الكتبة سأل يسوع عن أول الوصايا ، فأجاب يسوع : أول الوصايا « إسمع يا إسرائيل : الرب آلهنا رب واحد - فقال له الكاتب : جيداً يا معلم بلحق نطقت ، لأنه واحد ، وليس آخر سواه ... فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل قال له : لست بمبدأ عن ملكوت السموات » ( مر ١٢ : ٢٩ و ٣٢ و ٣٤ ) فعلم من هذا أن التوحيد الخالص هو العقيدة المعقولة التي تؤخذ على ظاهرها بلا تأويل ، فإن فرضنا أنه ورد ما يناقضها ، وجب رده اليها .

### المشرك في الربوبية والمشرك في الألوهية

والمراد من قوله : ﴿ ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ﴾ \* نفي جواز نوعي

الشرك في الربوبية ، أي الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية اما الشرك في الربوبية فهو ان يطاع غير الله في أمر ونهي ، وتشريع وتحليل وتحريم ، وبعبارة أخرى : ان ترى لبعض المخلوقين حق التشريع والتحليل والتحريم لذاته ، فهذا هو الشرك في الربوبية ، المشار إليه بقوله : ( أرباب متفرقون خير ؟ ) الخ وقد فسر النبي ﷺ اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أرباباً بطاعتهم فيما يحلون ويحرمون .

والشرك في الألوهية ، هو أن يعبد مع الله سواه ، وبعبارة أخرى ، أن ترى لبعض المخلوقات سلطة غيبية وراء الأسباب العادية العامة ، فترجو نفعه وتخاف ضره ، وتدعوه وتذل له . سواء شعرت في توجه قلبك إليه بأنه ينفعك بذاته ، أو تأثيره في إرادة الله تعالى ، بحيث يفعل لأجله ما لم يكن يفعله لولاه ، بمحض فضله ورحمته ، فهذا هو الشرك في الألوهية ، المشار إليه بقوله تعالى : **يؤمنون بالله وآياته** من دونه إلا أسماء .. الخ ( آ ٤٠٠ ) .

( ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس )

— ١ —

وقال جمال الدين البغدادي : —

- ( التوحيد فضل من الله على عباده ) -

يقول يوسف : إن ما ذكر من الترك والاتباع ، الذي حاصله ملة التوحيد ، هو من فضل الله علينا ، لأنه وإن يكن بكسبنا وأعمال أفكارنا وسعيها ، ولكننا إنما وصلنا إليه ، وحصلنا عليه ، بتوفيق الله تعالى ، أو إن ( ذلك التوحيد هو من فضل الله علينا ) وليس علينا نحن خاصة ، بل ( وعلى ) عموم ( الناس ) لأنه الوسيلة العظمى ، لجمع كلمة الخلق ، والذريعة الكبرى لانتظام أمور معاشهم ، فحسن العاقبة في معادهم . وكيف لا .. وإن فكرة الحب الانساني العام هي ناشئة

عن الاعتقاد بوحدانية الله ، الله الذي نحن جميعاً ( رعيته ) وهو ( الملك ) الواحد الأكبر لجميع هؤلاء ( الرعايا ) فاذا ( المملكة ) واحدة و ( مليكها ) واحد و ( الراية ) واحدة ، و ( التبعية ) واحدة ، اذاً فنحن ( إخوة ) في الدين ، وليس بيننا ( أجنبي ) في هذه ( المملكة الدينية ) ، أو إن ( ذلك ) التوحيد ( من فضل الله ؟ الخ ) فهو مائدة مباركة منصوبة لمن يريد الجثو حولها ، والتناول منها ، فنصب هذه المائدة هو من محض كرم الله على عباده ، وأما التوجه إليها وتقضية الروح بها ، فهو متعلق بكسبنا ، ولا ينال إلا بعمل الفكر وسمي العقل ، ومع كل ذلك ، فهذا التوجه لهذه المائدة ، يحتاج الى لطف وتيسير ، من الله تعالى ، فعلى كل نحن أسراء فضل الله تعالى الموهوب والمكسوب ، قال الشاعر :

فله سبحانه الحمد دوماً      وله الشكر بكرة وعشية

وهذا القول ( ذلك من فضل الله علينا .. ) يذكرنا بقوله تعالى : ( يا بني اسرائيل : اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين ) ( ٤٦: ٢ ) ، فهذه التفضلة التي فضلهم الله بها على عالمي زمانهم ، أي على الأمم المعاصرة لهم هي ( التوحيد ) الذي ذكر انه من فضل الله على بيت ابراهيم . ومع ذلك فهو لم يخص شخصه ولا بيته بهذا الفضل ، بل قال : ( وعلى الناس ) فعممه للجميع ، موافقة للواقع .

### المؤمنون اخوة

فالشرائع السماوية تهدم ( الوحدة القبيلية ) ( والوحدة العنصرية ) وتكره التفاضل بشرف القبيلة أو شرف الجنس والمنصر ، فالمؤمنون كلهم كتلة واحدة ، لا تفاضل بين أفرادها الا بطاعة الله وتنفيذ أمره ، قال تعالى : ( إنما المؤمنون إخوة ) ( ١٠: ٩ ) وقال : ( إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) ( ١٣: ٤٩ ) ،

وقال عليه الصلاة والسلام : ( ليس منا من دعا الى عصبية أو قاتل عصبية ) وقال  
 ﷺ : ( من دعا الى عصبية فمات ، مات ميتة جاهلية ) ، وقال أيضاً : ( لا فضل  
 لعربي على عجمي الا بالتقوى ) ، وقال (ﷺ) : ( الناس سواسية ) ، وقال :  
 ( رب أشعث أغبر ، لو أقسم على الله لأبره ) ،

### ( المرء بأعماله لا بنسبه )

وثبت في الصحيح انه ﷺ قال : ( من بطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه ) ،  
 رواه مسلم ، وخطب النبي (ﷺ) في خطبة الوداع : ( أيها الناس ، إن الله  
 تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ،  
 ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ) .

وقال الشاعر :

الناس من جهة التمثيل أ كفاء      أبوهم آدم والأم حواء  
 فإن يكن لهم من قبل ذا نسب      يقاخرون به فالطين والماء

وقال :

وإني وإن كنت ابن سيد (عامر)      وفي السير منها والصريح المهذب  
 فما سوّدتني (عامر) عن ولادة      أبي الله أن أسمو بأمر ولا أب  
 ولكنني أحمي حماها وأتقي      أذاها ، وأرعي من رماها بمنكي

فهذا مع إمكانه أن يفتخر بالآباء ، لم يفتخر إلا بنفسه ، وقد أخذ هذا المعنى  
 عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

فقال :

لسنا وإن أحسابنا كرمت      يوماً على الأحساب تكل  
 نبني كما كانت أوائلنا      تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ورآى ( المأمون ) يوماً رجلاً ، من أبدع الناس زياً ، ووقاراً وهيبة ، وهو لا يلتفت إعجاباً بنفسه ، فسأل عنه المأمون ، فقيل له : إنه عالم من العلماء ، فأنشد عندئذ قول الشاعر :

كن ابن من شئت واتخذ أدباً      ينيك مأثوره عن النسب  
إن الفتى من يقول : ها أنا ذا      ليس الفتى من يقول : كان أبى

وتكلم رجل عند ( عبد الملك ) بكلام ، ذهب فيه كل مذهب ، فقال له وقد أعجبه : ( ابن من أنت يا غلام ؟ - فقال : ابن نفسي يا أمير المؤمنين ، التي نلت بها هذا المقعد منك ، - قال : صدقت ) واخذ هذا المعنى ( ابن دريد ) فقال :

كن ابن من شئت وكن مؤدباً      فانما المرء بفضل حسه  
وليس من تكرمه لغيره      مثل الذي تكرمه لنفسه

قالت عائشة ( رض ) مامعناه : ( اذا كرمت أفعال الانسان لم يضره لؤم آبائه ، واذا لؤمت ، لم ينفعه كرم آبائه ) وقال المعري :

لو يعلم الانسان مقداره      لم يفخر المولى على عبده  
لولا سبحانه وأخلاقه      لكان كالمعدوم في وجده (١)  
ومجده أفعاله لا الذي      من قبله كان ولا بعده

وقال الحريري : تبا لفتخر ، بعظم نخر ، انما الفخر بالتقى ، والادب المنتقى .

وما الفخر بالمعظم الرميم وانما      فخار الذي يبغى الفخار بنفسه

وهذا ( عصام ) الجرمي ، الذي ترقى الى أن صار حاجباً عند ( النعمان بن المنذر ) ، لم يكن شريفاً ، ولا نشأ في قومه ، ولكن كان من أشد الناس بأساً ، وأفصحهم لساناً ، وأحزمهم رأياً ، فصار أقربهم الى النعمان ،

قال له رجل يوماً : ( كيف بلغت هذه المنزلة من الملك ، وأنت دنيء الأصل ؟ ) — فقال :

نفس عصام ستودت عصاماً وعلمته الكرم والاقداماً  
وصيرته سيداً هماماً

وبذلك صار يقال : ( كمن عصامياً ، ولا تكن عظامياً ) أي افتخر بنفسك لا بآبائك الذين ماتوا وبقيت عظامهم .  
وللسيد رئيس المؤتمر :

إني وإن ألك فرع بيت طاهر ما ينبغي لي أن أكون بفاخر  
لكن فخاري بالوداعة والتقى والعلم والقلب السليم العامر — ي (١)

﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾

— ١ —

وقال الاستاذ فكرة التركي :

الغمز من قناة الفتيين ، ادب الانبياء في الخطاب

يقصد يوسف من قوله : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ أن العدد الجم من العقلة لا يشكرون الله بتوحيده ، بل يكفرون به إذ يشركون ، فإن كَفَرَةَ النِّعَمَ أكثر من الحصى ، وقد أراد يوسف ( ع ) بقوله هذا غمز قناة الفتيين بأنها لم يكونا من الشكر في شيء ، ولكنها بالعكس كفرا بنعمة التوحيد ولم يستعملا فيها قواهما العقلية .

ويلاحظ أنه لم يقل ( ولكن أكثركم لا تشكرون ) كما أنه قال : ( يا صاحبي

( ١ ) قوله العامري فيه تورية لأن اصول السيد رئيس المؤتمر القدماء من محلة بني عامر

في بلدة غزة هاشم .

السجن) (آ : ٢٩) ولم يقل (أيها المسجونان) وقال ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (آ : ٤٠) ولم يقل (ولكن أكثركم لا تعلمون) تحسناً للجواب ما أمكن ؛ وتلطيفاً للخطاب ماتيسر ، كما قال تعالى : ﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ : (١٦ : ٢٥) وقال : ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظاً القلب ، لانفضوا من حولك﴾ (٣ : ١٥٩) وقال تعالى : ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ (٦٨ : ٤) ، وهكذا جميع أنبياء الله ورسله ومظاهر أمره ، كلهم حكماء رحماء لطفاء أصحاب أخلاق كريمة وذوو خطابات أدبية ، خلافاً « للبولسين » الذين تقلوا ( كما في مت ١٥ : ٢٢ - ٢٨ ) أن امرأة كنعانية صرخت للمسيح ليشفى ابنتها المجنونة ، وكانت تقول له : ( ارحمني ياسيد يا ابن داود ) ، فلم يجيبها بكلمة ، فصارت تصيح وراءه ، حتى طلب تلاميذه منه صرفها ، فقال لهم : ( لم أرسل إلا الى خراف إسرائيل الضالة ) فجاءت وسجدت له قائلة : ( ياسيد أعني ) - فقال لها : ( ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ) - فقالت له : ( نعم ياسيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها ) - حينئذ شفى لها ابنتها بعد هذا العناء العظيم ، والالاح الكبير . فانظر الى هذه الجوابات القاسية ، والخطابات اليابسة ، في مقابلة كلام تلك المرأة اللطيف ، وخطابها الأديب ؛ بل إنهم تقلوا عنه أيضاً أنه كان يخاطب قومه بني إسرائيل بالسب واللعن بأفحش الألفاظ ، كقوله : ( أيها المراؤون ، والقادة العميان والجهال والحيات أولاد الأفاعي ) ( مت ٢٣ : ١٣ - ٣٦ ) ، وقوله : ( إن العشارين والزواني يسبقونكم الى ملكوت الله ) ( مت ٢١ : ٣١ ) ، كل هذا نقوله ، ونحن بريئون منه الى الله ، ولا نعتقد أنه صدر من السيد المسيح ، وإنما نقله الزاماً للخصم ، وإظهاراً لما



تجر اليه قصص هذه الأناجيل ، وبياناً لكمال وأدب البولسيين مع السيد المسيح عليه السلام ! ( هذا ما أعطانا الله وألهم ، وهو بالحقائق أعلم )

### يوسف (ع) يدعو الى التوحيد

آ ( ٣٩ ) ﴿ يَا صَاحِبِ السِّجْنِ ، أَرَبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ؟ ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية التاسعة والثلاثون فقام العلامة التونسي وقال :

يقول يوسف (ع) بلسان الهاديء الداعي مخاطباً الفتيين السجينين : (يا صاحبي السجن) أي يا صاحبي في السجن ، وقد أضاف صاحبيه الى السجن كما تضاف الليلة للسارق في قولك : ياسارق الليلة ، فكما أن الليلة مسروقة فيها غير مسروقة ، فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب ، وإنما المصحوب عبره وهو يوسف ، خاطبها بذلك تجبياً اليها وتودداً لأن النصيح علاج مر فليصحبه شيء من حلو الكلام ، مثل : يا بني اسرائيل . يا أهل الكتاب . يا أيها الذين آمنوا التي صدرت بها حمل الوعظ في كتاب الله المجيد ، ( أرباب متفرقون ) في المدد والتكاثر ، أو مختلفون ، أي أن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ، ويستعبدكما هذا ( خير ) لكما ( أم الله الواحد ) أي أم يكون لكما الله الواحد الذي لا يشارك في ربوبيته ولا في الوهيته ( القهار ) الذي لا يغالب بل هو الغالب ؟ أفتوني ماجورين ، أفيقوا من نومكم وأجيبوني — وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام المصرية كالفرعنة والعجول ، أيبس وبوخيس وغيرها ، والشمس والتامسيح ونحوها من معبودات قدماء المصريين : الذين كانوا يتمقدون

بالحلول العام . وانبثاث الروح الالهي في العالم ، انبثاثاً متفاوتاً على قدر مافي الخلق من مزايا وقوى .

يا صاحبي السجن ، أأرباب متفرقون خير ، أم الله الواحد القهار ؟!

— ١ —

وقال السيد عبد العال البحريني (١) وقال

### يوسف يهدي الفتيين بالحاجة والاقناع

وقف يوسف ، وقد اتى على صاحبيه الفتيين نظرة الجد والحماص ، وقال :  
 أيها الصاحبان ، واحد منكأ رأى نفسه في ( المنام ) أنه يحمل الكأس في يده  
 للملك ، وثانيكأ رأى نفسه في « الحلم » يحمل الخبز على رأسه ، وأما أنا بدوري  
 فاني أرا في « اليقظة » أحمل بين جنبي قلباً ملىء عيرة دينية ، وتوفرت لديه  
 أسباب الدعوة والارشاد ، ولذلك وبهذه المناسبة أقول لكما : « ناشدتكأ الله  
 أأرباب متمددون متشاكسون ، متعادون ، مختلفون ، أفضل ياترى ؟ أم الله الواحد  
 القهار ؟ افكرا وأجيباني ، إذ يجب أن يكون لنا أدمغة ، كما لنا رؤوس ،  
 فابحثا فيما بعد هذه الجلسة ، في ذات أنفسكأ ، هل تريان ضميركأ يشهد أن الأرباب  
 المتعددة ، سبأ المتشاكسة المختلفة ، خير من الواحد ؟ أظن أن جوابكأ سيكون  
 باختيار الشق الثاني ، فان لم يحضر كأ شيء في هذا الموضوع الآن ، فأجيباني فيما بعد .  
 ياشريكي في عواطي وبلاي ، ياشريكي في هذا السجن الذي هو مدار  
 الأشجان ، ودار الأحزان ، ومحل الهوان ، ياشريكي في السجن الذي تصفو  
 فيه المودة ، وتخلص النصيحة ، ياشريكي في هذا السجن الذي تصير فيه الأعداء  
 أصدقاء والبعداء أنسباء ، أفتياني في سوآلي .

(١) نسبة الى البحرين احدى الامارات العربية في شرق جزيرة العرب .

أنا لا أزيد كما علماً في ذلك ، فأنتم تعرفان حق المعرفة ، وتحسنان أن نجيباً عنه الجواب الشافي ، فأترك الجواب في ذلك لكم ، لتحكما بما يوحي به اليكما الوجدان الطاهر ، والعقل الكامل ، أنتم فطنان عاقلان ، فلا توقموا نفسيكما فيما يخالف العقل السليم ، والنقل الصحيح ، فمضى أن تصغيا الى نداء الضمير ، وتمعليا جواباً يرضاه الواقع .

أنا لا أريد أن أسادر كما فيما تعتقدان ، ولا أقصد أن أهجم عليكما هجمة قاهرة بل كل الذي أريد منكما أن ترجما الى عقولكما ، وتستفتيا ضمائركما ، وتسألا وجدانكما ، أطالبكما بالحاح أن تتأملا . فان الحقيقة بنت الفكرة ، والتدبر قنطرة الصواب ، والاستدلال بريد اليقين .

انظرا بمقولكما ، ولا تدوساها تحت أقدامكما ، فان الله إمامنا أنعم عليكما بها لتستعملاها ، انظرا لاتستبد بكما رجال دينكما الكهنة المصريون ، كما يستبد رجال الأديان الأخرى بمقول عوامهم ، ليكون دينكما عقلياً منطقياً ، ولا يكون دين تقليد وجمود ، غير موافق للعقل والمنطق .

هذا ما يرمي اليه كلام يوسف عليه السلام ، وقد أبرر وسطها في سورة الاستفهام ، حتى لاتنفر طباعها من المفاجأة بالدليل من غير استفهام ، وهكذا الوجه في محاجة الجاهل أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج بقبلها ، فدا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها ، ثم كذلك الى أن يصل الى الاذعان بالحج .  
وأما الفتيان فلم يجيبا يوسف على سؤاله بشيء ، كيف وهما قد يؤلمها ويكوي غرورها وكبرياءها أن يكون جوابها : ﴿ الله الواحد القهار خير ﴾ .  
وليسمح لي السادة أن أتكلم الآن كلمة عن الديانة الوثنية بمصر .

### الديانة الوثنية بمصر

علمنا أن يوسف عليه السلام ، جرى في خطابه للفتيين على طريقة الاختصار

وأجمل الكلام إجمالاً ، ولم يشأ أن يتوسع في تسمية آلهة المصريين الدنيئة ، مثل المعجل ( أيس ) والتاسيح والهرر ، بل وكل الحيوانات المنحطة ، ولم يطلق لنفسه العنان في قباحة اعتقادم ( بالثالوث ) الأقدس ، المركب من أب وأم وابن ولهم ثوابت متعددة ، أي مجموعة آلهة ثلاثة ، ثلاثة ، كما في الثالوث المسيحي ، إلا أن المسيحيين ليس لهم إلا ( ثالوث واحد ) وأيضاً ان المسيحيين يعتقدون أن الثالوث هو إله واحد ، ولكن المصريين لا يعتقدون أن ثالوثهم إله واحد ، بل ثلاثة ، غير أنهم يعملون معاً ، وكان لكل مدينة معتبرة ( ثالوث ) يجرسها ويستحق عبادتها على نوع خاص ، ومن أشهر ثوابتهم ( اوسوديس وايسيس وهورس ) .

إن ديانة المصريين هي الشرك كباقي الأمم القديمة في فينيقية وأشور وبابل واليونان والرومان والبراهمة والعرب ، والمصريون يعتقدون بآلهة كثيرة فائقة العدد ، ويعتقدون بانبثا الآلهة في كل العالم ، فعندهم ان كل شيء فيه جزء من الألوهية بحيث يستحق العبادة ، فأجازوا السجود لكل مخلوق ، وأجازوا أن يكون الانسان إلهاً ومألوماً في وقت واحد ( وَبَدَّرُكْ وَآلِهَتَكَ ) ( ٧ : ١٢٦ ) ، \* مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مَن إِلَهٍ غَيْرِي \* ( ٢٨ : ٣٨ ) ، \* أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى \* ( ٧٩ : ٢٤ ) .

كان لكل مدينة في مصر معبود لا يشبه معبود ما يجاورها من المدن ، وكانوا يسمون الإله في هليوبوليس ( را ) وفي منفيس ( أمون ) ، وكان لهم في منفيس ثور يدعى ( أيس ) وفي جهة أخرى ثور يدعى ( بوخيس ) وكانوا يعبدون الشمس والليل والفجر والاسد والكبش وابن آوى وغير ذلك من الحيوانات .  
( مرعى )

يا صاحبي السجن ، أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟

— ٢ —

وقام الأستاذ الازهري ( من علماء الأزهر ) وقال :

سأمره على مسامح أعضاء المؤتمر الفوائد التي تضمنتها هذه الآية الكريمة :

واجب الواعظ نحو الموعوظين وأمثله من القرآن

الفائدة الأولى — نجد أن يوسف (ع) قد خاطب الفتيين بأنها رفيقاء في السجن ، وعشيراء في هذه المحنة ، ترفلاً إليهما ، وارتباطاً بهما وإبناساً لنفوسهما ، واحتراماً للشخصية ، ذلك كله تمهيداً لسيذكره من وعظهما ودعوتهما ، وهذا أسلوب لطيف في الوعظ ، كما تقول الواعظ اليوم .

(أبها الاخوان) مثلاً ، ومنه نعلم أنه ينبغي لكل واعظ أن يبدأ وعظه بكلمة تشف عن ارتباطه بالموعوظين واحترامه وتنزله لهم ، وحفظ كرامتهم ، لكي يستعدوا بذلك لقبول الموعظة ، الأمر الذي يشفع للواعظ بسبب ما يستلزمه الوعظ من فطنة الالهانة ، فعندئذ يسهل على الناس احتمال الوعظ ويقرب قبولهم إياه ، وقد قال صاحبنا أمير البيان الأمير شكيب أرسلان : والنصح علاج مر ، فليصحبه شيء من حلو الكلام ، وهذه طريقة القرآن الكريم التي جرى عليها كثيرة جداً ، واليك بعض أمثلة ذلك :

أولاً — قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا مُمْسِكِينَ ﴾ (٤٧ : ٢) ،

أراد تعالى أن يأمرهم بالتقوى فاستهل ذلك أولاً بتشريفهم بأنهم سلاله يعقوب ، وأنهم مهبط نعمة الله ، وأنه تعالى فضلهم على معاصريهم .

ثانياً — قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ ، وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ ﴾ ( ٤٠ : ٢ ) .

ثالثاً — ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ؟ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ ﴾ ( ٧٠ : ٣ و ٧١ ) .

رابعاً — ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوْتُوا الْكِتَابَ ، آمَنُوا بِمَا نَزَّ لَنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ الخ ( ٤٦ : ٣ ) .

وتراه إذا أراد وعظ المؤمنين وإرشادهم يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَقُولُوا « رَاعِنَا » وَقُولُوا « انظُرْنَا » ﴾ ( ١٠٤ : ٢ ) ، ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ( ١٥٣ : ٢ ) ، ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ( ٢٠٨ : ٢ ) .

كما إنك تراه إذا خاطب كفار أهل مكة ، ناصحاً ومرشداً لهم يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ( ٢ : ٢١ ) ، ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، كَلِمَاتُ الْأَرْضِ حَلَالٌ طَيِّبًا ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ( ١٦٨ : ٢ ) ، ويقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَحَلَقَ مِنْهَا رَوْحَهَا ، وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ( ١ : ٤ ) .

هذا .. وأما نحو 'قل' يأيها الكافرون لا أعبدُ ما تعبدون ، (١٠٩ : ٢٥١) الخ فهو ليس من باب الوعظ والارشاد ، ولكنه من نوع التنصل والانفصال ، ولم يرد في القرآن الكريم « يأيها المنافقون ، قط ، فافهم دقائق كتاب الله ، والا فالسلام عليك .

### واجب المصلح المرشد

الفائدة الثانية - تتعلم من هذه الآية أن الرجل المصلح المرشد ينبغي أن لا يفتر عن تعليم الناس وإرشادهم في كل حين ، وفي أي مكان ، وعلى أي حال ، من عسر أو يسر ، من ضيق أو فرج ، من سرور أو حزن ، فهذا النبي يوسف الصديق قام بالنصح والارشاد وهو في سجنه ، فياماً يحق الانسانية ، ووفاء بواجب الدين ، نصح ولم تعفهُ ضيقة السجن ، ولا زور التهمة عن أن يشع عن الناس سحب الضلال ، ويصقل قلوب العامة بصقال العلم ، وبجلوها بجلاء المعظم والحكمة ، فكان بذلك من المحسنين ، فليقم العلماء والمرشدون ، الى انتشار الأميين من وهذه الجهل ، وليرفعوهم الى سماء الفضيلة ، وليعمموا العلم بين أفراد الأمة

كما تتعلم من كلام السيد الصديق درساً آخر ، وهو أنه ينبغي للعالم المرشد أن لا يخل برشده وهدايته على أحد مطلقاً ، حتى لو كان قريباً في الوطن أو الجنسية ، فقد نصح عليه السلام للعصرين ، وهو عريب عن وطنه وعن جنسيتهم ، ولا ينبغي للعالم اذا وجد في بلد غير بلده ، أو بين اقوام ليسوا من جنسه ، أن لا يقرأ درس الوعظ والارشاد ، ولا يقوم بهداية العباد ؛ بل عليه ذلك اقتداء بهذا النبي الصديق وبأبي الأنبياء الكرام ، الذين لم يقتصروا في هدايتهم وإرشادهم على أهل وطنهم ، وذوي جنسيتهم ، بل عمموا العلم للجميع . . .

### الدعوة الى الحق تكون بالدليل والبرهان ولا اكرام في الدين

الفائدة الثالثة - تتعلم من هذه الآية مع ما قبلها وما بعدها ، أن الدعوة الى

الحق . لا تكون بالسيف والسنان ، ولكن بالدليل والبرهان ، وذلك كما قال تعالى :  
 « فَذَكَرْكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ » ، لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ ، ( ٨٨ : ٢١ و ٢٢ ) ، وقال تعالى :  
 « مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا » ( ٧٩ : ٤ )  
 وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا ، إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾  
 ( ٤٢ : ٤٨ ) وقال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ  
 فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَعْمَىٰ فَعَمِيًّا فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴾ ( ٦ : ١٠٤ ) ، وقال  
 تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، عَلَيْهِ  
 تَوَكَّلْتُ ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ( ٩ : ١٣٠ ) وقال تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ  
 بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ، قُل لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ( ٦٦ : ٦ ) وقال تعالى :  
 ﴿ فَتَنْنَاهُتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ  
 بِوَكِيلٍ ﴾ ( ٣٩ : ٤١ ) ، وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ،  
 أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ؟ ﴾ ( ٢٥ : ٤٣ ) وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
 كُنْتُمْ عَلَىٰ يَمِينَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيْتُمْ عَلَيْكُمْ ،  
 أُنذِرْتُمْ مَكْمُوهًا ، وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ؟ .. ﴾ ( ١١ : ٢٨ ) ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ  
 يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، وَلَا أَنَا  
 عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَلِي دِينٌ ﴾  
 ( ١٠٩ : ) وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ،  
 أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ ، وَأَنَا بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ( ١٠ : ٤١ ) وقال تعالى :  
 ﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ،  
 اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ ( ٤٢ : ١٥ ) ، فمعنى قوله ( لا حجة ) لا خصومة ،  
 لأن الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به ، فلا حاجة الى المحاجة ، وهو على نية



مضاف ، أي لا ايراد حجة ، وقال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ﴾ (٢٥٦:٢) ، وسبب نزول هذه الآية مارواه أبو داود والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس قال : ( كانت المرأة تكون مقلاة (أي لا يعيش لها ولد) ، فتجعل على نفسها إن عاش لها أن تهوده ، فلما اجليت بنو التضير ، كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : لا قدح أبنائنا ) ، فأنزل الله ( لا إكراه في الدين ) ، وأخرج ابن جرير من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس قال : ( نزلت « لا إكراه في الدين » في رجل من الأخصار من بني سالم ابن عوف ، يقال له الحصين ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو مسلماً ، فقال للنبي ﷺ : ألا أستكبرُ ههنا ؟ ، فانها قد آتيا إلا النصرانية ) فأنزل الله الآية ، وفي بعض التفاسير انه حاول إكراهها ، فاخترصوا الى النبي ﷺ فقال : ( يا رسول الله ، أيدخل بعضي النار ، وأنا أنظر ؟ ) ولا بن جرير عدة روايات ، في نذر النساء في الجاهلية تهويد أولادهم ليعيشوا ، وان المسلمين بعد الاسلام أرادوا ( إكراه ) من لهم من الأولاد على دين أهل الكتاب — على الاسلام فنزلت الآية ، فكانت فصل ما بينهم ، وفي رواية له عن سعيد بن جبير أن النبي ﷺ قال عندما أنزلت : ( قد خير الله أصحابكم ، فان اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فهم منهم ) هذا هو حكم الدين الذي يزعم كثيرون من أعدائه أنه قام بالسيف والقوة ، قالوا : ( إنه كان يُمرص على الناس ، والقوة عن يمينه ، فمن قبله نجا ، ومن رفضه حكم السيف فيه حكمه ) ، هذا كلام أعداء الإسلام ، وهو تنت أو جهل وإلا فهل كان السيف يعمل عمله في « إكراه » الناس على الاسلام في مكة ، أيام كان النبي ﷺ يصلي مستخفياً ، وأيام كان المشركون يفتنون المسلم بأنواع التعذيب ولا يجدون رادعاً ، حتى اضطر النبي وأصحابه الى الهجرة ؟ أم يقولون : إن ذلك « الاكراه » وقع في المدينة بعد أن اعتز الاسلام ؟ ، وهذه الآية قد نزلت

في غرة هذا الاعتزاز ، فإن غزوة « بني النضير » كانت في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة ، وقال البخاري إنها كانت قبل غزوة « أحمس » ، التي لاخلاف في أنها كانت في شوال ، سنة ثلاث للهجرة ، وكان كفار مكة لا يزالون يقصدون المسلمين بالحرب .

لقد نقض « بنو النضير » عهد النبي ﷺ فكادوا له وهموا باغتياله مرتين ، وهم بجواره في ضواحي المدينة ، فلم يكن له بد من إجلائهم عن المدينة ، فحاصروهم حتى أجلاهم ، فخرجوا مغلوبين على أمرهم ، ولم يأذن لمن استأذنه من أصحابه « باكره » أولادهم اليهوديين - على الاسلام ، ومنعهم من الخروج مع اليهود ، فذلك أول يوم خطر فيه على بال المسلمين « الاكره » ، على الاسلام ، وهو اليوم الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ ( ٢ : ٢٥٦ ) .

وقبل أن نختم هذا الموضوع نريد أن نذكر قوله تعالى : ﴿ وقل للذين أتوا الكتاب والأمين ، أسلمتم ؟ ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولتوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد ﴾ ( ٣ : ٢٠ ) ، فهذه الآية نص قاطع في حصر وظيفة الرسول بالبلاغ عن الله .

هذا وأما حديث : ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ، عصموا مني دمائهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله ) فليس بالاكره على تلك الكلمة ، لأنهم يمكنهم المهاجرة ، والرسول لا يمنعهم منها ، ولأن المراد ( بالناس ) العرب في الجزيرة الذين كانوا استحقوا القتال باعتداءاتهم المتوالية على المسلمين ونقضهم المواثيق والعهود التي جاء ذكر نقضها في الآيات التي قبل هذه الآية ، وجرت القاعدة الإلهية غالباً ، أنه متى قيل في القرآن : ( يا أيها الناس ) مثلاً ، فالمراد قریش وسائر عرب الجزيرة .

٧٩٠ الدعوة الى الحق تكون بالدليل والبرهان ولا اكره في الدين آ (٣٩)

أو أن المعنى حتى يقولوها ولو ظاهراً بلسانهم ، غير مكلفين أن يعتقدوها  
بدليل التعبير « بالقول ، وبكلمة » وحسابهم على الله ، فيكون الغرض كف  
شرهم فقط ، لأنهم اذا تظاهروا بالاسلام ، لم يقدرُوا على إيذاء المسلمين المخلصين ؛  
وهناك وجه رابع في الجواب عن هذا الحديث ، وهو أنه وقع فيه اختصار  
من الراوي له ، إذ الأصل : ( أمرت أن أقاتل الناس — أي قريش — حتى  
يتمكن مرید الاسلام من قوله لا إله إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى  
لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ أي حتى يصلوا في الضعف الى أن لا يقدرُوا  
أن يفتنوا المؤمنين ، وهو يدل على أن الغرض من القتال كان إيجاد الحرية للمسلمين  
في العقائد الدينية ، قال تعالى : ﴿ ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى  
يُبْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ( ٨ : ٦٧ ) .

والذي يضطرنا الى نحو هذه التأويلات قرائن منها رواية الترمذي في سننه عن  
جابر انه بعد أن أتم الحديث السابق قرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ، لَسْتَ  
عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ ( ٨٨ : ٢٢ ) ، فهذه الآية التي استشهد بها رسول الله ﷺ  
تؤيد ما قلناه في معنى الحديث ، وإلا فأى مناسبة بينها وبينه ؟ ومنها التوفيق بين  
الحديث المذكور وبين الآيات القرآنية الكثيرة مثل قوله : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ  
رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ( ١٨ : ٢٩ )  
و ( ليس عليك هدايم ) ( ٢ : ٢٧٢ ) ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنْ  
اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ( ٢٨ : ٥٦ ) و ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي  
الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً . فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾  
( ١٠ : ٩٩ ) و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا  
اهْتَدَيْتُمْ ﴾ ( ٥ : ١٠٨ ) و ﴿ لَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ،

فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ ، فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦ : ١٠٨﴾ و ﴿١٠٨﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩ : ٧﴾ وهذه الآيات وأشباهاها ليست منسوخة كما قال بعض الناس ، وقد ورد في الحديث الشريف : ( سيكون أفلس يضرّبون القرآن بعضه يبعض ليطلوه ويتبعوا ما تشابه منه ، ولكل دين مجوس وهم مجوس أمتي و كلاب النار).

انطباق الآية على معتقد البولسيين من التصاري ورد استدلالهم

### على معتقدهم في ألوهية المسيح

الفائدة الرابعة — ما صدق هذه الآية الشريفة على «الثالوث» معتقد البولسيين. فإنه يحتوي على أرباب متفرقين في الجوهر ، متفرقين في العمل ، أما كون هذا الثالوث مركباً من أرباب ، فلأنهم قالوا ، إنه مركب من الآب وهو رب وإله ، والابن وهو رب وإله ، والروح القدس وهو رب وإله ، والثلاثة واحد ، وأما كون هذه الأرباب الثلاثة ، أو الأقانيم الثلاثة أو الجواهر الثلاثة ، أو ماشاءوا يقولون — متفرقين في الاصل ، فلأن أصل الجميع أقنوم الآب ، وأما الأقتومان الآخرا فمشتقان منه أو متوالدان منه ، أو ماشاءوا يقولون ، وأما كون هذه الثلاثة متفرقين في الجوهر ، فلأنهم قرروا أن جوهر الآب شخص مستقل قائم بنفسه وكذا جوهر الابن ، ومثله جوهر الروح القدس ، وأما كون الثلاثة متفرقين في العمل ، فلأن الآب هو خالق ما كان وما يكون ، والابن به كان ما كان وبه يكون ما يكون ، والروح القدس ، هو الذي يبيث العلم والنور والهدى في قلوب الناس كما كان هو الناطق بالانبياء .

هذا ومن المدهشات استدلال التصاوي على متقدمهم في الوهية المسيح بقوله خطاباً بالله تعالى : ﴿أنت في وأنا فيك﴾ (يو ١٧ = ٢١) ولكن هذه الجملة مقتطعة من مقال طويل ، لو سمعه الانسان لم يقدر ان يستنتج منه معتقدم ، وإليك نقل هذا المقال ، في دعائه لأتباعه هكذا : ( ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتني ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد ، أنا فيهم وأنت في ، ليكونوا مكتلين الى واحد ، وليعلم العالم انك أرسلتني ، وأحببتهم كما أحببتني ) (يو ١٧ : ٢١ - ٢٣) ، وينقلون أيضاً عن المسيح عيسى أنه قال : ( إني أنا في أبي ، وأتم في ، وأنا فيكم ) (يو ١٤ : ٢٠) ، فهذه العبارات ان ادعوا أنها تدل على الوهية المسيح ، فلا شك أنه يلزمهم أن يقولوا ، إن تلاميذه أيضاً آلهة ، لأن ما عبر به عن نفسه ، عبر به أيضاً عنهم بلا فرق ، وقريب من هذه التعابير ، قول النبي ﷺ لبي ( رض ) : ( أنت مني وأنا منك ) أخرجناه في الصحيحين من حديث البراء بن عازب ، وفيهما عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال : ( إن الأشعريين إذا رملوا في الغزو ، أو قلت نفقة عيالهم في المدينة ، جمعوا ما كان معهم في ثوب واحد ، ثم قسموه بينهم بالسوية ، هم مني وأنا منهم ) وكذلك قال ﷺ عن حبيب : ( هذا مني وأنا منه ، هذا مني وأنا منه ) ، رواه مسلم في صحيحه عن أبي برزة .

### التثليث عند المصريين القدماء

الفائدة الخامسة — كان المصريون القدماء ، ومنهم المعاصرون ليوسف عليه السلام — من أهل « التثليث » ، ولكن ليس لهم « ثلوث » واحد ، بل كل مقاطعة تعبد « ثلوثاً » وكان أصحاب هيكل « منفيس » يعتقدون بثلوث مركب من « الله » قبل كل شيء ، ثم « الكلمة » ومبدأ « روح القدس » و« لؤلؤا » الثلاثة طبيعة

واحدة ، وهم واحد بالذات ، وعنهم صدرت القوة الأبدية ، قال « دوان » في كتابه « خرافات التوراة » : ( لا ريب أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس « كلمة » هو من أصل وثني مصري ، دخل في غيره من الديانات كالمسيحية ، و « أبولو » المدفون في بلدة « دهلي » في الهند يدعى « الكلمة » ، وفي علم اللاهوت الاسكندري الذي كان يعلمه القسيس « بلاتو » قبل المسيح بسنين عديدة ، « الكلمة هي الإله الثاني » وتدعى أيضاً « ابن الله البكر » ، فالمصريون يقولون بلاهوت الكلمة ، وان كل شيء صار بواسطتها ، وانها « منبثقة » من الله ، وانها هي الله ، وكان « بلاتو » عارفاً بهذه العقيدة الوثنية ، وكذلك « أرسطو » وغيرها ، وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي بقرون ( كذا قاله « بونويك » في كتابه « عقائد قدماء المصريين » ) ، وهو أشبه شيء بما في مفتاح إنجيل « يوحنا » بلا فرق ، ولكن اعتقاد مبشري المسيحيين « مقدس » ، واعتقاد قدماء المصريين « نجس » !!! وبمناسبة ذكر التثليث عند قدماء المصريين سأذكر التثليث عند باقي الأمم :

١ — ( التثليث عند البراهمة ) : « البراهمة » من الهند يعبدون « ثالوثا » مركباً من « برهما وفشنو وسيفا » ، وعندهم أن هذه ثلاثة أقانيم متحدة لا تفك عن الوحدة ، فهي إله واحد ، وعندهم أن « برهما » هو « الآب » و « فشنو » هو « الابن » و « سيفا » هو « الروح القدس » .

فبرهما الآب — هو الممثل لمبادئ التكوين والخلق ، وفشنو الابن — يمثل حفظ الأشياء المكونة — من الزوال والفساد ، وهو منبثق عن اللاهوتية ، وسيفا الروح القدس — هو الذي له التصرف والتحويل في الكون ، ويرمزون له بصورة « حمامة » ( كذا قاله « موريس » في كتابه « الآثار الهندية القديمة » ج ٢ ) وهذا هو نظير اعتقاد مبشري المسيحيين في « ثالوثهم » من

كل وجه . ولكن ثالوث اليراهمة نجس ، وثالوث مشري للمسيحيين مقدس !! ..  
 ٢ - ( التثليث عند البوذية ) : البوذية يمدون « بوذا » ويسمونه « خو » ،  
 ويقولون إنه إله ، له ثلاثة ألقاب ، هذا بالنسبة لبوذي الصين ، وكذلك بوذي  
 « جيست » يقولون إن « جيفا - ) مثلث الألقاب ، وكذلك شيعة « تاوو » التي  
 ابتدأت قبل المسيح بنحو ٦٠٤ سنين ، وكانوا يمدون إلهاً مثلث الألقاب ، كان  
 « تاوو » عندهم هو العقل الأول ، انبثق منه واحد ، ومن الثاني انبثق الثالث ، وعن  
 هذا الثالث انبثق كل شيء ، وهذا القول بالتولد والاعتناق أحدثه العلامة « موريس » ،  
 لأن قائله وثني ، ولكن الانبثاق عند هؤلاء الوثنيين باطل ، بخلاف الانبثاق  
 عند مشري المسيحيين فإنه حق !! ..

٣ - ( التثليث عند الكلدانيين ) : الكلدان قوم اراميين لهم ثالوث مركب  
 من « إل » و « بعل » و « حيا » وعندهم أن « إل » هو الله ، وأما « بعل » فتعريبه  
 ( كما في قاموس جورج بوست ) رب أو سيد ، وهما اللفظان اللذان يلقب بهما المسيح  
 كثيراً ، وأما « حيا » فيرى بعض الباحثين أن اسمه من مادة الحياة ، فهو قريب  
 من « روح القدس » ؛ وعليه فيكون ثالوث مشري المسيحيين ، « الأب والابن  
 والروح القدس » تفسيراً لثالوث الكلدان « إل وبعل وحيا » ، ولكن ثالوث الكلدان  
 غير صحيح وثالوث مشري البروتستانت هو الصحيح !! ..

٤ - ( التثليث عند الفرس وأهل آسية ) : قال « دوان » في كتابه « حرافات  
 التوراة » كان الفرس يمدون إلهاً مثلث الألقاب ، ويسمونها « وزمرد » ، مزان ،  
 « أهرمن » ، فاوزمرد الخلاق ، ومترات ابن الله الخالص والوسيط ، وأهرمن  
 الملك ، ودين مشري البروتستانت يشبه دين هؤلاء ولكن عقيدة المبشرين صححة  
 وعقيدة أسلافهم الفرس باطلة !! ..

٥ - ( التثليث عند اليونان ) : كان الوثنيون القدماء يعتقدون أن الإله واحد ، ولكنه ذو ثلاثة أقانيم ، كذا في كتاب « سكان أوربا الأولين » ؛ وإن اليونان كانوا يقولون : إن الإله مثلث الأقانيم ، ونقل « دوان » عن « اورفيوس » أحد كتاب اليونان وشعرائهم قبل المسيح بعدة قرون أنه قال : « كل الأشياء صنعها الإله الواحد مثلث الأسماء والأقانيم » ، وهذا اعتقاد اليونانيين القدماء . الذين جال « بولص » في بلادهم جولات واسعة ، وامتزج بهم امتزاجاً شديداً ، ثم إن الكنيسة المسيحية بعد دخول نصرانية « قسطنطين » فيهم ، اقتبست منهم هذا التثليم ، ولكن يوجد فرق جوهرى بين عقيدة هؤلاء الوثنيين ، وبين عقيدة مبشرى البروتستانت المحققين ، وهذا الفرق ينحصر كله في قولنا : إن عقيدة وثنيي قدماء اليونان باطلة ، وعقيدة هؤلاء السادة المبشرين حقة !!! .

٦ - التثليث عند الرومان : كان الرومان الوثنيون القدماء يؤمنون بالتثليث يؤمنون بالله أولاً ، ثم « بالكلمة » ثم « بالروح » ، ( كذا في كتاب الخرافات ومخترعوها ) تأليف « فسك » ص ٢٠٥ ، وهل هذا سوى عقيدة مبشرى البروتستانت اليوم ؟ غير أنهم نزلوا « الكلمة » على السيد المسيح .

٧ - ( التثليث عند الفنلنديين ) : كان للفنلنديين البرابرة الذين كانوا في شمال بروسية - إله اسمه « تريكلاف » ، وقد وجد له تماثيل في « هرتونجرج » ، له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ، قاله « بارخومست » في القاموس العبراني ، وتريكلاف مركب من كلمة « تري » ومعناها ثلاثة ، وكلمة « كلاف » ومعناها إله .

٨ - ( التثليث عند الاسكندنافيين ) كان الاسكندنافيون يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ، يدعونها « أودين ، تورا ، فري » ويقولون : الثلاثة الأقانيم إله واحد ، وقد كان أهل اسوج وزوج والدينبارك يفاخر بعضهم بعضاً في بناء



الهياكل لهذا الثالث، وكانت جدران هذه الهياكل مصفحة بالذهب ومزينة بتماثيل هذا الثالث، ويدعون «أودين»، باسم الأب، «تورا» باسم الابن البكر «فري» باسم مانح البركة والنسل والسلام والغنى، (كذا قاله «دوان» في كتابه «خرافات التوراة» ص ٣٧٧)، وغير خاف ان هذا الثالث الاسكندنافوي قريب من ثالث مبشري البروتستانت الأذكىاء، فما أشبه الليلة بالبارحة، ولكن عقيدة هؤلاء المبشرين الكرام صادقة، وأما عقيدة أسلافهم الاسكندنافيين فهي كاذبة !!! ..

هذا ما تيسر لنا نقله في بحث الثوابث.

### فرق النصارى الشهيرة

الفائدة السادسة - فرق النصارى الشهيرة مئة :

الفرقة الاولى الأريوسية :- «يقولون بالله واحد، هو الله، وينفون الالهية عن المسيح وعن الروح القدس، ويحملون ماورد في الأناجيل من تسمية الله بالرب وتسمية المسيح بالابن - على الحجاز، فهم من أهل التوحيد الصرف ولأجل رد قول رئيسهم «آريوس» بأن المسيح إنسان فقط، ليس فيه لاهوت فقد انعقد أول مجمع في «نيقية»، وهو محل قريب من الاستانة سنة (٣٢٧) مسيحية، ويقال له «المجمع النيقاوي»، وهو الذي قرر عقيدة «الأمانة» أو «قانون الإيمان» وسمى الأريوسيين «هراطقة» ولكن فكرة آريوس هذه، وهي عقيدة التوحيد ونفي الالهية عن المسيح، قد انتشرت في أوروبا في أواسط القرن السادس عشر، لا سيما في إيطاليا ويولانده وترانسلفانيا، وقد اشتهرت هذه البلاد الأخيرة بأنها صارت مهد القول بتوحيد الله تعالى، ثم انتشرت كنائس الموحدين من النصارى في أوروبا وغيرها، وكذلك اقيمت لهم المدارس في كبريات

المدن العالمية ، وفي كل مملكة من الممالك الاسلامية ، وآريوس هذا يعتقد في المسيح عين ما يعتقد فيه المسلمون ، ويقول عن المسيح إنه ابن الله مجازاً ، وقد كان كاهناً للكنيسة الاسكندرية ، وكان معه على هذا الاعتقاد أتباع من النصارى ورجال الدين كثيرون ، خصوصاً في الشرق ، خصوصاً في مصر وفلسطين ، وكان على مذهبه من ملوك الرومان الملك « قسطنس » والملك « فالنص » ، ولما فتح القوط الغربيون « اسبانيا » في القرن الخامس للميلاد كانوا يدينون بالأريوسية ، وظلوا على ذلك قرناً وبمض القرن ، وفي أواخر القرن السادس تولى اسبانيا ملك من القوط اسمه « ريكارد » ، اتبع المذهب الكاثوليكي سنة ( ٥٨٧ ) للميلاد ، فتبعه الأساقفة ثم الرعية ، فعادت اسبانيا إلى مذهب كنيسة رومية ، ولقد كان المذهب الأريوسي مذهب معظم قبائل القوط قبل خروجهم على المملكة الرومانية وقضوا نحو مئتي سنة ، وهم على مذهب آريوس ، والذين استبدلوا مذهبهم في أول الأمر إنما استبدلوه مسaire إلى « ريكارد » ، لا عن اقتناع البرهان لأن مذهب آريوس أقرب إلى أحكام العقل من سائر مذاهب النصرانية ، قاله « جين » مؤلف تاريخ المملكة الرومانية ، وهذه الفرقة من النصارى « موحدة » .

وقد حكم الجمع الذي ألفه الملك قسطنطين سنة ( ٣٢٥ ) ميلادية بمقاومة آريوس وإحراق كتبه وتحريم اقتنائها ، ولما انتشر تعليمه من بعده قضى « تيودوسيوس » الثاني باستئصال مذهبه وإبادة الأريوسية بقانون روماني صدر في سنة ٦٢٨ مسيحية ، وبقيت مذاهب التثليث يكافح بعضها بعضاً .

الفرقة الثانية المكدونية - يقولون بألوهية المسيح دون الروح القدس ، نسبة إلى « مكدونيوس » اسقف القسطنطينية ، وقد انعقد الجمع الثاني القسطنطيني سنة ( ٣٨١ ) مسيحية ، لأجل الرد على مكدونيوس الذي أنكر ألوهية الروح القدس وهذه الفرقة من النصارى « مثنية » .

الفرقة الثالثة الملكانية — يقولون بالثالوث ويطيبتين وأقنوم واحد، أي للمسيح طبيعة الناسوت وطبيعة اللاهوت، أو تقول: طبيعة الانسان وطبيعة الإله وكل طبيعة على حدها، لم تمتزج مع الطبيعة الأخرى، ومن هؤلاء اللاتين والروم الارثوذكس والكاثوليك والسريان الجديد والبروتستانت فجميعهم يقولون بطبيعتين في أقنوم واحد، أو بأقنوم واحد في طبيعتين، وبناء عليه يقولون عن السيدة مريم إنها أم الإله أو أم الله، أو والدة الإله أو الرب، وهؤلاء طبعاً « مثلثة » .

الفرقة الرابعة التساطرة — يقولون بالثالوث وأن المسيح له أقنومان، أقنوم ناسوتي وأقنوم لاهوتي، وأن أقنوم اللاهوت ليس متداخلاً معه، بل هو مشرق عليه إشراقاً فقط، ولذلك فليس للمسيح عندهم سوى طبيعة واحدة بشرية، وأن السيدة مريم لم تلد إلا أقنوم الناسوت، فليست هي أم الإله، بل أم الانسان فقط وهم عند باقي طوائف النصارى أشبه بالرائيين ويسمونهم هرطقة، وكان معظم أهالي هذا المذهب موجوداً في العجم وفيما بين النهرين أو حوالي ذلك، ويوجدون عند منابع الزاب، وبحيرة اوزمية، وما بين العراق وحدود الفرس وجنوبي الهند، ويسمون « الكلدان »، ويوجدون في الموصل على نهر دجلة وفي أذربيجان، ولأجل الرد عليهم انقذ المجمع الثالث الاقسوسي سنة ( ٤٣١ ) ميلادية، وينسب هذا المذهب الى « نسطوروس » أسقف القسطنطينية الذي لا يقول بالتجسد، أي تجسد أقنوم الكلمة، ولا يقول بالانحداء، أي اتحاد أقنوم الكلمة بناسوت المسيح، خلافاً للملكانية، وقد قرر المجمع المذكور أن أصحاب هذا المذهب هرطقة، ولكنهم على كل حال « مثلثون » .

الفرقة الخامسة اليقوبية — يقولون بالثالوث ولكن المسيح له طبيعة واحدة

والبعاقبة هم اليوم عبارة عن لريخ طوائف ، السريان غير الكاثوليك أو إن شئت قلت : السريان القديم ، والأرمن والأقباط بمصر والحبشة ، فهؤلاء يعتقدون أن للمسيح طبيعة واحدة إلهية مترتبة من طبيعتين ، يمتون أنه صار امتزاج الطبيعة الألوهية بالإنسانية أو بالعكس ، وهم عند غيرهم من النصارى هراطقة ، ولأجل الرد عليهم انعقد المجمع الرابع الخلقيدوني سنة (٤٥١) م وقرر الطبيعتين .

الفرقة السادسة المريمية - تقول بربوبية العذراء ، وانها أقنوم آلهي ، وهؤلاء أصحاب بدعة في نظر طوائف النصارى ، ( راجع خلاصة تاريخ الكنيسة للمعلم لومند الفرنسي تعريب الخورى يوسف البستاني المطبوع في بيروت ، وغيره وغيره من تواريخ الكنيسة تقف على العجب العجيب من الخلاقات والتفصيلات الكثيرة ) وقبل الختام وعلى ذكر « الأقباط » تقول كان الأقباط أيام أجدادهم الفراعنة في التوثن ، وما زالوا كذلك الى سنة ( ٣٨١ ) ب . م (١) ، ومن هذا التاريخ اعتنقوا النصرانية بأمر « ثيودوسيس » ، ولكن على مذهب يعقوب البرادعي كما علمت ، وأما الرومان الذين كان لهم الانتداب على مصر فكانوا « ملكانية » ، ولذلك كان يوجد حزازات بين الحكومة الرومانية المنتدبة ، وبين القبط الوطنيين المنتدب عليهم .

### شرك المصريين القدماء في الربوبية والالوهية

الفائدة الثامنة - نعلم من قوله « أرباب ... الخ » ومن قوله الآتي « ماتعبدون ... الخ » أنه كان يوجد عند المصريين القدماء شرك في الربوبية وشرك في الألوهية ، فشرك الربوبية كان عندهم باتباع رؤساء دينهم الكهنة فيما يحلون لهم وما يحرمون عليهم « وشرك الألوهية كان عندهم بعبادة غير الله تعالى كالمجلى أيس وسواه ، وقد أخذ النصارى عن المصريين وسواهم هذين النوعين من

(١) أي بعد المسيح .





(٢ : ٤٤) ، وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ؟ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١ : ٦١ و ٢ و ٣)

### سبب اقتصار يوسف على دعوة صاحبي السجن إلى التوحيد فقط

الفائدة الحادية عشرة - الدعوة إلى اصلاح العقائد، ووضع التوحيد محل التوثق : أمر مهم يقصد منه نقل النفوس من ملة إلى ملة، ومعلوم أن تحويل النفوس من عقيدة إلى أخرى صعب جداً على الداعي وعلى المدعو، ولذلك سأل موسى عليه السلام ربه أن يشرك معه في الرسالة شقيقه هرون، فقال : ﴿ و اجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي ، أشدُّ نُبُوَّةً مِنِّي ، وَأَشْرِكُ فِي أَمْرِي ﴾ (٢٠ : ٢٩ - ٣٢) : وبعث عيسى عليه السلام إلى أهل انطاكية برجلين اثنين ليدعواهم إلى الايمان ، فقابلوهما بعتاد وتكذيب ، فأضاف إليهما ثالثاً يؤيد بحشها ، قال تعالى : ﴿ و اضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ، فعززنا بثالث ، فقالوا : إنا إليكم مرسلون ﴾ (٢٦ : ١٣ و ١٤) ، وبالنظر إلى صعوبة ذلك وأهميته جداً اقتصر يوسف على دعوة صاحبي السجن إلى التوحيد ، وأما الارشاد إلى أحكام الدين العملية - مثلاً - فهو أيسر من اصلاح العقائد ووضع الايمان موضع الجحود ، أو وضع التوحيد موضع التوثق ، على أن التوحيد هو الأساس ، فيجب البدء بالدعوة إليه أولاً ، وأما الأعمال الفرعية فيتبعني تأخير الدعوة إليها بعد اعتناق الأصول ، وهذا تعلم نكتة كون يوسف لم ينه رئيس السقاة عن سقي ربه خمرآ ، فتفهم هذا ، والاقبال سلام عليك.

مثل من يبيع عذبة الرنة أو الرها و امر أكل

البيع المملوك لشرب ، عذبة رين أو لملك و امر

الفائدة الثانية عشرة - نظير هذه الآية التي نطق بها يوسف عليه السلام قول

الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ، رجلاً ، فيه شركاءٌ مُتَشَاكِسُونَ ، ورجلاً ، سَلَمًا لرجلٍ ، هلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ؟ ﴾ ( ٣٩ : ٢٩ ) ، فالرجل الأول مملوك من المالك قد اشترك فيه شركاء ، بينهم اختلاف وتنازع ، كل واحد منهم يدعي انه عبده ، فهم يتجادبون ويتماورونه في مهنٍ شتى ، ومشاده ( أشغال ) متنوعة ، واذا بدت لهم حاجة تدافعوه ، فهو سادر ( متجبر ) في أمره ، قد تشعبت ( فرقت ) المهموم قلبه ، وتوزعت ( فرقت ) أغراضهم أفكاره ، لا يدري أيهم يرضى بخدمته؟ وعلى أيهم يعتمد في حاجاته ؟

والرجل الثاني قد سلم لملك واحد وخلص له ، فهو معتق لما لزمه من خدمته ، معتمد عليه فيما يصلحه ، فهمته واحد ، وقلبه مجتمع ، فأى هذين العبدین أحسن حالاً وأجمل شأنًا ؟ ، والمراد تمثيل حال الرجل الأول الذي يثبت آلهة شتى ، وما يلزمه على قضية مذهبه ، من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ، ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبا ، ويبقى هو محيراً ضائعاً لا يدري أيهم يعبد ؟ ، وعلى ربوبية أيهم يعتمد ؟ ومن يطلب رزقه ؟ ومن يلتمس رفقته ؟ فهمته شعاع ، وقلبه أوزاع .

وحال الرجل الثاني الذي لم يثبت إلا إلهها واحداً ، فهو قائم بما كلفه ، عارف بما يرضيه ويسخطه ، لا يبدل إلا لهذا السيد الفذ ، ولا يعتمد إلا عليه ، منه يطلب حوائجه ، وهو مع غيره حر ، مها مسه الضر .

## فكرة الدعوة والارشاد في القرآن ومراتبها

الفائدة الثالثة عشرة - لقد فتح لنا يوسف الصديق بهذا المقال باب الوعظ والتبشير على مصراعيه ، والقرآن الكريم لا يزال يرشدنا الى هذه الفكرة الحميدة ، فكرة الدعوة والارشاد ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ( ٣ : ١٠٤ ) وهذا الأمر والنهي هو التواصي في قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾



إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالْمَبْرُورِ ﴿١٠٣﴾  
 ( ١٠٣ : ) ، ثم إن لهذه الدعوة الى الخير والأمر والنهي مرتبتان ، فالرتبة الأولى  
 هي دعوة هذه الأمة مسازر الأمم الى الخير ، وأن يشاركوهم فيها هم عليه من التور  
 والهدى ؛ وعليه فالخير والمعروف هو الاسلام ، والمنكر هو الشرك والكفر ،  
 ودعوة يوسف هتما من هذا القبيل - والمرتبة الثانية في الدعوة والأمر والنهي -  
 هي دعوة المسلمين بعضهم بعضاً الى الخير وتأميرهم فيما بينهم بالمعروف ، وتناهيهم عن  
 المنكر ، وعليه فالخير والمعروف هو الواجبات ، والمنكر هو الحرام .

قال تعالى : ﴿ لَسِعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ  
 وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ كانوا لا يتناهون  
 عن منكرٍ فعلوه ، لبيئس ما كانوا يفعلون ﴿ ( ٥ : ٧٨ ) .

### صفات الداعي الى التوحيد

ولأننا بمناسبة دعوة يوسف لطذين الوثنيين نريد أن نذكر ما يجب أن يكون  
 عليه « الداعي » من الصفات :

( ١ ) العلم التام بما يدعو اليه ، وهو العلم بالقراءات والسنن والسيرة النبوية  
 وسيرة الخلفاء الراشدين . وسلف الأمة الصالح ، وأهم ما يجب أن يعمل به « الداعي »  
 من القرآن معاني الآيات المتعلقة بالنصارى والمسيح وأمه والحواريين ، والآيات  
 التاريخية التي لها علاقتها بتاريخ اليهود .

( ٢ ) العلم بحال من توجه اليهم الدعوة في شؤونهم واستعدادهم وطبائع بلادهم  
 وأخلاقهم وسائر أحوالهم الاجتماعية .

( ٣ ) معرفة الملل والنحل ومذاهب الأمة ، ليتيسر « للداعي » بيان ما فيها  
 من الباطل ، فإن المدعو إذا لم يتبين له بطلان ما هو عليه ، لا يلتفت الى الحق القوي .  
 عليه غيره ، وأهم شيء في هذا الباب ، الوقوف على ما عند النصارى ( مثلاً ، من

المذاهب والتقاليد الدينية ، وأهم هذا الأهم ، مطالعة كتب توارىخ الكنيسة وكتب الجدل التي لنا ولهم ، والوقوف التام على شرح ما بأيديهم مما يسمونه بالتوزاة والانجيل والتمكن من مواطن الخلاف بين فرق النصارى الملكانية واليعقوبية والنسطورية ، وما تعتقده كل فرقة في غيرها ، مع الوقوف التام على عقائد الروم الأرثوذكس والروم اللاتين والبروتستانت ، وما تقوله كل فرقة في شأن غيرها .

(٤) — يجب أن يكون « الداعي » زهياً عن السباب والشتائم والصخب ، دمث الاخلاق ، وديماً ، حمولاً ، حريصاً على مراعاة العواطف ، واحترام من يناظره أو يدعو ، لا ينطق ببيت شفة تمس كرامة مدعوته ، أو تجرح عاطفته ، كما قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١٦ : ١٢٥) وأحسن شيء يربي في « الداعي » هذه الملكة ، مراجعته الآيات القرآنية الحاوية على الجدل المتبادل ، بين الأنبياء وأممهم ، والتأمل في ذلك تأملاً عميقاً ، لكي يتخلق بأخلاق الأنبياء ، ويتأدب بأدابهم ويتحمل كما تحموا ، ويتلطف كما تلتفوا ، فان في القرآن من ذلك العجب العجاب ، والكنز الثمين الذي لا يقدر بثمن .

### اعتقاد المصريين القدماء بيوم الدين

الفائدة الرابعة عشرة — لقد حث يوسف صاحبي السجن في هذه الآية وما بعدها ، على التوحيد ، ولم يحثها على الايمان باليوم الآخر ، لأن ذلك كان من أكبر عقائدهم العتيقة ، من وجود يوسف بينهم ، ولولا اعتقادهم بالدينونة في اليوم الآخر ، ما قال عزيز مصر لامرأته ، لما وجدها خاطئة : ﴿ واستغفري لِرَبِّكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ (آ ٢٩) والظاهر أن هذه العقيدة ، أتت للمصريين ، من طريق الوحي إليهم ، ولذلك كانوا يعرفونها قبل اليهود ،

وكانوا يمتقدون أن قلب الانسان ، سيوزن يوم القيامة ، لمعرفة إن كان يستحق الرحمة أو العذاب ، ولعل مرادهم من ذلك هو تكرار القرآن عند المحققين ، مما ذكره مشابهاً لذلك في قوله : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، أَتَيْنَاهَا ، وَكُفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٢١ : ٤٧) ، فالمقصود بالمبالغة في بيان دقة الحساب وكمال العدل الإلهي ، في ديتونة الخلائق ، كأن أعمالهم أو قلوبهم ، توزن وزناً دقيقاً .

قال صربون القدماء ، كانوا يمتقدون يوم الدين ، وكذلك ينو اسرائيل « طبعاً » كما يفهم من قول يوسف : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣٧ آ) .

### وجه عدم ذكر اليوم الآخر في التوراة

لم يذكر يوم الآخرة في اسفار العهد القديم ، لأن وجود بني اسرائيل بين المصريين مدة ( ٤٣٠ ) سنة على ذمة التوراة ( خر ١٢ : ٤ ) أو مدة ( ٢١٥ ) سنة على ما حققه علماء التاريخ المدني - استدعى اقتباسهم قديم هذه العقيدة ، التي كانت عالقة كثيراً بأذهان المصريين ، فانتقلت منهم لبني اسرائيل ، وأصبحت من الأمور التي لا يترددون في قبولها ، فلذا لم يحتاجوا للتذكير بها كثيراً .

وهناك وجه ثان لعدم ذكر اليوم الآخر في التوراة ، هو أن اليهود ، كانوا في تلك الأزمنة ، قصيري الإدراك ، بلداء الشعور ، وكانوا ذوي رقاب صلبة ( خر ٣٢ : ٩ ) ، فلذا ما كانوا يتأثرون ، ولا تتفعل نفوسهم بالواعيد العاجلة ، انفعالها بالواعيد العاجلة ، التي أكثرت كتبهم من ذكرها لهم ، لتغلظ قلوبهم وقساوتها .

ولنا وجه ثالث في الموضوع ، وهو أن كتبهم كالتوراة والزيور دخلها نقص كثير ، ونسوا حظاً مما ذكروا به ، فلعل عدم ذكر اليوم الأخير ، هو من أمثلة هذا التقصان ، ومن أفراد ذلك الحظ الذي نسوه .

## عقيدة اليهود القريسيين والصدوقيين يوم الدين

لقد نجم عن عدم ذكر اليوم الأخير في كتب العهد العتيق ، ضعف هذه العقيدة في اليهود ، وكأنها مع طول الزمن ، تلاشت من بين كثير منهم ، حتى أن اليهود انقسموا الى قسمين ، قسم يُعرفون باسم « قريسيين » يعتقدون يوم الدين ، وقسم يعرفون باسم « صدوقيين » ينكرون البعث والقيامة ( مت ٢٢ : ٢٣ ، أع ٢٣ : ٨ ) وههنا تذكر قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا تَضَيَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، قَدْ يَأْتِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ ، كَمَا يَأْتِسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ ( ٦٠ : ١٣ ) هؤلاء « القوم المنضوب عليهم » هم يهود المدينة ، وهؤلاء « الكفار » الذين يئسوا من أن يلاقوا أقاربهم وأصحابهم ، لأنهم لا يمتقدون بالآخرة ، وهم الدهرية من العرب .

إذا تقرر هذا ، فكيف تقدر أن تفهم أن اليهود ، لا يعتقدون بالآخرة ، كالدهرية من العرب ؟ والجواب فيما يظهر لنا أن هؤلاء اليهود الذين هاجروا للحجاز كانوا من « الصدوقيين » الذين يقولون « لا بعث ولا قيامة » أو كان بعضهم « صدوقياً » وبعضهم « قريسياً » ولكن إذا طال عليهم الأمد ، وامتزج « القريسي » بكل من « الصدوقي » اليهودي والدهري العربي ، ضعف في جميعهم الاعتقاد بالقيامة ، فيئسوا من الآخرة ، كما يئس دهريو العرب .

## ضعف عقيدة اليهود يوم الدين كانت سبباً في كون

### أكثر معجزات المسيح (ع) نزل على هذه العقيدة

قال الدكتور توفيق صدقي : « وكأنه لهذا - أي لضعف هذه العقيدة في اليهود - ولكثرة الشك بين الناس فيها - جاء المسيح عيسى عليه السلام ، لتبيين هذه العقيدة .

العظمى ، واشتهر بالتصريح بها ، أكثر من جميع من سبقه من أنبياء بني إسرائيل ، وقد بين قدرة الله تعالى على البعث والنشور بمجزاته العظيمة ، كإحياء الموتى ، وخلقه من الطين طيراً ، وبوجوده هو نفسه بدون آب ، خلافاً لما اعتاده الناس ، فالله تعالى الذي أجرى على يديه كل هذه الآيات البينات ( أع ٣٠ : ٢٢ ) لا شك أنه قادر على إحياء الموتى يوم القيامة .

لذلك زى أن أكثر معجزات السيد المسيح عليه السلام ، هي له علاقة بإحياء الميت ليدل بذلك كله على قدرة الله التامة ، على البعث ، فات الذي خلقه بدون استيفاء أهم الشروط المعتادة ، في خلق الأحياء الراقية ، ثم اجبا على يديه الموتى بل الجهاد ، لا شك أنه قادر على بث انخلائن يوم القيامة ، منها طراً عليهم من الفساد والانحلال والتغيير ، ومنها فقد من الشروط المعتادة ، أو اللازمة لإحياء في هذه الدنيا ، لذلك قال تعالى في عيسى عليه السلام : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ آيَةً قُلُوبِهِمْ ﴾ ( ١٩ : ٢٠ ) وجاء عن لسانه مكرراً في موضع واحد ( ٣ : ٤٩ و ٥٠ ) قوله : ﴿ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ أي إذا علمتم مما جئكم به من الآيات ، ان الله موجود ، والله سيعيشكم فلحساب ، يوم القيامة ، كان واجباً — عليكم إن كنتم تقولون — أت تقوه كإل التوفى ونطيعوني .

### وجود المسيح (م) من غير أب آية على وجود القامة

وقبل ختم هذا البحث ، يجب أن لا ننسى قوله تعالى في شأن المسيح : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ، فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ ( ٤٣ : ٦١ ) ، وقد قرئ ﴿ عِلْمٌ ﴾ — بدون لام — أي هو سبب العلم بها ، فإنه هو مجزاته من أعظم الدلائل ، على إمكان البعث ، وهذه البارة في الآية بحاز مرسل ، علاقته المسيحية ، فإنه تعالى أطلق المسبب ، وهو العلم ، وأراد السبب ، وهو عيسى ومجزاته ، كقولك

أمطرت السماء نباتاً ، وقريء ( عَلَمٌ ) ومعناه ان تولد عيسى من غير أب ، دليل على جواز قيام الموتى من قبورهم ، وذلك لأن فرقة من اليهود ، وهم ( الصدوقيون ) كما قدمته لكم ، كانوا ينكرون القيامة ( مر ١٢ : ١٨ ) فجعل الله تعالى ولادة المسيح من غير أب ، آية لهم على وجود القيامة ، أي كما جاء أن يولد شخص بدون أب ، يجوز أن توجد الناس يوم القيامة ، بدون وساطة آباء ، بل بمحض ارادة الله تعالى .

هذا هو الاحتمال الأول لهذه الآية الكريمة ، وفيه الشاهد هنا ، ولبعض المتأخرين احتمال ثان ، وهو أن المسيح عيسى ، كان علماً لساعة انقراض النبوة من بني اسرائيل ، ونقلها الى بني اسماعيل ، ولهذا قال لهم المسيح : ( لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ، ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه ، يسحقه ) ( مت ٢١ : ٤٣ و٤٤ ) .

### التعليق على قوله « أم الله الواحد »

الفائدة الخامسة عشرة : تعليقا على قوله : ﴿ أم الله الواحد ﴾ ، قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ ( ١١٢ : ١ - ٤ ) ( فالله أحد ) إشارة لتوحيد الربوبية ، ( والله الصمد ) إشارة لتوحيد الألوهية ، الذي كان العرب على خلافه ، وقوله ( لم يلد ولم يولد . . الخ ) رمز لتوحيد الكمية ، الذي مشى النصارى على خلافه ، إذ أن اليعقوبية من النصارى والاتوخية ومنهم السريان القديم والأرمن والأقباط ، يقولون ان ليس للمسيح الطبيعة واحدة لاهوتية فقط ، وليس له طبيعة بشرية ، ومن نتائج هذه العقيدة القول بأن المسيح هو الله ، وان العذراء هي أم الله ووالدة

الإله ، وأما الملكانية ، ومنهم الانكليز والفرنسيون والألمان والاطاليون والروس فيبتون له طبيعة بشرية مع الطبيعة اللاهوتية .

### التعليق على قوله القهار

القائدة السادسة عشرة — تعليقا على قوله = ( القهار ) ، بخلاف هؤلاء الأرباب التي من دون الله ، فهي مقهورة وضعيفة : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ، كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعْتَاءٍ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ( ٢٩ : ٤٩ ) مثل المشرك الذي يهب الوثن ، بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله ، مثل المتكبرون تتخذ بينا ، بالاتصاف الى رجل يبني بيتا باجر وجبص او ينحته من صخر ، وكما أن وهن اليبوت إذا استقر بها بيتا بيتا ، بيت المتكبرون ، كذلك أصعد الأدب ، إذا استقرت بها ، حينا ديناء عبادة الأوثان ، قال تعالى : ﴿ وَبَلَّغْنَا الْأَمْثَالَ نَصْرُهَا لِلْإِنْسَانِ ، وَمَا يَقِيلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ ( ٢٩ : ٤٣ ) .

هذه الكلمة ( القهار ) تشير الى أن الرب الإله المعبود ، لا يجوز أن يكون ذليلا مقهورا ، بل يجب أن يكون عزيزا علويا ، لأن المؤمن يجب أن يكون عزيزا ، بماأولى يجب أن يكون معبوده عززاً .

## يوسف (ع) يتابع الدعوة للتوحيد

آ (١٠) ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ ، سَمَّيْتُمُوهَا  
 أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا  
 لِلَّهِ أَمَرَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلكِنْ  
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية الأربعة ونقام الشيخ مصطفى الطنطاوي وقال :

ماليث يوسف أن وجه خطابه لصاحبه في السجن ولما ن على دينها من أهل  
 مصر بقوله : لا أخفي عليكم أيها المصريون القدماء إنكم ما عبدتم و ( ما تعبدون من  
 دونه ) أي من غيره تعالى ذات إله جوهرية مشخصة ، سوى وهم صرف وعدم  
 محض ، بل لا تعبدون ( إلا أسماء ) لا غناء فيها ، أرباً بكم أن تعبدوها ، إذ سميت  
 مالا يستحق الإلهية ، آلهة ، ثم طفقت تعبدونها ، فكأنكم لا تعبدون سوى أسماء  
 فارعة ، ليس تحتها مسميات ، وهذه الخيالات المعبودة ( سميتموها ) سميت بها ( أنتم و )  
 من قبلكم ( آباؤكم ) آلهة ، وهذه المسميات في الحقيقة والواقع مألوهة لا آلهة ،  
 فما أشبه ذلك منكم بتسمية العرب للثناء الفارغ ملأنا ، وللسيارة الذاهبة قافلة ،  
 وليست هذه التسمية في محلها ، بل هي كما قال القائل :

أسماء مملكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

( ما أنزل الله بها ) ولا ينزل ولن ينزل أبداً بتسميتها ( من سلطان ) من حجة ،  
 إذ ليس بيدكم برهان على صحة عبادتها ، ولا عقل يسلم بذلك ، وإنما هي الشبهة  
 تزوجت بشوبل الشيطان فحبلت بهذه المعبودات فولدتها ، فإذا هي تماثيل سيئة



المثال ، فعبوداتكم وليدة شبهة ، ونتيجة تقليد ، فأبي باطل أخذتم ؟ ؛ وأي حق رفضتم ؟ . . . والحق الحق أقول : ( ان الحكم ) في أمر العبادة والدين ( الله ) وحده لا يمدوه لسواه ، ثم بين ما حكم به فقال : ( أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ) خاصة ( ذلك الدين القيم ) الثابت الذي دلل عليه البراهين ، والذي يقوم ويثبت به الحق ، والذي هو وحده الكفيل باصلاح الانسانية ، والذي يحمل في كيانه العزاء للمكذوبين في الحياة ومن اتتبتهم مصائبها ، وحلت بهم أرزاقها ، وهو الذي يحمل في كيانه ما يرضي النفس ويحقق لها مطامحها وآمالها في حياة أخرى ، تقوم على العدل بين الناس ، ويرتفع فيها العبن وعدم المساواة ، وهو الذي وحده يغرس الفضائل في النفس ، ويقتش العواطف الكريمة ، وأمات الأخلاق الحسنة ( ولكن أكثر الناس ) أي السواد الأعظم من الناس في كل زمان ومكان ( لا يعلمون ) من أمر التوحيد شيئاً ، فالجهلاء على وجه الأرض أكثر من الجراد ، ولا يخلو معظم الناس أن يكون من أهل الخرق<sup>(١)</sup> والثول<sup>(٢)</sup> لأنهم تبع لكل ناعق وناعر ، والعوام كالأنعام ، لو كانوا عبيداً لأبي يوسف ، صاحب أبي حنيفة ، لا اعتقهم وأسقطوا عنهم .

( ، يا تعبدون - من دونه إلا أسماء سميتهم وها أنتم وآباؤكم )

— ١ —

وقام السيد الحسام المقدسي وقال :

لي ههنا عدة مسائل بها يتم تفسير الآية وهي :

### اعتناق المصريين اقباط النصرانية

المسألة الأولى — كان المصريون القدماء وثنيين منذ أول عهد الفراعنة ،

( ١ ) الخرق بالضم والتحرك ضد الرفق ، وان لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور .

( ٢ ) الثول الجنون بصيب الشاة .

وبقيت الوثنية فيهم الى أن دخلت النصرانية في الديار المصرية بأمر « ثيودوسيس » ( سنة ٣٨١ م ) فاعتنقها المصريون ، وهزم الأقباط ، فصاروا على دين الدولة الرومانية الحاكمة في مصر وانقرضت الديانة الوثنية ، وهدمت هياكلها وكسرت تماثيلها ، ولكن كان « الأقباط » متمذهبين بالمذهب « اليعقوبي » وكان « الرومانيون » أصحاب الانتداب في مصر متمذهبين بالمذهب « الملكاني » ، فالمصريون الأقباط كانوا نصارى يعاقبة ، والرومان الحكام كانوا نصاري ملكانية .

### وجوب الجهر بالدعوة الدينية

المسألة الثانية — رمى يوسف صاحبيه وغيرهما من المصريين بحجر واحد ، فقال « ماتعدون » الخ بصيغة الجمع ، أو يقال : هو لم يرد التحكك بشخصية واحد منها ولكنه أراد الانتقاد على عمل عام أطبقت عليه الأمة المصرية ، وهو عبادتها لغير الله تعالى ، والمحاطبان يدخلان في كلامه دخولاً أولياً ، وآم استعبدوا للأهواء ، وخضعوا للأوهام ، وحصروا عقولهم في مضائق الخرافات ، فنعى عليهم سذاجتهم . تعرض للطعن عليهم في دينهم ، ولم يبال بما يعلمه من أن كل من تعرض لدين قوم وجد المقاومة الشديدة من الأفراد ، ثم من الجماعات ، ثم من الدولة نفسها التي يمثلها الملك وبلاطه — لم يبال بذلك لأنه يجب على الانسان الصدع بالأمر الديني والجهر بالدعوة الدينية على كل حال ، شأن أنبياء الله وهداة دينه .

### ارمور الراعية عبادة المعبود

المسألة الثالثة — عبادة المعبود نتيجة لأحد أمرين : الأمر الأول شعور الانسان بقوة المعبود وعظمة سلطانه ، فهو لذلك يخضع له ، رغبة فيما عنده من

الخير ، ورهبة مما يقدر عليه من الشر ، ولذلك تراه يفرع إليه عند الشدة ، لتخفيف ما ألم به من الكروب .

والأمر الثاني شعوره بأن المعبود ذو نفس كبيرة لما جرى على يده من عظام الأمور ، فالإنسان يتخيل لذلك أن تلك القوة التي بها تغلب على المصاعب لم تكن إلا نتيجة مساعدة مخصوصة له من الإله القادر على كل شيء ، لأنه يجبه حياً جأ ، فترى العابد الخاضع يجمل هذا وسيلة في عبادته إياه ، يرجو بها رضا المعبود الأول ، الذي هو وحده خالق العالم ، وهو وحده رب السموات والأرضين ، فإن كان حياً فهو الوسيلة ، وإن كان ميتاً قام قبره مقامه ، أو جعلت له صورة تمثله ، وقد تكون من حجر أو صقر أو ماشاء كل ذلك ، وتعطي هذه الصورة من الخضوع ما كان يعطي صاحبها في حياته .

وقد يكون التعظيم أو العبادة لحيوان من الحيوانات النافعة أو الضارة ، أو لجناد نافع أو ضار ، لأن القوة التي أعطاها ، وبها ضر ونفع — أثر من آثار الخالق الوحيد ، وقد بصور ذلك الحيوان أو يمثله ، وتجعل صورته أو تمثاله مما يُقرَّب من خالق القوى ، ويسموف التمثال الذي على صورة إنسان من حجر أو فضة أو ذهب « صنماً » ؛ ويسموف الحجر الغُفل من الصنعة « وثناً » ، وعلى ذلك ورد في القول المأثور عنه ﷺ : ( لا تتخذوا بربى وثناً يعبد ) .

### العبادة ضرب من الخضوع لعظمة المعبود وسلطته

المسألة الرابعة — العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ، ناشئ عن اسدشعار القلب بعظمة المعبود لا يعرف منشأها ، وعن اعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يبرهه منها ، أنها محيطه به ، ولكنها فوق

إدراكه ، فمن ينتهي الى أقصى الذل لملك من الملوك لا يقال إنه عبده ، وإن قبل موطنه أقدامه . مادام سبب الذل والخضوع معروفاً ، وهو الخوف من ظلمه المعهود ، أو الرجاء بكرمه المحدود ، اللهم إلا بالنسبة للذين يعتقدون أن الملك قوة غيبية سماوية ، أفيضت على الملوك من الملائ الأعلی ، واختارتهم للاستعلاء على سائر أهل الدنيا ، لأنهم أطيب الناس عنصراً ، وأكرمهم جوهرأ ، أو يعتقدون حلول حصة كبيرة من الالهوية في الملوك ، وهؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد الى الشرك ، فاتخذوا الملوك آلهة وأرباباً ، وعبدوهم عبادة حقيقية ، كما هو الحال في المصريين مع فراعنتهم ، والحقيقة أن السلطة الغيبية التي هي وراء الأسباب ليست إلا له تعالى دون غيره ، فلا يشاركه فيها أحد ، فيعظم تعظيم العبادة ..

### ليس في المخلوقات شيء من اللاهوت

المسألة الخامسة — يريد بقوله « الاسماء » انكم سميت ما لا يستحق الالهوية آلهة ، ثم طفتم تعبدونها ، فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة ، ليس تحتها سميات لأن معنى الالهوية فيها معدوم ، محال وجوده ، وهذا كقوله : ﴿ أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ (٧٠:٧) ، وقوله : ﴿ ما يدعون من دونه من شيء ﴾ (٤٢:٢٩) ، فتعلم من هذه الآية الكريمة انه لا لاهوت في شيء من المخلوقات ، ما عبد منها وما لم يعبد ، لا فرق فيها بين الضار والنافع ، ولا بين القوي والضعيف ) خلافاً لقدماء المصريين وأمثالهم .  
وقريب من هذا ، وان يكن ليس من نوعه ، احترام الناس على اسمائها ، لا على أفعالها ، فتجد الانسان متى فهم أن جليسه هو من الاسرة الفلانية أهال عليه الاحترام ، وقدم له الاكرام ، جزافاً بلا كيل .

## وجوب علم امور الدين علما استقلاليا استدلاليا

المسألة السادسة - سبق في الآية التي قبل هذه أن يوسف (ع) أحال المخاطبين الى غرائزهم وخطرهم ، والآف أقحم في هذه الآية كلمة « وآبؤكم » ليدكرهم بتأثير التربية التقليدية في أنفسهم ، ومناشى عروض الشبهات لأذهانهم والزامهم الحجة بحاسبة عقولهم ، ومخالفة التقاليد والمسلمات ، للغرائز والملكات وهم في الحقيقة تابعون لآبائهم في ذلك ، كما قال تعالى في إخوانهم من مقلدة قريش :

﴿ وَاذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ - قَالُوا : بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا - أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَاتَّعَقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ؟ ﴾ (١٧٠:٢) وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ، وَرَأَوْا الْعَذَابَ ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ (١٦٦:٢) ، ومن هذا تعلم بطلان التقليد للآباء والأجداد والمناسخ والعلمين والرؤساء ، لأنه جهل وعصية - جاهلية ، ويجب على الانسان العلم الاستقلالي الاستدلالي في أمور الدين ، لاسيما الأحكام الأساسية الاصولية ، وان في تحريم الأخذ بالدليل اثباتاً على دين الله ، ونسخاً لكتابه ، وشرعاً لم يادن به الله ، خلاصته تحريم العلم واجباب الجهل ، وهذا منتهى الافساد للقطرة والعقل . وهو أقطع المدى لأوصال الحق . وأفعل المعاول لهدم قواعد الأديان ، وعللة العلل لاقتشار البدع التي تذهب بهداية الدين ، وتستبدل بها الخرافات ودحل الدجالين .

هذا ما تيسر لنا في هذا المقام ، فتفحه بإيمان وإعظام ، واتباع الحق أسلم ، والله تعالى بالصواب أعلم

مرحى

وتكلم بعد ئذ رئيس المؤتمر مشيراً الى أنه لم يسمع من السيد المحاضر ما يشفي

الغيل في بيانه على جملة قوله تعالى : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ ، فتقدم عندئذ ستة من العلماء المحاضرين طالبين التكلم على هذه الآية فدون أسماءهم ، وقام أولهم وهو الامام الزقازيقي وقال :

( ما أنزل الله بها من سلطان ) .

— ١ —

### اصطلاحات القرآن اللفظية

كل ( سلطان ) في القرآن هو بمعنى ( الحججة ) كما انه — والشيء بالشيء — يذكر — كل فعل في القرآن من ( الإمطار ) فهو العذاب ودائماً بدون استثناء . كما قاله البخاري ، وكل كلمة ( صَيِّحَةٌ ) في القرآن هي بمعنى ( المهلكة ) كما قاله البخاري والكشاف ، وكل ( ظِلُّ الغمام ) في القرآن هو عذاب ، كما يعلم من البخاري أيضاً ، ويعلم من الكشاف انه متى قيل : ( أتاها الله ) مثلاً فهو أيضاً العذاب ، كما اذا قيل ( أتاها أمرنا ) ، ( فأتى الله بُدْثِيانَهُمْ ) ، ( أو يأتي أمر ربك ) ، ( الا أن ياتهم الله ) وكل ( ولي الله ) في القرآن ، فهو المؤمن التقى ، وكل ( أهل الكتاب ) فهو اليهود والنصارى ، وكل ( يا أيها الناس ) فهو كفار أهل مكة .

( ما أنزل الله بها من سلطان )

— ٢ —

ثم قام الشيخ المنصوري <sup>(١)</sup> وقال :

«السلطان والحجج وتكلم سائرهما»

«السلطان» الحججة والبينة والبرهان ، وسميت الحججة سلطاناً ، لأن لها

(١) نسبة الى المنصورة من البلاد المصرية .

سلطة على العقل والقلب ، آوان اشتقاقه من السليط ، وهو الدمون ، لإخافته ،  
وغني عن البيات أن الشرك بالله أبطل الباطل ، فلا يمكن أن تقوم عليه حجة  
من العقل ، ولا بينة من الوحي ، وإذا لنا منى قوله ههنا : ﴿ ما أنزل الله بها من  
سلطان ﴾ والجواب عن ذلك أنه تعالى عظم مشأت « السلطان » في دينه ،  
وناط به تصديق دعوى المدعي وردها ، بصرف النظر عن موضوعها ، حتى كأن  
من جاء « بالسلطان » على الشرك يصدق فيه ، وهو من قبل فرص الحال ، قلباً لفة  
في مدح البرهان ، وفضل الاستدلال ، وقد قال تعالى في سياق إقامة البراهين  
على توحيدِهِ : ﴿ آله مع الله ؟ قل : ها أنذا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾  
( ٦٤ : ٢٧ ) ، على أنه صرح بأنه ليس لديهم برهان فيما أقام على كتبهم فيه  
البرهان ؛ وكيف يكون لديهم ما هو في نفسه محال ؛ وذلك في قوله تعالى :  
﴿ قالوا : اتخذ الله ولداً ! ، سبحانه هو الغني ، له ما في السموات وما في الأرض  
إن عندكم من سلطان بهذا ، أتقولون على الله ما لا تعملون ؟ ﴾ ( ٦٨ : ١٠ )  
أي ليس لديكم أدنى دليل بهذا القول الفظيع الذي تقولونه ، مع أن مثله مما  
تبطله البراهين والدلائل البينة بحتاج مدعيه إلى أقوى البراهين والحجج ،  
وأعظمها سلطاناً على العقول ، ومن فيميل مقالة يوسف قوله سلفه هود عليها  
السلام : ﴿ أتجادلونني في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ، ما نزل الله بها من سلطان ؟ ﴾  
( ٧٠ : ٧ ) ، وقول جده إبراهيم : ﴿ وكيف أخاف ما أشرككم ولا تخافون أنكم  
أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ؟ ﴾ ( ٨١ : ٦ ) ، وقوله تعالى ﴿ ويعبدون  
من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً ، وما ليس لهم به علم ، وما للظالمين من نصيب ﴾

(٧١:٣٢) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ —  
 إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا ، مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ (٥٦:٤٠) ومن أمثلة استعمال  
 لفظ « البرهان » في هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ —  
 لَا يَرْهَانُ لَهُ بِهِ — فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٢٣ :  
 ١١٨) ومن أمثلة استعمال كلمة « حق » في هذا القبيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ  
 يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ الخ (٣ : ٢١) ،  
 فهذا القيد يقرر لنا أن ذم الشيء ومدحه يدوران مع « الحق » وجوداً وعدماً ،  
 لامع الأشخاص والأصناف ، فهو تعظيم لشأن الحق ، حتى كأنه من قتل نبياً  
 بالحق لا يؤاخذ ، وهو من باب فرض المستحيل ، مبالغة في احترام الحق !!  
 ونحوه قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
 الْحَقِّ ﴾ (٧ : ١٤٥) ، فلا ريب أن التكبر لا يكون مرة بحق وأخرى بغير حق ،  
 ولكن رمزاً لاحترام الحق ، من حيث هو حق ، وفرضاً للمحال قيل : لو كان  
 التكبر في الأرض بالحق ، لكان مقبولاً ، ولكنه مستحيل ، لأن التكبر لا يكون  
 إلا باطلاً ، ومن أمثلة استعمال لفظي الحق والسلطان قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ  
 رَبِّي الْفَوَاحِشَ — مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ — وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ (الْحَقِّ) ،  
 وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ( سُلْطَانًا ) ، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ  
 مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧ : ٣٢) ، وهكذا ورد قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ  
 نَبَأَهُمْ ( بالحق ) ﴾ (١٨ : ١٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ  
 آدَمَ ( بالحق ) ﴾ (٥ : ٣٠) فهذا ونحوه تعظيم للحق ، وإلا فالله تعالى لا يقص  
 على نبيه نبأ دائماً إلا بالحق ، والنبى لا يتلو على قومه أي نبأ كان إلا بالحق .



## ( ما أنزل الله بها من سلطات )

— ٣ —

ثم قام الحافظ البصري<sup>(١)</sup> وقال :

## الدين مبني على الحجة والعلم

يقول هنا « ما أنزل الله بها من سلطان » ، وسبأني له أت بقوله : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ فمن هاتين الكلمتين وأشباهها تعلم أت الدين مبني على ( الحجة ) ، ومؤسس على ( العلم ) قال تعالى : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ ( ٢ : ١١١ ) ، ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ ( ٦ : ١٣ ) ، ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ ( ٢٢ : ٣ ) ، ﴿ إن يتنجسوا إلا الظن ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾ ( ٥٣ : ٢٨ ) ، ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ ( ١٧ : ٣٦ ) هذا ما يصرح به القرآن ، وهذا ما تشهد به العقول النيرة ، فمن قال ان التقليد يكفي في الدين ، فقد غس لسافه في حماة الأغاليط .

## ( ما أنزل الله بها من سلطان )

— ٤ —

ثم قام سيدي حسام آغا الفيومي<sup>(٢)</sup> وقال :

المسحبات لا تنبرل بنبرل اوسما كحما اء اء بمل والسلس وانها سح

ء انصبر آله بنبرل اسمأها

يقول : ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ ويريد أن الخطابين على ثقة من ذلك ،

( ١ ) نسبة الى الصرة من بلاد العراق

( ٢ ) نسبة الى الفيوم من البلاد المصرية -

آ (٤٠) سكوت صاحبي يوسف في السجن عن الجواب حكم صامت بصحة كلامه ٨٢١

يعقلونه بعقولهم ، ولكنهم يميلون الى التقاليد المصرية ، الموروثة عن الآباء الأقدمين ، التي يسميها العلماء « الحركة المستمرة » فيقبلون الحقائق ، ويفيرون النواميس ، ويرون المألوه إلهاً ، والضعيف قوياً وما كانوا يدعون له في الصلاة عليه يوم وفاته ، صار يدعى بمد زوله في حفرته !! ، واذا بلغ الناس في حالتهم العقلية الدينية ، الى هذه الدرجة ، فقولوا : على عقولهم السلام .

ومعلوم أن المسميات لا تتبدل بتبدل الأسماء ، لاذواتها ولا أحكامها ، ولا وضعيتها ، فالمجل « أيس » الذي يعبدونه هو مازال عجلاً ولو سمي إلهاً ، و « آمون » إله « ثيبة » الموقر عندهم مازال مألوهاً ولو دعي إلهاً ، و « را » أي الشمس وهو الاله الشمسي عندهم هو في الواقع كوكب مخلوق ، وهكذا يقال في تماسيحهم وفراعنتهم وغيرها وأسخيف بالماقل إن عبد اسماً بلا مسمى ! وأجهل بالانسان إن خضع لشيء موهوم ! حقاً إن هذا الحال ليذيب لفائف القلب ويقضي بالمعجب المعجب !..

( ما أنزل الله بها من سلطان )

- ٥ -

ثم قام سميع المكي وقال :

سكوت صامبي يوسف في السجن عن الجواب حكم صامت بصحة كلامه

يقول يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن إن عبادتهم للشمس والمجمل « أيس » وغيرها لا تستند على برهان ، ولا تدعم بعقل ، فهل تظنها بعد ذلك أصفياً الى نداء الضمير ، إذا كان لها ضمير ؟! - على أنك لو سبرت غور قلبيهما وهما يسمعا خطاب « الصديق » لرأيتهما يتاجيان نفسيهما ليدفعا عنها تبكيت الضمير

بشبهة أنهما — كغيرها من المصريين — إنما اعتقدا تعدد الآلهة ، مشياً مع القول الشائع عندهم ، وهو أن الله « روح عظيم » نبت في هذا العالم ، انبثات الكهرباء في الاجسام ، أو الأشعة في الفضاء ، أو الأثير في العالم ، وكل واحد له من هذا الروح حصة تناسبه على قدر الاستعداد والتأهل ، وعلى كل فلا نحسبها إلا قدر أيا شخصيتها مغلوبين ، وأقه قد سمدت عليها أجواب الجواب والدفاع لسطوع البرهان ، وظهور الصبح لذي عيتين ، ولهذا نراها قد سكتا ولم يفوها بكلمة ، مع أن لها نفوذاً أن بتكلمها مع يوسف ، إذ هما من أهل المتاصب المتغيرة في بلاط الملك ، وأما يوسف فإنا هو عبد عبراني غريب قد اعتقل بتهمة تمس العرض والشرف . وقد كان معها في السجن كخادم لها ، إذ أقامه رئيس الشرط عندها لأجل هذه المهنة ، فسكونتها والحالة هذه حكم صامت واعتراف بصحة كلام هذا الصديق عليه السلام .

( ما أنزل الله بها من سلطان )

— ٦ —

ثم قام الاستاذ المدني وقال :

« الاستدلال المطلوب في الدين »

حكى أن حامد بن العباس ، سأل قاضي القضاة أبا عمرو عن أداء « الخمار » وعن دوائه ، فتنحج القاضي لاصلاح صوته ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ( ٥٩ : ٧ ) وقال النبي ﷺ : ( استميتوا على الصناعات بأهلها ) والاعشى هو المشهور في الجاهلية بهذه الصناعات ،

وقد قال :

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ      وأخرى تداويت منها بها  
لكي يعلم الناس أني امرؤ      أتيت المروعة من بابها

ثم تلاه ابو قواس في الاسلام فقال :

دع عنك لومي فان اللوم إغراء      وداوني بالتي كانت هي الداء

فقد استظهر في جواب المسألة بآية قرآنية ثم بمحدث نبوي ثم بين الفتياء وأدنى المعنى وتقصى من العهدة (١) ، فاذا كان الاستدلال مطلوباً حتى في أتفه الامور فما بالكم بالدين ، خصوصاً عقائده ، ولذلك طالبها يوسف الصديق بالسلطان على ما يعتقدان ان كان لهما سلطان .

ولما انتهى الاستاذ من كلامه قام السيد الرئيس وشكر الاساتذة الستة على ما ذكروه من تفسيره قيم لهذه الجملة بحيث لم يتركوا زيادة لمستزيد .

( إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ )

قال عبد الملك الكروي :

### الحكم الشرعي والحكم الفعلي

حكم الله نوعان : حكم شرعي وحكم فعلي ، فالحكم الشرعي هو بوحى الله الى رسله بأمره ونهيه وإيجابه وحظره ، وهذا يكون في العبادة والدين ، وماهتا من هذا النوع ، بدليل ما قبله وهو قوله : ( ما أنزل الله بها من سلطان ) وما بعده وهو قوله : ﴿ أَمْرًا أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ ، ومثله قوله تعالى : ﴿

(١) شرح الشريشي على الحريري .

الذين آمنوا ، أوفوا بالعقود ، أُحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يمشي مثلكم  
غير محلي الصيد وأقم حرم ، إن الله يحكم ما يريد ﴿ (٥ : ٣١) ﴾  
والحكم الفعلي بمعنى القضاء والنفوذ ، يفصل فيه بين الخلق ، تارة في الدنيا ،  
وتارة في الآخرة ، كما سيقول يعقوب عليه السلام ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾  
( آية ٦٧ ) أي القضاء والنفوذ في الدنيا كالآخرة لله وحده ، وكما يقول الله :  
﴿ واتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ ، حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾  
( ١٠ : ١٠٩ ) وحكمه هذا في الدنيا بين المسلمين وغيرهم بنصر الأقرب للمحل  
والإصلاح في الأرض ، ومثل حكمه في الآخرة قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ :  
لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ، - وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ : لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ، -  
وَمَآ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ؛ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ  
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ( ٢ : ١١٣ ) فالحكم هنا القضاء والنصل  
بتصويب قوم وادخالهم الجنة وتخطئة قوم وادخالهم النار .

( أمر أن لا تعبدوا إلاياه )

قال نادر الزمان الاتقاني :

### وحدة الالهية ووحدة الربوبية

وهذه هي وحدانية الالهية ، وهي ترجع الى عبادة الله وحده ، السوال  
منه وحده ، والاستعاقة به وحده ، ودعائه وحده ، ( فالاله ) هو المعبود الذي  
تولته العقول في معرفته ، وتدعوه وتصد اليه ، لاعتقادها أن السلطة الغيبية له  
وحده ، كما لنا وحدة في الالهية فلنا وحدة في الربوبية ، وهي الاعتقاد بأن مصدر  
الخلق والرزق والاحياء والامانة وكذا التشريع والحظر والاباحة وسن الأحكام

انما هو لله وحده الذي يربي العالم بقوانينه السماوية ، التي ينزلها على رسله ، والى  
الوحدنين ، وحدة الربوبية ووحدة الالهية الاشارة بقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا اَهْلَ  
الكِتَابِ ، تَعَالَوْا اِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، اَنْ لَا نَعْبُدَ اِلَّا اللّٰهَ ، وَلَا نَشْرِكَ  
بِهَ شَيْئًا ، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا اَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ ، قُلْ قَوْلُوا ، فَقُولُوا :  
اشهدوا باننا مسلمون ﴾ (٣ : ٦٤) .

### ( ذلك الدين القيم )

وقال عبد العظيم التركي :

### الدين والعلم اخوان

نرى في هذه الآية الكريمة ان الدين والعلم اخوان ، متى ثبتت أحدهما ثبت  
الآخر ، ومتى اتفى أحدهما اتفى الآخر ، ولا يقول قائل : إنه يوجد تباين بين  
الدين والعلم يتنافيان به ، فان ذلك غير صحيح ، وانما جاء ذلك لهم من أجل انهم  
جعلوا من الدين ما ليس به ، أو أخطأوا مقاصده ومعناه ، قال الفيلسوف (هريبرت  
سينسر) : ( العلم عدو الأوهام المتداولة بين الناس باسم الدين ، ولكنه ليس بعدو  
لدين الحق ، الذي كثيراً ما تحاول هذه الاوهام ستره عن الأبصار ، نعم إنه  
يوجد شيء من العلم المتداول يظهر عليه مناقضة الدين ومعاداته ، ولكن هذا أيضاً  
من قبيل العلم الذي أكثره وهم ، اذ العلم الحقيقي الذي بغوص وراء حقائق  
الاشياء لا يتناقض الدين ) . وقال إمام الفلسفة الحديثة (باقون) : ( القليل من  
العلم يبعد من الله ، والكثير منه يقرب منه ) ، وقريب منه قول ابن تيمية :  
( أضر شيء على الناس نصف فقيه ونصف مفسر ونصف محدث ونصف مؤرخ  
ونصف طبيب وهكذا الى آخر الأنصاف ) ، وقال (هكسلي) الحكيم الكبير :

(الدين والعلم كنوايين متلاصقتين ، فصلها يؤدي الى موتها ، فان العلم ينو ، متى كان دينياً والدين يثبت متى كان علمياً) — مرحى —

(ولكن اكثر الناس لا يعلمون)

— ١ —

قاله شيخنا اليو غوسلا في

يوسف يكرر القعر من فتاة صاحبيه في السجن

كان يوسف غمر من فتاة الفتيين المساجين له في السجن يقول له في الآية (٣٨) : (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) ، وهذا في هذه الآية ككرر القعر من فتاتها بقوله لهما : (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) أي لا يعرفون حقاً ، ولا تنكر عقولهم باطلاً ، وأما أنها ايها الفتيان فلا بد أن تكونا قد عرفتاه وجه كلامي اليكما ، ولا أحسبكما إلا مسلمين لي اعتقادي على طول الخط ، وهذه في أم مادة في برنامج (دين التوحيد) قد ألفت نظركما اليها ، وعسى أن تصادف كلمتي معكما آذانا صاغية ، وقلوباً واعية ، وهذه هي الحقيقة الراضة ، فالحواها ولا تمحوها ، واكتشفها ولا تكسفاها ، واتبعها ولا تبندعها :

لمري لقد نهيت من كان ناعماً وأسمعت من كانت له أدون

هذا رأيي بثنته لكما ، وأما أقتما رآيكما ؟ وهذا قولي ، لما قولكيا ؟ .. أترك الجواب عن ذلك الى وجدانكما الطاهر ، وخيركم الى الحر ، وذوقكم السلام ، وليس من المتعذر على الباحث الذي يحمل مصباح عقله في يده اليمنى ونيراس علمه في يده اليسرى أن يصل الى نتيجة صالحة تكفل له السعادة الدينية .

## (عظة يوسف للفتيين كانت صرخة في واد)

هذه عظة يوسف التي أتى بها هنا استطراداً قد تمت ، وهذه دعوته التي قدمها انتهازاً للفرصة قد كملت ، ويظهر انها انما كانت صرخة في واد ، أو نقحة في رماد ، لأن الكتاب والتاريخ لم ينقلا لنا عن ايمانها شيئاً ، لاسيما ( رئيس الخبازين ) الذي لم يتقل عنه الكتاب أقل كلمة تشعر بميله ليوسف ، وأما ( رئيس السقاة ) فقد أشار الكتاب الى أنه مدح يوسف للملك الريان ، وخاطبه بلقب ( صديق ) ، ولما كان مأمور بتحقيق في حادثة النسوة مع يوسف ظهر له براءته ، وطهارته ، الأمر الذي لا بد أن يكون نتج عنه محبته ليوسف ، وحسن اعتقاده فيه ، هذا الذي تقدر أن نستنتجه من الكتاب ، وأما ان ( رئيس السقاة ) ترك دينه واعتنق دين التوحيد فلا صراحة فيه لا في كتاب ولا في حديث .

## (وجوب الجهر بعقيدة التوحيد في كل زمان ومكان ومجال)

وبعد فهذا الوعظ والتعليم من يوسف اقدم عظيم على بث عقيدة التوحيد على رؤوس الاشهاد ، مع انه في محيط كله متوثن منذ أجيال : فدين الحكومة الرسمي هو التوثن ، وكذلك دين الشعب المصري الوطني ، وهكذالدين المستعمرين الهكسوس ، وقد أراد يوسف يا قال غمز قناة الفتيين بأنها لم يكونا من العلم في شيء وانما هو تقليد محض وتخرص وظنون وان الظن لا يعني من الحق شيئاً .

جهر يوسف بهذه الدعوة ، دعوة عقيدة التوحيد ، وهو طريد من بلاده ، وغريب في مصر ، ومعدود من عبادان بعض رجال الحكومة ، وسجين بدعوى جريمة شائنة ، ومع هذا كله لم يسهه سوى إعلانات عقيدة التوحيد ، ودعوة الفتيين اليها ، والظن في عقيدة التوثن التي عليها القراعنة والامة المصرية والامة الهكسوسية ، وكأن الارض — والحمد لله — لا تخلو من قائم لله بحجة في



عبادة ، حتى أرض السجون ، وهكذا كان يفعل الإمامان أبو حنيفة النعمان ، وأحمد بن حنبل ، وهما في سجنها ببغداد أيام الباسيين يعلمان المسجونين معها ، ويرشدانهم لما فيه خير ، رغمًا عما هما فيه من السجن .

وقد قال بعض المصريين : « لعمري إنه إذا لم يكن لدى الداعي جرأة وشجاعة أدبية في عرض دعوته ، فإن دعوته تموت ، مهما كان واثقاً من صدقها ، بل مهما كانت حقاً في نفسها ، وكم من دعوة حق ماتت في مهدها ؟ وكلمة صدق أطفئت في مشكاتها ؟ يسبب تهيب الداعي من المقاومين ، وما يتقص من الشجاعة الأدبية في تحمل الكوارث والشدائد التي تعترض سيره ، ومن ثم جعل زعماء المدينة الحديثة « الحرية الفكرية » ركناً من أركان مدنيتهم ، وعماداً قوياً لحضارتهم ، ولو قال قائل : إن مدينة التريين وظهور التوابغ فيهم ، وعروجهم في العلم والفن والصناعة والاحتراع ، ثم في العزة والصولة والغلبة الى الأوج الذي وصلوا اليه اليوم إنما هو أثر من آثار « الحرية الفكرية » — لو قال ذلك لما كان غالياً ولا مبالغاً . ومن أحب أن يسمع محبوساً في أعماق السجن يقف في سجنه خطيباً ، ويجلس في مجالس الوعظ والدعوة الى الله ، وليقرأ هذا البحث من قصة يوسف عليه السلام ، ولعمري إن هذا لما يجب أن يحملنا على الذهاب لدور السجناء ، لأجل وعظهم وارشادهم ، وتذكيرهم بالتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل ، ونشويقهم للتوبة ، وترغيبهم في الصبر الجميل .

## حكم القرآن بالأحكام الرديئة على الأكثرية الساحقة من الناس

نقرأ في القرآن المجيد ، فتجده دائماً يحكم على الأكثرية الساحقة من الناس بالأحكام الرديئة ، كالجهل والكفر — الى الفسق والشرك — الى

الإعراض والندر والجدل ونحو ذلك ، وما كم بعض الشواهد على ذلك :

﴿ وكثيرٌ منهم ساءَ ما يعمَلون ﴾ (٦٩:٥) ، ﴿ ثمَّ عَمَّوْا وَصَمَّوْا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ (٧١:٥) ، ﴿ وكثيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ (١٨:٢٢) ، ﴿ لَآخِرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ ﴾ (١١٣:٤) ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَدَّ ذَلِكَ فِي الْآرِضِ لِنَسْرِ فَوْنٍ ﴾ (٣٥:٥) ، ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمِ السَّحْتِ ، آبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾ (٦٥:٥) ، ﴿ وَكَيْزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَتَزَلَّ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ (٦٧:٥) ، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ، وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ (٨٠:٥) ، ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَّبِعُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا — لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ — أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٣:٥) ، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيَضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١١٩:٦) ، ﴿ وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِلْجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٧٨:٧) ، ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٣٥:٩) ، ﴿ رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴾ (٣٦:١٤) ، ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا ﴾ (٣٦:٣٦) ، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (٣٨:٢٤) ، ﴿ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ — وَلَوْ حَرَصْتَ — بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣:١٢) ، ﴿ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (١٧:٨٩) ، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٢:٢٤٣) ، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٧:١٨٦) ، ﴿ وَإِنَّ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّ بَتَّابِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنَّ هُمُ إِلَّا يُخْرِصُونَ ﴾ (٦:١١٦) ، ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

للحق كارهون ﴿ (٣ : ٧٨) ، ﴿ وآكثرهم لا يحقون ﴿ (٥ : ١٠٤) ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظناً ﴿ (١٠ : ٣٦) ، وما يؤمن أكثرهم إلا وهم مشركون ﴿ (١٢ : ١٠٦) ، ﴿ بل كانوا يبغون الحق أكثرهم بهم مؤمنون ﴿ (٣٤ : ٤١) ، ﴿ فأعرض أكثرهم ، بهم لا يستمرون ﴿ (٤١ : ٤) ، ﴿ وما وجدنا لأكثرهم لمامين ﴿ (٧ : ١٠١) ، ﴿ ولكن أكثرهم يتحولون ﴿ (٦ : ١١١) ، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

### حكم القرآن بأحكام الحسنة على القليل من الناس

كما إذا شرفنا في القرآن الكريم ، فنحنه بصورة مطردة إما نسبة الطاعة والابحان والعلم والشكر والحق وما أشبه ذلك من المحامد للقليل من الناس ، والبك البيان : ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴿ (١١ : ٤٠) قيل كانوا اثنا عشر نفرًا ، ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴿ (١٨ : ٢٢) ، ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴿ (٣٤ : ١٣) ، ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم ﴿ (٣٨ : ٢٤) ، ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم ﴿ (٢ : ٢٤) ﴿ قال إن الله مبتليكم بئر عرقن شرب منه طيس مني ، ومن لم يطعمه فانه مني إلا من اعترف عرقه بيده ، فشربوا منه إلا قليلا منهم ﴿ (٢ : ٢٤) ، ﴿ ولا تراكم تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ﴿ (٥ : ١٤) ، ﴿ ليس أضررتي إلى يوم القيامة ، لأحتسبن دريتنه إلا قليلا ﴿ (١٧ : ٦٤) ، ﴿ ولا يأتون بأس إلا قليلا ﴿ (٣٣ : ١٨) ، ﴿ بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا ﴿ (٤٨ : ١٥) إلى غير ذلك من آيات الكتاب الكريم ، والحالة الطبيعية تؤيد كل ماورد من هذه النصوص ، فإن أهل السر أكثر حدًا أو جِدًا أكثر من أهل

الخير في كل مصر وعصر ، وكل كوخ وقصر ، ( راجع كتب الملل والنحل وانظر كتب المعراية . تجد صدق ماقلنا ) .

### يوسف يعبر رؤيا الفتيين بالجزم

آ (٤١) ﴿ يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَسَيَكُونُ رَبًّا  
خَيْرًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ ، فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ،  
قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ .

افتتحت الجلسة وتليت الآية الاحدى والاربعون فقام اقاى حسن

جم الهمداني<sup>(١)</sup> وقال :

قال يوسف لصاحبيه بلسان المفتي المجيب ( يا صاحبي السجن ) لكل حادث حديث ، اسمما تأويل رؤييكما ( أما أحدكما ) وهو « بنو » رئيس السقاة ( فيسقي ربه ) سيده ( خمرأ ) حيث يخرج من هذا المعتقل بريثاً ، ويرجع مقامه الأول عند « الريان » ، ( وأما الآخر ) وهو « ملحب » رئيس الخبازين ( فيصلب ) على الجدع فيموت ( فتأكل الطير من رأسه ) ، لأنه يتهم بمقاومة الملك ( قضي الأمر ) قطع وتم ( الذي فيه تستفتيان ) ، ولو كنت أعلم أن التمني سينفع أحدكما الخباز لتمنيت له السلامة ، ولكن التمني لا يدفع مقدوراً ، والأمل لا يقضي على الحقيقة . هذه فتوى يوسف التي خلاصتها هلاك أحدهما ونجاة الآخر .

( ١ ) سبة الى همدان من البلاد الارابية .





درس الوعظ قد امتد أكثر مما كانا يتوقمان ، وقد كان قلباها متمشقين بالأكثر لسامع تأويل حلمها ، فكانا يقولان في نفسيهما :

لك الحمد لم نسمع عيادة حللنا ونسمع مالا نشتهي فلك الحمد  
وكان كل منهما يهيم بأن يقطع على يوسف سلسلة حديثه ، لولا أن ملكا نفسيهما ،  
فما شعر إلا وهو يقول : ﴿ يا صاحبي السجن أمّا أحديكا .. الخ ﴾ ذلك لأن  
الناس منذ القديم الى اليوم ، لا يعتنون باللب عنايتهم بالقشور .

### استبشار يوسف براءة رئيس السقاة

التكملة الثانية - كأنك بيوسف عليه السلام وقد وجد له في معتقله أخاً  
مظلوماً مثله ، تبرأت ساحته - كأنك به أنه تمنى أن يكون هو أيضاً قاربت آلامه  
النهاية ، والعامّة من الناس تقول : « إن مطرت بلاد بشر بلاداً » .

### الحجر الاول في بناء حجر يوسف

التكملة الثالثة - كان تعبير يوسف لهذين الحلمين هو الحلقة الاولى من سلسلة  
الحلقات التي تشكل سبب خروجه من السجن لدست وزارة المالية ، قم ما قيل :  
« سعادتك بين شفتيك » .

وبعبارة أخرى : كان تعبيره لهذه الرؤيا هو ( الحجر الأول ) في أساس  
خروجه من السجن وبناء مجده الخالد العظيم ، وأما ( حجر الزاوية ) فهو تعبيره  
رؤيا الملك الآتية ، وأما ( ثلاثة الأثافي ) فهي ظهور براءته بلسان النسوة من كل  
مارئي به ، حتى خرج من معتقله عزيز الجناب ، ناصح الجبين .

### حال الفئتين حين سماعهما تعبير رؤيهما

التكملة الرابعة - كأنك ( برئيس السقاة ) لما سمع بشارة يوسف له مثل من

الفرح وصار نشوان بخمرة هذه البشري ، و كأنك ( برئيس الخبازين ) بغت ووجم (١) وعض على سبابته ، وصار مُشْتَرَكاً (٢) مشدوهاً (٣) لا يحير جواباً ، ولا يعرف صواباً ، وسقط في يده ، وقدم ولات ساعة مندم .

### النواة والشجرة والثمرة

التكلمة الخامسة - كان هذا التعبير الابتدائي ( نواة ) لـ ( لحي ) ( رئيس السقاة ) ليوسف مندوباً من جانب ملك مصر الريان ، ليعبر رؤيا الملك ، كما أن تعبيره رؤيا الملك أخيراً كان ( شجرة ) من تلك النواة ، وبالتالي كان خروج يوسف من السجن الى البلاط الملوكي هو ( الثمرة ) لتلك الشجرة .

### تسمية الملك رباً عند المصريين

التكلمة السادسة - تسمية الملك ( رباً ) اصطلاح للمصريين كالكلدان والعبران ونحوم وقد بحث عن ذلك سابقاً بما فيه الكفاية .

### لماذا عبر يوسف رؤيا الخباز بصراحه

التكلمة السابعة - لما وصل يوسف الى تعبير رؤيا ( رئيس الخبازين ) تنازعه عاملان عامل السكوت عن تأويل رؤياه ، لثلا يفزعه ويكدره ، ويكون قد واجهه بما يكره ، وعامل الصراحة ليكون ذلك الرجل على بينة من أمره ، وبصيرة من شأنه ، فيجري ما يجب أن يجريه قبلها يصلب ، فربما كان عليه أوله دين ، وعسى أن يكون عنده أو له عند غيره أمانات ، ولعله يريد أن يوصي أهله بشيء ، أو يقيم على قاصر وصياً ، أو لعله اذا عرف أمره أن يتوب من جرائمه

(٢) هو الذي يحدث نفسه بالمهموم الموسوس

(١) سكت

(٣) من دهش وتحير



وأوزاره ، ولهذا ولما كان كاتم العلم ملعون ، أولأن الله يرسل الرؤيا لصاحبها ليعرف تأويلها ، ويعمل مايجب عليه عمله بحسبها ، أولأن يوسف ألهم أن هذا الرجل كان مجرمأ ولايد ، فحقق عليه ولم يتالك أن أخبره ، فلاجل ذلك لم يجد بدأ من أن يبين له تأويل رؤياه ، وكان هذا هو أصل مايفعله حكام اليوم من تبليغهم المجرم ، الحكم الذي حكمت به عليه المحكمة ، ليكون على بينة من أمره .

ومامثل تفسير هذه الرؤيا الا كمثل الفتيا التي تصدر من المفتي يسأل عن حكم شرعي ، فيجيب مطلقاً ، أعني سواء أكان في جوابه حظ ومنفعة للسائل ، أو كان فيه متع من إرث مثلاً أو غرامة ، حتى لو اقتضى الحال أن يجيبه أنه يستحق القتل أجابه بلا موارد .

### تحقق وقوع تفسير رؤيا الفتيين

الكلمة الثامنة - كل ما أخبر به يوسف وقع ، فبعد ثلاثة أيام أرجع ( رئيس ( السقاة ) الى عمله في قصر الريان ، ثم أخذ بتبليغ ( رئيس الخبازين ) ورفع على الصليب ، ونادى النادى : « هذا جزاء من يدخل في المؤامرة على الملك أوالتعدي على حياته » ، وجعل في اذنه رقعة مكتوب فيها ( هذا جزاء من ثبتت عليه المؤامرة ضد الملك ) ، وهذا الجاني هو ( مجلث ) ، كان أنه حينما أخرج من سجنه لشنقه ينظر الى قصره ، ولسان حاله يقول :

يامنزلا لم تبقَ أطلاله      حاشا لأطلاك أن تبلى  
لم أبك أطلالك لكنني      بكيت عيشي فيك إذ ولى

وعندنا انه بالنظر لكونه أطاع المؤتمرين على الملك فتأمر معهم عليه بشر ، أو سم خبز ، كان حقيقة بأن يتلو هذه الآية الكريمة : ﴿ ربنا إننا أطعنا ساداتنا

وَكَبَّرْنَا بِمَا فَضَلْنَا السَّيْلَا ، رَبَّنَا آتِنَا مِنَّا مِنْ الْغَدَابِ ، وَاللَّعْنَةُ  
لَعْنًا كَبِيرًا ﴿ ( ٣٣ : ٦٧ و ٦٨ ) .

### خباز فرعون يوسف وخباز فرعون موسى

التكلمة التاسعة - نقرأ في كتب التفسير أن ( خباز ) فرعون يوسف ،  
واسمه ( مجلث ) قتل صلباً ، ثم نقرأ في تلك الكتب أيضاً ، عند قوله تعالى :  
﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان ،  
هذا من شيعته ، وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي  
من عدوه ، فوكره موسى فقتل عليه ﴾ ( ٣٨ : ١٥ ) فنرى أن هذا  
المصري كان خبازا لفرعون موسى ، واسمه ( فانون ) وكره موسى فمات فطمره  
تحت الرمل ، فسبحان الله ! خباز علق فوق الاعواد ، وخباز طمر تحت الرمل ،  
وعلى كل فالنتيجة واحدة ، وهي الامانة غير الطبيعية ، فما أسوأ حظ ( الخباز )  
منذ القديم !!!

### من عادة قدماء المصريين حلق شعور رؤوسهم ولحاهم

التكلمة العاشرة - القول بأن الطير ستأكل من رأس هذا المصلوب ربما يدل  
على صحة مقاله مؤرخو مصر : أن من عادة قدماء المصريين حلق شعور رؤوسهم  
ولحاهم فلا يبقون منها شيئاً ، وربما كان يوجد عندهم عادة متبعة فيمن يراد صلبه وهي  
تجديد حلق شعر رأسه ولحيته . والذي يحدونا لأحد هذين الاحتمالين هو أنه  
لو كان المصلوب موفر شعر الرأس واللحية كما هي العادة التي كانت مطردة في  
البرانيين والعرب والفرس لما كان يتسنى للطير بسهولة أن تأكل من جلدة الرأس  
أو جلدة العوارض ، لكونها محجوبة بما يحوطها من الشعر .

## الصلب عرفاً هو الاماتة على الصليب

الكلمة الحادية عشرة - إذا قيل : « صلب فلان » فمعناه عرفاً أنه أميت على الصليب ، فالصلب عرفاً لا يطلق إلا إذا كان معه إزهاق روح ، فإذا صح هذا فعمل مرعى قوله ههنا « فيصلب » فترهق روحه عليه ، ولذلك رتب عليه قوله « فتأكل الطير من رأسه » ، لأن الطير لا تحوم حوالى رأس الحي على الصليب ، ولكن على الميت فقط ، والقرآن الكريم دائماً لا يستعمل « الصلب » إلا بهذا المعنى العرفي ، كما يقول في شأن عيسى عليه السلام ﴿ وما قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ ﴾ ( ٣ : ١٥٦ ) أي لم يقتلوه على الأرض بأيديهم ولا على الصليب بواسطة ما كدوام التعليق وطول مدته ، أو بنحو المسامير والحراب والجوع والعطش والألم وما الى ذلك ، مما يقتضي الموت فوق الصليب .

## معنى الصلب في القرآن

فإذا صح هذا فعمل المنفي عن المسيح إما هو الصلب المقرون بالموت ، ومن هذا النوع قول الكتاب الكريم : « ثُمَّ لَأُصَلِّبُكُمْ أَجْمَعِينَ » ، قالوا : إننا الى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ ، ( ٧ : ١٢٣ و ١٢٤ ) ، فهم قد فهموا من تسليمهم موتهم لا محالة ، فلماذا قالوا : إنهم حينئذ يذهبون الى ربهم ، وكذا قوله تعالى : « إِنْخَا جَزَاءُ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا .. » الخ ( ٥ : ٣٦ ) فعمل معناه : يقتلوا باليد على الارض بدون تصليب ، أو يشدوا على الصليب حتى ترهق أرواحهم ، بسبب ما من أسباب الموت ، ثمادة « صلب » في القرآن الكريم لم ترد إلا فيما فيه إرهاق الروح فعلاً .

## استشفاع يوسف بالناجي من الفتنين

آية (٤٢) ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهَا: اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ، فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ . ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثانية والأربعون، فقام الحاج موسى النابلسي وقال:  
 (و) بعد ذلك (قال) يوسف بلسان الرجاء والاسترحام (ك). رئيس السقاة  
 (الذي ظن انه ناج منها) من الصلب والحبس والتهمة (اذكرني عند ربك) أي  
 صفني عند الملك الريان بصفتي ، وقص عليه قصتي ، لعله يرحمني وبتناشني من هذمه  
 الورطة ، فان العلاقة بينك وبين الملك ستكون وثيقة والصلاة متينة ، (فأنساه  
 الشيطان) أي فأنسى الشيطان رئيس السقاة (ذكر ربه) أي أن يذكر يوسف .  
 لربه الذي هو الملك الريان (فلبث) يوسف (في السجن بضع سنين) أي ستينين .  
 وشيئاً من السنة الثالثة على التحقيق ، والبضع من واحد الى أربعة .

(وقال للذي ظن انه ناج منها... الخ)

— ١ —

وقال الشيخ بدر الدين الحمصي :

## استشفاع يوسف بالفتى الناجي

مل يوسف وسئم من طول مدة سجنه ، وصار يشعر ان نفسه سجينه في صدره ، كما سجن جسمه في معتقله ، فزفر زفرة من زفرات الضيق ، فلذلك ولكونه قد رأى أن « الانصاف » أخذ يدخل في السجن ، ليخرج المظلومين —

صار له أمل قوي أن تشمله العدالة، ويقوز بنعمة الخلاص، ثم لكونه رئيس السقاة، على وشك الخروج من السجن وأثول بين يدي الملك، أدلى برجائه إليه قائلاً له :

( أيها الشرايبي ، إني مع احتقاضي بالانكال على الله ، والاستمداد من معونة الحق ، أقول لك : المروف صيد ، هنيئاً لمن صاده ، والمعروف قروض ، ومع اليوم غدٌ ، وهذه فرصة لك فانهزها ، تذكر ما كان بيني وبينك من اخوة الضيق ، فاجعل ذلك شفيعي اليك ، وذممي لديك ، أنت قد جربت الظلم ومرارة طعمه ، والقلوب التي عرفت الآلام هي التي تشفق على التالين ، والأفئدة التي احترقت بنار ظلم الحكام ، هي التي ترثي للمظلومين ، فأرغب اليك أن تجعلني منك يبال حيناً تقف بين يدي ( الريان ) وأن تذكرني بكلمة إسعاد عنده ، وها أنا ذا سألتك حاجتي ولم أُنْصُرْ وجبي عن ذلك ، فأنت لا تصُنْ وجهك عن التعب في تميم هذا الأمر ، أنت صديقي ، وليس الصديق الذي يقبل عليك والدنيا في إقبال وبدونك ما حامت حولك الآمال ، إنما الصديق هو الذي يذكرك في الضيق ، أو ينقذك من ظلم الظالمين ، ولا مثوبة يقدمها المرء بين يدي الله تعالى ، يوم جزائه أفضل من إسعاد البائس ، وتفريج كربة المكروب ( ومن فرّج عن أخيه كربة من كرب الدقيا ، فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ، والدال على الخير كفاعله ، وإن خيراً من الخير فاعله ) وتذكر اني أسمعتك صوتي ، متخللاً في أعماق قلبك ليسرك ، ويحمل اليك البشري بخروجك من هذا السجن ، فرقيك عند الملك ، فأنت بالمقابل ، أسمعني صوتك ، حاملاً اليّ — على الأقل — بشري خروجي من السجن ، وخلاك ذم ) .

هذا مرهمي كلام يوسف الروحي ، وكاعني ( بالشرايبي ) قال له : ( لبيك ،

سماً وطاعة ، وحباً وكرامة ، فقد تفضلت بما لا طاقة لي على شكره ، فلا أبرح  
أذكر إحسانك الى آخر نسمة من حياتي ، فثق إني لسوف أقوم بواجبك ، الذي  
هو حتم عليّ ، وأحسبني سعيداً إذا خدمتك . ( قال ذلك ثم خرج يتعثر في أذياله  
لسرعته وفرحه بلقاء أهله وذويه ، وهو بحال السلامة كأنما جاء وليداً ، وأعطي  
عمرأً جديداً .

### نسيان الفتى الناجي ذكر يوسف للملك واسبابه

هذا ولم يكن إلا مسافة الطريق حتى أنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف  
للملك ، بدليل قوله : ( وقال الذي نجا منها وادكر ) ، فإن الادكار إنما يكون  
بعد النسيان ، هذا هو الصواب ، ولا يجوز لأحد أن يقول غيره ، إلا أن يكون  
قد اعتزل العقل والذوق ، بحيث هو لا يعرفها ، وهما لا يعرفانه .

وانما نسي الشرايبي ذكر يوسف للملك ، لوسوسة الشيطان اليه بما شغله عن  
ذكره له ، حتى ذهب عنه وزل عن قلبه ذكره ، فقربه من الملك أنساء بوعده  
السابق ، وقصر الملك أنساء السجن . وأيام السعادة أنسته أيام الشقاء « وأصحابه  
في البلاط أنسوه صاحبه في حبسه ، وحالة السعة والمز جعلته ينسى حالة الضيق  
والذل ، وبعبارة أخرى فرحه بالولائم التي كانت تقام له بعد خروجه ، وبأهله  
وذويه ، وحصوله على منزلته الأولى عند الملك ، أصبح شغله الشاغل ، هذه هي  
الوسائط التي استعملها الشيطان ، حتى غفل ( الشرايبي ) عن يوسف ، ولكون هذه  
الأشياء وما إليها هي آلات للشيطان نسب الإنساء اليه ، ولو أن يوسف عليه السلام  
استقبل من أمره ما استدبر ، لما كان قدم للشرايبي رجاءه ، ولكن لا يعلم الغيب إلا  
الله عز وجل .

وهذا النوع من النسيان محمود ، وليس يذم ولا مستبعد ، بل هو كثير في تاريخ الأصدقاء ، فكأي من بصحبتك حال شدته وضيقة ، ينساك يوم الرخاء والفرج ، بل كثيراً ما يتسى الناس خالقهم في أيام الرغد والرخاء ، فلا عجب من أن ينسى ( الساقى المصري ) ( يوسف البراني ) العبد السجين :

و كثيراً من أن الأولاد لا يذكرون آتتاب واللبهم عليهم في صغرهم والأصدقاء ينسون أصدقاءهم متى آسندت لهمتهم عمالة ما ، كما أن كثيراً من الأصحاب الفقراء إذا اغتتوا وأيسروا نسوا من كان يألفهم في المنزل الحشن ، ونزى كثيراً من أهل الأمراض متى صحوا وشقوا ينسون طبيهم ، كما نرى متعلمين متى تعلموا وآخذوا الشهادات نسوا أساتذتهم ، الى آخر ما هنالك من الضروب والأشكال ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ ( ٩٦ : ٦ ) وقال تعالى : ﴿ قَتِيلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ! ﴾ ( ٨٠ : ١٧ ) ثم إن أنس لا أنسى ان من الأسباب الأساسية لنسيان ( الشرايبي ) ذكر ( يوسف ) الملك ، معاطاته شرب الخمر ، فان شربه ، كما يعمل تأثيراً سيئاً في الأخلاق والصحة والاجرام ، وفي المال وفي قوة الاقتاج فكذلك يسبب ضعف الذاكرة عند الإنسان ، وكما ظهرت للعلاء هذه المضار ، وكما هالهم أن تكون المسكرات سبباً لاصابات بالجنون .

وهذا وان الفاء في قوله : ( فأنساه ) ليست تصريرية بمعنى ان الإنسان كان نتيجة عن كون يوسف استعان بغير الله في كشف ما كان فيه ، بل هي عاطفية خلافاً للمفسرين ، إذ المعنى على ما نفهم أنه حصل أن يوسف قال كذا وكذا ، ثم فوراً حصل أن الشرايبي نسي ما تكلم به معه ، وهذا هو المعنى اللائق بمقام يوسف عليه السلام ، والمناسب للواقع ، لا أقل ولا أكثر ، فكن لما ذكرناه من الحافظين وإياك من أن تعرج ههنا على كلام المفسرين .

## مدة بقاء يوسف في السجن

وعلى هذا النسيان لبث يوسف في سجنه بين أربعة جدران ، صابراً محتسباً ، سنتين وشيء من الثالثة كما ذكره المؤرخون ، إذ يستعمل البعض فيما دون العشرة كما حكاه ابن جرير ، ووجهه إن البضع هو البعض ، لأن الحروف واحدة ، والبضع الطائفة من الليل ، كما في القاموس ، يعني قلت أو كثرت .  
وهنا فوائد لها علاقتها بتفسير الآية الكريمة :

## التوسل وأنواعه والبهائم منها شرعاً

الفائدة الأولى — كان هذا الطلب من يوسف « لرئيس السقاة » من باب الأخذ في الأسباب المأمور به شرعاً وعقلاً وعادة وطبعاً ، إذ لولا الوساطة لذهب الموسوط ، والتوسط ( وإن شئت قل التوسل ) على أربعة أوجه :

(١) توسل الانسان الى الله تعالى بإيمانه به وطاعته له والعمل بما يرضيه تعالى ، وهذا صحيح جائز باتفاق العلماء .

(٢) توسل الانسان الى الله بدعاء إنسان آخر وشفاعته ، بأن يطلب منه الدعاء الى الله تعالى ، وهذا أيضاً صحيح جائز باتفاق الجميع ، وقد قال النبي ﷺ : « أشركنا يا أخي في دعائك » وفي رواية : « لا تنسنا يا أخي من دعواتك » .

(٣) التوسل بمعنى الإقسام على الله بذات نبي أو ولي أو مملك ، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة تفعله ، ولا يعرف في شيء من الأدعية المشهورة بينهم المأثورة عنهم ، وهذا النوع هو الذي قال « أبو حنيفة » وأصحابه « انه لا يجوز » ونهوا عنه قائلين :



« لا يسأل تعالى بمخلوق » وهذه الأنواع الثلاثة هي فيما إذا كان المتوسل (بافتح) إليه هو الله تعالى .

(٤) أما إذا كان المتوسل إليه إنساناً ، فلا مانع من أن يتوسل إليه بإنسان آخر ، كما هو ظاهر ، ظهور الشمس في رابعة النهار ، ولا يخفى أن السذي صدر من يوسف هو من هذا القبيل ، فإنه استشجع عند ملك مصر برئيس السقاة ، وهو عمل مقبول ومعقول جداً لأن الحامل عليه الكفافة من ظلم « عزيز مصر » وتخطيه حدود العدل في سجنه يوسف ، فعزير مصر جار وظلم في حكمه على يوسف ، ويوسف يريد أن يرفع عنه هذا الجور بشفاعة هذا « الساقى » ولأمانع من ذلك ولا حرج فيه أصلاً ، وما علمنا الرعب في الانطلاق من السجن محظورة على أحد ، وليس في توسطه « بالشرابي » دليل على أنه أغفل الدعاء إلى الله تعالى ولكنه سعى في كف الظلم عنه بالوسائط المشروعة في كل دين .

### الرد على من انتقد توسل يوسف برئيس السقاة لدى ملك مصر - التوكل

هذا وإن من الأصف أنه وجد من الناس من انتقد عمل يوسف هذا بما في دماغه ، عكساً للارم ، لأنه يلزم أن نزن ما في أدمغتنا من عقائد بالقرآن وبما ورد عن أنبياء الله تعالى ، لا أن نزن القرآن وأعمال الأنبياء بما في أدمغتنا مما تلقيناه عن المتسايفخ ، فتجعل الموزون ميزاناً ، واليزان موزوناً ، قلباً وحقيقة ، فنحن هتاه بدلاً من أن نتقد ونستشكل عمل يوسف يجب أن نستنتج منه عقائدنا ، فنقول : بما صدر من يوسف نحتج على من يقولون أو يفضلون ترك الأسباب ، اتكلاً على القضاء والقدر ، وهو جهالة صرفة ، لأن هذا ليس من قبيل التوكل ، بل من قبيل العجز والكسل ، إذ التوكل هو الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه واعتقاد أن الأمر منه وإليه ، مع الأخذ بالأسباب ، وهكذا ينبغي لكل عاقل متشرع أن

يدخل لكل أمر من يابه ، ويطلب كل رغبة من أسبابها ، ولا يقدر في التوكل  
 تعاطى الأسباب ، اتباعاً لسنة الكون وسنة الرسول ﷺ فقد ظاهر الرسول  
 عليه الصلاة والسلام في الحرب بين درعين ولبس على رأسه المغفر وأقعد الرماة على  
 فم الشعب ، وخذق حول المدينة ، وأذن في الهجرة الى الحبشة ، ثم الى المدينة ،  
 وهاجر هو بنفسه ، وتعاطى أسباب الأكل والشرب ، وادخر لأهله قوتهم ، ولم  
 ينتظر أن ينزل عليه القوت من السماء ، وقد ورد : « أأعقل ناقتي أم أتركها  
 وأتوكل ؟ - قال : اعقلها وتوكل » وقال ﷺ : « إن الله جعل رزقي تحت ظل  
 رحمي » مع انه سيد المتوكلين . وقد روي انه ﷺ لم يأخذه النوم ليلة من الليالي ،  
 وكان يطلب من يحرسه ، حتى جاء سعد بن أبي وقاص ، فنام .

وقال في القرآن على لسان المسيح عليه السلام : « من أتصاري الى الله ؟ »  
 ( ٣ : ٥٢ ) هذا وانه لاخلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق  
 والحرق وما الى ذلك .

وانا لترى رجاء يوسف من رئيس السقاة نفعته في الجملة لأنه وان لم ينفعه في  
 الحال فقد نفعه في الآل ، إذ حين رأى الملك حلميه وأعوزه من يعبرها له تذكر  
 رئيس السقاة يوسف . وتذكر اقتداره في عبارة الرؤيا ، وتذكر أنه كان قد رغب  
 اليه أن يذكره عند الملك فذكره حينذاك ، وعلى كل فيوسف لم يعمل بدعاً .  
 وليس ما أتاه غلطاً ، فعلى الانسان الاجتهاد ، وعلى الله قضاء المراد :  
 على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر

### تحقق رجاء يوسف من الشرايبي

الفائدة الثانية : كانت فكرة يوسف الاولى وجوب استعمال الأسباب العادية ،  
 تدرعاً لخروجه من السجن ، ولكن كان عدم وجود واسطة ترفع شكواه للملك

يعترض بجرى هذه الفكرة ، فذلك كان ما كتأسا كناً ، ولكن «مكثرة»  
أخاك لا يطل» ، فالآن حيث وجد «الشراي» يريد أن يخرج من السجن الى  
البلاط ، فضل نشاطه على جموده ، وسعيه على كسله ، منتزحاً الفرصة لاقتداب  
هذا الرجل لهذه المهمة ، لاسيما وأنه كان آفاده تعليمياً دينياً ، و بشره بحرمي رؤياه ،  
وانمقدت بينها أخوة السجن وآلامه ، فكلبه أن يصفه عند الملك بصفته ، و يقص  
عليه قصته ، لعله يرحمه ويتأشبه من هذه الورطة .

تأمل يوسف أن تفريج أزمته بواسطة هذا «الساقى» ومع أن هذا الرجل  
نبي يوسف وأمله فيه ، فقد حقق الله رجاء يوسف ، وحمل ظنه في محله ، ولكن  
بأعجوبة أعني بسبب الرؤيا التي رآها الملك ، بعد حين من الدهر ، ولم يجهد من  
يعبرهاله ، وعليه فيصدق على يوسف أنه ما قال رآيه فيما فعل ، وما ضا ظنه فيما  
رجا ، فان هذا «الشراي» الذي نجوا وادكر بعدأمة ، - أخبر الملك بشأن  
يوسف ، فأرسله الملك إليه ، وبالنتيجة كان هذا من أكبر أسباب خروج يوسف  
من معتقله .

### الاستعانة بالاسباب في قضاء الحاجة

الفائدة الثالثة - احتياج الانسان للواسطة والرجاء في قضاء حاجته أو رفع  
الظلم عنه عادة قديمة ، وفي الغالب لا تكون إلا إذا كان الحكومات ظالمة مستبدة ،  
لا يعمل فيها بموجب الشرائع والأنظمة ، ولكن بالرأي الفردي وبحسب الشهوة ،  
وهذه الحال السيئة كما كانت في تلك الحكومات المصرية المكسوسية ، هي سائدة  
في جميع الأمم ، ينسب تفاوت تبعاً للتربية والأخلاق .

وأذكر أنه مرة سألتني سائل فقال : ( إن الصريعة كما حصرت «العبادة» في  
الله تعالى فقد حصرت «الاستعانة» فيه أيضاً ، إذ ورد : ﴿إِلَّا يَأْتِيَنَّكَ نَعِيْدٌ وَإِيَّاكَ

تَسْتَعِينُ ﴿١ : ٤﴾ فكما أمرنا تعالى أن لا نعبد غيره ، لأن السلطة النبية التي هي وراء الأسباب ليست إلا له دون غيره ، فكذلك أمرنا أن لا نستعين بغيره أيضاً ) . فأجيبته :

إن كل عمل بعمله الانسان تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الأسباب ، التي اقتضت الحكمة الالهية أن تكون مؤداة اليه ، وعلى انتفاء الموانع التي من شأنها بمقتضى الحكمة أن تحول دونه ، وقد مكّن الله تعالى الانسان بما أعطاه من العلم والقوة من دفع بعض الموانع وكسب بعض الأسباب ، وحجب عنه البعض الآخر ، فيجب علينا أن نقوم بما في استطاعتنا من ذلك ، ونبذل في اتقان أعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة ، وأن نتعاون ، ويساعد بعضنا بعضاً على ذلك ، ثم نقف في الأمر وراء كسبنا الى القادر على كل شيء ، ونلجأ اليه وحده ، ونطلب المعونة المتممة للعمل والموصلة لثمرته منه سبحانه دون سواه ، إذ لا يقدر على ما وراء الاسباب المنوحة لكل البشر على السواء ، إلا مسبب الاسباب ورب الأرباب ، فقول يوسف ههنا ( اذكرني عند ربك ) هو من قبيل الاستعانة بالأسباب التي نصبها الله تعالى ، وجعلها بتوفيقه ذريعة للمقصود ، وهذا الضرب لا مانع منه ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ ( ٥ : ٢ ) ، ولنضرب لذلك مثلاً :  
الزارع يبذل جهده في الحرث والعذق وتسميد الارض وريتها ، يفعل ذلك بنفسه ويستعين عليه بغيره ، ثم يستعين بالله تعالى على إتمام ذلك بمنع الآفات والجوانح السابوية أو الأرضية ، وإشراق الشمس وإنزال المطر الكافي ، على سبيل التعاقب بين الشمس والمطر بمقدار اللزوم ، فالاستعانة بالعبء على القسم الأول جائزة طبعاً ، وشرعاً ، وأما الاستعانة على القسم الثاني فانما هي بالله وحده .

هل قام الشرايبي بما طلبه منه يوسف فور خروجه من السجن

الفائدة الرابعة — كان رئيس السقاة رجلاً شريفاً مصرياً من أشرف مصر

( الاصطلاحيين ) أي الذين اصطاح الناس على تلقيهم بهذا اللقب ، فنظراً لذلك ونظراً لكون يوسف كان قد أوّل له رؤياه بما يمود عليه بالغبطة والسرور ونظراً لكونها قد اقمعدت بينها أخوة السجن والاعتقال ظلاماً ، وأقرب ما تكون النفوس الى النفوس اذا جمعتها في صعيد واحد هموم الحياة وآلامها ، نعم اقه قد وحد ما بينهما ما صب فوق رؤوسها من الظلم ومازج بين نفسها ما كان من الوحدة والعزلة عن العالم ، الى الذكرى المؤلمة ، الى البؤس المشترك ، فيها أخوان في المساءة والأحزان ، تجمعها صلة الجرح التي ذكرها الشاعر في قوله :

قد قضى الله أن يؤلّفنا الجر      ح وأن نلتقي على أشجانه  
كلنا أن د بالعراق ، جريح      لس د الشرق ، جنبه في عيانه

نظراً لذلك كله حسب يوسف أن مجموعة هذه الأمور تصلح لأن تشكل سبباً يدفع صديقه ( رئيس السقاة ) لأن يهتم بأمره ، ويرفع مظلمته للملك ، ويأخذ على عاتقه إطراعه والثناء عليه ، متخيلاً ان العطاء في دار الحكومة ، عطاء في المعروف ، عطاء في مقابلة الاحسان بالاحسان ، عطاء في تقدير الرجاء ، يقدرون القصد ويحسبون ان المعروف صيد ، لا ينسون أصدقاءهم ، ولا يخلفون إذا وعدوا ، ولا يولون بجاههم — كان قد خيل اليه ذلك كله ، فاذا هو قد خاب قاله ، واستسمن ذا ورم ، وقفخ في غير ضرم ، ولم ينتفع منه على الفور ، ولكن بعدما دقّ العظم ، ورقّ الشحم ، وبلغ السيل الزبي ، ثم حدث ما أوجب أن يتذكره قسراً ، ويطربه بسببه عند الملك قهراً ، وللمفسرين هنا كلام ، لو شئت أن أقول عنه لقلت إنه أقل من أن ينظر اليه القاطرون ، ويعلق عليه المعلقون .

### اسباب عدم اخبار يوسف اباه يسجنه

الفائدة الخامسة — ان قال قائل : د لماذا لم يكتب يوسف لأبيه يعقوب عليها

السلام بطاقة يخبره فيها بهذا الحادث عساه أن يأتي ويسعى في مساعدته واخراجه من سجنه ، وقد جرت العادة ان الانسان عند الشدة يقزع لأقاربه ويستنصر بهم ، وان رجاء يوسف لوالده أفضل من رجاء الأجنبي ؟ « قلنا ، يظهر لنا في جوابه وجوه :

(١) أن خصيمه هو الحاكم ، فشكوى حاله لأبيه لاتجديه شيئاً ، وقد قيل

« إذا كان غريمك القاضي . فلمن تشتكي ؟ .. » وقال الشاعر :

لو بغير الماء حلقي شرقاً كنت كالغصان بالماء اعنصاري

(٢) ربما كان يخشى من سوء سمعته في فلسطين . لعدم وقوفهم على براءة

ساحته مما اتهم به وحبس لأجله .

(٣) ربما كان لا يزال يخاف من اخوته وكيدهم إياه فيأتون لمصر ويتداخلون

لأجل كيدهم مع الحكومة . فيزيدون الطين بلة .

(٤) ان يوسف كان رأى ان أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سيسجدون

له . وهذه الرؤيا تفيد انه لا بد أن يأتي يوم تسجد له فيه إخوته الأحد عشر

وكذا تسجد له الشمس وهي أبوه . والقمر وهو مريته بلهة . إن قلنا إن (الواو)

في قوله تعالى : ( والشمس والقمر ) عاطفة . فان قلنا إن هذه ( الواو ) واو المعية

أفادتنا أن سجدوا الاخوة الأحد عشر ليوسف لا بد أن يكون اجتماع يوسف

بالشمس والقمر أمراً مؤكداً عنده ، منتظراً له . كما كان أيضاً منتظراً لأبيه

يعقوب . وعلى ذلك فكان يعقوب يترقب اجتماعه بولده يوسف وينتظر ذلك اليوم

المهود . وكان يوسف يترقب اجتماعه بوالده يعقوب ، وينتظر ذلك اليوم الموعود

أيضاً ، وكان الاثنان على مثل اليقين ، بل على حق اليقين من اجتماعها فيما بعد ،

مهما طال الوقت ، فلذلك لم يسع يوسف في تعريف والده بوجوده ولم يجتهد على

إحاطة والله بأفه في مصر ، لتحققه ان الاجتماع سيقع أو سوف يقع بكفالة سماوية ، ووعد رباني لن يتخلف ، هذا أقصى ما أمكنا من الاعتذار عن سيدنا يوسف عليه السلام .

## فصول مأساة يوسف (ع)

الفائدة السادسة — كانت مأساة يوسف عليه السلام ذات فصول سبعة :

(١) القاؤه في الجب (٢) نقل السيارة له من موطنه لوطن آخر (٣) بيعه لقوطيقار كرقبق ، (٤) اتهامه زوراً بالفحشاء (٥) محنته بالنسوة المصريات (٦) سجنه ظملاً (٧) وأخيراً نسيان صديقه له وقد تشجع به أن يذكره للملك فكانت هذه الحادثة الأخيرة المؤلمة خاتمة هذه الفصول وتتمتع تلك الذكريات المحزنة .

### على من يريد انتقاد امر ان يتمهل حتى نستوفي البيته نصابها

الفائدة السابعة — (وقال للذي ظن . . الح ) ههنا يحشر المفسرون أحاديث

تحتوي انتقاد يوسف في هذا وفيما ذكر في آية ٤٧ و ٥٠ و ٥٥ ، وباليتهم تريشوا وتمهلوا ونأملوا ، ولم يكونوا سراعاً في ايراد الطعن من قبي في قبي ، كأننا نحن المسلمين لم نكتف بإيقاد نار الفتنة بين رجل ورجل من غمار الناس وغوغائهم ، حتى وسمعنا في هذا الياب وفتحناه على مصراعيه ، وجعلنا نثقل مافيه إيقاد نار الفتنة بين الأنبياء الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، وباليت المفسر حينما يريد أن ينقل انتقاد نبي على نبي ، واعتراض رسول على رسول ، يصبر حتى نستوفي البيته نصابها ، فقد ورد أن عمر بن الخطاب استشار الناس في دبة الجنين ، فقال المغيرة بن شعبة : (شهدت رسول الله ﷺ قضى فيه بنوره عبد أو أمة) — فقال عمر : (إئتني بمن يشهد معك) فشهد معه محمد بن مسلمة رواه ابن ماجه في سننه ، وفيها أيضاً أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه طلب من راوي الحديث شاهداً آخر ، في حادثة

ميراث الجدة ، فقد روى ابن ماجه : جاءت الجدة الى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها ، فقال لها أبو بكر : ( مالك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنة رسول الله شيئاً ، فارجمي حتى أسأل الناس ) فسأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبة : ( حضرت رسول الله أعطاهما السدس - فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ - فقام محمد بن مسلمة الانصاري ، فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة ، فأنفذه لها أبو بكر )

### تعليل تعبيره بكلمة ( ظن ) في الآية

الفائدة الثامنة — إنما قيل ( ظن ) في قوله ( وقال للذي ظن أنه ناج ) ، ولم يقل ( عَلِمَ أو جَزَمَ ) لأن عبارته لرؤيا الشرايبي ، ليست مبنية على حس أو تواتر أو وحي ، ولكن على ملكة ومقدرة ، وتوضيح المقام يحتاج لشيء من بسط الكلام : للعقل أحكام قاطمة ، وهي ما تستند الى يقينيات كالمشاهدات والمتواترات والأمور الموحى بها من الله ، وللعقل أحكام غير قاطمة ، وهي ما تستند الى ظن ، وقد رفع الله الظنون بعضها فوق بعض درجات ، فمن الظن ما يقوى ، فيوشك أن يكون علماً ، ومن الظن ما يضعف ، فيوشك أن يكون شكاً ، وقوة الظن وضعفه يرجعان الى تفاوت الامارات والدلائل التي توجده وتريه في النفس ، فهذا ولما كان اعتقاد يوسف بنجاة « رئيس السقاة » ليس مستند على حس أو تواتر أو وحي ، بل على مجرد ملكة في عبارة المرآئي ، ومقدرة وهبها الله له ، ناسب أن يعبر في جانبه « بالظن » هذا هو الصواب في تعليل تعبيره بكلمة « ظن » خلافاً للمفسرين ، فدع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدي

### اطرق لفظ الرب مضافاً للماعقل على غير الله تعالى

الفائدة التاسعة — نتعلم من قوله « عند ربك » ان إطلاق لفظ « الرب » مضافاً للماعقل على غيره تعالى كان جائزاً عند يوسف وفي عصره ، نظير السجود ، أي



سجود الانسان للانسان على جهة الاحترام والترسم ، فان كان جائزاً في ذلك العصر وما قبله لمهد آدم عليه السلام ، كذا قالوا ، وهو حسن ، ولكننا نرى يد عليه ما هو أحسن اثناء الله تعالى وهو أن هذا النوع من التمييز مبني على اصطلاح عند المصريين والعبرانيين ، وهو اعتبارهم الملك سيداً ، وكل رجل من رجاله عبداً له ، وهم كالعرب يبرون عن السيد بالرب ، مضافاً للفظ العبد أو لصيره . فيقولون : رب العبد وربّه ، وهذا ، أي اضافة لفظ الرب للعبد جائز لغة ، كما نص عليه (الاساس).

### علاقة الشر بالله تعالى

القائدة العاشرة : — تعلم من قوله : ﴿فأنساه الشيطان﴾ أن نسب ما كان من نوع الشرور ، الى غير الله تعالى ، كاتسنا والشيطان ، ولا تنسب لله عز وجل إلا ما كان من نوع الخير ، قال موسى عليه السلام ، لما قتل الاقبلي : ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (٢٨: ٩٥) ، وقال ابن مسعود لما سئل عن الفريضة :

﴿أقول فيها يرأبي ، فإن يكن صواباً ، فمن الله ، وإن يكن خطأ ، فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله بريان منه﴾ ، وكذلك قال أبو بكر في الكلاية ، وقال عمر نحو ذلك ، ومرادم ان الصواب ، قد أمر الله به وشرعه وأوجبه ورضيه ، والخطأ لم يأمر به ولم يجبه ولم يشرعه ، بل هو ما زينه الشيطان لتفسي ، فغماته بأمر الشيطان ، فهو منى ومن الشيطان ، وتوضيح ذلك : أت الله تعالى وان كان خالفاً لكل شيء ، ولكن لا يضاف اليه الشر مفرداً ، بل إما أن يدخل في العموم ، وإما أن يضاف الى السبب ، كالشيطان والتفسي الخبيثة مثلاً ، وإما أن يحذف فاعله فالأول كقوله تعالى : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (١٣: ٩٨) والثاني كقوله : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (١١٣: ٢٩١) أي من شيطان ونفسى

خبينة ونحوها ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا يُنِشِئُكَ الشَّيْطَانُ ، فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ  
 الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٨:٦) ، وقال قتي موسى :  
 ﴿ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ ﴾ (١٨:٦٤) ، ولما نام النبي وأصحابه  
 في الوادي عن الصلاة ، قال : ( هذا وادي حضرنا فيه الشيطان ) ، وقال : ( إن  
 الشيطان أتى بلالاً ، فجعل يهديه ، كما يهتدي الصبي ، حتى نام ) ، والثالث  
 كقول الجن : ﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَسْرًّا أَرِيدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، أَمْ آرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ  
 رَشَدًا ؟ ﴾ (٧٢:١٠) وقد قال تعالى : ﴿ اهْتَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ  
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (١:٥-٧) فذكر انه فاعل  
 النعمة ، وحذف فاعل الغضب ، وأضاف الضلال اليهم ، وقال الخليل عليه  
 السلام : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ (٢٦:٨٠) وانما يذكر الشر في المفعولات  
 كقوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥:١٠١)  
 وقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧:١٦٦) ، وقوله :  
 ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾  
 (١٥:٤٩) ، ﴿ وَقَوْلُهُ : حَسْمٌ ، تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، غَافِرِ  
 الذَّنْبِ ، وَقَائِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ (٤٠:٣) (منهاج السنة).

### معنى قوله « ذكر ربه » تذكير ربه

الفائدة الحادية عشرة — معنى قوله : ﴿ ذكر ربه ﴾ تذكير ربه ، فهو من  
 إضافة المصدر لمفعوله ، فان الذكر مصدر ، نارة يضاف الى الفاعل ، وتارة الى  
 المفعول ، كما يقال : دق الثوب ، ودق القصار ، ويقال : أكل زيد وأكل  
 الطعام ، ويقال : ذكّر الله : أي ذكّر العبد الله ، ويقال ذكّر الله : أي  
 ذكّر الله من ذكّره ، وكل هذا في إضافة الذكر إضافة المصادر ، وقد

يضاف الذكر اضافة الأسماء المحضة ، كقولك ثوب زيد : أي الثوب المختص بزيد وذكر الله : أي الذكر المختص بالله ، ويحمل المنيين قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ، فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ، قَالَ رَبِّ ، لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ، وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ؟ — قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا ، وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (٢٠ : ٢٤ - ١٢٦) ، نقوله ﴿ ذكري ﴾ إن أضيف إضافة المصادر ، كان المعنى : الذكر الذي ذكرته ، وهو كلامه الذي أنزله ، فهو من اضافة المصدر الى مفعوله ، وإن أضيف إضافة الأسماء المحضة ، فذكره هو ما اختص به من الذكر ، والقرآن هو ما اختص به من الذكر ، قال تعالى : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ (٢١ : ٥٠) وقال أيضاً : ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (٣٦ : ٣٩) (منهاج السنة).

### سبب مكث يوسف في السجن يضع ستين

الفائدة الثانية عشرة — قوله : ﴿ فَالْتَبَيْتُ فِي السِّجْنِ بِضَعِ سِتِينَ ﴾ هو مرتب على قوله : ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ ولا علاقة له بقوله : ﴿ قَالَ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ، حتى بظن أنه مجازاة ليوسف ، كما توهمه بعض من ليس عنده دقة وإدراك للأمور ، وليس عنده كبير احترام لأتبياء الله الكرام.

### التحقيق في معنى « البضع » وفي مرة حكى يوسف في السجن

الفائدة الثالثة عشرة — « البضع » هو من واحد الى عشرة ، نقله الطبرسي في (جمع البيان) عن ابن عباس ، ونقله الشريشي في شرحه على مقامات الحريري عن الأخفش والغراء ، ونقل صاحب القاموس أن من معاني البضع ما بين الواحد الى الأربعة ، أو أن البضع ما بين المقدين من واحد الى عشرة ، ومن أحد عشر الى عشرين وهكذا ، قال تعالى : ﴿ وَهُمْ مِنْ بَدِ عَنَابِهِمْ سِبْعُ عَشْرُونَ فِي بَضْعِ

سنتين ﴿ ( ٣٠ : ٣ ) ﴾ وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر « الروم » على « فارس ». لأنهم أهل كتاب ، والمشركون يميلون الى « فارس » لأنهم أهل أوثان ، فلما بشر الله المسلمين بأن « الروم » سيغلبون ، سرّ المسلمون بذلك ، ثم أن أبا بكر رضي الله عنه أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم ، فقال له « أمية بن خلف » : « خاطرني على ذلك » فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين ، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بخطاره مع « أمية بن خلف » فقال له النبي : « ما حملك على تقريب المدة ؟ » - قال الثقة بالله ورسوله ، - فقال له : « عدّ اليه فزوده في الخطر ، وازدد في الأجل » - فزادهم قلو صين ، وزادوه سنتين ، فظفرت ( الروم بفارس ) قبل انقضاء الأجل الثاني ، ولكن كان ( أبي بن خلف ) قد مات ، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية ( أبي ) وتصدق به ، وهذه الحكاية تدفع القول بأن ( البضع ) ما بين الثلاثة والعشرة ، وهل كان ( أبو بكر ) لا يعرف معنى البضع في اللغة العربية ، وهو من صميم العرب ؟ إذ لو كان البضع كما قالوا لم يخاطر في مدة ثلاث سنين بل في مدة بعد الثلاث سنين ، ولما كان النبي ﷺ ينتقده من هذه الجهة ، بل أقره على فهمه ، ولكن أراد النبي الاحتياط بازدياد الأجل ، والخلاصة وبالنتيجة يصح لنا أن نقول ان مدة إقامة يوسف في السجن إنما هي سنتان وشيء من السنة الثالثة كما يستفاد من ( تك ٤١ : ١ ) وكل ما روى في تحديد مدة سجن يوسف بأكثر من ذلك فهو غير حائز على شروط الصحة ، ومبني على حب المبالغة التي هي عادة في الناس .

هذه هي كلمتي في هذا المحل وهي آخر كلمة فأرجو الاصفاء اليها ، وآمل من

السامعين قبولها .

لا تحقر الرأيَ يائيتك الصغيرُ به فالنحلُّ وهو ذبابٌ طائرُ العسل

## الفصل السادس

## حلم الملك

آية (٣) ﴿...﴾ وقال الملكُ: إني أرى سبعَ بقراتٍ  
سمانٍ، يأكلهنَّ سبعٌ عجافٌ، وسبعٌ سنبلاتٍ خضرٍ،  
وأخرٌ يابسٌ، يا أيها الملأُ، أفْتُونِي في رؤْيَايَ، إن كنتم  
للرؤْيَا تعْبِرونَ ﴿...﴾ .

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثالثة والأربعون فقام الشيخ ناصر الدين الأفغاني وقال:  
لقد تم الكلام في اعتقال يوسف وذيوه، ولتركه في سجنه كما قدر الله،  
وقد ذهب بالقارئ إلى الملك الريان وحلميه، واليك البيان: (وقال الملك) الريان  
بلسان المتفهم المستفتي (إني أرى) في المنام (سبع بقرات سمان) جمع سمينة  
(يأكلهن سبع) من البقرات (عجاف) جمع عجفاء، والعجف الهزال  
الذي ليس معه، (و) أرى أيضاً في حلم آخر في ذات الليلة (سبع سنبلات)  
سنبلات (حضرو) سبعا (أخر يابس) هذا ما رأيت في حلمي هيّا  
(يا أيها الملأ) الأعيان من العلماء والحكام والكهان (أفتوني في رؤْيَايَ)  
علموني تأويلها وبينوه لي، بينوا لي حكم هذه الحادثة (إن) كان عندكم ثروة علمية  
و (كنتم للرؤْيَا) النامية (تعْبِرونَ) وتعرفون عاقبتها ومآلها .

( وقال الملك : اني أرى سبع بقرات . . . الخ )

- ١ -

وقال العلامة الروحاني البخاري :

الملك الريان يقص حلميه على الملائك طالباً تعبيرهما له

شاءت العناية الالهية أن يخرج يوسف من سجنه بسبب شريف علمي . . .  
 فقد آن للمظلوم أن ينتصر على الظالمين ، وحق للحق أن يدفع الباطل ، وإذا أراد  
 الله شيئاً هياً له أسباباً ، لذلك لما أراد الله اخراج يوسف من معتقله ، واسناد  
 وزارة المالية وحاكمة مصر ثمهده ، أرى ملك مصر رؤيا منامية ذات بال ، إذ بينا  
 الريان نائم رأى رؤيا أكبرها جداً وأفاق من نومه وهو خائر النفس ، وأصبح  
 من جرائها في اضطراب لم ير قبله مثله ، ولن يضطرب بعده مثله ، وأوجس منها  
 خيفة ، وأجفل أيما إجفال ، ولذلك جمع الكهنة والكتبة المقدسين والحكماء ،  
 وقال لهم بلهفة وهو مضطرب الحواس ، محطم من آثار ما رأى في منامه : إني أرى  
 حلماً ذا بال ، إذ رأيت فيه سبع بقرات سمان وحسنة الصورة ، طلعت من النهر ،  
 فأرتمت في روضة كثيرة الكلاء ، ثم رأيت سبع بقرات أخرى طالعة وراءها  
 مهزولة وقبيحة الصورة جداً ورفيعة اللحم ، لم أنظر في كل أرض مصر مثلها في  
 القباحة ، فأكلت البقرات الهزيلة القبيحة البقرات السبع الأولى السمينة ،  
 فدخلت أجواها ولم تظهر علامات ذلك ، وكانت كأنها لم تأكلها ، وعليه فبقي  
 منظرها قبيحاً كما في الأول ، وههنا استيقظت ، ثم نمت فرأيت في حلمي سبع  
 سنابل خصر طالعة في ساق واحدة ممتلئة وحسنة ، ثم رأيت سبع سنابل يبض  
 يابسة رقيقة ملفوحة بالرياح الشرقية نائية وراءها ، فابتلعت السنابل الرقيقة  
 بالسنابل الحسنة :

فيا أيها الكهنة ويا أيها العلماء والحكماء والكتبة المقدسين أنيروا ظلمة نفسي ،  
 وبينوا لي بفجر أفكاركم ، الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، فقد التبس عليّ  
 أمر هذه الرؤيا ، والتوى عني مآلها ، يا أيها الملأ الذين يملأون بهيئاتهم عيون الناس ،  
 لله أبوكم ، يتنوا لي مرعى مارأيت ، إن كنتم تتدبون لعبارة الرؤيا ، وتعرفون  
 مآلها ومرجعها

قال ذلك ، ولوائح الاهتمام تلوح على وجهه ، وظواهر النياية تبدو على لسانه .

وهنا لسرد ثلثي مسائل لها علاقتها بتوضيح معنى الآية :

### من هو «الملك» في قوله: وقال الملك ..

المسألة الاولى — ان هذا «الملك» الذي بعثه القرآن هو «الريان بن الوليد»  
 كما ذكره مؤرخو العرب ، وكما وجد اسمه منقوشاً على بعض الأحجار الأثرية ،  
 وهو من العالقة ، وبعبارة أخرى من الاسرة الخامسة عشرة أو السادسة عشرة  
 لدولة الرعاة العربية بمصر ، أي المكسوس ، إذ لما كانت السلالة الرابعة عشرة من  
 الفراعنة المصريين تحكم في وادي النيل سنة (٢٠٠٠ ق.م) ، كانت الأقوام السامية  
 تنتقل في شرقي مصر (مديرية الشرقية المسماة في التوراة أرض جاسان) ، على  
 حدود البادية ، وهذه الأقوام هي التي كان المصريون يسمونها «شاسو» أو «هكسوس»  
 أي البدو ، وهم قوم من البدو يشبهون العرب ، ويتكلمون لغة يظن انها كانت  
 قريبة جداً من العربية ، وكانت هذه الاقوام تترقب ضعف الفراعنة في مصر ،  
 فتسلطوا على المصريين في مدنتهم ، أو يقطعون عليهم السابلة للغزو ، وكانت الفراعنة  
 تخافهم وكثيراً ما سألتهم واستعانت بهم في حروبهم ، لقوتهم وشجاعتهم ، شأن  
 أهل البادية في كل عصر ، ومارالوا كذلك حتى سنحت لهم فرصة وثبوا فيها على  
 مصر السفلى ، وامتلكوها ، وكيفية ذلك انه لما حدثت الاضطرابات والفتن ،

منذ السلالة الرابعة عشرة ، اغتتم الهكسوس ضعف دولة النيل ، فوثبوا على مصر السفلى ، وأعملوا فيها يد النهب والسلب ، واستعمروا الوجه البحري ؛ وجزءاً من الوجه القبلي ؛ واستولوا على مدينة « منفيس » وضبطوا « الدلتا » بكاملها ، وولوا عليهم ملكاً منهم ، فتقهقرت الفراعنة الى الجنوب ، ثم بدأوا يجيئون الضرائب من الأهلين ، ومازالت مصر في حوزتهم حتى أول القرن الثامن عشر ق . م . ودامت سيطرة الهالقة ( الهكسوس ) على مصر نحو أو أكثر من خمسة قرون ثم طردهم المصريون .

### دولة الهكسوس في مصر

وكانت دولة الهكسوس عندما انحسر تيارهم وقت ورود يوسف الصديق تقع في المثلث الذي تتألف منه رؤوسه ، من « مينا القمح » و« بوسطه » (القريبة من الزقازيق) وسان الحجر ، وهي المسماة « صوعن » ، ثم لما تقدم ، لما يبيع يوسف لم يجد أقل مشقة في محادثة الأهالي ، لأنهم كانوا منه ، وهو منهم ، يتكلمون كلهم لغة سامية ، فيوسف لم يخدم أحداً من فراعنة مصر ، لأن هؤلاء كانوا في « طيبة » في ذلك الوقت ، وكانت لغتهم مصرية لا يفهمها يوسف .

### تعبير القرآن بلفظ « ملك » ولفظ « فرعون » نظام مصر الأوربيين

المسألة الثانية - عبر القرآن الكريم على كبير مصر الذي كان في عهد يوسف بلفظ « ملك » ولم يعبر بلفظ « فرعون » ، لان هذا الملك « الملك الريان » لم يكن من « القبط » بل كان من البدو الغرباء المحقرين المكروهين في نظرهم ، وقد كان في اصطلاح المصريين الأقباط أن لا يطلقوا كلمة « فرعون » إلا على من كان مستولياً على مصر استيلاءً شرعياً وكان مصرياً قحاً ، وليس دخيلاً أو مستعمراً وعلى هذا جرت عادة كتاب الله تعالى أن يراعي الاصطلاحات المعروفة عند أهلها ،



وهو ما فهمته في توجيه تسمية حاكم مصر في زمن يوسف بـ «ملك» في خمسة مواضع من هذه السورة الكريمة ، منها ما جاء في هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها ومنها قوله تعالى : ﴿ وقال الملك : أتأثوني به ﴾ وقوله : ﴿ وقال الملك : أتأثوني به ﴾ استخلصه لنفسي ﴿ وقوله : ﴿ فقد حوّل الملك ﴾ وقوله : ﴿ ما كنت ليأخذ أخاه في دين الملك ﴾ فهذه خمسة مواضع اطلق الله فيها على حاكم مصر بصورة متبادلة لقب « ملك » لالقب « فرعون » ، ولكنه في سائر السور سمي بـ « ملك مصر » الوطنيين « قراعنة » جرياً على اصطلاح « القبط » كما في قوله تعالى في فرعون التسخير « رمسيس الثاني » من السلالة التاسعة عشرة : ﴿ قَالَتِ الْقِطَّةُ : آلُ فرعونَ ﴾ (٨: ٢٨) ، وقوله تعالى في فرعون الخروج « منفا » ، الاين الثالث عشر لمسيح الثاني : ﴿ وقال فرعون : يا أيها اللّٰهُ ما علمتُ لكم من آيةٍ غيري ﴾ (٣٨: ٢٨) ، وقوله تعالى في بعض قراعنة مصر : ﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعونَ ﴾ (١٠: ٦٦) وهذا لا تعلم من أي سلالة ، وفي أي عصر هو ؟

## غلط المؤرخين والمفسرين في تسميتهم « ملك مصر »

### في زمن يوسف باسم « فرعون »

وبعد كل ذلك قلم غلط جميع المؤرخين من أهل التاريخ القديم والحديث العرب واليهود والنصارى ، وكذا المفسرين والمحدثين ، في تسميتهم « ملك مصر » في زمن يوسف باسم « فرعون » ، لأنه مخالف للواقع ولاصطلاح أصل ذلك الزمن ، ولكتاب الله تعالى ، وقد تبع التوراة في هذه التسمية ، جمهور المفسرين والمؤرخين ، أو كأن المسلمين أخذوا تسمية الرعاة بالقراعنة ، فمن دخل في الاسلام من أهل الكتاب ، فقلدوهم في ذلك ، حتى اتصل بالمفسرين والناس — كما قال ابن تيمية — اسراب طرب يتبع بعضهم بعضاً ، وليعذرني القارىء

الكريم في مخالفتي لجميع من ذكر ، فالهدهد رد على سليمان ، والمرأة أصابت دون التعمان ، والقاروق يقول : « اخطأ عمر وأصابت امرأة » والسمة ردت على الشيخ عي الدين الأكبر .

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمت فأعمت

وعندنا ان هذا من جملة البراهين على أن القرآن وحي بوحى ، وليس من تأليف البشر ، لأنه لو كان كذلك ، لاتبع القرآن ما هو المشهور عند أهل الكتاب ، المتداول على ألسنتهم ، المكتوب في أسفارهم ، من تسمية « ملك مصر » في زمن يوسف باسم ( فرعون ) كما هو كذلك في توراتهم وغيرها من كتب اليهود المقدسة عندهم ..  
(مرحى مرحى)

### عدد سبعة في تاريخ يوسف

المسألة الثالثة — كثر عدد « السبع » في تاريخ يوسف ، فالبقرات السمان سبع ، والعجاف سبع ، والسنبلات الخضر سبع ، واليابسات سبع ، وسنو الخصب سبع ، والسنو الشداد سبع ، والحفلة النسائية التي تشكلت في قصر العزيز ، لكي تلتف حوله وزاه ، كانت مؤلفة من سبع نسوة ، والأبواب التي غلقتها امرأة العزيز كانت سبعة ، والاخوة الذين تبعوا مشورة شمعون في قتل يوسف أو طرحه أرضاً كانوا سبعة ، ولما ماتت « راحيل » حضرت « بلهة » يوسف سبع سنين ، وكان عمر يوسف حين قام أبوه من حاران سبع سنين .

### اصحاب الملوك للعلماء

المسألة الرابعة — نتعلم من قول « الريان » للملأ الذين هم الكهنة والكتبة والحكام — ان الملوك مهما كانوا من ذوي الأيد والشدة ، لا يستغنون عن أهل العلم ، يستتيرون بنور علومهم ، في دياجي الحوادث ، فكم من ملك بنى القلاع والحصون ، وقاد

الجيشوش ، واستكر من السلاح والكراع ، وأوتغل في الفتح ودوخ البلاد ، واستعبد الأمم ، وعاش في الغبطة والسرور ، ومع كل هذا لم يستغن عن سؤال العلماء ، والاستفادة من مآرئهم ، فقول «الرباب بن الوليد» ههنا : « يألها الملاّ أفتوني في رؤياي » قول يتضمن احتياج الملوك للعلماء وكفى بهذا شرفاً للعلم وأهله !

### الملاّ جماعة من رجال البلاط والعلماء

المسألة الخامسة — « الملاّ » جماعة يجتمعون على رأي فيملأون الميون ، أو ينظرون قيملاًون بهيئتهم الميوت ، كقداقالوا ، وعليه يكون « ملاّ » بمعنى مالىء ، ويحتمل عندنا أن يكون « ملاّ » بمعنى ملوؤ ، لأنهم ملوؤون من الرأي ، وملوؤون من الهيئة الجميلة ، فهو فَعَلٌ بمعنى مفعول ، وقد عهد بجيء فَعَلٌ بمعنى مفعول أكثر من بجيئته بمعنى قاعل ، فمن ذلك =

حسب ، تقض ، صمد ، سكنى ، ولد ، حصب ، نفض ، ذهب ، جلب ، سرب ، حرز ، ملك ، نعم ، بلرح ، الى غير ذلك .

وربما كان هذا « الملاّ » من رجال البلاط ومن العلماء اصحاب المناصب في الديوان الملكي ، الذين ليسوا اخصائيين في عبارة الرائي التامية ، ولذلك قال :  
\* إن كنتم للرؤيا تعبرون ~~بحج~~ فان هذه الجملة قفيء دان الملك « الريان » لم يكن على بينة من أنهم يعبرون الرؤيا ، وليسوا مشهورين ولا اخصائيين في عبر المنام ، هذا ما فتح به المولى الكريم ، وهو بكل شيء عليم .

### بغلب على الحلم أن يرى ولا يسمع

المسألة السادسة — تعليقا على قوله « لاني آرى » قلما يحلم الانسان حلماً تحتوي مادته على لغة وكلام ، وانما الاكثر أن « يرى » الحلم ولا يسمع ، وهو لذلك يسمى « رؤيا » فتحن في معظم آحلاما حرس لاقتكلم وانما زى فقط ، كما كان

الانسان في بدء حياته الانسانية عقب خروجه من الطور الحيواني أخرس لا يتكلم، ويوجد في هذه السورة المجيدة خمسة مرثي: الأولى رؤيا يوسف أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له، والثانية رؤيا رئيس السقاة أنه يعصر خمراً والثالثة رؤيا رئيس الخبازين أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، والرابعة والخامسة، رؤيا الملك البقرات ثم رؤياه السنابل، وكل ذلك رؤيا لم تحتو مادته على لفنة وكلام ولكن على شي من منظور، نعم في ذلك أفكار مجسمة، وتجسيم الأفكار هو الاصل في الرموز، ففي الرؤيا الأولى، علو يوسف وشرفه مجسم في ذاته المسجود لها، وخضوع اخوته مجسم في ذوات اخوته الساجدين، وأما في الرؤيا الثانية فرجوع رئيس السقاة إلى رتبته، عند الملك هو مجسم في عصر الخمر للملك، وأما في الرؤيا الثالثة فصلب رئيس الخبازين هو مجسم في الخبز المعلق فوق رأسه، وأما في رؤيا الملك، فالخصب مجسم في أشخاص البقرات السماء والسنابل الخضراء، والجدب مجسم في أشخاص البقرات العجاف والسنابل اليابسات، فالأفكار والآراء تتجسم للرثي في الحلم أشخاصاً أو أشياء،

### الفتوى

المسألة السابعة - (أفتوني) بمعنى علموني تأويل تلك الرؤيا، ففي حديث روينا، في سنن ابن ماجه: (سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فاذا رأيتهم فقولوا لهم: مرحباً مرحباً بوصية رسول الله، وأفتوهم) قال محمد بن الحارث للحكم بن عبده: (ما أفتوهم قال علموهم) وأفتاه في الأمر أبانه له، والفتيا والفتوى وتفتح: ما أفتى به الفقيه (قاموس) .

### تعبير الرؤيا

المسألة الثامنة - حقيقة (عبرت الرؤيا) ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما

قول : عبرت النهر إذا قطنته حتى قبيل آخوه منه وهو عبره ، ونحوه أولت الرؤيا ، إذا ذكرت مآلها وهو مرجها ، وعبر الوادي وعبر النهر ويفتح : شاطئه وناحيته ، وعبرت الرؤيا عبراً وعبرة فأنا عبر ، أفصح من عبرت بالتشديد ، والتعبير والمعب ، ثم لفظ (تعبرون) لم تذكر في القرآن إلا مرة واحدة ، في هذا الموضع لا غير . .

### امكان رؤية حلين في نوم واحد

وقبل الختام فعندي كلمة لا يد من التصريح بها ، وهي أن بعضهم سئِلَ : هل يمكن أن يرى الإنسان في منامه حلين من مراد واحد يتكروان في ليلة واحدة : فأجاب بأن هذا من الممكن ، بل من المرجح ، لأن الإنسان يحلم بما يشغل باله ، فإذا كان هذا الشاغل قوياً تكرر حدوثه بل إذا تذكرنا حلمي مليك مصر وهما من نوع واحد وفي ليلة واحدة ، قلنا إنه واقع وثابت ، هذه هي كلمتي الختامية والسلام عليكم .  
(مرحى)

### بهرل العرا بتأويل احوالهم وبهواهم

آية (٤٤) — ﴿ قالوا : أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل

الاحلام بعالمين

افتتحت الجلسة وتليت الآية الرابعة والأربعون فقام الشيخ أسعد الحوراني<sup>(١)</sup> وقال :

( قالوا ) أي المملأ بلسان الجهل أو المكر ( أضغاث أحلام ) أي نخالطها

(١) نسبة الى منطقة حوران من بلاد الشام (سورية)

وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان ، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزيم ، الواحد ضغث ، فاستعيرت لذلك ، والاضافة بمعنى من ، أي أضغاث من أحلام ، فان قلت : لم قالوا أضغاث أحلام بصيغة الجمع ؟ هو جمع ، لأنها حلمات ، فالسبع بقرات حلم ، والسبع سنابل حلم يمدده ، إنما كلاهما في ليلة واحدة ، وقد قيل أقل الجمع اثنان ، ( وما نحن بتأويل الأحلام ) . أي المنامات الباطلة ( بعالمين ) فليس لها عندنا تأويل ، فان التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة ، ويحتمل أن المعنى : هي أضغاث أحلام ومع ذلك فلسنا في تأويل الأحلام الصحيحة بنحارير ، وههنا يظهر الفرق بين العالم والجاهل .

( قالوا : أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين )

— ١ —

وقال الاستاذ عبد الحق الاخصائي في علم النفس :

**طعن الملائ في رؤيا الملك على اعتبار انها غير صحيحة**

سبق أن الملك الريان دعى « الملائ » الذين عنده في البلاط وقد حسن فيهم ظنه واستفهام في أمر حلميه ، وهم كانوا في اثناء استفهام الملك جالسين جلوس الاصنام ، وقد جمد الدم في عروقهم ، لأنهم رأوا أن جهلهم لا يساعدهم على تأويل رؤياه ، فلذلك أجابوه وقد علام الاصفرار والخجل واكتنفهم ظلمة الجهالة : أيها الملك ، علا نجمك ، وغاب نحسك ، ودامت أيامك ، إن هذه الرؤيا التي رأيت ، لا يعول عليها في تصاريف الايام بل هي تخاليط أحلام وأباطيلها ، اقتضتها هواجس الملك وشكوكه ؛ أو هي منامات باطلة ليس لها عندنا تأويل ، فان التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة .

فترى أنهم طمنوا في الرؤيا بأنها غير صحيحة ، وليست رؤيا رحمانية ، بل هي حلم من الاحلام الشيطانية التي لا تستحق النظر ، ارادوا أنهم وان يكن عتدم علم بتأويل الرؤى ، لكن هذه الرؤيا إنما هي حلم شيطاني ليس له تأويل مطلقاً ، لا عندم ولا عند سواهم .

### جمل الملك تأويل رؤيا الملك على اعتبار انها صحيحة

وهناك احتمال آخر ، وهو أن يكون معنى الاحلام في قولهم : ( وما نحن بتأويل الاحلام بالملين ) الرؤى المنامية الصحيحة ، كقوا يقولون : ومع ذلك فلسنا هناك ، فاقنا غير أهل لتأويل الراي المتأمة مطلقاً ، حتى على فرض انها صحيحة صادقة ، فقد نصدق إن قلنا : « خير أ رأيت » ، وقد نصدق إن قلنا « عكس ذلك » لاسمح الله ، فنحن لانعلم إلا أننا لانعلم ، وان من العلم أن نقول : « لانعلم ، بل الله أعلم » . وعلى هذا فيكون قد اعترفوا بقصور علمهم ، وأنهم ليسوا في تأويل الاحلام بنحارير ، ويكون كلامهم هذا اعترافاً بالجهل أو العجز ، وانسحاباً من ميدان القدرة على التعبير مطلقاً ، واعلاناً لافلاسهم من العلم والمعرفة ، وبهذا يكونون قد استراحوا من حيث تعب الكوام ، كما أنهم بهذا قطبوا آخر خيط كان في نفس الملك من خيوط الرجاء بوقوفه على تأويل رؤياه بواسطتهم ، وهذا الاحتمال الثاني قوي جداً ، وقول الملك لهم أولاً : ( إن كنتم للرؤيا تعبرون ) دليل على أنهم لم يكونوا في اعتقاده عالمين بها ، لأنه أتى بكلمة الشك ، وجاء اعترافهم بالقصور مطابقاً لشك الملك الذي أخرجهم عن كونهم عالمين بالرؤيا أو غير عالمين ، وقول النبي الذي نبأ ﴿ أنا أنشكم وتأويله ... الخ الآية ﴾ دليل أيضاً على ذلك .

ولنا هنا خمس فوائد :

### كذب الملائكة وصدقهم في جوابهم للملك

الفائدة الاولى — نرى أن هؤلاء « الملائكة » قد كذبوا في جوابهم للملك وصدقوا أما كذبوا ، ففي قولهم : « أضغاث أحلام » ، فإن هذه الرؤيا ليست من قبيل أضغاث الأحلام ، بل هي من الروى المعتبرة ، وأما صدقوا ، ففي قولهم : ﴿ وما نحن ... الخ الآية ﴾ الذي حاصله الاعتراف منهم بالجهل .

### جواب الملائكة يدل على جهلهم بتعبير الروى

الفائدة الثانية — يوجد في هذه الآية نكتة ، وهي أن هؤلاء « الملائكة » جمعوا في جوابهم بين قولهم ﴿ أضغاث أحلام ﴾ وقولهم ﴿ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ ذهاباً منهم الى إرادة عدم الجواب على كل حال ، فهم يقولون : هذه الرؤيا لا تخلو من أحد أمرين ، فإن كانت أضغاث أحلام فيما نظن ، فليس لها عندنا ولا عند غيرنا تعبیر ، وإن كانت من قبيل الحلم الذي له تأويل قلنا هناك ، لأننا لسنا من العلماء بتفسير الأحلام ولو صحيحة ، فعلى كل حال لا تكلفنا أيها الملك بتعبير هذه الرؤيا .

### معنى الضغث

الفائدة الثالثة — الضغث من العمل ما كان مختلطاً غير خالص ، فهو فعلٌ بمعنى مفعول ، كالذبيح والحمل ، من ضغث الحديث إذا خلط ، وأتانا ضغيثة من ناس : أي جماعة ملتبسة ، داخل بعضها في بعض ، ومنه قولهم للحزمة من كلاً أو غيره « ضِغْثٌ » والأحلام الملتبسة « أضغاث » .

طاف عمر رضي الله عنه بالبيت فقال : ﴿ اللهم إن كنت كتبت عليّ إثماً أو ضيغاً فاحمه عني ، فانك تمحو ما تشاء وعندهك أم الكتاب ﴾ ، وفي حديث أبي



هريرة رضى الله عنه أنه أردف غلامه خلفه ، نصيل له = ﴿ لو أزلته فيسمى خلقك فقال : لأن يسير معي ضيفتان من نار ، يحرقات نبي ما أحرقا ، أحب إلي من أن يسمى غلامي خلفي ﴾ ، (الفاق) .

وقد جاء هنا أضغاث أحلام ، بصفة الجمع والقصود ضفتا أحلام ، لأنها ضفتان اثنتان فقط ، ولكن من سنن العرب إذا ذكرت اثنين أن تجرى بها مجرى الجمع كما تقول عند ذكر الحسينين : « كرم الله وجوههما ، وكما قال عز وجل : ﴿ إن تتوبا إلى الله .. فقد صفت قلوبكما ، وإن تظَاهرا عليه .. فإن الله هو مولاة . الخ الآية ﴾ (٤:٦٦) ولم يقل « قلبا كما ، وكما قال عز وجل : ﴿ السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ (٥:٩٠) ، قلم يقل « يديها » فقه اللغة .

### الجِلْمُ والحُلْمُ

الفائدة الرابعة - « الأحلام » جمع حَلْمٍ يالحم بمعنى الرؤيا المنامية وهو من الباب الأول ، مثل حكم بحكم حكماً ، واسم الفاعل منه حالم ، ويقال : حَلْمٌ يَحْلُمُ كحَسُنَ يَحْسُنُ من الباب الخامس ومصدره الحِلْمُ بالكسر ؛ ومعناه صفع وستر وتأنى وتروى وتعقل ، واسم الفاعل منه حليم ، وجمع الجِلْمِ بمعنى العقل حلوم وأحلام أيضاً ، كما قال تعالى : ﴿ أم تأثرتم أحلامهم بهذا ؟ ﴾ (٣٢:٥٢) وقال حسبان :

لا يأس بالقوم من طول ومن قصر  
حسم البغاي وأحلام المصافير

### اصمائي نجاهل الملاء زهير رؤى بالملك وسير

الفائدة الخامسة - كل ما تقدم من أن هؤلاء « الملاء » جهلوا تأويل حلم الملك جهلاً حقيقياً ، لانجاهلاً صنيماً ، هو ما ذهب إليه جميع مفسري القرآن الكريم ، ومفسري التوراة ، وهو حسن ، وعندى أنه يجوز أيضاً أن يكونوا غير جاهلي

تأويل هذه الرؤيا ، ولكنهم تجاهلوه ، تذكرنا ما انطوت عليه الصدور ، وانتمت فوقه الضلوع ، من الحقد القديم ، والضعفة السيامية ، بين القبط الوطنيين ، الذين منهم هؤلاء « الملأ » ، وبين أمة الهكسوس الذين منهم هذا الملك ، ولا بدع في كون الوطنيين كانوا يعدون الهكسوس غريبين عنهم ، مقتصبين لبلادهم ، مع حلولهم بمصر نحو مدة ( ٥٠٠ ) سنة ، فهذه بلدة سلاتيك ، ظلت في قبضة الترك ( ٤٨٢ ) عاماً ، وماقتىء أهلها يعدون الأتراك أجانب ومقتصبين ، وترام عند كل فرصة كانوا يشورون على دولة « آل عثمان » حتى سلمت اليهم .

وغني عن البيان ان تأويل هذه الرؤيا بسيط وبسيط جداً ، ولكن هؤلاء « الملأ » لا يريدون أن يبينوا التأويل لهذا الملك الغريب المقتصب ، ولم يكونوا يريدون نصحه والاخلاص له ، إما كان الاختلاف بينه وبينهم في اللغة والعنصر والوطن والدين ، فلغتهم وجرثومتهم قبطية ، ولكن الملك الريان سامي في لغته وجرثومته ، وأما وطنهم قافريقية وهو من آسية ، وأما معبوداتهم فهي قطعاً غير معبوداته ، وإن كان كل من الفريقين وثنياً .

فهل بعد هذه المخالفات يمكن أن يخلصوا لهذا الملك ، أو لأي واحد من سلالاته ، أو لأي سلالة من سلالات الهكسوس الثلاث ؟ — حاشا —  
وعندي أنه بهذا الفهم ينحل إشكال ، صورته مايلي :

كيف ان « الملأ » الذي يجمع بين السحرة والحاذة والمنجمين والمفكرين والمعبدين لم ينجسوا عن سوء الملك ، مع بساطة الجواب لاسيا على المصريين .  
فإذا صح هذا يكون المعنى هكذا : سألهم الملك الريان عن رؤياه ، فتفاوضا فيما بينهم : ﴿ إن هذا الملك العماليقي الغريب المقتصب قد استبد هو وأجداده بمقدرات الشعب المصري ، والآآن ( يستفاد من رؤياه ) ، سيحدث بمصر حوادث هامة حيوية اقتصادية ، ربما أوجبت اضطراباً في مملكته وأنهكت قواه وزلزلت أقدام هؤلاء

الغرباء ، وعليه قالوا فن أن لا تنصح له ، ولا نحييه على سؤاله لئلا يستدرك ويلطف هذه الحادثة التي ستحدث ، ولذلك قالوا له بأبوابهم فقط دون قلوبهم ، لأنهم لا يمتقدون ما يلفظون : ( أضغاث أحلام ) تجاهلاً منهم ، والافهم أهل لتعبير هذه الرؤيا وغيرها ، وأما قول الملك لهم : ( إن كنتم للرؤيا تعبرون ) فليس هو من قبيل الشك في مقدرتهم ، ولكنه من قبيل الحث والتحضير لكي يؤولوا هذه الرؤيا بجد وسرعة ، أو لكون الملك هو قد استصعبها في نفسه ، وإن لم تكن صعبة عليهم في الواقع ، هذا ما نذكره على سبيل الاحتمال ، والله تعالى أعلم .

وقبل الختام ، فلا ندحة لنا من أن نقول : جل الله القدير ، إن هؤلاء الملاء ، أطبقوا وتماثلوا على ما قالوا ، جهلاً منهم بجرامي الرؤى المنامية أو كراهة منهم للملك ، وإذا كان معاوية بن أبي سفيان كان قال في حادثة : ( إن لله جنداً من العسل ) ، فنحن هنا نقول : ( إن ليوسف جنداً من جهل هؤلاء الملاء أو مكرهم بالملك ) لأن يوسف انتفع بذلك ، ولو لا جهلهم أو تجاهلهم ، لم يحتج إليه في تفسير رؤيا الملك ، فكان يبقى في معتقله لآخر لحظة من حياته ، ولكن هكذا أراد الاله القدير ، والله تعالى في خلقه شؤون .

مرحي

### وعند جهينة « يوسف » الخبر اليقين

أو تذكر الفتى الناجي يوسف وطلبه أن يذهب إليه ليؤول له حلمي الملك :

آ (٤٥) ﴿ وقال الذي نجا منها ، وأدكرَ بعدَ أُمَّة :

نا أنبيسِكُم بتأويله ، فأرسلون ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية الخامسة والاربعون فقام الجان عبدالسلام لتركاني وقال :

سمع الملك الريان جواب ( الملاء ) فقال : سبحان الله ، ما هذه الحادثة التي

آ (٤٥) تذكر الفتى التاجى يوسف وطلبه الزهاب اليه ليسأله تأويل حلمي الملك ٨٧٠١

هي أعقد من ذنب الضب ، وإن أعجب ، فمجب أنكم تقولون عنها انها أضغاث أحلام ، ثم تقولون ما أتم بتأويل الأحلام بعالمين ( و ) عند ذلك ( قال ) الفتى ، رئيس السقاة ( الذى ) كان في السجن مع يوسف ثم ( نجا منها ) من القتيين من القتل ( وادكر ) تذكر يوسف وما شاهد منه ، ولكن مع الأسف انما كان تذكره ( بعد أمة ) بعد مدة طويلة ، وذلك أنه حين حكي الملك الريان رؤياه واستفتى فيها الملاء ، وأعضل على الملاء تأويلها ، تذكر التاجى يوسف وتأويله . رؤياه ورؤيا صاحبه رئيس الخبارين ، كما تذكر أيضاً طلب يوسف اليه أن يذكره عند الملك ، قال : ( أنا أنبئكم ) أخبركم ( بتأويله ) بواسطة من عنده علمه وهو الفتى العبراني خادم فوطيفار رهين السجن ( فأرسلون ) أي قابضوني اليه لأسأله . ومروني باستعباره .

( وقال الذي نجا منها . . . الخ )

— ١ —

ثم قام الحاج عبد القهار الألباني (١) والى المقال التالى :

تذكر الفتى التاجى يوسف وطلبه الزهاب اليه ليستعبره علمي الملك

سمع رئيس السقاة ( نبو ) سوآل الملك الريان وجواب ( الملاء ) السلي ، فصار يضحك في قلبه على جهلهم ، ويقول بينه وبين نفسه : ( إن هؤلاء الملاء ، هؤلاء العلماء الرسميين ، لم أضعف من أن يقدرُوا أن يعبرُوا رؤيا الملك ) ، ثم ما عثم أن تذكر يوسف العبراني ، فقام ووقف أمام الملك وركع بين يديه وكفّر وقال : ( أيها الملك المعظم ، ماهؤلاء وذاك ؟ . اعط القوس باريها ، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ) .

(١) سبة الى بلاد الالان الكائنة بين اليونان وايطاليا .

( أنا ) بصفتي كوسيط ( أنبئكم بتأويله ) بكل تدقيق وتفصيل ، على أهون سبيل ، فإن في معتقل الخاصة كهلاً فاضلاً صالحاً ، كثير العلم كثير الطاعة ، كنت معتقلاً معه أنا ورئيس الخبازين ( بحك ) (١) ، وكان كلانا رأى حلاً ، فقص كل منا حله على هذا الانسان ، فذكر لنا تأويلها بأسرع من لمح البصر ، وليس هذا هو العجيب ، بل العجيب أنه صدق في تأويل كليهما ، وما أخطأ في حرف واحد . فإن رأى جلاله ربي الملك أن يعثني إلى سجن الخاصة ، ويصحبني بمن يسمع وبمي . معي ما يقوله ذلك السجين فقلت ورجعت بالجواب الوافي الذي يرد الغلة ، ويشفي من العلة .

وهكذا هتف الشرايبي بمدح يوسف وأفاض فيه ، حتى ألبسه ثوباً فضفاضاً من الاعجاب والتقدير ، وكانت تلوح على فمه آيات الصدق والاخلاص ، فلذلك قال له الملك : ( ليكن كما تحب ، وليذهب معك من أردت ، دونك ما بدا لك ) فسار في كوكبة من رجاله الى يوسف السجين .  
وهنا ملحوظات أربع :

### ثمرة الاحسان

الملحوظة الأولى - تعلم من هذه الآية أنه ما دلّ عليك مصر على يوسف الصديق ، وعرفه بفضله إلا ذلك المصري ( رئيس السقاة ) ، لما سبق أنه سمع منه الحكمة والفوائد الجليلة ، مع ما عهد له إليه يوسف من ذكره الميكة ، فأعمر عنده الاحسان ووفى بالوعد ، وإن كان بعد طول العهد .

### الحكمة من صرف الله اللأعن عن تأويل رؤيا الملك

الملحوظة الثانية - لقد صرف الله اللأعن عن تأويل رؤيا الملك ، وجمد أفكارهم

(١) وفي رواية يسمى « ملحب » .

عن فهمها ، وألجم ألسنتهم عن بيانها ، حتى يسمع « الساقى » فيطير بها ليوسف ويقضى الله أمراً كان مفعولاً .

### التدابير الالهية وجهل الملائ

الملحوظة الثالثة — بالبلاهة والسذاجة ! ألمذه الدركة يكون الجهل في هؤلاء الملائ ؟ .. أين علماء « صوعن » ؟ .. أين سحرة « تانيس » ؟ .. أين حكام « الوجه البحري » ؟ أين فلاسفة « الوجه القبلي » ؟ .. أين حازة « المديرية الشرقية » ؟ .. أين عافة « بوسطة » ؟ .. أفلا يوجد واحد على الأقل في هؤلاء يقدر أن يعبر حلمي الملك ؟ .. لكن هي التقادير والتدابير الالهية صرفت هؤلاء عما هو بسيط ، وجعلتهم يجهلون ما هو غاية في السهولة ، حتى يحتاج الريان لمراجعة ذلك السجين المبراني ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

### الفتى الناجي ينعمى الملائ

الملحوظة الرابعة — رأى « رئيس السقاة » أن هؤلاء « الملائ » حوّلوا رؤيا الملك عن جهة كونها رؤيا معتبرة قيمة تستحق التعبير — الى جهة كونها حلماً ليس له قيمة ، وليس له اعتبار ولا تعبير ، بل هو تخاليط وخيالات ، ثم رآهم أيضاً يتصلون من معرفة التعبير مطلقاً — فلذلك قال : ( أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ) .

## استيعار رؤيا الملك من يوسف

آ (٤٦) \* . . . يوسف ، أيها الصديقُّ ، أَقْتِنَا فِي سَبْعِ  
بِقَرَاتِ سِمَانٍ ، يَا كُلَّهِنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ ، وَسَبْعٌ سُنْبُلَاتٍ  
خُضْرٍ وَأُخْرَ يَابَسَاتٍ ، لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَعْلَمُونَ . \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية السادسة والاربعون فقام مولانا احمد  
حسن الهندي الكلكتي<sup>(١)</sup> وقال :

وافق الملك وحاشيته على إرسال « رئيس السقاة » الى يوسف ، ولما أتاه ، قال  
له : يا ( يوسف أيها الصديق ) البليغ في الصدق ، لقد تعودنا أن نسمع حديثك اللذيذ  
وفنواك الصحيحة ، التي ذقت أحوالها وترفت صدقها في تأويل رؤياي ورؤيا  
صاحبي ، حيث قد جاءت كما أولت لنا ، فترجوك الآن (أفتنا في سبع بقرات .. الخ)  
وان أمكنك أن تكون القتيا في هذه الجلسة بذاك هو المطلوب ، حيث الحاجة  
ماسة والمسألة مستعجلة ... ( لعلني أرجع الى الناس ) وهم الملك وحاشيته ( لعلهم  
يعلمون ) التأويل أو يعلمون فضلك ومكانك من العلم ، فيطلبوك ويخلصوك من محنتك .  
( يوسف أيها الصديق ، أفتنا في سبع بقرات سمان .. الخ )

١ -

وقال السيد حسن الساهراني<sup>(٢)</sup> :-

الغنى النامي يقابل يوسف ويعتبره رؤيا الملك

قام رئيس السقاة يدوق زهابه ، حتى لراه يكاد يخرج من إهابه ، وذهب

(١) نسبة الى كلكتا احدى مدن الهند . (٢) نسبة الى سامراء بلدة في العراق .

الى سجن يوسف ودخل عليه قائلاً :

« يوسف » قبل كل شيء أطلب إليك الصفع ، فقد كنت أدتبت حياك ،  
لأنني أنسيت أن أذكرك لربي ، وما أنسانيك إلا الشيطان أن أذكرك ، ( أيها  
الصديق ) لله أبوك ، لك الله من رجل صدق ، رجل حذق ودكاء ، لك الله من  
رجل جمع الى الاحسان في عمله ، الصدق في رأيه وقوله ، أريد أن أجتديك ،  
وأعتني فضلك ، فقد أتيت لك بمهمة ذات بال : أفتنا وأنر ظلمة نفوستنا ، وبين لنا  
الرمى في رؤيا سبع بقرات سمان اللحم وحسنة الصورة ، طلعت من النهر فأرتمت  
في روضة فأكلتهن سبع بقرات مهزولة وقبيحة الصورة جداً ورقيقة اللحم ، لم  
أنظر في كل أرض مصر مثلها في القباحة ، طلعت البقرات الرقيقة القبيحة من  
النهر وراء تلك السبع الأولى فأكلتها ودخلت أجوافها ، ولم يعلم أنها دخلت أجوافها .

ثم أفتنا في رؤيا نانية أيضاً ، رؤيت بعد الأولى في ليلة واحدة وهي سبع  
سنابل خضر طالعة في ساق واحدة ممتلئة وحسنة ، وسبع سنابل أخر يابسات  
ورقيقات ثابتة وراء تلك ، ملفوحة بالريح الشرقية الجنوبية ، المعروفة بريح الخمسين  
تأتي لمصر من صحارى بلاد العرب اليابسة ، فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل  
السبع الحسنة ؛ هذا هو الحلم الذي استعجم علينا مآله ، والتبكت تفسيره ، فأدني  
من فضلك وخلاك كتمان العلم ، لأنني سأرحع الى الملك « الريان بن الوليد » وهؤلاء  
الذين من حوله ، فأطلعهم على علمك وفضلك ، فتصير بالطبع تحت الطلب ، وأنا  
لا أكلفك بتوقيع الجواب عن سؤالي اعتباراً ، بل لداع هام منحصر في دائرة ،  
وهي علم الملك وحاشيته بتأويلك ، فعلمهم بفضلك ، فخرجك من السجن ، فهذه  
الفتوى ليست مجانية ، بل مأجورة ، وأجرتها ما قد علمت ، فقد عودتنا  
الاحسان منذ القديم ، فجدد بفتواك اليوم سالف إحسانك ، وألحق النعمة



٨٧٦ الشراي ينبه يوسف الى سابق محبته له بدعوة اياه باسمه ولقبه آ (٤٦)

الأخيرة بأولها ، وأنت تعلم أن (الساكت بين التائم والاخوس) فترجوك الجواب ،  
ولك من الله الثواب .

فلما سمع يوسف ذلك رأى وهو في ظلمات السجن ، دقوا سلامته يشرف عليه  
كالقبس في الديجور ، وتفاهل من جحي رقيس السفاة خيراً وفرجاً قريباً .

( يوسف أيها الصديق ، أنتنا في سماع بنوات .. الخ )

— ٢ —

وقال مولاي عبد الحفيظ التونسي :

سوف أقصر كلامي على هذه الآية بالملحوظات التالية :

**الشراي ينبه يوسف الى سابق محبته له بدعوة اياه باسمه ولقبه**

الملحوظة الاولى — نجد أن « الشراي » قد بفت يوسف يذكر اسمه ولقبه ،  
لينبه الى صحبته له سابقاً ، ومعرفة به وحاله ، ويلفت فكره الى ما كان سبق  
من عبارته رؤياه ، وصدقه فيها .

**كرم افهراق يوسف بدم صائبه الشراي لدم قيام بما طه طلبه منه**

الملحوظة الثانية — كان « الشراي » يتوقع أن يوسف سيذكره بما كان  
رغب اليه فيه ، ويعاتبه على عدم قيامه به ، ولكن يوسف عليه السلام لم يفعل ،  
إما ترفعاً عنه ، أو كرم أخلاق منه .

**لقب يوسف**

الملحوظة الثالثة — لقبه « بالصديق » لأنه كان جربه في عبارة حلمه وحلم  
رئيس الخبازين ، فوجده صادقاً وصادقاً ، ولقد حفظ له التاريخ هذا اللقب ،  
واعتبره منذ ذلك الوقت إلى اليوم ، فكلمة ( صديق ) هي الكلمة الوحيدة التي  
تأتي دائماً بعد كلمة ( يوسف ) ، عندما يراد ذكره ، أو ترجمة حياته الشريفة ،

وفي صدد تلقيه (بالصديق) نرى إخوته لقبوه (بالعزيز) حيث قالوا له ، لما دخلوا عليه في السفرة الثالثة (ياأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر . الخ) ( آية ٨٨ ) ولا بد أن يكون هذا . قد صار لقباً رسمياً له من حين أن جعل في الحكومة المصرية ثاني الملك ، كما كان قبله ( فوطيفار ) ، ثم هو بجعله على خزائن الأرض طبعاً قد صار ( ناظر مالية عاماً ) ، ونرى في بعض كتب التاريخ القديم أن ملك مصر وجه له لقب ( صفقات فتيح ) حيناً رآه قد أحيا أهل مصر ، وخلصهم من عذاب الجوع ، لأن هاتين الكلمتين مصريتان ، معناهما على ماقاله ( القانون كوك ) : ( طعام الحياة ) أو ( قوت الأحياء ) ، وفسرها آخر ( بمخلص العالم ) والمعنى على التفسيرين أن يوسف كان علة قوت الأحياء أو طعامهم وإنقاذهم من الموت ، بما أتاه من خزن الحنطة إلى زمن القحط ، فهذا هو رابع الألقاب ، ونرى ليوسف عليه السلام في القرآن الكريم لقباً خامساً ، وهو ( رسول ) ، كما قال مؤمن آل فرعون : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ ، قُلْتُمْ : لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ ( ٤٠ : ٣٤ ) وما يستحق الانتفات أن هذه الألقاب الخمسة كانت مؤسسة على أعمال صدرت منه استحقتها بحق ، بدون سعي منه ، أو توسط بمن يلزم ، أو دفع رشوة لأولياء الأمر أو ابتياع الاسماء والألقاب والرتب كما يفعل كثيرون من المتمجدين من أهل اليوم . . . !

### اخفاء رئيس السقاة اسم الملك عن يوسف

الملحوظة الرابعة — مما يستحق الذكر أن رئيس السقاة لم يبين ليوسف من هو الذي رأى هذه الرؤيا ، وتتمياً لهذا التستر ، تجده ذيل استفتاءه بقوله ( لعلي أرجع إلى الناس ، لعلهم يعلمون ) عبر بهذا بدلاً من أن يقول : ( أفئنا في

رؤيا رآها الملك وهي كيت وكيت ، ثم يذبل سوآله بأن يقول : لعلي أرجع إلى الملك لعله يعلم ) ، فما هي النكتة يلترى في ذلك ؟ . . . وعتدنا أن الداعي لذلك هو أن رئيس السقاة خاف من يوسف لو علم أن الحلم هو حلم الملك أن لا يؤوله إلا بعد خروجه من السجن ووقوفه أمام الملك ، مشروطاً بذلك ، توصلأ لخروجه من معتقله فلما ظن ذلك ، وهو حريص على تأويل الحلم ، وحريص أيضاً أن يسمع الملك تأويل حلمه ليس من قم يوسف ، بل من فمه ، لينال حظوة عند الملك بذلك ، فلماذا ستر الحالم سترأ ، ودحر تفصيل الواقعة دحراً .

### معنى الرفاء

الملحوظة الخامسة - أفتاه في الأمر : أباه له ، وأخوات هذه المادة تشير للكشف والظهور ، وذلك مثل فت ، فنج ، فر ، فض ، فتق ، فتك ، فتن ، فكل ذلك يرمي لمعنى البيان والوضوح والكشف ، وبعد لم يقل كما قال هو ( الخباز ) أولاً ( قبثنا ) لما عاين من سمو رتبة يوسف ، وجرب من علو فضله سابقاً ، لأن هذه المادة تشعر بذلك ، فان ( الفتى ) يطلق على السخي الكريم ، ( والفتوة ) هي الكرم .

### معنى الصديق

الملحوظة السادسة - الصديق : من غلب عليه الصدق وعرف به كالسكر لمن غلب عليه السكر ، هذا إذا لوحظ أخذه من الصدق ، كما هنا ، وقد يلاحظ في موضع آخر أخذه من التصديق ، وهو المبالغة في تصديق الأنبياء وكال الايمان بهم ، وذلك كما في لقب « الصديق » لأبي بكر رضي الله عنه ، ومن اطلاق « الصديق » بالمعنى الأول ، قوله تعالى : ﴿ واذكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبرَاهِيمَ ، إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ ( ١٩ : ٤٦ ) . وقوله تعالى : ﴿ واذكُرْ فِي الْكِتَابِ

إدريس ، إنّه كانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ﴿٥٦:١٩﴾ ومن قبيل إطلاق الصديق بالمعنى الثاني قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ ﴿٧٨:٥﴾ بدليل : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ﴾ ﴿١٢:٦٦﴾

ويطلق الصديق على كل من آمن بالله والرسول كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ ﴿١٩:٥٧﴾ فمن هذه الآيات الكريمة نعلم أن كلمة « صديق » اطلقت في كتاب الله تعالى على إدريس وإبراهيم ويوسف ، بمعنى ، ثم على مريم وكل مؤمن بالله والرسول بمعنى آخر .

هذه كلمة ولنا كلمة أخرى ، وهي أن الصديق رتبة من أربع رتب رسمية ، ولقب من ألقاب أربعة سماوية ، وهي نبي ، صديق ، شهيد ، وصالح ، وهؤلاء الأربعة هم المتعم عليهم في قوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ﴿٦:١﴾ والدليل على ذلك كله قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ؟ ﴾ ﴿٦٨:٤﴾ .

### وجوب التزام الادب عند مخاطبة النبي (ص)

الملحوظة السابعة — قال علماؤنا : يجب الأدب مع النبي ﷺ في حين خطابه ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ ﴿٦٣:٢٤﴾ ، فلا يجوز أن يخاطب بإيحاء أو بأحد ، ولكن بلقب الرسول والنبي ونحوها مما فيه احترام له عليه السلام ، ولو قيل : يا محمد خاتم النبيين مثلاً ، جاز ، لأنه وإن يكن نداء باسمه ، لكنه قد أتبع بلقب احترام .

ولقد التزم « الشرايبي » الآن هذا الأدب مع يوسف عليه السلام حيث أتبع

لفظ العلم بلفظ اللقب .

## قوله لعلمهم يعلمون بدل اشتغال من قوله لعلي ارجع الى الناس

المحوظة الثامنة — ربما كانت قوله ﴿لعلمهم يعلمون﴾ يدل اشتغال من قوله ﴿لعلي ارجع الى الناس﴾ ، والله أعلم .

### الوجاز في القرآن

المحوظة التاسعة — يوجد بين قوله : ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ وقوله : ﴿يوسف ، أيها الصديق .. الخ﴾ إيجاز لطيف مقبول معهود ، والمعنى :

أنا أنبئكم بتأويله ، فإني أتذكر اليوم أن حضرة الملك لا سخط عـ. ليّ وعلى «النجاز» وجبنا ، رأى كل منة حلماً ، وكان في الحبس غلام عبراني ، عبد «لعزير مصر» فقصصنا عليه ما رأينا فبره لنا ، وكما عبر حدث ، إذ ردتني الملك الى مقامي ، وأما «النجاز» فمئتن ، فلا أعلم أحداً أصدق منه عبارة للعراقي ، فأرسلوني اليه لاستعبده ، فأرسل إلى يوسف ، فأناه فقال له : «يوسف أيها الصديق الخ» ، ولهذا نظائر في اللغة العربية وفي القرآن الكريم ، لا تحصى كثرة ، وهي في القرآن نحو الـ ٥٠٠ أو تزيد ، واليك بعض الأمثلة .

١— قوله تعالى : ﴿فسجدوا لإلا إيليس آبي واستكبر» وكان من الكافرين -  
وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴿٢: ٣٥ و٣٤﴾ .

٢— قوله تعالى : ﴿وإذ قال موسى لقومه : يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم ، فاقتلوا أنفسكم ، ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ، إنه هو التواب الرحيم ﴿٢: ٥٤﴾ ، والمعنى ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم .

٣— قوله تعالى . ﴿وإذ استسقى موسى لقومه ، فقلنا : اضرب به عصاك

الحَجَرِ ... فانفجرت منه اثنتا عشرة عَيْنًا ﴿٦٠:٢﴾ والمعنى قُضِرَ فانفجرت.

٤ - قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ..... ﴾ ( ١٧٣:٤ و ١٧٤ ) والمعنى .  
وأما الذين كفروا بالله واعتصموا بالطاغوت ، فسيدخلهم في نقمة منه وغضب ، ويسلك بهم الصراط الأعوج .

٥ - قوله تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ... أَنْ تَضَلُّوا ﴾ ( ١٧٥:٤ ) ومعناه .  
كراهة أن تضلوا .

٦ - قوله تعالى : ﴿ لَا يَأْخُذُكُمْ اللَّهُ بِاللِّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ ... فَكُفَّارَتُهُ .. الخ ﴾ ( ٩٢ : ٥ ) ، والمعنى ولكن .  
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اذا حثتم ، فكفارته الخ .

٧ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ ، فَعَلَيْي إِجْرَامِي ... وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ ( ١١ : ٣٥ ) يعني ولم يثبت ذلك ، وأنا بريء من إجرامكم في .  
امتناد الافتراء الى .

٨ - قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ .. ﴾ ( آية ١٥ ) ، جواب « أَسَا » محذوف ، ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الأذى .

٩ - قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ... وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ . الخ ﴾ ( آية ١٨ و ١٩ ) ، فهنا كلام محذوف تقديره ، وبعد أن ذهب آباء الأسيباط .  
لأبيهم ، ونعوا له أخاهم ، وقال أبوهم ما قال ، ومضى مدة من الزمن ويوسف في الجب .  
« جاءت سيارة الخ » .

١٠ — قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا وَارِدَهُمْ . . . فَأَدَّتْ كَيْدَ وَهْمِهَا . . . قَالَ يَا بَشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾ ( آية ١٩ ) ، والمعنى أرسلوا واردهم ، فذهب حتى وصل الجب ، فأدلى دلوه ، فتملق يوسف بالرشاء ، فلما خرج إذا هو بقى أحسن ما يكون ، فقال يا بشرى الخ .

ويوجد في كتاب الله تعالى الشيء الكثير من هذا القبيل الذي لو تتبعناه لخرجنا عن الصدد وفيما ذكرنا كفاية للمستبصرين .

### تأويل يوسف لرؤيا الملك

آية ( ٤٧ ) : « قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا ، فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ » .

افتتحت الجلسة وتليت الآية السابعة والأربعون فقام السيد صدر الدين

الدمشقي وقال :

( قال ) يوسف مخاطباً الشرايبي : أريد أن آتيك بالتعبير على وجهه ( تزرعون ) أي ازرعوا جميع أراضيكم ( سبع سنين دأباً ) — بسكون المهززة وتحريكها وهما مصدر اذاب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين إما على تدأبون دأبا ، وإما على إيقاع المصدر حالاً بمعنى ذوي دأب فتأتي زرع أخصب زرع وبربيع أحسن ربيع حتى أن قطعان الغنم تختفي عن الأبيصار بين أعشاب الربيع وحتى أن الجاموسة بطولها تمنجب في المراعي بين الأعشاب ذلك لعظمة قوة النبات وجودة التربة وكثرة الإبل في تلك السنين ( فما حصدتم فذروه ) اتركوه وأبقوه ( في سنبله ) لئلا يتسوس ( الا قليلا مما تأكلون ) ، فهذا لا بأس أن تدرسه وتذروه وتخرجون

حبه وتميزوه من تبنيه تهيئونه لأجل أكلكم وقوتكم ، وبما أن هذه المسألة مسألة أساسية ، حيوية ، ينبغي لكم أن تعتوا بها ولا تخالفوا ما قلت لكم .

( قال : تزوعون سبع سنين .. الخ )

— ١ —

ثم ألقى العلامة الديري<sup>(١)</sup> البيان التالي :

### تعبير يوسف لرؤيا الملك يسط التدبير اللازم

جاء الشرايبي بمن معه من الجند ، وقص على يوسف تلك الرؤية ، فلما سمع منه يوسف ذلك ، لم يكن إلا كلعج البصر أو هو أقرب ، حتى أمعن في بيانه وجوابه وقال : على الخبير سقطت ، ولا ينبئك مثل خبير ، إن هاتين الرؤيتين مستحدثتان تبدلات خطيرة في الموقف الحاضر ، إذ السماء نظمت برنامجاً جويّاً أرضياً وسوف تطبقه عليكم ، ولا مفر من ذلك ولا محيص غير أنه يمكن تخفيف وطأة مواد هذا البرنامج السماوي ، فإذا كان قدراً قابلاً بقاءه بقدر مثله ، وهو العمل على تلطيفه ما أمكن ، ولذلك أقول لكم تأتي على مصر أولاً سبع سنوات هي سنوات جدب وقحط هي موت زعاق ، تفعل في الناس ولا فعل الحروب والأوبئة ، إلا إذا تُدورِكَ هذا الخطب الجلل ، وتتلطّف هذا البلاء العظيم ، بحسن التدبير والحكمة ، والاقتصاد القويم ، فهذه طريقي تضمن لكم الفوز ، وتؤمنكم من الخطر الذي يريد أن يحدق بكم فازرعوا كمادتكم سبع سنين دأباً ، عادة مستمرة ، كما كنتم تزرعون سائر السنوات السابقة قبلها ، بدون أن يتخلل تلك السبع سنة واحدة بغير زراعة يأن تتركوا الأرض بوراً مثلاً فما جززتم وقطعتم بالمنجل فذروه في سنبله

(١) نسبة الى دير الزور من بلاد الشام « سورية » .



لثلاثين سنين إلا قليلا ، أي يسيراً ، فإنه لا بد لكم من فصله عن منبته واخراجه منه لأجل أكله ، الأمر الذي يعوزكم لوجود عامل صاحب مهمة عالية ، ينشطكم للاعمال الزراعية و تميمها وتقوية أصحاب الأراضي وتفهمهم ما يترجم عمله .

### سرعة اجابة يوسف بتعبير رؤيا الملك دون قيد ولا شرط

وتابع العلامة الديري قوله : إن لي على ما سبق ذكره ملحوظة واحدة وهي أن يوسف ( ع ) أجابهم على القور ، ولم يشترط أن يخرجوه لقضاء ذلك ، لأنه كريم ، وشأن الكريم عدم الإبطاء والاختلاص في الاعطاء . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( ما أتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه ) ، وعن علي كرم الله وجهه : ( ما أخذ الله على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا ) ، وقال المسيح عليه السلام للحواريين : ( مجاناً أخذتم ، مجاناً أعطوا ) وبسبارة أخرى : إنما أفناه يوسف مع إنه كان عهد إليه بتوسطه له عند ملك مصر ولم يفعل ، وإنما بسط له التدبير اللازم وكيفية تلطيف هذه الأزمة التي سنحل بالمصريين ، مع أن المصريين هم الذين سجنوه ظالماً ، لأن النصيحة من الإيمان ، وكاتم العلم ملعون ، ولأن الذي سجنه إنما هو واحد فقط وهو « فوطيفار » ، وكذلك الذي نسي أن يذكر حال يوسف ومظلمته للملك إنما هو أيضاً واحد ، وهو « الشراي » ، وكيف يبخل يوسف بالعلم وحسن التدبير ، بذنب رجل أورجلين ؟ ( مرحي )

( قال : تزرعون سبع سنين .. الخ )

— ٢ —

ثم قام المحقق الانطاكي<sup>(١)</sup> وقال ليسمح لي السادة الافاضل بالتحقيقات

(١) نسبة الى انطاكية من بلاد الشام « سورة » .

التالية لشأن سياسة يوسف في مجاعة مصر وفي بعض الالفاظ التي وردت في هذه الآية الكريمة :

### تدير يوسف الاقتصادي لاهل مصر

١ — وضع يوسف هذا التدبير الاقتصادي لأهل مصر ، في ذلك العصر لقلة طرق المواصلات ، وضعف وسائل النقل البرية والبحرية ، إذ لم يكن أمن مستتب بين مملكة وأخرى ، كما لم يكن هناك سفن بخارية في البحر ولا سكك حديدية في البر ، فلذلك كان إذا حصل قحط في جهة من الجهات أثر عليها تأثيراً كبيراً ، أما لو كانت الحال على ما نحن عليه اليوم من اتصال الممالك بعضها ببعض ، وتسهيل طرق التجارة برأً وبحراً وجواً وتيسير أسباب النقل بسرعة ، لما كان لذلك القحط تأثير يذكر .

### ملكية الحاصلات في مصر

٢ — تنص هذه الآية أن يوسف أمرهم بادخار جميع الحاصلات في سبع سنين الخصب في سنابلها ، والظاهر أن هذه الحاصلات هي ملك لأربابها الأهالي ، وأما الحكومة فلا سيطرة لها عليها إلا بأن أجبرتهم على هذه الطريقة أو شوقتهم اليها وحببتهم فيها ، هذا ما تعلمه من كلام الله تعالى ، وللمفسرين ههنا نقول في كيفية خزن الحكومة لهذه الحاصلات ، ثم يبعها للأهالي بالقضّة حتى نفذت ، ثم بالماشية والخيل والحمير حتى نفذت ، ثم بيعت لهم بأرضهم وأنفسهم بأن صارت الأرض ملكاً للحكومة ، وصاروا هم عبيداً للحكومة ، فكتاب الله تعالى لا يشير لشيء من هذا ، بل ظاهره يناقض ذلك ، وإنما هو شيء نقلوه من ( تك ص ٤١ : ٣٤ — ٣٧ و ص ٤٧ : ١٣ — ٢٦ ) ونحن إذا تعارض كتاب الله مع سواه من التواريخ يجب علينا الرجوع لكتاب الله فقط ، ورفض ما يخالفه ، والله أعلم .

## الخبر في معنى الأمر والانشاء في قوله ( ترزعون )

٣- قوله ( ترزعون ) خبر في معنى الأمر والانشاء كقوله : ﴿ قَوْمِ تَوَلَّوْا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ لَكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ ، . الخ الآية ﴿ ( ٦١ : ١١ و ١٢ ) ، فهو خبر في معنى الأمر ، ولهذا أجيبه بقوله : ( يغفر لكم ) ، وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاب الأمور به ، فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه ، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله : ( قدروه في سنبله ) .

وهذا أسلوب عربي قد جرى عليه القرآن كثيراً ، لو لاحظ المفسرون لما وقعوا في كثير من الآيات في حيص يص ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ ( ٢ : ٢٧٢ ) وقوله تعالى : ﴿ لَا تَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ( ٥٦ : ٧٩ ) وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ مَا كُنَّا لِنَمَسُّهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ ( ٢ : ١١٤ ) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ( ٣٣ : ٥٣ ) وقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ ( ٤ : ١٤٠ ) وقوله تعالى : ﴿ قَانَ اعْتَرَلَوْكُمْ فَلَمْ يَتَّقَا حُلُوكُمْ ، وَاتَّقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ ، فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ ( ٤ : ١٨٩ ) وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ؟ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ ( ٦١ : ١١ ) وقول النبي ﷺ : ( لا يزال هذا الأمر في فريش ، عاتي من الناس اثنان ) .

### ادخار الحنطة

٤ — أشار بقوله ( فذروه في منبله ) إلى رأي قافع بحسب طبيعة طعام مصر ونواحيها وحنطتها التي لا تبقى عامين بوجه ، إلا بحيلة إبقائها في السنابل ، فلذلك بقيت فيها . حفظت ويكون قصبه علفاً للدواب .

### السنين والاعوام

٥ — أراد ( بالسنين ) السنين الشمسية ، لأن الموضوع موضوع زراعة ، وهي مركبة على السنة الشمسية ، فالمصريون هم أول من عرف بالسنين الشمسية ، لأنهم أول أمة اهتمت إلى معرفة الزراعة ، فلما مارسوها احتاجوا إلى سنة فلكية : لاتغير فيها أوقات الفصول ، فعرفوا السنة الشمسية ، وقد كانت الزراعة ولا تزال هي الوسيلة الطبيعية لمعيشة المصريين وسعادتهم ، وكان أهم ما زرعه الشعير ثم القمح ثم الكتان والذرة ، وبعد ذلك صاروا يعتنون بزراعة القطن .

ثم إن لفظ ( السنين ) يستعمل لسني الجذب والقحط ، ولفظ الأعوام يستعمل في أعوام الخصب والخير ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (٢٩: ١٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ بِقُدْرَتِنَا لِيُكْفِرُوا ﴾ (٧: ١٣٩) ، ومنه الحديث في صحيح مسلم : ﴿ إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخَصْبِ ، فَاعْطُوا الْإِبِلَ حِظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ فَاسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ ﴾ ، وإنما لم يعبر يوسف بكلمة « أعوام » . ههنا ، بل عبر بكلمة « سنين » ، مع ان هذه السنين هي سنو خصب وخير ، لان هذه القاعدة انما يجري عليها في غير مقام العدد والاحصاء ، أو لأن اللغة العبرانية ، لاتعنى بهذا الفرق الدقيق الذي هو من مزاي اللغة العربية ، أو يقال : إن هذه القاعدة غالباً لا مطردة .

## اقسام الاحلام الصحيحة

٦- قد علم من تعبير يوسف حلمي « الملك » وحلمي « الشرايين » ود الحياز « إن الاحلام الصحيحة على ثلاثة اقسام : متها مائة رت حتماً ، نظير حلم رئيس اسفاة السابق ، ومنها ما يسوء صاحبه قطعاً ، وليس له رد ولا فيه حيلة ، ومثاله مارآه رئيس الخبازين ، ومتها مالا يدعو الى السرور ، وربما خيف منه إذا لم تستعمل فيه الحكمة ، ويفعل فيه ما يلفظه ، مثل حلمي « الملك » ، المذكورين ، فهو كما قلنا لا يدعو الى الفرح والاطمئنان ، ولا يرتاح له القلب ، لكن إذا وثق فيه الانسان لاستعمال الحكمة وسلوك سبيل الاقتصاد وتدبير هذا الحادث الهام ، تطلقت هذه النازلة ، فمارآه « الملك » هو من قبيل القضاء الساهوي الذي يمكن تخفيفه بالاطراف الالهية ، على يد عبيده الحكماء ، أهل البصر والبصيرة ، على حسب ما أشار اليه يوسف عليه السلام .

## معنى الدأب

٧- أصل الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه واجتهد ، وعليه فمناه تجدون في هذا الأمر ، وتصرفون فيه عنايتكم ، وتفوفون فيه مجهودكم ، وقد يوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله ، فيكون معنى العادة واللبدن ، وحينئذ تقيد المادة الدوام والاستمرار ، أي ترعون سبع ستين ، على حسب عادتك وشأنكم وسابق عملكم ، قال تعالى : ﴿ كذأب آل فرعون ﴾ (٣: ١٣٣) وقال : ﴿ مثل دأب قوم نوح ﴾ (٤٠: ٣١) أي مثل عادتهم الجارية المستمرة الدائمة ، ويجوز أن يكون لفظ « دأباً » هنا ، ظرفاً زمانياً ، بمعنى دائماً لأن « الدائب » هو الدائم والمعنى : دائماً في كل مدة السبع سنين ، كما قال : ﴿ وسخر

لكم الشمس والقمر دابّين ﴿ (١٤: ٣٣) أي يدأبان في سيرها ، ويجدان على مدى الأيام .

والحاصل إن لكلمة « دأباً » ثلاثة معان في اللغة : المعنى الأول ، الجد والتعب ، والمعنى الثاني « السّوق الشديد » والمعنى الثالث ، الشأن والعادة ، وهذا المعنى الثالث هنا ، يرجع للمعنيين الأولين ، لأن شأن أهل مصر وعوائدهم المعروفة عنهم في الزراعة ، هو الجد والتعب فيها والسوق الشديد .

فالمصريون أول من عُني بالزراعة ، كما ذكره المؤرخون ؛ وبالنتيجة ، فكل واحد من المعاني الثلاثة للكلمة « دأباً » يرمي الى التوصية بالنشاط والعناية في واجبات زراعتهم لمدة السنين السبع ، وهذا أمر لازم وضروري جداً لأن الاتكال على الطبيعة وحدها لا يكفي .

( إذا ذكر المحققون خيلاً بالفاضل الانطاكي )

### تممة تعبير يوسف لرؤيا الملك

آ (٤٨) ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ، يأكلن ما قدّمتم لهن ، إلا قليلاً مما تحصنن ﴾

استمر انعقاد الجلسة وتليت الآية الثامنة والاربعون فقام مولانا ناصر

الدين التونسي وقال :

أضاف يوسف الى قوله السابق قوله : ( ثم يأتي من بعد ذلك ) سنون (سبع شداد ) جمع شديدة ( يأكلن ) أي يأكل أهلهن من الاستناد المجازي أي جعل  
أكل أهلهن مستنداً اليهن - ، ( ما ) كنتم ( قدّمتم ) وادخرتم ( لهن ) وهو الذي

تركتموه في منبلة سابقاً (الإقليد) مما تحصون) تحرقوت وتخبثون لأجل  
بذر الأراضي في العام الخامس عشر .

في هذه الآية تابع يوسف عليه السلام نعيم رؤيا الملك بقوله تأتي ببد  
سني الخصب السبع السابقة سنون سبع شداد ما بين حمر ، و بين ييض ، فيجذب  
فيها الأرض ، ويقبل ماؤها ، وتغار عيوتها ، ويذوي قبتها ، وييسر شجرها ، فلا  
وابل ولاطل ، ولارش ولارذاد ، سنون سبع شداد تأتي باللازبة ويحم الناس  
فيها العدم ، سبع شداد حافة ، حارقة ، تأتي على الزرع والصرع ، ويخمس فيها  
القطر ، ويجف النيل ، ويسوء أثرها في الانسان والحيوان ، أرض جوزة  
وغمام جهام ، سبع سنون شداد ، يجر فيها الشجر وتهلك الاموال ، وتقطع السبل  
ولا يرى في السماء قزعة ، سبع شداد ، يأتين على الاخضر والبس ، ويهلك  
الحرث والنسل ، ويضعفن الاتسات والحيوان ، حتى كانه يجبل للانسان أن  
مواد الارض المتبخرة ، اصطعم بعضها ببعض ، فدافع وقتح فيها فوهات ، فخرج  
لها نارها ، من ههنا وههنا ، فحرق كل ما سبلاه من نبات وشجر وحيوان .  
سبع شداد هي البقرات السبع العجاف والسحاب السبع اليبسات ، كما أن السنين  
السابقة ، هي البقرات السبع السمان ، والسحاب السبع الخضران ، سبع شداد  
﴿ يا كلن ما قدمتم لمن ﴾ وينهب ادراج الرياح كانه ما كان الا قليلاً مما تضمنوه .  
في الحصن الحصين الذي لا يوصل الى جوفه تمرزون خيه او تخبثون او تخزخولوه  
او تدخرون لبذر الزراعة وللإعالة أيام الشتاء .

وبذلك تكونون قد تخلصتم من كابوس الجوع وبراثن اللمم ، فان علمتم يمه  
اوضحت لكم ، كفتيم شر هذه السنين الاوازم ، ولا يكون مقدماً ابواسطة .  
مرشد يهديكم مواء السبيل ، وعمقري يصلح من شؤون حاصلات الارض .

تكلم يوسف عليه السلام بهذا الكلام والسكوت سائداً في تلك الجلسة لا يبدأ

احدهم بكلام ، ولا ينطق بينت شفة ، ولكنهم كانوا يتناولون باعناقهم لاستماع فتوى يوسف وعبارته رؤيا جلالة الملك ، وارشاده لهم ماذا يعملون ؟. ولقد اعتقدوا ان فتواه هذه ليست مستندة لمراجعة أسفار تعبير الاحلام ، ولا لتعليم أحد من الناس ، ولكنها صوت من أصوات السماء ، فقبلوه بكل اخلاص ، وعندما أرادوا الذهاب قال له مندوب الملك بورك في بطن حواك ؛ وثدي سقاك، وحجر طواك ، لقد أحسنت سابقاً ولاحقاً ، فلك الشكر مرتين ، كما تفضلت اثنتين.

وحاصل القول ان يوسف عليه السلام علمهم أن يقتصدوا من السنين الاولى ويدخروا الحبوب للسنين الجديدة عملاً بقول الناس : « إخبأ درهمك الابيض ليومك الاسود »، فيكون يوسف لفت فكرهم للاقتصاد ، وهكذا فنحن نرى ان « للاقتصاد ، اليوم شأناً من شؤون بني اسرائيل (أو اليهود) حتى في حال اليسر فضلاً عن العسر.

وبعد فهل كان تدير يوسف عليه السلام رافعاً للشدة من أصلها ، بحيث لم يلحقهم في هذه السنين جوع أبداً ، أو ياترى انما كان تديره عليه السلام مصلحاً ونخفياً فقط من شدة وطأة الجوع؟

لا بل كان الشق الثاني ، بدليل حديث البخاري : ﴿ اللهم اشدد وطأتك على

مصر ، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف ﴾ ،



## يوسف يبشر بانتهاء أزمة رؤيا الملك بالبركة والخصب

آ (٤٩) ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ ، فيه يُغاثُ الناسُ ،  
وفيه يعصرون ﴾ .

تابع الرئيس انعقاد الجلسة ثم تليت الآية التاسعة والاربعون فنهض  
الشيخ الأرزنجاني (١) وقال :

قضى يوسف كلامه بقوله : ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك عام ﴾ خصيب مريع  
﴿ فيه يغاث الناس ﴾ الفلاحون — من العوت أو من الغيث ، والغيث المطر ،  
وغاث الغيث الأرض أصابها ، وغاث الله البلاد ، وبأبها باع وغيث الأرض  
تغاث غيثاً ، فهي أرض منيثة ومنيثة — ، ﴿ وفيه يعصرون ﴾ العنب والزيتون  
والسهم ونحو ذلك . يشرهم يوسف سد فراغه من تأويل حلمي الملك بأن العام  
الثامن يجيء مباركاً خصيباً كثير الخير غزير النعم ، وذلك من جهة الوحي أو من  
جهة الفهم والذكاء ، إذ من المعلوم أن السنين المجدية اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب  
( اشتدي أزمة تنفرحي ) ، و ( إن مع العسر يسرا ) ، ومعلوم أن السماء كانت في  
سني الجذب ضنطت بشدة ، على السحاب الذي هو اسفنج المطر ، لذلك ولكون  
شدة الضغط قوله الانفجار ، علم طبعاً أن السنة الخامسة عشرة هي عام خير وخير عام .  
( ثم يأتي بعد ذلك عام .. )

— ١ —

ثم قام العلامة دمشقي وقال : عندي على هذه الآية الكريمة عدة مسائل :

### عزواخبار يوسف بحسن عاقبة الأزمة الى نظام

المسألة الأولى — لما كانت السنوات المجدية سبعا ، لكون « العجاف » سبعا ،

(١) نسبة الى مقاطعة ارزنجان الواقعة في شمال غرب ايران .

وقطعاً لا تزيد على هذا العدد ، صار من المعلوم بالضرورة أن الحاصل بعد انقضاء القحط هو الخصب ، إذ ما بعد الشدة إلا القرج ، فذلك فهم يوصف أن العام الخامس عشر هو عام خير ومينر وهصر وعصر . ولكن المفسرين لا يريدون أن يحملوا ذلك من يوصف عليه السلام على مجرد الذكاء ، بل نسبوه الى الوحي السماوي كأنما الانبياء الكرام يحتاجون الى الوحي في أبسط الأشياء التي يفهمها أقل الناس فهماً ، قال الشاعر :

عسى فرج يأتي به الله إنه : له كل يوم في خليقته أمر  
عسى ماترى أن لا يدوم وأن ترى له فرجاً مما ألح به الدهر  
إذا اشتد عسر فرج يسراً فانه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

### عناية قدماء المصريين بالحدائق والبساتين

المسألة الثانية — كان المصريون القدماء يعنون بالحدائق والبساتين ، وكانت لها عندهم نظام دقيق ، تكثر به الفواكه وتفرؤ ، وكان العنب والبلح أكرم الثمار التي اشتهرت بها مصر في تلك الأزمان الخالية ( عمر الامسكندري ) .  
وعليه فكانوا يعصرون العنب والبلح ومما يعصر أيضاً الزيتون والسهمس والمشمش والريمان والليمون والورد والزهر والخرنوب والقراصيا والتوت والتفاح ، وهكذا الضروع تعصر لتحلب .

### بشرى يوسف للمصريين بحسن خاتمة الروبأ

المسألة الثالثة — وجد يوسف هذه النهضة فأحب أن يفتنمها ، وقدم له هذا السؤال ، فأحب أن يستثمر من جوابه ، فلم يقتصر على تأويل رؤيا الملك ، تأويلاً بسيطاً حسب عادة العابرين للاحلام ، بل علمهم ، بما سبق من الآيتين ، ماذا يصنعون ، ودبر لهم المخرج مما عساه أن يصيبهم ، وأخيراً ، هبتا ، بشرهم بحسن

الخاتمة ، اذ قال لهم : « ثم بعد انتهاء هذه السنين السبع بأحقي عام خير وير فيه بقاء  
الناس بالامطار ، كأنما جادت عليهم مياه المحيط ، وبه بصروت ما يعمر الاستخراج  
عصيره ، وعند ذلك يتبدل درهمكم ديناراً ، وتقلب أتراحكم أرحاماً ، وتستحيل  
أصوات الاضطراب الى أصوات سرور و طرب ؛ هذا أكبر علمي الذي وهبته  
ربي في هذا الموضوع الذي سألتكم عنه ، أو هذا الجواب الذي أستنبطه بإجتهادي  
حسب الأسس والقواعد التي علمتها ربي ، وهذه وصاتي إليكم ، فليكنم أن  
تأتمروا بها ، وإلا .. فعلى مصر السلام ، فإن هذا أمر قد قدر وقرع منه ، وصار  
عند ربكم حتماً مقضياً . »

### لطف الله بالمصريين عهد يربوسف

المسألة الرابعة — كآتي بالمدون « قيو » || مع جواب يوسف عليه السلام  
جزاه خيراً ، وقال له : ( سأحمل جوابك هذا الى حلالة الملك ، وسيكون ذلك  
السبب الوحيد في خروجك من هذا المعتقل ) .

نعم إنه سمع جوابه كأنه وحي صادر من أفواه الملائكة ، وبالمحل علم ذلك  
يكون الله قد لطف بالمصريين بلطفه فيما جرت به المقادير ، ولكن عن يد يوسف  
عليه السلام .

### أفعال يوسف تأكير ذكره عند الملك في المرة

المسألة الخامسة — لم يقل يوسف في هذه المرة الثانية « اشرا بي » : ( اذكر في  
عتد ربك ) ، ربما لكونه تصور أن سيكون خطه في هذه المرة بقول « اشرا بي » :  
( لعلني أرجع الى الناس لعلهم يعلمون ) ، فإن في هذا القول ما يطمئن يوسف أنه  
سوف لا ينساه ، ومع ذلك فهو في هذه المرة اعتمد على أنهم بالطبع سيحرفون علمه

وقضاه ، ويضطرون لآخراجه من معتقله بدون رجاء ولا شفاعه ، للاستفادة من إرشاده ومشورته لهم .

### تدبير يوسف ازمة المصريين بنفسه

المسألة السادسة — هكذا أرشد يوسف المصريين ، وبين لهم المخرج من المصيبة التي ستحل فوق رؤوسهم ، ودبر لهم طريق النور فيما يعملون ، ونصح لهم بكلامه فيما يجرون ، ثم نصحهم بفعله بأن باشر هو بنفسه تدبير شؤونهم وحمل على عاتقه الاتياب ، لأجل راحتهم وسلامتهم ؛ قال هذا ثم فعل هو حسبما قال :

### مقابلة بين « المراء » الجاهل وبين يوسف العالم

المسألة السابعة — هنا يتجلى الفرق بين من يفهم ومن لا يفهم — بين العالم والجاهل — بين النور والظلمة ، فأولئك « المراء » بعدم فهمهم نزلوا للحضيض الاسفل ، وترك ذكرهم كأنهم أموات ، وهذا العبد العبراني يفهمه وعلمه ترقى الى أعلا الدرجات ، ولا بدع ، فعبارته رؤيا مليك مصر ، أ كسبته حبه إياه ، وحسن اعتقاده فيه ، وسرعة الاتصال به ، واستخدامه في البلاط كوزير مالية ، وكعزيز مصر ، وكوكيل عن جلالة الملك ، فكان في البلاط ثاني الملك .

### أبن فوطيفار في هذه الازمة

المسألة الثامنة — يجدر بنا هنا أن نفتقد « فوطيفار » ونسأل عنه أين هو ؟ فان أزمة الملك وحيرته في رؤياه المنامية لم تحل الا على يد عبده العبراني السجين ، وأما ذاته « الشريفة » ! ! فكأنها في هذه الضيقة لم تكن شيئاً مذكوراً ؛ ويمينا إنه لو جرد من لقبه وثروته ووظيفته ، لم يبق في اليد منه شيء ، قال المعري :

لو يعرف الانسان مقداره	لم يفخر المولى على عبده
لولا مسجايه وأخلاقه	لكان كالمعدوم في وجده

## الرؤيا على ما عبرت أولاً

المسألة التاسعة — نقل الطبرسي في تفسيره (جمع الييات) عن البلخي أن هذا التأويل الذي وقع من يوسف يدل على بطلان قول الناس: «إن الرؤيا على ما عبرت أولاً» قال: لأن الملاء كانوا قالوا: «أضغاث أحلام»، فلو كان ما قاله هؤلاء الناس صحيحاً، لكان يوسف لا يتأولها، أتولد هو وهم، لأن قول الملاء: «أضغاث أحلام» ليس من قبيل التأويل، ولكنه من قبيل التعلل من التأويل كما هو ظاهر قائمه... .

### الفصل السابع

#### القصر بطلب يوسف (ع)

آ (٥) «... وقال الملك: ائتوني به»، فلما جاءه الرسول... قال: ارجع الى ربك، فاسأله ما بالك النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟، إن ربّي يكيدهنّ عليمٌ.»

افتتحت الجلسة وتليت الآية الخمسون فقامت السيدة انصاف الدمشقية وقالت:

#### القصر بطلب يوسف

كان رئيس السقاة قد رجع أدراجه من عند يوسف، حاملاً عبارة الرؤيا، وهو يطوي الطريق طياً، حتى حضر بين يدي الملك، فاقتص الملك منه القصة، وكان ينتظره وهو على أحر من الجمر، يحكاها له كما سمع، فأعجب الملك بذلك،

وأحب يوسف ، « والأذن تمسق قبل العين أحياناً » ( وقال الملك ) الريان بلهفة :  
مرحى ! ، اذهبوا حالاً ، و ( اثتوني به ) فإن له رأياً سيديداً وحزماً ، وإن لي  
منه خير مشير ، لاسيما في الشؤون الاقتصادية . فأض رئيس السقاة ليوسف ( فلما  
جاءه الرسول ) مندوب الملك المسمى « نبو » أخبره بما كان من الملك ، وطلب  
منه أن يخرج من السجن ، فتأني يوسف وتثبت في إجابة الملك ، و ( قال ) للمندوب :  
إني سوف لا أخرج إلا بعد النظر في التحقيق عما نسب إليّ ، لذا أرجوك  
( ارجع ) ثانية ( إلى ربك ) جلالة الملك الريان ( فاسأله ) يا للعجب ! ! ( مابال  
النسوة ) المصريات الخمس ، عقيلات بعض أمراء البلاط ( اللاتي ) كن ( قطمن  
أيديهن ) يوم مادعين في بيت سيدي العزيز ؟ ( إن ربي ) الله سبحانه وتعالى  
( بكيدهن عليم ) كيدهن الذي سبق لي منهن منذ بضع من السنين ، والذي  
أرجو بفضل البحث والتحقيق أن يرتد في نحورهن .

وقد قدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن به ، لئلا  
يتساق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عند الملك ، أو يجلوه سلماً إلى حط منزلته  
لديه ، ولئلا يقولوا : مامكث في السجن بضع سنين إلا لأمر عظيم ، وجرم كبير  
حق به أن يسجن ويمذب ويستكشف أمره ، ولأنه لو خرج قبل أن يعلم الملك  
والعزيز بشأنه ، لما زالت في نفسها بقولان فيها : هذا الذي كان راود سيدته ،  
فأشفق من أن يرى مشكوكاً في أمره ، فأحب أن يزول عنه كل ريب فطلب  
التحقيق ، وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في  
مواقفها ، ففي الحديث : ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ) .

٨٩٨ الملك يطلب يوسف فيرفض الخروج من السجن قبل تبرئة ذمته آ (٥٠)

(وقال الملك : ائتوني به .. . الانح)

- ١ -

وقال العلامة قمر الدين من علماء بلدة كواشي في الفتد (١) :

الملك يطلب يوسف فيرفض الخروج من السجن قبل تبرئة ذمته

بعدهما رجع رئيس السقاة (سوف) من عند يوسف الصديق عليه السلام وقص على ملك مصر تأويل حلمه ، كما كان قص عليه حادث اعتقاله ظلماً ، مع بيان ترجمة حالة ، أكبر (الملك الريان) يوسف وأعجبه منه حسن عبارته الرؤيا ، ولا سيما بعدما عبرها له ، عرفه ماذا يصنع ، كما أنه أكبر اعتقاله قائلاً : يا للظلم ويا للعار ! رجل كهذا يحبس دون تحقيق أو إقامة دعوى ، بل دون إثبات جريمة ، بل بعد براءته من تهمة الجريمة ، وأخيراً دون أن يكون لي علم بحبسه ، ؟ ! ! يظهر أن في الأمر دسيسة ، انهضوا اذهبوا حالا دون توقف ، وائتوني به ، فإنني أراه حسن الرأي ، يستداليه في الأمور ، وتلقى اليه مقاليد الأحوال ، ويؤخذ رأيه في الحوادث والنوازل ، ولا عرو . قال الملك لا يستطيع ضبطه إلا بالوزراء والأعوان ، قوي الرأي الصائب ، والتدبير البائع ، وإت هذا العبراني خليق أن يكون (المستشار الاقتصادي) في البلاط أو في رجال المية ، ليرجع اليه في الشئون وليدا كرفي المهام .

فعاد رسول الملك إلى يوسف ، ووجهه يتهلل فرحاً وبشراً ، فبادره يوسف قائلاً : أهلاً بالمندوب الكريم ، آراك أسرع الرجعة ، قل ماوراءك يا أخا القبط — قال المندوب : أيدشريا أخا العبرانيين فقد آت آوان الفرج ، وآن أو انخروجك من المعتقل ، فان ربي عاهد الديار المصرية المليك الريان أنفذني اليك لأجل

آ (٥) الملك يطلب يوسف في فرض الخروج من السجن قبل تبرئة ذمته ٨٩٩

شخوصك اليه ، وانه يريد أن تكون عنده ، وعند ذلك ثارت في يوسف عزة النفس ، وجرى في عروقه دم الشرف والمحافظة على العرض وحسن السمعة ، وأخذ يراجع المضايقات التي مرت به في بيت ( العزيز ) ويستعرض تلك التهمة التي أتت عليه ، فكادت تهدم شرفه من الأساس ، واستحضر تلك الدعوى المزورة المشؤومة ، بقابلة اخلاصه لهم ، وافتكر في اعتقاله ظلماً أمام أمانته ومحافظة على شرف ( العزيز ) وزوجه ، فرآهم قد قابلوا إحساناً بإساءة ، ومعروفاً بجنك ، وأمانة بخيانة ، فشمع بديب ميله للانتقام للمرة الأولى في حياته ، وقال في نفسه : ( إذا كانت الشريعة المصرية ، والقوانين الوضعية ، قد عجزت عن أن تتصف للناس من الناس ، فليتنصف الناس لأنفسهم بأنفسهم ) ، فاعتقد أنه لا بد أن يقتص بشخصه من شخصي العزيز وامراته ، كما اعتقد أنه لا بد من أن يسمى في براءة ذمته ، فلاجل هذين الغرضين لم يشأ أن يخرج من الحبس ، وتوجه بالخطاب الى المندوب قائلاً له أيها المندوب :

« أقول لك بكامل الحرية ، قد آن لي أن أعيش أو أموت ، فللملك أن يلبس التاج ، ويحمل الصولجان ، له أن يجلس على عرش الملك ويسيطر على جميع البلاد والرعايا ، له أن يوجه الرتب والأوسمة والانعامات لمن يشاء ، له أن يبتز الأموال ويحكم على الاجسام ، له أن يعزل ويولي ، له أن يقرب ويبعد ، له أن يمتقل المجرمين ، ويجزر الخائنين ، له كل ذلك ، ولكن ليس لعدالته وانصافه أن يكرهني على خروجي من السجن ، وعلى جهتي غيرة الاجرام ، بل أرغب اليه وأستميح فضله ، أن يصبر علي قليلاً ، حتى تجرى التحقيقات اللازمة عما نسب اليّ ، فان تبين أنني مجرم ، مكثت في معتقلي هذا البقية الباقية من عمري ، والا .. خرجت برأس عال ، وجبهة مرتفعة ، ونفس مطمئنة ، وثوب نقي أبيض ، لم تعلق به ذرة



٩٠٠ الملك يطلب يوسف فيرفض الخروج من السجن قبل تبرئة ذمته آ (٥٠)

من غبار العار ، ولم تلوثه شائبة من شوائب الر كس ، بحيث لاأهاب ، ولاأغضي  
لشيء ، ولا أخجل من شيء ، فمع احتفاظي بالمطالبة بالتحقيق عن الاسباب التي  
دعت لاعتقالي ، سأمثل أمر الملك ، وأخرج اليه شاكرآ حسن رعايته وعنايته ،  
غير أنني أرجوك أن ترجع الى ربك ، جلالة الملك الريان ، وقص عليه ما سمعت  
وما رأيت من حالي ومن أمري ، واسأله ما بال الضمائر رسل الشيطان ، نساء بمض  
امراء البلاط ، اللاتي كن منذ بضع سنين جرّحن أيديهن ، يوم ضيافتهن في قصر  
« العزيز » فأنا أريد أن أنقل الدعوى من محكمة « العزيز » الى محكمة « الملك »  
إذ أن ربي الذي كان قال سابقاً : ( إنه من كيدكن ) هو اليوم أيضاً بكيدهن ،  
المعروفات به « عليم » بل هو أعلم أهل الارض بذلك ، فهو كان عرف كيد  
امراته يوم حادثة « قد القميص » وهو إذا أنصف ورجع الى ما يعلمه حجة لي  
على سلامة شرقي ومكر سواي ، وإني أطالب بإلحاح الإمعان في البحث عن  
أسباب ذلك .

وأقول هنا نعم ما فعل يوسف عليه السلام ، وقد أصاب فيما أتى ، لأنه يريد  
أن يخرج من السجن موسوماً بالبراءة ، لابساً تاج الأمانة ، وهذا هو اللائق  
بالحازم العاقل ، إذ لو خرج في الحال ، ربما بقي في قلب الملك من تلك التهمة أثر .

هذا وأما ما يذكره المفسرون من « حديث » يشم منه الانتقاد على عمل  
يوسف ، وعدم تمييزه ، فعلى فرض صحته فهو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها في باب  
العقائد ، وعصمة يوسف عليه السلام ، حتى من الغلط في عدم مبادرته للخروج  
عقيدة من العقائد ، لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها  
بالظن ، وعلى كل حال فلنا بل علينا أن نقوض الأمر في الحديث الذي يحتوي طعن  
ني في نبي الى الله تعالى .

« وقال الملك ، اتوني به ... الخ »

— ٢ —

وقال السيد المراكشي ليسمح لي السادة المستمعون بالقاء التعليقات التالية على هذه الآفة الكريمة :

### البراءة أولاً ثم الخروج ثانياً

اولاً — جعل يوسف « براءته » في المقام الأول « وخروجه » من السجن في المقام الثاني ، فلم يكن طلب الملك له والافراج عنه ليهمه بمقدار ما يهمله براءة ساحته مما الصق به من العار .

تأدب يوسف بهرم ذكر اسم امرأة العزيز في قصة تبرئته

ثانياً — لم يقل يوسف « مابال امرأة العزيز » بل قال : « مابال النسوة » تأدباً معها وحفظاً لما رأى منها من معروف واکرام مثوى ، عندما كانت في بيتها وتحت يدها لأنه كريم ابن كريم ابن كريم ابن كريم ، لم يسه عليه السلام إلا أن يحفظ غض نظره عن ذكرها كرامة لمركزها ، قال الشاعر :

ما وهب الله لامرئ هبة      أفضل من عقله ومن أدبه  
هما كمال الفتى فإن فقدا      ففقده للحياة أحسن به

### سؤال يحفى البراءة

ثالثاً — وقال يوسف المندوب سل الملك : « مابال النسوة » أي ما حالهن ، ولم يقل : « سلهن ان يفتش عن شأنهن » لأن السؤال مما يبيح الانسان ، ويحركه للبحث عما مثل عنه ، فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة

القصة ، وأراد قص "الحديث" حتى يتبين له برائته يا فاشكشواً يتبين فيه الحق من الباطل .

### هوية الرسول الذي ذهب الى يوسف

رابعاً — عندنا أن هذا الرسول ، هو رئيس السقاة الذي كان قال «فأرسلون» فهذه أول قرينة ، وقرينة أخرى ، وهي قوله : «الصديق» فهو يدك على اقه كان اختبره سابقاً وعرف صدقه في تأويل الأحلام ، ود الرسول بمعنى الرسل أو البريد أو السفير أو المحضر أو المدرب أو المبعوث .

### تسمية اهلك رباً

خامساً — جرى اصطلاح الشعوب والممالك القديمة ، مثل مملكة مصر ويهوذا واسرائيل وأشور والكلدان حتى العرب في الحيرة — على أن يسموا الملك رباً ، وكل من سواه عبداً ، وقد سبق تفصيل ذلك .

### العلماء أعتياء عمر الملوكة والعلم ولبس الملوك بأغنياء عن الملوك

سادساً — باحتياج ملك مصر ، وهو على أريكة ملكه ، الى يوسف وهو في معتقله ظهر جليلاً أن العلماء أعتياء عن الملوك بالعلم ، وليس الملوك بأغنياء عنهم بلكتهم . قال الشاعر :

إن الأكار يحكمون على الورى وعلى الأكار نحمكم العلماء

### حبر اصاب سيدي

سابعاً — رأى يوسف أن «زليخا» غدرة باتهامه إياه ، وأن «قوطيفار» ظلمه بسجنه طيلة بضع سنين ، رأى ذلك ورأى أنه لا يفك الحديد إلا الحديد ، فلماذا يسكت عن غدرة وظلمه ؟...

فلا بد من أن يسأل عن سبب سجنه ، ويفتح باب البحث عن تلك الحوادث الأولى على مصراعيه ، ليحيط « البلاط » بها علماً ، ويكون بذلك رمى حجراً قاصب صيدين ، الأول وصوله لظهور براءته مما الصق به ، والثاني اظهار ان « عزيز مصر » و « امرأته » كانا قد غدراه وظلماه ، فاهتبل فرصة توجه « الريان » نحوه وحبه إياه فطلب ما طلب وهذا ما أعتزنا عليه الفتح العليم ، وللمفسرين ههنا كلام أستطيع أن أقول عنه إنه موجب للأسف .

### الاجتهاد في نفي التهم واجب

ثامناً — الذي سهل على يوسف عدم المبادرة الى امتثال أمر الملك بالخروج اليه ، والذهاب عنده انه تصور في كرم أخلاق الملك أن سيعذره ويتغفر له ذلك أمام حرصه على براءة عرضه ، وفي سبيل اجتهاده على حسن سمعته .

وقد ذكروا أن الاجتهاد في نفي التهم واجب ، فقد أخرج مسلم من رواية أنس : ( ان رسول الله ﷺ كان مع احدي نساءه فمر به رجل ، فدعاه وقال : هذه زوجتي . ) — ( فقال يارسول الله من كنت أظن به فلم أكن أظن بك ) — فقال رسول الله : ( إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ) وكانه لهذا كان الزمخشري رحمه الله — وكان ساقط الرجل — قد أثبت عند القضاة أن رجله لم تقطع في جناية ولا في فساد بل سقطت من ثلج أصابها في بعض الأسفار ، وكان رحمه الله يظهر مكتوب القضاة في كل بلد دخله خوفاً من تهمة السوء .

### و بموقراطية حكم الملك الريان

تاسعاً — إنه لأمر معلوم أن الملك ( الريان ) أرسل مندوبه ليوسف ليأتيه به ، ولكن يوسف أبى الخروج إلا بعد إجراء التحقيقات عن سبب سجنه .

فناخذ من هذا انه قد كان مطلق فرد من أفراد الناس بمصر، حتى البعيد الدخلاء— كانوا يعيشون بمصر عيشة حرية شخصية تامة بأجلى معاينها وأبعد مرامها، حتى مع نفس الملك القابض على مملكة مصر، سيدة مهالك العالم إذ ذاك، وإن هذا الملك كان ديموقراطياً مجتاً، يأمر بشيء في حق عبد خيل، قيأى عليه ذلك العبد امتثال أمره إلا بعد إجراء التحقيق، مع انه يمكنه الجمع بين امتثال إرادة الملك وبين إجراء التحقيق، فإن يبادر يوسف للخروج ثم يطلب من الملك ذلك، ولو فعل اليوم نظير هذا الأمر مع «مدير شرطة» لأخذته العترة بالاحتم، وقامت قيامة كبيرائه، وعدل عن إخراجه من السجن ولا قلب له عدواً للود آفلو قارنت هذا الملك (الريان) بأمر مقاطعة صغيرة، أو اهبط قليلاً قتل بوزير من وزرائه، أو اهبط قليلاً بقتل بوكيل الوزير، أو اهبط قليلاً قتل بالحافظ أو المتصرف أو المدير، أو اهبط ثم اهبط ثم اهبط قتل بأمر الانضباط... إذا حاولت أن تقارن بين هؤلاء وبين ملك مصر الريان، وجملت الكبرياء ومحبة النفوذ وقوة النفس مقياس التمييز بين الفريقيين لوجب أن يحتل هؤلاء عرش مصر ووجب على «الريان»، الوديع المنصف أن يخل كرسى مأمور الانضباط.

سبب نزول الملك الريان على رغبة يوسف بدم خروجه

من السجن قبل إجراء التحقيق في القصة الموجهة اليه

عاشراً— ترى أن ملك مصر (الريان) منذ حاسم (يوسف) وخبره وعلمه، بادر توماً لاطلاقه من معتقله، واسترسل في ذلك استرسالاً يفوق عواقب الملوك في تودتهم وترويضهم، وهو أمر يستوجب دقة النظر، وما هذا الحب والاخلاص الذي أظهره ملك مصر ليوسف قبل أن يراه؟! يقابل يوسف ذلك بالرفض، إلا بعد التحقيق عن التهمة التي وصم بها! هذا الرفض من يوسف

بدلاً من الشكر والامتنان ، كان يجب أن يتجهم عنه حقد «الملك» عليه . وكدره منه ، ولكن الأمر أتى على عكس ذلك ، إذ أمر بالمساعدة اللازمة بأجراء التحقيقات نزولاً على رغبة يوسف !!! فما سبب ذلك يأتري ؟

واعتدنا أن الجواب عن ذلك ، هو أن ملك مصر اسويو أجني عن القبط الافريقيين ، ويوسف كذلك ، ( وكل غريب للغريب نسيب ) فلذلك استرسل في اطلاق يوسف من معتقله استرسالاً ، وتساهل معه إذ رفض امتثال أمره بالاتيان اليه إلا بعد التحقيق وآثر التمشي مع العاطفة الوطنية على التمشي مع نزعة الصلف والكبرياء ، على أننا نظن قوياً أن هذا الملك ( الريان ) هو من العقلاء الرصحاء الذين ليسوا من ذوي المجرفة فلذلك نزل على إرادة يوسف عليه السلام .

### دواعي عدم خروج يوسف من السجن

حادي عشر — إن لعدم خروج يوسف من السجن دواعي عديدة منها (١) انه لم يرض المثول بين يدي الملك وأمره بين بين ، وحاله غامض ، وعاقبته مجهولة ، ومجال الغضب منه واسع ولذا أبي أن يخرج من السجن إلا بعد أن يتكشف أمره ، وتزول التهمة عنه بالكلية — (٢) انه بهذا العمل لا يقدر أحد بعد خروجه من السجن أن يلمطخه بتلك الرذيلة ، وأن يتوصل بها الى الطعن فيه ، (٣) ان الانسان الذي بقي في سجنه بضع سنين ، إذا طلبه الملك وأمر بخروجه ، فالظاهر أن لا بد أن يبادر بالخروج ، فحيث لم يخرج ، عرف منه أنه في نهاية التعقل ، وأعلى درجات الصبر والثبات ، وذلك يصير سبباً لأن يُعتَقَد فيه بالبراءة عن جميع أنواع التهم ، ولأن يُحَكَم بأن كل ما كان يقال فيه كذب وبهتان . (٤) ان التماسه من الملك أن يتفحص عن حاله من أولئك النسوة يدل أيضاً على شدة طهارته ، ووثوقه بكسب الدعوى ، وبعبارة أصح : وثوقه بالبراءة ، اذ لو كان ملوثاً بوجه ما ، لكان يخاف من ذكر ماسبق ، ولا يريد أن يخاطر ذلك على بال (٥) كان يوسف يخشى

أن يخرج وينال من الملك حظوة وتقريباً ، ويسكت عن أمر تلويثه ، فيراه الناس بتلك العين ، يقولون « هذا الذي كان راود امرأة العزيز عن نفسها ، انظروا له كيف صار من أهل البلاط » انظروا له كيف صار مقرباً من حضرة الملك .

### كيف لم يخش يوسف من النسوة ان يكتمن حقيقة امره

ثاني عشر — لم يخش من النسوة أن يكتمن الحقيقة عندما قال ( مابال النسوة .. الخ ) ، بما لا يجب كما رمته إحداهن من قبل ، لأنه ( ١ ) رأى الحالة اليوم لا تساعد على إنكار الواقع ، فقد آن لسلطان الحق أن يغلب سلطان الباطل و ( ٢ ) هو قد ظن فيهن خيراً ، واعتمد على شرفهن فأقلا في نفسه : إن لهن ضميراً سوف لا يتصامحن عن ندائته و ( ٣ ) لأنه كان يعتمد على « الشاهد » من أهل امرأة العزيز و ( ٤ ) كان يستأنس بكون هؤلاء النسوة قد سمعن بأذانهن اعتراف امرأة العزيز بأنها هي التي راودته عن نفسه فاستعصم ، وأشد اعتماده على امرأة رئيس السقاة ، التي كانت مدعوة فيهن ، ولا بد أن تكون أفشت لزوجها اعتراف امرأة العزيز و ( ٥ ) كان يعتمد أيضاً على شرف ( عزيز مصر ) الذي كان قنع قناعة تامة ببراءة يوسف ، وحصر التهمة في زوجه ، ولذا قال عنه ﴿ إن ربي بكيدهن عليم ﴾ ، وإنما كان حبسه يوسف حبساً إدارياً لأجل إبعاده عن زوجته ، و ( ٦ ) اعتمد على توجه نظر ملك مصر عليه ، وتمكنه من محبته ، وثقته بعلمه ودرأيته ، ويوسف يعلم أن كل من توجهت عليه أنظار الملوك هابه الناس ، وأعظمته الرعية ، وأكبره الموظفون الذين هم تحت إدارة ذلك السلطان القاهر ، فصار بذلك أميناً من مكر هؤلاء السيدات ، نساء المستخدمين بعمية الملك .

كيف ينسب يوسف الكبير للنسوة ثم يطلب مؤثرهن عن قصة المرآودة

ولم يقع منهن شيء من ذلك

ثالث عشر — إن قال قائل : إن هؤلاء النسوة لم يكن من الكيد في غير

آ (٥٠) كيف ينسب يوسف الكيد للنسوة ثم يطلب سؤالهن عن قصة المراودة ٩٠٧

ولا نفي ، ولم يكن من المراودة في ورد ولا صدر ، فكيف ينسب لهن يوسف الكيد ، ويطلب سؤالهن ؟ .. وكيف يسألهن مندوب الملك عن مراودتهن ليوسف ؟ ولم يقع منهن شيء من ذلك ؟ ..

والجواب عن ذلك يعلم بمراجعة ما قيل في الآية ٢٨ والآية ٣٣ فراجعوه إن شئتم .

**لم يقصد يوسف التهرب بامرأة العزيز في طلب التحقيق بل ظهور براءته**

رابع عشر — لا ريب أن يوسف عليه السلام لا يريد لأحد الرجال ، ولا لأحدى النساء ، أن يفتضح وتشيع فعلته ، ولكن لامندوحة له عن السعي في ظهور براءته مما اتهم به ، وحبس من جرائمه ! حتى لا يخرج من السجن ، وهو مخفوض الرأس بين الناس ، فلذلك شرع في طلب التحقيق عن هذه الحادثة ، تدرعاً للحصول على ملاك شرفه ، وقوام حسن سمته ، وهو ظهور طهارته من كل دنس الصق به زوراً . فلذلك رأى أن خروجه من السجن سابق لأوانه ، إنما أوانه بعد ظهور براءته ، وبهذا يسقط ما عساه أن يقال : كيف سعى يوسف في اشاعة الفاحشة ، وأحب تشهير تلك المرأة ؟

فضل يوسف ذلك على خروجه وشيكاً ، ضناً بشرفه ، وحسن سمته ، لأنه تصور في نفسه وصمته بإرادة السوء والفحشاء مع أهل « العزيز » وحبسه من جراء ذلك ، لا يزالان عقبة كؤوداً في طريق خلاصه وحسن سمته ، وانها من أعظم الموانع لو صوله لما تطمح اليه همته .

تنازع يوسف عند طلب الملك له عاملان : عامل النزول على إرادة عاهل مصر ، ومحبة النفس لمبارحة الحبس ، وعامل الشهامة والعزة ومحبة ظهور البراءة من كل لوث ، ففضل المشي مع العامل الثاني ، فقال لارسول ( ارجع .. الخ )

**سعة صدر الملك الريان**

خامس عشر — لم يغضب الملك على يوسف ، لأنه رفض نعمته عليه ، ولم



يطع إرادته الستية التي صدرت من لاقه ، لإتحاف يوسف بخروجه من حقله حالاً بل تناسى ذلك لطفاً منه وكرماً ، وليس ذلك فقط ، بل زاد عليه — كما سيأتي — أنه نزل على إرادته في اجراء التحقيق عما كان وصم به ، واعتقل من جرائمه ، ولعمري إن هذا من الملك لتضحية كبرى لأقفه وكبريائه يستحق ذلك الملك العمليقي . من أجلها أعظم الثناء .

### قذف البريء يعود عليه بالخير عند ما تظن برأيه

سادس عشر — نسمع الملك يقول هنا ( ائتوني به ) ، ومنسسه يقول بعد ذلك ( ائتوني به أستخلصه لنصي ) ، فالطلب الثاني أرتى من الطلب الأول ، وسببه أن الطلب الأول كان مبنياً على علمه بلم يوسف وبهمه فقط ، وأما الطلب الثاني فكان مبنياً على ذلك وعلى يقن الملك بسلامة يوسف من الجريفة ، وبعبارة أخرى كان ظهر للملك أولاً تحلية يوسف فحسب ، ولكن بعده ظهر له أيضاً تخليته ، ولا ريب أن التخليه مع التحلية ، أهم من التحلية وحدها ، وهكذا حرت السنة ان في قذف البريء خيراً يعود عليه عندما تظن برأيه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاعُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ ( ٢٤ : ١١ ) .

### على الباغي تدور الدوائر

سابع عشر — لاريب أن « العزز » وذويه كآخوا أرادوا بسجن يوسف القضاء على تهمة « المرأة » بتوجيه التهمة اليه ، ولكن نتيجة السجن خرجت معكوسة ، لأن سجنه سبب تعرفه الى « الساقى » فالتقدم اليه بات يذكره عند الملك ، ولما رأى الملك رؤياه ، ذكر الساقى يوسف فحمل إليه تلك الرؤيا فأواها يوسف ، فتعج عن ذلك طلب الملك إياه فلم يرد أن يخرج إلا بعد التحقيق ، فكانت

النتيجة حصر التهمة في « المرأة » وبراءته مما نفي اليه ، فكان « العزيز » بحبس يوسف كمن رمى الوقود في النار ليخمدها ، أو كمن حول الضرب الى سقف جاره ، فاذا الضرب في سواء داره ، ولا غرابة في ذلك ، ففي المثل السائر:

« على الباغي تدور الدوائر » .

### المراد بالكيد

ثامن عشر — أراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعده غوره ، كما قيل :

« وهن شر غالب لمن غلب » ، أو استشهد بعلم الله على أنهم كدنه وأنه بريء مما قرب به ، أو أراد الوعيد لمن ، أي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ، أو أراد بره « عزيز مصر » — كما ذكره احتمالاً كل من ابن جرير والسيد حسن صديق وغيرها ، على حسب اصطلاح المصريين والعبرانيين وغيرها من تسمية الملك رباً بمعنى السيد ، وعندنا أن هذا الاحتمال الثاني أحسن ، فهو يشير بذلك الى سابق قول العزيز : « إنه من كيد كن إن كيد كن عظيم » ، فكان يوسف يقول :

« اسألو سيدي — عزيز مصر — الذي سبق منه انه حكم على زوجته بالكيد ، ووصفها به ، فإنني أقبله شاهداً عليّ وأرضى به حكماً ، بل واحتج به وبعلمه الحقيقة على كيدهن لي » فعلى هذا الاحتمال الثاني يكون قد استشهد على أنهم كواذب « بعزيز مصر » وما يعلمه فيهن ، وهذا ممكن ، وفيه فائدة عاجلة وتقوم به الحاجة ، وأما على الأول الذي جرى عليه جمهور المفسرين فيكون قد استشهد بالله وعلمه بكيدهن ، وهذا لافائدة فيه ليوسف في الدنيا ، ولا يدفع عنه المؤاخذه عند رجال المحكمة وفي نظر الشعب ، ولا يبريء ساحته من الجزاء الدنيوي بوجه ، لأنه من يعرف علم الله فيهن ؟

(مرحى مرحى ولا فض فوك)

## اعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف

آ (٥١) [ . . . قال ماخطبُكنَّ ، إذْ راودَتْهُنَّ يوسفَ  
 عنْ نفسِه ؛ « - قُلْنَ : حاشَ اللهُ ، ماعلِمنا عليه مِنْ سوءٍ » -  
 « قالتْ امرأةُ العزِيزِ : الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ ، أنا راودَتْهُ عنْ  
 نفسِه ، وإِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ » ] .

افتتحت الجلسة وتليت الآية الاحدى والخمسون تقامت الانسة أسماء  
 الغوية وقالت :

كان « بو » مندوب الملك « الريان » رجع اليه من عند « يوسف » عليه السلام  
 وقص عليه القصة ، فقال له الملك : « أما قلت لك أن في الأمر دسيسة ، فالآن  
 اذهب واعمل كما أحب هذا السجين ، والتتي بنتيجة » فصدع « بو » بأمر الملك ،  
 وقفل راجعاً ، و (قال) للنسوة : ناشدتكُن الله يا سيدات « منفيس » ، (ماخطبكن) (١)  
 وما شأنكن ، (إدراودتن يوسف) العبراني السجين (عن نفسه) فيا دولة الجنس  
 اللطيف ، لله دركنى ، هل وجدش منه ميلاً اليكن ، هل رأيتن منه عمزة ،  
 هل سمعتن منه رمزة ، هل ضحك لكن وداعبكن ، حتى أقدمتن على  
 مراودته ، وتجراتن على مطالبته بما لاينبغي لأمثالكن أيتها السيدات ؟

وأما السيدات فأجبن و ( قلن حاش لله ) — تعجباً من عفته ومن نزاهته عن  
 الريبة — ووالله ( ماعلمتنا عليه ) قط ، (من سوءٍ) ، ووالله لو كان في أنفسنا غير  
 ما نطق به لقلناه ، هذا حواننا عما يسأله عنه جناب المحقق ، وخلات دم .

( ١ ) الخط : الأمر الذي يعظم شأنه ويحاطب الانسان به صاحبه .

هذا ولما كان العاشق يفادي بنفسه وشرفه عن طيب خاطر مرضاة المعشوقه  
 ( قالت ) زليخا ( امرأة العزيز ) فوطيفار ، معترفة بجلية الواقع ، تذود عن يوسف  
 وتنتصر له على نفسها : أنا أخبرك بواقعة الحال ، وأطلعك على جلية الواقع ( الآن  
 حصص الحق ) والحق على مضاضته يقال ، واني لإنشاء الله لا اكذبك شيئاً  
 ( أنا راودته عن نفسه ) ، وعلى المكشوف ، أنا براقتس التي جنت على نفسها ، أنا  
 المذنبه ، وله العتبي<sup>(١)</sup> ، ووالله اني لم اراد قط أحداً قبله ولا بعده ، ولا يمكنني  
 التنازل لأحد سواه ، وأنا الآن أستغفره على هذا الذنب ، ( وانه بن الصادقين )  
 في قوله منذ سنتين : « هي راودتني عن نفسي » ، فهو لم يلوث لسانه بالكذب والقرية  
 قط ، وإنه لمن الصادقين في العمل ، حيث أبي علي<sup>٣</sup> ، وامتنع من النزول على إرادتي ،  
 وتمسك بدينه ، وثبت على متانته ومروءته ، وكأنها خافت أن تثبت عليها التهمة  
 ببعض البراهين إذ رأت أن السماء تنذر بتقلب الجو ، فسبقت الى الاعتراف على حد  
 قول القائل : « بيدي لا بيد عمرو » أو على حد قول الشاعر : « وليس لمخضوب  
 البنان يمين » ، أو كما يقولون في المرأة :

« إن الأمومة عودتها عادات إنكار النفس والتضحية والرعبة في مصلحة  
 الآخرين ، أكثر من الرجل » .

( قال ما خطبكن إذ راودتن .. الخ )

— ١ —

وقامت السيدة لُبَيّ البغدادية وقالت : يستفاد من هذه الآية الكريمة  
 عدة فوائد سأتلوها على مسامعكم :

استطاق النسوة عن قصة المراودة مجتمعات أو متفردات

ثم اعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف

الفائدة الأولى — تعليقا على قوله : ( ماخطبكن ) ، نسب « ابن كثير »

«والبغوي» هذا القول الى الملك الريان، وقالوا إنه هو الذي جمع عتده هؤلاء النسوة واستنطقهن، وقال ماخطبكن، وهو يريد امرأة العزيز خاصة.

وقال بعضهم: إن الفائل هو مندوب الملك، ذهب اليهن وجمعهن في محل واحد بما فيهن امرأة العزيز، وسألهن هذا السؤال؛ ويجوز أن يكون قد سأل كلاً منهن على اقرارا في بيتها، ثم للاختصار حكى الله ما حدث جملة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ، وَإِنَّ مَقْعَدَ صُمُوكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنْتُمْ بِكُمْ فَاتِحُونَ﴾ (٥٣ و ٥٢ و ٥٣).

فهذا النداء والخطاب ليعسا على ظاهرهما، كيف والرسول إخبارا لساوا متفرقين، في أزمنة مختلفة، وإنما المعنى الإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي لذلك، وَوَصَّى بِهِ .

### نسبة المراءودة الى جميع النسوة والمراد منه واحدة

القائدة الثانية — قال: (إذ راودتن) بصيغة الجمع، والمراد منه واحدة، وهي امرأة العزيز، وقريب منه ما في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ (٣ = ١٧٣)، فقد قيل لفظ الناس الأول عبارة عن شخص واحد، هو «تعيم بن مسعود الأشجعي»، ولفظ الناس الثاني هو عبارة عن «آبي سفيان» ذلك لأنه من جنس الناس، كما أن امرأة العزيز هي من جنس المراءودات؛ كما يقال: فلان يركب الخيل ويلبس البرود، وماله إلا فرس واحدة، وبرد واحد.

### شهادة النسوة لبرسب بالنسوة والطهارة

القائدة الثالثة — مع تسبب يوسف تجريح أبدي هؤلاء النسوة، وتأثير جماله الباهر، ومع أنهن لم يرن منه عطفاً نحوهن، حتى ولا ابتساماً واحدة على الأقل،

دية لتلك الأيدي المجرحة ، وتعويضاً على تلك العقول المذهولة — مع هذا كله فهو لاء السيدات لم يشهدن في يوسف إلا بما يجب له من العفة والطهارة ، ذلك لأنهن كن من النساء اللداجنات والمسالمات ليوسف ، ومن صواحب الوجدان والشرف ولعمري لا تريد على شهادتهن وشهادة زليخا له بالبراءة والنزاهة ، واعترافهن بأنه لم يتعلق بشيء يشينه ، مع أنهم خصومه ، واذا اعترف الخصم بأن خصيمه على الحق وهو على الباطل ، لم يبق لأحد مقال ، خلافاً لحشويي المفسرين ، الذين قالوا: (نحن قد بقي لنا مقال ، ولا بد لنا من أن ندق في فروة من ثبتت نزاهته ) !!..

### حال زليخا عند اعترافها بمراودة يوسف عن نفسه

الفائدة الرابعة — كأني «بامرأة العزيز» قالت وهي تتلعم في كلامها ، وتضطرب مما لحقها من الخجل والخوف ، وترتجف من حراجة الموقف :

« الآن .. حص .. حص .. الح .. ق .. أنا المشدو .. هة .. راود .. ته ...  
 عن نف .. سه .. واحد .. سرقاه ! وانسه .. حر .. سه .. الله ... لمن  
 الصا .. دقين .. في .. سابق .. قوله : هي راودتني عن نفسي ، ذلك ليع .. لم .. أني ..  
 لم أخضه .. بالغي .. ب كما خذ .. ته بالح .. ضور .. واويلاه ! وان الله ..  
 لا .. دي .. كيد .. الخا .. ئنين .. وا .. قداما ! .. وما ابريء .. نف .. سي  
 إن النفس .. لس .. لأم .. سارة .. بالسوء .. واسوأته ! إلا .. مار .. حم .. ري ..  
 إن ربي .. غ .. فو .. ر .. رحيم .. واخج .. لاه ! .. »

وما أكملت هذا النطق إلا وقد زاد صوتها في التقطع ، وصارت رجلاها تصطكان ، فوقفت عند هذا الحد من البيان والاعتراف .

## دواعي اعتراف زليخا بوقوع المراودة منها

الفائدة الخامسة - عندي لدواعي اعتراف زليخا بوقوع المراودة منها

ثلاث نظريات :

النظرية الأولى: ان النسوة قد أجبين المستنطق بقولهن ( ما علمنا عليه من سوء ) وسببه أن امرأة العزيز لما أرسلت إليهن، وهيات لهن متكأ، رأيته في جماله الذاتي والنفسي، حيث لم يتظر إليهن نظرة سوء، كأنه ملك كريم، ثم ان امرأة العزيز اعترفت لهن بأنها كانت راودته، ولكن هو استنصم، فمارأيته في تلك الجلسة وما سمعته فيها كان دليلاً على براءة يوسف عليه السلام، فامرأة العزيز، بما دبرت من دعوة النسوة، وبما قالت أمامهن كانت كاليابحث عن حثفه بظلفه، خصوصاً لما سمعت قولهن: « ما علمنا عليه من سوء » فكانت هذه الجملة في الطعنة النجلاء التي أثبتت « زليخا » وقطعت بها جبهة قول كل خطيب، - فمتد ذلك رأت زليخا من الحكمة والتعقل أن تعترف بالواقع، لأنها اذا بقيت مصممة على انكارها، شهد عليها هؤلاء النسوة بأنها كانت قالت: « ولقد راودته عن نفسه فاستنصم » ( آية ٣٢ ) فهي بذلك اعتقدت أنها ألقبت في نهم المدفع أو قد وضعت السلسلة في رقبتها وانتهى الأمر، وانه لاندحة لها من الاعتراف، فلذلك ولكون شدة الضغط تولد الانفجار شرعت تكشف السر، كمن يريد الاقرار أمام المستنطق في محكمة، أو « الاعتراف » أمام قسيس في بيعة .

فاهت بتلك المقالة العصماء التي في آيات ( ٥١ و ٥٢ و ٥٣ ) والسكوت سائد في تلك الجلسة، جلسة التحقيق السرية، لا واحدة تتكلم بينت شفة، بل كن جميعاً مصغيات لمقالتها، منصتات لخطابها .

النظرية الثانية: هي انه مهما بلغ الحقد بالقلب الانساني، وغلبت الشهوة شعوره

ووجدانه ، فلا بد أن تهبّ عليه من حين الى حين ، نفحة من نفحات الفطرة  
الالهية ، تنعشه وتوقظ شعوره ، فيستطيع أن يعود الى طهره وصلاحه ، وما انطوى  
عليه من صدق وأمانة ، فهي في هذه الجلسة ، نسخت ما كانت قائمه سابقاً ،  
والنفس الانسانية كما يقول « روسو » مرآة ، تترآى فيها مختلفات الصور والألوان ،  
ومن خبّر عقلية المرأة ، لا يستبعد هذا التطور العجيب :

لنما المرأة مرآة بها      كل ما تنظره منك ولك  
فهي شيطان اذا أفسدتها      واذا صلحتها فهي ملك

وكانه قد صار الحال بحيث يخيل اليك أن هناك سيدتين ، واحدة  
ابتلعها نار الذنوب والتهتك ، والأخرى ولنتها التوبة والاخلاص ، تلك  
كانت كاذبة فاجرة عيابة ، وهذه صادقة مدافعة متواضعة .

النظرية الثالثة : جلست زليخا في مجلس « الاستنطاق » وجعلت تراجع فهرس  
حياتها الماضية مع فتاها العبراني ، وتقلب صفحاتها صفحة صفحة ، فشعرت بدبيب  
الخطأ الذي كان صدر منها ، فحكمت بنفسها على نفسها ، انها مجرمة آثمة ، وانها لم  
تستفد من كل ما عملت سوى سوء السمعة ، وانحطاط المنزلة ، وانها لم تسيء الى  
فتاها بمقدار ما أساءت لنفسها باحباط شرفها ، وكان حياتها الحاضرة — حياة  
الشيخوخة — قد أنست حياتها الماضية — حياة الشباب — فلم يبق في قلبها أثر  
للبغض والموجدة ، كما لا أثر فيه للعشق والغرام ، فلذلك قررت أن تعترف بالصحيح  
فلفظت كلماتها الأخيرة ؛ هذا ما يظهر من حكاية القرآن المجيد توبة زليخا .

وإنما قلنا ان حياتها الحاضرة حياة شيخوخة ، لأننا نظن انها لما تكلمت  
بهذا القول ، كانت في سن الاربعين أو تزيد ، ذلك لأن يوسف عليه السلام حينما  
وقف بين يدي الملك الريان بعد خروجه من السجن ، كان ابن ثلاثين سنة ، ويظن  
أنها كانت أكبر منه بمئتين أو أكثر ، وعليه تكون دخلت في غرة سن



الشيخوخة ونسيت الحب وآلامه ، والنرايم وأيامه ، ودخلت في سن الوقار والكمال ، سن التوبة والانابة الى الله ، قسلسلة هذه الأسباب هي التي خلقت هذه الاعجوبة ، وأنت بهذه الخارقة ، حتى نفقت زليخا لمتدوب الملك جملة حالها ، وصارحته بكشف المعنى .

### معنى حصحص

الفائدة السادسة - حصحص ، ظهر ، برز ، ثبت ، استقر ، كلها ألفاظ متقاربة ، وهي من حصحص البير : إذا ألقى ثفناته للناخحة ؛ وأصل حصحص حص ، كما في كفكف ، أصله كف ، وكبكبوا أصله كببوا ، ورد أصله ردي ، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الا في هذه السورة .

### الاصحاح على سلامة شرف يوسف

الفائدة السابعة - تعلمون أن الذين لهم علاقة بمحادثة يوسف ثمانية ، وهم : الله سبحانه وتعالى ، وإيليس ، والعزير فوطيقار ، وامرأته زليخا ، والشاهد من أهلها ، والنسوة المصريات ، ويوسف نفسه ، وثامنهم الخادمة ، وكلهم متفقون على سلامة شرف يوسف .

فأما « الله » سبحانه وتعالى فإنه يصف يوسف بأنه لما بلغ أشده آتاه حكم نفسه بنفسه ، وما نشأ عنه من العلم اللذي ، ويقول : ان زليخا هي التي راودته عن نفسه ، وهي التي غلقت الابواب ، وهي التي قالت : « هيت لك » ، ويقول : ان يوسف أجابها جواباً سلبياً فقال لها : « معاذ الله ، إنه ربي أحسن مثواي ، إنه لا يفلح الظالمون » ، ويقول : « ولقد همت به وهم بها » ، أي قتلاً ، وعلى الأقل لكماً وضرباً ، لولا أن رأي برهان ربه العزيز ، وهو أنه أحسن مثواه ، ويقول : « إنه من عبادنا المخلصين » ، وحسبنا هذا وكفى .

وأما «ابليس» ، فإن الله تعالى حكى عنه أنه قال يوم موامرة «سيلان» :  
 «إلا عبادك منهم المخلصين» (١٥ : ٤٠) فأجابه الوكيل المفوض بقوله على حساب  
 الله : ﴿ هذا صراطٌ عليّ مستقيمٌ ، إنّ عبادي ليسَ لكَ عليهم سلطانٌ ﴾ (١٥ :  
 ٤٠ - ٤٢) فحالته مع يوسف كانت سليية تماماً .

وأما «فوطيفار» عزيز مصر ، فقد كان قال لما ظهرت له الأمانة : «إنه من  
 كيدكن ، إن كيدكن عظيم» ، وخاطب امرأته بقوله : «استغفري لذنيك إنك  
 كنت من الخاطئين» .

وأما «زليخا» امرأة العزيز ، فقد اعترفت أمام النسوة بالحقيقة ، قائلة :  
 (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) ، ثم توعدته إن لم ينزل على إرادتها بقولها :  
 ﴿ ولئن لم يفعل ما أمره لیسجنن وليكونن من الصاغرين ﴾ ، ثم أقرت في حكمة  
 التحقيق بجلية الواقع فقالت : ﴿ الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن  
 الصادقين ، ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ، وما  
 أبريء نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ، إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم ﴾ .  
 وأما «الشاهد» من أهلها ، فانه استدل بالامارة قائلاً : ﴿ إن كان قبيصه قد  
 من قبل ، فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قبيصه قد من دبر ، فكذبت  
 وهو من الصادقين ﴾ ، وأخيراً رؤي قبيصه مقدوداً من دبر ، فإذا يوسف في  
 نظره من الصادقين في دعواه أن المرادة إنما كانت منها لامنه .

وأما «النسوة» المصريات ، فانهن إنما نسبن المرادة والحب والضلال لامرأة  
 العزيز ، إذ قلن : ﴿ امرأة العزيز تراودفتها عن نفسه ، قد شغفها حباً ، إنالزراها  
 في ضلال مبين ﴾ ، ثم لما رأين يوسف قلن : ﴿ حاش لله ، ما هذا بشراً ، إن هذا  
 إلا ملك كريم ﴾ ، ثم اليوم في جلسة التحقيق قلن : ﴿ حاش لله ! ما علمنا عليه

وأما « يوسف » نفسه ، فإنه كان واقفاً مع امرأة العزيز موقفاً سليماً ، إذ قال ﴿ معاذ الله ! إنه ربي أحسن مثواي ، إنه لا يفلح الظالون ﴾ ، حتى أنه في الدرجة الثانية مّمّ بها قتلاً أو لكاً وضرباً ، وأخيراً في الدرجة الثالثة هرب من أمامها طالباً الباب ، وقال بحضورها وحضور العزيز : ﴿ هي راودتني عن نفسي ﴾ ثم قال يوم الضيافة التسائية : ﴿ رب ، السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾ ، ثم لما جاءه رسول الملك ، وطلب إليه الخروج من المعتقل ، آبى ذلك إلا بعد التحقيق والتحميص قائلاً ﴿ ارجع الى ربك فأسأله : ما بال النسوة اللاتي قطنن أيديهن ؟ إن ربي بكيدهن عليم ﴾ .

وأما « الخادمت » في قصر العزيز ، اللاتي لا بد أن يكن قد حضرن ، عندما استبق يوسف وزليخا الياب ، هرباً وطلباً ، ثم سمن حكيم « الشاهد » ثم خطاب « العزيز » لزوجته : ﴿ استنقري لذنبك انك كنت من الخاطئين ﴾ فاتهن حينما نقلن هذه الحادثة لقصور الاميرات المصريات ، لم يتكلمن إلا بأن « المرادة » وقعت من « امرأة العزيز » بدليل كلام السيدات المصريات ، اللاء ما علمن بالحادثة ، إلا من أفواه هؤلاء الخادمت ، ولو كان صدر من يوسف شيء ينافي شرفه ، لنقلنه لهؤلاء النسوة .

هذا خلاصة الكلام ، في تحقيق هذا المقام ، ولعله يكفي لرد ما زعمه ( غلطاً ) بعض المفسرين ، مصرحين بما تتجاسم عن سماعه آذان المتأديين ، مع أنبياء الله المخلصين .

### تحقق صرف الكيد عن يوسف

الفائدة الثالثة — نرى « نسوة المدينة » قد ﴿ قلن حاش لله ، ما علمنا عليه من سوء ﴾ ، و نرى « امرأة العزيز » قالت : ﴿ الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه الخ ﴾ وكل هذا كان مصداقاً لقوله تعالى ﴿ فصرف عنه كيدهن ، انه هو السميع العليم ﴾ .

## الاعتراف بالخطأ فضيلة

الفائدة التاسعة — لقد رأيتم أيها السادة أن هذه « المرأة » زليخا قد تنامت منزلتها ، وتغافلت عن عظمتها ، ونظقت بكلمة الاعتراف ، والاعتراف بالخطأ فضيلة كما تعلمون ، وهو خير من التهادي فيه ، ونظن أن هذه المرأة لو لم تعترف ، ثم أتت بشهود زور ، ممن لهم بها علاقة محسوبة ( مثلاً ) لطالت ذيول « الحادثة » وتشعبت كثيراً ، لاسيما لو ظهر فيما بعد أنها مبطلة في تقديم أولئك الشهود ، فتكون العاقبة أدهى وأمر ، ولكن الله هداها « للاعتراف » ، فبقيت الحادثة مختصرة وقاصرة على ما حكاه القرآن الكريم ، واقتصر في عقاب هذه المرأة إزوجها على مجرد الطرد من الوظيفة الرسمية ، وجعلها نسياً منسياً .

« مرحى ، مرحى »

( قال ما خطبكن اذ راودتن ... الخ )

— ٢ —

ثم قام الامام القليلي وقال : نشكر اختنا البغدادية على ما اتحقتنا من فوائد قيمة وأرجو أن يسمح لي للسادة بسرد الفوائد التالية :

## انصاع الرسول ليوسف بمراجعة الملك

الفريدة الأولى — انصاع « نبي » رسول الملك ، لطلب يوسف ورجع بدون اعتراض ولا توقف الى الملك ، فأمره باجراء التحقيقات السرية ، لأنها « دعوى » متعلقة « بالعرض » .

## عاطفة المرأة تملك عقل الرجل يملك عاطفته

الفريدة الثانية — قال النسوة : « حاش لله ... الخ » وشهدن في يوسف الطهارة

والعفة ، مع انه في تلك الجلسة القديمة لم يجبا بين ، ولم حلفت اليهن ، كما فعل ذلك من أنهن ﴿ لما رأينه أكبر نه ، وقلن : حاش لله ! ما هذا بشراً ، إن هذا الا ملك كريم ﴾ ، وكذلك كان حال « زليخا » مه ، وقع انه لم ينزل على إرادتها شهدت فيه شهادة طيبة إذ قالت : ﴿ أقار اودته عن نفسه ، وانه لمن الصادقين ﴾ . الخ ، فهذا كله نتيجة ان في المرأة عاطفة ليست في الرجال ، قالنساء أشد تأزراً وأرق شعوراً من الرجل ، لأنهن أطوع للفؤآد منهن للعقل ، ومن كان ينكلم تحت تأمير الدماغ ، كان أقرب للكذب ممن ينكلم تحت تأمير الفؤآد ، لأن عاطفة المرأة تملك عقلها ، بخلاف الرجل ، فان عقله يملك عاطفته ، فهو الى الكذب واخفاء الحقيقة أقرب ، وأما المرأة ، فهي الى الصدق واظهار الواقع أقرب .

### داعي اندفاع زليخا للاعتراف بفعلتها والدفاع عن شرف يوسف

الفريدة الثالثة — إن وجه اندفاع « زليخا » لهذا « الاعتراف » الذي أعلنته بكل وضوح وصراحة ، سبب عن أمور اذا اجتمعت صلحت ان تشكل سبباً قوياً حدا بها أن تعلن اعترافها ، وذلك عدا عما سبق ذكره في الفائدة الخامسة من فوائد السيدة لبي الينغادية وهي :

( ١ ) — تعلمون ان المندوب « نيو » كان قال : ﴿ أنا أنبئكم بأوبله فأرسول ﴾ فلا بد انه إذ ذاك كان يتين « للملك » الريان « ولأهل » البلاط ، ماذا سمع من يوسف من تأويل رؤياه ورؤيا الجباز « ملج » وما دار آى من أعماله وذكائه .

و ( ٢ ) — تعلمون أن المندوب « نيو » كان رجح من عقد يوسف يعباره رؤيا الملك ، التي كانت ألقاها على « الملأ » فأظروا جهلهم بتفسيرها ولكن « يوسف » عبرها تماماً ، وزاد على ذلك انه يتين لهم ماذا يجب أن يعملوه .

و ( ٣ ) — لا بد أن يكون الشراي « نيو » أنهم الملك عن يوسف أنه

من « العراق » تولدأ ، ثم من « فلسطين » منشأً ، فهو « آسيوي » صرف ، يعني من « آسيا » التي منها جلالة الملك ، ومن « العنصر السامي » الذي ينتمي اليه الملك .

و ( ع ) - لا بد أن يكون الملك زاد ثقته بيوسف وحسن اعتقاده فيه جداً حينما أرسل اليه ليخرج من معتقله ويكون عنده فلم يقبل إلا بعد التحقيق عن سبب اعتقاله .

فلهذه الوجوه ، وماليها ، لا بد أن يكون شاع واشتهر في « البلاط » الملكي أن « يوسف العبراني » المعتقل ، سيصير مقرباً عند الملك ، وسيكون له شأن ذو بال ، وبالطبع لا بد أن يكون عزيز مصر « فوطيفار » قد بلغه كل هذه الحوادث وانه حكى ذلك لزوجته « زليخا » وعليه صار لسان حالها يقول :

سَيَّرِي مَالِكُ رَقِيٍّ      مَالِكًا رَقِيٍّ الرَّقَابِ  
لَمْ يَكُنْ يَا أَحْسَنَ الْعَالِ      لَمْ هَذَا فِي حَسَابِي

فلذلك كله تغيرت حال امرأة العزيز ، وتبدلت خُطبتها ، واعتدلت أفكارها عن ذي قبل ، فاعترفت بجلية الواقع ، لاسيما اذا لاحظنا انها علمت ان هذه المناظرات والتفحصات ، إنما هي بسببها ، ورأت أن النسوة قد نزهن يوسف ، وان التهمة انحصرت فيها ، وانها كانت في ذلك التاريخ قد تقدمت نوعاً في السن ، فتقدمت في العقل والاستقامة ، وانها قد حيل بينها وبين يوسف بضع سنين ، فخدمت فيها ثورة الحب ، وان طبيعة النساء سرعة التحول والتطور ، فمجموع هذه الأشياء يصلح أن يشكل سبباً كافياً لاندفاع « امرأة العزيز » لهذا « الاعتراف » الصريح ، فعند ذلك أخذت كلمات الدفاع عن يوسف تتثال من شفيتها ، اثتيال الماء من السماء ، هذا ما أفهمه في ( آ ٥١-٥٣ ) ، وللمفسرين ههنا كلام رجي ، لو شئت أن أقول عنه لقلت إنه لا يستحق أن يلتفت اليه طفل صغير .

عجباً لهذه المرأة ! ووقفت هنا يروح جذبة ، موقف المدافع عن شرف يوسف ، واقفقت في هذا النطق كل ما تملك من قوة وبيان ، صار هذا بعد تلك الوقفة الطويلة التي حفظها عليها التاريخ ، وقفة الاتهام المشين ، وهي أمام زوجها بالفتيحة — وبعد تلك الوقفة التي وقعت أمام النسوة ، ترعد وترق ، وتوعدهن ناسها بالمقاب الأليم ، إن لم ينزل على حكمها ، فهذه « الحسنة » التي صدرت منها الآن ، هي في جانب مضايقاتها ليوسف سابقاً ، كالغرة البيضاء في الأديم الأسود ، وهذا « التقريظ » الذي نسمعه منها اليوم ، هو في جانب ما سبق من « الهجاء » كالكرهاء .  
أمام الظلام القائم .

فياله من تطور مدهش ! وفياله من تغير فريب !

فهي بمقدار ما اجتهدت أولاً أن تلتصق به العيب ؛ فالיום اجتهدت أن تبرىء ساحته من العيب ، فسبحان من ألمها قبحورها واقفوها ، وصدق من قال : « إن للباطل صولة » ثم يضمحل ، ولريح الصلابة عصفه ، ثم تحقت « وصدق صاحبنا الأمير شكيب أرسلان إذ قال : « لا تطلب الثبات من ثلاثة أشياء : البورصة والتفوق والهواء ، وإن شئت فضم قلوب النساء » .

واليك سبباً ثانياً قد ألهمته الآن وأقا مائل بين أيديكم بين وجهه تنير فكر « زليخا » :

كانت قد بقيت بقية من مرارة الحب في أعماق قلبها حتى بلغت أن حبيب قلبها قد انقلب في السجن من « شاب » إلى « كهول » ومن « فاتن » إلى « مفتى » يُستفتى فيفتى ، ويُسأل فيجيب ، بدل إلى « واعظ » يجلس على كرسي الوعظ ، يعلم المسجونين ، عقائد الدين ، كما يلنها أنه صار في السجن طويل « الفراع » طويل « اللحية » ، والمصريون في ذلك العصر كانوا يتبرون اللحية علامة « الذل » والدناءة ، فقد شوهد على الآثار المصرية ، « الأسرى » والأدنياء مصورين بلحي .

وأما المصريون فكانوا عموماً يرون وجوب حلق لحام ورؤوسهم ، فكانت امرأة العزيز كلما يبلغها عنه شيء من هذا القبيل ، تتضاعل شعلة محبتها له ، شيئاً فشيئاً :  
وَمِنْ يَدِهِ يَوْمًا «عَارِضٌ» وَجَنَاتِهِ فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا لَوْفَاتِهِ  
فكان ذلك الزمان آخر عهدها بالحب ، وكان شبج الغرام هامة ' اليوم أوغده ،  
فلذلك نسيت أحكام الهيام ، وسبحان من له الدوام .

هذا ما كنا وعدناكم به على لسان السيدة لطيفة المراكشية عند محاضرتها على  
(آ ٣٢) (وهذا كلام « المرأة » التي كانت خصيمة يوسف بالأمس ، وانقلبت اليوم  
محامية مدافعة عن شرفه ، وانه كان يجب أن يكون لجماعة المفسرين مغزى وعبرة  
من قولها : ﴿أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين﴾ ، فيتبني لنا نحن أن  
لا نتعدى حدودنا ويقلّ حياءنا ، ونقول فيه كما قال فريق منا ، مما يخاف ما شهدت  
به زليخا ، فلا ينبغي أن تكون هي أهدي منا لمعرفة واجبات ذلك  
« الصديق الكريم » :

قم فقد قامت الطيور تغني      لا يكون الحمام أطرب منا  
(مرحى)

### تممة اعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف

آ ( ٥٢ ) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ، وَأَنَّ اللَّهَ  
لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ .

استمرت الجلسة في محاضراتها وتليت الآية الاثنتان وخسون فقام العلامة  
الغزوي وقال :

تقول امرأة العزيز إن ( ذلك ) القول الذي قلته في تنزيه يوسف ، والاقرار



على نفسي بالراودة من جانبي الذي ضحيت به شرفي وحسن سمعتي في سبيل شرف يوسف وحسن سمعته ، ليس لراودة أتخوفها منه ، ولا عائدة أرجو أن يقبسنيها ، وليس هو دهاناً ولا تعلقاً ، لا .. لا . . . ولكن ( ليعلم ) يوسف ( أني لم أخنه بالغيب ) وإن كنت خنته بحضرة وعند مشاهدته ، ولم أغفل واجبه ، ولم أصنمه بدينثة ولم أعبه بما يشيته ، فلئن كنت متذ بضع سنين قد أحلت الذنب عليه وهو حاضر ، فلا يسعني الآن أن أحيد الذنب عليه حال غيبته ، احتفاظاً بالأمانة وحقوق الغائبين ، أي ليعلم أي لم أكذب عليه في حال الغيبة ، بل جئت بالصحيح والصدق ، فيما مثلت عنه ؛ فعلت ذلك لتطيب نفسه وتقر عينه ، ويعرف أنه يوجد من يحفظ الود ، ويتمسك بالهدى ، ولو على البعد ، و ( أن الله لا يهدي كيد الخائنين ) بل يجعله قبض الريح ، فلا ينفذه ولا يسدده ؛ وأنا الحقيرة كنت من هؤلاء الخائنين مع الاسف ، فاني أقدمت على الكيد والمكر لاجرَم اني افتضحت ، وانه لما كان بريثاً عن الذنب لاجرَم طهره الله تعالى بالثناء عليه .

وبعد ما سبق ذكره فذكر الذبول التالية :

### توبة زليخا

أولاً — نرى الآن « امرأة العزيز » قد أقلمت عن أفكارها الأولى ، أفكار العار والدنس والكذب ، الى أفكار جديدة ، أفكار الشرف والطهارة والصدق ، وهذا من نعمة الله عليها ، فتاب الله عليها من أفكار الفحشاء ، كما تاب أخيراً على اخوة يوسف من أفكار العدا ( آ ٩١ و ٩٧ ) .

### معنى بالغيب ومحله اللغوي

ثانياً — قوله « بالغيب » محله الحال من الفاعل أو المفعول ، على معنى : « وأنا غائبة عنه ، خفية عن عينيه ، لأنني ههنا في قصري وهو في سجنه ، أو وهو غائب

عني ، خفي عن عيني » ، ويجوز أن يكون ظرفاً ، « أي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار في قصرها » .

### الكبير المذموم والكبير المدوح

ثالثاً - خص الخائنين في قوله ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لَكَ كَيْدٌ إِلَّا نَجْنِئُكَ ﴾ ، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴿ تنبيهاً على أنه قد يهدي كيد من لم يقصد بكيده الخيانة ، فالكيد يكون مذموماً ومدوحاً ، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر ، فما هو من قبيل المذموم ، ما في هذه الآية ، وكقوله سابقاً « فيكيدوا لك كيداً » ( ع ٥ ) ، وما هو من قبيل المدوح ما في قوله تعالى « كذلك كدنا ليوסף » ( ع ٧٦ ) وقد مر تفصيله في آ ٣٨٩٥ .

### نسبة القول في قوله « ذلك ليعلم الخ إلى زليخا وليس إلى يوسف »

رابعاً - قوله : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنَّي . الخ ﴾ ، قال جمع من المفسرين ، ومنهم مع الأسف العلامة الزمخشري ، إن هذا القول من كلام يوسف ، وهو في سجنه وإن الضمير في « ليعلم الخ » راجع للعزير ، وقولهم هذا لا يصح ، لأن الضمائر التي قبله ، عائدة إلى يوسف ، فلا ضرورة تدعو إلى حمل الضمير في « ليعلم » على العزيز ، وجعله من كلام يوسف ، وقد تضمنته الآية المصدرة بنسبة القول لزليخا ، فلذلك يجب أن تكون المحكيات كلها من كلام تلك المرأة .

فالخلاصة إن امرأة العزيز أتت في استجوابها على ثلاث جمل ، أو ثلاث آيات ، نطقت بها أمام « المستنطق » في قصرها أو في قصر مليك مصر ، في حال وجود يوسف في سجنه ، الذي ربما يكون بعيداً عن قصور الأمراء ، كما يفيد كلماتنا « فأرسلون » و « لعلي أرجع إلى الناس » ، فنسبة بعض القول ليوسف هو من أبعد البعيد .

وأما ما نظر به صاحب الكشاف من قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ

فرعون: «إن هذا الساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره، فماذا تأمرون؟» قالوا: أرجه وآخه، وأرسل في المدائن حاشرين، يأتيوك بكل ساحر عليم ﴿٧: ١٠٨ - ١١١﴾، فقوله إن هذا الساحر الخ هو مقول قول الملأ، وأما قوله، فماذا تأمرون، فهو كلام فرعون، يخاطبهم ويستشيرهم، كذا قرره صاحب الكشاف، ورد بأنه إنما يجري الكلام على هذا الوجه، إذا أُلجأ إليه محوج، كفي الآية المذكورة إذ لا يمكن جعل «فما ذاتا مروون» من كلام الملأ، فتعين أن يصرف الضير عنه إلى فرعون، وأما في آيتنا التي في سورة يوسف، فلا محوج فيها لمثل ذلك، كذا قرره صاحب الكشاف، ولنا أن نقول: إن جملة «فماذا تأمرون» هي أيضاً من تمة كلام الملأ، أي أن فريقاً من الملأ، قال لفريق آخر منهم: «هذا القوم يستطلع رأيهم، ولما أخذنا هذا الفريق من الملأ، فريقاً آخر منهم، آجاب الفريق المسؤول، موجبين الخطاب لفرعون، وقالوا: أرجه وآخه، وأرسل الخ»، وقال بعض المعاصرين: إن الملأ من قوم فرعون، ما قالوا هذا القول إلا تبعاً لقول فرعون، الذي حكى عنه في سورة الشعراء: ﴿قال للملأ حوله: إن هذا لساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره، فماذا تأمرون؟» قالوا: أرجه وآخه، وابتعث في المدائن حاشرين، يأتيون بكل ساحر عليم ﴿٢٦: ٣٤ - ٣٧﴾، أي أنهم رددوا كلام فرعون، وصار يلقيه بعضهم إلى بعض، كدأب الناس، في نقل كلام ملوكهم ورؤسائهم وترديد، اظهار الموافقة عليه، ونعياً لتبليغه، فهذه ثلاثة وجوه في الآية التي استشهد بها الكشاف، كل وجه منها يبطل الاستشهاد بها.

(وما أن نزل الخطيب عن المنبر، حتى وقف السيد رئيس المؤتمرين، وطلب التكميل إعجاباً بآيتهن في الخطيب، فكبر الماضون ثلاثاً)

آ(٥٣) ختام اعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف ثم طلبها الرحمة والنقران ٩٢٧

ختام اعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف ثم طلبها الرحمة والنقران

آ (٥٣) ﴿وَمَا أَبْرَىٰ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ،

إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . ﴿

الجلسة وتليت الآية الثالثة والخمسون فقامت الأنسة خديجة

اللدية وقالت :

استمرت « زليخا » في كلامها قائلة : ومع ذلك يا حضرة « المحقق » ( وما

أبرى نفسي ) من الخيانة ، فاني قد خنت يوسف حين قرفته ، وقلت ﴿ ماجزاء

من أراد بأهلك سوءاً الا أن يسجن أو عذاب أليم ﴾ واني انحرقت عن طريق

الفضيلة ، ففقدت السعادة والاعتباط في معيشتي .

ثم أرادت الاعتذار مما كان منها بقولها : ( إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم

ربي ) أي إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف الذي هو تقي الجيب ،

صحيح العرض ، ( إن ربي غفور رحيم ) وعفا الله عما مضى . هذا لفظها الذي

دق وشف ، وقد استعجبت في طلب المغفرة والرحمة ، مع أن يوسف لا يزال بمساعها

في سجنه ؛ وما أظلم الجنس اللطيف اذا قلت إنه اذا طلب لم يصبر على التريث في الإجابة ،

حتى عند الطلب من السماء ، — وجملة الاستغفار والاسترحام ، جملة خبرية لفظاً ،

انشائية معنى — إذ تقول : ( إن ربي غفور رحيم ) يتعمد الذنوب ، ويصفح عن

العيوب ، وإني ممن يرجو مغفرته ورحمته ، فلست فيما حاولت من الخطيئة بأولى

النساء ولا واحدتهم ، وليست رحمة الله اذا شملتني بأول رحمة شملت الخاطئات .

قال الشاعر :

إن الكبار في النقران كالهم

يانفس لا تقنطي من زلة عظمت

تأتي على حسب العصيان في القسم

لعل رحمة ربي حين يقسمها

وبعبارة ثانية يمكن أن تقول :

(وما أبرئ نفسي) ولا أكذب الله، ولا أخلص نفسي من الحياة، عن كل ما فعلت مع يوسف من مراودتي أنا وإياه، ولا من تخليق الأبواب، ولا من قولي « هيت لك »، ولا همي بالايقاع به، ولا من تخافي له حين أراد أن يفر بشرفه، ولا من تلويي شرفه بنسبته لإرادة السوء، ولا من تشويقي لسبدي أن يسجنه أو يعذبه عقاباً أليماً، وأخيراً : وما أبرئ نفسي من كيدي له مطلقاً، فالآن اعتذر الى الله وإليه ما كان، (إن النفس لأماراة بالسوء) ، بحسب صليقتها وغريزتها، وبمقتضى ديدنها وعاداتها، فكل ما عملته ناشئ عن شعور نفسي، لا عن خواطر عقلية، لأنني أعتقد أن كل ما صدر مني، هو ما ينهى عنه العقل، وإن أمرت به النفس فهو خدعة من خدعها، وزعة طائشة من نزعات الشياطين، هذه جليلة الواقع، قد كشفت عنها القمام، بمراعى ومسمع حضرة «المحقق» المحترم، وحضرات أترابي السيدات، وسواء علي أشكرت على هذا الاعتراف، أم اقتدت، فأنا اليوم لا يهمني سوى براءة هذا البعد الطاهر، بمقتضى ما أوحاه إلي الضمير الحر، ولا خير في حياة يجيها المرء بغير ضمير، ولا خير في ضمير لا يخدم به الانسان صديقه المظلوم !.. وهكذا تأل « زليخة »، جرداً في نبوة ساحة يوسف، ونزاهة جنابه، عن كل وصحة تعاب بها الشبية، وبذلك طارت قضية يوسف قاجحة موفقة، قد استجمعت عناصر القوز والظفر.

(وما أبرئ نفسي، إني للنفسى - لائخ )

- ١ -

وقام سيدي جعفر الجيزاوي<sup>(١)</sup> يلقي خطاب السيدة زينب الجعبوية<sup>(٢)</sup> بالنيابة عنها فقال :

ليس من لزوم الى الاستقاضة في شرح مقررات وتواكيب هذه الآية الكريمة،

( ١ ) نسبة الى الجزيرة في مصر . ( ٢ ) نسبة الى جعبوب من بلاد السودان

فان هذا البحث قد قام به من سبقنا أحسن قيام ، واغا غرضي الآن أن أذكر بعض ملحوظات لها علاقتها بهذه الآية بل والآيتين قبلها واليك البيان :

### الملاحظ على لفظ « ما » على العاقل وغيره اذا اريد بها الصفة

الملحوظة الأولى — قيل « ما » في قوله « مارحم » ، ذهاباً الى الصفة ، أي « المرحوم » ، ومتى أريد بها الصفة ، أطلقت على العاقل وغيره ، ومن أمثاله : ( لا أعبدُ ما تعبدونَ ، ولا أتم عابدونَ ما أعبدُ » ( ١٠٩ : ٢ و ٣ ) فلفظ « ما » في هذه الآية ، اريد به الصفة : أي « المعبود » ، أو يقال : إن امرأة العزيز تكلم في الاثاث من العقلاء ، بجري مجرى غير العقلاء ، ويحتمل الوجهين قوله تعالى : « فانكحوا ما طابَ لكم من النساءِ » ( ٤ : ٣ ) وقوله : « أو ما ملكت أيمانكم » ( ٤ : ٣ ) ، ألا ترى أنه قد جاءت « من » عند ارادة الذكور من العقلاء ؟ كقوله : « لا عاصِمَ اليومَ مِنَ أمرِ اللهِ إلا مَنْ رَحِمَ » ( ١١ : ٤٣ ) ، وقوله : « ولا يزالونَ مُختلفينَ إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ » ( ١١ : ١١٩ ) وقوله : « يومَ لا يُغني مولىً عن مولى شيئاً ، ولا هم يُنصرونَ ، إلا مَنْ رَحِمَ الله » ( ٤٤ : ٤١ ) .

### فضائل الرحمة ومزاياها

الملحوظة الثانية — قوله : « إلا مارحم ربك » ، فرحمة الله ، تبعث النفس عن أمرها بالسوء ، كما أنها تقرب للانسان العصمة : « لا عاصِمَ اليومَ مِنَ أمرِ اللهِ إلا مَنْ رَحِمَ » ( ١١ : ٤٣ ) ، وتنفى عن الناس الاختلاف : « ولا يزالونَ مُختلفينَ إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ » ( ١١ : ١١٩ ) ، وتمنع العذاب يوم القيامة عن الانسان : « يومَ لا يُغني مولىً عن مولى شيئاً ، ولا هم يُنصرونَ ، إلا مَنْ رَحِمَ الله » .

(٤٤ : ٤٩) ، « قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَبِيدُ » ، (٦ : ٩٥ و ٩٦) ، « وَمَنْ تَقَرَّ السَّيِّئَاتِ — أَي عَفُوبَاتِهَا — يَوْمَئِذٍ ، فَقَدْ رَحِمْتَهُ » ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، (٩ : ٤٠) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَضَائِلِ الرَّحْمَةِ وَمَزَائِمِهَا .

### رَحْمَةُ اللَّهِ الْخَاصَّةُ وَرَحْمَةُ الْعَامَّةِ

الملاحظة الثالثة — تليقاً على قوله (إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) بما عبَّارة «غفوراً» نرجو أن يكون قد غفر الله لأمراء العزيم ، إذ هي قد اعترفت وندمت ، وغالباً عذمت على عدم العود ، وباعتباره «رحباً» لم يوح ليوسف بقصاصها وعقابها ، هذا من جهة رحمته الخاصة بها ، وأما من جهة رحمته العامة ، فإنه تعالى أزلها عن سمو درجاتها ، ورفع عن رأسها التاج ، بإنزال سيدها العزيم ، عن منصة الحكم ، هذه هي الرحمة الخليفة بترية أخلاق الأمة ، وهذا هو الجنون الإلهي الذي يخفف من إجرام الجرمين ، وأما الرحمة التي هي مجرد عفوع الظلمة أو القتل أو السران مثلاً ، فما هي إلا تكثير للظلم أو سفك الدماء ، أو السرقة ، لأنها تولد الميل لارتكاب أمثال هذه الجرائم .

إننا وإن كنا نشعر بحزت عميم ، من أجل الجرم ، الذي يماق من جراء جرمه ، إلا أنه يجب علينا أن نأقبه ، لتمنع الآخرين ، ولنمنه هو أيضاً من العودة ، إنه لمن أفضع الأعمال ، أن ندير له الحد الآخر ، وإن ذلك لم يبع جداً ، لأنه يشجع الشريرين ، على السير في تيار جرائمهم . (هكذا وأبته في كلام الحضرة اللورد هدي المسلم الانكليزي رحمه الله تعالى) .

### أفوال في نوب زليفا

الملاحظة الرابعة — (قيل إن «زايخا» اضطرت للاءتراف اضطراوا ،

حيث رأت ان النسوة ، قد شهدت فيه شهادة طيبة ، ورأت أن ملك مصر أحبه ، وأراد أن يقربه من لدنه ، فهي ليست مخلصه في هذه التوبة ) وفي هذا القول نظر ، فان العبرة بالظاهر ، وهي ظاهراً قد تابت وحسنت توبتها ، وقد ثبت في الصحيحين عن « أسامة بن زيد » رضي الله عنه أنه قال : ( بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ، فصباحنا الحرقات من جبينة ، فأدركت رجلاً فعلوته بالسيف ، فقال : « لا إله إلا الله » ، فطمعته فقتلته ، فوقع في نفسي من ذلك ، فذكرته للنبي ﷺ ، — فقال : أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ — قلت يا رسول الله : إنما قالها خوفاً من السلاح — قال : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفاً من السلاح أم لا ؟ — فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم ) .

### نهاية سيرة العزيز وامرأته

المحوظة الخامسة — آخر كلمة تكلم بها «عزيز مصر» هي قوله: ﴿واستغفري لذنبيك إنك كنت من الخاطئين﴾ (ع ٢٩) ، وآخر كلمة تكلمت بها امرأته ، قولها ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ ، فكانت لها امثلة إرشاد سيدها لها بالتوبة والاستغفار ، لكن بعد حين ، وبعد حوادث وعواصف ، وإلى هنا انتهى تاريخ «العزيز وامرأته» ، وطويت صحيفة ذكراها ، وتداعى مجدها ، كما يتداعى بيت أقميم من الورق ، أو قصر بني علي الرمال ، وكأن لم يكن شيئاً مذكوراً ، وبسبب هذه الحوادث ، قد خسر «العزيز وامرأته» خسارة عظيمة ، مادياً وأديباً ، فأما خسارة العزيز المادية ، فينزوله عن وظيفته ، وأما خسارته الأديبية فيتساهله بالجمع بين امرأته وفتاه ، ثم تساهله في مجازاة امرأته ، بعد ظهور خيانتها ، وأما خسارة «زليخا» المادية فينزول تاج وظيفته سيدها عن رأسها. وأما خسارتها الادبية فبما حفظ عليها التاريخ ، من سقوطها في هوة محاولة الشهوة البدنية ، وهكذا شأن كل ظالم مستبد ، خارج عن قوانين شريعة الأدب ، فان الله تعالى يعمله ولا يهمل ، وما ربك بظلام للعبيد .



### المرادائم والسبب خالدة

الملحوظة السادسة - كات « امرأة العزيز ، بما فعلت سابقاً ، كتبت لنفسها بيدها صحيفة سوداء ، في قاريخ حياتها ، ولكنها اليوم بما أفرت واعترفت ، وبما ندمت واستغفرت ، قد شغبت من تلك الجريمة شيئاً أو كل الشيء ، ثم هي اذا كانت قد تابت الى الله توبة خالصة ، فلاريب أن الله يتوب عليها ، ويفر لها ، فلا يؤاخذها يوم الدين ، ولكن على كل حال فالمرادائم والسبب خالدة ، فليعتبر بذلك المتبرون والمعتبرات ، يأخذوا لأنفسهم كل أنواع الحذر والحجطة .

### زليفا نمر بجرمة عزماء وليست بجرمة فعلا

الملحوظة السابعة - لم نر في قاريخ الإثبات الشقيان ، أخف شقاء من هذه « المرأة » لأنها اعترفت أخيراً أمام مندوب الملك ، وصرحت بجلية الواقع ، وذادت عن غريمها . وانتصرت له على نفسها ، وأعلنت ندمها وتوبتها ، وطمعت في عقران الله ورحمته ، وقليل جداً من الشقيان من يصدر عنهم كل هذا .

تاب لهذه المرأة رشدها ، وحاولت الرجوع الى ربها ، والتوبة من ذنبها ، ولا ريب أنها اذا كاتت مخلصه - ولا نفاهاً إلا كذلك - إن الله يتوب عليها ، ويفتح أمامها أبواب السماء ، كما هي مفتوحة للقائلين والملاحدين ، متى تابوا ، لاسيما أنها أرادت السوء فقط ، ولم تساعد الاحوال على حصولها على ما أرادت ، فهي « مجرمة » عزماء ، غير مجرمة فعلاً وبباشرة ، فجرمها أخف من جرم من سقطت بالفعل ، كما أن جرم من تسقط فعلاً وهي مستخرة ، أهون من جرم من تكون في المواخير ، تقف نفسها في سبيل الفحشاء على وجه القحة والمجاهرة .

هذه « المرأة » لاهي شريفة ، بحيث تعد من السيدان الشريفان ، ولا هي متينة القلب غير حساسة ، حتى تعد من النساء الساقطات ، بل هي في منزلة بين

المزلتين ، لأن كل ماصدر منها إنما هو « المرادة » ثم انها أخيراً تابت وثابت ، فوجدت أمامها رباً غفوراً رحيماً .

بهذا الاعتراف المقرون بالتوبة والندم ، نعلم أنه قد وجد في هذه « المرأة » التي تعد نصف ساقطة ، فضيلة من فضائل النفس ومزاياها ، لا توجد إلا قليلاً في أفاذ الرجال ، وأقل من القليل في فضليات النساء ، فقد ضحت بشرفها في سبيل الدفاع عن يوسف ، ولعمر الحق ان هذا النوع من التضحية ، لهو نادر الوجود في هذا العالم ، المتمدين الحاضر ، الذي يعد نفسه من عالم النور .

### مؤثرات الحب في النفس والوضوح

الملحوظة الثامنة - الحب يخفف الغضب ، ويذلل الأسود ، ويستأمد الجبابرة ، وهو الذي يبعث الى الشفقة والحنو ، فاذا رأيت انساناً في خلقه جفاء وخشونة ، فاعلم أن الحب لم يستول على قلبه بعد ، نعم إن حب « امرأة العزيز » ليوسف ، لم يكن خالصاً من شوائب المنكر ، ولكن ذلك لا يمنع تأثيره على القلب نحو ذلك التأثير ، لاسيما وانه لم يفسد بفعل الفاحشة ، فالحب وإن ظهر في الناس ، مختلفاً باختلاف أخلاقهم وأحوالهم ، فسيبه واحد ، وهو الجمال الجاذب ، ونتيجة واحدة ، وهي تلطيف الطبع ورقة القلب ، وهذا ما حمل « زليخا » على أن تسمع منها هذا « الاعتراف » الذي هو من قبيل رد القول ، وعلى أن يصدر منها هذا « الندم » الذي هو من قبيل ما يسمى رد الفعل ، فحبذا هذه البقرية التي يسجلها لها « التاريخ » بمداد الاعجاب .

نعم . نعم . قلنا ولا نزال نقول : إن هذا النوع من التعقل والخضوع والإنابة ، والذي صدر من امرأة العزيز ، هو شأن كل من عرف الحب ، وشعر به ، لأن الحب يدمت الأخلاق ، ويلطف الطباع ، وله الأثر البليغ في تهذيب العقول ،

وترويض النفوس ، وهو أبو الشفقة وشقيق الحتان ، ولولاه لأكل الناس بعضهم بعضاً ، لأن الذي لا يُحب ، لا يرحم ولا يشفق ، ولا يكون فيه شيء من عواطف المحبين ، فلذلك استقام طبع « زليخا » وتحولت مجاري أفكارها ، وبدأت تطري يوسف ، وتقرظه بما هو أهله .

### زليخا سهلت ليوسف الخروج من السجن شريفاً باعترافها

الملاحظة التاسعة — إن « زليخا » ههنا باعترافها سهلت على يوسف الخروج من سجنه شريفاً ، ومهدت له الجراءة أن يطلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض ، ولولا ذلك لقامت دون خروج يوسف من سجنه الحوائل ، ولتعرقلت مساعيه فيما رغب ، إذ كان يمكنها أن ترفض « العلامة » التي أقامها « الشاهد من أهلها » قرينة على انها هي المرادة بأن تقول : « إنما جذبتة من خلفه لأمسكه فأضربه ، لأنه لما راودني غضبت عليه بهرب » كما يمكنها أن ترد تزكية النسوة له بأنهن كنّ لما رأينه عشقنه حتى غبن عن إحساسهن ، وقطن أيديهن ، فتزكيتن له معلولة ، كما كان يمكنها أن تقول : « لو شهدن — أي النسوة — عليها بأنها أقرت واعترفت بمرادته وأنه استعصم بطنها في شهادتهن لأنهن حسدنها عليه » ، فمع إمكان كل ذلك لها لم تفعل ، بل أحجمت عن كل ما ذكر ، بل أقرت واعترفت ، بأن الجرم إنما كان من جانبها ، وزيادة على ذلك أثنت عليه ثناءً حسناً ، فصدق عليها أنها أحيت يوسف ، مع تمكنها من موته ان لم يكن جسماً نياً فمعنوياً .

### صدي جواب النسوة وامرأة العزيز في الاوساط

الملاحظة العاشرة — لاندحة من انه كان لجواب هؤلاء النسوة — لاسيا امرأة العزيز — صدها العظيم في قصور أميرات مصر ، وفي بلاط الملك ، حتى رنت له « صَوَّعَن » رنة استغراب واندهاش ، مع الاعجاب الشديد ، بيوسف وطهارته .

(وما ابرىء نفسي ، إن النفس لأماورة...) الخ

— ٢ —

وقالت السيدة لطيفة الكشميرية (١) :

### عبرة وذكرى من حادثة العزيز وامرأته

الى هنا انتهت سلسلة ذكريات « امرأة العزيز » و « العزيز » ، وطويت صحيفتها ، وأتى الدهر على جميع ما كان لهما من ترف ونعيم ، وجاه ونفوذ ، وذكر جميل ، ولم يبق لهما من ذلك كله إلا تلك السيرة التي تتلى في مدارس اليهود والنصارى والمسلمين ، في الصوامع والبيع والصلوات والمساجد ، في حلقات الوعظ ، في المحارب والنوادي والحفلات ، وفي البيوت ، حتى في مراسم التمثيل ودور السينما ، فلتعتبر السيدات والآنسات ، وليحافظن على عفتهم ، التي هي كل ما يمكن من شرف وافتخار ، وليعتبر الامراء والوجهاء وليحتفظوا من الوقوع في مثل هذه الاشراك ، التي تجر عليهم العار والشتار ، فان هذه السيدة ماسجلت في بطون الكتب الدينية إلا للعبرة والذكرى .

إلى هنا ينتهي ذكر زليخا وفوطيفار ، ولم يعد لهما ذكر في كتاب الله تعالى ، وأصبح ذكرها أثراً بعد عين ، أثراً من الآثار الدارسة ، التي يهديها التاريخ الغابر للتاريخ الحاضر ، ولم يبق إلا ذكر يوسف ، فكأن سعادة يوسف وأهله بنيت على ألقاض شقاء فوطيفار وأهله ، وهكذا شأن الدنيا ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

إلى هنا يتم القول في تلك الفتنة التي أضرت زليخا ناراها ، وتم تاريخ عزيز مصر وآذن نجم سعده بالأفول ، ولقد صدق من قال : « ما بينه الرجل من الآمال

(١) نسبة الى كشمير من بلاد الهند

في سنة ، تهدمه المرأة في يوم واحد ، ولو كانت تاريخ النساء مسطراً ، لصح أن يدعى تاريخ العالم بأسره ، لأن النساء أصل كل ثورة في الملك أو في الأسر ، وقد قيل : « المرأة سر عامض ، منها يولد المرء ، ومنها يحيى ، ومنها يموت » .  
هذا وإن في كتاب الله تعالى ، في سورة النساء ، اللاتي هذه المرأة « رليخا » منهن ، ثمان آيات ، هي خير مما طلعت عليه الشمس وغرقت ، كما أخرجه البيهقي في شعب الايمان عن ابن عباس ، رضي الله عنهما :

الآية الأولى والثانية والثالثة — قوله تعالى : ﴿ يَرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ، وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ ، وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمْلِكُوا عَلَيْهِمْ ، وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ، وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (٤ : ٢٥ - ٢٧) .  
والآية الرابعة — قوله تعالى ﴿ إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَارًا مَا قُتِلْتُمْ مِنْهُ ، نَكْفَرُ عَنْكُمْ سِئَاتِكُمْ ، وَنَذَرُ خَلْفَكُمْ مِنْ دُونِهَا كَرِيمًا ﴾ (٤ = ٣٠) .  
والآية الخامسة — قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَلَمْتُمْ أَنْ تَبْطُلُوا بِحَقِّكُمْ ذُرِّيَّتَكُمْ ، وَإِنْ أَنْتُمْ تَكُونُونَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا ، وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤ : ٣٩) .  
والآية السادسة — قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٤ : ١٠٩) .  
والآية السابعة — قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤ = ١١٥) .

والآية الثامنة وهي الأخيرة — قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِحَقِّهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٤ : ١٥١) .

الى هنا يتم خطاب الاعتراف ، الذي صدر من رليخا ، وقد قيل إنه كانت التلك المرأة عذر في مرادتها ليوسف ، وذلك أن زوجها كان خصياً ، ورؤد

بأن هذا القول مأخوذ من تعبير سفر التكوين عنه : « بخصي فرعون » ، ولكن هذا الأخذ غلط ، لأن لفظ « خصي » لا يراد به أصل معناه ، بل يراد به من يكون « ناظرآ في الحرم » ، لأن الذين كانوا يستخدمون في الحرم ، جرت العادة أن يكونوا خصياناً ، ولهذا ترجمت في بعض الترجمات غير العربية « برئيس الحرم » هكذا قاله بعض شراح سفر التكوين ؛ وقيل إن زوجها فوطيفار كان دميماً ، فلما رأت يوسف ، ظهر لها بالمقابلة قبحة أكثر وأكثر .

إن اعتراف زليخا بجلبية الواقع ، بعد أن أنكرت قبلاً تمام الإنكار ، وانقلابها الخطير من مهاجمة الى مدافعة ، ومن ظالمة الى عادلة ، ومن كاذبة الى صادقة ، كان كله بحسب النوايس الطبيعية ، وبحسب الظاهر ، وأما العامل الحقيقي في تغيير فكر زليخا وعدم ثباتها على الكيد ليوسف ، هي ورفيقاتها النسوة المصريات ، هو الله تعالى مقلب القلوب ومصرف الأمور ، تحقيقاً لسابق قوله تعالى : ﴿ قاستجاب له ربه ، فصرف عنه كيدهن ، إنه هو السميع العليم ﴾ ( ع ٣٤ ) .

ختمت امرأة العزيز اعترافها بأن ربه غفور رحيم ، إيذاناً بطمئنها فيها ، قال تعالى ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾ ( ٣٩ : ٦٣ ) وقوله تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ ( ٧ : ١٥٥ ) ، والمغفرة من الغفر وهو الستر ، وستر الذنب بدم الحساب والعقاب عليه ، لا ينافي بقاء أثر خفي له ، وأما العفو فهو ذهاب الأثر ، فالعفو عن الذنب ، جعله كأن لم يكن بأن لا يبقى له أثر في النفس ، لا ظاهر ولا خفي ، وبناء على هذا ، فالعفو أبلغ من المغفرة ، وإنما عبرت امرأة العزيز بالمغفرة دون العفو مع انه أبلغ ، لأنها لم تطمع إلا فيه فقط ، وربما يقال : إن الفرق بينهما لغوي ، وأما النتيجة فهي واحدة . ( مرعى )

وعند هذا الحد يختم الفصل الأخير من رواية هذه المرأة وزوجها فلا يذكران أبداً ، وكأنهما ما كانا :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ، ولم يسمر بمسكة سامر

## الباب الرابع

### الفصل الأول

من ظلمة السجن الى نور الحرية وخروج يوسف من السجن ريثاً

آ (٥٤) ﴿وقال الملكُ: «أئتوني به استخليمه لتفسي» .  
فلما كلمه ، قالَ : «إنك اليومَ لهَ يُتَمَكِّنُ أمينٌ .»﴾

افتتحت الجلسة وقلت الآبة الرابعة والخمسون ، فقام الجان عبد السلام  
التتري<sup>(١)</sup> وقال :

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبتغ إلاّ خالي الباك

ما بين رمشه عين واتباهتها يغير الله من حال الى حال

لندع أيها السادة امرأة العزيز والنسوة المصريات لتغير أجل ، فإن فصصهم  
قد اقفضى ، ولتعد ليوسف الصديق وخروجه من السجن ، فالآن سنتتهي سلسلة  
آلامه ، ويتدىءأت يدخل في دور جديد .

لقد تقدم أن «الرسول» أجرى التحقيقات اللازمة وما هي الا جولة في هذا  
المترك السري ، حتى عاد من بعدها متأبطاً في حقيقته نتيجة التحقيق ، أو أنه  
حكى شفاهياً مارأى وسمع في غرفة «الاستنطاق» من وقت دخوله بها الى وقت  
خروجه منها ، ولا نسل عن سرور الملك ، وشدة حبه ليوسف ، غيباً بلتغ  
نتيجة التحقيق ، ( و ) لذلك ( قال الملك ) الريان ، والاهتمام ظاهر في كلامه ،

(١) نسبة الى قوم التتروم اصول الا تراك القدماء

مزوجاً بالشوق ( ائتوني به ) سراعاً ، لأتني أتصور أن هذا الشخص هو المرساة  
التيينة التي تمنع سفينة مصر من أن يجرفها تيار الجذب والقحط (أسنخلصه لنفسه)  
وأسنخصه وأصطنعه لشخصي ، وأصطفيه ، وأتخبه لذاتي وأزلقه اليّ ، بحيث  
أرجع اليه في تدبير مملكتي ، وأعمل على اشارته في مهات أموري ، يكون عندي  
كاستشار أو ناموس ؛ فذهب الرسول الى يوسف ، وأنبأه بقوله : « لقد جرت  
التحقيقات السرية ، حسباً رغبت ، فكانت النتيجة براءة ساحتك من كل وصمة ،  
فالسيدات نساء الأمراء قد شهدن فيك بالطهارة ، بل إن نفس « امرأة العزيز »  
قامت كمدافع عنك ، واعترفت بأن المرادة كانت منها فقط ، وانك صادق ، وهي  
المبطلّة ، ودافعت عنك دفاعاً مجيداً ، ولم تأل جهداً في بيان طهارتك وعفتك ، وعليه  
« فالملك الريان » يكرر طلبك ، ويأمر بتخوصك اليه ، فلما سمع ذلك قال : « الحمد  
للإبلى ، والشكر للإلهي ، غب الصباح يحمد القوم السرى » ثم خرج من السجن ،  
بعد ما ودع رفاقه فيه ، ومع أنهم سرّوا بالافراج عن صديقهم الصديق ، فقد أحسوا  
في أنفسهم بشيء أقلق راحتهم ، لا يدرون ماهو ؟ وقد قاتهم انه سهم مفارقة يوسف  
اليهم ، الذي كان في السجن تغزية لهم ، فما هي الا جولة أو جولتان حتى وصل الى  
حيث يجلس الملك فدخل عليه ، وقال له : أبيت اللعن أيها الملك ، ( فلما ) وقف  
بين يديه ، رآه فلمس قلبه قلبه ، و ( كله ) يوسف ، فعجب الملك من فصاحته  
وقال : حقاً إن في الزوايا خبايا ، حقاً إن الرجال تحت طي لسانهم ، لا تحت طيلسانهم ،  
حقاً إن الحديث أدل على الرجل من لباسه ، حقاً إن يوسف هذا هو ملء الاذن ،  
كما هو ملء العين ، وعند ذلك قال له الملك بلسان الوعد والتطمين : لله أبوك ! ،  
( إنك ) عندنا ياأخا العبرانيين ( مكين ) ذو مكانة ومنزلة ( أمين ) مؤتمن على كل  
شيء ، أو آمن من كل مآرهب مابقيت وبقيت ، فأنت المضطرب الخائف سابقاً ،  
والثابت الآمن لاحقاً ، أنت اللذليل المتهم براء ، وذو المكافة والمأمون أخيراً ، أنت



٥٤٠ طلب الملك ليوسف ثانية بعد رجوع المتدرب من التحقيق (٥٤)

العظم واللحم ، ونحن الجنة والرداء» ويحصل ان معناه مكبت في ملكي ، أمين على تدبيره .

« وقال الملك اثوني به . » التح

- ١ -

وقال الاستاذ عبد الغفار الجركسي :

طلب الملك ليوسف ثانية بعد رجوع المتدرب من التحقيق

كانت هي للملك تأويل يوسف لرؤياه ، كما علمت ، فراه من أهل الفضل والحنكة والسياسة ، ثم ظهرت له من نتيجة التحقيقات براءته ، ورآى أنه يوجد بينها صلة وثيقة ، وهي الاتحاد في الوطن الآسيوي ولذلك ، ولكون الملك الريان آسيوياً أولاً وملاكاً على مصر ثانياً ، قال : إن حقاً السجن كريم الشيمه ، مرضي الأخلاق ، ائتوني به أستخلصه لتفسي ، وأجعل له في مجلسي المقام الأول فقد بلوح لي أن هذا الفتى فيه روح ، روح الأمانة ، روح الحكمة ، روح الاقتصاد روح الفهم ، ائتوني به أستخلصه لتفسي ، وعلى باقي النبلاء السلام ، أسرعوا بالفيئة اليه ، فلم يبق مني أكثر من صبر ساعة ، وإن لهذا اليوم ما بعده - هذا كلام « الريان » وهذه مساعيه الجميلة ليوسف ، فهو مع كونه وثنياً ، أحب يوسف وأخرجه من سجنه ، ولكن إخوته الجنود ، وفي عيادة الحب قذبوه ، ولقد صدق من قال : « إذا ضيقت الأقرب ، أتيح لك الأبعد » .

فأت اليه « الرسول » ، وأنبياء بما كان من أمر براءته ووقعه من نفس الملك الموقع الأول ، وجه له جبالاً ينفصه إلا الموت ، ثم أراد على الخروج من السجن بأمر الملك القريات ، فعدت آس يوسف أنه لا مانع من خروجه ، وأنه قد استحصل على البراءة تماماً ، وعلى حسن السمعة وطيب السيرة ، وإن الملك قد وثق به وأحبه ،

فأبرقت أسارير وجهه ، فقام وقال للسجناء : أستودعكم الله ، ثم خرج من السجن باسم بريء ، بعد أن كان دخلاً باسم متهم ، فحضر بين يدي الملك ، وعمل له « الريان » حفلة تكريم ، جمع له فيها الوزراء وجميع كبار البلاط ، وعزاه بما أتى عليه سابقاً ، وطمأنه وهناه بما سيلاقيه من الحفاوة ، فشرع يوسف يكلم الملك ، فنال حظوة في عينيه ، وتبادل معه الحديث ، وأحبه أكثر من ذي قبل ، واحتفى به بنوع خاص ، واقتص منه تأويل رؤياه ، لكي يسمعه منه باذنيه ، قائلاً له : أعد عليّ تمبير الرؤيا كله . ولا تدع منه حرفاً إلا جئت به ، فيجعل يوسف يثر كلامه والملك مصغ اليه ، ولم يمض فواق حتى عرف الملك تأويل حلمه ، فدهش منه أيما اندهاش وأنشد :

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر  
وقال له عند ذلك : ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ ومن معلقة زهير  
ابن أبي سلمى :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نفسه في التكلم  
لسان الفتى نصف ونصف فواده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

( وقال الملك اتوني به ... ) الخ

— ٢ —

وقام الشيخ عبد الاله الياضي مستأذناً ورئيس المؤتمر في بيان ما يراه من فوائد في هذه الآية الكريمة وبعد أن أذن له قال :

عدد جيئات الرسول السجن

( ١ ) — جملة جيئات الرسول « نبو » للسجن أربع مرات ، فالمرّة الأولى

كان متهماً بجريمة المؤامرة على الملك ، والمرة الثانية لا ذهب إلى يوسف ليستفتيه عن رؤيا الملك ، والرتان الأخيرتان لأجل إخراجيه من السجن الى الملك، فافهم.

### دواعي حب الملك ليوسف ثم استخلاصه اياه لنفسه

( ٢ ) — أصبح يوسف كأنه جبل مغناطيسي ، وأصبح قلب الملك كأنه قطعة حديدية تحاول أن تنفصل من جسم الملك وتترامى لجهة يوسف ، فلما أحس الملك بهذا التداعي المدهش ، قال اثتوني به .. الخ وبعبارة أخرى : وقف الملك على صحة براعة يوسف وعفته ، فزاد شعوراً بالانعطاف اليه ، وردد في ذاكرته ما آتته فيه قبلاً من الذكاء والفهم حين أول رؤياه ، فناداه ضميره باستخلاصه لنفسه ، فلي نداء الضمير ، وقال : السَّبِقَ السَّبِقَ ؛ والسَّرْعَ السَّرْعَ ، صيروا اليه وأسرعوا الكرة ، واثتوني به أستخلصه لنفسي . فاني إذا منيت به ، قوي ساعدي ، واشتد عضدي .

ثم تعبیر يوسف سابقاً رؤيا الملك ، وتديره الذي ذكره للخروج من ذلك المأزق الحرج ، ثم ظهور الظلم الفادح في سجنه ، وانه بريء مما نسب اليه ، مع ظهور أنه سامي فلسطيني ، وليس من الأمة المصرية ، — كل ذلك ترك أثرأقويأ في نفس الملك ، حبيه فيه جداً حمأ ، فرغب في استخلاصه لنفسه .

### هدام يوسف حينما استمر لقايرة الملك

( ٣ ) — لما أراد يوسف الخروج من السجن ؛ حلق وأبدل ثيابه (تك ١٤: ١٤) وإنما حلق لأن المصريين ما كانوا يطلقون برؤعهم ولحام إلا في أوقات الحزن ، وكان حلق الرأس عادة في كهان العرس ، خلافاً للفلسطينيين يومئذ ، فقد كانوا يعدون اللحى فريسة الرحولية ، وشوهد على الآثار المصرية الأسرى والأدباء

آ (٥٤) اكبار الملك ليوسف عندما كلمه وسمع كلامه ثم تقريبه منه ٩٤٣

مصورين بلحي<sup>(١)</sup> ، ولذلك كان يوسف في السجن طويل الفرع واللحية ، رمزاً لحزنه ، أو تقليداً لأهله ، فلما دعي الى المثول في حضرة ملك مصر حلقها ، لأن حزنه زال ، ولأن المصريين يكرهون فرع الرأس واللحية ..

### اكبار الملك ليوسف عندما كلمه وسمع كلامه ثم تقريبه منه

(٤) — سمع الملك الريان كلام يوسف فوقع في نفسه وأكبره ، وعلم أنه يحمل بين جنبيه نفساً كبيرة ، تختلف صورتها عن صورة الأسمال الحقيرة التي عليه ، وانه كان لا يليق بصاحب هذه النفس أن يسجن بضعة أيام ، فضلاً عن بضع سنين ..

وقد جرت عادة الناس في الحكم على جلسائهم لأول وهلة أنهم يقدرونهم بما يظهر من لباسهم وحلام ، ثم باسمائهم وأنسائهم وما يحملون من رتب وأوسمة ، فاذا اختبروهم قدرتهم بمواهبهم وقواهم ، وزى ملك مصر ههنا انها قدر يوسف وأجلته يا ررقة الله من مواهبه السامية ، وأفكاره الثاقبة ، كما قال أفلاطون لجلس له :

« تكلم لأعرفك » ، فلذلك ولما كلمه يوسف قال له : « إنك اليوم لدينا مكين أمين ».

### عمر يوسف عند مثوله بين يدي الملك

(٥) — كان يوسف عليه السلام لما وقف بين يدي الملك ابن ثلاثين سنة ، ولكن يوسف لا يعتبر من تلك الأعوام الطوال التي عاشها في ذلك العالم المنكود سوى ( ١٧ ) سنة ، وهي السنون التي مضت عليه وهو في حضن والده .

(١) كما قاله هيرودوتس ،

## تفاهم يوسف مع الملك في اللغة

(٦) - كلم يوسف الريان، وكانا يتفاهمان تماماً، لأن لغة الريان عملياً، وهي قريبة جداً من العربية، أو هي عربية، وسليماً أن العربية والبرانية متقاربتان، وكذلك كان يوسف يتفاهم مع القبط المصريين الأصليين، لأن القبطية قريبة أيضاً للغة، والحاصل أن اللغة المصرية القبطية واللغة العبرانية واللغة المملوكية واللغة السرياقية واللغة المداينية، قريب بعضها لبعض، فكانها من أممات مختلفة لأب واحد، ولذلك كان بإمكان الجميع أن يتفاهموا.

## دعاء يوسف لراعي السجود الذي أحرقه

(٧) - قيل إن يوسف دعا أهل السجن حين خرج منه، فقال: ( اللهم اعطف عليهم قلوب الأحياء، ولا تنم عنهم الاحبار، فهم أعلم الناس بالحوادث والواقعات) وقبل كتب على باب السجن: (هذه منازل الابتلاء، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، ونجيرة الأصدقاء).

## البصرة في هذه الآية وما بعدها

(٨) هذه الآية والاعتناء بعدها تعلم الإنسان عدم الحسد، لأنه بقرانها يعلم أنه يوجد في التاريخ من كان عبداً مشترى بثمن نحس ثم ترقى إلى درجة عالية في دار الحكومة، حتى صار من الوزراء العظام.

## يوسف وزير مالية

آ (٥٥) \* قال اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ، إِنِّي  
حَفِيظٌ عَلِيمٌ \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية الخامسة والخمسون فقام السيد عبد القهار  
الألباني<sup>(١)</sup> وقال :

( قال ) يوسف مخاطباً الملك الريان : ياذا الجلالة ( اجعلي ) وَاَلْتَنِي ( على  
خزائن الأرض ) حاصلات الأرض المصرية عموماً المخزونة في حقول القرى  
والمدن والحصون ( إني حفيظ ) أحفظ ما تستحقظنيه ( عليم ) عالم بوجوه التصرف بها .  
ونرى هنا ان يوسف قد وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبه الملوك  
ممن يولونه ، فقال له الملك : « أنت لها ، أنت لها ، قد فعلت ، فأوقف يوسف حياته  
وسخر عواطفه وقواه وجوارحه لخدمة مصر والمصريين ، بل وما إليها مما جاردها  
من فلسطين وغيرها .

( اجعلي على خزائن الارض .. الخ )

— ١ —

وقال السيد الحضرمي<sup>(٢)</sup> :

مؤهلات يوسف لترشيح نفسه لوزارة مالية مصر

آلس يوسف من نفسه من النشاط والذكاء وعلو الهمة ما يؤهله لإدارة .

(١) سبة الى بلاد الألبان الاسلامية .

(٢) نسبة الى حضرمون إحدى مقاطعات جنوب الجزيرة العربية .

وزارة مالية مصر ، فاقترح هذه الطلبة ، ولسان حاله يقول :

ذريخي أنل مالا ينال من العلا  
فصب العلاقي الصعب والسهل في السهل  
تريدين إدراك المالي رخصة  
ولا بد دون الشهد من إبر التحل

أو يقول :

من رام وصل الشمس حاك خيوطها سبباً إلى آماله ومعلقا

أو يقول :

أين بضلي إذا قننت من اقد هر يعيش مجمل التأكيد  
عش عزيزاً أومت وأنت كريم بين طمن القنا وخفق البنود

وهو عليه السلام وإن لم تسيق له خدمة في الحكومة وإدارة شؤون ماليتها  
إلا أنه كان على مذهب من يقول :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتنظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

على أن الله عرشاً له قال في شأنه : ﴿ ولما بلغ أشده آتيناها حكماً وعلماً ﴾

(ع ٢٢) وليس بعد هذا بيان لمستبين .

لذلك قال للملك الريان : ( يا صاحب الجلالة ، عيني على حاصلات أرضك أرض  
البلاد المصرية عموماً ، التي تختزن الحاصلات والغلال في حقولها ومزارعها وحصونها  
— وكانت تلك الحاصلات عبارة عن القمح والشعير والذرة الصفراء والبرسيم  
والكروم والتين والزيتون والجوز والنصب والبلح والتمر وما أشبه ذلك من  
غلات مصر كما يعلم ذلك من التواريخ القديمة — ثم أردف يوسف قائلاً : إني

خلقت اقتصادياً وعشت اقتصادياً ، ودم العلم والخبرة جار في عروقي ، وملكة المعرفة سارية في جوارحي ، حفيظ للأموال عن لا يستحقها ، حفيظ لها في خزائنها ، خير بالوجوه التي يمكن تحصيل الدخل والمال منها ، خير بالجهات التي تصلح لأن يصرف المال إليها ، عليم بمصالح الناس وبمواقع حاجاتهم ، عليم بوجوه التصرف دخلاً وخرجاً ، وهذا هو سلاحني الذي أتسلح به وهذه هي حليني التي أتحملي بها ، وهذه هي وسيلتي التي أتوسل بها إلى ملك الديار المصرية ، ليس لي سلاح ولا حلية ولا وسيلة بعد الله تعالى سوى الخبرة والحفظ والأمانة . هذا ولا نشك بأن الريان قال له : ( ذلك الظن بك أيها العبراني الاقتصادي الحسوب القدير ) ، ثم التفت إلى وزرائه وقال لهم : ( هل نجد رجلاً ينهض بالعمل في بلاطنا ويستقل به استقلالاً أحسن من هذا الفتى ، هل نرى انساناً أجزأ للعمل وأمضى من هذا الإنسان ؟ ... كلا ... ) ثم أمر فجمله كما طلب في مهرجان عظيم ، وقد هاج المصريون وماجوا من هذا المهرجان والموكب الذي عمل لأجله ، وكان هذا الحادث يعد من الحوادث التاريخية الباهرة في تاريخ يوسف . وبهذه الحادثة يكون انتهاء فصل المسألة التاريخية ، وبدء لعصر جديد وتعلم من هذا الذي حكاه الله تعالى عن ( الريان ) — وهو وثني — أن ننظر عند إسناد الوظائف للكفآت ، لأنه إذا كانت الحكومة الوثنية — حكومة مصر — قد جرت على هذه الطريقة المثلى ، فأولى أن تجري على ذلك الحكومات ذات الأديان السماوية .

لقد ادعى يوسف دعواه السالفة الذكر وأتى من العمل بما يصدقها وحفظه له التاريخ ، إذ قام بما أصاره إليه الريان ملك مصر من الأمر ، أحسن قيام وأتى بكل ما عصبه به ، وعود عليه فيه ، فكان هاماً أحوذياً ماهراً ، لا يفوته



شيء، ولا يعجزه أمر، مشمراً للأعمال، بسوقها أحسن مساق، لا يشذ منها عنه شيء ما.

وتعلم من كلام وعمل يوسف عليه السلام، أنه يتبني للعامل — إن كان عاقلاً — أن يسعى في طلب الدنيا، ليعيش بشرف، وغني عن الناس، ولا يتكل على ما تأتي به الأيام، ورحم الله من قال :

لعمرك إن المال قد جعل الفقى نسيباً وإن الفقر بالحر قد يزري  
وقال آخر :

ولا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده  
وفي الحديث الشريف : ( اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ) .

« اجعلني على خزائن الأرض . . . الخ »

وقال الاقتصادى الكبير الأستاذ دمشقى :

### عمل يوسف في سني الخصب والجذب في مصر

لقد طلب يوسف عليه السلام أن يكون جانياً للحاصلات في سني الخصب. السبع وخازناً لها، ثم بائعاً لتلك الحاصلات في سني الجذب السبع الأخيرة .

ويظهر أن هذه الوظيفة التي هي عمارة عن الجباية فالخزن فالبيع وظيفته جديدة لم تكن من قبل، لأنه لم يكن لها داع، وقد جاء في سفر التكوين وشرحه أنه يظن أن أهل مصر كانوا يعطون الملك، عشر الفلال، ولكن يوسف أشار على الملك أن يأخذ خمس الحاصلات، وكان إعطاؤهم للملك ضعف ما كان يأخذه سابقاً، ليس ثقيلاً عليهم في سني الخصب، لكثرة غلالها كثرة لم تعهد،

ويرجع أنهم علموا ما كان من حلم الملك ، فكان ذلك مما خفف عليهم دفع الخمس .  
وقد جمع يوسف (ع) جميع الفضة التي في أرض مصر ، وفي أرض  
كنعان بالميرة التي كانوا يتناعونها وأدخلها بيت ملك مصر ، فيوسف لم يكف  
بأن تلافى مزار المجاعة بل عني كرجل خبير بالسياسة والاقتصاد ، أن يقوي  
سلطة مولاة ، ويزيد غنى دولته ، بادخال فضة الأهلين خزائن الملك ، ثم بتعليكه  
ما شيتهم ، إذ قال يوسف للمصريين طالبي الطعام : ( إذا كانت فضتكم قد نفذت  
فهاثوا ماشيتكم ، أبعكم بها ، فجاءوا يوسف بما شيتهم فأعطاهم طعاماً بالخيل والماشية  
من الغنم والبقر والحمير ، ثم إن المصريين عادوا في السنة الثانية إلى يوسف يشكون  
اليه سوء مصيرهم ، لأنه لم يبق بين يديه إلا أبدانهم وأراضيهم ، ويسألونه أن  
يشترهم وأراضيهم للملك ، فاشترى يوسف جميع أراضي المصريين للملك ،  
لأنهم باعوا كل واحد حقله ، فصارت الأرض للملك ، إلا أن أرض كهنتهم  
لم يشترها ، لأنها كانت للكهنة ووظائف أي أرزاقاً من قبل الملك يأكلونها ،  
ولذلك لم يبيعوا أراضيهم ( كذا في التوراة وشروحا والله أعلم بصحة ذلك ) .

إني حفيظ علم

— ٣ —

وقال الاديب العدني (١) :

**السراير علمت يوسف ادارة شؤون مصر المالية والاقتصادية**

كان يوسف ذاق نكبة المنكوبين ، وجرب ذل الأعراء ، واختبر مهانة  
الأشراف ، وعالج مرارة العيش ، وشاهد بؤس البؤساء — وسمع أنين  
أهل البلواء .

(١) نسبة الى عدن احدى بلاد الجنوب العربي .

ذاق نكبة المنكوبين ، حين ألقى في ( غياية الجب ) وحرب ذل الأعزاء حين جلس في « سوق الرقيق » لبيع لمن يرغب فيه ، واخبر بنفسه مفاة الأشراف ، حين كان عبدأفي بيت « بوطيقار » ، وعالج مرارة العيش ، حين اعتقل في « السجن » كجرم ، وهناك شاهد يؤس البؤساء وسمع أنين أهل البلواء .

كان يوسف ( ع ) صرّ بجميع الطبقات ، وخاطب جميع الناس ، خالط ( طبياً ) اخوته ، فرأى حسد القريب للقريب ، خالط « السياره » ، فسرف كيف يكون تمدي القوي على الضعيف ، خالط « الترنوج » ، في سوق الرقيق ، فأدرك شدة السادة على العبيد ، خالط « الكبراء » في بيت العزيز ، فحرب ظلم الاميرة والامير ، خالط « المعتقلين » في السجن ، فشاهد كم فيه مظلّمين ، وسمع أنات الثألين وزفرات المتوجعين .

تصور كل ماجرى عليه قيامضى ، ثم تصور كل ما سيجري على الناس المصريين ، في سنيّ القحط بما يأتي ، يخاف أن بندروا كعادروهاقوا كما آهين ، ويصب من فوقهم الظلم كما صب بوقه ، فأحب أن يتولى شؤونهم المستقبله بنفسه ، وأن يكون هو القائم بخدمتهم ، ليعطي كل ذي حق حقه ، ويقوم واجب العدل والاقتصاف ، ولتتمو في نفسه عاطفة الرفق والرحمة ، فيعطف على الفقير عطف الأخ على الأخ ، ويرحم المسكين رحمة الحميم للاحميم ، ولذلك اقترح على الملك أن يجعله على خزائن الأرض .

لله درّ الألم ما أنفعه ! لله درّ اليؤس ما أنفعه ! فالألم هو البنيوع الذي تفجبر منه جميع عواطف الخير والاحسان في الأرض ، وهو الصلة الكبرى بين المجتمع الانساني ، والجامعة الوحيدة التي تجمع بين طبقاته وأجناسه .

لم يرد يوسف أن يعيش عيشة بريبة ، لا يخدم بالساء ، ولا يمط على متكوب ، ولا يرتي لامة ، ولا يبكي على وطن ، لم يرد يوسف أن يكون ك بعض هؤلاء النفر من

العلماء الذين لا يشتركون في شأن من الشؤون العامة ، ولا يعينهم ماداموا راضين عن أنفسهم ، مغتبطين بمحوظتهم ، قابضين رواتبهم ، أسقطت على الأرض السماء ، أم ضرقت الدهماء في الدأماء !!!

لم يرد يوسف أن يعيش دنيئاً قميناً لأن هذا من سفالة الهمة ، بل أراد أن يعيش عظيم الهمة ، وعظم الهمة هو استصغار مادون النهاية من معالي الامور وطلب المراتب السامية ، كما أراد يوسف عليه السلام .

هذا ما ينبغي أن يكتب في هذا المقام ، وما يليق أن يقوله القائلون ، وما يناسب أن يسمعه السامعون ، وان لم يقع موقع الاستحسان من أشياخ الكسل ، وأسائفة العجز ، وأئمة التثاؤب والتملل ، الذين يحترقون نعمة العقل والقوة ، بتعطيلها عن العمل ، وربما كان الواحد منهم في نفسه أطمع من « أشعب » تذهب نفسه حشرات على « الذهب » ، لو استطاع أن يهدم بيتاً ، ليربح حجراً لفعل ، يظهر الزهد ، وهو احرص على الدنيا من صيارفة اليهود .

إن الرجل ذا النبل والمروءة يكون حامل الذكر ، فتأبى نفسه الا أن تشب وترتفع ، كالشعلة من النار يضرها صاحبها ، وتأبى إلا ارتفاعاً ، فلذلك اشرابت نفس يوسف عليه السلام ، لرفعة ، والمجد ، لكي يقوم بخدمة مصلحة عمومية ، وفي ضمنها مصلحة الشخصية ، لأن حب الذات فطرة في الناس ، لا يمكن أن يخلو منها أحد ، حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، إذ لم يقل أحد ما ان الانبياء معصومون من ذلك .

خرج يوسف من سجنه ، فطلب الجلوس على أريكة « وزارة المالية » ، فاستحق بذلك قول أبي فراس الحمداني :

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

طموح الانسان الى الرياسة، من ملك ووزارة وقيادة جيش ونحوها، هو  
لاشك مما يبعث على التنافس، وبذلك استطاع في سبيل الوصول اليها، وهو أمر  
حسن، قال **عزيرها** =

﴿ لا يزال الناس بخير ما تناضلوا، فاذا تساوا هلكوا ﴾، ممتازهم إنما  
يتساوون إذا رضوا بالنقص، وتركوا التنافس في طلب الفضائل ودرك العالي  
(ابن الأثير في نهايته).

(قال اجعلني على خزائن الأرض...) الخ الآية

— ٤ —

وقال الاستاذ الزبيدي (١)

### عزير مصر وعزيرها

نتعلم من هذا القول أن يوسف عليه السلام كان «وزير مالية»، ثم نتعلم  
من تسمية اخوته له «بالعزير»، إذ قالوا له في سفرهم الثالثة :  
﴿ يا أيها العزير ﴾ أنه كان «عزيراً لمصر»، وعزير مصر بحسب اصطلاح  
المصريين القديم والحديث هو حاكمها الكبير، والمتصرف العظيم فيها، بعد ملكها  
الأكبر، وفرعونها الأعظم، فليس يوق «عزير مصر» سوى الملك فرعون،  
ووظيفة عزير مصر هي النظر في جميع أمورها بلا استثناء، فهو المرجع في كل  
حادث مهم لجميع المصريين، ويكون في حكومة هذا العزير وزراء، ورئيس  
وزارة، ويكون العزير كأمير مطلق البد ضمن الشروط المشروطة له، وفي  
دائرة الحدود المحدودة، ويكون تحت نفوذ ملكها الأعلى، الذي إذا أراد عزله  
عزله، وعين له خلفاً، وعلى هذا الاصطلاح المصري القديم جرى الاصطلاح

(١) نسبة الى زيدة بلدة في الحجاز

الجديد ، منذ عهد مؤسس العائلة الخديوية « محمد علي باشا ، لأواخر الحرب العالمية ، فقد كانت مصر « أيلة ، من أيلات الدولة العثمانية ، وكان ملكها هو الخليفة العثماني ، الذي كان يدعى له على منابرها ، وكان « الخديوي ، فيها يسمى « عزيز مصر » وللخديوي حكومة مؤلفة من وزراء ورئيس وزارة .

إذا تقرر هذا نجم عنه سؤال صورته : كيف يكون يوسف في وقت واحد « وزير مالية » بحكم قول الكتاب العزيز ﴿ اجعلني على خزائن الارض ﴾ (ع ٥٥) و « عزيزاً لمصر » بحكم قوله أيضاً : ﴿ يا أيها العزيز ، مسنا وأهلنا الضر ﴾ ؟ (ع ٨٨) ، وجوابنا عنه من وجهين ، الأول يحتمل أنه صار أولاً وزير مالية ثم ترقى فصار عزيزاً لمصر مع احتفاظه بوزارة المال ، كما كان آخر خديوي بمصر وهو « عباس حلمي الثاني » عزيزاً لمصر وناظر أوقافها في آن واحد ، ويحتمل أنه كان من يجعل على ( خزائن الارض ) يكون ( بالطبع ) هو « عزيز مصر » فتأملوه عسى أن تنفيذوا يبصيرتكم لأحسن منه والسلام عليكم .

(اجعلني على خزائن الارض .. الخ)

- ٥ -

وقال ميرزا حسين الكاشاني<sup>(١)</sup> :

### تظير حادثة يوسف في التاريخ

تقدم أن يوسف عليه السلام ، استسلم « للسيارة » وسلم بأن يذهب معهم لمصر ، بدون أدنى مقاومة ، وان من مبهونات هذا الاستسلام ومسهلاته ، بل من دواعيه وبواعثه ، خوف يوسف على نفسه من اخوته « بني العلات » لو حاول الرجوع لأبيه ، وبناء عليه فهو قد بقي صابراً يقتصر الفرص ، حتى منحت له ،

(١) نسبة الى بلدة كاشان في ايران .

هذه الحادثة التادرة المثل ، وهي وقوفه أمام ملك مصر محقوفاً بحجة منه له هي تادرة المثل ، فتعرض لهذه النقحة . وطلب أن يكون من أهل البلاط ، وما هي إلا لفظة الجيد ، حتى صار وزير مالية مصر العام ، فقام بهذا المنصب أحسن قيام ، وأسس لنفسه ولأهله مجداً بمصر ، له عزه وجلاله .

ولعمري إن هذه الحادثة تشبه من بعض وجوها حادثة ( عبد الرحمن الداخل ) الأموي الذي فرّ من وجه بني عمه العباسيين ، إلى الغرب خوفاً من قتلهم إياه ، ولحق بالأندلس ، وأسس ملكاً ودولة مستقلاً بها عن بني العباس وإذا كان « المنصور » العباسي قد لقب « عبد الرحمن » هذا « بصقر قریش » فما أحق « يوسف » أن يلقب « بصقراسرائيل » ؟ ! وهبنا (والشيء بالشيء يذكر) تذكرت حكاية رأيها في بعض التواريخ وهي مشهورة وخلاصتها أن « عبد الرحمن الداخل » هذا دخل ذات يوم وهو صبي على جده « هشام » ، وعنده أخوه « مسلمة » ، وكان مسلمة شديد الفراسة ، بعيد النظر ، فأمر « هشام » أن ينحى عنه ، فقال له مسلمة : ( دعه يأمر المؤمنين ، هذا صاحب بني أمية ، ووزرهم عند زوال ملكهم ، فاستوص به خيراً ) ، قال عبد الرحمن : ( فلم أزل أعرف من جدي مزية من ذلك الوقت ) فهذه البشرية من مسلمة لعبد الرحمن تشبه بشري « يعقوب » لولده « يوسف » حينما قال له : ﴿ وكذلك يجتبيك ربك . . الخ ﴾ ، سواء آ كان كلام يعقوب لابنه من قبيل الفراسة ، أو مبنياً على الوحي السماوي ، فهذا وجه ثان من وجوه المشابهة بين عبد الرحمن الداخل ويوسف عليه السلام ، واليك وجهاً ثالثاً ، وهو اني رأيت في بعض الدفاتر قصيدة تصف عبد الرحمن الداخل فكان منها :

دبرٌ ملكاً وشادَ عزا      ومنبراً للخطاب فصلا  
وجند الجند حين أودى      ومصر المصر حين أخلا

ثم دعا أهله اليه      حيث اتأوا أن هلم أهلا  
فجاء هذا طريد جوع      شديد روع يخاف قتلا  
فنال أمناً ونال شعباً      ونال مالاً ونال أهلاً

وغني عن البيان أن انطباق هذه الآيات على يوسف حيث دبر الملك وشاد  
العز وجند الجند ومصر الأمصار ودعا أهله اليه أجمعين .

«قال اجعلني على خزائن الارض . . . الخ»

— ٦ —

وقال السيد العماني :

### الدين الاسلامي والسعي في الدنيا

السعي في الدنيا وطرق الشرف والمجد ، هو من تعاليم الأديان الحقبة . . . ،  
المطابقة لروح المدينة الحقيقية . . . ، وفي مقدمة هذه الأديان «الاسلام» نعم  
إن دين الإسلام هو دين علم وعمل ، دين جهاد ونشاط ، دين روحي ومادي معاً ،  
وبعبارة أخرى دين ايجابي ، بعكس بعض الأديان الأخرى ، كالدين الهندوسي  
مثلاً ، الذي هو سلبي محض ، يأمر بانكار الذات التام ، ويحض على الابتعاد  
عن كل مافي هذه الدنيا من رزق ومتاع وأسباب شرف ومجد ، بحيث أت  
من أراد العمل بأوامر ذلك الدين — بالحرف الواحد — ترمه ترك الدنيا والتنسك  
في صومعة ؛ ولكن دين الإسلام يمكننا العمل بأوامره تماماً ، دون أن يحوجنا  
ذلك إلى الابتعاد عن العالم ، وما فيه مباح اللذة والتمتع بكل ماتحت الكلمة من  
أكل وشرب ولباس وأثاث ورياش ومجد وشرف .

وأما تعليم الزهد والرهبانية وترك الدنيا ، فانما هو من الزوائد التي أدخلها  
بعض رجال الدين من المعجم ، ومن متمشيخة العرب الذين لم يفقهوا حقيقة الدين



فأدخلوا عليه ما ليس فيه فمسخوه مسخاً ، وشوهوه تشويهاً ، وأما الطريقة التي كان عليها الفاروق الأكبر ، رضي الله عنه ، فانما هي حالة نفسية ، رضيها لنفسه بنفسه ، وألزم فيها نفسه ، ولم يلزم بها غيره ، ومع ذلك فهو رضي الله عنه إنما زهد في الملبس والمأكل ، ولكنه فيها يتعلق بالمجد والشرف وبعد الصيت ، فقد وصل لغاية لا غاية بعدها ، بحيث قهر كسرى قارس ، وقيصر الروم . ووضع رجله فوق رؤوس كل الغاة المتجبرين ، وهو الذي كان إذا رأى رجلاً جالساً في المسجد بعد أداء الفريضة بضربه بالدرية ، ليخرج لمعاظاة أسباب المعاش ، وكان يقول : ( إنني ليمجيني الرجل ، حتى إذا علمت انه ليس له عمل سقط من عيني ) .

إذا كان الإنسان خلقاً قادراً على استخدام الطبيعة في مصلحته ، فانه عليه أن لا يني في ذلك ، لأن به ترتبط رفاهيته وراحته ، وإذا كان ينبغي للقادر على الشغل أن يحمل الفأس ويقطع بها الصخور ، أو يقلب بها الارض — أفلا ينبغي لمن فيه أهلية للوظيفة أن يرشح نفسه لها ، ليقوم بواجبات نفسه وأهل وطنه ؟

وإذا كان الله يقول : ﴿ وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾ (٤٥ : ١٢) فهل يجوز أن ينكر على يوسف الصديق أن يتطلب بعض منافع مافي الارض ؟ .. حاشا ..

وهل من العبث تسمية الله تعالى المال خيراً في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا ، الْوَصِيَّةُ ﴾ (٢ : ١٨٠) وقوله : ﴿ وَإِنَّ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (١٠٠ : ٨) ؟ ..

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦ : ٥١) فالعبادة فيه هي طاعة الله في كل ما أمر ، والاقتهاء عما عنه نهى وزجر ، والله يقول : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ نَفْسَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (٢٨ : ٧٧) ، ويقول ﴿ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (٩ : ٦٢) ،

ويقول : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه واليه النشور ﴾ ( ٦٧ : ١٥ ) والإنسان مكلف أن يعمل بكل أوامر الله تعالى ، سواء كانت أوامر دنيوية ، أو أوامر أخروية ، ذلك لاجل خدمة الجسم والروح ، وكل من اتبع شقا من ذلك وترك شقا ، يكون محشورا في زمرة الذين يكتبون بقول الله : ﴿ أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ ﴾ ( ٢ : ٨٥ ) أحسنت

« قال اجعلني على خزائن الأرض . . . الخ »

— ٧ —

وقال العلامة الدمشقي الصالحاني (١) :

### دحض اعتراض بعض رجال الدين على طلب يوسف وزارة المال

لم يزل بعض علماء الدين يتشددون في الدين ويتنطعون ، ويقتطعون من هضبته الشياء ، صخوراً صماء ، يضعونها عقبة في سبيل المدنية والحضارة ، حتى صيروا عبثاً ثقيلاً ، على كواهل الناس وعواتقهم ، فقلته الكثير منهم وبرموا به ، ولو أن علماء الدين لانوا به مع الزمان وصروفه ، وتمشوا بأوامره ونواهيه مع شؤون المجتمع وأحواله ، لاستطاع الناس أن يجمعوا بين الأخذ بأسباب دينهم والأخذ بأسباب دنياهم .

هذا « داود » نبي الله عليه الصلاة والسلام ، كان ملكاً ، وامتن الله عليه بذلك ، حيث يقول له : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ ( ٣٨ : ٢٦ ) خلفاً عن « شاول » ، فهل يمتن الله عليه بشيء لاقيمة له ، أو شيء يزهد هو فيه ، ولا يأبه له ؟ . . . حاشا . . .

وهذا ابنه «سليمان» نبي الله، عليه الصلاة والسلام، كان ملكاً، حتى أنه قال: «وَهَبْ لِي مِثْلَكَ»، لابنني لأحدٍ مِن بُعْدِي، (٣٨ = ٣٥) أي لا يتطلبه غيري من العائلة المالكة، ولا ينازعني فيه، من بعد جلوسى على كرسية، كما جربت من أخي «أدونيا» فيما مضى، فهذا الطلب، وطلب يوسف، يخرجان من مشكاة واحدة، فهل كان سليمان أقل تقوى من هؤلاء المتعالمين المداجين، الذين يقولون للناس في دروسهم ووعظهم بالاحسان فيما بينهم وبين أنفسهم وفي داخل بيوتهم؟ ... حاشا ..

وهذا أبو بكر الصديق، وبه «عمر الفاروق»، تقبلاً للخلافة، وربما كان لها في الحصول عليها نصيب من السعي، فهل كان هؤلاء المتشددون المنتطون، أكثر من الشيخين زهداً وورعاً؟ .. حاشا ..

وهذا «عثمان ذو النورين»، و«علي المرتضى» و«الحسين» و«محمد صاحب النفس»، وزيد بن علي، رضي الله عنهم أجمعين، قتلوا في سبيل المحافظة على الخلافة، أو طلبها، فهل أولئك المعترضون - على طلب يوسف الدجالون أكثر منهم تقوى وإخلاصاً وزهداً؟ .. حاشا ..

أليس ان الدنيا مطية المؤمن؟ .. أليس ان الدنيا مزروعة للآخرة؟ .. ألم يقل الكتاب ﴿وَلَا تَتَسَنَّاهُ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (٣٨: ٧٧) ألم يرد «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» ..

لعمرك إننا لتأسف أنه مع تربي العقول وتطور الأذهان في هذه العصور المستنيرة، لم يزل جماعة من المتشددين عمدة الأرباء يتفكرون في الدين ويدون أف يتفهموه ويمحيطوا به علماء، ويقفوا على حكمه وحراميه، ويأبون على الناس إلا أن يجحدوا معهم حيث جحدوا، وينزلوا على حكمهم بما أرادوا، ويقهيمون المناجات السوداء على كل عالم يريد أن يجمع بين أطراف الدين ونصوصه، في مواضع المعاش والمعاد،

حتى ملتهم الناس ، وملتوا الدين منهم ، فتمردوا عليهم ، وخلصوا طاعتهم ، وطلبوا لأنفسهم الحرية الدينية المطلقة ، فسقطوا في هوة الضلال ، وكادت تنقطع الصلة بين الأمة ودينها ، لولا أن تداركها الله برحمته ، فقيض لها هذا الفريق المستنير ، من العلماء الواقفين على حكمة التشريع ، والفضلاء الذين أدركوا كنه الدين ، وهم ما بين مؤلف يكتب للأمة الرسائل الدينية ، التي توافق روح القرآن والسنة وطريقة السلف ، وما بين خطيب يخطب لهم الخطب المنبرية التي تحثهم على النظر لآخرتهم ، بالعين الواحدة ، ولدنياهم بالعين الأخرى ، وما بين مدرس يوقفهم في دروسهم على الحقائق الراهنة من الدين ، وينهض بهمتهم الى معالي الأمور ، ولولا هؤلاء ، لبقى الدين في أيدي الجاحدين ، فمات أو غلب عليه الجهل فاخفى .

بينما لو نشر اليوم أبو بكر وعمر الفاروق وعلي المرتضى وعمر بن عبدالعزيز ، وأحمد بن حنبل والحسن ، وأشياهم ، لما كان لهم بد من أن ينزلوا الى عالمنا الذي تعيش فيه ، فترى منهم صاحب المعمل الصناعي ، وصاحب المستودع التجاري ، وصاحب المستعمرة الزراعية ، والأمير السياسي ، والحاكم الشرعي ، والملك الميمن ، ووزير المالية ، وناظر العدلية ، وشيخ الاسلام ، ووزير الحرية والبحرية ، وقائد الجيوش ، ووزير المعارف والاقواقف ، كما زى منهم زعيم قوافل التجارة البرية والبحرية والجوية ، ومدير الشرطة ، وأمر الضبط والربط ، حتى يستتب الأمن العام في الأمة .

فان هم لم يريدوا أن يكونوا كذلك ، رأوا أن من الواجب عليهم أن يعودوا الى مراندم من حيث جاؤوا .

إن الكثيرين من أسلافنا لم يكونوا بالصورة التي يصورها لنا بعض الواعظين ، بل كانوا في رغد من العيش ، فقد أثبت لنا التاريخ أنه في أيام خلافة عمر بن الخطاب

كان يُدفع من الرواتب لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ، كل ستة اثنا عشر الف درهم (فرنك)، والعماس رضي الله عنه كذلك، ولكل من الحسن والحسين خمسة آلاف درهم (فرنك) (١)، فهل كان أصحاب هذه الرواتب أقل زهداً من المتشددين من أهل اليوم؟.. حاشا..

وجد عند خازن عثمان رضي الله عنه، لملك الخاص بعد استشهاده دنانير ودرهم تساوي (٥٧٥٠٠٠٠) جنياً، ووجدت قيمة ضياعه بوادي القري وحسين وغيرها ما يساوي (٥٠٠٠٠٠) جنياً، وذلك بعد وفاته ستة ٣٥ هـ (٢).

أنا لا ألوم على الأخذ بطرف من الدين، وزك الطرف الآخر - الأعياء الذين أظلمت أعينهم، فأظلمت دروس وعظهم، وظلمة المدرس أثر من آثار ظلمة العقل، ولا الجاهلين الذين لم يعرفوا اللبانة الإسلامية، ولم يجارسوا حكماء، ولم يتشبعوا بروح نصوصها، ولا الوعظ القاصدين الذين لم يقفوا من الدين المحمدي إلا على بعض قشوره القاتلة لروحه، قهولاً جميعاً لا حول لنا فيهم ولا حيلة، لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا غير ذلك، إنما ألوم العلماء الحقيقيين، المارين، الذين عرفوا الدين، واطلموا على حكمه، وفهموا مرامي نصوصه، ومنفاري شريعته، وأنقم منهم عدولهم عن بيان ذلك للناس، وآتني عليهم قصص القادريين على التمام.

يجب على العالم الإسلامي أن لا يالو جهداً في الحصول على أسباب الثروة، فلا دين إلا بملك، ولا ملك إلا برجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالسعي والمجد والنشاط، وما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا.

حكى المؤرخون أن بعض الشعراء مدح «المأمون» بكال من قوله:

أضحى إمام المهدي المأمون مشتغلاً بالدين، والفتاس بالدنيا مشاغلاً

فلم يتحرك له ، لأنه ما زاد على أن جعله عجوزاً في عمرها ، في يدها مسبحتها ،  
ولذلك قالوا ، أحسن منه قول بعضهم :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ولا عبرة بتزهد بعض المشايخ الكسالى ، وربما كانوا كاذبين في زهادتهم ،  
فإن أكثر ما نرى من الزهاد ، إنما يتجلى لنا زهدهم في ألبستهم أو ألسنتهم ، أو  
العرف التي يستقبلون فيها زائرهم ، هذه هي مظاهر زهدهم ، ولو أتيح لنا أن  
نطلع على داخل بيوتهم ، وما فيها من أثاث ورياش ، أو لو بحث عن حال نسائهم ،  
وكم في خزائنهن من أنواع الالبسة المزركشة وكم في صناديقهن من ضروب الحلوى  
والجواهر ، لو آتينا أمراً عجباً ، يدهش الابصار ، ويأخذ القلوب !! !

(مرحى)

« اجعلني على خزائن الارض .. الخ »

— ٨ —

وقال الهمام البحراني<sup>(١)</sup> :

حكم طلب يوسف في الدين الاسلامي والتصوف في الاسلام

هذا الطلب — طلب يوسف — هو من روح الدين الاسلامي ، يوم كان الدين .  
ديناً والاسلام إسلاماً ، إذ لم يكن فيه شيء مما يسمونه قطع العلائق مع الناس ،  
وزهداً في الحياة الدنيا ، لأن هذا بعيد عن روح الدين الاسلامي ، إذ الاسلام  
دين فتح ورفعة ، دين عز وشرف ، دين نشاط وعمل . دين سعي وجد ، دين ابتغاء  
من فضل الله بالتجارة والصناعة والزراعة ونحوها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَأَنْتَ

(١) نسبة الى قطر البحرين احد الامارات العربية على الخليج العربي .

ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يُجزأه الجزاء الأوفى ﴿ (٥٣ : ٣٩ - ٤١) ﴾ وهل هذا لا ينافي ما يسمونه « تصوفاً » ، إذ التصوف بالمعنى الصحيح ، هو طهارة الباطن وحب الخير ، وبغض الشر وما الى ذلك ، مما يتعلق بخلوص النفس البشرية من خبيث الصفات ، وهو بهذا المعنى يرجع في جوهره الى روح الاسلام ، وأما « التصوف » بالمعنى المشهور عند الجمهور ، فليس هو مما تدعو اليه الشريعة الاسلامية ، وإنما هو مزيج من عدة مذاهب ، هندية وقارسية ويونانية ويهودية ، قال الدكتور « وليم ادي » الأمير كاني في شرحه على الانجيل : ( قد كان في اليهود جماعة « الأسينيين » ، كانوا بين اليهود بمثابة اليباطيين أو المتصوفين ، مارسوا التطهيرات اليهودية ، واعتنقوا الفلسفة اليونانية ، وكثيراً ما اعتبروا التقشفات الجسدية ، وتجنبوا مخالطة الناس ) ، فهذه التعاليم المزيجة ، نقلت الى المسلمين ، وصادفت هوى في نفوس الزاهدين منهم ، فوسموها باسم الدين ، ووضعوا لها حسابها من القواعد والأصول . وحقيقة الاسلام أنه يُعبد معتنقيه لأن يكونوا سادة ، وإن التصوف بالمعنى المشهور عند الهنود واليونان والفرس — يلبس أصحابه أرواح البعيد ، وإلا فلماذا ساد المسلمون وأفلحوا في الحياة يوم كانت مبادئ الاسلام الخالصة رائدتم ، وتعاليمه البريئة هاديهم ؟ ولماذا فقدوا مكانتهم ، وأضاعوا عزمهم ومجدهم وضلوا في الحياة سواء السبيل ، حتى صاروا طعمة سائغة لكل طاعم ، ونهبة هتية لكل ناهب ، يوم شابوا تلك المبادئ السامية بشوائب التصوف ، وخلطوها بتعاليم المتصوفين .

دين الاسلام ، الذي هو دين ابراهيم وأولاده اسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف — هو دين السعادتين ، سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، دين يقول في هدايته : ﴿ ولا تَمَسَّ نَفْسٌ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ( ٢٨ : ٧٧ ) ويقول : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ ( ٢ : ٢٠١ ) ويقول : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ

لكم الأرضَ ذلولاً ، فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه ، وإليه النشور ﴿ (٦٧ : ١٥) ويقول : لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ﴾ (٢ : ٢١٩) ويقول : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ (٢ : ١٩٨) أي في مواسم الحج كما قاله ابن عباس ، ويقول : ﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله ﴾ (١٠ : ٦٢) أي بالتجارة والسعي كما روه عن ابن عباس ، ويقول عليه الصلاة والسلام : (إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس ) ويقول ﷺ : ( اليد العليا خير من اليد السفلى ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ) ويقول ﷺ : ( يعمل بيده ، فيتبع نفسه ويتصدق ) ويقول ﷺ : ( والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله ، فيحتطب على ظهره ، خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله ، أعطاه أو منعه ) ويقول ﷺ : ( كان أصحاب رسول الله عمال أنفسهم ) ويقول ﷺ : ( الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو القائم الليل الصائم النهار ) ويقول ﷺ : ( أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ) وأشار بأصبعه السبابة والوسطى ، وأخيراً يقول : ( في كل ذات كبد رطبة أجر ) (١) .

وكيف يستطيع الانسان أن يسعى على الأرملة والمسكين ، ويكفل اليتيم ، وينصدق على ذي الكبد الرطبة إذا لم يكن ضارباً في الأرض أو عاملاً من عمال الحكومة ، أو صانعاً أو زارعاً أو تاجراً أو محامياً أو طبيباً أو مهندساً أو حائكاً أو نحو ذلك ؟؟؟؟

دين الاسلام ، الذي هو دين يوسف أيضاً — متصل بشؤون المسلمين الدنيوية ، كما هو متصل بشؤونهم الآخروية .

من هنا كان « الاسلام » دين عقيدة وعبادة وحوكم ، دين قضاء وإمامة

(١) هذه الاحاديث الثانية كلها رواها البخاري في صحيحه .



وجهاد دفاعي ، دين سياسة شرعية ، دين علم وفنون ، دين أعمال أخروية وأعمال دنيوية ، أعمال روحية ، وأعمال جثمانية ، أعمال شخصية ، وأعمال اجتماعية ، دين ضبط وربط ، وأمر ونهي ، وإقامة حدود ونعازير ، دين معاملات مع الخالق ، ومعاملات مع المخلوق ، دين يشمل بتدابيره جميع ماعلى وجه الأرض ، ويشمل بعقائده ما فوق السموات وتحت الأرضين ، دين ينظم شؤون القلوب ، بما فيه من « علم أخلاق » ، وينظم شؤون الجوارح ، بما فيه من « علم أعمال » ، وينظم الجماعات بما فيه من « علم اجتماع » ، وبالجملة : يعلم الانسان كل ما يلزم له في دنياه وأخراه ، ويحرض على السعادة المادية ، كما يحرض على السعادة المآلية ، ولأن يترك الانسان المال لألد أعدائه بعد مماته ، خير من أن يحتاج لأعز أصدقائه في حياته .

قال الحجاج بن يوسف ، لحريم الناعم : « ما النعمة ؟ » — قال : « الأمن ، قاني رأيت الخائف لا ينتفع بعيش » — قال له « زدني » — قال « فالصحة ، قاني رأيت المريض لا ينتفع بعيش » — قال له « زدني » — قال « فالنبي ، قاني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش » — قال له : « زدني » — قال : « فالشباب ، قاني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش » قال له « زدني » — قال : « ما أجد مزيداً » :

هذا هو دين الاسلام ، الذي هو دين جميع الانبياء من لدن آدم الى فخر الوجود ، عليه وعليهم الصلاة والسلام ، خلافاً لما يوجد عند متصوفة الهندوس ، ومتصوفة التصاري ، ومتصوفة الاسلام ، أقول : « متصوفة الاسلام » ولا أعني المتصوفة الحقيقيين الذي بتطبق تصوفهم على الشرع ، ولكني أعني جهلهم فقط .

### التزهيد والبراءة من الدنيا في الشريعة المسيحية

إن كل من يقرأ في « البشار الأربعة » من التزهيد والبراءة من الدنيا ، ليس هو الشريعة المسيحية ، وإنما هو تتميم لشريعة « الناموس العتيق » ، وتلطيف لها ،

وتشذيب لأطماع اليهود وتكالهم على الدنيا ، ولذلك روي عن المسيح انه قال : « إنما جئت لأتمم » ، فالناموس العتيق لم يذكر الآخرة — على ذمة أسقاره المطبوعة — بل اقتصر على ثواب الدنيا ، ولم يذكر ملكوت الأخيار ، ولا جهنم الاشرار ، بل انما خوف الناس ، إذا خالفوا الأوامر بمصائب الدنيا وعاهاتها ، وكذا لم يذكر شيئاً من قواعد الزهد والقناعة والرفائق القلبية ، واللطائف الروحية ، فجاء المسيح ذاكراً لكل ذلك ، ومتمماً لمواضيع التوراة بذكر مقابله ، ومطلقاً لحرص وطمع وشراهة اليهود ، وبذلك كان مجموع « المهدين » — التوراة والانجيل — كتاباً واحداً ، كما نطق القرآن الكريم ( ٢ : ١٠٥ و ٤ : ١٣٥ و ٦ : ١٥٦ ) الى غير ذلك من الشواهد الكثيرة في القرآن الشريف .

### انتقاد يوسف على طلبه وزارة المالية ليس مبنياً على التعاليم الاسلامية

وأخيراً وبالنتيجة ، كل من أبدى هنا انتقاداً على يوسف الصديق في طلبه وزارة المالية ، فليعلم أن انتقاده ليس مبنياً على التعاليم الاسلامية وسماحتها ، ولكن على تلك التعاليم الاخرى المبتدعة ، التي لا يعترف بها القرآن ولا السنة ولا الاجماع ولا عمل السلف الصالح ، الذين كانوا « عمال أنفسهم » .

كل حرفة منها كانت منحطة في أعين الناس ، لا يمكن أن تكون أحط من عيشة المتكلم على غيره ، فكيف لو كانت خدمة في « البلاط » ؟ ولهذا فإننا نجد طلب يوسف من ملك الديار المصرية أن يجعله على خزائن الأرض .

حبذا الطموح الشريف إلى العلا ، حبذا سعي الإنسان في استزادة موارد كسبه ، ليتسنى له أن يحسن غذاءه وملبسه ومسكنه ، وأن يستعمل ما يزيد بعد ذلك عن حاجاته العادية ، فيما يعود على هيئة المجتمع بالفائدة .

ليس المانع من اهتمام الشرقي اليوم قناعة في النفس وزهد في الأموال ،

ورغبة عن زخارف الدنيا ، لأنه لو كان الأمر كذلك ، لما وجد أحد حامداً غيره على قعته ، ولا فانظراً إلى غني نظراً شذراً ، والشرقيون كلهم بين شك ومشكو من هذه الحال ، فالشرقي إذن طماع كثيره ، وليس عنده من الترهّد ما ليس لغیره ، ولكنه مع ذلك لا يجب الشغل ، ولا ينشط لعمل فيه رزقه ، فهو إذن يجب أن تطره السماء ذهباً ، وأن تثبت له الأرض فضة ، يجب أن يكون أغنى الناس على شرط أن لا يتعب جسمه ، ولا يجهد فكره .

حب المال ليس مقموماً لذاته ، ولكن لكونه يشغل عن الآخرة ، وكيف يكون مذموماً لذاته ، والله تعالى قد جعل بذل المال من آيات الإيمان ، وهو تعالى ينهى عن الاسراف والتبذير في إنفاقه ، كما ينهى عن البخل به ، وقد امتن على قبيه بأنه وجده عائلاً ، أي فقيراً فأغناه ، وجعل المال قواماً للام ، ومنزلاً للدين ، ووسيلة لاقامة ركنتين من أركانها ، ومن أعظم أسباب التقرب إليه تعالى وفي الحديث الشريف : ( إن الله يحب البذل التي الغني الخفي ) رواه مسلم في صحيحه ، فليس المال مقدوماً لذاته في دين الله ، ولا ميفضاً عنده تعالى على الاطلاق ، كيف وقد شرع لنا الكسب الحلال ، وهدانا إلى حفظ المال ، وعدم نضيعه ، وناهيك بآية المدن التي ذكر الله فيها تسع مؤكدات ، وفيها خمسة عشر نهياً وأمرأ ، وقد أرشدنا تعالى إلى اختيار الطرفين النافعة في إنفاقه ، أن نستعمل عقولنا في تعرقها ، ونوجه إرادتنا إلى العمل بخير ما نعرفه منها ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَوَحُّوْا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ ( ٤ : ٥ ) ، أي تقوم وتثبت بها منافعكم ومصلحكم ، وفي الحديث الشريف : ( نعيم المال الصالح للراء الصالح ) ، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح .

فماذا جرى لتأخى المسلمين بعد هجده الوصايا والحكم ، حتى صرنا أفقر

الأمم ؟ وماذا جرى لتلك الأمم التي يقول كتابها الديني : ( الحق أقول لكم : إنه يعسر دخول غني إلى ملكوت السموات ، وأقول لكم أيضاً : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله ) ( مت ١٩ : ٢٣ و ٢٤ ) ويقول : ( لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويجب الآخر ، أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون ) ( مت ٦ : ٢٤ و ٢٥ ) ، ويقول : ( لا تفتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ، ولا مزوداً للطريق ، ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا ، لأن الفاعل مستحق طعامه ) ( مت ١٠ : ٩ و ١٠ ) ، ويقول : ( تأملوا الغربان ، إنها لا تزرع ولا تحصد ، وليس لها مخدع ولا مخزن ، والله يقبضها ، كم أنتم بالحري أفضل من الطيور ؟ . . فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ، ولا تقلقوا . . . بل اطلبوا ملكوت الله ، وهذه كلها تزداد لكم ) ( لو ١٢ : ٢٢-٣١ ) .

فماذا جرى للامة ذات هذه الأقوال ؟ . ماذا جرى لها في دينها ؟ حتى صارت أروع الخلق في فتون جمع الثروة ، وسادت بالفتى جميع أمم الأرض ؟ وكيف جاز أن يسمى مانحن عليه ( مدنية إسلامية ) مع مخالفتنا للقرآن والحديث في هذا الأمر الذي هو قوام المدنية ؟ وكيف جاز أن تسمى مدنيتهم ( مدنية مسيحية ) مع مخالفتها لتعاليم دينهم من المبالغة في الزهد وبغض المال ؟

والجواب عن ذلك واضح ، وهو انهم نبذوا تعاليم كتابهم وأخذوا بما في كتابنا ، كما أننا بالعكس تركنا تعاليم كتابنا وأخذنا بما في كتابهم ، وقد أثرت علينا تأثيراً سيئاً أقوال الجاهلين ، الذين لبسوا علينا بلباس الصالحين ، فنفتوا في الامة سموم المبالغة في التزهيد والاتكال ، والحث على إنفاق كسب الكاسبين عليهم ، وهم كسالى لا يكسبون ، لزعمهم أنهم يجب الله مشغولون !!

وذموا لتسا الدنيا وهم يرضعونها أفأويق حتى ماتدر لها ثمل  
 صار هذا ، حتى صار من المعروف المقرر ، عند جميع شعوب المسلمين ،  
 إدرار المال والرزق على علماء الدين ، وشيوخ الطريق الصالحين ، فهم يأكلون  
 مال الأمة بدينهم ، وإن ورد في حديث الصحيحين : « اليد العليا خير من اليد  
 السفلى !! » .

هذا هو الذي تيسر لنا في هذه الوقفة والله تعالى أعلم .  
 ( لافض فوك )

« قال اجعلني على خزائن الارض ... »

— ٩ —

واختتم البحث في تفسير هذه الآية الشيخ الصنعاني بالتعليقات التالية :

( اولاً - حدود تعاون المسلم مع غير المسلم )

تعلم من طلب يوسف عليه السلام من الملك الريان الوثني ، أن يجمسه على  
 خزائن ، ليخدم المصريين ومن جاورهم ، جواز التعاون على دفع الشر أو فعل  
 الخير مع غير المسلم ، أي يجوز للمسلم أن يطلب المساعدة من غير المسلم ويجوز للمسلم  
 أن يساعد غير المسلم ، وهل يوجد مجال للخلاف في الاستعانة بالكتابي أو الوثني أو  
 الملحد ، على إنقاذ الغريق وإطفاء الحريق وإقامة الحمل في الطريق ؟ كما أنه لا مجال  
 للخلاف في جواز إعانة المسلم لغير المسلم وصلى الله على من قال : « في كل كبد  
 حرا صدقة » .

( ثانياً - خضوع المسلم لغير المسلم )

لا يبيح دين الاسلام للمسلم أن يكون تحت رعاية غير المسلم في غير ضرورة ،

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٥٨:٤) ، فهذه الآية تفيد أنه لا يجوز لنا الخضوع لغير المسلم ، وقال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (١٤٠:٤) ، والمراد كما هو مقتضى الآية وروح سببها أن الله تعالى لن يجعل من أحكامه الشرعية السبوية ما يبيح للمؤمنين أن يخضعوا لأحكام الكافرين ، ويستكينوا لسلطانهم وسيطرتهم ، فإن تقبلوا أحكامهم ، ورضوا بسلطانهم ، فإنهم إذن هم الذين جعلوا للكافرين سبيلاً على أنفسهم ، خلافاً لشريعة الله تعالى : هذا هو الحكم عندنا في دين القرآن وسياسته ، ولكنه مقيد بحالة الاختيار ، وأما في حالة الاضطرار فهو جائز .

إذا علمت هذا فلعل يوسف الصديق عليه السلام رأى نفسه مضطراً أن يكون تحت سيطرة غير المؤمنين ، لأنه كيفما مكث في مصر ، سواء كواحد من الرعية ، أو على خزائن الأرض ، فهو على كل حال تحت سيطرة مليك مصر الوثني ، ثم لو أراد الرجوع لفلسطين ، فسيكون أيضاً تحت حكومة « أبيالك » ملك فلسطين الوثني ، وإذا أراد الرحلة لدمشق ، لزم كذلك أن يكون خاضعاً لحاكمها الوثني ، وهكذا الحال في العراق ، بلاد الصابئة ، فيوسف الصديق على كل حال وفي أي بلد لا بد له أن يخضع لحكومة وثنية ، كل الجالسين على كراسيها وثنيون ، لكنه إن تغلب باقتداره أن يكون حائزاً على كرسي فيها يكون قد خفف شيئاً من وطأة المشركين ، وشغل كرسيها من كراسيها برجل مسلم موحد ، هذا هو الجواب عن خدمة يوسف عليه السلام لتلك الحكومة الوثنية ، ثم ربما كان هذا جائزاً في شريعة المبرانيين الإبراهيمية ، وكفى بإقدامه على ذلك برهاناً على جوازه ، والله أعلم .

( جيد )

( ثالثاً - مواالة المؤمن لغير المؤمن )

لو سألت سائل : كيف يجوز ليوسف المؤمن أن يكون تحت سلطة « الريان »

بحيث يكون موالياً له ، وهو وثني ، وقد قال تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ  
 أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ، إِلَّا  
 أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ ( ٣ = ٣٨ ) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا  
 الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ ( ٥ : ٥٠ ) ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ،  
 لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ، تُنْفِقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ ، وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا  
 جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ، يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ، أَنْ تَتُومِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ .. ﴾ الخ  
 ( ٦٠ : ٩ ) ، فان هذه الآيات ، تشترك في النهي عن موالاة الكافرين ، وتدل على  
 أنه لا يجوز للمسلمين أن يتفقوا مع غيرهم ، ولا يوادوهم ، ولا يوالوهم ، وقال تعالى :  
 ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾ ( ٥٨ : ٢٢ ) .

فمنجيبه عن ذلك : أما عن الآية الأولى ، فإن الاتفاق إذا كان لمصلحة المسلم  
 فهو جائز ، فقد كانت النبي ﷺ حالف « خزاعة » وهم على شركهم ، كما أنه  
 عليه الصلاة والسلام ، لما رجع من الطائف لم تمكنه قريش من دخول مكة ، لما  
 علموه من أنه توجه الى الطائف يستنصر بأهلها عليهم ، فأرسل عليه السلام الى  
 « المطعم بن عدي » يخبره انه سيدخل مكة في جواره ، فأجابه الى ذلك ، ودخل  
 مكة في جوار « المطعم » وهو مشرك ، فاذا جاز هذا للنبي ﷺ ، جاز بالأولى  
 ليوسف عليه السلام أن يكون من وزراء « الريان » المشرك ، وعن « قتادة » هو  
 دليل على أنه يجوز أن يتولى الانسان عملاً من يد سلطان جائر ، وقد كان السلف  
 يتولون القضاء من جهة البعثة ويرونه ، واذا علم نبي أو عالم انه لا سبيل الى الحكم  
 بأمر الله ورفع الظلم الا بتسكين الملك الكافر أو الفاسق ، فله أن يستظهر به ،  
 وقد صح في الحديث أن كعب بن بجرّة ( ض ) كان يخدم عند يهودي مستقيماً  
 كل دلو بتمرة ، وكان ذلك باطلاع النبي ﷺ واققراره .

وعلى ذلك يكون معنى الآية الأولى : لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وأنصاراً في شيء تقدم فيه مصلحة الكافرين على مصلحة المؤمنين ، « والاتخاذ » يفيد معنى الاصطناع ، وهو عبارة عن مكاشفتهم بالأسرار الخاصة بمصلحة الدين ؛ وبعبارة أخرى : هذا « الاتخاذ » لا يحرم الا إذا كان ضد المؤمنين ، كما قال : « من دون المؤمنين » .

وأما عن الآية الثانية ، فالمحرم إنما هو اتخاذ اليهود والنصارى أولياء من حيث هم يهود ونصارى ، أي ولاية دينية ، وأما صحبتهم لأموال دنيوية معاشية ، فلا مانع منها .

وأما عن الآية الثالثة ، فلموادة مشاركة في الاعمال ، فان كانت في شأن من شؤون الدين ، فيه خذلان له ولاهله ، أو إضاعة لمصالحهم ، فهو حرام ، وليس هذا المعنى موجوداً ههنا ، وأما إن كان في شأن من شؤون التجارة والمناصب وغيرها من المعاملات الدنيوية ، ولا تدخل في ذلك النبي ، لانها ليست معاملة في محادة الله ورسوله ، وأيضاً فهذه الآية ، إنما تفيد النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله ، وإلقاء المودة إليهم بكونهم كفروا كفراً حملهم على إخراج الرسول والمؤمنين من وطنهم ، لأنهم مؤمنون بالله ، وأما هنا ، فالأمر بالعكس ، فإن الريان بدلاً من أن يخرج يوسف من مصر ، فقد قرب به اليه ، ثم سمح بمجيء أهله جميعاً من فلسطين وسكناهم في مصر في الشرقية .

وحجتنا على صحة هذا التأويل ، ورائدنا في هذا الموضوع ، قوله تعالى : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً ، والله قديرٌ ، والله غفورٌ رحيمٌ ، لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤوهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المتقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظآهروا على



إخواجهم أن تولّوهم ، ومن يتولّوهم فأولئك هم الظالمون ﴿٦٠:٧-٩﴾  
 فالقرآن الكريم يرجو تجديد المودة بين المؤمنين والمشرّكين ، ولا ينهى عن البر  
 والقسط إلى المشرّكين الذين لم يقاتلوا المؤمنين ، ولم يخرجوهم من ديارهم ، ونراه  
 أخيراً يؤكد حصر النهي في الذين حاربوهم حرباً دينية ، وأبعدوهم من ديارهم ،  
 وساعدوا على إبعادهم عنها ، ومع كل ذلك نراه خص هذا النهي بتولّيوهم ونصرهم ،  
 لا بمجانبتهم وحسن معاملتهم بالبر والإحسان والعدل ؛! لماذا على يوسف عليه  
 السلام من اتفاه مع الريان للمصلحة ؟ وماذا عليه من صحبته له لامور دنيوية  
 معاشية ؟ وماذا عليه من موادته له إذا أخرجه من سجنه وقربه لديه ؟ وماذا عليه  
 في بره وإقساطه اليه ؟ اللهم إن هذا كله جائز لا حرج فيه .

### ( رابعاً - ارتقاء يوسف لوزارة المالية لأن بإرادة الله وقدرته )

الفريدة الثانية — إنه لامر معلوم أن يوسف عليه السلام لم يكن له سابقة  
 خدمة في دار الحكومة ، وإنه لامر معلوم أن يوسف غريب الدار ليس وطنياً ،  
 وقد كان عبداً لموكاً عند « فوطيفار » ، وقد اعتقل لاتهامه بجريرة سافلة ،  
 فارتقاؤه لمنصب « وزارة المال » و « عزيزاً » لمصر ، مع هذه الاحوال التي أحاطت  
 به يمد من الدهشات ، وقد يسمون هذا النوع فلتة من فلتات الطبيعة . أو أعجوبة  
 من أعاجيب الايام ، أو شاذة من شواذ القاعدة ، ولكننا نحن لانسميه بشيء من  
 هذا القبيل ، بل ندعوه قضاءً وقدرأ ، أو نتيجة إرادة سماوية قاهرة ، وقدره  
 الهية باهرة ، تغليبان كل الارادات والقدر ، ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ،  
 لأنها أمره لشيء إذا أراد أن يقول له « كن ، فيكون » ، فالله الذي أسجد له  
 كواكب السماء ، وأوحى اليه في أخرج الاحوال انه سينبئ إخوته بما فعلوه معه  
 والله الذي سخر له التجارة ليخرجوه من الجب ، والله الغالب على أمره ، والله

الذي لا يبلغ أشده آتاه حكماً وعلماً ، والله الذي خلق له من عدوه « زليخا ، ولياً  
مزكياً مدافعاً ، والله الذي سخر له قلب ملك مصر ، فطلب الإتيان به من  
سجنه ليستخلصه لنفسه ، هو الذي منّ عليه بهذا المنصب الكبير ، وأقدره أن  
يدبره بأحسن تدبير .

هذا ما ينبغي أن يذكر عند الكلام على هذه الآية ، ويذكر فريق من  
المفسرين ههنا ما يمد هو وأمثاله من أسباب الجلود في الاسلام ، وموطن الضعف  
والخمول في معظم الشرقيين . ( لافض فوك ياأستاذ )

### تمكين يوسف عليه السلام

آ (٥٦) ﴿...﴾ وكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ،  
يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ، نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ، وَلَا  
نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

افتتحت الجلسة وتليت الآية السادسة والخمسون فقام الاستاذ السلفي  
البريدي<sup>(١)</sup> وقال :

يقول الله تعالى في حق يوسف ( م ) : ﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك التمكين  
الظاهر ﴿ مكننا ليوسف في ﴾ جميع ﴿ الأرض ﴾ التي كانت مستعمرة ومملوكة  
للهمكسوس ، من أصل المملكة المصرية ، وذلك هو « الوجه البحري » وجزء من  
« الوجه القبلي » الى منتهى بلاد « الشرقية » ، فيوسف تمكن في هذه الارض ،

(١) نسية الى بلدة بريدة من البلاد النجدية في المملكة العربية السعودية .

وكان النجاح في أعماله أُلصق به من ظله ، وأسرع اليه من الماء الى منحدره ، وكان هذا التمكين عاماً بحيث ﴿ يقبوا منها ﴾ بعد الحبس والضيق والإسار ، أو بعد أن كان لا يتصرف إلا في أرض سيده بوطيقار خاصة ﴿ حيث يشاء ﴾ ، أي كل مكان أراد أن يتخذ منزلاً ومتبوءاً له لم يمنع منه ، لاستيلائه على جميعها، ودخوله تحت نفوذه وقهره ، فكان هو الكل في الكل ، وهو الأمر الناهي ، في كافة مرافق الحياة ، وكان هذا هو عصره الذهبي الذي دام له لآخر حياته ، وعند ذلك نبي يوسف فلسطين وأخوته ، ﴿ نصيب برحمتنا ﴾ بعطائنا في الدنيا من الملك والوزارات والعنى وغير ذلك من النعم ﴿ من نشاء ﴾ جرياً على سنة ( تنازع البقاء واختيار الأحسن ) ، فدائرة رحمتنا مرنة ، بحسب ما تقتضيه الحكمة ، تسع كل خليق بها ﴿ ولا نضيع ﴾ في الدنيا ﴿ أجر المحسنين ﴾ كيوسف ، فهو خليق بالأجر العظيم ، فتمكينا إياه ، وإصابتنا له بهذا النوع من الرحمة الخاصة ، هو بسبب إحسانه السابق ، لأن المستقبل نتيجة الماضي ، وثمرته الطبيعية ، و ( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ .. ) ، فنحن قطعياً لانضيع أجر أي محسن كان ، من السابقين الأولين ، واللاحقين الآخرين ، موقفنا واحد ، ووضعيتنا واحدة ، مع يوسف وغيره ، برناميج ثابت لمجازاة كل محسن لا يتبدل ، ولن يتبدل .

( وكذلك مكنا ليوسف في الارض ... )

— ٢ —

وقال الشيخ احمد من علماء الرياض (١):

نستخلص من هذه الآية الكريمة الجواهر التالية .

### تمكين يوسف الخالص والعام

( ١ ) — كان تمكين يوسف في الأرض ، ينمو شيئاً فشيئاً على حسب

( ١ ) الرياض بلدة في مقاطعة نجد من المملكة العربية السعودية .

الطبيعة ، فكان أولاً تمكيناً خاصاً ، بزمن محدود وأمكنة محدودة ، وبالوكالة عن « العزيز » وهذا هو المذكور في قوله تعالى سابقاً : ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه ، عسى أن ينقنا أو نتخذة ولداً ، وكذلك مكنا ليوسف في الارض ﴾ ( ع ٢١ ) ولكن هذا التمكين عقبه اضطراب وتقلقل عندما حبس يوسف ، فلم يدم ، ثم لم يكن عاماً وواسعاً ، كما أنه لم يكن إلا مستعاراً من جاء العزيز ، لأن العوام يقولون : ( نفس العبد من نفس سيده ) وهذا كله بخلاف التمكين الثاني المذكور هنا في هذه الآية ، فإنه تمكين عام مطلق في جميع الأزمنة والأمكنة وبالاصالة ، فأما عمومه لجميع الأمكنة فلنقوله تعالى : ﴿ يتبوأ منها حيث يشاء ﴾ وأما كونه بالاصالة ، فلأن يوسف صار عزيزاً بمصر ووزير مالية فيها ، عوضاً عن فوطيفار ، وبهذا تعلمون أن لفظ « الارض » مراد كالمطاط يقبل التضييق والتوسعة ، فكلمة « الارض » في سابق قوله تعالى : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الارض ﴾ ( ع ٢١ ) ربما كان معناها أرض عزيز مصر ، وكلمة « الارض » في لاحق قوله تعالى : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء ﴾ ( ع ٥٦ ) معناها عموم الارض الداخلة في المملكة المكسومية .

### تقدير الملوك الاقدمين للناس بحسب مواهبهم

( ٢ ) — تتعلم من هذه الآية ، أن الملوك الأقدمين — ومنهم الريان — كانوا يقدرون الناس بحسب مناقبهم ومواهبهم ، لا بحسب أنسابهم وأموالهم ، وإلا فيوسف عليه السلام لا يزيد في نظرهم عن أنه عبد لفوطيفار ، اشتراه بديرام معدودة ، وأنه فتى غريب عامض النسب ، ليس وطنياً ، وأنه من بلاد تعد في نظرهم بادية ، وأنه ليس له سابقة في خدمة الحكومة ، ولكن رغباً عن ذلك كله ، عين وزير مالية بمصر وعزيزاً لها ووكيلاً عن مليكها .

## تزكية انتصار يوسف

٣ - نحن نعلم أن يوسف عليه السلام بخروجه من السجن كان قد انتصراقتصاراً باهراً، واليوم جاء جلوسه على كرسي الوزارة تزكية لهذا الانتصار ومنتاً له .

### كيف ان اغبار يوسف لم نصل لاويه

٤ - إن قال قائل، أو سأل سائل: لاريب أن يعقوب عليه السلام كان من الأنبياء المشهورين، وكذلك كان أبوه إسحاق، وجدده إبراهيم، وعم أبيه إسماعيل، وابن عم جده لوط، وعليه فيعقوب عليه السلام، من أصحاب الصور البارزة، وحائز على الشهرة الشخصية والعائلية، ولا بد أن هذه الشهرة لما تجلت في «العراق» و«سورية» و«فلسطين»، كانت أيضاً فيما جاور فلسطين من الديار المصرية، كما أنه قد اشتهر في أهل مصر، وجميع مملكتها أن «الريان» ابن الوليد أسند مأمورية «خزائن الأرض» لعبد عبراني فلسطيني من سلالة يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم المشهورين بمصر كسواها، وأن ذلك العبد صار «عزيز مصر» و«وكيلاً» عن ملكها، وقد فوض اليه أمور الخاصة والعامة، فهذه الحقيقة الواقعة أصبحت أمراً مشهوراً معروفاً عند الخاص والعام. لا يقبل الخفاء والكتمان، ولم يعرفه المصريون فقط، بل والممالك المجاورة والبلاد المحاذة لمصر، لاسيما فلسطين التي فيها يعقوب عليه السلام وأولاده وأنساله، وإذا لم يكن هذا الحادث قد اشتهر وعرف عند أهل فلسطين قبل سنيّ الجوع، فلا بد أن يكون قد عرف أيام سنيّ الجوع بسبب رود القوافل المتتارة ذهاباً وإياباً، من فلسطين لمصر، بل قد أثبت لنا التاريخ، ان القوافل كانت تسير من فلسطين لمصر، وأنه كانت التجارة مشهورة ومتبادلة بين البلدين، فاذا تقرر

هذا ، فكيف أن هذه الأخبار الشهيرة لم تصل ليعقوب عليه السلام وهو وعشيرته مشهورون بمصر ، وهم جيران مصر وعلى حدودها ؟ ! ؟ ! ؟ ! . . . قلنا : إن هذا السرّ آل عظيم ، وله شأنه عند المفكرين المستقلين ، ولكن يوجد قاعدة كونية عجيبة جداً ، ومسألة عند العموم ، وهي أن الخبر يصل إلى ظاهر أذن صاحبه ويقف ، ولا يدخل فيها ، وهذا مجرب ومعهود ، فكثيراً ما تحدث حوادث تكون معروفة عند الجمهور ، ولكن عند من لهم مساس وعلاقة بها هي غير معروفة ولا مسموعة ، بناء على هذه القاعدة الكونية المذكورة ، التي لم يوقف لليوم على علتها ، ولله تعالى في خلقه شؤون .

### الانتصارات التي فاز بها يوسف

٥ - كان ما حصل ليوسف عليه السلام من قبيل انتصار العلم على الجهل - لأن يوسف بعلمه رقي للعلا ، خلافاً « للئلا » الذين بجهلهم سقطوا في هاوية الخذلان ومن قبيل انتصار الحياة على الموت - لان يوسف كان بذلك هو السبب الوحيد في استخلاص المصريين من الهلاك ، ومن قبيل انتصار التوحيد على التوثن - لان يوسف بواسطة ذلك حصل على قوة بها بلغ دينه ودين آبائه ، ومن قبيل انتصار العبد على السادة ، وانتصار الذكاء على البلادة ، وأخيراً من قبيل انتصار التدابير السماوية على التدابير الارضية .

### الظهور بر يوسف في مصر

٦ - قوله : ﴿ يتبوءاً منها حيث يشاء ﴾ ، حيث فوض الامر اليه ، وأطلقت يده في مصر ، لان ملك مصر إذ ذاك - كباقي ملوكها - كان قليل الظهور للعامة ، إلا عند الاقتضاء ، إظهاراً لعظمة الملك ورهبة السلطان ، كما يزعمون .

أن « هرون الرشيد ، كان يجلس في الإيوان ، وفي وسطه ستر من الحرير الصيني معلق عرضاً بين الحائطين ، بحجب الخليفة عمن يجالسه ، على العادة في مجالسة الملوك يومئذ ، إلا من اختار الملك تقديمه ورفع الستار بينه وبينه ، من أهله وخاصة (١) .

### تمكين يوسف في مصر سبعين عاماً

٧- مكن الله ليوسف في الأرض بغير سلاح ولا كراع ، بحيث صار صاحب الحل والعقد ، والتفض والإيرام ، لأنه أصبح أعلى وزراء الملك رتبة ، وآثرم عنده ، وأنفذهم في البلاط ، وأشدم سلطة في الديار المصرية ، كان هذا طيلة سبعين عاماً ، عاشها بعد الأربعين سنة التي أقت عليه سابقاً ، واجتاز فيها أزمات ، ومع هذا فقد كانت هذه الأزمات وتلك الأفراح ممزوجة بما يدعو له للأسف والقلق ، وهو برفاهه لا يه وأخيه ووطنه ودويه ، فكان ذلك يعترض مابه من غبطة وسرور ، فالسعادة في الدنيا لا تتم لأحد ما ، ولا سعادة حقيقية تامة إلا في النشأة الآخرة .

### حصار في أيام يوسف وبهره

(٨) - هذا التمكين وهذا التبوء العام في أرض مصر ، ودورها وقصورها - كان في ذلك العصر ، مما يليق أن يفتن به ، لاسيما على رجل كان بالامس في السجن ، وكان قبله من رعاة الغنم ومن سكان البوادي ، ولكن مصر فيما بعد صارت جزءاً من أملاك الخلافة الفاروقية ، ثم صارت جزءاً أصغبراً جداً من مملكة الدولة الأموية ثم الدولة العباسية ، وعن « الرشيد » أنه لما قرأ قوله تعالى : ﴿ ونادى فرعون ﴾

في قومه : قال يا قوم : أليس لي مثلك مصر ، وهذه الانهار تجري من تحتي ، أفلا تبصرون ؟ ﴿ ٤٣ : ٥١ ﴾ قال — أي الرشيد — : « لأؤكّلينها أحسن عبيدي » ، فولاها الخصيب ، وكان على وضوئه ، وعن عبد الله بن طاهر ، أنه ولها فخرج اليها ، فلما شارفها وقع عليها بصره ، قال : « أهى القرية التي افتخر بها فرعون ، حتى قال : أليس لي ملك مصر ؟ والله لهي أقلّ عندي من أن أدخلها » ، ففتى عنانه ورجع ( كشف ) .

### رحمة الله واحسانه يصيان جميع من يستحقها

( ٩ ) — نصيب برحمتنا من نشاء ، ولو كان من الدهريين والماديين ، ولا نضيع أجر المحسنين ، ولو كانوا من الجاحدين والوثنيين ، لأن هذا إنما يكون في الدنيا فكل من أتقن عمله وأحسنه ، أصيب برحمة الله ، من الأرباح العظيمة ، وكل من أحسن عمله ، أخذ الأجرة من إقبال الناس على مصنوعاته ، وتوجههم على ما يصدر من معمله ، وكلما زاد إتقاناً وإحساناً ، زادت الناس فيه ثقة ، وزاد ربحه وشاع صيته ، وجُمِّلَ ذكره ؛ وإنا لنأسف إذا غض الجمهور من الشرقيين عن احسان أعمالهم وصناعاتهم وعلومهم وكتبهم ومطابعهم ومعاملهم ، حتى لو شرعوا في إحسان شيء في البدء ، لم يثبتوا على ذلك دواماً ، فتراهم بعد قليل من الزمن يغيرون مصنوعاتهم ويدخلون فيها العش ، فتتغير قلوب المشتريين عنهم ويتفرون منهم ويماملون سواهم ، ومع الأسف إنا نرى الذين فازوا بذلك هم الغربيون ، فوفى الله بعدله للشرقيين حظهم من التأخر ، ووفى الله بفضلته للغربيين حظهم من التقدم ، فإنه سبحانه لا يضيع أجر المحسنين لأعمالهم ، سواء أكانوا شرقيين أم غربيين ، وفي ذلك عبرة للمعتبرين .

ملاحظة : هنا قال الرئيس الفلسطيني : « قد سمعت أيها السادة مافاه به أخونا



الشيخ الرياضي ، وأما الحقير فليست أريد أن اعلق عليه شيئاً ، لأتقى لم اكون حتى هذه الساعة رأيت الشخص في هذا الموضوع .

ثم تابع الشيخ الرياضي كلامه في انام الجواهر :

### أجر المحسنين في الدنيا

( ١٠ ) لانضيق في الدنيا أجر المحسنين ، الذين يقصدون بعملهم وجه الله والذمة والضير ، لأن الذي ينفي الآخرة لابقوته حظ الدنيا ، وان أمثله مثل الزارع الذي يبذر حبه في الأرض ، ويمررها ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ، ثم هي لاحالة ثابت فيها ألوان العشب مع ناضر الزرع .

### امسان يوسف الذي استحق عليه التمكين والنو في الارض

( ١١ ) — إن قال قائل : ما هذا الإحسان الذي عمله يوسف حتى استحق أن يمكن في الأرض بحيث يتبوأ منها حيث يشاء ، قلنا إنما نعلم منه إباءه عن موادة تلك المرأة الساقطة ، وحفظه لمروء سيدة منه ، وقيامه بالدعوة إلى التوحيد ، وهو في سجنه ، إلى غير ذلك من أنواع إحساناته التي بعلمها الله تعالى ، وسيثيبه عليها في الآخرة بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

### عبداً تبارك الإحسان

( ١٢ ) — نتعلم من هذه الكلمة الفاذة الجامعة ( لانضيق أجر المحسنين ) أن مبدأ التبادل مرعي شرعاً ، فقد أمرنا الله بالصلاة والصوم والزكاة ووعدنا في مقابلة ذلك بالجنة ، وقال : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ .

ونتعلم من هذه الآية الشريفة أيضاً أن الله تعالى يثيب العبد على صالح عمله في الدنيا والآخرة جميعاً ، لأنه تعالى جعل تمكينه ليوسف في الأرض من ثوابه إياه

في الدنيا على إحسانه ، ثم الثواب التام يكون في الدار الخالدة كما قال تعالى :  
﴿ ولأجر الآخرة خير ... ﴾ الخ

### اجر المحسنين في الدنيا والآخرة

(١٣) — ولانضيق أجر المحسنين ، لافي الدنيا ولا في الآخرة ، لأن كلام الله تعالى ههنا مطلق ، ولكن الأجر في الدنيا إضافي مطرد في الاعم ، إضافي غير مطرد في الافراد ، وأما في الآخرة فالاجر حقيقي مطرد للجميع ، ؛ ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل ، أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين ﴾ (٤٧:٢١) و ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٨٩٩:٩٧) وهذا هو الدستور وكل ما أوهم خلافه مؤول .

### صدّة الملك الريان يوسف

(١٤) — لا بد أنه كان بين يوسف وبين الملك الريان ، مالم يكن بين ملك ووزير ، كان ذلك على تفاوت بينهما في المذهب ، فقد كان الريان وثنيّاً ، وكان يوسف بالطبع موحداً ، كما أن بينها اختلافاً في الشعب ، فقد كان الريان عملياً عربياً ، وكان يوسف عبرانياً إسرائيلياً ، وليس هذا بنادر في نوعه ، فإننا نتذكر من هذا القبيل أمثلة كثيرة ، منها صحبة الكُميت للطرمّاح ، وإخلاق أحدهما للآخر ، مع أن الكميت كان متشيعاً لبني هاشم ومضرباً ، وأما الطرمّاح فكان خارجياً متعصباً لاهل الشام وقحطانياً ، ولكن ذلك لم يمنع صداقة كل الآخر ، وربما كان الجامع بينهما صنعة الشعر ، كما أن الوظيفة هي التي جمعت بين الريان ويوسف ، زد على ذلك أنها ساميان ، بخلاف المصريين فحاميون ولا تنس إحسان الريان ليوسف بتخليته من الحبس وتخليته بالمنصب العظيم ، ولذلك

مكن يوسف مصر وهو مطمئن الخاطر ، قريح العين ، متشدأ بلسان الحال :  
وكل امرئ يولي الجميل محب وكل مكان يقين العز طيب

### اجر الدنيا واجر الآخرة

آ (٥٧) ﴿ وَلَا يُجْرُ إِلَّا خَيْرَ خَيْرٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا  
يَتَّقُونَ ﴾

ت الجلسة وتليت الآية السابعة والخمسون فقام الامتاذ السلفي  
العنيزي (١) وقال : يقول الله تعالى عز وجل :

﴿ وَلَا يُجْرُ إِلَّا خَيْرٌ ﴾ بكثير جداً ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾  
كيوسف وأشباهه ، فيوسف مأجور قطعاً في الدنيا والآخرة . والمؤمن يثاب  
على حسناته في الدنيا والآخرة ، والفاجر يعجل له الخير في الدنيا ، وماله في  
الآخرة من خلاق ، فقوله بياسر : ﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ﴾ أي في الدنيا —  
هو حكم عام ، يشمل المؤمن وغيره ، ويم التقي والتقي ، بدليل التخصيص بقوله :  
ولاجر الآخرة . الخ قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا  
مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ  
الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا — وَهُوَ مُؤْمِنٌ — فَأُولَئِكَ كَانَ مَعْنِيهِمْ  
مَشْكُورًا ، كَلَّا نَعْبُدُهُ هَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ  
مَحْظُورًا ، افظر كيف نضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجاتٍ  
وأكبر تفضيلاً ﴾ (١٧ : ١٨ — ٢١) وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

(١) قسة الى عنرة بلدة في مقاطعة نخد من المملكة العربية السعودية .

الدنيا ثبوته منها ، ومن 'يرد' ثواب الآخرة ثبوته منها ، و مستجزي الشاكرين ﴿ ( ٣ : ١٤٥ ) ﴾ ، أجر الآخرة خير من كل ما في الدنيا ، ولو كانت كنوز «قارون» (١) وصناديق «روكفلر» (٢) وخزائن «روتشليد» (٣) ، والآخرة لنا على هذه الآية الكريمة التعليقات الآتية :

### الآخرة لغة واصطلاحاً

التعليق الأول — الآخرة آخرتان ، الآخرة المعروفة المقابلة للدنيا ، وهي المعبّر عنها باسم «يوم القيامة» و «يوم الدين» ونحوهما ، والآخرة بمعنى المدة الأخيرة . من عمر الانسان في الدنيا ، وهي التي ربما يعبر عنها بلفظ «العاقبة» ونحوه ، وعلى كل حال ، فالآخرة بقسميها خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ، ومن المحتمل للمعنيين ما في مثل قوله تعالى : ﴿ أمّ للانسان ما تمسّى ؟ فله الآخرة الأولى ﴾ ( ٥٣ : ٢٥ ) وقوله تعالى : ﴿ ولـ الآخرة خير لك من الأولى ﴾ ( ٩٣ : ٤ ) ، قال «علي وفا» : ( معناها وللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة ) ، وقوله تعالى : ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة ﴾ ( ٢٨ : ٧٠ ) وقوله تعالى : ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة الأولى ﴾ ( ٧٩ : ٢٥ ) ، فهذه أمثلة يحتمل استعمال لفظ «الآخرة» فيها في المعنى اللغوي وفي المعنى الاصطلاحي ، وأما لفظ الآخرة في مثل قوله تعالى : ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة ﴾ ( ١٧ : ٧ ) ، وقوله تعالى : ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ ( ٣٨ : ٧ ) فهو مستعمل في المعنى اللغوي قطعاً ، كما أن لفظ الآخرة في مثل قوله تعالى ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ ( ٢ : ٣ ) ، هو مستعمل في المعنى الاصطلاحي قطعاً ، فتدبر ، فإن لكل مقام مقالاً .

(١) هو قورح التوراة (٢) اميركي اغنياء العالم قاطبة (٣) من اغنياء اليهود .

## ثواب الجنة جسماني وروحاني

التعليق الثاني — دار الآخرة هي دار المثوبة والعقوبة ، فدار المثوبة الجنة ، ودار العقوبة النار ، وقد جعل في الجنة نوعان من الثواب ، نوع من اللذائذ الجسمانية كما قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ، قَالُوا : هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَأُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ، وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ، وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ( ٢ : ٢٥ ) وقوع روعي ، وهو رضا الله والقرب منه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ( ٦ : ١٢٧ ) ويجمع النوعين قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُو۟سَتُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ ؟ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ( ٣ : ١٥ ) وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ( ٩ : ٧٣ ) .

## حفظ المؤمن في الآخرة أرقى منه في الدنيا

التعليق الثالث — هذه الآية جارية على قاعدة «تنازع البقاء واختيار الأحسن» في الآخرة ، كما في الدنيا ، قال تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ، فالؤمن التقي في الآخرة ، هو أسعد حظاً وأرقى نعيماً من حاله في الدنيا ، فمثلاً : يوسف الذي هو موضوع الحديث ، لئن كان قد تبوأ من خريطة مصر حيث شاء ، فلمعري سوف يتبوأ من خريطة الجنة أعظم وأعظم .

## اجر الآخرة مادي وروحي

التعليق الرابع — تعليقا على قوله ﴿ ولاجر الآخرة ﴾ ، أجر الآخرة قسمان : مادي وروحي ، فأما المادي ، فهو معلوم وهو للعوام ، وأما الروحي فهو للخوارج وسبحان من أشار إليه بقوله : ﴿ وقال لهم خَزَنَتُنَا : سلامٌ عليكم ، طيبُتم ، فادخلوها خالدين ﴾ ( ٧٣:٣٩ ) ، فالسلام ، أي الامن ، هو في نظر كل عاقل ، أقصى أمان المرء ، وأعظم الملاذ قاطبة ، وجل من قال : ﴿ ونزَعْنَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ ، إِخْوَانًا ، عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ ( ٤٧:١٥ ) ، وأي رذيلة أخبث من الغل ، مصدر الخن والمصائب ، والتقم والآفات ؟ وأي شيء أهنأ من التآلف والتصافي ؟ وأي دليل أشهر ببراءة الإسلام من الميل الى الملاذ ، من شهر رمضان الذي تلجهم فيه الشهوات ، وتزجر النفس عن غاياتها ، وتقدع عن مأربها ، وهذا هو منتهى العقل والحزم ، فإن مباشرة الذات ليس بالمنكر ، وإنما المنكر هو أن تذلل النفس لجبار الشهوات ، وتتناقض لحادي الاوطار والريجات ، وسبحان من قال : ﴿ وأما الذين ابيضتْ وُجُوهُهُمْ ، فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ( ١٠٧:٣ ) .

## اجر يوسف في الآخرة أجل مما كان له في الدنيا

التعليق الخامس — يخبر تعالى في هذه الآية ﴿ ولاجر الآخرة .. ﴾ الخ أن ما ادخره لنبية يوسف عليه السلام في الدار الآخرة ، أعظم وأكثر وأجل مما خوله من التصرف والتفوذ في الدنيا ، وهذا كقوله تعالى في شأن سليمان : ﴿ هذا عطاؤنا فامننْ أو أمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَإِن لَّهٗ عِنْدَنَا لِرُفْعِي وَحُسْنِ مَّآبٍ ﴾ ( ٤٠ و ٣٩ : ٣٨ ) ، وكقوله تعالى في شأن المهاجرين الذين يصح أن يعد منهم يوسف : ﴿ والذين هاجروا في الله مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ، لَنَتَّبِعُنَّهُمْ فِي

الدنيا حسنة ، ولا تجر الآخرة أكبر ، لو كانوا يعلمون ﴿١٦ : ٤١﴾ .

### الخلاص يكون بالايان والعمل الصالح

التعليق السادس – جمع في هذه الآية بين الايمان والتقوى ، كما جمع في آيات كثيرة ، بين الإيـمان وعمل الصالحات ، إشارة الى أن الانسان لا يخلص إلا بالإيمان والتقوى ، وبعبارة أخرى ، بالإيمان والعمل الصالح ، خلافاً لكتب التصاري ، ليس للأعمال فيها قيمة ، ولا أجره مطلقاً ، قال بولس في رسالته الى أهل رومية : ( أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجره على سبيل نعمة ، بل على سبيل دين ، وأما الذي لا يعمل ، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر ، فإيمانه يحسب له برأ ) ( روم ١٤ : ٤ و ٥ ) ، والله يقول في القرآن المجيد : ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والتبئين ، وآتى المال ( على حبه ) ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والمؤفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأس والضراء وحين البأس ﴾ ( ٢ : ١٧٧ ) .

واجتهد بولس في احباط الاعمال ، حيث ذكر أن أعمال الناموس تحت لعنة ، وأنه لا يتبرر أحد عند الله بالناموس ، وأن الناموس لا لزوم له ، بعد مجيء المسيح ( غلاطية ٣ : ١٠ - ١٣ ) ، مع أن المسيح نفسه يقول : ( لا تظنوا أنني جئت لأتقض الناموس أو الانبياء ، ما جئت لأتقض بل لأكمل ) ( مت ٥ : ١٧ ) ولكن المسيحيين عملوا بكلام بولس ، فتركوا التوراة وأحكامها بالمره ، وقد أباح لهم الرسل جميع المحرمات ، ما عدا أربعة : الزنا والدم المسفوح والمخنوق والمذبوح للأصنام ( أع ١٥ : ٢٨ و ٢٩ ) .

## يوسف النبي والرسول

التعليق السابع — كان يوسف بمصر نبياً ورسولاً ، وكان أهل مصر كفاراً وثنيين ، ولكنه لم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الاسلام ، فإنه دعاهم الى التوحيد والإيمان ، فلم يحيوه ، قال مؤمن آل فرعون : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم في شك مما جاءكم به ، حتى إذا هلك قلتم ، لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ ( ٤٠ : ٣٤ ) ، فيوسف بلغ الرسالة ، ولكن المصريين لم يؤمنوا به ، بل كانوا في شك مما جاءهم به ، ولكنه هو أدّى الامانة ، ونصح لله واتفق الله ما استطاع .

## الجزاء يكون على الايمان والعمل معاً

التعليق الثامن — نعلم من قوله : ﴿ للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ ومن أمثاله مما لا يحصى قاعدة مهمة في الدين ، وهي أن الجزاء إنما يكون على الايمان والعمل معاً ، لأن الدين إيمان وعمل ، ومن الغرور أن يظن المنتهي لدين نبي من الانبياء أن يكون ناجياً بمجرد الاتماء ، ومما يشهد لذلك ما حكاه الله لنا عن بني اسرائيل من غرورهم بدينهم ، ومارد به عليهم ، حتى لا تتبع سنتهم فيه ، وهو قوله تعالى : ﴿ وقالوا : لن نؤمنسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ ، — قل : أتتخذتم عند الله عهداً ، فلئن يخلف الله وعدة ، أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها خالدون ﴾ ( ٢ : ٨٠-٨٢ ) ، وما حكاه عن اليهود والنصارى جميعاً وهو قوله تعالى : ﴿ وقالوا : « لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى » ، — تلك أمانيتهم — قل : « هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، بلى من أسلم وجهه لله — وهو محسن —



فله أجره عتد ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٢: ١١١ و ١١٢﴾ ، من هذه التصور نلمح أن العجاة في الآخرة والسعادة الابدية فيها . إنما تكون بالإيمان والتقوى ، لا بالإيمان وحده ، خلافاً « للمرجئة » ، في قولهم بكفاية الإيمان ، بدون أعمال ، سموا بذلك ، لانهم أرجأوا العمل ، أي آخروه قالوا : لا يضر مع الإيهاث معصية ، وخلافاً للنصارى ، في اكتفائهم بالإيهاث بالآب والقداء .

استطواد :

وعقيدة الصلب والقداء وثنية محضة سرت للنصارى من الوثنيين ، كما بينه علماء أوروبا الاحرار ، بل ومؤرخوهم ، بل وعلماء الآثار والماديات منهم في كتبهم .

قال « دوان » : « إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم » وذكر الشواهد على ذلك ، منها قوله : « يعتقد الهنود أن « كرشنا » المولود البكر الذي هو نفس الإله « فشنو » ، الذي لا يبتداء له ولا انتهاء — على رأيهم — تحرك حنواً ، كي يخلص الارض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه .. »

وقال « هوك » : « يعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة ، وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس عن الخطيئة » .

وقال القس « جورج كوكس » في سياق الكلام عن الهنود : « ويصفون « كرشنا » باليطل الوديع الملوء لاهوتاً ، لانه قدم شخصه ذبيحة » . وقال « هيجن » عن « أندرا » الذي يبده سكان التيبك والتيت : « انه سفك دمه بالصلب وتقب المسامير ، لكي يخلص البشر من ذنوبهم » ، والبوذيون يقولون في « بوذا » إنه مخلص

العالم ، وإنه إنسان كامل وإله كامل ، تجسد بالناسوت ، وقدم نفسه ذبيحة، ليكفر ذنوب البشر ، ويخلصهم من ذنوبهم، فلا يعاقبوا عليها .

بين ذلك كثير من علماء الغرب منهم « ميل » في كتابه ( تاريخ بوذا ) ومنهم « هوك » في رحلته، ومنهم « بولر » في كتابه ( تاريخ الآداب السنسكريتية )، والخلاصة إننا لا نعتقد أن خلاصنا يكون بواسطة إنسان ، ولكن بالإيمان والتقوى.

### رد دعوى زواج يوسف بزليخا بعد موت زوجها فوطيفار

التعليق التاسع — ذكر فريق حشوي من المفسرين أن «عزير مصر» فوطيفار مات في تلك الليالي ، وأن ملك مصر « الريان » زوّج « يوسف » « زليخا » امرأة ذلك العزيز فوطيفار ، وشاع عند القصاص أن « زليخا » عادت شابة بكرأ ، بعد ما كانت ثيباً غير شابة ، وهذا كما قال الآوسي في تفسيره مما لأصل له ، قال : ( وخير تزوجها أبيضاً مما لا يعول عليه عند المحدثين ) ، ونحن نزيد على ذلك أن نسبة يوسف عليه السلام للتزوج بهذه المرأة لا يليق ، لأنها وإن تكن ثابت وحسنت توبتها ، فقد كانت عزمت على السقوط ، وصحمت عليه ، ومعلوم أن زوجة كل رسول هي أم لافراد أمته ، كما قال تعالى : ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ (٦:٣٣) ، ولا يليق أن تكون هذه المرأة نصف الساقطة أماً للمصريين إذ ذلك ، والصحيح أن ملك مصر الريان كان قد زوّج يوسف « أسنات » بنت « فوطي فارع » كاهن « أون » ، ومعنى « أون » الشمس ، ولذلك سميت البلدة عند العبرانيين « بيت شمس » ، واليونانيون يدعونها « هليو بوليس » ، وأما « أسنات » فلفظة مصرية معناها محبوبة « نات » ، ونات هذه إلهة الحكمة عند المصريين.

### استطراد :

فان سأل سائل : كيف جاز ليوسف عليه السلام أن يتزوج بامرأة وثنية

بنت كاهن وثني؛ فالجواب أنه يجوز أن تكون صارت من الموحدين إما قبل الزواج أو بعده بقليل، ويكون ذلك جائزاً عندهم. وذلك كما أن مسلمي الصين اليوم يتزوجون بالصيغيات الوثنيات فلا يلبثن أن يسلمن عند أزواجهن، حتى أن ذلك صار أحد أسباب انتشار الإسلام في الصين، وقريب من هذا ما وقع قديماً أن إبراهيم عليه السلام كان زوج بساراي وهي ابنة أبيه «تارح» المسمى في كتابنا الكريم «آزر»، فهي أخته من أبيه فقط، وليست أخته من أمه، ونارح أو آزر كان وثنياً فلا بد أن تكون بنته كانت في البدء كذلك، ولكن لما تزوجها إبراهيم صارت من أهل التوحيد كزوجها؛ ولنا أمثلة على ذلك كثيرة منها تزوج «لوط» عليه السلام بامرأة كافرة، وكذلك قبله نوح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا الَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ، كَاتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ، غَفَاغَفَا هُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ (٦٦ : ١٠)، ومنها تزوج إسحاق عليه السلام «برفقة» وهي بنت «بيوثيل»، الوثني، وتزوج يعقوب عليه السلام «ليئة» و«راحيل»، وهما بنتا «لابان»، وهو وثني، وكذا تزوج إسماعيل عليه السلام بامرأة من أرض مصر على ما في التوراة، أو بامرأة من جرم على ما في التاريخ العربي، وعلى كل فهي وثنية، والامثلة من هذا القبيل كثيرة، فما جاز لهؤلاء فعله في شريعتهم يجوز ليوسف عليه السلام في شريعته.

وجواباً ثانياً — وهو أن المشركات اللاتي حرم الله نكاحهن في قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ (٢ : ٢٢١)، هن مشركات العرب فقط، وإن المصريين كالصابئين ووثنيي الهندوس والصين وأمثالهم كاليابانيين هم أهل كتب مشتملة على التوحيد، وأن كتبهم طرأ عليها التحريف كما طرأ على كتب اليهود والنصارى التي هي أحدث عهداً في التاريخ، وإن قوله

تعالى بعد بيان محرمات النكاح ﴿وَأَحِلُّ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ﴾ (٤ : ٢٤) ،  
 يفيد حل نكاح نسائهم ، فليس لاحد أن يجرمه الا بنص .

## الفصل الثاني

### سفرة اخوة يوسف الاولى لمصر

آ (٥٨) ﴿... وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ،  
 فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ .

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثامنة والخمسون ، فقام الشيخ الزيدي  
 الصنعاني وقال :

تحقق تعبير يوسف لرؤيا الملك الريان ، بمجيء السنين السبع الخصبه ، ثم  
 السنين السبع الأخرى المجده ، فحصل جوع وقحط لاسيا في البلاد المجاورة لمصر  
 كفلسطين ، لعدم استعداد أهلها لمثل هذا اليوم ، وقد أصاب يعقوب وأولاده كما  
 أصاب غيرهم ضيق شديد في العيش ، وسمع بوجود قمح في مصر ، فطلب من أولاده  
 أن يذهبوا اليها للامتياز ، فبدأوا رواحلم قاصدينها ، (وجاء إخوة يوسف) العشرة  
 الى مصر ، فرأتهم العيون المرصدة من قبل يوسف بشكل وعدد يلفت النظر ،  
 فأخذوهم الى يوسف في بلاطه ( فدخلوا عليه ) وهو جالس على عرشه ، فسلموا  
 عليه ، ( فعرفهم ) بملامهم وكلامهم وأزيائهم ( و ) أما ( هم ) فلم يعرفوه إلا انه  
 « العزيز » ، وأما من هو وما اسمه ومن أي عنصر فبقوا ( له منكرون ) .

## ( وجاء إخوة يوسف . . . الخ )

- ١ -

وقام الاستاذين نصيف أحد علماء بلدة جدة الأفاضل وقال :

## بحي ء اخوة يوسف لمصر للاختيار

جاءت سنو الخصب ، ثم تلتها سنو الجوع ، فأصاب أهل مصر وما جاورها من البلاد وخاصة فلسطين شظف وضيق ، وخشونة عيش ، وأتاهم الجذب كوحش هائل ، فاغر فاه ، يتلقف ما قرب منه وما بعد ، فقال يعقوب لأولاده : « أبقوا على عيالكم وأولادكم ، ولا تحملوهم الى الفتاء ، فانه ليس من المروءة أن يرمي الإنسان بأهله في مهاوي الجوع ، بل يقيهم بسميه ، ويدفع عنهم بجمده ، وان السمي على العيال واجب ، فقوموا اسمعوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه ، واليه التشور ، قوموا اضربوا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله »

وما طلب الميثة بالتمني	ولكن ألقِ دلوك في الدلاء
تجيء بلبثها طوراً وطوراً	تجيء بجمأة وقليل ماء
ولا تقعد كذي كسل وجبن	تجيب على المقدر والقضاء
قعودك عن طلاب الرزق عجز	وعجز المرء أسباب البلاء

علم يعقوب عليه السلام أنه يوجد قمح في مصر ، فقال لبنيه : ( لماذا تنظرون بعضكم الى بعض ؟ إنني قد سمعت أنه يوجد قمح في مصر ، انزلوا الى هناك ، واشتروا لنا ، لنحيا ولا نموت ، وإن ما عندنا من بقايا القوت يوشك أن يفنى وينبقي معدمين ، حتى ولو اقتصدنا ، بل ولو قترنا في تناوله ، فان قلة الانفاق ، لا يمنع من سرعة التفاد ، فان الكحل الذي لا يؤخذ منه إلا عيار الميل سريع فناؤه ، فكيف ونحن عشيرة كبيرة ، نحتاج كل يوم نحن ودوابنا الى قوت ليس بالقليل).

وقد كان يعقوب عليه السلام ، وأولاده أفضسهم في حاجة الى الطعام ، في تلك الايام ، وقد ضعفت مواشيسهم من قلة المرعى ، وربما مات كثير منها ، وأخذ الموت يجرف كثيراً من الناس .

سمع أبناء يعقوب كلام آبيهم ، فقاموا وشرعوا في الرحلة ، ماعدا بنيامين ، فقد تخلف عنهم إذ لم يرسله أبوه معهم ، لأنه قال في نفسه : ( أخشى أن يصيبه أذى ) ثم ساروا ميممين الدير المصرية ، وقبيل ما وصلوا لمصر ، رأوا في ضواحيها من جهة طريقهم ، مضارب وخياماً منصوبة للمثارين القادرين ، وإيلاً وحميراً ، ما بين مربوطة وذاهية لمصر فارغة ، وآية منها مثقلة بالميرة ، وصادفوا جلبلة وازدحاماً ، ولم يزالوا كذلك حتى دخلوا مصر ، ما بين نهبق الحمير ، وجمير الابل ، يتخلل ذلك ضوضاء وصلصلة وقمقمة ، إذ كان في مصر اجتماعات مدهشة من صنوف المتارين ، تعيد للاذهان ذكرى برج بابل ، أو تمثل للانسان يوم المحشر .

وكان أبناء يعقوب حينما دخلوا مصر مغمورين في جمهور كبير من المتارين ، لكن العيون المرصدة من قبل يوسف اقتحمت ذلك الجمع وتخطت الجمهور ، ولم تتناول إلا هؤلاء الاخوة ، فأخذوهم اليه في بلاطه ، فدخلوا عليه ، وهو في قصره يتأطح السحاب . جالس على عرشه ، وسلموا عليه سلام الامانة ، وتراموا بين قدميه ، وقد استوسق له كل ما أراد من سلطان ومراس ونفوذ كبير ، ومهابة عظيمة ، دخلوا عليه ، وهو في عنفوان دولته وشمخها ، وعزة ملكه وقبسا ، فتفرس فيهم ، فلم يكن إلا كلعح البصر ، حتى بصر بهم ، فعرفهم من بعد العهد ، عرفهم بلحاظهم وشعور رؤوسهم حسب عوائد الفلسطينيين وخاصة العبرانيين ، عرفهم بملاحمهم وتكلمهم بالعبرانية ، عرفهم بلباس من نوع أزياء أهل فلسطين يمازجه شيء من هندام العراقيين ، عرفهم بحيث يقدر أن

يناديهم بأسمائهم ، ويخبرهم بأحوالهم ، التي غادرهم عليها منذ صغره ، عرفهم لأن صورهم كانت قد ارتسخت في « فِلْسَمِ » دماغه وهم كبار ، فلم يطرأ عليها تغير كثير ؛ وأماهم ، فلم يرفوه إلا بأنه « عزيز مصر » ، و « وزير ماليتها » ، وأما من أي عنصر هو ، ومن أي عشيرة ، فلم ...

( وجاء إخوة يوسف ، فدخلوا عليه ... الخ )

— ٢ —

وقال العلامة العَدَنِي (١) : نستفيد من هذه الآية الكريمة الفوائد التالية :

### وصف منظر المتارين من الناس في مصر في زمن يوسف

الفائدة الأولى — جاء إخوة يوسف فاذا الناس من خواص العالم ، ورجالاتهم وعامتهم في هرج ومرج ، يموج بعضهم في بعض كموج البحر ، قد تسربوا أزواجاً وأثلاثاً ، بين راكب وماش ، هذا يكال له ، وهذا يحمل الميرة ، يهرعون نحو الكيالين ، تتزاحم أقدامهم ، وتتراص صفوفهم ، ويندمج بعضهم في بعض ، الرجل يدفع الرجل ، والمرأة تدفع المرأة ، وهم أنواع شتى ، وأشكال متباينة ، ولغات مختلطة ، وأزياء مختلفة ، كار وفار ، داخل وخارج ، باك وضاحك ، منهم الشيوخ والمرمي ، ومنهم الشبية والفتيان ، وقد علا الضجيج حتى استكثت المسامع ، وتصاعد الغبار ، حتى حجب السماء ، يتواردون كوكبة بعد كوكبة ، وزرافة بعد زرافة ، ولا غرو فمصر بعناية يوسف وتدايره ، أصبحت الحرم الوحيد الذي تقصده أهالي البلاد المجاورة لها ، وهي القلب الذي تتدفق منه مادة الحياة الى جميع الأطراف ، وهي الموئل الذي يرجع اليه عند الشدة ، وأما إخوة

(١) سبة الى عدن ، فاعده شبه جزيرة عدن .

يوسف ، فدهشوا لهذا المنظر الرهيب ، فوقفوا هتية في وسط الساحة ، ريثا يقل المتزاحمون ، وهناك أخذوا فأدخلوا على يوسف ليشرح لهم على وثيقة الامتياز .

### ترقب يوسف مجيء اخوته

الفائدة الثانية — لم يعجب يوسف لهذا المجيء ، لأنه كان يعرف أن هذا المجيء سيكون طبعاً ، وكان يعد له الأيام عدداً ، كما يعد الفلكي الساعات والدقائق لكسوف الشمس واصطدام الكواكب ، إذ متى حصل الجذب والقحط في مصر حصل فيها مجاورها من البلاد ، التي منها بالأقرب فلسطين ، فتضطر إخوة يوسف للامتياز ، وقد وقع .

### يوسف يسرع في تحقيق هدفه

الفائدة الثالثة — جاء إخوة يوسف فأشرح صدره ، وشعر أنه تقدم خطوة نحو الغرض الذي كان يتوخاه ويتوقمه ، وهو مجيء بنيامين لمصر ، وحظوته بلبقياه ، وقال في نفسه : « قد دنا وقت العمل » ، فلذلك سيأتي إنه عمل معهم الحيلة الأولى لرجوعهم بأخيه ، قائلاً في ضميره : متى رجعوا به ، أحتال لإبقائه عندي بحيلة أخرى ، أشدب بها شيئاً من كبرياتهم ، ثم أسعى في مجيء والدي لمصر ، وهكذا سيتم له ما أراد .

### ابتداء يوم يوسف

الفائدة الرابعة — من هنا يتبدى اليوم الذي ليوسف ، وينتهي بنهاية (ع ١٠١) بعد ما صبر على اليوم الذي عليه المذكور في (ع ١٥) ، فهو في هذه الحوادث كغيره ، يوم له ، ويوم عليه ، يوم له كان في بكرته بمزوجاً بشيء من الرحمة (ع ٥٨ — ٦٢) ، وكان وقت الظهيرة شديداً جداً (ع ٧٠ — ٧٩) ثم صار حين



الآصيل رحمة مطلقة (ع ٨٩ - ٩٣) ، وأما اليوم الذي عليه فكان لونا واحداً ، وهو لون القسوة .

### حال اخوة يوسف بعد ما شردوه

الفائدة الخامسة - كان حصل ما حصل من إخوة يوسف مع يوسف منذ ٣٢ سنة ، فأما هم فبقوا ما كتين ما كتين بقلسطين عند أبيهم مع زوجاتهم وأولادهم وقطبانهم ، وأما يوسف عليه السلام فأقام بمصر ، في بيت العزيز ، ثم في السجن ، ثم في بلاط الملك ، ونامت تلك القضية ، التي كانت بين هؤلاء الاخوة ، نعم نامت ولكن بدون أن تمام تلك الاحقاد ، التي نشئت في الصدور ، بين الظالمين والمظلومين .

### مجيء اخوة يوسف لمصر لان من أكبر المساعدات لتحقيق آماله

الفائدة السادسة - مجيء إخوة يوسف لمصر ، ومشولهم بين يديه وتمكنه منهم - بعد من أعظم متمات مجد يوسف وسروره ، ويمد من أكبر المساعدات لآماله ، جاء هذا الأمر عفواً صفوياً ، لم يمد اليه يدأ ، ولا تجشم فيه مشقة ، ولا خاض فيه غمرة .

### الصفا الاقتصادية بين مصر وفلسطين

الفائدة السابعة - تتعلم من هذه الآية ، ومن سابق قوله ﴿ وجاءت سيارة الخ ﴾ ومن لاحق قوله : ﴿ والبير التي أقبلنا فيها ﴾ أنه كان يوجد اتصال اقتصادي بين فلسطين ومصر .

### اسباب عدم معرفة اخوة يوسف له عندما قابلوه

الفائدة الثامنة - لم يعرفوه لأسباب منها أولاً : بسد الشقة ، وطول مدة

القرقة ، ومما دعا لعلم معرفتهم إياه بنوع خاص وجوده في البلاط ، في دست الوزارة المالية ، وانه عزيز مصر ، ووكيل مليكها .

ثانياً : الشوار الذي كان على لباسه ، وتكلمه معهم بالقبطية ، لأنها هي اللغة الرسمية ، وانه كان حليق الرأس والفرع واللحية ، لأن تلك الهيئة هي هيئة المصريين ، وهي عندهم هيئة العز والشرف ، وأما الذين يوفرون فروعهم ولحاهم فهم في نظر المصريين واصطلاحهم الأذنياء والأذلاء ، كما ثبت ذلك في التاريخ ، وعلم من الرسوم المصرية .

ثالثاً : قد تغير اسمه في دار الحكومة وعند الاهالي بموجب إرادة سنية ، صدرت من البلاط ، لأن مليك مصر دعا يوسف « صفقات فعنيح » ، وهما كلمتان مصريتان ، قال القانون كوك : معناهما « طعام الحياة » ، أو « قوت الاحياء » ، وفسرهما آخر « بمخلص العالم » ، والمعنى على التفسيرين أن يوسف كان علة قوت الاحياء أو طعامهم وإنقاذهم من الموت ، بما أتاه من خزن الحنطة الى زمن القحط .

رابعاً : كان قد تغيرت صورته ، لأن صورة الانسان وهو في سن الأربعين ، تبين صورته تمام المباينة وهو في سن ١٧ سنة ، إذ تكون قد تغيرت تقاطيعه ، واختلفت أوضاعه ، وتبدل فيه كل شيء ، حتى ملاحه وشمائله .

### معنى نكر وأنكر

الفائدة التاسعة - نَكَرَ بالقلب وأنكَرَ بالعين ( أساس ) ، فاخوة يوسف لم يخافوا منه بقلوبهم ، ولم ينفروا منه حين رأوه ، ولكنهم لم يروه في الشكل المعروف لهم ، أو رأوا له حالاً وشكلاً خلاف حال السوقة من المصريين ، وهذا كما في قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديثُ ضيفِ إبراهيمَ المُكْرَمِينَ ؟ إذ دخلوا عليه فقالوا : سلاماً - قال : سلام ، قومٌ مُنْكَرُونَ ﴾ ( ٥١ : ٢٤ و ٢٥ ) ،

وكما في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ، قَالَ : إِنَّكُمْ قومٌ مُنكَرُونَ ﴾ ( ١٥ : ٦١ و ٦٢ ) ، فمعنى قول ابراهيم وابن أخيه لوط « منكرون » ، لأنها لم يرفقا الملائكة في اول دخولهم عليها ، فمعنى « منكرون » ، مجهولون غير معروفين ، وأما قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءت رُسُلنا ابراهيمَ بالبشرى ، قالوا : سلاماً — قال : سلامٌ ، فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذٍ ... فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكبرهم ، وأوجس منهم خيفة ﴾ ( ١١ : ٦٩ و ٧٠ ) ، فمعناه أن ابراهيم عليه السلام لما رأى الملائكة لم تأكل من طعامه نفر منهم بقلبه ، وخاف انهم يريدون به مكروهاً ، لأن عادة الشرقيين هكذا ، إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه ، وإلاّ خافوه ، ولذلك حسن التعبير بكلمة « نكرو » هذا ما تقرره بناء على ما ذكره الزخشي في أساسه ، من التفرقة بين نكرو وأنكرو ولكنه في كشافه لم يفرق بينهما ، وأنشد قول الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي فكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما

وما قاله في الأساس أدق ، وهو اصطلاح القرآن الكريم ، الذي أنزله الله حكماً عربياً ، وحكماً لغوياً .

### سبب عدم اظهار يوسف نفسه لآخوته

القائدة العاشرة — لم يظهر يوسف نفسه لآخوته ، في هذه المرة من اللقاء ، خوفاً من حسدهم وإلحاقهم به الأضرار ، وأن يتقلبوا عثرة في سبيل تمكنه من منصبه الذي هو فيه لأنهم اذا كانوا قد حسدوه على مجرد حب أبيه له أكثر منهم ، فأخلق بهم أن يحسدوه ويضروه إذا رأوه قد تربح فوق دست وزارة المال بمصر ، وأنه قد صار عزيزها ووكيلاً مفوضاً عن ملكها ، وبما أنهم إخوته ، فهم قديرون على ذلك ، إذ من ذا الذي يظن ان الاخوة العشرة من أبناء نبي الله وصفيه يعقوب ، من سلالة اسحق وذرية ابراهيم — يتألبون بالزور والبهتان على أخ منهم

وفيهم !؟!؟!... فلعمري إن طعنهم فيه قريب التصديق . فلذلك كان يوسف يخاف منهم ويتقي شرهم ، ويحسب لهم ألف حساب ، وهذا مادفعه الى التكتّم عنهم ، والعاقل لا يجد له أماناً من حاسديه ، أوثق من الذعر والتحفظ ، واتقاء قريتهم ، والتعرف اليهم ، والتحكك بهم ، ويحتمل انه لذلك العهد كان لا يزال متناظراً متهم وحاقداً عليهم .

### داعي مجيء اخوة يوسف اليه رأساً

الفائدة الحادية عشرة — لاريب أن يوسف عليه السلام كان قد أقام أفسساً لبيع الخنطة يبيعون كما يأمرهم ، فكيف أتى إخوته رأساً إليه ؟  
والجواب : إن علة ذلك كثرتهم ، لانهم عشرة ، ومعهم عبيد وخدم ، فكانوا ممن ينظر اليهم بريية ، فلما دخلوا مصر ، رفع أمرهم الى حاكمها يوسف عليه السلام ، لينظر في أمرهم ، وقد كان المصريون يرتابون من كل جماعة غريبة تدخل أرضهم ، ولا سيما الجماعات التي تدخلها من الحدود المرية .

### يوسف يجهرز اخوته بالميرة وبطلب منهم الوبان بينياصين

آ (٥٩) \*... وَلَمَّا جَهَزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ، وَقَالَ : أَتُّونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ ، أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ . \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية التاسعة والخمسون فقام الشيخ الحديدي

السيني وقال :

أعطى إخوة يوسف ما يدهم من الفضة ، وكال لهم يوسف القمح ، كيلاً

طافاً زائداً عن الحق الذي لهم ، ثم تجهيزاً لهم في إياهم أعطوا زاداً للطريق ، وأعطاهم كل ما يصلحهم ، من كل ما يحتاج اليه المسافرون ، قائلاً في نفسه : بعله الزرع يسقى القرع ، ( ولما جهزهم بجهازهم ) أي هياً لهم جهازهم ، وهو ما يحتاجون اليه في قطع المسافة ، من دقيق وسويق ، وسقاء وماء ، وعلف للدواب ، وكل ما يلزم لهم في الإياب ، ( قال ) خفاة وبقته ، بلا سابق مذاكرة : يا أبناء فلسطين لله أتم ، إني أقترح عليكم شيئاً واحداً ( ائتوني ) مرجعكم الي ( بأخ لكم من أيكم ) ، سمعتُ به ولم أره معكم في هذه الزيارة — قال ذلك جبراً بحيث يسمعونه ثم قال بعينه وبين نفسه : لأن « الشكلى تحب الشكلى » ، ثم رجع وقال مرغباً : [ ( الا ترون ) ناشدتم الله ، ( أني أوفي الكيل ) أي أكثره وأزيدة بحيث يطف الحب عن المكيال ( وأنا خير المنزلين ) من الباعة الكياليين ، الذين ينزلون الممتارين عندهم ، فهم إنما يبطونهم الحق فقط ، ثم لا يجهزونهم بشيء من لوازم السفر ، ولكني قمت بالفريضة والنافلة ، قمت بالواجب والمستحب ، قمت بما يلزم وما لا يلزم ] ، وربما كان معنى ( المنزلين ) بمعنى المضيفين ، لأنه يقال : أنزله بمعنى أضافه ، والتزيل الضيف .

### ألا ترون اني اوفي الكيل .. الخ

— ١ —

وقال قتي الدين العريشي (١) :

### جود يوسف على اخوته وبمض الامثلة المشابهة في التاريخ

إذا لاحظنا أن الوقت في مصر وما حولها من البلدان كان وقت جذب وغلاء . وأن يوسف عليه السلام جهز إخوته بجهازهم جوداً منه وكرماً ، وأوفى لهم

(١) نسبة الى بلدة العريش من فلسطين .

الكيل وزاده عن الواجب ، ثم جعل بضاعتهم في رحلهم ، فلا ريب أن يكون خير الباعة الذين ينزلون المتارين عندهم ، فيبيعونهم بالثمن ، مقتصرين على حقهم فقط ، لا يزيدونهم عليه شيئاً ، لاسيما إذا لاحظنا أنه عمل هذا العمل مع قوم كرهوه وحسدوه وشردوه ، وإن هذا الجود الذي جاد به يوسف على إخوته ، أقصى ما يمكن أن يجريه « وزير مالية أمين » مع من أراد أن يجاييه من المتارين . ويجعل بنا بهذه المناسبة أن نسوق للقرآن بعض الأمثلة التي وقعت من الأجواد فنقول :

١ - وقع قحط في عهد « أبي بكر الصديق » رضي الله عنه ، فقيل له : « إن الناس في شدة » - فقال : « إنكم لاتمسون حتى يفرج الله عنكم » ، فلما كان آخر النهار ، جاءت عير محملة « لثمان ابن عفان » رضي الله عنه ، من الشام ، فباع التجار وقالوا : « إن الناس في شدة قحط ، وقد قدم عليك مائة راحلة من البر ، فبعنا إياها » - قال : « كم تربحوني ؟ » - قالوا : « تجعل ربح العشرة درهين » - قال « زادوني أكثر من ذلك » - قالوا : « تربحك أربعة » - قال : « زادوني أكثر من ذلك » - قالوا : « نحن تجار المدينة ، فمن زادك ؟ » - قال « إن الله زادني بكل درهم عشرة » ، قال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشرُ أمثالها ﴾ ( ٦ : ١٦٠ ) ، أشهدكم إنها صدقة للمسلمين !!! .

٢ - في غزوة اليرموك ، عند الزيرب ، في خلافة عمر رضي الله عنه ، قصد بعض الصحابة ابن عم له جريح طريح بشربة ماء ، فلما وصل اليه ، سمع شخصاً جريحاً يشكو عطشاً ، فأشار اليه : أن اسقه ، فجاء فسمع آخر يشكو عطشاً ، فأشار اليه : أن اسقه ، فجاءه فوجده قدمات ، فرجع الى الثاني قرآه كذلك ثم أتى ابن عمه ، قرآه كذلك قدمات !!!

٣ — كان « لطلحة الخير ، رضي الله عنه مال ، أربعائة الف ، فتصدق به على المسلمين .

( ٤ ) — وردت قافلة بتجارة من الشام « لعبد الرحمن بن عوف » رضي الله عنه فحملها وقال : « من كان من أصحاب بدر ، لله علي أربعائة دينار » ، واتفق أن أعتق ثلاثين ألف رقة ، وأوصى بمقدية لأمهات المؤمنين بيعت بأربعائة الف .

( ٥ ) — أنفق « أبو بكر » رضي الله عنه ، أربعين ألف دينار ، كما رواه ابن عساکر في تاريخه ، وقيل : كانت ثروته أربعين ألف درهم ، أنفق منها خمسة وثلاثين ألفاً ، معونة لرسول الله ﷺ .

( ٦ ) — « زيدة » امرأة هرون الرشيد ، أنفقت في سبيل الله وفي الحج وفي بناء المساجد والفتاخر ما لم يتفقه أحد من قبلها ، فمن ذلك ما أنفقت في حفرها للعين المعروفة « بعين زيدة » بالحجاز ، فإنها حفرتها ومهدت الطريق لها في كل ربع وخفض ، حتى أجرتها من مسافة اثني عشر ميلاً ، فأحصي ما أنفقت فيها ، فوجد الف الف وسبعائة الف دينار . وفي كتب التاريخ عدا ما ذكرنا أمثلة كثيرة من أختيار أهل الجود .

( ولما جهزم بجهازم . قال التوفي . . الخ الآية )

— ١ —

وقام نوو الهدى الصيداوي (١) : لنا ههنا تتات لشرح هذه الآية :

معنى الجهاد

١ — قوله ﴿ ولما جهزم الخ الآية ﴾ ، لا بد له من مقدمة قولية تقديرها :

( ١ ) نسبة الى صيدا من بلاد الشام ( لبنان )

إنه كال لهم فأوفى ، وأنزلهم خير منزل ، وجيزهم بكل معدات السفر ، ولما جيزهم .. الخ ، وجهاز الميت والعروس والمسافر بالفتح على الأفتح ما يحتاجون اليه ، وقد جيزه تجهيزاً فتجيز ، والجمع أجهزة ، وتجهزت للأمر تهيأت له ، قال عمر بن عبد العزيز :

تجهزي بجهاز تبلغين به يا نفس قبل الردى ، لم تخلقي عبثاً

### اشارة رمزية من يوسف لايه يعقوب عليها السلام

٢ - قوله : ﴿ ائتوني بأخ لكم من أيكم ﴾ هذا النوع من التعبير يفيد أنه لم يسبق « لبنيامين » ذكر بين يوسف وبين إخوته مطلقاً ، وإلا لقال : « ائتوني بأخيكم من أيكم » ، كما أن جملة : « ائتوني بأخ لكم من أيكم » متى نقلت لأبيهم ، أوقعت في استغراب ، وأذهبت نفسه كل مذهب ممكن ، وجعلته يظن أنه لهذا الرجل المصري المحمول على خزائن أرض مصر مغزى في هذا الطلب ، وإلا فمن عرفه أن لهم أحاً من أبيهم ؟ وماهي علاقته به ؟ وألا يكفي انه عرف عشرة من أولاد يعقوب ؟ فهل من الضروري أن يتعرف للحادي عشر ؟ وماهي الأسباب التي تدفعه لهذا الطلب ، وماهي هذه الأهمية ياترى ؟ وماالمناسبة بين « عزيز مصر » وبين « بنيامين » ؟! ومافائدة العزيز من مجيء بنيامين ؟!

كل هذه الأسئلة لا بد أن ترد على ذهن يعقوب ، ولا بد أن يستنتج منها احتمال أن هذا الرجل صاحب هذا الطلب ، هو على الأقل يعرف يعقوب ، ويعرف أن له ولداً غير هؤلاء العشرة ، وأنه أخوهم من أبيهم . ويستنتج أن هذا الرجل صاحب هذا الطلب ، ذو علاقة خصوصية ببنيامين دون سواه ، وعليه فلا بد أن يعقوب يقول في نفسه حينئذ : « إن في الأمر لسراً » ، وبالنتيجة ، كأنني يعقوب عليه السلام قد قام عنده احتمال ان هذا المتكلم بهذا الكلام ، الطالب هذا الطلب ، إما أن يكون يوسف ، أو رجلاً يعرف يوسف وله به علاقة ، ولذلك سيأتي له



أن يقول لأولاده: ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾، فلكأنى به أنه ظن أن يوسف بمصر، وعلى هذا فما كان هذه الجملة، إلا بريقة شفرة من يوسف لأبيه، أو لغز لا يحله إلا يعقوب، أو إشارة رمزية، وكل ليبب بالإشارة يفهم،

هذا ما يجب أن تحمل عليه الآية الكريمة، وأما من حملها من المفسرين على غير ما ذكرناه فهو كمن يقول بأن الأتف مجعول لمضغ الطعام، والأذن للشم، والعين للسمع.

ويمكننا أن نقول أيضاً أن تجهيز يوسف أخوته بما يلزم لهم في سفرهم، وطلبه منهم الإتيان بأخ لهم من أبيهم، هو ليسمع يعقوب بما عمل ابنه يوسف وما قال، فيتحرك ذهنه، ويدرك أن في الأمر سرّاً، وإلا فما هو السبب الذي يدعو «عزب مصر» لتجهيزهم بلوازم سفرهم، وإيقائه لهم الكيل، أي زيادته، ولطلب بنيامين، ثم جعل بضاعتهم في رحالهم؟؟

حقاً إن هذه الأعمال والأقوال لتقتضي الدهشة، وتوجب التفكير والبحث الذهني العميق، وتستدعي التدبر في مرمى ذلك، وما هو المقصود منه؟ لا ريب أن يوسف زجى أن يفهم أبوه أن في الأمر سرّاً، فيتحرك ذهنه، ويشرع في التفكير والبحث عن ذلك السر، لعله يحوم حول ولده المفقود، فكأن يوسف بما عمل وماقال، اعتبر إخوته كآلة المسجلة التي تنقل الكلام من غير فهم لسره ومرماه، ولا ندحة من أنه قد اختلج في صدر أبيه شيء من هذا القبيل، فنحن نرى أن يعقوب عليه السلام حام حول ما أراد يوسف.

لقد كانت يعقوب سابقاً يتحقق أن ابنه حي يرزق، استناداً على ما رأى ولده يوسف من الرؤيا المحيية، إنما أين هو، فسؤال كان لا يعلم له جواباً، وأما الآن، فإنه فهم من هذه الرموز، أن ابنه يوسف بمصر، بدليل أنه قال لأولاده

عند زيارتهم مصر للمرة الثالثة : ﴿ يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ (آ: ٨٧) ولما لم يكن معنى للتحسس عن يوسف في مصر خاصة ، فما ذاك إلا لكون يعقوب ظن أن يوسف بمصر ، الأمر الذي هو سر تلك الاعمال ، وبهذا يمكننا الاعتذار عن يوسف في أخذه بنيامين واسترقاقه عنده ، حيث ربما يعترض معترض على يوسف بأن هذا العمل يسيء أباه ، فكيف أقدم عليه ؟ فيكون الجواب عن هذا الاعتراض أن يوسف قبلما يأخذ أخاه ، أفهم أباه بلطف بما عمل من تجهيزهم بمجازهم وإزالتهم خير منزل ، ووضع بضاعتهم في رحاطهم ، وما قال من قوله : « ائتوني بأخ لكم من أبيكم » - أفهمه بهذا العمل وهذا القول انه بمصر ، وكل ليبب بالاشارة يفهم ، هذا مايلوح لي ، تبعاً للأخ الاستاذ الحديدي حفظه الله ، والله تعالى أعلم .

### وجه قبول اخوة يوسف منة اخيهم

٣ - قوله ﴿ ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ﴾ ، إن قال قائل: كيف قبلوا منه هذه المنة وسكتوا عليها ، والشاعر التميمي يقول :  
 إن الذين يسوغ في أعناقهم زاد يمن عليهم للآم  
 قلنا : إنه لا تؤم في قبول الرعايا منة الأمراء والملوك ، كقبولها من نحو  
 الوالدين والمؤدبين .

وجواباً ثانياً - وهو أن من رضي لنفسه بقطيعة الرحم والكذب والعقوق ، والحق الضرر بأبيه وأخيه ، هو أقل من أن يربأ بنفسه عن قبول منة الناس ، كيف وهم رضوا لأنفسهم هذه المنزلة إذ قالوا : « وتصدق علينا » كما سيأتي :

### سلسلة كرم يوسف مع اخوته

٤ - يوسف هنا جهزهم بمجازهم ، وأوفى لهم الكيل ، وأنزلهم خير

منزل ، فهذا من رجل مشرد فعله مع مشردين ، مظهر من مظاهر الكرم ، واكبر منه قوله فيما يأتي : ﴿ واثتوني باهلك أجمين ﴾ (ع ٩٣) واكبر من هذا وهذا ، كرمه المتوي الذي غير عنه بقوله : ﴿ لانترب عليكم اليوم ، يتغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين ﴾ (ع ٩٢) . (مرحى)

### دواعي طلب يوسف لبنيامين

٥ - رأى يوسف اخوته العشرة ، فهاجت فيه ذكرى أخيه بنيامين ، وتنهت أشجانته وقامت نفسه لرؤيته ، وجهده الشوق اليه ، فلذلك ولأجل أن ينقذه من براثن إخوته النازرة في جسمه ، وغب اليهم أن يرجعوا به في السفارة الثانية ، من قبيل من رمى حجراً لكي يصيد به صيدين .

كما أنه نظراً لأن يوسف كان يتوسم من وراء بجي شقيقه نوراً يهتدي به استطلاع أحوال أبيه ، والاسرة يعقوبية بصورة مفصلة ، تكفل وقوفه على أحوال إخوته ، ماظهر منها وما بطن ، حتى يتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، ونظراً لأن بنيامين هو أخوه الشقيق الأصغر ، فكان بالأشواق الكلية اليه - نظراً لذلك كله ، حسن في عين يوسف ، أن يطلب منهم « بنيامين » فقال لهم : اسمحوا لي أن أقترح أمراً ، ربما لا يكون فيه صعوبة عليكم ، أمراً تتوخون به مسرتي ، وتتحرون به رضاي ، « ائتوني بأخ لكم من أيكم » الخ .

### مناسبة زيارة حبة يوسف لبنيامين

٦ - قوله : « ائتوني بأخ لكم من أيكم » : تعلمون أن يوسف عليه السلام كان يحب « بنيامين » حباً جماً ، ولماذا ياترى ؟ . لأنها نشأت في خيمة واحدة كما نشأت الزهرتان المتناقضتان في مغرس واحد ، فهو نام معه وليداً ، ولعب معه طملاً وتسار معه قتي ، وذاق معه حلاوة السمرة ، وذاق معه مرارة موت الأم

وشرب معه كأس كره الأخوة إياها ، زد على ذلك أت يوسف كان لا يعرف له وجوداً في قلب أخ من إخوته ، إلا في قلب بنيامين ، كما أن بنيامين كان كذلك ، لا يعرف له وجوداً في قلب أخ من إخوته ، سوى قلب يوسف ، فبنيامين شارك أخاه يوسف ، في كل هذه الأدوار والمعاني ، فهذا — مع كونها شقيقين — هو منشأ زيادة محبة يوسف لبنيامين ، تلك المحبة الفائقة .

شيئاً لو بكت الدماء عليها      عيتاي حتى تؤذنا بذهاب  
لم أبلغ المعشار على حقها      فقد الشباب ورؤية الأجاب

### لماذا لم يذكر يوسف أباه بشيء

٧ — لسائل أن يسأل قائلاً : يقول الشاعر جرير في إحدى قصائده التي يتحدث بها بعض الأمويين :

هذي الأرملة قد قضيت حاجتها : فمن حاجة هذا الأرملة الذكر ؟

ونحن نقول هنا لسيدنا يوسف عليه السلام : قد قضيت حاجة إخوتك بني الملأ بإيفائك لهم الكيل ، وإنزالك إليهم منزلاً حسناً ، بل وبجعلك بضاعتهم في رحالهم ، حتى صاروا آخذين القمح مجاناً ، وقضيت حاجة أخيك بنيامين بطلبك إياه للترفيه عنه ولرؤيتك إياه ، ولكن من حاجة ذاك الأرملة الذكر ، أعني والدك الشيخ الباكي الحزين ، فأننا لم نسمعك ذكرته بكلمة ؟ !

ولنا على هذا جوابان :

الجواب الأول — ان يوسف يعرف أن أخاه بنيامين لم يشر بشيء من الله في مستقبل أخيه يوسف ، فهو لا يعرف عنه من هذا القبيل شيئاً ، وإذاً فليس له فيه رجاء ، فعيشته إذاً هي عيشة نصب وشقاء ، فلذلك أراد يوسف سعادته باحضاره إليه ، وهذا بخلاف أبيه يعقوب عليه السلام ، فهو يعرف مستقبل ولده

١٠٠٨ ملوك يوسف مع اخوته على قاعدة المثل القائل اذا لم تغلب فاخلب آ (٥٩)

ويتأكد تلك البشارة الربانية عنه ، فعيشته إذاً ليست عيشة شقية ، باعتبار ماله من الأمل والرجاء ، وان الذين يعيشون بالأمل . ويحيون بالرجاء . لهم بميدون عن الشقاء والتصب .

الجواب الثاني — لا يحكى إلا من فم لأذن .

ملوك يوسف مع اخوته على قاعدة المثل القائل اذا لم تغلب فاخلب

٨ — بقولون في المثل : « إذا لم تغلب فاخلب » ، فيوسف عليه السلام لما لم يستحسن قهر اخوته على إتيانهم بينامين سلك مسلك المصايدة والزلفى ، تدرعاً منه لمحيثهم به في السفرة الثانية .

كيف يمن يوسف على اخوته بما جاد به عليهم

٩ — قوله : ﴿ ألا ترون أني أوفي الكيل ، وأنا خير المنزلين ﴾ ، خطب « معاوية ، خطبة ، أعجب بها كثيراً ، وفاخر ببلاغتها ، وحسن صياغتها ، فقال : « أيها الناس ، هل ترون في خطابتي من خلل ؟ » فأجابه رجل : « نعم خلل كخلل المنخل » — فقال معاوية : « وما يكون هذا الخلل ؟ » — فأجابه الرجل : « ذلك الخلل هو اعجابك بها ومدحك إياها ، » .

هذا شيء ، وشيء آخر أهم منه وهو قوله تعالى : ﴿ الذين يُنْفِقُونَ أموالهم في سبيل الله ، ثم لا يتَّبِعُونَ ما أنفقوا مناً ولا أذى ، لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ﴾ ؛ قوله معروف ومغفيرة ، خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنيٌ حلیمٌ ، يا أيها الذين آمنوا ، لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴿ الخ ( ٢ : ٢٦٢ - ٢٦٤ ) وفي حديث علي رضي الله عنه ، « آفة الساحة المن » ، وعلى ما ذكرنا فلو قال قائل : كيف يعجب يوسف بعمله ، وكيف يمن على نزلائه بما جادت به سرؤته عليهم ؟ فإننا نجيب بثلاثة أجوبة :

آ (٥٩) محاولة يوسف اغراء وتحذير اخوته لجلب بنيامين معهم ٦٠٠٩

الجواب الأول — إن يوسف عليه السلام إنما تكلم معهم ، لا باسم أنه يوسف ابن يعقوب ، ولكن باسم أنه « عزيز مصر » وعزيز مصر أجنبي عنهم في المذهب والجنسية ، فهذا القول هو على حساب « عزيز مصر » لا على حساب « يوسف » .  
الجواب الثاني — ان هذا من يوسف عليه السلام ، شروع في تشذيب نفوسهم العاتية ، وبدء في تخضيد شوكتهم الصلبة ، وقائده تمود عليهم بالتهذيب والخضوع .

الجواب الثالث — يوسف لم يقصد الاعجاب ولا المن ، ولكنه قصد بما قال ترغيبهم وتشويقهم للرجوع بأخيهم من أبيهم ، فهذا كل ما أراد من كلامه ، لا أقل ولا أكثر .

### محاولة يوسف اغراء وتحذير اخوته لجلب بنيامين معهم

١٠ — شوقهم يوسف بالآية الحاضرة « ألا ترون .. الخ » وهددم بالآية الآتية « فإن لم تأتوني به .. الخ » ( ع ٦٠ ) فسلك معهم بهذا القول وذاك القول ، مسلك من يكلم بيد ، ويأسو بأخرى ، وبعبارة ثانية — أحاط يوسف هذا الطلب الذي طلبه ، بالورود والراحين أولاً ، ثم بالقنابل واللدابات ثانياً ، وبعبارة قائمة — هذه الآية والتي بعدها ، يمثلان لنا بابي « الاغراء والتحذير » الذين يدكران في علم العربية ، ثم إن الغرض الذي أراده يوسف من ذلك ، يمثل لنا « باب الاختصاص » الذي يذكره النحاة أيضاً ، لأنه أراد بهذا العمل وهذا التدبير ، أن يستحوذ على « الاختصاص » بشقيقه بنيامين .

### محاولة يوسف رجوع اخوته ببنيامين عن طريق الترغيب والتعذيب

١١ — وبفهم من ظاهر قوله « ألا ترون .. الخ » مع الآيات الثلاث التي بعده ،

أن يوسف عليه السلام ، إنما حاول رجوعهم بينيامين عن طريق الترغيب والتجيب . والإغراء والتحذير ، فلم يهر في وجوههم ولم يتهمم بجاسوسية ، وقيل إنه حاول الحصول على ذلك عن طريق القوة والإرهاب ، والقهر والإزعاج ، حيث اتهمهم بالتجسس ، وحبسهم ثلاثة أيام ، ثم أطلقهم وارتمن عنده أخاهم شمعون وقيده لبينا يرجعون بينيامين ، كما حكاه أكثر المفسرين الذين لم يأتوا عليه بسطان ميين ، وليس له مصدر سوى سفر التكوين ( تك ٤٢ : ٩ - ٢٤ ) ، وهو يخالف ظاهر الايات الأربعة ( ع ٥٩ - ٦٢ ) ، فحشر ما ذكرته التوراة مع كلام الله تعالى هنا هو من قبيل حشر الأروى مع التعام ، أو الجمع بين الفواصات والطيارات .

نعم نعم ، إن يوسف إنما جاءهم من باب التشويق والترغيب ، وأرادهم على الإتيان بأخيهم من طريق الاقتناع ، دون طريقة القسر ، لأن طريقة الإقناع هي التي تولد الميل في الانسان ، ليجتهد في تحصيل مايراد منه ، وأما طريقة الإكراه والإجبار ، فلا تجعل إخوته يميلون لإقناع نفوسهم ، فلا يجتهدون لإقناع والدهم ، فلا يحصل الغرض المروم ، وأما قوله : « فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون » فهو غير مجبر لهم الإتيان بأخيهم ، إذ يمكنهم - بكل سهولة - أن يرسلوا عبيدهم وخدمهم بدلاً منهم ، ويوسف عليه السلام يعرف كل هذا الذي ذكرنا ، لأنه حكيم وذو مدارك عالية ، فلا يمكنه أن يزعمهم ، ولا تساعد الحكومة المصرية على حبس أو تقييد أخيهم شمعون ، لأنه منها كان مطلق اليد ، فلا بد أن يكون إطلاقاً نسبياً ، فلا ندحة من أن يكون مقيداً بنظومات الحكومة المصرية : وقوانينها ، ولهذا كان مسلكه مع إخوته مسلك حيلة وترغيب كما تعلمه من ( ع ٥٩ - ٦٢ ) ، هذا ما عثرنا الله عليه من الفهم في كتابه ، والله سبحانه اعلم .

### معنى الايقاء ووجه امتتان يوسف على اخوته

١٢٠ - أوفى الشيء كثره ، وأوفاه : كثره ، فالمادة في بعض المواضع

كما هنا ، تدل على الكثرة والزيادة ، كما يقال : أوفى على المائة : اذا زاد عليها ، ويقولون في المدح : « هو أشعر أهل زمانه ، والموفى على أقرانه » ، وفي سنن ابن ماجه : « جاء اعرابي الى النبي ﷺ يتقاضى ديناً له عليه ، نقضى الأعرابي وأطعمه ، أي أعطاه زائداً عن حقه طعمه له ، فقال : أوفيتي ، أوفى الله اليك » ، والكثرة في الكيل إنما تحقق بالزيادة على الحق ، بحيث يصير الكيل أعلى من حرف الصواع لاسيما وان هذه المادة أيضاً تدل على العلو ، فانه يقال : « أوفى عليه : أشرف » ، فالمعنى الذي أراده يوسف ههنا ، انه كال لهم وزاد عن استحقاقهم في الكيل ، بحيث جعل القمح يعلو طرف الصواع ، هذا ما يظهر لنا ههنا ، وبه يظهر وجه امتنان يوسف عليهم بذلك ، وإلا فالبايع لا يصح له أن يمتن على المشتري إذا كان اقتصر على إعطائه حقه فقط ، قلنا — والشيء بالشيء يذكر — وبهذا يظهر وجه اللذم في قوله تعالى : ﴿ وَيَلِيٌّ لِّلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ ( ٨٣ : ١ - ٣ ) ، فهذا الاستيفاء هو زيادة عن الحق ، في الكيل لأنفسهم ، ولذلك قابله بقوله : « وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسِرُونَ » ، فالاستيفاء والإخسار ضدان ، والوسط هو وصول الحب المكيل الى طرف الصواع من فوق ، من غير أن يزيد عنه أو ينقص ، وبهذا التحقيق أيضاً يظهر وجه قول إخوة يوسف ، في السفرة الثالثة : « يا أيها العزيزُ مستنا وأهلنا الضُّرُّ ، وجئنا ببضاعةٍ مُزجاةٍ ، فأوف لنا الكيل ، وتصدق علينا ، إن اللهَ يجزي المتصدقين » ( آ : ٨٨ ) ، قدموا له الرجاء أن يزيدهم وأن يكون بذلك متصداً عليهم ، وإلا لما كان وجه لقولهم : « فأوف لنا الكيل ، لأن حقهم سيصلهم قطعاً ، كما جربوا ذلك منه في السفرتين الأولىين ، هذا ما فتح الله به ، وفوق كل ذي علم عليم ، والحمد لله رب العالمين .



## يوسف يطلب بنيامين بالقهر

آ (٦٠) ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي ، وَلَا

تَقْرَبُونِ

افتتحت الجلسة وتليت الآية السنون ، فقام الشيخ الرشيدى (١) وقال :

سبق أن يوسف قال لإخوته بلهجة السرور والترغيب ﴿ألا ترون أنني أوفى الكيل وأنا خير المزلين﴾ ، والآت يقول لهم بلهجة النفور والإرهاب : ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ﴾ أي بينامين وتستقدموه معكم ، ( ف ) لا أخفي عليكم أنه ( لا كيل لكم عندي ) فضلاً عن إيفائه ( ولا تقربون ) بدخول بلادي ، فضلاً عن الإحسان في الإزالة ، فاقظروا الألف مصلحتكم ، فأتم من أهل الحجى والنهي أقول فولي هذا صدقاً وإعذاراً وإنذاراً ، والله يتولى هداي وهداكم .

فإن تدن مني تدن منك مودني وإن تنأ عني تلقني عنك فائياً

كلانا عني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانياً

لم يأل يوسف جهداً في تمهيد المقدمات ، وتذليل العقبات التي تقف في طريق حظوته بأخيه بينامين ، فاستعمل مرة اللين ، ومرة بعض الشدة ، رغمًا عن كونه لا يريد إزعاجهم بحرف واحد ، ولكن ضرورة الحال أخرجته فأحوجته لما قال :

بين لهم بما سبق من قوله وبهذا القول الحاضر أن إليه الرتق والفتق ويده البسط والقبض ، وأنه قد ير على النفع والضر ، متمكن من القبول والرد ، سياسة

(١) نسبة الى لادة رشيد من البلاد المصرية.

حكيمة ، وخطة معتدلة ، لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ، يُطعم ويؤيس ، يوحش ويؤنس ، رسم لهم الطريقين وهداهم النجدين ، ليختاروا لأنفسهم ما يملو ، وقول يوسف « فإن لم تأتوني به .. الخ » هو أول رصاصة رماها في أول هذه المعركة ، وقوله الآتي لفتياته : « اجعلوا بضاعتهم في رحالهم .. الخ » هو ثاني رصاصة ، وأما ( القنبلة ) فهي جعله السقاية في رحل بنيامين كما سيأتي في ( ع ٧٠ ) .

( فان لم تأتوني به .. الخ )

— ١ —

وقال الامام سعيد المنتفكي (١)

يوسف ينذر اخوته اذا لم يأتوه بنيامين

يقول يوسف عليه السلام : إن لم تأتوني بأخيكم فسوف أعرقل مساعيكم ، بأنه لا كيل لكم عندي حينما تنقلبون لمصر ثانية ، كما ولا تقربون بلادي ، ما كرت الجديدان ، وتماقب الملوان ، فإن لم تفعلوا ما أشير عليكم ، فدون بلوغ مناكم عندي شرح القناد ، فعلى إتيانكم ببنيامين بتوقف كيلى لكم ، بل دخولكم بلادي ، وإن حصواكم على المسيرة للمرة الثانية معقود بمجيء أخيكم معكم ، أفهمتم ؟ ... لا تنسوا شرطي ، فالشرط أملك ، عليك أم لك ، أتم خيرون بين شهد الحياة وصاب الموت ، مجيئكم بأخيكم هو أشبه بورقة الجواز التي يحملها المسافر ، فإن أبرزها حين وصوله للحدود دخل المملكة الأخرى ، وإلا .. فلا .. وهكذا أتم إن أتيتم بأخيكم سمح لكم بدخول بلادي ، وإلا .. أرجعتم على أعقابكم ، ونفوسكم الملوثة ، ها أنا ذا قد أنذرتكم ، قبل أن تقرعوا السن ، ومن أنذر فقد أعذر ، هذه وصاتي إليكم ، فإن عملتم بها ، حمدتم غيب رأيكم ، وخير الأعمال

(١) نسبة الى المنتفك وهو اسم احد الالوية العراقية الجنوبية.

أحمدها عاقبة ، وإلا فلا آمن عليكم ما أكره وتكرهون ، وبالجملة والاختصار ، إن أتيتموني به أدنيتكم ، وإلا ديتكم ، ولا يمكنني أن أكيل لكم ولا أراكم في بلادي .

هذا مرمى كلام يوسف عليه السلام مع إخوته العشرة . ومن هنا عول على أن يجمع قواته وينازل بها إخوته في موقعة فاصلة ، هي حرب ولكنها حرب تحت طي الخفاء ، حرب تدير وتفكير .

(والشيء بالشيء يذكر) أتذكر أنه كان دفع رجلان الى امرأة مائة دينار وديعة ، وقالوا لها : « لاتدفعيها الى واحد منا دون صاحبه » فلبثا ماشاء الله أن يلبثا ، ثم جاء أحدهما فقال : « ان صاحبي قد مات ، فادفي اليّ الدنانير » فأبت وقالت : « إنكما قلتما لاتدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه ، فلست بدافعتها اليك » ، فنقل عليها بأهلها وجيرانها حتى دفعتها اليه ، ثم لبث ماشاء الله أن تلبث ، فجاء الآخر فقال : « ادفي الي الدنانير » — فقالت : « إن صاحبك جاءني فزعم أنك قد ميت ، فدفعتها اليه » — فقال « إنه لعب عليك وذهب هارباً » فاختصمها الى القاضي ، فعرف أنها قد مكرأ بها ، فقال : « أليس قلتما : لاتدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه ؟ » — قال : « بلى » — قال : « إن مالكما موجود عندها ، فاذهب فجيء بصاحبك حسب شرطكما ، حتى تدفعه إليكما ، فإن الشرط أملك » ، وهكذا يوسف عليه السلام إذا رجع إخوته اليه بدون بينيامين وأرادوا الميرة يقول لهم : « قد اشترطت عليكم أن تأتوني بأخ لكم من أيكم ، ولم تفعلوا ، فليس لكم عندي ميرة حتى تأتوني به » .

(مرحى)

## وعد الاخوة باعضار بنيامين لمصر

آ (٦١) (قالوا: ... سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ، وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ )

افتتحت الجلسة وتليت الآية الاحدى والستون ، فقام الشيخ راشد البيساني (١) وقال :

( قالوا ) أي إخوة يوسف بلسان الوعد والمواقفة ، لبيك ، نحن أطوع لك من ظلك ، وبالله إننا لنبتهج جدا لا بتهاج عما نلناه من التفاتك ، — وأنت عزيز مصر — لسوقة غرباء مثلنا ، ونفتخر يا أصدنا من الحظوة في عينيك ، وعليه فنصدع بأمرك ، رغمًا عن انه لا قبل لنا بهذا المطلوب ، ولا يدان لنا بمصولة ، لأن أمر أخينا من أيينا ليس بيدنا ، بل ( سنراود عنه أباه ) ، وسوف لانألوا جهداً في إقناعه ( وإنا لفاعلون ) معه جهد الاستطاعة أن يرسله معنا ، متى رجعنا المرة الثانية .

( قالوا .. سنراود عنه أباه .. الخ )

— ١ —

وقال شمس الدين الدمياطي (٢) :

## وعد الاخوة باعضار بنيامين معهم لمصر عند موافقة ابيهم

حينما طلب يوسف من إخوته تلك الطلبة ، وهي ضرورة إتيانهم بأخ لهم من أبيهم عند مجيئهم لمصر للمرة الثانية ، وحينما أفهمهم نتيجة عدم إتيانهم به ، خاطبوه .

(١) نسبة الى بيسان من فلسطين.

(٢) نسبة الى بلدة دمياط من البلاد المصرية .

تقائلين له باعتباره انه عزيز مصر : أيها العزيز - لقد رغبت في أمر كؤود المطلب  
وعر الملتمس ، فإن أخانا هذا الذي ترغب في مجيئه ، أصغر أولاد أينا الشيخ  
وابن شيخوخته ، وقد اتخذه أكبر مُعزِّ له بعد أخ له مفقود ، فالإتيان به إن لم  
يكن متعذراً ، فهو متعسر ، فلو قلنا لك : لسنا هناك ، لأن الأمر ليس بيدنا ، بل  
بيد أبيه الشيخ كنا صادقين ، وإن قلنا لك : « إذا أردت أن تطاع ، فمر بما  
يستطاع » وإن هذا الأمر ليس الينا كنا معذورين ، ومع ذلك فقد أذنا لك  
وسمعنا وأطعنا .

تأكد أيها العزيز انه لقد مضى علينا مدة تنيف عن العشرين سنة ، ونحن  
في أمر أخينا من أينا هذا على « الحياء الدقيق » لانكف أباه شيئاً مما يتعلق به ،  
وذلك من جراء حادثة لشقيق له كان خرج معنا فهلك ، فلذلك من الصعب أن  
نكلم فيه أباه بشيء ، ولا نستطيع أن نعتصب منه اختياره أو نصادر حرية الشخصية  
ولكننا سنتلطف معه برقيق العبارة ، ورشيق الحيلة ، فلعله ينزل على رغبتنا ،  
رغماً عن أنه سيكون في هذه المرة صعب المراس جداً .

أيها العزيز - إن المراودة هي في ذاتها هينة ، أهون علينا من قطع الخيط ،  
ولكن الصعوبة والإشكال ، في قبول أبيه مشورتنا فإن نجحنا فذاك ، والافمذرة  
منا اليك سلفاً ، وماتلك الممذرة سوى كلمة واحدة هي « العجز » فانا لاندرى  
ماذا سيكون جواب أبيه ، أيرسله معنا أم لا ؟ فقد نُصَدِّقُ إن قلنا : لا ، وقد  
نُصَدِّقُ إن قلنا : نعم ، فنحن سنبدأ والتمام على الله .

وكأني بيوسف قد ثنى على كلامهم بقوله : ها أنذا انتظر رجعتكم ، وأتجز  
بوعدكم ، فلنفترق على هذا الاتفاق ، أودعتكم الله ، سافروا بسلام .

## يوسف يأمر بإعادة ثمن الميرة لآخوته لضمان مجيء بنيامين

آ (٦٢) ﴿ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ : اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ... ﴾ \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثانية والستون فقام العلامة التدمري<sup>(١)</sup> وقال :

أشفق يوسف أن لا ترجع إخوته ، فانتدب بعضاً من غلمانه الكيالين ، أحضرهم ( وقال لفتيانته ) هؤلاء ، وتهيأ أيها الغلمان أغفلوا هؤلاء القوم الكنمانيين ، و ( اجعلوا ) ضعوا ( بضاعتهم ) فضتهم ( في رحالهم ) عدالهم ، بحيث تخفونها عن عيونهم ، ( لعلهم يعرفونها ) يطلعون عليها ( إذا انقلبوا ) منصرفين ( إلى أهلهم ) في فلسطين متى فرغوا ظروفهم ، ( لعلهم يرجعون )  
الينا ثانية .

ففعل غلمانه ما أمرهم به ، إذ كانوا أطوع إليه من ظله ، وكأني بيوسف قد أخذ يردد في نفسه قول القائل : « ليس من رسول كالدرهم » :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على غيره يُستغن عنه ويذمم

ثم قال : لعلهم يرجعون الينا بينيامين لأنه حجر الزاوية ، وهو المقصود من هذه الأعمال ، ولعلنا بذلك نفتح باب الحركة وندير المعركة في فلسطين ، ونحن جالسون ههنا في « صوعن » فنخضد شوكتهم ، وينزلون شيئاً من شكيمتهم ونزقمهم لعلهم يرجعون — فلنهم بواسطة ذلك يحبوننا ويثنون علينا عند أبيهم فنصل إلى غرضنا :

والناس أكبر من أن يمدحوا رجلاً حتى يروا عنده آثار إحسان  
نعم لعلهم يرجعون — فسيكون لي ولهم شأن ، فإن هذا حادث له ما بعده ،  
وإن مع اليوم غداً ، فإن لم يرجعوا فعلى بضاعتهم السلام .  
ثم صار يوسف ينتظرهم بكل فروغ صبر ، ويردد في نفسه معنى قول الشاعر:

عسى الملك المحيب لمن دعاه      يساعدني ويعلم كيف شكري ؟  
فأجزى بالكرامة أهل ودي      وأجزى بالعداوة أهل وتري  
وهنا لا بد من التنبيه على المسائل التالية :

### سعي يوسف بمجيء بنيامين بالقول والفعل

١ — ترى من هذا أن أمر رجوع اخوة يوسف بينيامين قد أصبح شغله  
الشاغل ، حتى أنه لم يكتف بما فاه به أمامهم من الوعد والوعيد ، بل أتبعه بالعمل  
الجدى ، والفعل الفوري ، الذي يرجو أن يكون الدافع الوحيد لرجوعهم  
بينيامين ، والكفيل لنجاح مساعيه ، وإن هذه المنفعة المادية ، ستكون كجاذب  
مغناطيسي لهؤلاء القوم « أبناء العم المحترمين ! ! تقودهم الى الرجوع فوراً ، بلا  
أدنى تردد ، لا سيما في أيام كهذه ، فإن « أبناء العم » هم الأمة الوحيدة ، في محبة  
المنافع المادية ! ! كما هو معروف ومشاهد لهذا العهد ! !

### المراد من كلمة « الفتيان »

٢ — الفتيان هنا بحسب اصطلاح المصريين ، الخول والخدم والجند والتبعة  
والمستخدمون والكيالون .

### ماذا اراد يوسف برد بضاعة اخوته البرهم

٣ — أراد يوسف عليه السلام بهذا العمل أن يحمل إخوته — متى رجعوا الى

فلسطين وعرفوا ما فعل بيضاءتهم — على حسن الظن به ، وإنه قد بلغ من الكرم والسماحة والجود حداً لم يبال معه أن يعطيهم ما طلبوا من الميرة بلا عوض ولا ثمن فيوسف أتى ذلك العمل ليجريء إخوته على الرجوع وليعرفوا أنه محسن لا عدو وأنه يتوقع منه مالا يعلمون من الخير .

### كيف جاز ليوسف التصرف بأموال الخزينة المصرية

٤ — سألت سائل قائلاً : كيف جاز ليوسف عليه السلام أن يتصرف بأموال الخزينة المصرية مع أنه لم يكن سوى موظف يجب عليه أن يشتغل في مأموريته بأمانة ؟

فاجبته بقولي أولاً — لناظر بيت المال أن يصرف شيئاً من الخراج في سبيل المصالح العامة التي منها مساعدة الغرباء المحتاجين ، ولعل إخوة يوسف منهم .  
وثانياً — كانت المساعدات التي أداها يوسف لمصر ، والخدمات التي خدم بها أهلها ، بمثابة خميرة تثبت له وجه التصرف في أموال الخزينة بما شاء وكيف أراد ، فانه لو كان مستأجراً على ذلك لاستحق الشيء الكثير من واردات سني الخصب .

ثالثاً — يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ ، وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ (٩ : ١٦) وربما كان إخوة يوسف فقراء أو مساكين ، ولا ينافيه أنهم أتوا للميرة على دواب لهم ، لأنهم كانوا يحتاجون للدواب للركوب عليها في روحاتهم وجيئاتهم ، لأنهم من الرحل ساكني الخيام ، فهي لهم نظير آلة الجهاد للمجاهد ، وكتب العلم للعالم ، وآلة الصناعة للصانع ، ودواب السفر لمن يعيش بالمسكارة ، والضرب في الأرض ، وكالسفينه للملاح ، قال تعالى على لسان العبد الصالح :



﴿ أما السفينة ﴾ فكانت لمساكين يعمَلون في البحر ﴿ (١٨ : ٨٠) فهذه السفينة كانت ملكاً لهم ، وملكهم لها لم يخرجهم عن المسكنة ، لما عرفت من أن الآلات التي تقوم بها المعيشة مستنناة ، وربما يكون يوسف عليه السلام ، قد اعطاهم فضتهم وميرتهم لأنه اعتبرهم من « المؤلفعة قلوبهم » أعني بذلك تأليف قلوبهم للرجوع بأخيه بنيامين ، كما قال « لعلمهم يعرقونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلمهم يرجعون » هذا مذهب له واجتهاد منه ، لا يجوز لنا أن نعرض عليه فيه ، لاسيما وأن له شرعة ومنهاجاً غير شرعتنا ومنهاجنا ، والله أعلم . وههنا شيء دقيق ، وهو أنه يظهر من قرائن الاحوال أن يوسف عليه السلام كان متمتعاً بما يشبه الاستقلال الإداري ، فكان يتصرف فيما عهد به إليه تصرفاً مطلقاً ، زيادة عن بقية مأموري الدولة ، فكان يوسف متفوقاً على باقي وكلاء الملك ، لأنه كان هو « العزيز » ، القابض على ناصية المال ، وهو الوكيل الأعظم والصدر الأعلى .

وأما ما أجاب به فريق من المفسرين بما مرماه : ( أن يوسف عليه السلام موحد يشتغل في أموال قوم وثنين ، فيجوز له أن يأخذ منها ما وصلت إليه يده ) فهو جواب غير صحيح ، لأنه إنما يجوز أكل مال الحربي في داره فالمعقود الفاسدة التي لا تحمل في دار الاسلام ، كالربا والبيع الفاسد ، والحادثة التي ههنا لم تتوفر فيها هذه القيود ، أولاً - لأن « الريان » ليس حربياً ليوسف ، ثانياً - ليس من عقد فاسد جرى بين يوسف والريان ، ثالثاً - إن يوسف عليه السلام ، وكييل عن الملك الريان « والوكيل مؤتمن » لاسيما وقد وضع فيه الريان ثقته وقال له : ( إنك اليوم لدينا مكين أمين ) فيجب أن يكون الريان أميناً لدى يوسف كما كان يوسف أميناً لديه ، كما هو مقتضى الشهامة والمروءة ، فافهم ذلك ولا تكن من الغافلين ..

### معنى الرحال

هـ - كلمة « رحال » هنا هي التي سميت « متاعاً » في قوله تعالى ﴿ ولمافتحوا

متآعهم ﴿ (ع ١٥) و «أوعية» في قوله بعد ﴿ فبدأ بأوعيتهم ﴾ (ع ٧٦) فالجميع بمعنى لفظ «العدال» الذي عبرت به التوراة، ويقال أيضاً «غرارة» و «جوالق» و «كيس» جمعه أكياس، وهو ما عبرت به التوراة أيضاً في موضع آخر.

### مفسر يوسف مما قاله لاختوته ومما فعله معهم

٦ — قال يوسف ما قال (ع ٥٩ و ٦٠) وفعل ما فعل (ع ٦٢) لكي يستعين بإرادة إخوته على إرادة أبيه، لأنه يعلم أنه يصعب على أبيه السماح لأخيه «بنيامين» السفر لمصر، ويوسف عليه السلام كان باكرامه لهم، وجعله بضاعتهم في رحلتهم كصائد رآى طيوراً لا يريد اصطيادها، لأنه لا يهواها، ولكنه رمى لها الحب على أمل أنها بعدما تأكله تطير وترجع بطير يريد ذلك الصائد اصطياده، لأنه يهواه، وما قال رآيه فيما فعل، فإنهم لما وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، أكدوا على أبيهم بأخذ أخيه، فرضي بعدما كان قد امتنع، ورجعوا لمصر بذلك المصفور الجميل؛

إن العظيم عظيم في كل شيء، حتى في حيلته التي يجريها توصلاً لرامه، فيوسف أراد أن يحضر إليه أخوه بنيامين، فتذرع بكل ما يقدر عليه من الذرائع، فذكره وبشره، وأنذر، وحذر، ومؤخراً أرجع إليهم بضاعتهم، تشويقاً لهم في رجوعهم به إليه.

### لماذا لم يخبر يوسف اختوته بجلية الواقع في سفرهم الأولى

٧ — سألني سائل: لماذا لم يخبر يوسف عليه السلام اختوته بجلية الواقع ويرغب إليهم أن يذهبوا بقميصه في هذه السفرة الأولى، ليلقوه على وجه أبيه، تعجبياً لارتداده بصيراً؟ ولم آخر يوسف عليه السلام هذا التوضيح والبيان

للسفرة الثالثة بعد اللتيّ والتي ، وبعد ما بلغت الروح التراق ، وقيل من راق ؟ وغبا بلغت القلوب الحناجر ، وبلغ السيل الزبي ؟ وهل يجوز للطبيب أن يؤخر عن المريض علاجه النافع ، لمدة يعاني فيها المريض أشد المشقة ، خصوصاً وهو يعلم أن هذا العلاج طب ساعة ، وهو الترياق المفيد توأ ؟

فأجبتة بقولي : لعله خاف لو أخبر إخوته منذ الآن ، ولم تكن قد تشذبت أخلاقهم ، ولم تخضد شوكتهم بعد ، أن يعملوا مكيدة يكيدون له بها ، فيحقد به الخطر ، ويتزعزع مركزه بمصر ، خصوصاً وهو كان متهاً بتلك الجريرة السيئة ، فلذلك أخرج إظهار نفسه للسفرة الثالثة ، حتى تكون قد سكنت ثورتهم ، وهيض جناحهم ، وتشذبت أخلاقهم .

ثم قلت للسائل : وعندي جواب آخر ، وهو أن صاع قصاص . . . لم يتلى بعد ، لأن العشرين . . . في مقابلة العشرين . . . الأولى ، لم تكمل بعد ، فيوسف عليه السلام ، لما افكر أن يخبرهم بجلية الواقع ، ويكشف نفسه لهم ، ويريد أن . . . ، كان يسمع صوتاً من السماء يقول له : « لم يحن الوقت بعد يا يوسف » ، فيسكت ، ففي الحقيقة نحن نرى يوسف بعمله هذا مسخراً للقدر العدل ، وآلة تديرها يد القدرة السماوية ، حتى يبلغ الكتاب أجله .

هذا ما أطمئنه الله وفتح به علي ، فتدبره فلعلك أصغى ذهناً ، وأخلص قلباً ، وأنور معرفة ، ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ﴾ (٢ : ٣٢) .

### كنه البضاعة التي اشترى بها الاخوة ميرتهم

٨ — قوله « جعلوا بضاعتهم في رحالهم » ، اختلف المفسرون في كنه هذه البضاعة ، وسنسلط « الأشعة » على هذه البضاعة ، بحيث يستطيع القارئ أن

يكشف حقيقتها : يظهر من كلمة « بضاعة » أن الذي كان معهم هو من غير النقود المضروبة — ويدخل فيه الفضة غير المضروبة — لأن النقد المضروب لا يعبر عنه « ببضاعة » ، بل يعبر عنه بدينار أو بدرهم ، كما سبق في قوله : ﴿ وشروه بثمان بجس دراهم معدودة ﴾ والغالب على البلاد غير المتمدنية ، أن تكون المقايضة فيها بغير الدراهم المضروبة ، كبلاد فلسطين ، « وجاء بكم من البدو » ( ع ١٠٠ ) ، كما أن الغالب على البلاد المتمدنية أن تكون المعاوضة فيها بالدراهم أو الدنانير المضروبة ، كما في البلاد المصرية ، ولذلك اشترى يوسف في مصر بدراهم ، وأما إخوته ، فلكونهم من فلسطين غير المتمدنية ، فقد جاءوا لمصر يمترون ، لا بدراهم مضروبة ولكن بنوع من البضاعة ، ربما كان فضة غير مسكوكة أو نحوها مما قد يخفى وقد يظهر ، كما يشير إليه قول يوسف عليه السلام « لعلهم يعرفونها » ، فإن هذا التعبير ينم عن أن هذه البضاعة ليست من قبيل النعال والأدم ، كما ظنه أكثر المفسرين ، لأن هذا مما يعرف قطعاً ، فإذاً هذه البضاعة هي مما قد لا يعرف إذا وضع في الحال ، فلذلك قلنا إن هذه « البضاعة » كانت من قبيل الفضة غير المضروبة ، والله تعالى أعلم .

٩ — يجوز أن يكون قوله « لعلهم يرجعون » بدل اشتغال من قوله : « لعلهم يعرفونها » ، كما سبق لمولاي عبد الحفيظ التونسي في قول المنذوب « لعلني أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون » ( ع ٤٦ ) والله تعالى أعلم . (مرحى)

## الاخوة يطلبون بنيامين من ابيه

آ (٦٣) ﴿... فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ ، قَالُوا : يَا أَبَانَا ، مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ . . . فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا ، نَكْتَلُ ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثالثة والستون فقام الشيخ غانم الاربدي<sup>(١)</sup> وقال :

قام إخوة يوسف ، من مصر ، وركبوا رحلهم يطوون البيداء ، الى كنعان بلادهم ، ( فلما رجعوا آبيهم من وجه الغرب الى وجه الشرق ثم الى وجه الشمال ، أعني من « صوعن » عاصمة المملكة المصرية الهكسوسية ، الى « ميلون » قاولين ( الى أبيهم ) الشيخ الجليل وكان في انتظارهم على مثل الجمر ، فتحفز للملاقاةهم ، فترجلوا ومشوا اليه ، وسلموا عليه فباركهم وسر بقدمهم غير أنه تأملهم فرآهم على غير حالة سرور ، قال : مالكم ومالي أراكم مضطربين قلقين ؟ — ( قالوا ) وعليهم إمارات الحيرة والضيق : « ( ياأبانا ) لانكذب الله ، لقد رأينا في عزيز مصر رجلاً شهماً كريماً ، أنزلنا خير منزل ، وأوفى لنا الكيل ، وجهزنا خير جهاز ، فصرنا بفضلته مجهزين بالدقيق والسويق ، وبالسقاء والماء ، وبعلف الدواب ، وبكل مايلزم لنا في الاياب ، وما رأينا منه إلا كل مانح وتحب ، غير أنه قال لنا : ( ائتوني بأخ لكم من أبيكم ) فكما دهشنا من إكرامه لنا على غير معرفة ، فقد دهشنا بنوع خاص حينما كلفنا بذلك واشترط في امتيارنا من مصر للمرة الثانية

(١) نسبة الى اربد من بلاد الشام ( شرقي الاردن )

بجيتته معنا ، وتوعدنا إن لم نحضره معنا ، بعدم الكيل ، بل بعدم رؤية وجهه ، وأنذرنا بالمقاطعة التامة ، الأمر المدهش الغريب الذي لم نقف له على سبب ، ولذلك وبناء على إنذاره ، ربما رجعنا اليك في المرة الثانية وقد (منع منا الكيل) لأن هذا الرجل يقول ويفعل ، ذا إرادة سنية ، ونقوذ لا يعارض ، ولا نظن أن هذا الرجل يتزع عن مقائته (و) فنقدم اليك بهذا الرجاء الحار (أرسل معنا) في المرة الثانية (أخانا) المحبوب « بنيامين » حسب اقتراحه ، فإنك إن أرسلته (نكتل) من القمح كما في الاول ، وإن لم ترسله خشينا أن تلفظنا مصر ، وخشينا من هذا الرجل أن يصدق القول بالفعل ، فإنه ذو سطوة ومراس ، ولا ندحة لنا عما يدعوننا اليه من طاعته ، والإذعان لدولته ، وأنت في هذه المرة لا تخف على بنيامين ، وإنما عليه ساهرون (وإننا له لحافظون) من كل ما يضيئه ، من أن يستطار ، أو يغتال ، أو يفترس ، أو يتيه ، الى غير ذلك ، والوعد على الحرّ دين . هكذا نفضوا لأبيهم جملة ما وقع لهم بمصر وجملة ما في ذهنهم . ويمكننا أن نستنج من ذلك النتائج التالية :

### افهوة يوسف بين مطرقتين

١ - أصبح إخوة يوسف كآلة بين مطرقتين ، لا يدرون أيقومون بعهدهم « لعزير مصر » ويطلبون بنيامين من أبيه ، أم يسكتون عن طلب بنيامين لثلاث يتكدر والدهم من طلبه ولثلاث يتذكر يوسف فيتجدد همه عليه بعد أن كان خامداً؟.. ثم إنهم رجحوا الشق الأول، وهو طلب بنيامين أن يسافر معهم ، لأنهم لا يستغنون عن الرجوع لمصر ليمتاروا لأهلهم ، ولذلك قالوا : يا أبانا الخ .

### فكرة سفر بنيامين

٢ - من ههنا ابتدأت فكرة سفر بنيامين تتمشى خطوة خطوة الى أن استقر.

الامر على سفره فاسافر ، وهذا ينتهي بانتهاء ( ع ٦٨ ) والذي وضع أساس هذه الفكرة هو يوسف عليه السلام بما عمله وبما قاله لإخوته ( ع ٥٩ - ٦٢ )

### يعقوب يفكر فيما عمله « العزيز » مع اولاده

٣ - لا بد أن يعقوب عليه السلام ابتداء يفكر فيما عمل « عزيز مصر » مع اولاده من تجهيزهم بجهازهم ، ومن إيفائه لهم الكيل ، ومن إنزالهم خير منزل ، ثم صار يفكر في هذا الطلب على غير معرفة ، وبدون سابقة داعية اليه ولا مناسبة ، فأوغل في تفكره ، وقال في نفسه : « لأمر ماجد ع قصير أنفه » والمستقبل كشاف .

### الشك بخامر نفس يعقوب

آ ( ٦٤ ) « قَالَ : هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ؟ ! ؟ ! فَاَللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » .

تليت الآية الرابعة والستون فقام الشيخ الكرملی وقال :

سمع يعقوب كلام اولاده فخامره فيه الشك ، ووقعت في نفسه من ذلك الطلب رهبة ، فأطرق برهة ، ثم رفع رأسه و ( قال ) مستهزأً : مثلكم من يوثق بوعدده !!! ( هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه ) يوسف ( من قبل ) إذ كنتم منذ ٢٢ سنة قلم في يوسف ( وإنا له لحافظون ) كما تقولونه الآن في بنيامين ، ثم ختم بضامنكم ، فما يؤمنني اليوم من مثل ذلك ؟ . . . وبعبارة أخرى : لا آمنكم على بنيامين في الذهاب إلا كأمني إياكم على يوسف الذي ضمنتم لي حفظه ثم ضيعتموه ، وهكذا حالكم اليوم ، تضمنون لي حفظ بنيامين ثم تضيعونه ، والزامر يموت وأصابه تلعب ، وللعادة حكم لا يقوى المرء على مغالبتة ، « فإله يرضى عليكم

خيطوا بغير هذه المسئلة ، ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، ومن جرب  
المجرب حلت به الندامة ، وقد قيل : ويل أهون من ويلين ، وقالوا : ما وعظ  
امرءاً كتجاربه ، وقالوا : ومن نهشته الحية خاف من الرش ، حقاً إني أخاف أن  
تعيدوا الكرة ، أخاف أن يكون ذئب أخيه موجوداً بعد ، فتر سلوه له أيضاً  
ليأكله ، وما أسرع مجيئكم لي عندئذ على قميص بنيامين بدم كذب ، وأظنها تكون  
القاضية عليّ ، فبالله عليكم دعونا من هذه الوعود التي جربناها ، وخبرنا نوعها  
ودرجتها وعرفنا نصيها من الصحة ، وبالله عليكم دعونا من ترداد جملة ( وإنّا له  
لحافظون ) ، فإن هذه الجملة لا تزال ترن في أذني يوم نطقم بها يوم أخذكم يوسف ،  
وما رأيت من حفظكم شيئاً ، فإن كنت أريد إرساله معكم ( فإله خير حافظاً ) (وهو  
أرحم الراحمين) وكفى ، فأرجو أن لا يجمع عليّ مصيبتين ، ولكني لا أريد  
ذلك أبداً . هذا مرمى الجواب السلي الذي وجهه يعقوب لأولاده ، وما أتم هذا  
الجواب إلاّ وقد شرق بالدموع السخينة .

وجملة ( فإله خير حافظاً ) تميز كقولك هو خيرهم رجلاً ، ولله درّه فارساً .

( قال هل آمنكم عليه )

— ٢ —

وقال شيخنا الكركي (١) :

**جواب يعقوب لأولاده جواباً سلبياً مندداً بهم وبوعودهم**

سمع يعقوب اقتراح أولاده ، وقد تذكر حادثتهم مع يوسف التي تركت أثراً  
سيئاً في نفسه ، فتمعر وجهه واقشعر بدنه ، وخفق قلبه ، ونآى بجانبه ، ونظر

(١) سبة الى الكرك من بلاد الشام ( شرقي الاردن ) .



إليهم شزراً ، وابتدرهم بالدهشة والامتغراب ، وجوابهم جواباً سلبياً قائلاً :  
لا يكون ذلك ، ولن يكون ، هل تريدون مني أن آمنكم على بنيامين إلا مثل  
ما أمتكم على أخيه يوسف سابقاً وكانت النتيجة التي تعرفونها ، ألا يحق لي أن  
أحسب لإرساله معكم ألف حساب وحساب ، فما أنا ذا شيخ ، قد حنكتني التجارب ،  
وعر كني الدهر وعركته ، فعرفت أن ليس لعودكم قيمة ، ولا أراكم إلا جماعة  
متألبين عليّ لتفقدوني بنيامين ، كما أفقدتموني قبله يوسف ، أتم الآن تعدوني  
وتطمئنونني ، ولكن حقاً إن صوت أعمالكم سابقاً ، يصم أذني عن سماع أقوالكم  
وتصديق وعودكم ، ومن جرب المحرب حلت به الندامة ، يا أولادي كذبتكم  
نفوسكم ، إن تاريخكم الماضي محفوظ عندي ، لم أنسه ، ولا أريد أن أنساه ، بل  
ولا أقدر على تناسيه ، راجعوا جريدة أعمالكم وانظروا ماذا كنتم عملتم في  
يوسف ؟ ... فهل تريدون اليوم أن تضيفوا إلى تاريخ أعمالكم الماضية صفحة  
أخرى ، من صفحات الأعمال المحزنة ؟ .. أما أنا فذلك ما لا أريد أن يكون ،  
كفى ما كان حصل سابقاً ، يا أولادي ، إن الثقة لا تتولد في النفس لمجرد صدور  
الوعد ، لا سيما وإن التجربة الماضية التي جرت في حادثة يوسف ، لم تترك في نفسي  
أثراً من الثقة والاعتقاد ، لذلك ليس من الأمر الهين في هذه المرة قناعة نفسي  
بصدق وعدكم ، وطمأنة قلبي بإرسال بنيامين لمصر معكم ، أتم أخذتم يوسف  
قبلاً ، لرعى غنمنا ، وفي بلد قريب منا ، ضمن بلاد فلسطين ، التي أنا ساكن فيها ،  
فلم يرجع إليّ ، فكيف اليوم أرضى بأخذكم أخاه لمصر ، لمملكة أخرى ، بيننا  
وبينها مراحل ؟ .. تقولون لي ( وانا له لحافظون ) ؟ .. قسم ضائع لا قيمة له ، ووعد  
مكذوب ، فقد كنتم « وقعتكم المعاهدة » على حفظ أخيه ، وسجلتم الخسار على  
أنفسكم ان لم تسهروا على صيانته ، ولكنكم هتكم حرمة تلك المعاهدة ، ورجعتم  
عليها بالنقض ، فإذا هي لم تخرج عن حدود الكلام !! أوآه ! لشدة ما يتقبض

لمذلك صدري ، ويلتاع له فؤادي ، فما هذه الخطة العسراء التي تريدون أن تحملوني عليها؟ ..

تريدون أن تأخذوا بنيامين ؟

لا يتسنى لي أن أنعمكم عيناً بهذه الطلبة ؛

تقولون لي ( إننا له لحافظون ) ؟

ما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد رأيت جمجمة ، ولم أر طحناً ؛ بالله عليكم ،

عرفوني ، هل أكون هذه المرة أسعد حظاً ، وأرقى حالاً ، وأهنأ بالاً ، وأحمد

عاقبة ؟ دعونا بالله من هذا الاقتراح ، المزهق للأرواح ؛

هَيْهَاهُ هَيْهَاهُ ، دعونا من هذا الطلب الخطر ، فإن شراً واحداً أهون من

شرين ، حقاً إن وعدكم بحفظ بنيامين هو كوعدكم سابقاً بحفظ يوسف ، وعدان

خلابان يخرجان من مصدر واحد ، هو المكر ، ومن ينبوع واحد هو الختل ؛

هذا ما يظن أن يعقوب عليه السلام أجاب به أولاده جهراً ؛ ثم لكأني به

جعل يقول بينه وبين نفسه :

لئن أرسلته معهم لا يكونن رجل في فلسطين أعظم مني لوعة ، أنا كلما ذكرت

يوسف وجدت في وجه أخيه العزاء عنه ، فمن لي بالعزاء عنها إن فقدت وجهها

معاً ؟ .. بنيامين هو صورة يوسف الباقية عندي ، هو رسمه التذكارى ، هو

رائحة تلك الوردة الذابلة ، هو الممثل الوحيد لذلك الولد الفقيد ، هو البقية الباقية

من آثار « راحيل » ، هو المعزي عن أمه وأخيه ، فمن لي بجزء سواه إن فقدته؟ ..

قال هل آمنكم عليه

— ٣ —

وقال الشيخ الطفيلي (١) : لي ههنا ذيول :

موقف يعقوب مع ابنائه في طلبهم بنيامين

للذيل الأول — هذا الموقف الذي وقفه يعقوب ههنا مع أولاده موقف سلمي

(١) نسبة الى الطفيلة من بلاد الشام ( شرقي الاردن )

خلافاً للزخشرى ومن تبعه من المفسرين ، فهو بقي مقيماً على المخالفة ، مصرأ على الإباء ، غير واقف معهم موقف إيجابي ، إلا بعد ماذكروا عدة محسنات ، وبعد ما أتوه موثقاً ( ع ٦٥ و ٦٦ ) ، وأما قول يعقوب ( فآله خير حافظاً الخ ) فمعناه إن أردت أن أرسله معكم ، فلا أعتد على حفظكم له ، فآله خير حافظاً الخ ، ولكني لا أريد .

### عمر بنيامين عند ما طلبه اخوته من ابيهم

الذيل الثاني — ربما يتوهم بعض القارئ من قول إخوة يوسف ( وإنا له لحافظون ) وقول أبيهم ( هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم . . الخ ) ثم قولهم ( ونحفظ أخانا ) وقول أبيهم ( لن أرسله معكم حتى . . الخ ) — ربما يتوهم متوهم من مجموع هذه الأقوال المتبادلة أن بنيامين كان صغير السن ، بحيث يخاف عليه إذا سافر ، وليس هذا التوهم في محله ، والآيات الكريمة لا توهم شيئاً من ذلك ، كيف وقد كان عمر بنيامين حينما فارقه يوسف سبع سنين ، ثم مضى على يوسف بمصر ٢٣ سنة ، ثم افترق يوسف في طلبه عنده ، وعند ذلك دارت هذه المحاورات والمقاولات بين يعقوب وأبنائه .

نعلم من التاريخ أن بنيامين كان وقتما ذهب لمصر ابن نحو ثلاثين سنة ، كما في السنن القويم ، وقد ورد أنه كان له حينما دخل مصر خمسة بنين صلبية ، على رواية سفر المدد ( ٢٦ : ٣ — ٤٠ ) ، أو كان إذ ذاك عشرة بنين على رواية سفر التكوين ( تك ٤٠ ) ، وعليه فلم يكن « بنيامين » حين هبوطه لمصر صغيراً وبالتالي لم يكن خوف أبيه عليه لذلك ، وإنا أبوه كان يخاف عليه من مجموع إخوته العشرة أن يتواطأوا عليه ، كما سبق أنهم تواطأوا على أخيه ، فآلخوف عليه ليس من واحد أو اثنين مثلاً ، وليس من ذئب أو نحوه ، حتى يصح هذا التوهم ، ولكن الخوف من رجال عشرة يعدون « عصابة » ورهطاً ، قد عهد منهم سابقاً ،

ما يحمل على الخوف الآن ، وإن السبب الذي دفعهم للإيقاع بيوسف — وهو زيادة حب والده له أكثر من حبه لهم — متحقق في بنيامين ، كما كانوا قالوا منذ ٢٣ سنة : ( ليوسف وأخوه ، أحب الى أئتنا منا ) ، لاسيما وقد صاروا بمعلمهم السابق من أهل الضراوة والمادة تثبت بجرة ، ولكل امرء من دهره ماتعود ، ومما ريد يجرئهم ( بنوع خاص ) ان أبيهم لم يعاقبهم ، ولم يجازهم على إيقاعهم بيوسف شيئاً ما فلهدا أو جس منهم خيفة وأجابهم بذاك الجواب السلي .  
هذا ماتيسر لنا الآن تحقيقه ، قد ألقينا عفواً بين يديك فاحفظه والا فالسلام عليك .

### الفائدة من قص القرآن المقاولات بين يعقوب وأولاده

الذيل الثالث — قص الله علينا ما دارهنا من المقاولات بين يعقوب عليه السلام وأولاده ، لكي يكشف لنا بعض غرائز بني إسرائيل ، كيف لم يأتهم أبوهم على أخيه الأصغر ، حيث سبق أنهم خانوا الأمانة لما ذهبوا بأخيهم الصغير قاس أبوهم حادثة بنيامين التي ربا تقع على حادثة يوسف التي وقعت فعلا ، وقص الله علينا ذلك ، لنقيس نحن حاضر أحوال سلائلهم ( أبناء العم المكرمين !! ) ، على ماضيه ، ولنكون على حذر تام من يهود اليوم ، وإذا كان النبي ﷺ قال : « احترسوا من الناس بسوء الظن » كما رواه الطبراني في الأوسط وابن عدي والمسكري من حديث أنس ، فينبغي أن تكون اليهود من أول هؤلاء الناس ، خصوصاً الصهيونيين منهم ، عافانا الله تعالى من شرورهم .

## أولى الامور بالنجاح التكرار والالاحاح أو

اتخاذ أبناء يعقوب رد بضاعتهم اليهم حجة للالاحاح في طلب اخبرهم بنيامين

آ (٦٥) \* ... وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ . وَ جَدُوا بِضَاعَ عَتَمِ  
رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ، قَالُوا : يَا أَبَانَا ، مَا نَبْغِي ؟ ! هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ  
إِلَيْنَا ... وَ نَعِيرُ أَهْلَنَا ، وَ نَحْفَظُ أَخَانَا ، وَ نَزِدَادُ كَيْلِ  
بَعْرِ ، ذَلِكَ كَيْلُ يَسْرٍ

افتتحت الجلسة وتليت الآية الخامسة والستون فقام الشيخ العقبي<sup>(١)</sup> وقال:

كان يعقوب عليه السلام أجاب أولاده بجوابه السلبي السابق ، فاتخذوه تعنيفاً لهم ، ومن قبيل التكذيب لإخبارهم ، وعلموا أن أباهم لا يزال مقيماً على المخالفة ، مصرأً على الإباء ، فانتشر عليهم رأيهم ، ولما لم يعرفوا ماذا يجيبون ، وضاعت عليهم أرض فلسطين بما رحبت ، وما هي إلا غمضة وانتباهة ، ان قاموا لفتح جواتهم ( ولما فتحوا متاعهم ) عيالهم ( وجدوا بضاعتهم ) وهي الفضة غير المسكوكة ( ردت اليهم ) فما وقفوا على تلك البضاعة حتى فرحوا بها ، واعتنقوها باليمين والشمال ، لأنهم وجدوها تساعدهم على مطلوبهم ، وتصدق كلامهم ، فتقووا وتشجعوا في طلب أخيهم كرة أخرى ، وظنوا أنهم بهذا السبب يستطيعون أن يتسلطوا على أفكار أبيهم ويقنعوه ( قالوا ) بنعمة المحتج الظافر بما يبرهن صحة كلامه : ( يا أبانا ) المعظم لسنا اليوم كما تظن فينا ، لقد رأينا ما يصدق قولنا ، فنحن ( مانبي ) أي

(١) نسبة الى بلدة العقبة من بلاد الشام ( شرق الاردن )

لسنا نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان « العزيز » ولا نكذب فيما حكينا من إكرامه لنا ، فإننا نحمل شهادة الصدق فيما نخبر ، نحن قلنا لك الصدق فلا تستغشنا ، هاأن الغامض قد انكشف ، وأبدت الرغبة عن الصريح ( هذه بضاعتنا ردت إلينا ) كما ترى بعينك ، الأمر الذي لم تتحرك به خواطرننا ، ولا علق بأوهامنا ، وهذا مصداق ما قلنا : إننا رأينا في « عزيز مصر » شهياً هماماً جواداً رحب الصدر عالي الجنب ، والآآن برد تلك البضاعة إلينا ، يصير لنا دالة عظيمة على هذا الرجل ، فهذه فرصة يجب أن تفرص ، ونفحة من النفحات ينبغي أن تتعرض لها ، فلا يجوز لنا أن نضيع الفرصة عبثاً ، ونحن علينا الحركة ، وعلى الله البركة ، ولانظن الرجل ردها في عدالنا إلا قصداً ، بداعي الكرم والجود الذي طبع عليه ، فكأنه لم يبعنا الميرة بيعاً ، بل وهبنا إياها هبة ، أحسن الله إليه ، كما أحسن إلينا ، فلا ريب أن هذا العزيز فياض معطاء ، رحب الذراع ، واسع الفناء ، فنستظهر بها عند رجوعنا إليه ، ( غير أهلنا ) الذين هم في لولاء ولأواء ، وأزمة وبأساء ، أي نجلب لهم الميرة والطعام ، لأن امتيارنا بدون وجود بنيامين معنا ، سيكون أعقد من ذنب الضب ( ونحفظ أخانا ) بنيامين ، ومن آداه منا يكون دمه على رأسه ، نحفظه من كل يد تتقدم إليه ، ولو رقصت الرماح ، ورخصت الأرواح ، ولا تمسه يد صالحة أو أثيمة ، وأما حادثة يوسف « المرحوم » فهي « بيضة اللدبك » أي من الشواذ والنوادر ، فلا يقاس عليها غيرها ( ونزداد كيل بعير ) أي جمل لأن الرجل لا يعطى أكثر من حمل جمل للتقسيط ، فأرسال أخينا معنا أربح لنا وأجدى علينا ، ولسنا في غنية عن السعي في هذه الزيادة ، ولماذا يقعد أخونا عن السعي ، وقد أمر الله به ؟ وإن كل فم واحد يخلق في هذا العالم ، يخلق معه يدان اثنتان ، فان لم ينتج الإنسان بيديه الاثنتين ضعف ما يستهلكه فمه ، فعلى الأقل يجب أن ينتج مقدار ما يأكله ، لاسيما وأخونا ذو أهل وأولاد ( ذلك كيل يسير )

أي أن ما يكال لنا قليل لا يقوم بأودنا ، فتريد أن نضم اليه ما يكال لأختنا ، والتمرة الى التمرة تمر ، ومع ذلك فالأمر راجع اليك ، فأنت خبير ، فإذا وافقتنا شكرناك ، وإذا خالفتنا أطمناك وعذرناك ، هذا هو الرأي الحازم الذي نراه الآن ، فما قولك؟.. قالوا ذلك وهم يتضرعون الى الله أن يغير قلب أبيهم ، ويلهمه السماح لهم بطلبتهم ، وهكذا لم يزالوا يجادلون أباهم جدال طلب ، وهو يجادلهم جدال امتناع ، ولكنهم أظهروا من ضعفهم مع أبيهم قوة ، أثروا عليه بها ، وأولى الامور بالنجاح التكرار والالاحاح ، كما كانوا أثروا عليه حينما أرادوا أخذ يوسف منذ ٢٣ سنة ، لكن نيتهم في هذه المرة كانت صالحة ، وبالنتيجة وأخيراً : اجتهد إخوة بنيامين حتى أخرجوا أباهم وأعارهم أذناً صاعية ، واستنم لكلامهم ، وركن اليهم ، وغلب على أمره ، وسمح بإنفاذ بنيامين معهم ، لكن بشروط سلك فيها معهم سبيل الاحتياط .

( ولما فتحوا متاعهم . الخ )

— ١ —

وقال الأديب الزحلي (١) :

« ما » استفهامية في قوله ما نبغي

لاني أضم صوتي لصوت أخي الشيخ العقبّي وأصادق على كل ما قال ، إلا أني أخالفه في كون « ما » في قوله ( ما نبغي ) نافية ؛ بل أقول إنها استفهامية ، بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا الإحسان ؟ أي ماذا نطلب ونزوم ؟ وما هو الأمر الذي نحاوله وتتوخاه فوق ذلك؟... وإنما رجحنا أنها للاستفهام لقراءة ابن مسعود : ما نبغي ؟ بالتاء على مخاطبة يعقوب عليه السلام ، بمعنى أي شيء نطلب وتريد فوق هذا الجود والعطف .

(١) نسبة الى بلدة زحلة في لبنان .

وبعد ، فنندي عدا عما ذكرت عدة فوائد على هذه الآية الكريمة :

### اغراء الاخوة لأبيهم بأربعة أشياء

الفائدة الأولى — يريدون بقولهم لأبيهم : « هذه بضاعتنا .. الخ » ان هذه أمور أربعة استفدناها ونستفيدها بعودتنا الى مصر مع أخينا بنيامين وهي : رد العزيز بضاعتنا اليها في المرة السابقة وربما ردها في المرة اللاحقة والامتيار ثانية وحفظ أخينا إذا أخذناه ثم أخذ ميرة بعير باسمه ، وكلها ذات بال ، تهون عليك النزول على ما نرجوه منك ، ونعرضه عليك من إرسال أخينا معنا ، فأخبرنا بالنسي اجتمع عليه رأيك.

### نجاح حيلة يوسف في طلبه بنيامين

الفائدة الثانية — قولهم : « هذه بضاعتنا .. الخ » وبذلك تمت حيلة يوسف على إخوته ، بل وعلى أبيه ، فقد كان لهم فيما أتاه معهم من الجميل والمكرمة حجة بالغة على أبيهم حينما طلبوا منه أن يرسل معهم أخاهم في سبيل الميرة بعد تلك الكرة .

### معنى الميرة

الفائدة الثالثة يقال : مار يعير من الميرة ، وهي الطعام ، وفي معناه ماد عييد ومنه المائدة ، أي المطعم ، وكما يقال لها « ميرة » يقال لها « غيرة » كما في القاموس ..

### معنى البعير

الفائدة الرابعة — كما يطلق « البعير » على الجمل وهو المشهور ، يطلق أيضاً على الحمار ، وقد نقل ابن جرير عن مجاهد أن البعير هنا هو الحمار ، وسيأتي لها البحث تمة عند تفسير (آ ٧٠) .



## معنى المتاع

الفائدة الخامسة — « المتاع » الأوعية بما فيها الميرة والطعام ، ومطلق إناء يقال له « متاع » قال تعالى: ﴿ وما يوقدون عليه في النار ، ابتغاء حلية أو متاع ﴾ (١٣ : ١٩) ، والمتاع ما يتمتع به ، أي يتتفع به زمناً ممتداً في الجملة ، لأنه من « المتوع » وهو الامتداد ، يقال : متع النهار ، ومتع النبات ، إذا ارتفع وامتد « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » (٣ : ١٨٥) .

## قلب المؤمن ربه أو

استراط يعقوب على اولاده لرسال بنيامين معهم أن يعاهدوه على ارجاعه

آ (٦٦) ﴿ ... قال لن أرسله معكم حتى تؤثون موثقاً من الله لتأثني به ، إلا أن يحاط بكم ... ، فلما آتوه موثقهم ، قال : الله على ما نقول وكيل . ﴾

افتتحت الجملة وتليت الآية السادسة والستون فقام جمال بك العكاري (١)

وقال :

أيها السادة تلك المقابلة التي دارت بين يعقوب عليه السلام وأولاده العشرة ، بين جزر ومد ، ورعبة ورهبة ، وطلب وإباء ، وأخيراً : كأني بيعقوب قال لهم : « لا تطلبوا مني بنيامين ، فما أنا بشقي مارأيت ولدي بجاني ، وما أتم بأشقياء ماقتنتم بما يحمله كل واحد منكم من « الغيرة » ، لا يزيد زيادة على ما تتارون بحسب عددكم »

( ١ ) نسبة الى عكار من بلاد الشام ( لبنان )

— سمعوا منه ذلك ، وكأني بهم قالوا : « لم نسألك إرسال أخينا معنا ، إلا ونحن نتوقع أن نسمع منك عين هذا الجواب السليبي ، ولكننا لانرى ندحة عن ارسال بنيامين إذا كان لك ولنا فكر في الرجوع ،

وبما ذكر من المقاولات والمحاورات قدروا على أن يقنعوا والدهم بلزوم أو باستحسان إرسال بنيامين معهم ، ولا ريب أن الإقناع يولد الميل في نفس السامع ، ولهذا تطور فكر أبيهم تطوراً جديداً ، وافكر بإرساله بشرط ؛

نعم نعم ، إن يعقوب عليه السلام رأى المناقشة حامية ، ودرجة حرارة الجدل مرتفعة ، فمشى مع ذلك محتفظاً باشتراطه عليهم أن يحلفوا له ويأهدوه بارجاعه له سالماً ففعلوا .

هذا ما ذكره دخولاً على قوله تعالى ( قال ) لهم أبوهم : قد أوليتكم ما قولتكم ، لكنني أنا اليوم قد صرت ممن يطلبون إيضاح الخطة قبل الدخول في المعركة ، فقد كنت تساهلت نوعاً عند إرسال يوسف معكم ، مند ٢٣ سنة ، والآن لا أريد أن أعيد كرة هذا التساهل ، ولذلك ولكوني أرى الخطر يتهددني ( لن أرسله معكم ) ولا فواقاً ( حتى ) تضعوا أيديكم في يدي ( تؤتون موثقاً ) أي تعطوني ميثاقاً<sup>(١)</sup> أتوثق به ( من ) جهة ( الله ) عز وجل ، وهو الحلف به بأن تتحملوا مسؤوليته : لتَحْمُنَّهُ ولتَدْفَعُنَّ عنه و ( لتأتني به ) فإن رجعتم بأخيكم سالماً ، كنت راضياً عنكم ، وإن كانت الأخرى - لاسمح الله - سخطت عليكم ، وقوله « لتأتني » جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتني به ، أي لا تمتنعون عن الإتيان به في حال من الأحوال العارضة ولعله من الملل - ( إلا ) لعله واحدة ، وهي ( أن يحاط بكم ) أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به ، أو إلا أن تهلكوا ، فهل تفوا لي هذه المرة يا تقولون ، ولي عليكم بذلك العهد والميثاق ، ماذا

( ١ ) اصل الميثاق في اللغة عقد يتأكد بيمين .

ترون؟ — فقالوا له : تأمر وتطاع ، حسناً ، ليكن كما تريد ، فلك علينا العهد والميثاق أن نَفِيَّ لكَ ، وأن نرد اليك ابنك ، فوالذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لناأيتك به ، إلا أن يمنعنا قدر واقع ، ماله من دافع ، وإنا نموت بموته ونحيا بحياته ، لك ذمة الألوه يَهُوَهْ ، وذمة أبراهام وإسحاق وذمتنا على ما أحببت ، نحلف بآءِهْ ، لا يعترض أحد بيننا وبين احتفاظنا بأخينا بنيامين ، إلا أهرقنا دمه ، ومشينا على جثته ، ما كان لنا به قوة ، ولن يصل إليه أحد ، إلا بعد ان نكون جثناً باردة هامة بين يديه ، ولسوف نرجع به اليك ، وهو على أحسن ما يكون من العافية ، اللهم إلا إذا قاومنا ما يجعل قوتنا ضعفاً وقدرتنا عجزاً ، فمعدرة عندئذ منا الى الله واليك .

وهكذا أقسموا لأبيهم بالله جهد أيمانهم ، وحلفوا له بكل مُحَرَّجَةٍ (١) من الايمان أن يرجعوه له ، وأن يحتفظوا به كما يحتفظون بأنفسهم ، ويذبوا عنه كما يذبون عن حياتهم ، وأعدوا لذلك الموثق 'عدته من شجاعة النفس ، وقوة العزيمة والإخلاص القلبي ، وهكذا أرهقهم أبوم صعوذاً بما حملهم من الشرط الثقيل ، والميثاق الشديد ( فلما أتوه موثقهم ) ، وآنس منهم صدقاً لم يعهده قبل منهم ( قال الله ) وأشار بأصبعه ونظره الى السماء ( على ما نقول ) من طلبي الموثق منكم ، واعطائكم لي هذا الذي طلبت ( وكيل ) مطلع رقيب ، لا تخفى عليه منه خافية فهو المعاقب لمن خاس في عهده ، وفجر في الحلف به ، أو موكول اليه القيام بما شهد عليه منا ، فيسجل التاريخ عليكم ذلك ، وتحفظه عليكم الملائكة ، وستكون هذه المعاهدة والمواثقة تحت مراقبة الإله الحق ، سبحانه وتعالى .

وبهذا الذي حصل ، حصل السماح من يعقوب عليه السلام بسفر ولده بنيامين ،

(١) الايمان المحرجة : التي تصيق مجال الحلف وهي بتشديد الراء من حرج وبدون تشديد

فكان هذا « الموثق » هو « جواز سفرهم » لمصر بأخيهم بنيامين والله تعالى أعلم

( قال : لن ارسله معكم . . الخ )

— ٢ —

وقال السيد احمد الصقدي<sup>(١)</sup> : يمكننا ايها المستمعون الكرام ان نعلق على هذه الآية بالتعليقات الآتية :

### الاحتياط والتحفظ لزمانه بجانب المقدر

١- كان يعقوب عليه السلام ، استرسل استرسالاً في شأن يوسف وإنفاذه معهم سابقاً ، وسمح بذهابه للمرعى دون شرط ولا قيد ، فرآى من سوء الغيبة ، فهاهنا لما شعر بذلك التساهل احتاط في أمر بنيامين ، ومع ذلك ما أغنى عنه ذلك شيئاً فتعلم من هذا أن المقدر كائن لا محالة ، كما نتعلم أنه على كل حال ينبغي لنا الاحتياط والتحفظ ، أخذاً بأسباب السلامة ما أمكن .

### وجوه سماح يعقوب بإنفاذ بنيامين مع اخوته

٢- سماح يعقوب بإنفاذ بنيامين معهم وقد شاهد ما شاهد ، وجرب ما جرب لوجوه : أولها استيشاقه باليمين المخرجة التي حلفوها له ، وعلى الأخص لما شخص بيصره نحوهم وجعل ينظر الى سحنهم ويتأمل في أقوالهم ويتفرس في حركاتهم . وسكناتهم ، فرآى الاخلاص ظاهراً متجلياً في كل كلمة من كلامهم ، ورآهم يومئذ للصدق أقرب ، فجنح لمواقفتهم إنما بتعديل .

ثانيها إنهم كانوا تقدموا في السن ، وذهب عنهم نزع الشباب ، ثالثها أنه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد والعداء مثل ما كان بينهم وبين يوسف .

(١) نسبة الى صفد من بلاد الشام ( فلسطين )

رابعها ضرورة القحط أحوجته وسهلت عليه ذلك .

### الحالف بالله حالف على حساب الله

(٣) — قوله : ﴿ موثقاً من الله ﴾ جملة منه تعالى لأن من حلف بالله ، كان كأنه قد كفى الله على نفسه ، كما قال جل من قائل : ﴿ ولا تنقضوا الإيمان بمدّ توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾ ( ١٦ : ٩١ ) « ولما كان الكفيل كالأصيل ، صار المتعهد كأنه هو الله ، فالحالف بالله فهو حالف على حساب الله ، ومتعهد باسم الله ، فكان الحالف يقول : « إني أتعهد ليس باسمي ، بل باسم إلهي » وعلى الأقل كأنه يقول : « إني أتعهد وأجعل الله كفيلاً لي على هذا التمسك » ، والدليل على ذلك أنني أتقدم وأحلف باسمه تعالى ، « هذا هو وجه قول يعقوب عليه السلام ، إن الموثق الذي تترابط عليه الناس هو عند الحالف باسم الله — من الله ، هذا ما ألهمنيه المولى الكريم ، فتح الله على من تلقاه بقلب سليم .

### صى يعقوب بما سيبري ودوره قبل أوامه

(٤) يقول يعقوب عليه السلام «إلا أن يحاط بكم» ، فسبحان الملهم ، وجل المنطق ، كان يعقوب يرى ويحدثه قلبه بشيء سيلاقونه ، ويحيق بهم ، ولكنه بجمل عنده لم يتعين في نظره ، وكان يتخوف منه كثيراً ، وكأني به أنه كان يتخيل كرباً شديداً يحيق بأولاده ، وربما يكون ذلك جيشاً يحيط بهم في سفرتهم هذه ، يرون منه يوماً عصيباً ومن الغريب أن هذا الخيال ، قد فسره الحادث الذي وقع ، فقد أحاط بهم عزيز مصر وفتيانه الذين عملوا عليهم الحيلة ، وأرهقوهم بها ، وبواسطتها كان إمساك بنيامين بمصر ، وقلما نرى حادثاً مهماً لم تتقدمه الهواجس .

### وهو - التعلم من دروس الماضي

(٥) — للماضي دروس تعلم الإنسان اموراً لم يكن في البال أن يتمسك بها ،

هو بهذه الدروس يدرس مافي جمعة الدهر من خفايا وأسرار ، فيحرص على اجتناب كل مضر منها ، وتقديم كل نافع مفيد ، وترانا لانذهب بعيداً للاستدلال على صحة ما نقول ، فهذا صفي الله إسرائيل (١) هو اليوم غيره ، قبل ٢٢ سنة . ومن ينكر أن هذا الصفي الكريم كان قبل ٢٢ سنة ، قد استرسل مع أولاده ، لحسن ظنه فيهم ، حتى جاؤوه وأثروا عليه ذلك التأثير المغناطيسي ، وسحبوا ولده المحبوب — يوسف — من حضنه ، وأسلموه لحضن الجب ؟ ... لا يستطيع أحد أن ينكر هذه الحقيقة أبداً ، كان أبوهم أمس هكذا ، ولكنه اليوم يخافهم ، كما يخاف الثعالب والثعالي ، فهو بين أمس واليوم قد تغير فكره في أولاده ، وشرع يسلك معهم سبيل الحيلة ، فلذلك لم يرد أن يلي طلبتهم ، بأخذهم بنيامين لمصر ، إلا بعد اللتيا والتي ، وبعد استيثاقه منهم بالايمان المخرجة ، فهكذا ينبغي لنا نحن أن نكون مع الناس المشتبه فيهم ، لاسيما سلائل هؤلاء الآباء ، أعني يهود اليوم . « أبناء العم المحترمين » !! ...

### معنى الاحاطة باللشيء

(٦) — قوله ﴿ إلا أن يحاط بكم .. ﴾ يحتمل أن معناه إلا أن يحاط بكم من من أولي الصهيل والصيليل ، وتلتف حولكم أهل السلاح والكراع ، وتلتقي حلقتنا البطان ، فتغلبكم أعداؤكم ، ولا تقدرتون على الدفاع عنه ، فيصادر منكم مصادرة . فلا تقدرتون على الإتيان به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ (٢٩:١٨) وقوله تعالى : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ (٣١:٤٨) ، ويحتمل أن معنى « إلا أن يحاط بكم .. » إلا أن تهلكوا في سبيل الدفاع عنه ، وتنشب بكم أظفار المدو ، وتعلق بكم مخالبه ، وتقتلون في

(١) كناية عن سيدنا يعقوب عليه السلام .

الذب عن حياته ، وترتطموا في مهاوي المتالف ، كما في قوله تعالى : ﴿ وجاءهم الموج من كل مكان ، وظننوا أنهم أحيط بهم ﴾ (٢٢:١٠) أي أهلكوا ، جعل إحاطة العدو بالحى مثلاً في الهلاك ، وكذا قوله تعالى : ﴿ وأحيط بشمره فاصبح يُقلب كفيته على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ﴾ (٤٣:١٨) فالإحاطة هنا عبارة عن الإهلاك ، وقوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ (٦٠:١٧) أي أهلكهم وهم المشركون من قريش في غزوة بدر ، كان أخبره بذلك سلفاً قبل وقوعه ، وقوله تعالى : ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٨١:٢) أي أهلكته .

### وعد رأويين ويهوذا لأبيهما باعادة بنيامين اليه

(٧) — ورد في سفر التكوين ، أن « رأويين » كلم أباه وقال له : « اقتل ابني إن لم أجيء به اليك ، سلمه ليدي وأنا أرده ليديك » ( تك ٤٢:٣٧ ) ولم يكن « رأويين » يعتقد أن يعقوب يقتل حفيديه حاشا ، بل قال ذلك توكيداً له انه لا يكون على بنيامين أدنى خطر ، وأن « يهوذا » قال لأبيه « أرسل الغلام معي لنقوم ونذهب ونحميا ولاغوت نحن وأنت وأولادنا جميعاً ، أنا أضمنه ، من يدي تطلبه ، أنا إن لم أجيء به اليك وأوقفه قدامك أصر مذنباً اليك كل الأيام ، ( تك ٤٣:٩٨ ) .

## نصح يعقوب لاولاده عند دخولهم مصر في المرة الثانية

آ (٦٧) \* ... وقال : يَا بَنِيَّ ، لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابٍ وَاحِدٍ ،  
وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ . وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ  
شَيْءٍ ، إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُتَوَكِّلُونَ \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية السابعة والستون فقام الشيخ اسماعيل

الصيداوي (١) وقال :

أعد أبناء يعقوب بما فيهم بنيامين معدات السفر وتجهزوا المرحيل فأخذ  
أبوهم في نصحهم ( وقال ) لهم بلهجة المشفق : ( يَا بَنِيَّ ) الأحد عشر ، لا تنسوا أن  
« العين حق » واني أخاف عليكم عين الحاسد ، إذا عمل بمقتضى حسده ، وعين  
الظالم ، متى جرى على طبيعة ظلمه ، وعين السارق والمفسد والواشي ، ولا تغفلوا عن  
« ان العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القدر » ، ولا أظنكم نسيتم ماجرى لكم  
عند دخولكم مصر في سفرتكم الأولى ، من لفت نظر الناس ورجال العزيز عليكم  
لدخولكم مجتمعين ، لذا حينما تصلون في هذه السفارة الى مصر أوصيكم أن ( لا تدخلوا )  
كوكبة واحدة ( من باب واحد ) من أبوابها الأربع ، لئلا تكونوا موضع التفات  
الناس ، كما كنتم في السفارة الأولى ، مظنة لطموح الأبصار اليكم من بين الوفود  
( و ) لكن ( ادخلوا ) « الفَرَمَا » التي هي أول حصن في طريقكم لمصر ( من أبواب )  
« كانت لها أربعة أو أكثر » ( متفرقة ) ومتباعدة عن بعضها البعض ، وذلك

(١) سبة الى صيدا من البلاد الشامية ( لبنان )



احوط لكم ، تحاشياً من ضرر شرطة مصر ، وتفادياً من اعين كل اهل السوء (و) مع ذلك ، فانا (ما) لست (اغني) ادفع (عنكم من) امر (الله) تعالى (من شيء) .. حاشا .. فإنه تعالى يجري الأمور بنظام ، تأتي فيه المسببات على قدر الأسباب ، (إن) ليس (الحكم) والقضاء الفعلي (إلا لله) الذي بيده المستقبل (عليه توكلت) بعد مراعاتي سننه (وعليه فليتوكل المتوكلون) وليس احد في سعة عن الاتكال عليه ، وخاصة اتم فإنكم غرباء ، والغريب اعمى ، ولو كان بصيراً .

ملحوظة — لا بد انكم ايها السادة تنبهتم لتفسير الآثار الواردة في « العنين » وضررها ، الذي حشوته في كلامي حشو اللوز في الفالوج ، وقريب من هذا تأويل فريق من العلماء لقول : « إن يكن الشؤم في ثلاث : في المرأة والدار والفرس » وبعضهم يزيد : « والخادم » فقد اولوا ذلك بأن شؤم المرأة سلاطة لسانها وتعرضها للريب ونشوزها وعقمها وتبرجها ، وشؤم الدار ضيقها وعدم جريان الهواء فيها ، ورطوبتها ، وشؤم الفرس حرانها وغلاء ثمنها ، وشؤم الخادم سوء خلقه وخيافته وكسله وقلة تعهده لافوض اليه وجهه بما يشتره وجهه بتدبير المنزل .

( وقال : يا بني لاتدخلوا .. الخ )

— ٢ —

وقالت الشيخة فاطمة الصيداوية :

استعدادا ببناء يعقوب الاعد عشر للسفر ونصح ابيهم لهم

لما سمح يعقوب عليه السلام بإنفاذ بنيامين مع إخوته الى مصر فرحوا فرحاً شديداً واخذوا يعدون المدة للسفر وقبل الرحيل بقليل قصدوا خيمة ابيهم

لوداعه ، فلما مثلوا بين يديه وقف بينهم مرشداً وناصحاً إذ قال لهم يا بني إن الوصية لو تركت لفضل ادب ، تركت لذلك منكم ، ولكنها تذكرة للعافل ومعوثة للعاقل وعليه فأوصيكم متى تجاوزتم « العريش » ووصلتم « القرّما » قرب « قطية » وهي اول حصن لمصر في طريقكم فإياكم ان تدخلوا اليها من باب واحد من ابوابها ، ولا تضعوا امركم في موضع الغرر ، ولا تخاطروا بأنفسكم ، فإني لا آمن من ان تلتفت اليكم رجال الدولة المصرية ، كالشرطة والعيون الراصدة والعسس ، وإني اخاف عليكم من العين ، عين الشرطي وعين « الجاسوس » وعين الحسدة والمكررة ، فيكون في ذلك ما اكره وتكرهون ، لاسيما انكم ذوو بهاء وشارة حسنة ، وانكم من اهل فلسطين اعداء مصر والمصريين ، ولذا تلافياً لكل محذور ادخلوا من ابواب لها متفرقة لتعدد متوجهاتكم ولتتفرق مداخلكم لأنكم إذا تفرقتم كنتم مغمورين مجهولين بين الناس ، فلا تلتفت الأفكار نحوكم ، فليس التجمع مفيداً في كل شيء ، بل قد يكون مضرّاً في بعض الحالات ، فحفظوا عورتكم واحترسوا من غفلتكم ، ولا تلقوا بأيديكم الى ماعسى ان يكون فيه تهلكة . هذا هو الرأي الصليب الذي اراه الان ، وعلى كل حال فليس باستطاعتي ان ادفع عنكم مما قدر الله عليكم من شيء ، إذ لو اراد الله بكم سوءاً لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق ، بل هو مصيبيكم لا محالة ، بالرغم عن السدود التي اقمتها في سبيل ما اخشى ان يصيب اخاكم ويصيبكم ، لأنني لا اعلم شيئاً من الغير التي ستكون ، ولا اعلم ما يأتي به الغد في طياته من الحوادث ، لست ادري ولا المنجم يدري :

قال الشاعر :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما لله فاعل

وقال آخر :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

هذا هو « القَدَر » الذي لا يحصى عنه ، فهل أنا أقدر أن أمنه عنكم بوصاتي إليكم ؟ أستغفر الله فما أنا أنتظر ما سيحيي به الغد ، واني عالم بأنه إذا كان الداء من السماء بطل الدواء ، كما أعلم أن يد الله فوق كل الأيدي ، وأنه المسيطر الوحيد الفعال لما يريد ، ولكن اليقين بالقدر لا يمنع الحازم من توفى المهالك ، وليس على أحد النظر في القدر المغيب ، ولكن عليه العمل بالحزم ، ونحن نجمع تصديقاً بالقدر وأخذاً بالحزم ، وأخيراً فليس الحكم والقضاء الفعلي على سبيل الحقيقة إلا لله غصباً عن الفلك ، فاذا أسند الحكم والقضاء لغيره فهو على سبيل الصورة والإضافة المؤقتة ( انظر تفسير ع ٤٠ ) نعم نعم ، ليس الحكم إلا لله وحده ، رغماً عن معاطسنا ، فهو الإله الذي تتبخر أمامه أحكام جميع الخلق فتصبح دخاناً منشوراً ، ومع كل هذا فإنني أريد أن أبذل كل ما أستطيع من أخذ الحيطة ، لئلا أكون اسير الحسرة والندامة إذا — لا سمح الله — صار ما أكره عليه توكلت لا على سواه ، وعليه لا على أنفسهم ولا على قوتهم وعددهم ولا على أولادهم فليتوكل المتوكلون .

ولما سمع أولاد يعقوب تحذير أبيهم وتعليمه ونصحه قالوا له : لبيك ليكن كما تريد ، ثم تقدموا منه وودعوه وركبوا وهم يودون أن يطيروا على أجنحة النسيم ، فرحاً بقدمهم على « عزيز مصر » ، الذي لم يجربوا منه بعد سوى الإكرام !!!... وكأني بيعقوب عليه السلام حين ودعه أولاده قال لهم بلسان حاله : الى الملتقى يا أبنائي ، على الطائر الميمون يا أولادي ، ثم لكأنه حين وداعه « لبنيامين » قال بينه وبين نفسه : في عهد الله أيها الابن المشكول ، وفي حراسة الله يا ولداه ، في ذمة الله وكنفه ، أنت سلوى أبيك الشيخ ، أنت التعزية الوحيدة عن أخيك الفقيد ، أنت الأثر الباقي بعد « راحيل » خار الله لك في سفرتك ، الى الملتقى ، الى الملتقى... الوداع الوداع ، الى يوم الاجتماع :

خف إذا أصبحت ترجو وارح إن أصبحت خائف  
رب مكروه مخوف فيه لله لطائف  
(مرحى مرحى)

(وقال : يا بني ، لا تدخلوا .. )

— ٣ —

وقال السيد الإسكندري : عندي على هذه الآية المسائل التالية :

### سر التوكيل

١ — إن سر التوكيل وحقيقته ، هو اعتماد القلب على الله وحده ، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها ، كما لا ينفع الإنسان قوله : « توكلت على الله » مع اعتماده على غيره ، وركونه إليه وثقته به ، فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء ، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء ، وتوبة القلب وإن لم ينطق شيء ، فقول العبد : « توكلت على الله » مع اعتماد قلبه على غيره ، هو مثل قوله : « تبت الى الله » وهو مصر على معصيته مرتكب لها ، كذلك توكل العبد على الله مع عدم أخذه بالأسباب هو مثل من يتعاطى عبادة فاسدة كمن يصلي بلا وضوء مثلاً .

### وجوب الاحتراز بأسباب التحرز والمحيطنة مع التوكل

٢ — نعلم من قوله : لا تدخلوا .. وادخلوا ... عليه توكلت ... ان يعقوب عليه السلام فضل التحرز والمحيطنة ، ومع ذلك فقد القى حبل اتكاله على الله ، فجمع بهذا بين الأخذ بالأسباب والتوكل ، وكلام يعقوب يشير الى أنه لا منافاة بين الأخذ بالأسباب والتوكل ، لأن التوكل ليس هو إلا الثقة بالله تعالى .

والاعتماد عليه والاعتقاد ان الأمر منه واليه ، ولو مع الآخذ في الأسباب ، وما قاله يعقوب عليه السلام هو على حد قول نجر الكائنات : « اعقلها وتوكل » ، أشار الى أن عقل الناقة لا يتأفي التوكل ، وقوله عليه الصلاة والسلام روي له الفداء : « لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خصاصاً ، وتروح بطاناً » ، فأثبت للطير توكلًا مع ذكره انها تغدو وتروح .

### المفروض بأسباب الحيطة والسلامة فرضي ديني

وبعد فترانا في هذا المقام ، لا نقف عند هذا الكلام ، فنقول : غني عن البيان ان يعقوب عليه السلام هو نبي كريم ، وطبعاً يعلم كما يعلم كل مؤمن أن لا شيء يجري في هذه الحياة بدون قضاء الله وسماحه ، ولكنه يدرك مع ذلك ان سعيه في أسباب الحيطة والسلامة من الوقوع فيما يكره ، هو فرض من فروض الدين ، فنفسية يعقوب أرقى جداً من نفسية كل من يستسلم للقضاء والقدر ، ولا يأخذ في أسباب السلامة على قدر الإمكان ، وماذا عسى أن يكون مبلغ علم الناس ، عند علم يعقوب ؟ وماذا عسى أن يكون مبلغ إيمان الناس ، عند إيمان يعقوب ؟ وماذا عسى أن يكون مبلغ ثقة الناس بالله ، عند ثقة يعقوب ؟ ولكنه هو الآخذ بالأسباب المفروض على كل مسلم ومسلمة .

### أسباب نجاح الغربيين وتأخر الشرقيين هو موقف كل

#### منهم من القضاء والقدر

إن الغربيين هم أتباع ديانات ، يعلم فيها بالقضاء والقدر ، كما يعرف ذلك تماماً من توراتهم وزبورهم وإنجيلهم ، وسائر أسفار الأنبياء التي بأيديهم ، ولكنهم مع ذلك يدركون أن نشاطهم وابتعادهم عن طرق الشر ، وتعاونهم ومشاربتهم - كل

ذلك عندهم فرض من فروض النجاح، حتى ولو كان الأمر الذي يزاولونه بسطاً، لا يحتاج لتحفظات جدية، ولا الى أيدي كثيرة .

قد يجوز أن يكون هذا الموقف المختلف، الذي يقفه كل فريق منا ومنهم بزاء ما ندعوه « قضاء وقدرأ » هو من أسباب نجاح الغرب، وتأخرنا نحن أهل الشرق، وقد يجوز أيضاً أن يكون سبب خذلان مشروعاتنا الاقتصادية، وشركاتنا التجارية، وفقدان المؤسسات النافعة، من بين ظهرانينا هو نتيجة هذا الاتكال على « القضاء والقدر »، ليقدم لنا ما نطلب، ويتحفظنا بما نحتاج اليه، والأمر لو وقف عند هذا الحد، لمان الخطر، وقلنا: إن الشرقيين شعب له ثقة بالله، واتكال على قضائه وقدره، والله سبحانه وتعالى لا يخيب من يقصده، ولا من يتكل عليه، ولكن المصيبة في أن هذا الشيء تأصل في عقولنا، وتوسعت فيه نفوسنا، وتشبعت منه أفكارنا، فتييسنا وجمدنا، وضرب علينا الكسل قبايه، ونصب حولنا الفشل خيامه، حتى ان الإكثار من ذكر « القضاء والقدر » أصبح عادة متمكنة من نفوسنا، وغدا ذلك شعاراً لنا عند كل عمل أردنا مزاولته، فصار لنا ذلك بمثابة طابع لنا نحن الشرقيين، نطبع به كل عمل، من صنع أيدينا، أو هو العلامة المسجلة لكل عمل أردنا أن نعمله، أو هو العقبة الكؤود التي إن لم تمنعنا من الاقدام على جلائل الاعمال، منعتنا من المثابرة والإتمام .

### انواع الناس بالنسبة الى عقيدة القضاء والقدر

(٣) — أرشد يعقوب أولاده لاستعمال أسباب الحذر، ثم أشار الى أن

هذه الأسباب ليست أسباباً كاملة، ولا مغنية عن حكم الله شيئاً.. والناس في هذا الباب ثلاثة أنواع:

النوع الأول — متسبب صرف، قد قصر نظره على السبب وقوته وضعفه،

وهؤلاء هم المنكرون لوجود الصانع المختار، من قبيل الماديين والطبيين والدهريين، وظاهر أنهم من أهل الإلحاد، الذي ليس وراءه الحاد .

النوع الثاني — اتكاليّ — صرف معرض عن الأسباب والوسائط، والآلات والأعمال، لا يريد أن يفكر ولا يتحرك، ولا يعمل عملاً ما، اتكالاً منه على القضاء والقدر، واعتماداً على ما سبق في العلم أزلاً، وإن شيئاً من هذا لا يتحول ولا يتحور، ولا يزيد ولا ينقص، وإن العمل وعدمه سيات، والحركة والسكون أخوان، وظاهر أن هؤلاء أهل جمود وكسل وجهالة، غاطون في تصوراتهم من حيث لا يشعرون أو يشعرون، وهم بهذا مخالفون لشرائع الله وأوامره جميعاً، يُحتجّ عليهم ويثربون، ويحكم عليهم بأنهم عصاة ضالون، وهم للجنون أقرب منهم للعقل، ولو كان الناس كلهم على شاكلة، لما أتى قرن واحد، وعلى وجه الأرض إنسان، وأشرف منهم الطير والحيوان .

النوع الثالث — من يثق بالله تعالى، ويعتمد عليه، ويعتقد أن الأمر منه واليه، مع أخذه بالأسباب، ودأبه على العمل بجد ونشاط؛ وظاهر أن هؤلاء أتقياء أهل الايمان، وهم أهل التوكل المشروع، وهذا ماجرى عليه يعقوب عليه السلام في وصيته لأولاده كما ترى .

### التوكل والآيات التي تحض على العمل الديني والآخرى

( ع ) لينظر القارىء اللبيب قول هذا النبي الكريم : « لا تدخلوا . الخ » ، مع قوله : « عليه توكلت » ، مع مدح الله له بقوله : « وإنه لذو علم لما علمناه » يجد أن الاحتراس من الامور الضارة يمدح الله عليه من فعله ، ويسلم له دعواه التوكل ، فليسمع هذا جهلة المتصور لحين ، الذين لا يفهمون التوكل إلا بأنه معاداة الأسباب وإهمالها ، وليعلموا أن الله ورسله يكذبونهم ، وأكبر رد على من يستهين بالأسباب قوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ، وَهُوَ مُحْسِنٌ ، »

## آ (٦٧) التوكل والآيات التي تحض على العمل الدنيوي والاخروي ١٠٥١

فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿ (١١٢:٢) ﴾ ، قال الله تعالى لم يقل ﴿ ولا خوف عليهم ﴾ إلا بعد قوله ﴿ وهو محسن ﴾ منضماً الى إسلام الوجه لله ، وكذا قوله تعالى : ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقها ﴾ (١٥:٦٧) وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم ﴾ (٧٠:٤) وقال تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ (٦١:٨) وقال تعالى ﴿ وترزقوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ (١٩٧:٢) وقال تعالى خطاباً لنبية لوط عليه السلام : ﴿ فأسرِ باهلكِ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ (٨١:١١) وقال تعالى : خطاباً لنبية موسى عليه السلام : ﴿ فأسرِ بعبادي ليلاً ﴾ (٢٣:٤٤) وقال تعالى : ﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ (١٠:٢) وقال تعالى : ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾ (١٩٨:٢) ، وقال تعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (١٠٦:٩) ، الى غير ذلك من الآيات التي تحض على مطلق عمل دنيوي وأخروي .

التوكل محله القلب ، والعمل بالأسباب محله الأعضاء والجوارح ، والانسان مسوق للعمل بمقتضى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وكل من خالف ذلك فهو فاسد الفطرة مبدل خلق الله .

إذا الإنسان توكل فقط ، ولم يستعد للأمر ، وبأخذ له أهيته بحسب سنة الله في الأسباب والمسببات يقع في الحسرة والندم عندما يجيب ويفوته غرضه ، فيكون ملوماً شرعاً ، وعقلاً ، كما قال تعالى في الإسراف في المال : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ (٢٩:١٧) وقال تعالى خطاباً لفخر الوجود ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ،



وَدَعَّ أَذَانَهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ (٣٣:٤٨) قرن أمره بالتوكل بنبيه عن إطاعة من لا يوثق بقوله ، لأنه يغش ولا ينصح ، وقال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٣:١٥٩) ، قرن الأمر بالتوكل بالمشاورة ، وكل ذلك من اتخاذ الأسباب سلباً وإيجاباً .

وبالجملة ، ضل اثنان خير منها ثالثها ، الأول لا يريد أن يعرف النواميس ، والثاني يريد أن لا يعرف سواها ، فيقاتل الله الإفراط والتفريط .

### العين الشريرة وعادات الامم في دفع اذائها

(٥٠) - قوله : « لا تدخلوا .. الخ » : يعتقد فريق من الناس خصوصاً النساء أن للعين الشريرة ( كما يدعونها ) تأثيراً على الاشخاص والاجرام والاشجار التي تنظر اليها هذه العين نظرة استحسان وإعجاب ، ولما كانت كل امرأة تنظر الى طفلها مثل هذه النظرة ، فهي تعتقد أن هذه « العين الشريرة » واقعة عليه لاحالة ، ولذلك قد جرت العادة أن تسلم النساء أطفالهن بسلاح يرد هذا الضرر ، فالمرأة السورية لترد العين عن طفلها تلبسه خرزة من الخرز الأزرق . والمرأة الفلسطينية ، تضع ضمن قلادة خرزة بيضاء وخرزة زرقاء ، وصورة شخص من ذهب ، تسميه « مُشَخَّص » .

والمرأة الإيرلندية ، تمنطقه بخصلة شعر من امرأة عجوز ؛  
والمرأة الرومانية ، تربط كاحليه بشريطة حمراء ؛  
والمرأة الإسوجية ، تضع في مهبه كتاباً من كتب الطب ،  
والمرأة البلجيكية ، تعلق على صدره قطعة من النقود ؛  
والمرأة الاسبانيولية ، تعلق على قبعتها غصن صنوبر ؛

والمرأة الانكليزية ، تعلق فوق باب غرفته نعل حصان ، وفي عنقه زهرة من نبات يدعى « ميسيلتو » ، يوجد في غابات إنكلترا ؛

والمرأة الفرنسية ، تعلق فوق مهده غصناً من أغصان شجرة « الدرويد » المقدسة في نظرم ؛

وبعد كل هذا فيعقوب عليه السلام إنما أراد لأولاده التحفظ من عيون الناس الأشقياء أهل الفساد ، ومن عيون مستخدمى الحكومة.

### ابواب الدخول الى مصر

(٦) — ﴿ وادخلوا من أبواب ﴾ قيل هي أبواب « الفرما » وكان لها أربعة أبواب ، قيل : هي في محل « بورسعيد » اليوم ، أو هي في محل البحر جهة « بورسعيد » ، وقال بعضهم : « الفرما » بالتحريك والقصر مدينة على الساحل من ناحية مصر ، وبعبارة أخرى : حصن على ضفة البحر ، وهي بعد « العريش » ، وقيل إنها مدينة قديمة بين « العريش » و « الفسطاط » قرب « قطية » وشرقي « تنيس » على ساحل البحر ، على يمين القاصد لمصر ، بينها وبين بحر القلزم ، وكان « احمد بن المدبر » قد أراد هدم أبواب الفرما ، وكانت من حجارة شرقي حصن الفرما ، فخرج أهل الفرما ومنعوه من ذلك ، وقالوا ان هذه الأبواب هي التي ذكرت في كتاب الله ، حين قال يعقوب لبنيه : ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ فتركها ، قالوا : وكان « عمرو بن العاص » فتحها عنوة سنة ١٨ هـ في خلافة عمر رضي الله عنه (١) اذ سار عمرو بن العاص بالمسلمين لفتح مصر ، فوصل « رفح » ثم « العريش » ثم « الفرما ».

## الحذر لا يغني عن القدر

(٦٧) — تعليقاً على قوله ﴿وما اغني عنكم من الله من شيء﴾ \*

أولاً — تذكر ههنا فادرة ، هي انه نزلت قافلة بقرية ، فأووا الى دار خربة ، فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار ، واستوقدوا نارهم ، وسوّوا معيشتهم ، وكان في تلك الدار حائط مائل قد أشرف على الوقوع ، فقال رجل منهم : يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ، ولا يدخلن أحد في هذه البقعة ، فأبوا إلا دخولها فاعتزلمهم ذلك الرجل ، وبات خارجاً عنهم ، ولم يقرب ذلك المكان ، فأصبح الجميع في عافية ، وحمّلوا على دوابهم ، فبينما هم كذلك ، اذ دخل الرجل الى الدار للحاجة ، فخر عليه الحائط ، فمات لوقته ، ولم يغن حذره من قدر الله من شيء !!

ثانياً — يحكى أن عضد الدولة بن بويه ، نظم شعراً ، جاء فيه قوله في

صفة نفسه .

عضد الدولة وابن ركنها ملك الاملاك غلاب القدر

ثم أصيب بعد بشيء من الخبل والوسواس وفساد المزاج ، فكان لا ينطلق لسانه إلا بقوله تعالى : ﴿ ما أغني عني ماليه ، هلك عني سلطانيه ﴾ (٦٩ : ٢٨ و ٢٩) .

## هل للعبد ارادة واختيار

(٦٨) — وهو من قبيل تكميل البحوث السابقة : لانه سبحانه وتعالى

الفعال لما يريد ، والمدبر يدبر والقضاء يضحك ، وما أراده تعالى كائن لا محالة ، ولكن ليس معنى ذلكم أنه ليس للعبد كسب واختيار — كلا — لأن هذا المعنى مناف للعدل الالهي ، ومناقض لحكمة التشريع السهوي ، ولا يلتحم مع نصوص الشريعة المتواترة القطعية في دلالتها على معناها ، من أن العبد له إرادة واختيار ، هما مناط التكليف والمؤاخذة ، وكذلك كان الصحابة والسلف يفهمون من تلك

النصوص ، فالعبد مختار ، حر ، مرید ، ولكنه إنمّا يختار لنفسه ماوافق استعداده ، وجرّته اليه ملته وارادته وتربيته ومزاجه وورائته ، وعوامل المحيط الذي يعيش فيه ، كالعقيدة والمادة والحكم والاسرة والمدرسة والمجتمع والمناخ ، والتعامل مع الناس ، والى غير ذلك من العوامل التي تجره الى السعادة او الشقاء .

واما قضاء الله وقدره فينا ، فيها خفيان عنا معشر البشر ، وانمّا يظهران لنا ويقعان تحت أعيننا ، مائلين في سننه الكونية ، ونواميسه الاجتماعية ، التي بثها في هذا العالم ، وركب بناءه عليها ، وهذه السنن والنواميس البارزة لنا هي مظهر قضاء الله وقدره الخفيين عنا ، بل هي المرايا الصقيلة التي ينعكس عنها الى أصدارنا مافي اللوح السهاوي من حكم الله وارادته ومشيثته ، في تدبير هذه الكائنات ، وفي سعادة البشر وشقاوتهم .

وإذا تقرر هذا فيعقوب عليه السلام ، أراد أن يحارب قضاء بقضاء ، ويقاوم قدراً بقدر ، حسبما هو مأمور بالتمسك بما عساه أن يكون سبباً في النجاة ، وتجنب ما عساه أن يكون سبباً في الهلاك ، وهو عليه السلام يمتقد انه في كلتا الحالتين بالغ هو وأولاده ما قضاء الله وقدره عليه وعليهم ؛ وبعد فإذا وصلت الى هنا ، وكنت من الأذكياء ، فلا بد أنك فهمت ما هو المظهر الإلهي للقضاء والقدر في قول يعقوب عليه السلام ﴿ وما أغني عنكم من الله من شيء ... ﴾ فتأمله ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا . (مرحى)

### قول الخوارج لا حكم الا لله

٩ — سألتني طالب علم صغير : إن هذه الجملة التي نطق بها يعقوب « إن الحكم لإلا لله » هي كانت شعاراً للخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ، فكيف كانوا على باطل ، وهذه الجملة شعارهم ؟ ... فتبسمت لسؤاله وشكرته عليه لحدائة سنه ، وقلت له : يا ولدي ، هذه الجملة كلمة حق أريد بها باطل ، أريد بها الخروج

على عليّ كرم الله وجهه ، حيث حَكَمَ وهو على حق ، فكان الخوارج يقولون « لا حكم إلا لله » .

### نظام الطبيعة واحكام سيرها تعين على حل مشكلة القدر

٦٠ - إن ما قيل في آية ( وما أغني عنكم من الله من شيء ) فيه كفاية للمستبصرين ، ولكن تذييلاً للمقام أقول :

إن للطبيعة نظاماً ، وإن لله في سيرها أحكاماً ، فينبغي لنا أن نخضع لأحكام الله ولا نخل النظام ، قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ (٢:٢٥) وقال تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٥٤ : ٤٩) ، وعندني ان في هاتين الآيتين ونحوهما ما يوقظ الأفكار لحل مشكلة القدر ، والله تعالى أعلم .

### الفصل الثالث

#### سفرة اخوة يوسف الثانية لمصر

آ (٦٨) ﴿ ... وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ، مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ، إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ، وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ، وَلَكِنَّ كَثْرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

اقتتحت الجلسة وتليت الآية الثامنة والستون فقام الشيخ آدم الرمتي (١) وقال :

قام أبناء يعقوب وأبوهم واضع يده على قلبه ، وركبوا دوابهم ورحلوا من

(١) نسبة الى الرمتان من بلاد الشام ( شرقي الأردن ) .

سيلون الى غزة الى رفح الى العريش الى السقرما وهي أول حصن حصين من بلاد مصر ( و ) لا أخفي عن القارئ والسامعين أنهم ( لما دخلوا ) السقرما ( من حيث أمرهم أبوهم ) وكما رسم لهم ، وعلى حسب الخطة التي اختطها لهم ، متفرقين لأبوابها الأربعة — لما دخلوا هكذا ما عتموا أن وقعوا فيما قدر عليهم وخاصة على أخيه بنيامين ، و ( ما كان ) ذلك الرأي ودخولهم متفرقين ( يعني ) يدفع ( عنهم من ) قدر ( الله من شيء ) ، لأن الإنسان وديعة غيب ، لا يعلم ما يطرأ عليه ، بل ذهب ذلك التحفظ أدراج الرياح ، وغلب التقدير التديير ، حيث أصابهم ما ساءهم من إضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله ، وتضاعف المصيبة على أبيهم ، ولكن عدم إغناؤه من الله من شيء ، لا يقلل شيئاً من قيمة الأخذ في الأسباب ، وسلوك سبيل الاحتياط والتحفظ ، ( إلا حاجة ) غاية ( في نفس يعقوب قضاها ) وهي على ما فهمه العلامة الزمخشري شفقتة عليهم وإظهارهم بما قاله لهم ووصاهم به ؛ أو هي على ما يفهمه هذا الحقير أن لا تبقى في نفسه حسرة ، إذا حدث لولده « بنيامين » شيء مما يخشاه ، كما بقيت في نفسه حسرة في حادثة يوسف ، حينما وحيثما استرسل مع أولاده استرسالاً ، وسلمه لهم دون قيد ولا شرط ، دون عهد وميثاق ، دون وصية وارشاد ؛

فهو كان رأى نفسه في حادثة تسليم ولده يوسف أنه استسلم لأولاده على العمياء دون كفالة ولا توثق ، حال كونه كان يخاف منهم عليه ، لأنهم يكرهونه ، وهم له حسدة ، وأبوهم يعرف ذلك كله ، حتى انه قال له : « لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ، إن الشيطان للانسان عدو مبين » ( ع ٥ ) ، فمع كل ذلك قد زج به الى إخوته ، وتعذيبهم إياه ، حتى صار فريسة الإثم وطعمة الغرور ، وألوبة في يد المكرة ، وقد قيل : « من استرعى الذئب ندم » ، ويعقوب

استرعى الذئب على ولده بدون أن يكون معه حراس ، كان كل هذا في حادثة يوسف ، وأما اليوم في حادثة بنيامين ، فلم يرد أن يترك أخذ المهد المغلظ عليهم ، ولم يشأ أن يغفل إرشادهم ووصيته اليهم ، لئلا يتوهم انه ضيع ولده بيده ، وانه سلمه الى المهالك باختياره ، فيحزن عليه حينئذ حزن النادم المتفجع ، الذي لا يجد له عن مصابه عزاء ولا سلوى ، ويتحسر انه ترك نوعاً مما يقدر عليه ، من أنواع التحفظ ، بل يريد هنا أن يحتفظ لبنيامين ما وجد لذلك سبيلاً ، وأن يأخذ حذره ما أمكن ، فيعقوب عليه السلام بما أجراه هذه المرة مع أولاده في شأن بنيامين لا يتحسر كثيراً ، ولا يتأسف أسفاً جليلاً ، لو طرأ على ولده صدمة من صدمات القدر ، أو نزل عليه نازلة من نوازل القضاء ، لأنه حينئذ لا قصور منه ولا تقصير ابتداء ، ولا حول ولا حيلة انتهاء ، فهو إذ عمل بالواجب قد يهون عليه الأمر ، ويسهل في نظره المصاب ، فلا يصدر منه كبير أسف ، ولا كثير تحسر ، ولا يقدر أحد أن ينسب اليه الاسترسال مع الأولاد ، أو الإهمال لشيء من الحذر ؛ هذا ما أفهمه فيما هي هذه « الحاجة » ولا أعلم هل أنا مصيب أو مخطيء ولكن أعلم أنني كتبت ما اعتقد .

( وإنه لذو علم ) أي فهم ومعرفة ( لما علمناه ) أي يفهم الذي علمناه إياه ، ومنه أمره لأولاده بالحذر وأن لا يدخلوا من باب واحد بناء على وجوب الأخذ بالأسباب وإنه مع ذلك كان يعتقد أن الحذر لا بدفع القدر ، وكان يعرف أن ليس للتدبير حظ من التأثير ، فنعى ذلك الصفي الكريم ، أو معنى قوله « ذو علم » ذو عمل ، لأن العلم التصديقي « الإذعاني » المتعلق بالمنافع والمضار يوجب العمل ، ونقل البخاري عن قتادة أن العلم هنا العمل ، ولذلك فسره بقوله « عامل بما علم » ، ووجهه أن من فهم معلوماً من المعلومات حق الفهم « أشعر بته روحه » ، وخالط لجه ودمه ، ووصل من قلبه الى سويدائه ، وكان إحدى غرائزه ، فلا يرى له بدأ من العمل

به ، رضي أم أبي ، فاذاً أصبح العلم هو العمل ، لأن أثره اللازم له ، لزوم الظل للشاخص ، أو لزوم حركة الخاتم لحركة الاصبع ، ولذلك قالوا : آية فهم المعلوم تأثر العالم به وظهوره في حركاته ومسكناته وترقرقه في شمائله ، ترقرق الابن السائح في جسم الرضيع .

العلم علمان : نظريات وعمليات ، والعلم لا يتحقق أو لا يتأكد إلا بالعمليات ، فلا يقال : فلان نجار ، إلا بعد أن يكون — عقب النظريات — قد عمل صندوقاً أو خزانة مثلاً ، وكذا لا يقال : فلان حداد ، إلا بعد أن يكون قد عمل مفتاحاً أو سكيناً مثلاً ، وهكذا لا يقال : فلان طبيب ، بمجرد نواله الشهادة ، ما لم يكن قد ابتداءً في تطبيب المرضى بالفعل ؛ وعندنا أن جملة « لئو علمٍ لما علمناه » تحتل تخريباً ثالثاً ، وهو أن اللام في قوله « لما » للتعليل و « ما » موصول حرفي ، والمعنى لأجل تعليمنا إياه ، ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ما علمه يعقوب من الجمع بين الاخذ بالاسباب والتوكل ، فالقبضُ منهم في غفلة عن ذلك ، وجمهرةُ الناس هم من ذوي الغُبنِ والنوكِ .

### اجتماع شمل الشقيقين

آ (٦٩) « ولما دخلوا على يوسفَ ، آوى إليه أخاهُ ، قال :  
إني أنا أخوكَ ، فلا تبتئسْ بما كانوا يعملونَ »

وتليت الآية التاسعة والستون في نفس الجلسة فقام الحافظ الترماني<sup>(١)</sup> وقال :

( ولما ) وصلوا صوعن « صان الحجر » عاصمة المملكة الهكسوسية ، و ( دخلوا

( ١ ) سبة الى ترمانيين من بلاد الشام ( سورية )



على ) عزيز مصر ( يوسف ) ووقفوا وجاهه ، شعر بتعزية داخلية بمجيئهم عنده ، و ( آوى اليه أخاه ) بنيامين ، وأدناه منه ، وأزله تحت ظله ، وجمعه اليه ، ورقله وعطف عليه ، و ( قال ) له ( إني أنا أخوك ) — قال بنيامين : « أخي في الحب والصدقة أم ماذا ؟ » — قال : « أخوك المفقود يوسف بن إسرائيل ، من زوجة راحيل ، أنا أخوك وأنت أخي ، أنت لي وأنا لك ، وكلانا على الدهر ( فلا تبتئس ) لا تحزن ولا تتذمر ( يا كانوا يعملون ) ويمرون به معيشتنا ، فإنه لا يقلل من قيمتنا التاريخية شيئاً ، هكذا قدر عليهم أن يعملوا ما عملوه ، فلا تذهب نفسك حشرات عليهم ، واجعل قرة عينك اليوم برؤية أخيك ، ناسخة لأحزان الثلاث والعشرين سنة الماضية : افرح وتهلل اعتباراً من هذه الساعة .

( ولما دخلوا على يوسف .. الخ )

— ٢ —

وقال السيد الكلبسي

اخوة يوسف الاحد عشر بين يدي يوسف

ولما وصل إخوة يوسف مصر ساروا توأاً الى حيث يقسم العزيز « يوسف » ومعهم بنيامين الذي طلبه منهم ، وعند دخولهم عليه سُرِّي عنه بذلك كل هم وغم إذ كان ينتظرهم بفارغ الصبر ، وهو على أحر من الجمر ، ووقفوا أمامه وسلموا عليه تسليم الإمارة وركعوا وكفروا ، مترامين بين قدميه ، فلما رأى يوسف بنيامين معهم ، قال لهم : ( أنجز حرت ما وعد ) ثم قال الذي على بيته : ( أدخل الرجال الى البيت واذبح ذبيحة وهيء ، لأن هؤلاء الرجال يأكلون مني عند الظهر ) ففعل الرجل كما قال له يوسف ، وأدخل الرجال الى بيت يوسف ، وأعطاهم ماء

(١) نسبة الى كلس من بلاد الشام .

ليغسلوا أرجلهم ، وأعطى عليقاً لدوابهم ، فلما جاء يوسف الى البيت سجدوا له الى الأرض ، فسأل عن سلامتهم ، وقال : ( أسلم أبوكم الشيخ الذي قلم عنه ، أحيّ هو بعد ) فقالوا : عبدك أبونا سالم ، وهو حيّ بعد ، وخرّوا وسجدوا ، وكان هذا السجود تمام الحلم الاول ، وهو أن حزمهم الإحدى عشرة سجدة لحزمته ، وكانت الحزم في الحلم مناسبة لطلبهم القمح منه ، فرفع عينيه ونظر بنيامين أخاه ابن أمه ، وقال : ( أهذا أخوكم الصغير الذي سمعت به وطلبته منكم ؟ ) وهذا الاستفهام للتكتم أو للتعجب ، لأنه رآه ابن نحو ثلاثين سنة ، وكان يوم بيع يوسف ابن نحو من ثماني سنين ، ثم خاطبه يوسف بقوله : ( الله ينعم عليك يا بني ) واستعجل يوسف لأن أحشاه حنت الى أخيه ، وطلب مكاناً ليبيكي ، فدخل الخدع وبكى هناك ، ثم غسل وجهه ليزيل آثار الدموع وخرج وتجلد ، وقال للخدامين : قدموا الطعام ، فقدموه له وحده ، ولهم وخدمهم ، وللمصريين الآكلين وخدمهم ، لأن المصريين كانوا لا يقدرّون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين ، لأنه رجس عند المصريين ، وهذا التمييز بين الآكلين كان عاماً في الأزمنة القديمة ، ولا يزال في الهند ، ولكنه عند المصريين كان بمقتضى أمر ديني ، أن لا يأكلوا مع الغرباء ، ففي تاريخ هيرودوتس أن المصريين كانوا يأبون الأكل مع اليونانيين وأن مس الطعام بسكين يونانية ينجسه .

ورفع يوسف حصصاً من قدامه اليهم ، ولكن كانت حصّة بنيامين أكثر من حصص جميعهم ، وهذه العادة كانت تعد من الرئيس في بلاد الشرق إكراماً عظيماً ، فأكلوا وشربوا ورووا ، وكانوا آمنين مبتهجين ، وأما يوسف فكان يفعل ذلك معهم وهو يقول في نفسه : اليوم تمّ وغداً أمر ، ثم بعد انتهاء حفلة الطعام ضم يوسف اليه بنيامين في عزلة عن باقي اخوته ، وهش له وبش ، وقد ترقرقت الدموع في عينيه ، ثم قال له أتعرفني وتعرف اسمي ومن أنا ؟ — قال :

ما أنكرك لسوء — قال يا ابن راحيل انظر إليّ جيداً وتفرس فيّ ملياً إني ابن أمك وأبيك ، أنا أخوك يوسف — وأما بنيامين فسمع مالم تضطرب به حاسته ، ولا هجس في الضائر ، فقال : ماتقول يا حضرة «صفنات فعنيح المحترم» — قال هذا هو الواقع ، أنا يوسف ابن أمك راحيل ، من رجليها يعقوب بن إسحق بن ابراهيم ، أنا أصح نسبة ليعقوب من المطر الى السحاب ، وأصح نسبة لراحيل من النور الى الشمس — فظن بنيامين نفسه في منام ، لأنه فارقه منذ ٢٣ سنة ، فلم يعرفه ، ولكن يوسف ذكر له من السيا مائاً كد به أنه أخوه الفقيد ، وعند ذلك برح الخفاء وتقصعت الغمامة ، وظهر البدر التمام ، وأما بنيامين فطار فرحاً ، وقام اليه وتحاضنا ، وسلم عليه بالقبلة الاخوية ، وجاوبه أخوه بقبلة حارة ، وأمسك كل بيد الآخر إمساكاً شديداً ، ثم قال له يوسف والآن يا أخي ، لا تحزن ولا تنذر بما يفعله إخوتنا ، مما سجله عليهم التاريخ ، بمداد من نار . إن الله قد أحسن اليكنا وجمعنا على خير مانرجو ، وقد أبدلك مرارة صابهم ، وغضاضة علقمهم بحلاوة اللقاء ، وجمع شمل الأحياء ، ومع ذلك فان مع اليوم غداً . (مرحى)

( ولما دخلوا على يوسف .. الخ )

— ٣ —

وقال حمدي باشا الانطاكي (١) :

**يوسف يعرف أخاه بنيامين به ويؤاويه اليه**

لما دخل إخوة يوسف على يوسف ، حيوه تحية الأمراء ، وقالوا له : ( هانحن أولاء قد سعينا السمي الحثيث مع أبيتنا حتى أتينا بأخينا بنيامين حسب رغبتك ) ، وأما يوسف فلا تسل عن فرحه بمجيئهم وبينهم بنيامين ، فقد فرح بمجيئ إخوته بني

(١) نسبة الى انطاكية من بلاد الشام .

العلات ، فرح المنتصر الظافر ، وفرح بمجىء شقيقه ، فرح الحبيب بالحبيب ، ولما رفع نظره لبنيامين لمس القلب ، لاسيا وقد لاحت له في صورته صورة المرحومة أمه « راحيل » ، فعطف عليه وآواه اليه ، وكأنه سبحانه وتعالى ، يشير بهذه الكلمة إلى إنقاذه من ظلم إخوته إياه ، واستبدادهم به ، فقد تكاد هذه الكلمة أن لاتستعمل إلا في مقام النصر والاتقاذ من الذل والتهلكة ونحو ذلك ، ومن قوله تعالى : ﴿ وَأَوْيْنَاَهَا إِلَى رُبُوعٍ ﴾ ( ٢٣ : ٥١ ) وقوله تعالى : ﴿ وَفَصَّلْتَهُ الَّتِي تُوْوِيهِ ﴾ ( ٧٠ : ١٣ ) وقوله تعالى في النبي ﷺ : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ ( ٩٣ : ٦ ) وقول لوط عليه السلام : ﴿ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ( ١١ : ٨٠ ) وقول ابن نوح : ﴿ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَمْصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ ( ١١ : ٤٣ ) وقوله تعالى : ﴿ آوَى إِلَيْهِ أَبُوهُ ﴾ ( ع ٩٩ ) ، وبدلنا على أن بنيامين كان محوطاً بظلم إخوته واستبدادهم ، قول يوسف له : ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الذي يرمي إلى تكرار أفعالهم المحزنة معه ، ثم هو لما رأى بنيامين وضمه اليه- تتخيل أنه قال في نفسه :

كأنك لم توتر من الدهر مرة إذا أنت أدركت الذي أنت طالبه

وقال لبنيامين مقدماً نفسه اليه معرفه بشخصه الكريم ، إني أنا أخوك يوسف ، فكن مطمئن البال ، حيث ظفرت بأعز ماترجو ، وعلى الدنيا السلام ، فلا تحزن ولا تتذمر بما كانوا يعملون معنا ، فقد أصبح منذ اليوم خيراً ليس له أثر ، أصبح ليس له وجود إلا في بطون الدفاتر ، وأنا لا أريد أن أثير المعركة عليهم من جديد ساعهم الله ، فلنتناس مافات ، وننظر فيما هو آت ، وان لم شملك بأخيك اليوم يشفع في كل ما أصابك من الأسواء ، ويجب أن ينسيك كل بلواء .

## بدء المعركة بين يوسف واخوته — التفسيريق

آ (٧٠) ... ﴿ فلما جهّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ، جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ... ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : أَيُّهَا الْعَيْرُ ، إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ . ﴾

افتتحت الجلسة ونليت الآية السبعون فقام السيد مطيع الادلي<sup>(١)</sup> وقال:

كان يوسف عليه السلام عقد النية بالاتفاق مع « بنيامين » على عمل الحيلة بنسبة السرقة اليه ، توصلاً لبقائه عنده قهراً كرقيق لمدة سنة أو أكثر ، فأمر خادمه الخصوصي الذي على بيته قائلاً : « املاً عدال الرجال طعاماً حسبما يطيقون حملة ، وضع فضة كل واحد في قم عدله ، وطاسي طاس الفضة تضعه في قم عدل الصغير مع ثمن قمحه » ( فلما جهزهم بجهازهم ) من قمح وزاد للطريق من خبز ودقيق وسويق وعليق ، وسائر لوازم السفر ومعداته ( جعل ) وضع ( السقاية ) أي طاس الفضة ( في رحل ) في عدل ( أخيه ) بنيامين ، بيد خادمه الخاص الذي على بيته ، فلما أضاء الصبح انصرف إخوته ، هم ودوابهم ، وعندما قاربوا الخروج من المدينة « صوعن » ولم يبتعدوا ، قال يوسف لخادمه الخاص « قم واسع وراء الرجال ، ومتى أدركتهم ققل لهم : لماذا جاريتم شراً عوضاً عن خير ؟ اليس هذا هو الذي يشرب سيدي منه ؟ اليس هذا هو الذي يكيل أيضاً به ؟ » فقام الخادم يسعى وراءهم ( ثم أذن مؤذن ) أي نادى مناد : ( أيُّها العير ) القافلة الفلسطينية رويداً ، على رسلكم ، إن « العزيز » أرسلني ، والرسول غير ملوم فيما يبلغ ، وإن أغلظ في القول ، — قالوا : « فما الرسالة ؟ » — قال : ( إنكم لسارقون ) وسيكون لنا معكم شأن من الشؤون ، فأنتم لستم قافلة تجارة ، ولا رواد ميرة ، بل عصابة

(١) نسبة الى ادلب من بلاد الشام .

آ (٧٠) المحادثة التي يظن انها جرت بين يوسف وبنيامين قبل تسريته ١٠٦٥

لصوص ، أو حملة عدائية نحو « العزيز » فما هذا الشرك الذي نصبتموه لنا ، ذريعة للاختلاس ؟ وما هذا المركب الخشن الذي ركبتموه ؟ . .

فما جهزهم بجهازهم جعل السقاية . . الخ

— ١ —

وقال السيد عبد الكريم العجلوني (١) :

المحادثة التي يظن انها جرت بين يوسف وافي بنيامين قبل تسريته

لو كنت من المحدثين في هذه الأمة المحمدية لقلت إنني «حدثت» بما يلي :  
قال يوسف لأخيه « بنيامين » : « يا ابن الأعيان ، لي معك كلمة ، أصخ إليها ، فإن اجتويتها فاضرب بها عرض الحائط ، وإن وقعت عندك الموقع الحسن ، فتنازل بمساعدتي على ما أريد ، أنا أريد الآن بقاءك عندي ، لتؤنس من وحشتي ، وتخفف من آلامي وفرقتي ، وتعينني على احتمال أعباء الحياة وهمومها ، وها أنا ذا هنا أقلب طرفي حولي ، فلا أرى أخي الذي أحبه وأوثره ، وأرى فيه شخص يعقوب وصورة راحيل ، إنني ههنا لا أرى إلا أناساً آخرين أجانب ، لا شأن لي معهم ، ولا صلة بيني وبينهم ، فلذلك يخيل إليّ ، وأنا مجتمع بالجمهور من المصريين المحكومين ومحفوف بالجمهرة من العالقة الحاكمين ، كأني خال بنفسي ، منقطع عن العالم وما فيه ، ولقد كنت سمعت في أسباب حضورك ، وكنت أترقب ذلك ترقب المقرور أشعة الشمس ، وكنت أنتظر انتظار الظامئ ديمة القطر ، فالآن أريد أن تبقى عندي لا سواك ، تبقى عندي مدة طويلة لا قصيرة ، لأننا مشتاقان كل إلى أخيه ، كما أريد ذلك بالأحرى لأبينا الشيخ الجليل ، ولكن الأمر بالنسبة لأبينا صعب الآن جداً ، لأن الظروف والأحوال لا تمكنتنا اليوم من الحصول على لذة الاجتماع

(١) نسبة إلى عجلون من أعمال بلاد الشام ( شرقي الاردن )

به ، لأن هذا لا يمكن إلا إذا أظهرت نفسي له ولإخوتي ، وبأن لجميعهم من أنا ، وهذا لم يكن حينه بعد ، وأما تمتي بحصولك عندي فممكن ، بشرط أن تضحى شيئاً من شرفك مؤقتاً ولأجل محدود ، وبميت يكون ذلك ضمن دائرة الخفاء إلا عن اخوتك ، تضحى ذلك من أجلك وأجل تمتع برؤيتي ، بل وأيضاً من أجلي وأجل تمتي برؤيتك» — فأجاب بنيامين قائلاً: « وما الذي اجتمع عليه رأيك حتى تتوصل لذلك؟ » — قال : « أنسب اليك أنك أخذت صواعي ، وجعلته في رحلك ، وليكن عزاؤك عما تلاقيه من عار السرقة أمام إخوتك أنك ستكون عندي مدة طويلة ، تتبادل فيها الأحاديث والسرور ، ويتمتع بعضنا بمشاهدة بعض ، كما انه ليكن عزاء أئبنا الشيخ عما سيلاقيه من الحزن والكمد بتسريتك وبعذك عنه — أنه سيمكن له ولنا بعمل هذه الطريقة ، بحيث لمصر ، ويتمتع كل برؤية الآخر ، ذلك لأتني أريد فيما بعد إظهار نفسي لإخوتي ، توصلاً لذلك ، ولكن بعد تنزيل شيء من كبريائهم وتمردهم ، وإني لأنسى انهم كادوا لي كيداً ، وأنا اليوم أيضاً أخوف ما أخاف منهم : ولو خبرتهم الجوزاء خبري ، لما طلعت مخافة أن تكاداء ، على اني أعتقد أن والدي سيتخذ حبسك عندي إشارة رمزية يفهم منها أن لا بد للأمر من سر ، ويشم رائحة يوسف من ناحية مصر ، نعم ، إنه من الشديد عليّ أن أسرقك أيها الأخ ، ولكن أشد منه عليّ مفارقتك إياي ، فتحمل أنت هذه الحملة اليوم ، لما قلت لك ، والنتيجة تبرر الواسطة ، نعم إن الحادثة التي ستستقبلها شديدة ، شديدة عليك وعلى أئبنا الشيخ ، ولكن أبونا سيتحملها بما لديه من صبر وسكون ، وعلمه بتأويل ما يكون ، وفهمه تلك الرموز والإشارات ، وكل لبيب بالإشارة يفهم ، هذا ما أراه في هذا الموضوع ، والله أعلم بإخلاصي فيما أتويت أن أجريه ، وهو سبحانه من وراء القصد ، وأنا والله إنما أريد هذا لأسرك لا لأضرك ، فمسل تطيعني يا بنيامين في ذلك؟ .. » — فقال بنيامين : « ما عصيت لك

أمراً قبل اليوم ، ولكن هبك فعلت كل هذا ، وتوفقت له ، فأنى لقوانين  
 أن تحكم ببقائي عندك سنة ، وهي إنما تغرم السارق بثلي ماأخذ ، دون أن يستعبد؟»  
 — قال يوسف : « سوف نستفتيهم ونطلب منهم الفتيا ، وهم طبعاً إنما يفتونا بشريعة  
 جدنا إبراهيم ، وهي استعباد السارق سنة عند المسروق منه » — فقال بنيامين :  
 « افعل ماابدا لك ، مرني بما تريد ، فأنا في كل حين أطوع لك من بنائك » —  
 قال يوسف « اسكت عليها ، لا تعرض بذكرها بين شفة ولسان » وبناء عليه  
 فلما جهزهم بجهازهم ، بيده اليمنى ، جعل السقاية في رحل أخيه بنيامين بيده  
 اليسرى ، قائلاً في نفسه : « شأن عساه أن يجر شوؤناً » ولم يأخذه مصادرة ،  
 لئلا يقيموا عليه بذلك دعوى ، ويشتكوه للملك الريان ، فيكون قد غرر بنفسه ،  
 وكان هذا بمعرفة ورضى من بنيامين ، وإنما ارتآى يوسف هذا الرأي وأقدم عليه ليرد من  
 أكبر تضحية من بنيامين ، وإنما أظفأهم ، ويكف من عرامهم ، ويحسب  
 من شيرتهم :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمتسيمـ

قال قيس بن زهير :

إذا أنت أقررت الظلامه لامرئٍ رماك بأخرى خطبها متفاقم  
 فلا تبد للأعداء إلا خشونة فما لك منهم إن تمكن راحم

فكانت هذه «السقاية» كفخ نصبه يوسف ليصطاد به أخاه ليكون عنده ،  
 فلما أضاء الصبح ، ثاروا إلى أحمالهم ووضعوها على ظهور الأبعرة ، وانصرفوا  
 ومشوا أدراجهم ، في غمار الممتارين ، الآيين الى بلادهم ، يطوون الأرض طياً ،  
 من فرحهم بميرتهم ، وإيلابهم بسلامتهم وسلامة أخيههم ، ثم لما كانوا قد خرجوا من  
 المدينة ولم يبعدوا ، أذن مؤذن ، أي صرخ صارخ أو نادى مناد ، أو صاح صائح ،



أو أعلم معلم ، وهو الخادم الخاص ليوسف ، بماء صوته والاهتمام ظاهر على وجهه ، حيث خف وراءهم في كوكبة من رجاله ، وشخصوا خلفهم وصمدوهم ، وصرخوا عليهم : أيتها العير ، أصلحك الله ، أنتم تحت الطلب ، فعلى رسلكم ، وقفوا مكانكم ، لأنه ظهر أنكم سارقون ، — وفيه تعريض باختلاس يوسف من أبيه ، أو بسرقة المسرة والجبور الذي كان في قلب يعقوب ويوسف وبنيامين ، وما كانوا يشعرون به من الغبطة في نفوسهم بلمّ شملهم ، وأنس بعضهم ببعض ، والسرقة كما تكون في الماديات تكون في المعنويات ، كما يسرق الشاعر معنى لشاعر قبله ، وكما يسرق الفرح أو الحزن النوم من الأجفان ، وكما يسرق فتقبض النفس بانقباضه ، صفاء جليسه وانثراحه ، ويحتمل أن المراد بقوله « لسارقون » أن حالهم تشبه حال السرقة ، يا أن الصواع مخبوء في رحلهم .

( فلما جهزهم بجهازهم .. الخ )

— ٣ —

وقال الاستاذ المقدسي : لي على هذه الآية الملحوظات التالية :

هل كانت العير حميراً أم إبلاً

الملحوظة الاولى : — العير ، جماعة الإبل التي عليها الأحمال ، والمراد بها في الآية أصحابها ، ونحوه « ياخيل الله اركبي » ، ويقال لها « عيس » ، وإذا كانت خراسانية قيل لها « بُخت » ، وتطلق كلمة العير على القافلة أو الإبل تحمل الميرة أو كل ما متير عليه ، إبلاً كانت أو حميراً أو بغالاً ، وقال بعضهم ، العير هي القافلة إذا كانت فيها جمال ، قد تخللتها حمير تحمل الميرة ، وقد نقل ابن جرير في تفسيره عن مجاهد ان العير هنا كانت حميراً ، وأما كلمة بعير المتقدمة في قولهم ( وزداد كيل بعير ) ففيها خلاف أيضاً عند اللغويين ففي القاموس : « البعير وقد

تكسر الباء الجمل البازل أو الجتدع ، وقد يكون للأثنى ، وهو أيضاً الحمار  
وككل ما يحمل ، قاله ابن خالويه « وقال في تاج العروس : قال ابن بري : « وفي  
البعير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة بن حمدان ، وكان السائل ابن خالويه ،  
والمستول المتني ، بين يدي سيف الدولة ، وكانت فيه خنزوانة وعنجبية ،  
فاضطرب ، فقلت المراد بالبعير في قوله : ( ولما جاء به حمل بعير ) الحمار ، وذلك  
أن يعقوب عليه السلام وإخوة يوسف ، كانوا بأرض كنعان ، وليس هناك إبل ،  
ولمنا كانوا يمتارون على الحمير ، وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره « اه .  
ويقول الحقيير إن القول بان دوابهم كانت حميراً ، مأخوذ من التوراة ،  
وأما قوله إنه لم يكن إذ ذاك بأرض كنعان إبل ، فهو وهم مخالف للواقع  
وللتاريخ ، بل وللتوراة التي هي المستند في أن دوابهم كانت حميراً ، فقد ذكر في  
التوراة : أن « رفقة » لما جاءت من العراق لكنعان كانت راكبة على جمل ( تك  
٢٤ : ٦٤ ) وذكر فيها أن راحيل وقت براحها العراق لكنعان أخذت الأصنام  
ووضعتها في حداجة الجمل ( تك ٣١ ٣٤ ) وفيها أنه صار لإبراهيم لما كان بمصر  
غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال ( تك ١٢ : ١٦ ) ، فهذان نصان تاريخيان  
منها نعلم انه كان يوجد بشرقي كنعان ( أي العراق ) جمال ، وكان يوجد بغربي  
كنعان ( أي مصر ) جمال ، فلماذا حينئذ لا توجد الجمال في نفس كنعان المتوسطة  
بينها ؟ على أنه ورد في التوراة أن اليعازر الدمشقي ، عبد ابراهيم ، أخذ عشرة  
جمال من جمال مولاه ومضى الى العراق ( تك ٢٤ : ١٠ ) فهذا النص التاريخي  
يفيد أن الابل كانت موجودة في نفس كنعان من ايام ابراهيم ، وفيها ان الجمل  
لا يؤكل ( لا ١١ : ٤ ) فهذا النص الثاني يفيد ان الجمل كان موجوداً ايضاً في  
كنعان التي هي ارض اسرائيل لأيام موسى عليه السلام ، فالقول بأن الجمل لم يكن  
موجوداً في كنعان ايام يعقوب واولاده غلط تاريخي .

## المراد بالمؤذن

الملحوظة الثانية — كلمة « اذن » في قوله « اذن مؤذن » بالتشديد تفيد كثرة الاعلام ، ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه ، واما « آذن » فاعلم تفيد الاعلام ولو مرة واحدة .

## بدر المعركة بينهم يوسف واخوته بابقاعهم في مأزق حرج مع ابيهم

الملحوظة الثالثة — من ههنا ، اي من قوله : « فلما جهزهم » تبتدىء المعركة بين يوسف واخوته وستنتهي بانتصار يوسف عليهم عند قوله : ﴿ فلما استياسوا منه .. الخ ﴾ ( ع ٨٠ ) ، فلكتاني به قد سمع من شقيقه بنيامين تلك التعهدات القوية التي صدرت من رأوبين ويهوذا لأبيهما ، فلذلك ولكون يوسف يعتب عليها اكثر من باقي إخوته ، لأنه كان يركن اليها اكثر من غيرها ، فقد عول على ان يوقع الجميع منهم في مأزق حرج مع ابيهم ، وان يعمل معهم عملاً يقابل عملهم ، بحيث يدخل على جميعهم الكرب والهجم ، لأنهم كانوا أنزلوه في جب الماء ، فأراد ان ينزلوا في اتون من نار الهم والغم ، وهم كانوا قالوا له حينما ألقوه في الجب : « خذ يا صاحب الأحلام » فقال لهم الآن : « خذوها ايها الظلام » كانوا عملوا معه عملاً يريدون به ان يخلو وجه ابيهم لهم ، فأراد ان يعمل معهم عملاً ، يلفت عنهم وجه ابيهم جزاءً وفاقاً ، فذر الرماد في العيون ، وهياً لهم ضربة اليمه ، كما كانوا ذروا الرماد في عيون ابيهم وآلموا يوسف ، جزاءً وفاقاً ، فكان يوسف يقول : احصدوا أشواك اعمالكم السابقة .

ويقول الشاعر :

إذا قيل رفقا قلت للحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل

أو يقول

وقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن اقحم حتى لات مقتحم

هو عمل معهم هذه الحيلة المسيئة لهم التي سيضيعون منها ذرعاً ، لأنهم سبق  
انهم عملوا عليه تلك الحيلة المسيئة ايضاً ، وهي اخذه من ابيه بحجة انه « يرتع  
ويلعب » فما كان منهم إلا انهم انزلوه في غيابة الجب وقد قيل : « الهزيمة  
تعلم الظفر » .

### اتفاق يوسف مع بنيامين على تسريقه

الملحوظة الرابعة — إن قال قائل ما الدليل على أن يوسف اتفق مع أخيه بنيامين  
على تسريقه ليقيم عنده ، فهل ورد بذلك حديث عن المعصوم ، أو هل يوجد في  
القرآن ما يشير لذلك ؟ قلت لا هذا ولا هذا ، إنما دليلنا على ذلك كون يوسف  
شقيقاً ومحباً مخلصاً لبنيامين ، وبنيامين كان عنده كضيف نزيل كريم ، وهذه  
الضيافة كانت بدعوة سابقة من يوسف ، فمع هذه الأحوال لا تقدر أن تتصور أن  
يوسف دبر هذه المكيدة لبنيامين بدون أن يشعره ويتفق معه عليها ، وإلا كان  
ذلك قطعاً للرحم ، وأذىً كبيراً للضيف الكريم البريء ، وقد قال تعالى « والذين  
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً »  
(٣٣ : ٥٨) .

### مبرات قبول بنيامين

الملحوظة الخامسة — إن قال قائل « كيف رضي بنيامين بهذه الاهانة ووافق  
عليها ووقف بازاء أخيه موقف السامع المطيع ، موقفاً إيجابياً محضاً ، مع أنه يوجد  
له ثلاثة موانع ، تمنعه من موافقة أخيه : أولها المحافظة على شرفه ومروءته أمام  
المصريين والحكومة وخوفه من الوقوع في الخجالة معهم ، وثانيها ، تسبب بنيامين

بقبوله هذا الأمر في إدخال الكدر على إخوته الذين جاؤا به من عند أبيه بعد اللتيا والتي ، وبعد ما أعطوه الأيمان المخرجة ، والهود الوثيقة ، وثالثها ، إدخال زيادة الهم والنم على قلب أبيه يعقوب ؟ .

فإننا نجيب عن الاول بأن المتهمين له خادم بيت يوسف، الخصاص وأتباعه الخصوصيين، وهم في الباطن يعرفون انه غير سارق ، لأنهم ، على قول ، هم الذين جعلوا السقاية في رحله بيدهم ، فالمسألة كانت ضمن دائرة الخفاء بين يوسف وخدمة بيته لا غير ، وهم لما رجعوا إنما رجعوا لبيت يوسف ، لالدار الحكومة في البلاط ، وهو ما نعلمه من التاريخ ، ويعلم أيضاً من التوراة ( تك ٤٤ : ١ - ١٤ ) ونجيب عن الثاني بأن بنيامين عمل ذلك لأن إخوته كانوا أوغروا صدره عليهم بما سبق انهم عملوه مع شقيقه يوسف ، وبما كانوا يعملون معه نفسه ، حسبما يفهم من قوله « فلا تبتئس يا كانوا يعملون » ثم قوله لهم « هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه » ، ونجيب عن الثالث بأنه كما لا يمكن إنكار احتمال أن هذا العمل يدخل على أبيه غماً وهماً ؛ فلا يمكن إنكار احتمال ان هذا العمل يدخل على أبيه ارتياحاً وسروراً ، فإننا نعتقد أن يعقوب اتخذ من هذا العمل بشرى عن ولده يوسف بأنه - في الجملة - في مصر، لاسيما اذا انضم اليه ماسبق في السفارة الأولى من أنه جهزهم بجهازهم ، وأوفى لهم الكيل ، وكان لهم خير المنزلين ، وجعل بضاعتهم في رحلهم ، وكان قال لهم بغتة : « اثنوني بأخ لكم من أبيكم » ثم انه في السفارة الثانية أنزلهم ضيوفاً في بيته ، وجهزهم بجهازهم ، وأرجع لهم فضتهم أيضاً وأخذ بنيامين عنده بحجة عمل لم يعهد عليه قبله انه عمله - فكل هذه الاشارات والرموز ، هي برقيات لاسلكية ، وأحاجي لا يفهمها ولا يحلها إلا ذو فهم دقيق ، وشعور رقيق كيعقوب عليه السلام ، ولذلك نراه بعد ذلك قال :

« عسى أن يأتيني بهم جميعاً » ثم قال : « إني أعلم من الله ما لا تعلمون » ، ثم قال

آ (٧٠) الرد على من قال ان يوسف قال لبنيامين انا اخوك اخوة صداقة وحب ١٠٧٣

« يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ، وكل هذا إنما بناء يعقوب على تلك الاشارات التي دارت بينه وبين ولده يوسف ، وإلا إذا كان يعقوب يعرف أن ولده يوسف حي ، فمن أين عرف أنه بمصر ، حتى قال لهم ( اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ) ، لولا تلك الاشارات الخفية ، التي كان يرسلها يوسف لأبيه مع إخوته ، دون أن يحوموا حول فهمها خوفاً من إيذائهم وإضرارهم إياه ، فيوسف كان ساكناً ، ولكن أفعاله تتكلم ، وإخوته تحمل هذا الكلام الرمزي ، دون أن يفهموه ، الى من يفهمه وهو أبوهم عليه السلام ، كساعي البريد يحمل الأخبار السرية والرسائل دون أن يطلع عليها ؛

**الرد على من قال ان يوسف قال لبنيامين انا اخوك اخوة صداقة وحب**

وإن قال قائل : نقل المفسرون عن وهب بن منبه انه قال : « إنما قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود أي أنا صديقك ومحب لك ، وعاضدك عوضاً عن أخيك الفقيد يوسف ، فهي أخوة صداقة وحب ومساعدة ، لأخوة نسب ، وعليه فبنيامين لم يفهم قط ان المتكلم معه هو يوسف أخوه النسبي ، ولم يصر بينه وبينه اتفاق على تسريقه ، بل بنيامين سُرِّق دون أن يكون له شعور بذلك ، قلنا في جوابه إن وهباً استند في هذا على ما في توراة اليهود ، فانها تفيد أن بنيامين لم يكن له شعور بذلك ( تك ٤٤ ) وبرُدُّه انه خلاف الظاهر من قوله : ( أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ) والا ولذي معنى مضى ، فلا يمكن تداركه وتلطيفه ، لأن أخوة « فوطيفار » التي هي أخوة صداقة ومساعدة ، لا تمنع بنيامين فيما مضى من الايام ، بل فيما يأتي فقط ، وإنما بصح تفسير وهب لو قال : « أنا أخوك ، فلا تبتئس بما سيعملون » .

## كيف جوز يوسف لنفسه ان يعمل على اخوته حيلة تسريق بنيامين ليأخذه بها

الملحوظة السادسة — إن سأل سائل : كيف جوز يوسف عليه السلام لنفسه أن يعمل على إخوته العشرة هذه الحيلة المسيئة التي أزعجتهم أيما إزعاج ؟ فالجواب أنه أراد أن يعرفهم انه كما هو قوي بسلطانه وشوخته وجنده ، فكذلك هو غير غبي عن طرق الحيل التي هم يتقنونها ، ويرتكزون عليها ، قائلين : « رب حيلة أنفع من قبيلة » فكما جربوا وعملوا عليه الحيلة حتى أخذوه من أبيه ، وأوقعوه في الجب وغربوه ، وكما عملوا الحيلة ثانياً على أبيه حينما جاؤوا بدموعهم ودم معزاهم ، فكذلك هو قدير على هذا النوع من الحيل ، وبعبارة أخرى : أراد أن يعرفهم من هو ؟ حتى في ضروب الحيلة التي يعرفونها فكما أنه لا يعرف الشجاع إلا الشجاع ، فكذا لا يعرف المحتال سوى المحتالين .

وإليك جواباً ثانياً ، وهو أن يوسف عليه السلام كان يعرف أنهم أصحاب عرامة ، وذوو شراسة ، فأراد أن يخضع من شوكتهم ويفت في عضدهم ، تنزيلاً لنفوسهم المتكبرة ، وإضعافاً لقوتهم المتحكمة ، فأتى هذه الحيلة المزعجة لأفكارهم ؛ وبعبارة أخرى : يوسف كان لا يزال في نخوف من شر إخوته وحماسهم ونزقهم ، فرأى أن يعمل معهم عملاً يخفف جانباً من قوتهم ، ويشذب بعضاً من حماسهم ونزقهم ، ويطامن من نخوتهم ، ويكسر من زهوهم ، ويقمع من طغيانهم ، تأديباً وترويضاً ، وعليه ولأنه من جهة ثانية يريد بقاء شقيقه عنده دونهم ، رأى أنه قد يسوغ له — خصوصاً في شرعه — أن يجري هذه الحيلة ، ليصيد بها صيدين : الأول أن يبقى بنيامين عنده والثاني أن يؤدبهم ويهدبهم ويكسر من حدتهم وكبرياتهم وشكيمتهم ، فعل ذلك اضطراراً ، لا تشبهاً ولا اختياراً ، وكأنه في ذلك كالعبد في اصطلاح الجبرية ، مجبور باطناً ، مختار ظاهراً ، فإن كان يوجد عبيدٌ هم كذلك ، فمنهم بل أمثلهم في هذا المقام خاصة يوسف ، أمّا انه مجبور باطناً ، فلأنه أراد

تشذيب شرهم ليسلم منهم وأما أنه مختار ظاهراً ، فلأن خادمه الذي فعل ذلك بأمره يرى أن يوسف اختار ذلك من تلقاء نفسه بطواعيته ، وبحسب تشبیهه ، دون أن يكون له دافع مجبر ؛

وجواباً ثالثاً ، وهو لعل يوسف أراد أن يكون رسول « الارادة الالهية » فجازى مكرراً بمكر ، فهو إذ مكرروا عليه وعلى والده ، واخذوه منه بالختل والدهاء ، أراد أن يظهر بمظهر آلة قصاص لهم ، وأن يجازي مكرراً بمكر ، فكان في ذلك العمل مظهراً من مظاهر اسمه تعالى « المنتقم » قصاصاً من المعتدين ، فنصب هذه الأحبولة ، وأما ما لحق أباه من جراء هذا العمل ، فهو أمر طبيعي حاصل عرّضاً وبالتبع ، ولم يكن مقصوداً ، لأن شأن البلاء أن يعم ، أو هو من طبائع حوادث القصاص في الكون ، قال تعالى : ﴿ واتّقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصةً ﴾ ( ٢٥:٨ ) ، ومن حديث ابن عمر : « إذا أراد الله بقوم عذاباً ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على أعمالهم » ، يوسف أراد أن يرميهم بحجر نظير حجرهم الذي كانوا رموه به سابقاً ، أراد أن يربطهم بوتر نظير وترهم الذي كانوا ربطوه به قديماً ، أراد أن يكيد لهم كما كادوا له ، قال تعالى : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحُرّماتُ قِصاصٌ ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ ( ١٩٤:٢ ) ، فكل ما يجب احترامه ، يجوز انتهاك حرمة قصاصاً ، فكما جاز للمسلمين مقاتلة مناوئهم في الشهر الحرام من أشهر الحج ، لأنهم كانوا قاتلوا المسلمين عام الحديدية رمياً بالسهام والحجارة ، وصدوهم عن دخول مكة ، وكان ذلك في ذي القعدة من الأشهر الحرم ، فكذا جوز يوسف لنفسه إجراء هذه الحيلة ، وإن كانت تحزنهم ، لأنهم كانوا أحزنوه سابقاً بالحيلة التي أجروها عليه ، وقال تعالى : ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ﴾ ( ٣٩:٤٢ ) ، فالثمهم يكره أن يذلّ لثلاثي تجرأ عليه ثانياً ، والمنتصر لنفسه محمود



على انتصاره ، إذ لا حرج على الانسان أن يأخذ حقه قصاصاً غير متعد حد الله تعالى ، وإن كان العفو أفضل ، والمافي ممدوحاً أكثر ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ ( ٢٣٧:٢ ) ، ﴿ وَلَسِنَّ صَبْرُكُمْ لَهَوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ( ١٢٦:١٦ ) ، ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ( ٤٣:٤٢ ) ونظيره ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لحسان بن ثابت أن يهجو قريشاً بعدما طفقوا يهجون مقامه الشريف ، لكي يجازي هجواً بهجو : ﴿ وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ( ٤٠:٤٢ ) ، ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ﴾ ( ١٢٦:١٦ ) ، ﴿ وَلَمَنْ آتَى صَرْحًا بَعْدَ ظَمَرٍ فَوَلَّكْنَا مَاعْلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ( ٤١:٤٢ ) ، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ( ٢٥١:٢ ) ، قال الشاعر :

لست ذا ذلة إذا عضني الدهر      ولا شاخاً إذا واتاني  
أنا نار في قلب من يظلموني      أنا ماء جار مع الخلان  
وقال مرابط العنبري :

لو كنت من «مارن» لم تستبح إلي      بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا  
إذا لقام بنصري معشر خشن      عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا  
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم      طاروا اليه زرافاتٍ ووحداناً

فيوسف كان في مقاصته لآخوته على مذهب « المازنيين » لآعلى مذهب « العنبريين » ، وكان على المذهب الذي تمذهب به أبو الطيب حيث بقول :

وإني لمن قوم كائن نفوسهم      بها أنف أن تسكن اللحم والعظما  
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني      ولا صحبتي مهجة تقبل الظما

أو على مذهب « الفند الزماني » في قوله :

وبعض الحليم عند الجهل للذلة إذعان      وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

وجواباً رابعاً — « قد لا يقاوم الشر إلا بالشر ، وقد لا يدفع الظلم إلا بالظلم ، وقد لا يبرأ العليل إلا بتجريبه الدواء المر ، وقد لا يشفى الجريح إلا بقطع شيء من جسمه ، وحامل السيف لا يغمده في غمده ، إلا أمام حامل سيف مثله ، والظالم الجارف لا يقف عن جريانه إلا إذا وجد في وجهه سداً يعترض طريقه ، والظالم لا يظلم إلا إذا وجد بين يديه ضعيفاً ، والمحتمل لا يحمّل إلا إذا وجد أمامه غيباً ، والناس لا يتحامون ولا يتحاجزون ولا يأمن بعضهم بأس بعض إلا إذا برزوا جميعاً في ميدان واحد ، يتقلدون سلاحاً واحداً ، من نوع واحد ، (١) »

كان الممهود من طبع اخوة يوسف انهم يكفرون صفو الحياة ، فخشي أن يمسكوه اليوم كما أمسكوه سابقاً — من موضع الضعف منه ، وما هذا الموضع إلا أنهم يعلمون أنه لا يعرف شيئاً من الحيل ، التي يعرفونها ، ولذلك رأى أن لا بد أن يعمل معهم عملاً يوقعهم في حيص بيص ، يلبسه على خستوته ، ويسیغه على كدورته ، ليعرفوه من هو ، وليعلموا أنه يعرف ما يعرفون ، فمثل كمثل السائر ، يعترضه الجبل ، فلا يجد بداً من اجتيازه ، نعم لا ريب أن الطريق بغير الجبل يكون أجمل وأسهل وأنضر ، ولكنه صادف أنه كان في طريقه ولا بد من اختراقه ..

وجواباً خامساً « ثبت في الصحيح أنه إذا عبر أهل الجنة الصراط ، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض ، مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا ، أدن لهم في دخول الجنة ، فلا يدخلون الجنة إلا بعد التهذيب والتنقية ، كما قال تعالى : ﴿ طَبِّئْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٧٣:٣٩) ، وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، وبناء عليه فكأن يوسف عليه السلام ، اعتبر أن مصر جنة ، وأن فلسطين

بالنسبة اليها كأنها نار ، وأن إخوته قد وصلوا للصراط الذي بين الجنة والنار ،  
فأراد أن يقتص منهم وهم على الصراط ، حتى إذا ما هذبوا ونقوا ، قال لهم :  
« طبتم فادخلوها خالدن » .

هذا ما ظهر للعبد الحقير ، والله تعالى أعلم .

**شبه حادثة يوسف هذه بحادثي العبد الصالح الذي خرم السفينة وقتل الغلام**

الملاحظة السابعة — حادثة يوسف هذه تشبه حادثي العبد الصالح الذي  
آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً ، إذ خرق السفينة ، ثم قتل الغلام ،  
فما كان جواباً عنها ، فهو الجواب عن حادثة يوسف هذه عليه السلام .

**استفهام افوة يوسف واستهجانهم نسبة السرقة اليهم**

آ (٧١) ﴿ قَالُوا : - وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ - مَاذَا تَفْقِدُونَ ؟ ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية الاحدى والسبعون فقام برهات الدين

الدرعاوي (١) وقال :

سمع إخوة يوسف صرخة الصارخين وراءهم ، فأجفلوا ، و ( قالوا ) بلهفة  
وامارات البغته تبدو من أسارير وجوههم ، و ( قد ) ( أقبلوا عليهم ) أي على  
المؤذن ومن معه ، محولين عنان دوابهم اليهم ، ( ماذا تفقدون ؟ ) بلهجة الاستفهام  
الذي يمازجه استغراب ، وفيه شيء من استهجان نسبتهم للسرقة .

(١) نسبة الى درعا من بلاد الشام ( حوران )

## الصواع المفقود

آ (٧٢) ﴿ قالوا : نَفَقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ ، وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حَمْلٌ  
بَعِيرٍ ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . ﴾

ثم تليت الآية الاثنتان وسبعون فقام تاج الدين العكي وقال :

( قالوا ) أي المؤذن ومن معه من الصارخين ( ن فقد صواع الملك ) الريان ،  
— وكل ما يشرب به فهو صواع ، ويقال له أيضاً صاع ، وقيل هو إناء الشرب إذا  
كان من فضة أو ذهب ، وأما « القدح » فهو ما كان من زجاج ، و« العُسَّ » من  
الخشب ، و« العلية » من الأدم ، و« الطَّرْجَهارة » من الصفر ، و« والميرَكن »  
من الخزف (١) ، ولم ترد كلمة صواع في القرآن الا في هذا المحل ، وكان هذا  
الصواع من فضة ، وتقدم تسميته بالسقاية وسماه في التوراة « طامساً » — وهو  
ليوسف عليه السلام ، وإنما نسبه هنا للملك ، لأن كل ما كان ليوسف وغيره من  
المأمورين فهو من الملك وللملك ، أو يقال أراد « بالملك » من له شيء من الملك ،  
كما سيأتي ليوسف ان يقول : ﴿ رب قد آتيتني من الملك ﴾ ، فالملك إذن يوسف  
نفسه ، وآثروا التعبير به تهويلاً على السامعين ، ( ولمن جاء به حمل بعير ) لأقله  
من خالص الحب وجيده ، يَعْتَامُهُ من القمح الصافي ، فإن جاء به من رحله ،  
أخذ حمل البعير مقدمة او هدية ، بعد العفو عنه ، لأن الاعتراف يهدم الاعتراف ،  
وان جاء به من رحل غيره اخذه على انه جُعالة او عمالة (٢) او اجر او حلوان ،

(١) فقه اللغة ، ومنه يعلم ان كلمة صواع لم تحدث لهذا الاءاء جديداً حينما صار يكال به .

بل هي اسم له عتيق قبل ان يكال به .

(٢) الجعالة ما يجعل للانسان من الرشا والمصانعات والعمالة ما يسمى للعامل لقاء عمله .

مع شكره ، فنحن مستعدون ان نجمع له بين الماديات والمعنويات ، وهو في اي قالب وضع ذلك فهو حر ، على كل حال نحن مستعدون لمجازاته بالحسنى ، فارشدونا لذلك ، ارشدكم الله تعالى ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق واتم تعلمون والبعير بمنزلة الانسان ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة ( سيرافي ) — كان حمل البعير في ذلك الحين العصيب ، حين الأزمة وساعة العسرة يساوي مبلغاً لا يستهان به ، مبلغاً له قيمته ، فالوعد به اذ ذاك كالوعد بسعادة مستقبلية ، او بضمانة الحياة ، ومن هنا اقتضى الحال ضرورة وجود كفيل ، يتعهد بتحقيق هذا الوعد الهام ، ولهذا قال : ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ وازعيم غارم ، وانا له ضمين ، والضمين مسئول ، وانا به كفيل ، والكفيل كالأصيل ، وانا له حميل ، والحميل مطالب ، وسأكون اول مصفق له ولرؤيته ، إن اراحنا من عناء التفتيش ، وقد جاءت هذه اللفظة في قوله تعالى : ﴿ سَأَلْتَهُمُ أَتَيْتُمُ بِذَلِكَ زَعِيمًا ﴾ ( ٤٠ : ٦٨ ) ولم يقع هذا اللفظ في كتاب الله في غير هذين الموضعين ، وهما بمعنى واحد وهو الضامن للشيء المتكفل به ، هذا هو معناه عند العرب ، واما اهل اليوم فيكثر استعمالهم له في الذي يتكلم عن القوم ويحتج لهم ويحامي عن حقوقهم ومصالحهم ، ضامناً لهم النجاح والغلبة ، فهو بحسب استعمالهم هذا يفيد معنى الضمان والرأسة .

### اخوة يوسف يرددون التهمة

آ (٧٣) ﴿ قَالُوا : تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ .

ثم تليت الآية الثالثة والسبعون فقام الشهاب الحيفاوي<sup>(١)</sup> وقال :

سبق أن مندوبي « العزيز » سألوا إخوة يوسف عن الصواع ، وقالوا لهم ،

( ١ ) نسبة الى حيفا من بلاد فلسطين

هانحن أولاء سألناكم ، فما رأيكم وما علمكم ؟ ها قد سمعتم صوتنا ، فأسمعونا صوتكم ، وأطلعونا على جلية الأمر ، وأما إخوة يوسف فلما سمعوا كلام المؤذن ورفقائه ، تعجبوا جداً وأحفظهم هذا السؤال ، وأغضبهم وغازبهم ، وتقززت منه نفوسهم ، لأول وهلة ، و ( قالوا ) لسنا هناكم ، ما أبعد وهمكم ! هي والله الفحشاء واللؤم ( تالله لقد علمتم ) أننا ( ماجئنا ) مصر ( لنفسد في الارض ) ونعيت في مملكتم تعجب إخوة يوسف من نسبة السرقة اليهم ، ونفهم هذا من التاء ، لأنها وإن تكن حرف قسم كالباء والواو ، ولكن فيها زيادة معنى التعجب ، كما ذكره الزمخشري في تفسير سورة الأنبياء .

وإنما قالوا « لقد علمتم » فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتي مجيئهم ، وورد أنهم قالوا لهم : هذه الفضة التي وجدناها في أفواه عدالتنا رددناها إليكم من أرض كنعان ، فكيف نسرق اليوم الصواع ؟ ! . . .  
والفساد ضد الصلاح ، فكل ما يخرج عن وصفه الذي يكون به صالحاً ونافعاً يقال فيه أنه فسد ، ومن عمل عملاً كان سبباً لفساد شيء من الأشياء يقال إنه أفسده ، فإزالة الأمن عن النفس أو الأموال أو الأعراس إفساد في الارض ، وإخلال لنظام الاجتماع وأسباب المعاش ، ( وما كنا ) قط ( سارقين ) أي نوصف بالسرقة .

سمعوا هذه التهمة التي ألصقت بهم ، فأكبروها وأعظموها ، وظهرت الأنفة على وجوههم ، ممزوجة بشيء من اضطرابٍ ورعدةٍ في الحواس ، وملامح الغضب تلوح على جباههم وصاروا ينظرون الى مندوبي العزيز شزراً ، وقالوا بنعمة جافة وقد عقدوا بين حواجبهم : تبا علينا ، ماهذه الظنونات التي تظنونها فينا ؟ بعد ما عرفتمونا وجربتمونا ، فلقد عرفتم تاريخ حياتنا ومسوابق أعمالنا ، وتبينتم حقيقتنا ، وان انطباق هذه على هذه هو أيسر من إثبات السرقة علينا ، « وأين الرقمتان من وادي الفضا » ، هل نحن متلصصون ؟ . . هل نحن متشردون ؟ . . لا بد أن يكون

١٠٨٢ استدراج الاخوة للحكم على أنفسهم بنفسهم بجزاء سارق الصواع آ (٧٤)

ذهنكم عالقاً حتى الآن بما كنا فعلنا من إرجاع بضاعتكم اليكم ، فكيف تقدم على هذه العظيمة التي هي زيادة عن كونها سرقة ، ففيها جرأة على « العزيز » وحكومته ، ونكران لجميله الذي أجراه معنا ، فهل نحن ماثقو الضمير لهذه الدركة ؟ . . أف وتف من هذه النسبة التي لطختمونا بها ! ! . .

ج الاخوة للحكم على أنفسهم بنفسهم بجزاء سارق الصواع

آ (٧٤) ﴿ قالوا : فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ﴾ ؟

ثم تليت الآية الرابعة وسبعون فتابع الشهاب الحيفاوي كلامه قائلاً :

قال مندوبو « العزيز » الى اخوة يوسف ، وقد نظروا اليهم شزراً : لأف ولا تف ، أتظنون اننا نلقي القول جزافاً ، ولانفكر فيما يثبتته ويحققه ؟ طاش سهمكم ، ، إن البحث هو الذي يظهر صدقكم من كذبكم ، ( فما جزاؤه ) — الضمير للصواع — أي فما جزاء سرقة ، ( إن كنتم كاذبين ) في جحودكم وادعائكم البراءة منه ؟ هذا سؤال تقدمه لكم ، أفتونا ماجورين أو مشكورين ، وأفيدونا بالحكم القضائي في هذه الحادثة ، وخلاكم ذم ، فأجيبوا فأنتم أعلى برأيكم عيناً . ويمكن أن تقول بعبارة أخرى :

قال رجال العزيز لإخوة يوسف : أخفضوا أصواتكم ، واعرفوا مع من تتكلمون ، ومن هم الذين تخاطبون ، إنكم لستم تخاطبون جماعة من السوق ولكنكم تخاطبون جمعاً من خدمة الحكومة المكسوسية ، وليست المسألة مسألة أيمان ، ولا اعتماد على وجدان ، بالله عليكم دعونا من الدعاوى العريضة ، فنحن لانتعبر الأقوال ، لكن الأعمال ، وإن أحسن حكم بيننا وبينكم هو القرائن الراهنة ، والدلائل الساطعة ، ولانعلم هذا إلا من نتيجة التفتيش ، وعند الامتحان ، يكرم

المرء أو يهان ، ونحن نريد أن تتحاطم معكم إليكم ، وننزل على حكمكم ، فمع أننا قد اعتبرناكم خصوماً ، تقبل أن تكونوا علينا قضاة ، فاحكموا بيننا بالقسط والنصفة .

ماقولكم دام فضلكم ، فيما لو تبين كذبكم ؟ وانه كذب خبريت (١) وان الصواع معكم ، فما تقولون حينئذ وبأي حكم تحكمون ؟ نرجوكم الجواب ، ولكم من الله الثواب .

وقبل الختام نقول : تبارك الله التقدير ! ما أكبر الفرق بين الأنبياء وغيرهم؟! يعقوب جاء إليه أولاده ، ينعون له يوسف وينبئونه بافتراس الذئب إياه ، فلم يصرح لهم بأنهم كاذبون ، مع انهم كانوا كذلك ، وهو يعتقدهم كذلك ، لكنه صعب على طبعه اللطيف أن يواجههم بكلمة « كاذبين » وأما هؤلاء الجنود المصريون فوصفهم وواجههم بكلمة « كاذبين » مع انهم ما كانوا كاذبين ، والمصريون لا يعتقدونهم كاذبين ، فما أكبر الفرق ..؟

### الجزء من جنس العمل

آ (٧٥) ﴿ قالوا : جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ ، فَهُوَ جَزَاؤُهُ ،

كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ... ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية الخامسة وسبعون فقام الشيخ الجولاني (٢) وقال :

( قالوا ) أي اخوة يوسف ، والشرباد في عيونهم ( جزاؤه ) أي جزاء

سرقته في شريعتنا نحن آل يعقوب أن يؤخذ ( من وجد في رحله ) وليكن من كان ( فهو جزاؤه ) ولا كرامة ، — وهذه الجملة تقرير للحكم — أي فأخذ السارق

(١) كذب خبريت : خالص مجرد لا يستره شيء

(٢) نسبة الى الجولان من بلاد الشام



نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك : « حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه ، فهو حقه » ، لتقرر ما ذكرته من استحقاقه ( كذلك ) بدون أسف طبعاً ( نجزي الظالمين ) فوقفنا واحد ، مع القريب والغريب ، برنامج ثابت لمجازاة كل ظالم ، لن نجد له تبديلاً ولا تحويلاً ، وإن سكوتنا عن هذا الظالم السارق يعد جريمة ومشاركة له في ظلمه وسرقته ، فلا بد لنا من مجازاته ، إحقاقاً للحق ، وانتصاراً للشريعة العبرانية ، وتأيداً للقوانين السماوية العادلة .

( قالوا : جزاؤه من وجد .. الخ )

— ٢ —

وقال العلامة الشويكي (١) :

جزاء السارق في شريعة آل يعقوب أخذه كعبد

سمع إخوة يوسف كلام مندوبي « عزيز مصر » فاشتموا منه جفاءً ، واستروحوا منه شدة ، فكادوا يتميزون من الغيظ ، وصار الشرر يتطاير من عيونهم وتلكهم التهييج العصبي ، ولكن الأمر كما يقال : « العيين بصيرة واليد قسيرة » فهؤلاء المتكلمون هم أصحاب البلاد المسيطرون ، وإخوة يوسف ضيوف غرباء ، لذا قالوا بصوت يرتعش ، نحن لانعبأ بهذا التهديد ، بل نقول لكم إن جزاء سارق الصواع هو أخذ صاحب الرحل الذي تجدونه في رحله ، لأن كل غادر مأخوذ ، وإننا نجزي الظالمين في شريعتنا بهذا الجزاء ، ولانجزئهم بسوى ذلك ، بحيث لانجزئ نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها فدية ، ولانتمفها عندنا شفاعاة ، ولا أحد يقوم بنصر هؤلاء الظالمين ، هذي هي فتوانا ، والبحث والتحري هو الحكم بيننا وبينكم ،

(١) نسبة الى الشويكة احد احياء دمشق .

هذا وقد حمى وطيس الشجار ، واشتدت بينهم نار الحوار ، الى أن كانت النتيجة أن مندوبي « العزيز » سمعوا هذه الفتوى من اخوة يوسف فاطمأنت قلوبهم عندما تلقفوا هذا الجواب المنتظر ، واعتقدوا انهم وصلوا المطلوب لهم لأنهم لم يسألوا إخوة يوسف السؤال السابق إلاّ وهم يرجون أن يسمعوا منهم هذا الحكم العبراني .  
وأخيراً أختتم كلامي بالملاحظات الآتية :

### إقامة الظاهر مقام المضمّر في قوله جزاؤه

أولاً — كلمة « جزاؤه » في الآية مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر فيها إقامة المضمّر ، والأصل : جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ، فوضع الجزاء موضع هو ، كما تقول لصاحبك : « من أخو زيد؟ » فيقول لك : « أخوه من يقعد الى جنبه فهو أخوه » أي فهو هو ، ولكنه أقام الظاهر مقام المضمّر .

### جزاء السارق في سنى السرائع

ثانياً — إن ما ذكر في الآية الكريمة من الحكم هو حكم السارق في الشريعة العبرانية الإبراهيمية ، الذي خلاصته ان جزاء الشيء المسروق هو نفس السارق ، فيؤخذ كعبد ، ولا أعلم مقدار مدة عبوديته في الشريعة الإبراهيمية ، غير ما قاله المفسرون ( والمعده عليهم ) ، أنها سنة ، وأما جزاؤه في الشريعة الموسوية ، فهو انه إن كان عنده مال أخذ منه بقدر ما سرق مضاعفاً ، والاّ أخذ عبداً ست سنوات ، قال في التوراة في السارق : « إنه يُعَوِّض ، فإن لم يكن له ، يُبَع بسرقة » ( خر ٢٢ : ٣ ) قال في السنن القويم : « ذهب أكثر المفسرين للتوراة الى أن مقدار العِوَص مضاعف قيمة الخسارة ، وفسروا بيعه بسرقة ، أنه يكون عبداً لرب البيت ست سنوات ، فيكون قد أوفى بذلك ما عليه » .

وأما شريعة المصريين ، فهي انه يجب على السارق أن يدفع ضعفي قيمة المسروق لا غير ، وليس فيها استرقاق .

وأما حكمه في شريعتنا المحمدية فهو كما قال الله تعالى : ﴿ السارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما ، جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ، واللهٌ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ ( ٤١:٥ ) وقد اختلف علماء الاسلام في القدر الذي يوجب الحد من السرقة ، فذهب جمهور السلف والخلف ، ومنهم الخلفاء الأربعة الى أن القطع لا يكون إلا في سرقة ربع دينار ، أي ربع مثقال من الذهب ، أو ثلاثة دراهم من الفضة ، وعلى هذا الأئمة الثلاثة ، وأما مذهب الحنفية فهو أن النصاب الموجب للقطع عشرة دراهم فاكثر ، ولا قطع في أقل منها .

### الاسترقاق في شتى الشرائع

ثالثاً — نتعلم من هذه الآية أن الاسترقاق كان موجوداً في الشريعة الابراهيمية ثم نتعلم من التوراة أنه كان موجوداً في الشريعة الموسوية ، والواقع أن الرق كان فاشياً قبل البعثة المحمدية في العرب واليهود واليونان والرومان . على أبشع صورة وأنكرها ، وههنا يجب أن لا تنسى استرقاق يوسف يبيد « السيادة » التي نشلته من الجب وباعته بمصر ، فلما جاء الاسلام ضيق دائرته ، وحصره في أسرى الحرب ، وأمر أتباعه أن يعتبروا الرقيق كواحد من أسرته ، فقال ﷺ : (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكفوهم من العمل ما لا يطيقون ) الى غير ذلك من الاحاديث .

### كيف جوز يوسف لنفسه ان يجازي اخوته بشريعتهم

رابعاً — نعلم إذا عمل إنسان جريمة في مملكة غير مملكته ، وجب استفتاء

قانون تلك المملكة التي وقع فيها الجرم ، وذلك احتفاظاً بشرف وسلطان تلك المملكة ، ولا يجوز الرجوع في الاستفتاء والحكم لقانون مملكة المجرم ، اللهم إلا ما استثنى من هذه القاعدة القضائية ، وذلك مثل « الملك » إذا وجد في غير مملكته ، وعمل هناك جريمة ، فانه إنما يعامل بقانون مملكته احتراماً لمقامه ، ومثل « سفراء الدول » في الممالك الأخرى ، فانهم إنما يعاملون بقانون دولهم ، وذلك لأجل حريتهم تماماً ، وتوسيع نطاق عملهم في البلاد الأخرى ، واخوة يوسف ههنا ليسوا بملوك ولا سفراء ملوك ، حتى يعاملوا بأحكام مملكتهم ، فما الذي جوز ليوسف عليه السلام أن يوصي عبده ، أن يستفتوا إخوته توصلاً للحكم عليهم بشريعتهم في مملكتهم ، دون الحكم عليهم بشريعة المملكة المصرية ، وأليس في هذا تحقير لمملكة مصر وقوانينها ؟.. ثم أليس في هذا ظلم لإخوته ، لأن في حكمهم في هذه الحادثة صرامة أشد وأغلظ من حكم المصريين ؟ ..

وجوابنا عن هذا: لعل يوسف عليه السلام اعتبر « الجاني » من إخوته « كملك » عمل جنابة في غير مملكته ، فانه لا يعامل إلا بقانون مملكته ، أو كان يوسف اعتبر إخوته كأجانب أصحاب امتيازات فلذلك أراد أن يحاكمهم بقوانينهم ، وعلى كل حال ، فكأن يوسف من جهة عمل لهم شيئاً من الاحترام ، ومن جهة أراد أن يستعبد أخاه ليحظى ببقائه عنده ، فيكون كمن رمى حجراً ليصيد صيدين ، ويحتمل أن هذه التدقيقات لم يكن معمولاً بها في تلك العصور بمصر ، بل كان يجوز أن يعامل الغريب الأجنبي بقوانينه في بلاده ، ولو وقعت منه الجريمة في مملكة أخرى لها قوانين أخرى .

ويحضرني الآن جواب ثالث ، وهو أن القوانين المصرية كانت في ذلك العصر وضعية ، أي من وضع البشر ، ولكن قانون العبرانيين كان شريعة من وضع

السماء ، ومن لم يحكم بها أنزل الله فأولئك هم الكافرون الظالمون الفاسقون ، هذا ما قيسر لنا من الجواب ، والله تعالى أعلم .

### الوقوع في الفخ أو ثبوت السرقة

آ (٧٦) \* ... فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ ، - كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ ، مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، تَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ - \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية السادسة وسبعون فقام الاستاذ الحلبي (١) وقال:

قال لأبناء يعقوب الأحد عشر من وُكِّلَ بهم من المؤذن وجماعته : زيد أن نفتش أوعيتكم ، ما من ذلك بد ( فبدأ بأوعيتهم ) أي بدأ بتفتيش رحلهم ( قبل وعاء ) رحل ( أخيه ) بنيامين ، لنفي التهمة ، على حد قول الشاعر :

وطرفك إما جئتنا فاحبسنه كما يحسوا أن الهوى حيث تنظر

( ثم ) لما وصل المفتش الى رحل بنيامين ، أصاب السقاة فيه و ( استخرجها من وعاء ) من رحل ( أخيه ) أخي يوسف ( كذلك ) أي مثل ذلك الكيد العظيم ( كدنا ليوسف ) بأن ألهمناه أن يوصي معتمده باستفتائه من إخوته عن حكم السارق ، ثم وقفا إخوته أن يوقعوا الجواب على السؤال حسبما ظن وأراد ( ما كان ) يوسف ( ليأخذ أخاه ) بنيامين ( في دين الملك ) في جزاء ملك الديار المصرية ، أي

(١) نسبة الى حلبيون من قرى دمشق ( سورية ) .

آ (٧٦) كيد يوسف لاختوته كان بوحى من الله عقاباً لهم في الدنيا ١٠٨٩.

في المحكمة الجزائية بالديار المصرية — وهو تفسير للكيد وبيان له — لأن الذي كان يحكم به في دين ملك مصر ان يغرم السارق مثلي ما سرق ، لا أن يستعبد ، فالدين ههنا بالمعنى اللغوي هو الجزاء ، كما في « مالك يوم الدين » . ( ١ : ٣ ) ، ﴿ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ؟ ﴾ ( ٣٧ : ٣٥ ) ، ﴿ يَوْمَئِذٍ يُؤَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ ( ٢٤ : ٢٥ ) ، ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَكَوَاقِعٌ ﴾ ( ٥١ : ٦ ) ، ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَأَصْبَأ ﴾ ( ١٦ : ٥٢ ) قال الشاعر :

ولم يبق سوى العدوا ت دِنَام كَا دَانُوا

وورد « كما تدن تدان » أي كما تكافأ وتجازى ، ويحتمل أن يكون المراد بالدين الشريعة ، أي شريعة الجنايات والقصاص والعقوبات ، فيكون لفظ الدين محمولاً على المعنى الشرعي أو العرفي ( إلا أن يشاء الله ) أي ما كان يأخذه لإبمشيئة الله ، بأن يجعل له عذراً فيما فعل ، وقد شاء الله ذلك ( نرفع درجات من نشاء ) في العلم ، كما رفعنا درجة يوسف فيه سابقاً ولاحقاً ( وفوق كل ذي علم عليم ) أي فوق كل صاحب علم أو كل ذي معرفة عليم عارف ، بحيث يكون فوقه بطبقات ، إلى أن ينتهي الإنسان إلى درجة في العلم ليس بعدها أوسع منها إلا علم الله تعالى ، وعندها يقف علم ذلك الانسان .

( فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه .. الخ )

- ٢ -

وقال مولانا عمر البيلائي :

كبير يوسف لاخوته كان بوحى من الله عقاباً لهم في الدنيا

بدأ المفتش يفتش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين فتناولت أعناقهم ليروا ما يبرر كلامهم أمام من اتهمهم ، ثم مشى مشياً متثاقلاً نحو رحل بنيامين ، وما كاد يفتحه .

يوسف م - ٦٩

٢٠٩٠ كيد يوسف لآخوته كان بوحى من الله عقاباً لهم في الدنيا آ (٧٦)

حتى استخرج الصواع منه ، وعندئذ قطعت جهيزة قول كل خطيب ، فاقشعرت  
أبدانهم ووقفت شعور رؤوسهم ، وسكتوا كأنما على رؤوسهم الطير ؛ وأوذلك  
فأجفلوا وبهتوا جميعاً لما نظروه ، مما لم يكونوا يتوقعونه من بنيامين ؛ أما بنيامين فقد  
انصب عليه سوط لوم وطعن من إخوته ، فتظاهر بالخجل وتصنع بالاضطراب تصنعاً  
لم يغير شيئاً من مظاهر عزته وأنفته ، وكأنه لم يعمل شيئاً يذكر ؛ صبر ولم يرد  
أن يكشفهم بالحقيقة ، خوفاً من ظهور الأمر قبل أوامه ، فتبطل الحيلة التي دبرها  
شقيقه يوسف ، فأبقى الأمر مكتوماً الى حينه ، وتحمل تبعه السرقة والتصاقها  
به ، لاعتقاده انه بذلك يخلص من جور إخوته له ومضايقتهم إياه بفلسطين ، وانه  
بذلك رفع من حضيض الأسر ، الى أوج النسر ، وهكذا تمت الحيلة ليوسف ،  
ورب حيلة أنفع من قبيلة ، وبسعيه هذا فاز بطريدته وأخذ أخاه بنيامين .

وأما إخوته فاحسوا بيران هبت في أبدانهم ، وودوا لو تسوى بهم الأرض ،  
ولا كانوا يشهدون هذا المشهد المخجل أمام « عزيز مصر » وعبيده .

كذلك الكيد العجيب كاد الله ، أي دبر وأراد وصنع ويسر ليوسف المكائد  
لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها ، يكيد بها من سبق أنهم كادوه ،  
ويصيد بها من كانوا صادوه « جزاء وفاقا » ، « وواحدة بواحدة جزاء » ، « بالصاع  
الذى تكيل يكال لك » .

روى البخاري في تاريخه من حديث أبي بكر : « اثنان يمجلها الله في الدنيا ،  
البنى وعقوق الوالدين » ، فلمل الله تعالى أراد تعجيل عقاب أولاد يعقوب في  
الدنيا لبغيتهم على أخيتهم ، وعقوقهم لأبيهم ، بأن ألهم يوسف عليه السلام أن يدبر  
هذه المكيدة ، ليدوقوا وبال أمرهم . وفي الحقيقة إن هذا كله يرجع لقدرة الله  
تعالى التي لا تقاوم وإرادته التي لا تغالب ، فلهذا ولما كان الله هو المرجع لكل  
حادث ، والممول عليه في كل الأمور ، نسب هذا الكيد له سبحانه وتعالى .

آ (٧٦) كيد يوسف يجوز أن يكون كيد تكويني راجع للقضاء والقدر ١٠٩١

أو يقال : لما كان هذا الكيد محموداً ومأذوناً فيه شرعاً ، لما فيه من فائدة يوسف وأخيه ، نسب لله ، فقال : « كذلك كدنا ليوسف » ، بخلاف كيد الإخوة ، فإنه شر ليوسف ، ولهذا نسب لهم وللشيطان في قول أبيه له : ﴿ فيكيدوا لك كيداً ، إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ فيوسف ما قصد إلا خير أخيه ، والإخوة لم يقصدوا إلا شر أخيه ، قال الشاعر :

ويصبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاكا

**كيد يوسف يجوز ان يكونه كيداً تكوينياً راجعاً للقضاء والقدر**

ويجوز أن يكون كيد يوسف لإخوته كيداً تكوينياً راجعاً للقضاء والقدر ، أي راجعاً للظروف التي احتاطت بيوسف ، فإن هذه هي مظهر القضاء والقدر ، وتوضيحه أن يقال : إن الظروف والأحوال التي كانت أحاطت بيوسف أخيراً سهلت له أن يكيد لإخوته ، تلك الأحوال هي كونه قد صار من رجال البلاط المتسلطين ، وربما كان قد تعلمه من تأويل الأحاديث ، ومصائر الكلام ، وجماع عرف من شريعتي إسرائيل ثم القبط ، حتى صار فيه أهلية للتصرف في الحوادث ، وكيفية الخروج منها والدخول فيها ، ومقدرة تامة على عمل ما يريد .

**كيد يوسف لا هوته بل من حيث اقتضاه الحال بينه وبينهم او حيث اختاره لنفسه**

ويمكن أن يقال : إنه كان ليوسف عليه السلام وصفان : وصف كونه نبياً ورسولاً ، ووصف كونه وزير مالية وعزيزاً لمصر في البلاط الملوكي ، وسياسياً محنكاً ، فهو باعتبار حالته الأولى ، كان له مساع وأعمال روحية يوفقه الله لها ويساعده عليها ، وباعتبار حاله الثانية ، كان له مساع وأعمال زمنية ، يوفق لها ويساعد عليها من الله ، الذي هو خالق كل شيء ، ولا نشاء إلا ما يشاءه ، قال



تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ، نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ ( ١٤٥ : ٣ ) ، فيوسف نبي ، ولكن لم يكن على منهج إدريس وهرون وركريا ويحيى وعيسى ونحوهم ممن كان نبياً محضاً ، بل كان على منهج إبراهيم وموسى وداود وسليمان ونحوهم . ممن هو نبي وأمير وملك ذو سلطة وبأس ، ومعلوم ان الحالة التي كانت بين يوسف وبين إخوته ، كانت حالة حرب ، لا حالة سلم و « الحرب خدعة » كما في الحديث الشريف ، وقد كان له على إخوته ترة ، فأراد أن يثار لنفسه منهم ، لأنه كره أن يذل نفسه ، فيجتراً عليه ، فاخترت الاقتصاص لنفسه ، ردعاً للتعدي ثانياً ، وهذه طريقة محمودة لمن أرادها ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ ، هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ ( ٤٢ : ٣٩ ) وان كانت طريقة الغفران أفضل ، كما قال تعالى في نفس هذه الآية : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ ، لكن الغفران له أهله ، كما أن القصاص له أهله ، فتبين من هذا أن كيد الله ليوسف من مناوئيه - حيث اختاره لنفسه أو ش اقتضاه الحال - نعمة يمتن بها عليه ، فلهذا قال : « كذلك كدنا ليوسف » .

### لَمْ يَسْرِقْ يَوْسُفَ أَحَدَ إِخْوَتِهِ غَيْرَ بَنِيَامِينَ

فان قال قائل : كان الأصرح في الكيد أن يسرق يوسف أحد إخوته العشرة بني العلات خصوصاً « شمعون » ، فهو أفعل من تسريق شقيقه بنيامين ، وأشد بامساً وأشد تنكيلاً ، فلم عدل عن ذلك وسرق شقيقه المخلص له في الحب ؟ قلنا ليس مقصد يوسف مما عمل إذلال إخوته والكيد لهم فقط ، بل كان هذا حاصلًا ثانياً وبالعرض ، إنما كان مقصوده اولاً بالذات أخذ شقيقه عنده ، فان قال آخر : لماذا كان تسريق بنيامين كيداً ليوسف وانتصاراً على إخوته ؟

فالجواب هو لأنهم كانوا في البدء سعوا بكل جهدهم في سفر بنيامين معهم ، ولما امتنع أبوم شوقوه ورجبوه ، ولكنه لم ينزل على مرغوبهم إلا بعد أن أخذ

عليهم الأيمان المخرجة واليهود المغلظة ، فهذا كان أخذ بنيامين منهم فشلاً عظيماً لهم ،  
وخيبة مخجلة أمام أبيهم ، فهذا وجه اعتبار ذلك انتصاراً لأخيه يوسف عليهم .

( فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ... الخ )

— ٣ —

وقال السيد رشيد الرصاصي<sup>(١)</sup> في هذه الآية الملحوظات والتعليقات التالية :

### يوسف يحتمل على اخوته بالحسنى لشعوره بالضعف نحوهم

الملحوظة الأولى — تعلمون أيها السادة الأفاضل أن يوسف عليه السلام وإن كان قد صار « عزيزاً » بمصر ، وصار « وزير مالىتها » ووكيلاً عن مليكها الريان ، فهو رغمًا عن ذلك كله ، كان لا يزال ضعيفاً أمام إخوته العشرة ، يخاف شرهم ، ويخشى بأسهم ، لأنه مقروض بمخالبهم سابقاً ، ومعضوض بأنيابهم ، فهو كما تقول العامة من الناس « مضبوع » ولذلك احتاج في وصوله لغرضه أن يحتمل عليهم بالحسنى ، فقدّر الشقاء عليهم وهم لا يعلمون ، وأرصد لهم الانتقام من حيث لا يشعرون ، أظهر لهم الرفق واللين ، وهو ينصب لهم مصائد الخدعة ، حيث يقعون فيها ، حيث هو لا يقدر على التظاهر بالبطش ، ولا المصارحة بالانتقام ، ذلك لكثرتهم وقوتهم وجراتهم وسرعة تصديق الناس لهم بطعنهم فيه لو أرادوا ، لأنهم إخوته وأقرب الناس إليه وأعرفهم فيه ؛ هذا منحول ما سمعته من بعض معاصريّ والعهدة عليه .

### ابن جرير تفتيش الأوعية

الملحوظة الثانية — لو قال قائل : هل كان تفتيش الأوعية خارج المدينة في المكان الذي وصل المفتشون إلى إخوة يوسف فيه ، أو أن المفتشين انصرفوا بهم

(١) نسبة إلى الرصافة إحدى المدن العراقية .

إلى يوسف وهناك صار تفتيشهم ؟ قلنا إن المفسرين ( ومنهم العلامة الزمخشري مع الأسف ) على الرأي الثاني . ولكن الحقيقة ان التفتيش حصل خارج المدينة في المكان الذي وصلوا اليهم فيه والدليل على ذلك ١ — قوله : « فبدأ » عبر بالفاء ليفيد ما قلنا ٢ — العقل والعادة ، إذ المعقول والمعتاد انه إذا اتهم جماعة بالسرقة فأدرکوا خارج البلد أن لا يكلفوا بالرجوع للبلد لأنهم ينكرون تلك التهمة ويقولون : ها نحن أولاء وهذه رحالنا فتشونا ، فان رأيتم معنا المسروق مضى علينا الحكم الشرعي ، ورجعنا معكم للحاكم ليفعل ما يريد ، وإلا سرنا لحال سبيلنا مع جماعة المتارين من كنعان .

هذا هو المعقول المعتاد ، وأما ان الجند قالوا لهم : « لا نفتشكم في هذه الطريق ، ولكن ارجعوا للحاكم معنا قضاكم بقضيتكم حتى نصل الى المدينة وهناك عند الحاكم يصير تفتيشكم » فهذا مخالف للعقل والعادة ، ٣ — الواقع ، فان التاريخ ينص بصراحة ان التفتيش حصل خارج البلدة ، ٤ — قولهم فيما سيأتي « واسأل القرية التي كنا فيها والعر التي اقبلنا فيها » ( ع ٨٢ ) ، فهذه « العير » التي استشهدوا بها كانت معهم في الطريق وهم مقبلون من الديار المصرية الى الديار الشامية آيين الى أبيهم ، وهذه العير هي التي وقفت على هذه الحادثة ورأتها رأي العين ، ويجوز لنا أن نقول أيضاً إن هذه « القرية » كانت دسكرة في الطريق ، وهي التي وقع فيها التفتيش ، وليست هي العاصمة التي كان فيها يوسف ، فقد جرت سنة القرآن الحكيم في هذه السورة الكريمة ، أن لا يعبر عن المحل الذي فيه يوسف « بالقرية » بل تارة « بمصر » كما في سابق قوله تعالى : « وقال الذي اشتراه من مصر » ( ع ٢١ ) ولاحق قوله تعالى : « وقال ادخلوا مصر » ( ع ٩٩ ) ، وتارة بالمدينة كما مر في قوله تعالى : « وقال نسوة في المدينة » ( ع ٣٠ ) ، وكلمة « قرية » لم تطلق في القرآن على مصر المعروفة ولا في موضع واحد ، فنأخذ من مجموع هذا الذي ذكرناه أن

هذه القرية كانت دسكرة في الطريق خارج العاصمة التي فيها يوسف ، فإذا صح ما قلنا يكون معنا أربعة أدلة تؤيد ان التفتيش وقع في دسكرة في الطريق وليس بالعاصمة التي فيها يوسف خلافاً للمفسرين .

### تذكير ضمير الصواع وتأنيته

الملاحظة الثالثة : — ذكر ضمير الصواع مرات باعتبار اسم الصواع ثم أتته باعتبار أنه يسمى سقاية ، وهكذا في كل شيء له اسمان مذكر ومؤنث ، مثل : خوان ومائدة ، قتال وحرب ، رمح وقناة ، سنان الرمح وعاليتة ، والخبز .

### كيف جاز ليوسف ان يعمل هذه الحيلة على اخوته

الملاحظة الرابعة — ان قال قائل: كيف جاز ليوسف أن يعمل هذه الحيلة، وهي كذب حنبريت، وفيها إهانة لإخوته، وكسر خاطر لهم، وإلحاق عار، بدون تسبب منهم؟ وكيف قبل بنيامين هذه الإهانة، وقبل أن يظهر بمظهر مارق في نظر اخوته ونظر عبيد يوسف، ثم في نظر أبيه وأولاده، وأولاد اخوته متى بلغهم الخبر؟ وبالتالي كيف جاز ليوسف أن يدخل على أبيه هذا الحزن والقلق بسبب هذا الحادث المصنوع؟!؟!..

فجوابنا عن هذه الأسئلة أن يوسف، عليه السلام فعل ذلك بحسب الرأي وما تقتضيه المصلحة، وتوضيح ذلك يحتاج الي بسط في الكلام، واليكم البيان :

### الرأي واتباع المصلحة مصدر مهم مصادر الشريعة

تعلمون أن مصدر كل شريعة الكتاب وأقوال الرسل وفتاواهم، وهناك أصل ثالث وهو الرأي واتباع المصلحة، وهو كما فسره « ابن القيم » ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أظهر الصحابة في هذا النوع وهو استعمال الرأي فقد روي عنه الشيء الكثير ، فكان يجتهد في تعرف المصلحة التي لأجلها كانت الآية أو الحديث ، ثم يسترشد بتلك المصلحة في أحكامه ، وهو أقرب شيء الى ما يعبر عنه اليوم بروح القانون لاجترافه . ونذكر من هذا القبيل أمثلة منها : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ .. ﴾ الخ الآية ﴿ ( ٩ : ١٦ ) ﴾ فالآية جعلت المؤلفة قلوبهم مصرفاً من مصارف الزكاة ، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يعطي بعض الناس يتألف قلوبهم للاسلام ، كما أعطى جماعة منهم « عيينة بن حصن » و « الاقرع بن حابس » ، ثم في زمن أبي بكر رضي الله عنه جاء عيينة والاقرع يطلبان أرضاً ، فكتب لهما بها ، فجاء عمر فمزق الكتاب وقال : ( إن الله أعز الاسلام ، وأعنى عنكم ، فإن ثبتم عليه ، وإلا فبيننا وبينكم السيف ؟! ) ، فترى من هذا أن عمر علل الدفع الى المؤلفة قلوبهم بعملة هي المصلحة ، فلما ارتفعت هذه العلة بعزة الاسلام وعدم حاجته الى من تتألف قلوبهم ، لم يستمر في إجراء الحكم . كذلك روي أن عمر رضي الله عنه لم يقطع يد السارق في عام الحجاة ، ويوجد من هذا القبيل أمثلة كثيرة ، وأشهر من سار على طريقة عمر تلميذه عبد الله بن مسعود في العراق . وعلم أهل العراق ابتداءً بابن مسعود وختم بأبي حنيفة ثم بأبي يوسف ، ولذلك اشتهرت العراق « بالرأي » ، حتى صار اذا قيل « عراقي » فمعناه صاحب « رأي » كما يعقلته اذا قيل « حجازي » فمعناه تابع « نصوص » .  
وأما التعليقات التي لنا على هذه الآية فهي :

### علم الله فوق كل علم في الكيف والحكم

التعليق الأول — على قوله ( وفوق كل ذي علمٍ عليمٌ ) أي فوق كيف ما يعلمه ، وفوقه في كم ما يعلمه ، فكل ذي علم ، لو علم الشيء علماً مبهاً مجملاً ، فإله العليم فوقه ، لأنه يعلمه موضحاً مفصلاً ، وكل ذي علم ، لو علم بشيء دون

شيء ، فالله العليم فوقه ، لأنه يعلم كل شيء ، وهذا هو الفرق بين علم الخلق وعلم الخالق ، فمثلاً : الانسان يعلم أنه يوجد غداً شمس ، ولكنه لا يعلم درجة حرارتها وإضاءتها ، والانسان يعلم أشياء كثيرة ، ولكنه مثلاً لا يعلم في أي وقت تقوم القيامة ، حتى ولو كان نبياً مرسلًا ، كما قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعةِ أيانَ مرساها ؟ فيمَ أنتَ مِن ذِكرها ؟ الى ربك مُنتهاها ، إنما أنتَ مُنذرٌ مِن يَحشاها ﴾ ( ٧٩ : ٤٢ - ٤٥ ) ، وكما نقل عن السيد المسيح عليه السلام : ( وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بها احد ، ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن ، إلا الآب ) ( مر ١٣ : ٣٢ ) .

### علم الله فوق كل علم توصل ويتوصل اليه الانسان

التعليق الثاني — يقول تعالى : ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ ولا يزال العلم آخذاً في الترقى ولا يزال الانسان آخذاً في التقدم ، ولا سيما في هذه الأيام ، فالانسان اليوم بلغ الثريا بجمارفه ، واكتشف الكواكب بعقله وعلمه ، وقاس الارض شبراً شبراً بحسابه ، وغاص البحار وطار في الهواء ، وابتقى القصور فوق الماء ، واكتشف الكهرباء واستخدم البخار . واخترع البرق والهاتف وأتى بالمعجزات العلمية كالحاكي والسماعة ، والراديو والنظارات المكبرة وموازين الارتفاع والانخفاض والحرارة والبرودة ، وأشعة رونتجن ، وقدر الانسان أن يعرف بعلمه وذكائه أسرار الطبيعة وقوانينها ونواميسها وتحولاتها واختلاف عناصرها ، ثم عرف مصدر الأرض وتركيبها وما تحتويه ، وعرف مصدر الماء وتركيبه ، ومصدر الهواء وتركيبه ، وعرف أن الغمام هو مصدر الأمطار ، وأن احتكاك الغيوم ببعضها هو مصدر الرعد والبرق ، وأن الشمس هي مبعث الحياة للأرض وسكانها ، وقدر البعد الشاسع الذي بينها وبين الكواكب والارض ، وفهم أن

هذا الكون ساثر بدقة ونظام تام ، وفهم أن مبدع هذه الاشياء هو خالق عظيم ، ورب قدير ، هذا بعض ما أدركه الانسان بعقله وعلمه ، وما هو ياترى هذا الانسان ؟ هو ذرة صغيرة في هذا العالم الواسع ، هو جرثوم ضئيل بين مخلوقات الله العظيمة ، هو لاشيء وكل شيء في آن واحد ، هو جزء من جزء وفي ذات الوقت هو الكل في الكل ، فسبحان المبدع القدير ، والخالق العظيم .

### كيف رضى بنيامين بتطبيق حيلة اخيه يوسف عليه

التعليق الثالث — هذه الحيلة التي اجراها يوسف ، وان كان يقصد منها أولاً وبالذات أخذ بنيامين ، ويقصد منها ثانياً وبالعرض إيقاع إخوته في مشكل ، لكننا لا نقدر أن نجهد أن بنيامين كان من جملة ضحايا هذه الحيلة ، بل هي ما صبت إلّا فوق رأسه بالأكثر ، ولكن لما كان ذلك كله بحسب الظاهر ، ولما كان سيظهر للناس أن بنيامين بريء ، ولما كانت العبرة بالعواقب ، ولما كانت النتيجة تبرر الواسطة رضى بها بنيامين كفدائي ، حتى رضى أخوه .

### ماهية الكيد في هذه الحادثة وانواعه

التعليق الرابع — على قوله ﴿ كذالك كدنا ليوسف ﴾ ، في مقابلة كيدهم ليوسف ، كادهم الله تعالى له ، والله يكيد من يكيد ، ويكيد من يكيد مظاهر أمره ، من أنبيائه ورسله ، ومصدر الكيد الرباني في هذه الحادثة هو نفس المكيد له وهو يوسف ، والكيد من الخلق الحيلة ، ومن الخالق التدبير بالحق .

فقوله كدنا ليوسف هو على حد ﴿ ومكروا ومكّر الله ، والله خير الماكرين ﴾ (٥٤ : ٣) ، ﴿ ومكروا ومكّرنا ومكّرنا وهم لا يشعرون ﴾ (٥٠ : ٢٧) ومعلوم أن الأنبياء هم مظاهر أمر الله ، والأمراء هم مظاهر انتقام الله ، ولما كان يوسف مع نبوته معدوداً من الأمراء ، ظهر لآخوته مجتهداً باسم « المنتقم »

فكادهم كما كادوه ، وجزاء المعصية قد يتجزأ فيكون بعضه معجلاً في الدنيا ، وبعضه مؤجلاً الآخرة ، فما كان مؤجلاً للآخرة فهو موكول الى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقب عليه ، وأما ما كان معجلاً في الدنيا ، فهو مرتب على المعصية ، ترتب المسبب على السبب ، أو المعلول على العلة ، ترتباً طبيعياً لا يمكن أن يتأخر عنه ، فضلاً عن أنه يمكن عدمه ، وأقل ذلك الجزاء الدنيوي ما يحصل لفاعل الجرم من توبيخ الضمير ، وتأنيب النفس اللوامة ، وما يدخل عليه من الحزن وانكسار النفس ، وما يحوم حول ذلك من سوء السمعة وسقوط الجرم من أعين الناس ، وهوانه عليهم .

وقد وقع الكيد في هذه السورة اليوسفية ١ — منسوباً لآخوة يوسف ، بناءً عن وسوسة شيطانية ﴿ فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للانسان عدو مبين ﴾ (ع ٥) ، وعليه فهذا الكيد في الحقيقة من الشيطان ، ونظيره في نسبة الكيد للشيطان ما في قوله تعالى : ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ (٧٥:٤) ، ٢ — منسوباً للنسوة اللاتي تقعن من بعضهن الحيل الشائنة ، وذلك في مثل قوله : ﴿ إنه من كيد كن إن كيد كن عظيم ﴾ (٢٨٤) ٣ — منسوباً للخائنين ، وذلك كما في : ﴿ وإن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ (ع ٥٢) ، والكيد في هذه المواضع الثلاث مذموم ٤ — منسوباً لله تعالى ، وذلك في قوله ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ (ع ٧٦) ، وهذا الكيد ممدوح ، لأنه بسبب تعليمهم القديم على أخيه ، فهو من قبيل اقتصاص ومجازاة من الله على ما فرط منهم سابقاً ، ومما نسب فيه الكيد لله ، قوله تعالى ﴿ إنهم يكيدون كيداً ، وأكيد كيداً ﴾ (١٥:٨٦) ، وقوله تعالى ﴿ وأمنلي لهم إن كيدي متين ﴾ (١٨٢:٧) وهذا الكيد أيضاً ممدوح ، لأنه واقع من الله على الكافرين بسبب كفرهم .



## معاني الدين

التعليق الخامس — على قوله تعالى ﴿دين الملك﴾ : يطلق الدين على معان منها :  
 أولاً — بمعنى الأحكام القضائية أو الجزائية ، كهذه الآية .

ثانياً — الدين بمعنى الشريعة الفروعية ، ومن هذا القبيل كلمة الدين الثانية في قوله تعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أكل السبع إلا ما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ، اليوم ينأس الذين كفروا من دينكم ، فلا تخشونهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فمن اضطر في مخبئة ، غير متجانف لإثم ، فإن الله غفور رحيم﴾ (٤:٥) ، وقوله تعالى : ﴿أم لهم شركاء ، شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟﴾ (٢١:٤٢) .

ثالثاً — الدين بمعنى ما يشمل العقيدة والشريعة ، فمن ذلك ما في قوله تعالى : ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (٤:٥) وقوله تعالى : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (١٩:٣) وقوله تعالى : ﴿ديناً قيمياً ملة إبراهيم حنيفاً﴾ (١٦٢:٦) . وقوله تعالى : ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم﴾ (٧٨:٢٢) .

وبهذا علم أن الدين قد يطلق على العقائد وأحكام الشريعة ، من معاملات وعقوبات وغيرها ، وأما تخصيص «الدين» بالعقيدة ، وتخصيص الشريعة بالأحكام القضائية والجزائية ، فهو اصطلاح مستحدث ، جرى عليه علماء أوربا ، وشايعه عليه كثير من علماء أهل اليوم في الشرق .

رابعاً — الدين بمعنى الأصول العبادية أو حصر العبادة في الله ، فمن ذلك قوله

تعالى : ﴿ إِنَّ الْحِكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، أَمَرَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ ﴾ (٤٠:١٢) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مَخْلَصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنْفَاءً ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٥:٩٨) وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢٨:٧).

خامساً — الدين بمعنى المقائد فقط ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَالُ تَلُونَكُمْ حَتَّى يَرِدُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ، إِنْ اسْتَطَاعُوا ، وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ كَافِرٌ ، فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢١٧:٢) وقوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْإِلَهَ الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا « ثَلَاثَةٌ » انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ (١٧٠:٤) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٦:٤٩).

### جزاء السارق في حادثة بنيامين كان حسب شريعة ابراهيم

التعليق السادس — كان الملك « الريان » في زمن يوسف وثنياً ، وكانت شريعته أرضية لاسماوية ، وأما يوسف عليه السلام ، فهو وان كان وزير مالية وعزيزاً بمصر ، فلم يكن له دخل في محاكم مصر الجزائية ، ولا الحاكم القضائية ، وهو في غير حادثة إخوته ، لم نعلم له مداخلة في حكم جزائي ولا قضائي ، ومع ذلك فهو لما تداخل في هذه الحادثة ، اجتهد أن يكون الحكم بحسب شريعة جده ابراهيم عليه السلام.

## الدرجات وانواعها واطلاقها

التعليق السابع — على قوله ﴿ تَرَفَّعْ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءٍ ﴾ فالدرجات في الأصل هي مرافق السلم ، ثم توسع فيها فصارت تطلق على المراتب المعنوية في الخير والجاه والعلم والسيادة والرزق ، فالعلم بشريعة إبراهيم درجة ، والعلم بشريعة المصريين درجة ، والعلم بالرأي والمصلحة درجة ، وسياسة القوم حتى يصل من يسوسهم الى مطلوبه منهم درجة ، والسيادة والحكم بالحق درجة ، والنبوة درجة ، وايتاء الانسان شيئاً من الملك درجة ، وتعليمه تأويل الأحاديث درجة ، الى غير ذلك مما أنعم الله به على يوسف ، « والدرجات » المقصودة هنا هي في العلم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ، تَرَفَّعْ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءٍ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٦: ٨٣) وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ « تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ » فَافْسَحُوا ، يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ، وَإِذَا قِيلَ « انشُرُوا » فَانشُرُوا ، يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١١: ٥٨) .

وقد تكون « الدرجات » في الولاية العامة والخاصة ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٢: ٢٢٨) .

وقد تكون « الدرجات » في الثواب والمنازل بحسب درجات الأعمال ، كما في

قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ — غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ — وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكَذَلِكَ وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ، دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٤: ٩٥ و٩٤) ، وقد نكرن « الدرجات » في الدنيا ، كما في قوله

تعالى : ﴿ وهو الذي جعل لكم خلافتَ في الأرضِ ورفَعَ بعضكم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ، ليَبْلُوكم فيما آتاكم ﴾ (١٦٧:٦).

وقد تكون « الدرجات » في الدنيا والآخرة معاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ انظُرْ كيفَ فَضَّلنا بعضهم على بعضٍ ، وللآخرةِ أكبرُ درجاتٍ ، وأكبرُ تفضيلاً ﴾ (١٧ : ٢١) .

ويقال في الصعود « درجات » وفي النزول « دركات » لا فرق في ذلك بين الصعود والنزول الحسينيين والمعنويين ، قال تعالى : ﴿ رفيعُ الدرجاتِ ﴾ (٤٠ : ١٥) وقال : ﴿ ورفَعَ بعضهم درجاتٍ ﴾ (٢ : ٢٥٣) وقال تعالى : ﴿ إنَّ المنافقينَ في الدركِ الأسفلِ مِنَ النارِ ﴾ (٤ : ٤٥) :

وقد تكون « الدرجات » متفاوتة جِد المفاوِة ، كدرجات الحرارة في مقياسها ، إذ ما كل درجة فيه يغلي بها الماء ، ولا كل درجة فيه ، يتبخر فيصعد بخاراً ؛ وكدرجات الامتحان في المدارس ، أو الأعمال في الحكومة ، لا ينال الفوز فيها إلا بالدرجات العليا ، المحدد أدناها وأعلىها بالحكمة .

ومقابل رفع الدرجات نزولها ، فهو قد يتفاوت تفاوتاً كبيراً ، كنزول درجات الرطوبة في مقياسها ، ونزول حرارة الجو ، ونزول حرارة الماء ، إذ ما كل درجة في نزول حرارة الجو يسبب نزول المطر ، ولا كل نزول درجة حرارة الماء يكون بها جليداً .

رفع الله درجات من يشاء من عباده لا ينافي ما وهبه لهم

من الاختيار والاستقلال

وبناء على ما تقدم فقوله تعالى : ﴿ نرفعُ درجاتٍ لمن نشاء ﴾ أي نرفع من

شئنا من عبادنا درجات ، وهذا لا ينافي ما وهبه الله للانسان من الاختيار والاستقلال ، فإن الله خلق الإنسان وأعطاه نوعاً من الاستقلال في أعماله الاختيارية على حسب علمه ووجدانه ، وما تكون التربية والمادة في نفسه من الصفات ، وبذلك يكون مصدراً لسعادتها أو لشقائها بعمله ، وهو سبحانه يؤتي الدرجات ابتداءً بأعداده وبتوقيه من يشاء للكسي منها ، واختصاصه من يشاء بالوحي منها ، ثم هو يرفع درجات من يؤتيهم ذلك ، بتوفيق صاحب الدرجة الكسبية الى ما ترتقي به درجته ، ويصرف موانع هذا الارتقاء عنه ، وبايتاء ذي الدرجة الوهبية كالنبوة مالم يؤت غيره من أهلها من المناقب والآيات :

— وجملة « نرفع » استثنائية مبينة أن ما آتى الله يوسف من أخذه أخاه ، كان باختصاصه أعلى درجات معرفة الشرائع واثقائه حسن التوصل للمطلوب — .  
وأخيراً أختم كلامي بكلمتين :

الكلمة الأولى — سوخ يوسف لنفسه أن يعمل هذا العمل مع اخوته العشرة وأخيه بنيامين توصلاً لسهولة مجيء أبيه والمائلة جميعاً لمصر ، فالعمل الذي كان أجراه مع إخوته في سفرتهم الأولى كان هو « النواة » ثم هذا العمل الحاضر الذي أجراه معهم ومع أخيه كان هو « شجرة » ، ثم مجيء أبيه والأهل أجمعين لمصر كان هو « الثمرة » .

الكلمة الثانية — بعد ختام هذا العمل واحتظاء يوسف بينيامين ، لكأنى به التفت الى أخيه وقال :

يا أخي الحامل ضيمي	دون إخواني وقومي
إن يكن ساءك أمسي	فلقد سرك يومي
فاعترف ذاك لهذا	واطرح شكري ولومي

فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه . . الخ

— ٤ —

ثم قام السيد الهمام الغزي وقال :

جواز كون ما عمل يوسف عقاباً لآخوته في الدنيا لأن موسى به من الله تعالى  
أيها السادة :

كنت تأملت برهة في هذا العمل الذي دبره سيدنا يوسف لإخوته ، ولم  
ألبث أن رأيت مقالة منقولة عن الجاحظ ، فيها شفي غليلي ، ومنها تعلمت الجواب  
عن سيدنا يوسف الصديق عليه السلام ، قال تحت عنوان « سياسة الخزم » :  
« من لم يعمل بإقامة جزاء السيئة والحسنة ، وقتل في موضع القتل ، وأحيا  
في موضع الاحياء ، وعفا في موضع العفو ، وعاقب في موضع العقوبة ، ومنع ساعة  
المنع ، وأعطى ساعة الاعطاء — خالف الرب في تدييره ، وظن أن رحمته فوق  
رحمة ربه ، وقد قالوا : بعض القتل إحياء للجميع ، وبعض العفو إغراء ، كما  
أن بعض المنع إعطاء ، ولا خير فيمن كان خيره محضاً ، وشره منه من كان شره  
صرفاً ، ولكن اخلط الوعد بالوعيد ، والبشر بالعبوس ، والإعطاء بالمنع ، والحلم  
بالإيقاع ، فان الناس لا يهابون ولا يصلحون إلا على الثواب والعقاب ، والإطعام  
والاخافة ، ومن أخاف ولم يوقع وعرف بذلك ، كان كمن أطمع ولم ينجز وعرف  
بذلك ، ومن عرف بذلك ، دخل عليه بحسب ما عرف منه ، فخير الخير ، ما كان  
ممزوجاً ، وشر الشر ما كان صرفاً ، ولو كان الناس يصلحون على الخير وحده  
لكان الله عز وجل ، أولى بذلك الحكم ، وفي إطباق جميع الملوك وجميع الأئمة  
في جميع الأقطار وفي جميع الأعصار على استعمال المكروه والمحجوب ، دليل على

أن الصواب فيه دون غيره ، وإذا كان الناس إنما يصطلحون على الشدة واللين ، وعلى العفو والانتقام ، وعلى البذل والمنع ، وعلى الخير والشر — عاد ذلك الشر خيراً ، وذلك المنع إعطاء ، وذلك المكروه محبوباً — وإنما الشأن في العواقب وفيما يدوم ولا ينقطع ، وفيما هو أدوم ، ومن الاتقطاع أبعد « آه ،

هذا هو كلام الجاحظ ، ومنه نتعلم الجواب عن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام ، ومنه نعلم أن قوله تعالى ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ أن هذا الكيد الذي نسبه المولى لنفسه ، قد يكون جرى عليه يوسف بوحى الطبيعة ، لأن الله تعالى كتب ما يلزم عمله من الأدبيات على ضمائر أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، وقد يكون جرى عليه يوسف بوحى الشريعة ، فيكون ما أجراه يوسف عقاباً لآخوته في الدنيا موحى به من الله تعالى وحي شريعة ، فلهذا نسب تعالى ذلك « الكيد » لذاته جل جلاله .

أحسنت

### الطمع بيوسف وشقيقه

١ (٧٧) ﴿ ... قالوا « إن يسرق ... فقد سرق أخ له من قبل » فأسرّها يوسف في نفسه ، ولم يُبَدِّها لهم ، قال : « أتمُّ شرُّ مكاناً ، والله أعلم بما تصفون » ﴾ .

افتتحت الجلسة وتليت الآية للسابعة وسبعون فقام السيد العاملي وقال :

لما رجع أخوة يوسف ، وصاروا بين يديه في بيته ، ( قالوا ) متملصين من بنيامين ﴿ إن يسرق ﴾ هذا الفتى العير ، فلا عجب ، ﴿ فقد سرق ﴾ سابقاً ﴿ أخ له من قبل ﴾ ويعنون به يوسف ، — وقد اختلف فيما أضافوا له من السرقة ،

ف قيل : ( كان أخذ في صباه صنماً لجده أبي أمه فكسره ) ، وقيل : ( أخذ تمثالاً صغيراً من ذهب فدفته ) ، وكل ذلك لم يكن - ( فـ ) لما سمع يوسف هذه التهمة تأثر كثيراً ، وجرى الدم اليعقوبي في عروقه ، ووقف شعر رأسه ، ولكنه كظم غيظه ، وصبر ، وقال كلمة لم تتجاوز شفثيه بحيث ( أسرها يوسف في نفسه ) ، شفثى بها بعض غليله ﴿ ولم يبدها لهم ﴾ ، بل جعلها بينه وبين ضميره ، - وهذا إضمار على شريطة التفسير ، وتفسيره قوله : ﴿ أنتم شرٌّ مكاناً ﴾ ، وقد جاء التعبير في قوله « أسرها » وفي قوله « لم يبدها » ، بصيغة المؤنث لأن قوله ( أنتم شرٌّ مكاناً ) هي جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة ، كأنه قيل : فأسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله ( أنتم شرٌّ مكاناً ) والمعنى قال في نفسه : أنتم شرٌّ مكاناً ، وهذه الجملة بدل من أسرها ، فمع انهم وقعوا فيه ، وبالوا منه ونطقوا بهذه الجملة القاسية ، لم يصارحهم ولم يبدها لهم كلمة ما في مقابلتها ، بل طوى غيظه عنهم ، وأكنّ الحزازة الحاصلة مما قالوا ، ولكنه لشفاء غليله نوعاً ، ( قال ) في ضميره ( أنتم شرٌّ مكاناً ) أي أنتم أضرُّ منزلة في الشرِّق ، أو أنتم الذين خلقتم هذا الضيق وهذا الموقف الحرج ، من أنفسكم لنفسكم ( والله ) عز وجل ﴿ أعلم بما تصفون ﴾ من تسريق أخي وتسريقي ، كذباً وزوراً .

( قالون )

( قالوا : إن يسرق فقد سرق .. النخ )

- ٢ -

وقال ولي الدين الشهرستاني (١) :

**اتهام يوسف بالسرقة وحقيقة هذه السرقة**

رأت اخوة يوسف أنه قد وضعت السلسلة في رقابهم وانتهى الأمر ، وكانت ذلك بسبب « بنيامين » ، فلجئوا الى شفاء بعض عليهم بالطعن فيه وفي شقيقه

(١) نسبة الى شهرستان في البلاد الايرانية .



يوسف ، فقالوا : ( إن بنيامين يتلو تلو شقيقه ، وَيَسْتَسِينُ بِسنته ، فهو أشبهه بأخيه ، من الغراب بالغراب ، فيها قد قدا من أديم واحد ، وشقا من نيمة واحدة ، هو قد أخذ هذا الدرس من أخيه قبلاً ، فأراد اليوم أن يجرب هل يلحق شأو أخيه ؟ فيا بئس الخلف ، لبئس السلف ، وإننا براء منها ومن عملها ) .

واختلف فيما أضافوا الى يوسف من السرقة ، والصحيح عندي أنها أيقونة ذهبية من أيقونات الترافيم ، وذلك أن يعقوب لما قام من وجه حميه وخاله ( لابان ) الذي كان ساكناً فيما بين النهرين ، وأخذ معه زوجته ليثة وراحيل ، كانت راحيل أخذت معها تمثالاً صغيراً من ذهب هو خاص بآبائها « لابان » فافتقده أبوها لابان ، وفتش فلم يجده معها ولا مع غيرها ، لأنها كانت خبأته في كُور الجمل الذي كانت راكبة عليه ( تك ٣١ : ٣٥ ) ، ثم لما وصل يعقوب بأهله الى فلسطين ، كانت تلك الايقونة أي الصورة الصغيرة في يد يوسف يلعب بها ، لأنها أشبهه ما يسمى « بلعبة الصبيان » فقبل إنه سرقها من بيت جده لأمه ، فهم تذكروا هذه الحادثة ، وذكريات الصبا عميقة الأثر في النفوس ، فلذلك ذكروا ما ذكروا ، ولكن الحقيقة والحال ، أنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، على أن سن يوسف في ذلك الوقت نحو عشر سنين ، ولكن سن بنيامين حين وقوع هذه الحادثة الحاضرة كان نحو ثلاثين سنة ، فأبي شاهد قدموا ؟ وعلى أيّ قياس قاسوا ؟

رأى اخوة يوسف ما حدث ، فانتشر عليهم رأيهم ، وضاع صوابهم ولم يعرفوا ماذا يقولون ؟ ولا ماذا يهون عليهم هذا المصاب . ولا ماهو الشيء الذي يضعف الصلة - نوعاً ما - بينهم وبين بنيامين ، فتصوروا أنه من غير أهمهم ، فنفضوا منه أيديهم ، نفض المودع يده من تراب الميت ، فقالوا : إن يسرق بنيامين فلا غرابة ، فقد سرق أخوه يوسف الفقيد من قبله ، فيها شقيقان ، ورضيعا لبان ، فالدم

واحد ، والعواطف واحده ، وقد تتقتهما أم واحده ، والنفس التي كانت بين جنبي يوسف ، هي اليوم بين جنبي بنيامين ، وإن اختلفت المظاهر .

وأما يوسف فلما سمع قائلهم لم يطلق لنفسه العنان في الرد عليهم علناً ، بل أغض على القذى ، وتجرع كأس الضيم ، وكظم الغيظ ، وأبدى من الحلم ما يصغر عنده حلم « معن » بن زائدة ، و « قيس » بن عاصم ، و « الوليد » بن عتبة ، و « معاوية » ابن أبي سفيان ، غايته أنه أضمر في نفسه كلمة واحده ، هي قوله : ( أتم شر مكاناً ) قالها بينه وبين ضميره ، ولم يبدها لهم بحيث يسمعونها ، وإنما لم يقل ( فقال أو قال ) لأنه جواب لسؤال اقتضاه الحال ، كأنه قيل : ما الكلمة التي أسرها في نفسه ؟ فقيل : . قال أتم شر مكاناً .. الخ أو لأن هذه الجملة تفسير للضمير في قوله « أسرها » ووقوع الجملة تفسيراً ، كثير في كتاب الله تعالى ، فمن ذلك :

١ — مافي ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولٌ ﴾ ( تثير الأرض ) ، ولا تَسْقِي الْحَرثَ ، مُسَلَّمَةٌ ﴾ ( لا شِيَةَ فِيهَا ) ﴿ ( ٢ : ٧١ ) ﴾ فقوله ( تثير الأرض ) تفسير لقوله ( ذلول ) ، وقوله ( لا شية فيها ) تفسير لقوله ( مسلمة ) ولهذا فُصِّل ولم يُعطف .

٢ — مافي ﴿ وَقَالَ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ، فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ، وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ( تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ ) ﴾ ﴿ ( ٢ : ٢٤٨ ) ﴾ ، فقوله ( تحملها الملائكة ) تفسير لقوله ( أن يأتيكم التابوت ) .

٣ — مافي ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ( كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ) ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿ ( ٣ : ١١ ) ﴾ ، فقوله ( كذبوا ) ( بآياتنا ) تفسير لقوله ( دأب ) ، ولذلك لم يعطفه .

٤ — مافي ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، ( تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ )

وتَشَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿ ٣ : ١١٠ ﴾ فقولهُ (تأمرون.. الخ) تفسير لقوله (خير) .

٥ — ما في ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ، ﴾ (يقولون : لو كان لنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا هَهُنَا) ﴿ ٣ : ١٥٤ ﴾ ، فقولهُ (يقولون .. الخ) تفسير لقوله (يخفون .. الخ) ولهذا فصله ولم يعطقه ، الى غير ذلك مما هو كثير في كتاب الله تعالى .

وكلمة « شَرٌّ » أفعال تفضيل ، وليس هو هنا على بابهِ ، نظير ﴿ قال : يا قوم ، هؤلاءِ بناتي ، هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ( ١١ : ٧٨ ) ، فإنه لا طهارةَ في الملوط بهم البتة .

ثم لكأنك يوسف قد قال في نفسه : « والله إنكم لم تقولوا صدقاً، ولا ذكراً ثم أمراً واقماً ، والله إنني أقدر الآن أن أكذبكم وأفقا في عيونكم الحصرم ، فانكم تلصقون بي ما لا علم لي به ، ولا وثيقة بيدكم تبرهنه ، ولكن ليس هذا وقت الجدل ، ولا هو وقت إظهار نفسي لكم » .  
والآن نهى قولنا بالتعليقات الآتية :

### اعراض يوسف عن اللغو

١ — تعليقا على قوله « فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم » لأن يوسف عليه السلام كان ممن إذا مروا باللغو مروا كراماً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ؛

شتم « هشام » بن عبد الملك رجلاً من أشرف الناس ، فقال له : « أما تستحي تسبني وأنت خليفة ؟ » — فقال هشام : « اقتص مني » — قال : « لا أريد أن أكون سفياً » — قال : « تموض مني بما » — قال : « ما كنت لأبيع شرفي

بالدرهم والدينار ، — قال : « اجعلها لله » — قال : « هي لله ولك » ، فحجل هشام ونكس رأسه ، وعاهد الله على انه لا يشتم أحداً بعدها أبداً (١) :

### تذكر الاخوة ليوسف بالسوء

٢ — تعليقا على قولهم « فقد سرق أخ له من قبل » لم يكتفوا بما كانوا صبوه من المصائب على رأس أخيهم المظلوم يوسف ، حتى وثبوا عليه الآن ، ووصموه في هذه المرة بجريرة السرقة ؛

وا أسفاه ! تذكروه في غيابه بالسوء ، بدلاً من أن يتذكروه بالشوق لرآه ، والحزن على بعد عهدهم به ، والندم على ما فرط منهم في شأنه ، ولعمر الحق إن هذا الشيء لا يكون إلا بمن جفت طباعهم ، وسقمت ضمائرهم ، والأمر لله ؛ وهذه المسبة هي الحلقة الأخيرة من سلسلة إغاثاتهم ليوسف ، وأما الحلقة الأولى فهي صدم إياه وهو في حضن أبيه في فلسطين ، وأما واسطة عقد هذه السلسلة ، فهي إلقاءهم له في غيابة الجب .

### ظن الاخوة بان بنيامين بريء من السرقة

٣ — تعليقا على قولهم « إن يسرق » إنما عبروا « بإن » التي تقتضي مرجوحية مدخولها ، لأنهم كانوا يغلب على ظنهم ان « بنيامين » كان بريئاً من أخذ الطاس ، لأنهم رأوا أن الحاكم قد أكرمه كثيراً ، وكان قبله طلبه ، فلا بد من أنهم استنتجوا من ذلك أن الحاكم أتى ذلك رغبة في إبقاء بنيامين في خدمته لأمر لم يعلموه (٢) .

### نبات اخوة على كره يوسف

٤ — تعليقا على قولهم « أخ له » هذه الكلمة تشف عن ثباتهم على كرهه .

(١) محاصرات عصرنا الاستاذ الحضري . (٢) السنن القويم

يوسف ، حتى يوم ما فاهوا بذلك ، وعن أن الحقد قد أكل قلوبهم ، والحفيظة ملأت صدورهم !!! والعجيب أنهم لم يكتفوا بالإيقاع بيوسف ، وبما عملوه معه ، حتى أردفوا عملهم السيء بالقول السيء ، مخالفين قول بعض الحكماء : « لا تتبع أخاك بعد القطيعة وقيعة فيه ، فتسد عليه طريق عفو عنك » ، وأما هو عليه السلام فلم يحفل بطعنهم ، بل هضمه ، قائلاً : « إنه كلام لا يسر ولا يضر ، فلنمر عليه من الكرام » .

ويمكن أن نقول إنهم أرادوا بقولهم « أخ له » أخاه الذي يمت إليه من طرفين . طرف الأبوة وطرف الأمومة ، وأما نحن فلا نمت له إلا من جانب الأبوة فقط ، فاتصالنا به ضعيف ، ومشابهتنا له قليلة ، بخلافه هو ، فهو المشارك له في أخلاقه وأعماله ، فهو على وتيرته وشاكلته ، خريجه ، الذي أخذ عنه هذه الثقافة .

### اختصار ارفوة الطمن بيوسف

٥ - تعليقاً على قولهم « فقد سرق أخ له من قبل » ، اختصروا القول في الطمن بيوسف اختصاراً ما كان مأمولاً فيهم ولا مرجواً منهم ، وإلا فبغضهم الشديد ليوسف كان يقتضي الإسهاب والبسط في التيل منه ، وكأن السبب في ذلك أمور :  
 ١ - إن المقام ليس مقام الطمن في يوسف ، ولكنه ذكر على وجه الاستطراد ،  
 ٢ - إن يوسف كان قد غاب عنهم مدة طويلة هي نحو ٢٢ سنة ، وربما كانوا متصورين موته ، فلذلك خفت وطأة حقدهم عليه ٣ - المقام مقام « سرقة » لا غير ، فلذلك إنما ذكروا من طعونهم بيوسف « السرقة » فقط ، ٤ - إنهم لم يجدوا في « عزيز مصر » - الذي هو بالحقيقة يوسف - ميلاً لما يقولون ، ولا ارتياحاً لما يفترون ، فلما أحسوا بذلك لم يسترسلوا في اللم ، ٥ - هم إنما تكلموا فيما بينهم بلغتهم العبرانية ، ففاه بعضهم لبعض بهذه الكلمة ، من قبيل نفثة مصدر يريد أن يروح نفسه ، وهم

لا يعلمون أن « عزيز مصر » ( يوسف ) يفهم كلامهم ، ولو كان مرادهم الاعتذار عند عزيز مصر ، لتوسعوا في القول بعض التوسع ، من قبيل التنصل من هذا « الإنسان وأخيه » ، وأن تربيتها وأخلاقها ليستا كتربيتنا وأخلاقنا ، لأنها ولدا الزوجة المحبوبة « فلذلك ترك أبوها حبيلها على غاربها ».

### اوجه احتمال قوله فأسرها... الخ

٦ - تعليقا على قوله « فأسرها... الخ » عندنا ان هذا القول يحتمل وجوها ثلاثة :

الوجه الاول - انه أجل ذلك في ضميره فقط، فهذا القول قول نفساني ليس إلا:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

أي أنه تحدث بكلمة لم تتعد النفس والضمير، ولم تتعرف عليها الشفة والسمير، وهذا هو الغاية القصوى في الحشمة والأدب، وفي المثل: « الشاتم من أسمع والضارب من أوجع » .

الوجه الثاني - انه رطن باللغة المصرية التي لا تفهمها إخوته .

الوجه الثالث - أنه حرك بها شفثيه فقط اتهاجاً لطريقة الخرس ، بحيث لا يفهم

كلامه إلا من يعرف طريقة المكاملة بحركات الشفاه .

### مثال لحلم يوسف

٧ - وكما أن يوسف عليه السلام قد حلم على إخوته ، فقد وجد في هذه

الأمة المحمدية كثير من العلماء ، واليك مثال من كثير من الأمثلة من هذا القبيل في

حلم « معن » بن زائدة :

قدم أعرابي ذات يوم على « معن » بن زائدة يمتحن حلمه ، فلما وقف ببابه

قال: أتذكُرُ إذ لحفك جلدُ شاةٍ وإذ نعلاك من جلد البعير ؟

- فقال « معن » « أذكر ذلك ولا أنساه » — فقال الأعرابي :
- فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك الجلوس على السرير
- قال « معن » « سبحانه وتعالى » — فقال الأعرابي :
- فلست مُسكِّماً ما عشت يوماً على « معن » بتسليم الأمير
- قال « معن » : « يا أخا العرب ، السلام سنة ، وشأنك في الأمير »
- فقال الأعرابي :
- سأرحل عن بلاد أنت فيها ولو جار الزمان على الفقير
- قال « معن » : « يا أخا العرب ، إن جاورت فمرحباً بك ، وإن رحلت فمصحوب بالسلامة » — فقال الأعرابي :
- قد لي يا ابن ناقصة بشيء فيني قد عزمت على المسير
- قال « معن » : « أعطوه ألف دينار يستعين بها على سفره » ، فأخذها وقال :
- قليل ما أتيت به وإني لأطمع منك بالمال الكثير
- قال « معن » : « اعطوه ألفاً آخر » ، فأخذها وقال :
- سألت الله أن يبيقك ذخراً فمالك في البرية من نظير
- فقال « معن » « اعطوه ألفاً آخر » فقال الأعرابي : « يا أمير المؤمنين ، ما جئت إلا مختبراً حلمك ، لما بلغني عنه ، فقد جمع الله فيك من الحلم ، ما لو قسم على أهل الأرض لكفاهم » — فقال « معن » : « يا غلام ، كم أعطيته على نظمه ؟ »
- قال : « ثلاثة آلاف دينار » — فقال « معن » : « أعطه على نثره مثلها » فأخذها ومضى في طريقه شاكراً .

## استعطاف الاخوة

آ (٧٨) \* . . . قالوا : يا أيُّها العَزِيزُ ، إنَّ له أباً شيخاً كبيراً  
نَحْذُ أحَدَنَا مَكَانَهُ ، إنا نراكَ من المحسِنينَ \* .

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثامنة وسبعون فقام الشيخ خالد  
البيتلحمي وقال :

سكت عن اخوة يوسف الغضب نوعاً ورأوا أنفسهم أنهم صاروا في موقف  
حرج ، لا بد لهم فيه من الحكمة والتدبير ، والعمل على الخروج منه بلباقة ،  
نخاطبوا العزيز بنعمة المتوسل المستعطف و ( قالوا ) بصوت حزين ( يا أيُّها العزيز )  
ملكيت فأسجِّح (١) ، قدرت علينا فارتق بنا ، وتساهل معنا ، ولا تأخذنا  
بالتسدة ( إن له ) أي لهذا السارق ( أباً شيخاً كبيراً ) طاعناً في السن ، وقد علمت  
أنه هو أصغر أولاده ، كما أنك تعلم أن الأب الكبير مها كان له أولاد ، فان نفسه  
تكون متعلقة بأصغرهم ، فهو طبعاً يحبه أكثر من غيره ، لأنه ابن شيخوخته  
( نَحْذُ ) أي إنا نتقدم اليك أن تأخذ ( أحدنا ) أي واحد منا أردت ، مستعبداً  
( مكانه ) وكل من أراض بذلك ، ( إنا نراك من المحسِنين ) الينا ، فأتمم إحسانك ،  
أو من عادتك الإحسان ، فاجر على عادتك .

(١) جرى مجرى المثل ، يضرب لمن قدر على خصمه ، فاراد المبالغة في قهره ، والسجاجة  
السهولة ، ومنه كلمة « سجاج » .



قالوا : ياأيها العزيز . . الخ

— ٢ —

وقال السيد سعد الدين البيرودي (١) :

استعطاف الاخوة ليوسف باطلاق سراح بنيامين وأخذ واحد منهم عوضاً عنه

تذاكر أولاد يعقوب فيما بينهم ، فرأوا أن الأوفق الخضوع لأمر الحكومة والنزول على إرادتها ، قائلين في أنفسهم : وماذا عسى نعمل مع حكومة مصر الجبارة :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهزم

ثم علموا بسبب ما صار عليهم أنهم قد استهدفوا للوم الشديد من أبيهم ، وأنه سيظن بهم الظنون ، فوطنوا أنفسهم على إبقاء أحدهم بدلاً من بنيامين بدلاً شخصياً فمثلوا بين يدي يوسف ، وهم يتعترون من الحجالة والهوان وقالوا له : ياعزيز مصر المحترم ، مكرمة أتيناك لها ، بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها (٢) نحن لانريد عدالة فقط بل رحمة ، والرحمة فوق العدالة وفوق القانون ، وماذا لك الا أن لاخينا هذا أباً كبيراً في المقام وفي السن ، قد ظهرت عليه علامات الشيخوخة ، فإن عمره الآن ١٣٠ سنة ، وقد ذوى عوده ، وخوى عموده ، وضعف نظره ، وتحجرت منه العضارف ، وضعفت عضلاته ، وبرأى عظمه ، وقد كان له ابن يحبه ففقده ، وهذا الابن المحبوب المفقود كان من أبيه بمنزلة الشمار ، وقد اتخذ هذا الولد الحاضر من نفسه بمنزلة الدثار ، فالיום كيف تكون حالة الشيخ الكبير إذا فقد شعاره ودثاره كليهما معاً ؟ ؟ ! فإن رأيت أن تهبه لايه الشيخ فأنت لذلك أهل ، ومع ذلك

(١) نسبة الى بيروود من ضواحي دمشق (سورية)

(٢) اي حزتها وصنعها .

فليس مجاناً ، ولكنها هبة بثواب ، نخذ أيّ واحد منا مكانه ، وخله يظن لو والده الشيخ الهرم ، لاسياً وأن أباه أبي أن يرسله معنا ، حتى نؤتيه موثقاً من الله لنا تينته به ، وقد تعهدنا له بذلك : وأقسمنا بالايان المَحْرَجَة ، وأعطينا الميثاق الاكيد وإنا نقرأ آية الإحسان على وجهك ، نراك كريم الطبائع ، كثير الصنائع ، أحسنت الينا أولاً وآخرأ ، سالفأ وحادثأ ، فافعل معنا ماتبينه على قديم أياديك ، وسوابق إحساناتك ، أحسن الينا ، أحسن الله اليك ، أسعدنا أسعدك الله ، واتخذها عندنا يداً ، لانتساها لك مدى الدهر ، وأنت إذا كنت لا تريد أن ترحم دموعنا السخينة فارحم ذلك الشيخ الهرم ، ذا المقام العالي في فلسطين وكنعان والعراق ، المشار اليه بالبنان من عموم السكان والقطان فيما بين البحر الابيض المتوسط الى نهر الفرات .  
وهنا تعليقات :

### آي الاخوة قام بالاستعطاف

١ - يقال إن الذي ناب عن إخوته في الكلام مع العزيز هو «يهودا» وقد عرض نفسه للعبودية مكان أخيه بنيامين .

### طلب الاخوة ترك الجاني وأخذ البريء

٢ - من العجيب أن تخرج كلمة «خذ أحدنا مكانه» من فم هؤلاء الاخوة بعد صدور الفتوى الشرعية منهم ، بأن جزاء من سرق الصواع هو من وجد في رحله ، ولم يصدروا الفتوى بأن جزاءه أخذ أخ له لاعلم له بالسرقه ، ولا يد له فيها .

ومن العجيب أيضاً أنهم تذرعوا لترك الجاني وأخذ البريء ، بقولهم «انا نراك من المحسنين» ، كأن من احسان المحسن أن يفك الآثم ويسترق العفيف الشريف !!!...

## يوسف يرد استعطاف اخوته ويصر على اخذ سارق الصواع

آ (٧٩) ﴿ قَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ، إِنْ أِذَا لَظَالِمُونَ . ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية التاسعة وسبعون فقام الشيخ الجيرودي<sup>(١)</sup>  
وقال :

ما كاد يوسف يسمع كلام اخوته الا وقد سفه فكرة الاستبدال ، وفيل رأيهم تقييلاً ، و(قال) بنفس عزيزة وصوت جهوري ، مجيياً لهم جواباً سلبياً ، ما هذا الإبرام؟! .. وما هذه الشفاعة الملتوية؟! .. ( معاذ الله أن ) أي نعوذ بالله معاذاً من أن ( نأخذ ) نستبدل واحداً بريئاً بواحد آثم ، وقد أضيف المصدر الى المفعول به وحذف لفظ « من » ( الا من وجدنا متاعنا ) سلعتنا ، ( عنده ) في رحله ، ولم يقل « من سرق » تفادياً من تلويث لسانه بالكذب ، ولبيان مستند الجريمة ، فهو ليس بتصريح بالسرقة ، ولكنه تعريض بها ، وان في المعارض لمدوحة عن الكذب ، ( إنا إذا لظالمون ) لشرعية ولأنفسنا ولهذا البديل الشخصي عن بنيامين .

( ١ ) نسبة الى جيرود من ضواحي دمشق ( سورية )

هذا هو موجز تفسير مفردات هذه الآية ايها السادة واما تفسير الآية  
المفصل فكما يلي :

( قال : معاذ الله ... الخ )

— ١ —

### رفض يوسف ترك بنيامين او اخذ غيره من الاخوة

كان اخوة يوسف قد عرضوا عليه رجاءهم ، وهم في شيء من القلق ، ووضف  
الأمّل ، كأن قلوبهم حدثتهم بما سيلاقونه من الفشل عند « عزيز مصر » ، لأنهم  
كانوا يحسون بضعف مستندهم في طلبهم ، أمام قوة الحكم الصارم ، الذي صدر  
من ألسنتهم ، فلذلك لما سمع طلبتهم زمهر في وجوههم ، وكشر لهم عن مثل ناب  
الليث ، ونأى بجانبه ، وقال قول مصر على مخالفتهم ، مقيم على محاربتهم ، ما هذا  
الذي تقولون ؟.. ما هذا المركب الخشن الذي تريدون أن تحملونا عليه ؟..  
هل يجوز لنا أن نكرم أهل الشقاوة ، ونهين أهل السعادة ؟.. إياها (١) يا قوم ،  
هل يجوز أن نأخذ البريء ونطلق المجرم ؟.. لعمرى دون ما تطلبون شرخ القتاد ،  
حاشا لي من أن أقبل هذا الظلم الغير جائز ، لاسيما أني أمثل الوطن والتاج ،  
فاعذروني إذا لم أقبل توسلاتكم ، أتم أنفسكم قد حكتم بأفواهكم ، إذ قلت :  
« جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه ، كذلك نجزي الظالمين » ، فهل قلت :  
« جزاؤه من وجد في رحله فأخوه جزاؤه » ، كذلك نجزي إخوة الظالمين ؟..  
كلا .. لم تنطقوا بذلك ، ولا يكاد أن ينطق به عاقل ، وإن هذه الشفاعة منكم ، هي  
من قبيل : ﴿ ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ﴾ ( ٨٤ : ٤ ) ،  
وإن الشفاعة لا تجوز في الحدود ، وإن هذا الاقتراح لا يقبله منكم أحد من

( ١ ) كلمة استكفاف أي كفوا أو كلمة يراد بها التباعد والاستغراب .

المشرعين ، إلا من بلغ من الغفلة والبله مبلغاً لا يبلغه الأطفال ، ولا سكان  
المارستانات ، ولعمري لولا إنكم غرباء نزلنا علينا ، لقرعت لكم العصا وعاملتكم  
بما تستحقون ، فلاتخرجونا باسترحاماتكم ، فتخرجونا عن شريعة آبائكم ، فظلم  
الظالم يكون عليه ، والنفوس التي تخطيء موتاً تموت ، وكما بالراعي تملك الرعيّة ،  
فبالعدل تملك البرية ؛ « وأما ما كان من جهة أبيكم ، فعزير علي والله أن أشق  
عليه ، ولكن الضرورة لها أحكام ، والشيء قد وقع ، ولاخيرة في الواقع ، ولكن  
إذا أتيتموه فأقرئوه السلام ، وقولوا له : « إن عزيز مصر يدعوك أن لاتموت حتى  
ترى ابنك يوسف ، وحتى تعلم أن في أرض مصر صديقين مثله ، هكذا بلغوه عني ،  
وخلاكم ذم » (١) .

وهنا نرى ان موقف يوسف في حالتي استرحامهم وعدمه واحد ، برنامج ثابت،  
وضعه لأخذ شقيقه ، لن يتغير أو يتبدل ، ولا بد أن يكون جوابه السليبي وقع  
عليهم كالصاعقة ، فلبيل لأول وهلة خواطرم ، وجالت في ذهنهم بل جرت كمجرى  
البرق ، صور كلها سوداء تنذر بالبلاء ، والعياذ بالله تعالى .

(قالون)

وأخيراً أنهى كلامي بالمواد التالية :

## يوسف بين عاملي فرح و كدر

مادة ١ — كآني بيوسف عليه السلام صار يتردد بين عاملين ، عامل الفرحة  
بمصوله على أخيه وأخذه عنده ، وعامل كدر أبيه متى بلغه ذلك الحادث ، لكنه  
آثر الجري مع العامل الأول ، توصلاً لتشذيب شكيمة إخوته ، وتخضيد شوكتهم ،  
وقد دلت التجارب على أن إظهار شيء من قوة الحاكم أو الأمر كفيصل بتقويم  
شيء من الاعوجاج ، فيوسف أراد بهذه الشدة أن يعمل على تحسين حال إخوته ،

ثم ان تصوره قرب انكشاف الواقع ودنو مجيء آييه وأهليه جميعاً اليه ، خفف تأثير العامل الثاني عليه .

### لا محابة في أمطام الشرع

مادة ٢ — يريد بقوله ﴿ معاذ الله .. الخ ﴾ إن الحكم الشرعي الذي لفظتموه . عام ، فهو لا ينظر في كون المجرم له اب شيخ كبير ام لا ، ولا فرق فيه بين ولد . وولد ، ولا يحتمل شيئاً من المحابة ومراعاة الوجوه .

### لا تجزي نفس عن نفس شيئاً

مادة ٣ — تعليقاً على قوله : « معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون » ، فكما انه في الآخرة ﴿ لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعه » ، ولا يؤخذ منها عدل ، ولا هم ينصرون ﴾ (٤٨:٢) فكذا في الدنيا ، لا نسيخ البدل الشخصي ، ولا تقبل الشفاعه ، التي تعود على العدالة بالنقص والبطلان ، ولا نأخذ فدية من المحكوم عليه ، وليس أحد من عشيرته وذويه ، يقدر أن يخلصه منا قهراً ، لأن فتح هذا الباب يزيد الناس ميلاً الى الشر ، وضراوة بالإثم ، وان تعطيل العدل ، والوقوف في وجه الشرائع والقوانين ان تأخذ مأخذها ، وتنفذ نفاذها — ضار بالأمم ، مفسد للعمران ، ولذلك فككتنا في مصر ، لا ترضاه ، بل هي تباهي بأنها لا تروج لديها « المحسوبيات » ، ولا تميل الى « المحابة » ، وليس فيها متسع « للمداخلات » ، حقاً إن شيئاً من هذا القبيل لهو مما يضر بالأمم ويفسد حالهم ، ويؤخر عمرانهم ، ويوهن عزائمهم عن الوقوف عند حدود الشرائع والقوانين .

### يوسف يصر على تنفيذ الحكم الذي نطق به افوته

مادة ٤ — ربما ان يوسف لما سمع تعطفهم إياه ، واستنزالهم رحمته وإحسانه ،

وذكرهم شيخوخة أبيه وطعنه في السن ، وانه يحبه لكونه أصغر أولاده - ربما انه لما سمع ذلك حدثته نفسه بإطلاق بنيامين ، وفصم عُرَى التداير التي كانت رتبها ، ولكنه رأى وجوب إمضاء العزيمة ، لأن تقضها ضعف في النفس ، وزلزال في الأخلاق ، لا يوثق بمن اعتاده في قول ولا عمل ، فإذا كان ناقض العزيمة عامل حكومة أو قائد جيش ، كان ظهور نقض العزيمة منه ناقضاً للثقة بحكومته وبجيده ، ولا سيما إذا كان بعد الشروع في العمل ، وبعد الفكر والروية ، ولذلك لم يصغ النبي ﷺ الى قول الذين أشاروا عليه بالرجوع عن غزوة أحد ، بعدما كانوا أشاروا عليه بالخروج إليها ، وبعدهما كان قد افكر فيها ملياً ، وعزم عليها ، ولبس لامته وخرج ، فإنه بذلك صدق عليه انه شرع في العمل بعد الروية ، ويمكن ارجاع ذلك الى قاعدة « ارتكاب أخف الضررين » ، وأي ضرر أشد على الحاكم من فسخ عزيمته ، وما فيه من الضعف والفشل وإبطال الثقة .

### تكرار جملة « معاذ الله » في القرآن

مادة ٥ - كلمة « معاذ الله » لم ترد في القرآن الكريم إلا مرتين ، حكاية عن نعم يوسف عليه السلام ، فالمرّة الأولى تقدمت عندما قالت له امرأة العزيز ، « هيت لك » فأجابها بقوله : « معاذ الله » ، والمرّة الثانية ههنا ، حينما قال له إخوته : ( خذ أحدنا مكانه ) ، فيوسف أظهر لامرأة العزيز أن هذا الامر وهو الفحشاء منكر يستعاذ بالله من الوقوع فيه ، كما أنه هنا أظهر لآخوته ان استبدال بنيامين بغيره ، منكر أيضاً ، لأن فيه استرقاق البريء وفك المجرم .

### ظاهر قوله « انا ارا ظالمون » وباطنه

مادة ٦ - تعليقا على قوله : « انا ارا ظالمون » لأن الجاني هو بنيامين ، فكيف نجازي غيره بجنايته ، قال تعالى : ﴿ لها ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت ﴾ ( ٢٨٦ : ٢ ) ، ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾

وم لا يظلمون ﴿ (٢ : ٢٨١) ، ﴿ وأن لا تزرر وازررة ووزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى .. الخ ﴿ (٥٣ : ٣٨) ، ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزرر وازررة ووزر أخرى ﴿ (٦ : ١٦٤) ، فالقاعدة ان عمل كل انسان له أو عليه ، لا يجزى به سواء ، فطلبكم استبدال المجرم بالبريء لأقبله ولن أقبله ، ولا يستطيع أحد من علماء الشريعة أو الحقوق ، بل ولا من أخط الجهلة إدراكاً ، وأسخفهم ذهنياً ، وأبعدهم عن الحق ، أن يفتكر هذا الفكر . هذا بالنظر لظاهر اللفظ ، وأما بالنظر لباطنه فكأنني به يقول : ( أعوذ بالله ان آخذ إلا شقيقي المحبوب ، الذي كنت بالاشواق الكلية لرؤيته ، والذي عملت هذا الكيد المتسلسل حتى توصلت للحصول عليه ، وإني لو أخذت أحد إخوتي الكبار الذين كادوا لي كيداً ، وعملوا على إيذائي وإبعادي ، في حين أنني غير مشتاق لواحد منهم — لكنت ظالماً بتركي شقيقي المحبوب ، واستبدالي به مكروه من أولاد العلات ، ولحق عليّ أن أنشد قول الشاعر :

لك الحمد أمّا مانح فلانرى      ونبصر مالا نشتهي فلك الحمد

### التورية في قوله « متاعنا »

مادة ٧ — تعليقا على قوله : « متاعنا » فالمتاع كما يطلق اسماً للسلعة كالطاس هنا فانه يطلق مصدراً بمعنى المنفعة واللذة ، فهذه الكلمة هنا من قبيل ما يدعى « تورية » أو « تعريضا » ( وفي السنة كثير من المعاريض ، التي هي جائزة ، اذا لم تبطل حقاً ، ولا تحقق باطلاً ، كقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله « ممن أنتم ؟ » قال : « نحن من ماء » ، وكان اذا أراد غزوة ورى غيرها ، وكان الصديق رضي الله عنه يقول في سفرة الهجرة لمن يسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم : ( من هذا الذي بين يديك ؟ فيقول : هاد ، يدلني على الطريق ) (١) .

(١) الطرق الحكيمة .



### برقيتا شفرة من يوسف لآبيه

مادة ٨ — أراد يوسف عليه السلام بتلك الأعمال والاقوال ، التي عملها وقالها بشأن بنيامين ، أن تبلغ لآبيه ، فيبي منها حل اللغز ، وفك التلصم ، وان لم تفهم اخوته منه شيئاً ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، وطبعاً ان المرسل اليه الرسالة يفهم منها ما لم يفهمه ساعي البريد ، كما قيل : « فنحن سكوت والهوى يتكلم » ، ونحن نرى أنه أرسل لآبيه برقيتي « شفرة » الأولى تفهم من (ع ٦٩ - ع ٧٩) وقرأ الأب هاتين البرقيتين وفهم رموزهما ، وبناء عليه قال كما سيأتي : ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه .. ﴾ (ع ٨٧) .

وهنا تنتهي « المعركة » بين يوسف واخوته  
( أحسنت ولا فض فوك )

### الأياس والمفاوضة والمناجاة

آ ( ٨٠ ) ﴿ فلما استنأسوا منه خَلَصُوا نَجِيًّا ... قال كبيرُهم : أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ ، وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ؟ فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ، أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ . ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثانون فقام السيد الحلبي (١) وقال :

سمع الاخوة العشرة جواب « عزيز » مصر السليبي ، وردهم بلا ج

(١) نسبة الى بلدة حلب في سورية .

وتغليطهم في طلبهم ورأوه انه غير مهتم بما قالوا ويقولون ، يئسوا وكانت إحدى الحشرات ، وتقهقروا من أمامه منكسي الرؤوس ( فلما استيأسوا ) وظنوا أنهم قد وقعوا في مخالب الشقاء ، كالقابض على الماء ، وعقدوا فيما بينهم مجلس مؤامرة و ( خلصوا ) أي اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم ( نجيًا ) ذوي نجوى — وهو مصدر بمعنى التناجي — أو فوجاً نجيًا ، أي مناجياً ، لمناجاة بعضهم بعضاً ، كالعشير والسمير ، بمعنى المعاشر والمسامر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وقرّبناه نجيًّا ﴾ (٥٢:١٩) ، وأحسن منه يمكن أن يقال : إنهم تمخضوا تناجياً لاستجاعتهم لذلك واقاضتهم فيه ، بجد واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته ، فعلوا ذلك لكي يتفاوضوا في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون ، وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيه ، كقوم تعابوا بما دهمهم من الخطب ، وصاروا ينظرون الى أفق المستقبل بمنظار حالك ، لا يملكون مادبر لهم القدر ، من رحمة أو من نقمة ، فاحتاجوا الى التشاور المطلوب شرعاً وعقلاً ، ثم ( قال كبيرهم ) في السن وهو رأوين ، وقد استشاط غيظه ، وتلظتى تلظياً ، وتضرّم تضرماً ولاحت له صورة ذلك التشديد والاحتياط الذي عمله أبوه معهم ، كما لاحت له صورة يوسف « المظلوم » : إن الأمر لجلد ، وهو أعظم مما تتصورون : ( ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ) وعاهدتموه وواعدتموه ، والوعد على الحر دين — فقالوا : اللهم نعم — قال ( ومن قبل ما فرطتم ) أي تفريطكم ( في ) شأن ( يوسف ) ؟ ) وتهاوتم في أمره ، وقصرتم في الاحتفاظ به ، ولم يرم واحد منكم من ورائه ، ويناضل كما يجب ، ومما يؤلني انه قد شملني عقاب عملكم ، لأنه قد يؤخذ الجار بظلم الجار ، ولعمري لقد تفاقم الخطب ، واتسع الخرق على الراقع ، وبلغ السيل الزبى ، وان ماسوف يكون ، أشد هولاً مما كان ، وان في طيات المستقبل ماتتضاءل أمامه حوادث الماضي ، وان الغد سيجيئنا بأروع مما جاءنا به

منذ ٢٢ سنة — قالوا : وما الذي نصنع ؟ وشمعون هو الذي اضطرنا لأخذ يوسف من حضن أبيه ، ويهوذا هو الذي حسن لنا اللقاء في غيابة الجب ، ثم أنت بالأشد ، ويهوذا بالأكثر ، بطالارواية أخذنا بنيامين من أبيه ، لازلتما تلحان عليه ، ولا برحما تتعدان له حتى واتا كما ، فيصبح أن نقول لك كما ليهوذا : « ييداك أوكتا وفوك نفخ » — قال : وما علمي بما سيكون ؟ امعري لقد سبق السيف العزل — قالوا : وماذا تريد الآن ؟ — قال : أما أنا ، فوالذي بإذنه تقوم الخضراء والغبراء ( لن أبرح ) لن أفارق ( الأرض ) الداخلة في مملكة الرعاة ولا فواقاً ( حتى يأذن لي أبي ) بالبراح ، أو الانصراف اليه ، بشرط أن يحلني من يميني ، الذي أقسمت له ، ويتنازل عن الوعد الذي وعدته إياه — وذلك أن رأوبين كان قال لأبيه : « اقتل ابني » إن لم أجيء به اليك ، سلمه بيدي وأنا أردده اليك » ( تك ٤٢ : ٣٧ ) ، ( أو يحكم الله لي ) بمفارقتها والخروج منها ، أو بتتمة مدة أسر أخي ، أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب ، أو بموتي في مصر ، فلئن مت غريباً في هذه الديار بلا خجالة ولا ذل ، خير لي من أن أرجع لفلسطين بالخجل والهوان ، ( وهو ) سبحانه وتعالى ( خير الحاكمين ) لانه لا يحكم أبداً إلا بالعدل والحق ، هذا كل ما أملكه اليوم في مصر ، وكل ما أستطيع أن أقدمه ، أملاً في تخفيف ويلات والذي ، وتخفيف هذا المصاب الذي لي منه حظ وافر ، سمع أخوته منه هذا الخطاب ، فأظلمت الدنيا في عيونهم ، وخيل اليهم كأن المحيط الذي يحيط بهم ، قد صبغ بصبغة الظلام الدامس ، ووقعوا في حيص بيص ، ووقعوا في قريب مما كان وقع فيه يوسف أيام الجب ، منذ ٢٢ سنة ، وكما تدن تدان :

عما قليل كأن الحكم لم يكن  
عليهم الدهر بالأحزان والحن  
هذا بذاك ولاعتب على الزمن

تحكموا ما استطاعوا في تحكهم  
لو أنصفوا أنصفوا ، لكن بغوا فبغى  
فاصبحوا ولسان الحمال ينشدهم

( فلما استيأسوا منه : خلصوا نجياً ... الخ ) .

— ٢ —

وقال سيدي علي المسمي<sup>(١)</sup> :

**بأس الاخوة من تخليص بنيامين وتفاوضهم واقوال اخبرهم الاكبر**

فرغنا مما كان من أمر الجدل بين يوسف واخوته ، وتوسلهم اليه ، وعدم اجابته إياهم ، فلنترك ذلك كله ، ولنترك يوسف وهو محظي بأخيه في فرح وجدل ، ولنذهب بالقارىء الى هؤلاء الاخوة العشرة ، وحيرتهم ووقوعهم في الضيق ، الى أن التجأوا الى المفاوضة .

رأوا أنه قد حمى الوطيس من جانب « عزيز مصر » فرجعوا الى أفاحيصهم متسللين متلاوذين ، وما رجعوا الا بنحي حنين ، فتلبدت عليهم غيوم الحادثة ، وضاق صدرهم ، وضافت عليهم الأرض بما رحبت ، ووقعوا في أزمة شديدة ، ورأوا أن هذا الحاكم لا يراغم ، وعلموا أن بقاء أخيهام أمر حتم ، لا بد منه طوعاً أو كرهاً ، فمثلت لهم حراجة الموقف بأجلى مظاهرها ، ورأوا أنهم وقعوا في حيرة ، تتقاذفهم العوامل ، بين رجوعهم لفلسطين بدون بنيامين ، وبين بقائهم بمصر ، حياءً من أبيهم ، وكلا الأمرين شاق ، وصاروا كلما تصوروا مسيرهم لفلسطين هالهم موقفهم أمام أبيهم ، وعظم عليهم الاعتذار ، ولم يكن ذلك الحادث ليهولهم أو يكبر عليهم ، لو لا ما سبق من حادثة يوسف ، فيها قد أصبحوا متهمين في نظر أبيهم ، فهذه المسألة هي بمكان من الدقة والخطر ، فلذلك رأوا أنفسهم في حاجة الى التفكير والمفاوضة ، لعلهم يصلون الى رأي أو مشورة ، يكون فيها حل لهذا المشكل ، ومخرج لهم جميعاً ، وتخفيف على أبيهم الذي هو الآن في قلق واضطراب .

(١) نسبة الى المسمية من قرى قضاء غزة ( فلسطين )

ينتظر بفارغ الصبر عودة ابنه بنيامين ، وعودتهم جميعاً سالمين ممتارين ، فلذلك انتبذوا جميعاً في ناحية بعيدة عن مجتمع الدهماء وضوضائهم ، متناجين ، وأعمالوا فكرتهم ، وفزعوا الى الموأمرة ، فقال أخوهم الأكبر رأوين كما روي عن قتادة وهو في الواقع ونفس الأمر كبيرهم على الاطلاق ، لأنه بكر اسراييل ، وهو ذو البلاء الحسن واليد المشكورة ( نوعاً ) في آرائه في يوسف ، فقد كان له معه ضلع لا ينكر ، وإن كانت المقادير لم تساعد — قال وقد شعر بعضهم التبعة التي تحملوها بالأقسام التي أقسموها لأبيهم : « يا أخوتي ، ألم تعلموا أن أباكم اسراييل قد كان تخوف منكم على ولده بنيامين حتى أخذ عليكم موثقاً من الله في شأنه ، وشأن محافظته ، والرجوع به سالماً ؟ . . فقد أصبحتم مقيدين بهذا الموثق ، وصرتم مرتبطين بذلك ( والشرط أملك ، عليك أم لك ) ، ومن قبل ما فرطتم في أمر المحافظة على « يوسف » رحمه الله منذ ٢٣ سنة ؟ . . أنا لا أريد أن أزيدكم علماً بذلك ، لأنكم تعرفونه تماماً ، اليس هكذا ؟ » — قالوا : « اللهم نعم ، ولكن إن لم يكن لنا في الواقع اعتذار عن حادث يوسف ، فانا نعتذر عن حادث بنيامين بأن أبانا قال : « إلا أن يحاط بكم » وقد أحيط بنا ، إذ لا يد لنا مع الحكومة المصرية ، ذات الحول والطول ، ولا طاقة لعشرة أنفار أن يعصوا دولة ، ويخرجوا عليها ، خصوصاً ونحن غرباء ، وفي داخل حدود مملكتهم ، لا سيما وقد أخذوه بوجه مشروع ، بعد استفتائهم منا ، وأنت تعلم أننا جميعاً لم نأل جهداً في استبداله بواحد منا ، وان « عزيز مصر » لم يقبل رجاءنا من هذا القبيل ، وكيف يقال أننا قصرنا ، وكل واحد منا فادى بنفسه ، وقبل التضحية بذاته ، ولكن مساعينا لم تكن الا قبض الريح » — فقال رأوين : « أنتم وذاكم ، وأما أنا فقد وطنت نفسي على أن لا أزال مرابطاً في مصر ، بدون أن أتبرم أو أتدمر ، ولن أفارق هذه الأرض ولو جلست علي الحكومة بخيلها ورجلها ، وسأبذل كل مرتخص وغال ، وأجود

بالنفس والنفيس ، وأنسى أهلي وأولادي ، في سبيل إقامتي في « صوعن » ، وعدم رجوعي لكنعان ، حياء من أبي ، ولأجل مشاركة أخي بنيامين وملاحظته ، وأملأ أن يجد في شأنه مافيه بارقة أمل ، حتى يأذن لي أبي بالانصراف إليه ، بشرط أن يحلني من اليمين التي كنت أقسمت لها عندما أخذنا بنيامين منه بان أردده له بيدي وأن يتنازل عن الوعد الذي كنت وعدته إياه بان يقتل ابني إن لم أجيء بنيامين إليه ، أو يحكم الله لي بما لا يعلمه سواه ، لأن المستقبل بيده سبحانه وتعالى .

( جيد )

فأما استيأسوا منه ، خلصوا نجياً . . الخ

— ٣ —

وقال تقي الدين الدهشوري (١) :

نشكر المحاضر الكريم الأخ المسمي على تفسيره لهذه الآية الكريمة وأرجو أن تعيروني سمعكم للتعليقات التالية عليها :

معنى النجى

١ — النجى والنجوى والتنجى مصادر بمعنى المسارة بالحديث وأصله من من النجوى ، وهي المكان المرتفع عما حوله ، بحيث ينفرد من فيه عن دونه ، أو من النجاة ، كأنه نجا بصره ممن يحذر اطلاعهم عليهم :  
والغالب في التنجى أن يكون خيراً للمتنجين ، وشرراً لغيرهم ، أو مؤذياً لهم . ولو من بعض الوجوه ، كإسرار الحرب والسياسة التي يتوخى بها أهلها نفع أنفسهم ، وضرر غيرهم ، فيكتمون أخبارها ، ويجعلونها نجياً بينهم ، لئلا تصل إلى خصومهم ، وعدوهم الذي يضره ما ينفعهم ، وينفعه ما يحبط عملهم ، ويبطل كيدهم

(١) نسبة الى دهشور من بلاد السودان المحري .

ويشبه ذلك ما يكون بين التجار وغيرهم من طلاب الكسب ، من التناجي فيما يخافون أن يطلع عليه غيرهم ، فيسبقتهم اليه أو يشاركهم فيه ؛ فالنجوى تكون في الخير كما علم ، ولكن الأكثر أن تكون في الشر ، أو أنها فيما يعود بالشر على غير المتناجين ، ولذلك كانت النجوى مظنة الإثم والشر ، والحكمة في كون النجوى مظنة الشر في الأكثر ، هي أن العادة الغالبة وسنة الفطرة المتبعة هي استحباب اظهار الخير والتحدث به في الملاء ، وان الشر والإثم هو الذي يخفى ، ويذكر في السر والنجوى ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم ، إلا من أمر بصدقة ، أو معروف ، أو إصلاح بين الناس ﴾ ( ٤ : ١١٣ ) ، والنجوى هنا هي من قبيل هذا النوع الثالث ، وهو الإصلاح ، لأنهم يتناجون لما فيه صالح أخيهم بنيامين ، أو فيه صالحهم جميعاً فيما بينهم وبين « عزيز مصر » ، أو فيما بينهم وبين أبيهم إذا رجعوا اليه ماذا يقولون له في شأن أخيهم .

### مجلس شورى الاخوة

٢ — لما وقعوا في الأزمة الشديدة عقدوا « مجلس شورى » ، وقد أصابوا لأن « يد الله مع الجماعة » ، و « المرء قليل بنفسه كثير باخوانه » و « ماخاب من استخار ، ولا ندم من استشار » وقد أمر نبينا عليه الصلاة والسلام بالشورى ، فقال : وشاورهم في الأمر ( ٣ : ١٥٩ ) ومدح الصحابة بقوله : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ( ٢ : ٣٨ ) ، وقال أبو الطيب المتنبى :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن	برأي نصيح أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة	فان الخوافي رافدات القوادم
وماخير كف أمسك الغل أختها ؟	وماخير سيف لم يؤيد بقائم ؟

١١٣١ (٨٠)٦ تعريض راويين باخوته بعدم اشتراكه في التفريط بيوسف

### تعريض راويين باخوته بعدم اشتراكه في التفريط بيوسف سابقاً

٣ — نفهم من قول راويين : « ومن قبل ما فرطتم في يوسف » شيئاً مهماً ، وهو أن راويين لم يقع منه تفريط في الاحتفاظ بيوسف ، وهو حقيقة راهنة ، أيدها النقل الصريح ، فقد روى لنا التاريخ أن « راويين » لما سمع كلام إخوته وموآمرتهم الأولى في شأن يوسف ، منذ ٢٢ سنة . قال : « لا تقتله ، لا تسفكوا دماً ، لا تمدوا إليه يداً » وصادف أنهم بعد أن القوه في الجب أن راويين غاب عن الجب وعن إخوته في بعض شؤونه ، ثم رجع الى الجب ، وإذا يوسف ليس فيه فزق ثيابه ، لأنه لم يكن يعلم أن « السيارة » جاءت فسحبتة ، وأصعدته من الجب وسافرت به لمصر ، وكان بعد القائه في الجب عازماً على إخراجه منه بحيلة ، ليرده الى أبيه ، فرجع الى إخوته وقال : « الولد ليس موجوداً في الجب ، وأنا الى أين أذهب ؟ » « فرأويين » كان يعمل في الخفاء ويريد أن يرد يوسف لآبيه فيما بعد ، — هذا ما ذكره التاريخ ، وهو يؤيد ما فهمناه من الكتاب الكريم من أن « راويين » لم يكن مفراطاً بالاحتفاظ على يوسف ، وإلا لجاز أن يقول له كل واحد من إخوته ، ما قاله « أبو العيناء » لصاحبه ، حينما سأله عن سبب بكوره ، فقال : « أراك تشاركني في الفعل ، وتضروني بالعجب » أو كما قال بعضهم لآخر : « ما جاء بك في هذا المحل المريب » ؟ فأجابه : « الذي جاء بك » .

### اقرار الاخوة على التفريط بيوسف سابقاً

٤ — وأخيراً فقد لاحظت هنا ملاحظة ، ولا أعلم إذا كان اتيح لغيري أنه لاحظها أم لا ، وهي أن قول راويين : « ومن قبل ما فرطتم في يوسف » هو أول اعتراف بالحقيقة جرى على لسان واحد منهم وسكت عليه الباقيون ، فيكون الكل قد اعترف صراحة بأنهم فرطوا في يوسف ، وكان هذا نتيجة شيء من



الخلاف بين الاخوة ، وبعبارة أصح بين رأوين وسواه ، وبذلك صدق قول بعض الحكماء : « إذا تخاصم اللسان ظهر المسروق » (مرحى)

### نتيجة المفاوضة

آ (٨١) \* ارجعوا الى أبيكم ، فقولوا : يا أبانا ، إن ابنك سرق ، وما شهدنا إلا بما علمنا ، وما كنا للغيب

١٠ : ١

افتتحت الجلسة وتليت الآية الحادية والثمانون فقام الملا محمود السليمانى (١) وقال :

يقول « رأوين » : هذا ماصحت عزمي عليه بالنسبة اليّ ، وأما بالنسبة اليكم يا اخوتي ، فليست أرى الا عودتكم ، فذلكم أخلص وأوفق لكم ( ارجعوا ) سراعاً ، واستحثوا غيركم جهد طاقتكم ( الى أبيكم ) ، ونيهاً ، سيروا لفلستين وإن يكن هذا الرجوع رجوعاً بشرياً وعراً (٢) ، رجوعاً بصفقة المغبون ، ولكن ما العمل ؟ ارجعوا اليه ( فقولوا : يا أبانا ، إن ابنك ) بنيامين اصلحه الله ، ( سرق ) سقاية الملك ، التي يكيل بها للمتارين ، وجدت في عدله ، فأخذ عبداً ، حسب شريعتنا ، وها هو الآن عند « عزب مصر » ( وماشهدنا ) عليه أمامك بالسرقة ( إلاّ يا علمنا ) ظننا بمقتضى ظاهر الحال ، وبمقتضى شريعتنا أن مجرد وجود الشيء بيد المدعى عليه بعد انكاره يوجب له أحكام السارق ظناً ( وما كنا للغيب

(١) سبة الى السلطنة بلدة في العراق .

(٢) العر : المكروه

حافظين ) أي وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق ، أو ما علمنا انك تصاب به كما أصبت بيوسف ؛

نحن اليوم وقعنا في مشكلة لم تكن في حسابنا ، وما كنا لتعلم ما يأتي به الغد.

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

ما كنا نعلم أن حادثاً كهذا ينزل فوق رؤوسنا ، وبنوع أخص فوق رأس أختنا بنيامين ، أنت قلت ، وكانك حفظت لنا خط الرجعة : إلا أن يحاط بكم ، وقد أحيط بنا ، فلقد غلبنا على أمرنا ، ولسنا أكفاء لحكومة مصر أن تقاومها ، وما عسى أن نضع مع حكومة القاهرة غنية ؟ وقد قيل « إذا تكلم الجاه مسكت الصواب ، وإذا نطق المال خرس الحق » على اننا نعتزف بأننا رأينا الصواع في عدل أختنا رأي العين ، ونحن لو كنا نعلم الغيب لاستكثرتنا من الخير ، وما مسنا سوء ، سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

### جهل البشر وفهم الانبياء بالغيب — إقامة الحجج على النصارى بهدم الوهية المسيح

ملاحظة — لقد صدقوا في قولهم : ﴿ وما كنا للغيب حافظين ﴾ ، لانهم بشر مخلوقون ، وليس هم فقط ، بل كل بشر مخلوق لا يعلم الغيب ، حتى ولو كان نبياً مرسلًا ، قال نوح عليه السلام : ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ ( ٣١ : ١١ ) وكذلك قال خاتم الانبياء : ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ ( ٥٠ : ٦ ) وقال أيضاً :

﴿ ولو كنت أعلم الغيب ، لاستكثرت من الخير ، وما مسني السوء ﴾

( ١٨٧ : ٧ ) وقال المسيح عيسى : ﴿ تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ﴾

( ١١٩ : ٥ ) وقال في الانجيل ﴿ وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بها

أحد ، ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن ، إلا الآب ﴾ ( مر ١٣ : ٣٢ )

وبهذه المناسبة ، والشيء بالشيء يذكر ، تقول اذا كان المسيح بمقتضى هذه العبارة لا يعلم متى تقوم الساعة - سواء أكانت الصغرى أم الكبرى - باعترافه هذا ، فكيف يكون هو ديان الخلائق يوم القيامة ؟ وقوله فيها : إن الابن لا يعلمها ، نص على أنه ليس بإله ، فان قيل : لعله يريد « الانسان يسوع » - قلت : ولم لم يعبر بذلك ، ليكون قوله خالياً من اللبس والتضليل ؟ ، واذا كان افنوم الابن متحداً بناسوته كما يقولون . فكيف لم يعلم الناسوت ما يعلمه اللاهوت ، والاتفا معنى هذا الاتحاد ؟؟ وجاء أيضاً في انجيل يوحنا ، ان المسيح عيسى لما أشار عليه إخوته بالذهاب الى اورشليم ، لأجل العيد ، قال لهم : « أنا لست أصعد بعد الى هذا العيد » ( يو ٧ : ٨ ) ولكن لما مضى اخوته الى العيد ، مضى هو ايضاً بعدهم متخفياً ( يو ٧ : ١٠ ) ، فعبارته هذه إما انها كذب وغش ، ولذلك ذهب بعدها متخفياً ، واما انه ما كان يعلم أنه سيذهب الى العيد ( أي جهل وتردد ) ، وكلاهما مما يجب أن ينزه الله تعالى عنه ، وان كان قلما باعتبار الناسوت - وهو الجواب الذي صدعوا آذاننا به - قلت وكيف لم يهده اللاهوت المتحد به ، الى البت في عمل صغير كهذا ، وتركه يبدي كل تردد وجهل ؟ وما فائدة اللاهوت إداً ؟ وفي أي شيء أفاده ؟ ولم اتحد به الله ، وهو لم يصلب معه ؟ بل تركه ، ولذلك قال : « إلهي إلهي ، لماذا تركتني ؟ » ولم يعبد النصارى هذا الناسوت العاجز الجاهل مع اللاهوت ، ولم يفرقوا بينها !!؟؟

## شهود الحال على جريمة التسريق

آ (٨٢) ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا، وَالْعِيرَ الَّتِي  
أَقْبَلْنَا فِيهَا، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾

تابع الخطيب السابق كلامه على الآية الثانية والثانين قائلاً :

استمر « راويين » في مخاطبة اخوته مبيناً لهم ما يجدر بهم أن يقولوه لأبيهم،  
( و ) إذا أردت يا أبانا أن تتبين حقيقة ما نقول ، وتعلم صحة ما نقل ، ( اسأل )  
بنفسك أو بواسطة أحد عبيدك سكان ( القرية التي كنا فيها ) حيث جرى حديث  
التسريق والتفتيش - وهي الدسكرة التي لحقهم فيها فتیان العزيز و جرت فيها تلك  
المحاورة - ( و ) أيضاً اسأل ( العير ) أي اصحاب العير والعير هي القافلة من  
الإبل - ( التي أقبلنا ) التي رافقناها وكنا مقبلين ( فيها ) لجهة كنعان ، فذلك يوم  
مجموع به الناس ، وذلك يوم مشهود ، وهذه « القرية » لقربها لا تحتاج لقطع أعناق  
الإبل ، إنه ليس بينك وبينها سوى ثلاث مراحل ، وهذه « العيرة » من فلسطين  
من جيرانك ليسوا بعيدين عنك ، وهم كثر ، لا يأخذهم عدو ، ولا يتهم واحد منهم  
بأنه يشهد عن عاطفة أو محاباة لنا ، بل كلهم شهود عدول ، وبراہین ساطعة ، وعند  
السؤال يتبين لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، وتظهر لك صحة ما ندعي ،  
فان هذه الحادثة اصبحت من الاخبار المستفيضة المستطيرة المعروفة عند هؤلاء الناس  
أجمعين ، ( و ) والله الذي بإدنه تقوم السماء والأرض ، ( إننا لصادقون ) وإلا  
فكل واحد منا نَفِيٌّ من أورمة إسرائيل ، وقد قيل : « لسان أخرس خير من  
لسان ناطق بالكذب » ، فهذه شهادتنا بأنفسنا ، وهذا استشهادنا بالناس المراقبين

لنا ، وهذه ايماننا ، وذلك الآن هو كل ما نملك من الدلائل التي تقدر أن تقدمها أمامك ، وما بعدها زيادة لمستزيد .  
وأختم كلامي بالمواد التالية :

### التحقق من القرية والعر

مادة ١ — طلبوا الى أبيهم إن أحببنا ، أن يسأل القرية والعر ، والغالب أن تلك القرية كهؤلاء العير ليسوا من المؤمنين ، ومع ذلك فإن أخبارهم مقبول ، لأنه من قبيل البينة ، لا من قبيل الشهادة ، وقد قال العلماء : « البينة في الشرع أهم من الشهادة » ، فكل ما يتبين به الحق بينة ، وذلك كالقرائن القطعية ، وعليه فشهادة غير المسلم تدخل في البينة بهذا المعنى ، إذا تبين للانسان بها الحق ، ومع ذلك فهم يقولون لأبيهم إن هذا الحادث مستفيض ، وعند الاستفاضة لا فرق بين المسلم وغيره ، وربما كانت أخبار غير المسلم مقبولة أيضاً والله أعلم .

### المراد من القرية ١١

مادة ٢ — المراد من « القرية » أهلها كما ذكرنا ، فإن العرب تذكر اسم المكان وتريد من فيه ، ومثاله : « والى مدين أخاهم شعيباً » ( ٧ : ٨٤ ) ، أي الى أهل مدين ، وكما قال حميد بن ثور :

قصائد تستحلي الرواة نشيدها ويلهو بها من لاعب الحي سامر  
يعض عليها الشيخ لبهام كفه وتجري بها أحياءكم والمقابر

أي أهل المقابر ، والعرب تقول : « أكلت قدرأ طيبة » أي أكلت ما فيها ، وكذلك قول الخواصة : « شربت كأساً » (١) .

(١) فقه اللغة .

## حال يعقوب واسرته آتشد

مادة ٣ — قضوا في هذه الموأمره ساعة وبعض الساعة ، وأخيراً وعلى حسب ما قال « كبيرهم » قام الاخوة التسعة ، وأعدوا معدات السفر ، ورحلوا قافلين لفلسطين .

فوا أسفاه لهذه الحال المحزنة التي صارت اليها أسرة يعقوب عليه السلام : بلاء اكتنفهم ، وشرور تظاهرت عليهم ، ومحن قد أحاطت بهم ، وتفرق بعد اجتماع ، وانتشار بعد انتظام ، فأبوهم هو وأحفاده في فلسطين ويوسف — في رأيهم — مفقود ، وبنيامين ، مستعبد عند « عزيز مصر » ، ورأويين بقي في مصر في إحدى فنادقها ، غريباً وحيداً ، ينتظر الفرج من الله ، وأما التسعة الباقون ، فهم سائررون الآن في الطريق الى أبيهم ، بين مصر وفلسطين ، في تلك الصحراء القاحلة ، وكلهم في فكرة وقلق ؛ سبحان الله ؛ قضى يعقوب عليه السلام زمناً غير قليل من حياته بفلسطين ، تبعياً من أخيه « عيسو » الجبار ، ثم خوفاً منه أن يقتله قام للعراق وقضى فيها عشرين سنة وهو يرعى غنم خاله « لابان » ، ثم قضى برهة من أيام حياته مسروراً مغتبطاً بابن هو الزهرة اليانعة في روض أبنائه ، ثم نكبه الدهر فيه نكبة عظمي ، فحزن عليه حزناً شديداً ، ثم جعل حزنه يحف تدريجياً ، كما تخف أحزان جميع الناس بطول المدة ، ولم يجد بداً من أن يعيش لابنه بنيامين أصغر أبنائه ، ليتولى تربيته واسعاده وأصبح بنيامين تعزيتة الكبرى بعد شقيقه المفقود ، وهو كذلك ، فما شعر إلا وقد فقده اليوم أيضاً ، وصار عبداً لحاكم مصر :

عن الزمان كثيرة لا تنقضي وسروره يأتيك كالأعياد

## تكذيب فصر فترجي

آ (٨٣) \*.... قال: بل سَوَلْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً، ففصبرُ  
جميلٌ، عسى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثالثة والثمانون فقام الشيخ خليل من  
علماء الطائف (١) وقال :

رجع اخوة يوسف الى ابيهم فقالوا له ما قاله له اخوهم « رأوبين » ، فلما سمعه  
أبوهم ، ألمّ به من الحزن ما كادت تتقد منه أضالعه ، فقال لهم : « ثم ماذا ؟ أتوا  
حديثكم — قالوا : هذا كل حديثنا ، وليس عندنا حديث غيره » فما عدا أن يسمع  
هذا الكلام حتى ( قال ) « لم اصدق ، ولا أريد أن اصدق ، ( بل سولت ) زينت  
وسهلت ( لكم أنفسكم امراً ) أردتموه ودبرتموه ، وإلاّ فما أدري ذلك الرجل أن  
السارق يؤخذ بسرقة لولا فتواكم وتعليمكم له بعد ظهور السرقة تعمداً ليتخلف  
أخوكم » — قالوا : « ما أخبرناك إلا بالحق » — قال قلت لكم : « ان ابني لا يسرق ،  
ولن يسرق ، وان حاكم مصر لا يعرف هذا الحكم العبراني الا من فكم ، ولأمر  
ما دُبّر من قبلكم ، وقبّل حاكم مصر أن يحكم على رجل عمل جنايه في بلاده  
بغير شريعة مملكته ، والا فشرّف مصر يتطلب الحكم على الجاني فيها بقوانينها لا غير »  
( فصر جميل ) على هذا النأي المقدور ، فان الصابر كالرجل القوي ، لا بنوء به  
الحمل الثقيل .

— وهنا نرى ان يعقوب عليه السلام نزع الى الصبر ربنا يتكرم عليه ربه  
بلقيا أولاده الثلاثة ، فيفرح فرحاً مثلثاً :

(١) الطائف من مدن الحجاز .

كن حليماً إذا بليت بفيظ وصبوراً إذا أتتك مصيبة  
فالليالي من الزمان بحالي كل يوم يلدت فيه عجيبة  
( عسى الله أن يأتيهم بهم ) بالثلاثة ( جميعاً ) عاجلاً أو آجلاً ، فاني أرى ذلك  
بعين القلب ، ولا أزال أسمع صوت الوعد السماوي يرنّ في اذني ، ( إنه هو العليم )  
بحالي في الحزن والأسف ( الحكيم ) الذي لم يبتلني بذلك الا للحكمة ومصلحة .  
( قال : بل سولت لكم أنفسكم ... الخ )

— ٢ —

وقال الشيخ الأسيوطي (١) :

### حال يعقوب عندما بلغه نبأ تلصص واستعباد بنيامين

انصاع أولاد يعقوب لرأي أخيهم الا كبررأوين ورجعوا أدراجهم الى أبيهم ،  
وقصوا عليه القصة ، وقد كان ينتظر عودة بنيه بكل فروغ صبر ، مع علمه بطول  
المسافة التي بين « سيلون » محل اقامته في فلسطين و « صوعن » محل اقامة العزيز  
بمصر ، ولكن مدة الانتظار تطول على المنتظر وان قصرت ، وكان بمدة  
الانتظار مملوءاً من الرجاء والأمل ، وهو كذلك إذ جاءه أبناءه يحملون  
له نبأ تلصص بنيامين واستعباده ، فتمعّر وجهه ، وقال في نفسه : كنت في مصيبة  
فصرت في اثنتين ، ويحكم ! انه لحوب كبير ، ما هذا الذي تقولون ؟  
... لا.. لا.. لم يكن شيء من هذا القبيل ، أنا اليوم مثلي بالأمس وبالغد ، أرتاب  
في صحة كلامكم ، ولا اصدق ما تخبرون به ، لا أحميد عن ذلك قيد شبر ، بل  
سولت وزينت لكم أنفسكم أمراً ذا بال ، أمراً ضل عني فهمه ، وعمت علي حقيقته  
واغمي عليّ واستبهم ، وان سابق عملكم مع يوسف الفقيد ، يجعلني أقف تجاه  
أخباركم هذه موقف المرتاب ، أنا لست الآن في معرض التحقيق والبحث ،

(١) نسبة الى بلدة اسيوط بمصر .



ولا اتفرغ له ، إنما لا أظن أن « بنيامين » يجرأ على هذا ، إذ يحتمل انكم أتم الذين جعلتم « السقاية » في رحله ، كما يحتمل ان حكومة مصر لها في ذلك الحادث شأن من الشؤون ، لا يعلمه الا الله تعالى ، نواحرناه ... يا بنياميناه ... آه من اهل الظلم ! أواه من الحكام الظلمة ، هل انت لص خائن يا بنيامين ؟! هل أنت متسول ؟! حاشا .. ولكن هي اغراض الظالمين ، تسلك الأبرياء في سلك المجرمين ، فصبر جميل على هذا الحادث الذي يفتت له الصخر ، صبر جميل وإن اكن قد ذقت العذاب الوافاً ، صبر جميل وإن بكن عنائي وهمي بفراق ثلاثة أولاد سيكون أضعاف عنائي وهمي بفراق ولدواحد :

نصيبك في حياتك من حبيب	نصيبك في منامك من خيال
رماني الدهر بالأرزاء حتى	فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتي سهام	تكسرت النصال على النصال
وهات فما ابالي بالرزايا	لأنني ما انتفعت بأن ابالي

آه ... أرسلت ابني بنيامين لازداد حمل بعير ، فنقصت ولداً بل ولدين ، أرسلت ابني بنيامين لكي اخفف وبلتي التي أصابتي بالقحط والأزمة مع من أصابت ، فكانت النتيجة انه استرق ، فكنت بحسب العاقبة كناقش الشوكة بالشوكة ، أو كفاصل الدم بالدم ، أو كمقروور هرب من الديمة ، فصار تحت الميزاب ، أو هرب من الرمضاء فتدهور في النار ، ولكن :

سأصبر حتى يعلم الصبر أنني	صبرت على شيء أمر من الصبر
فما مثل مر الصبر صبري وإنما	صبرت على شيء أحر من الحجر
فما أحسن (الصبر الجميل) مع الرضا	وما قدر المولى على عبده يجري

وان بطل الدهر هو من كافح المصائب بشجاعة ، وتغلب عليها بالثبات ، والحازم من صبر عن مفضل الحياة :

كم ساعة أزعجني وقعها  
فتشت فيها جاهداً لم أجده  
وكم سقتني المر أخت لها  
فأسلمتني هذه عنوة  
يا صاحب الساعات انصت عسى  
تنجيك منها الساعة القاضية  
وآلمتني يدها القاسية  
هنيهة واحدة صافية  
فرحت اشكوها الى التالية  
لساعة اخرى وبى ما يه  
تنجيك منها الساعة القاضية

ولكن عسى الله ان يأتيني بأولادي الثلاثة ، فان في ذلك لي رهبةً قوية  
واملاً كبيراً :

ولربها نثر الجمان تعمداً ليعاد احسن في النظام واكتملا

وان الشمس تغرب ، فلا تلبث أن تطلع من شرقها ؛ ونرى تراكم السحاب  
فوقها ، فلا تلبث أن تنفرج عنها ، حينما تهب عليها الرياح الباردة ، وان الاشجار  
تعري ، ثم تعود الى جمالها مخضرة نضرة ، حينما تهب عليها نسبات الريح . وان  
الأحياء ينامون في مضاجعهم حتى إذا طلع عليهم الكوكب النهاري بقرنه ، قاموا  
من مراقدهم ، وهكذا أولادي ، سيؤوبون — ان شاء الله — الى وطنهم وحضن  
أبيهم ، وما ذلك على الله بعزير .

(مرحى)

( قال بل سولت لكم انفسكم .. الخ )

— ٣ —

وقال العلامة القزويني (١) لي على هذه الآية الكريمة التذييلات التالية:

**هاتف من يعقوب**

١ — رأيتني في مسقط رأسي « قزوين » في ذلك الحين ، حين أن سمع يعقوب

(١) نسبة الى قزوين بلد على بحر قزوين شمال ايران

من أولاده نبأ بنيامين ، وكان لدي « الهاتف اللاسلكي » فأدرت لولب أمواجه الى « سيلون » ثم أصغيت في صوانه ، فسمعت يعقوب عليه السلام يقول :

« ما هذه الكرب التي لا تزال تتعهدني ، كما تتعهد المحموم نوباته ، حيناً بعد حين ؟!.. موت راحيل ، ففقدان يوسف ، فموت اسحاق ، فاسترقاق أصغر الأولاد ، فاحتباس كبيرهم ، فما لحواذث الأيام قد التفت حولي ، التفاف المقطرة بالمقطور ؟!.. ومالعاديات الدهر قد أحاطت بي ، إحاطة الجامعة باليد ، والقيد بالرجل ؟!..»

خليلي لا والله ما الدهر منصف	وليس له يوماً علي جميل
يقرب مني كل شخص يسوءني	ويبعد عني من اليه أميل
« آه .. أواه .. وا أسفاه ..»	

سمعت هذا من ثم هذا الصفي الكريم، ثم سمعت هاتفاً يهتف به من الملائة الأعلى:

﴿ وَلَنَبَلِّغُنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ، وَنَبَلِّغُنَّكُمْ ﴾ (٤٧ : ٣١) ، صار كل هذا ، فعجبت في نفسي كيف تسنى لي أن اسمع كلام يعقوب عليه السلام ، وبينني وبينه نحو ( ٣٧٠٠ ) سنة شمسية ؟ ثم استغربت من وجود اللاسلكي في ذلك الزمن ، وفيما أنا كذلك ، تلملت وفتحت عيني فاذا أنا في حلم ، فذهب عني كل ما كان عندي من تعجب واستغراب .

### الايجاز والحذف في القرآن

٢ — تقدمت الاشارة الى ان في صدر الكلام حذفاً ، تقديره : فرجعوا الى ايهم فقالوا له ما قال لهم كبيرهم ، ولهذا نظائر في القرآن كثيرة منها قوله تعالى :

« يوسف ، أيها الصديق الخ » وفيه ايجاز ، والمعنى فأرسلوه الى يوسف ، فأناه ، فقال يوسف الخ ، ومنها قوله تعالى : ﴿ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَتَقُولَا : إِنَّا رَسُولُ

رب العالمين ، أن أرسل معنا بني إسرائيل ، قال ، ألم نربك فينا وليداً ؟ ﴿ ٢٦ : ١٦ - ١٨ ﴾ معناه فأتاه فقال له ما أمره الله ، فقال فرعون : ألم نربك الخ ،

### استغشاش يعقوب لاولاده في نبأ بنيامين

٣ - لم يصدقهم أبوهم هذه المرة ، مع انهم - فيما يعتقدون - صادقون فيها ، لأن من عهد عليه الكذب ، لا يصدق ولو تكلم بالصدق ، كما ان من عرف بالصدق يصدق في كل شيء ولو كان كاذباً ، فابوهم لم يقابل كلامهم بالتصديق بل استغشهم ، ولم يكن في هذه المرة الثانية أقل منه استغشاشاً لهم في المرة الاولى . كانوا استشهدوا بسؤال القرية والعير ، فلم يأبه لاستشهادهم ، ولم يعبا بأيمانهم ذلك لانه تعود منهم الغدر والكذب واليمين الضموس ، فما صدقهم في هذه الحادثة ، مع أنهم كانوا - في تصورهم - صادقين . فما مثلهم الا كمثل حكاية الذئب وراعي الغن المشهورة .

### يعقوب بين الابتسام والانسجام

٤ - لو رأيت يعقوب عليه السلام حينما سمع هذا الخبر المقعد المقيم ، لرأيت منظرأ عجيباً ، وخلقاً غريباً ، نعم لو رأيت في وجه واحد ، ثغراً يتسم ، ودمعاً ينسجم ، أما الانسجام فلاجل مصيبة ولده بنيامين ، وأما الابتسام فلانه علم ان الله قد آذن بالفرج ، فان الكرب اذا اشتد هان .

### تسكك يعقوب في حادثتي يوسف وبنيامين

٥ - تقدم انه نطق بعين الجملة الشريفة ( بل سولت لكم أنفسكم أمراً ) حينما أخبر بأن « الذئب » أكل يوسف ، فهو وان يكن قد ذهبت به الظنون

في شأن ولديه كل مذهب ، إلا أنه كان لا يعتقد أكل الذئب ليوسف ، ولا يصدق بسرقة بنيامين على الحقيقة .

### صبر يعقوب

٦ - صبر يعقوب عليه السلام في هذه المرة الثانية ، مع انها مصيبة ملوثة بالعار والدناءة ، فلا تقل عن المصيبة الأولى ، بل ربما كانت أعظم ، وعلى كل فان أسباب الكرب والكدر فيها ترمي الصبر بالمنجنيق - صبر لأنه من أصحاب المبادئ الثابتة ، ومن ذوي الأخلاق المتينة ، هذا عدا أنه من الأنبياء المرسلين الذين هم سادة المتأديين ، بما أدبهم به رب العالمين .

### موقف يعقوب واحد في حالي كذب وصرق اولاده

٧ - نرى أن موقف يعقوب مع اخبارات اولاده واحد ، في حالي كذبهم (١٧ع) وصدقهم (٨٣ع) برنامج ثابت ، وضعه لعدم ثقته بهم ، لن تجد له تحويلاً ، ولن تجد له تبديلاً .

### خوف يعقوب من اولاده

٨ - نقرأ في كتاب الله آية ، فنجدها كأنها فصلت ثوباً سابقاً ليعقوب عليه السلام ، وتلك الآية هي قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ، وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ، وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥:٢) ، فانه عليه السلام كان في شيء من الخوف من اولاده ، بدليل أنه - لاسيما في المرة الاولى - لم يعاقبهم ولم يشدد عليهم ، ولم يجمل طويلاً في البحث معهم عن يوسف ، وقد كان قبل هذا النوع من الخوف خاف خوفاً شديداً من شقيقه « عيسو » حتى انه خاف أن يقتله ، وهذا ما كان دعاء للهجرة من الشام للعراق .

عند خاله « لابان » ، تم قد وقع هو واسرته في شيء من الجوع وتقص الأموال والثمرات في سني الجذب ، وتقص من أولاده يوسف وبنيامين ورأويين ، ومع ذلك كله فقد صبر صبراً جميلاً .

### دمعة على يو.

آ ( ٨٤ ) \* وتولى عنهم ، وقال : ياأسفاً على يوسف  
وابيضت عيناه من الحزن ، فهو كظيم \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية الرابعة والثانوت فقام حيدر افندي  
الازميري (١) وقال :

كره يعقوب ماجاء به أولاده ، فأعرض ( وتولى عنهم ) وهو يتعثر في اذنيه  
من شدة الهم ، وقد احتدم احتداماً ، وصفق كفاً بكف ، وقد تفتحت جروحه  
( وقال ) بصوت شجي مؤثر ( ياأسفا على يوسف ) — والأسف أشد الحزن  
والحسرة ، يقال أسف كتعب : حزن وتلف ، فهو أسفٌ مثل تعبٍ ، والألف  
بدل من ياء الاضافة ، — وانما أسف هنا على يوسف ، مع أن المقام مقام أسف  
على بنيامين ورأويين ، والرزة الأحدت أشد على النفس وأظهر أثراً ، لأن أسفه  
على يوسف كان متادياً لم ينقطع قط ، فكان الرزة فيه مع تقادم عهده كان غضاً  
طرياً ، ولأنه لم يقع حادث عنده موقعه ، ولأن الرزة في يوسف كان قاعدة  
مصيباته التي ترنت عليها الرزايا في ولده ، فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق  
به ( و ) لزال يبكي حتى ( ابيضت عيناه ) أي مقلتا عينيه ( من ) كثرة البكاء  
الناجم عن ( الحزن ) ، لأن الاستعبار إذا كثر محقت المبرة سواد العين وقلبت

(١) نسبة الى ازمير من بلاد الاتراك

الى بياض كدر ، ولا بد انه عليه السلام كان يدرك رؤية الأشياء ادراكاً ضعيفاً ، لأن العمى لا يجوز على أنبياء الله ، لأنه من الداآت المنفرة للطبيعة؛  
 وجاز له أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لأن الانسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ، ولذلك حمد صبره ( فهو كظيم ) مملوء من الغيظ لأجل أولاده ، ولا يظهر مايسوءهم ، — وفعيل بمعنى مفعول بدليل قوله ﴿ وهو مكظوم ﴾ من كظم السقاء : اذا شده على ملئه ، والكظم ( بفتح الظاء ) مخرج النفس ، يقال : أخذ بأكظامه .

( وتولى عنهم ، وقال ياأسفا .. الخ )

— ٢ —

ثم تابع المحاضر كلامه قائلاً :

### تجدد حزن يعقوب

كان يعقوب يرى أن يوسف هو ثمرة حياته ، ومرجع آماله ، وزهرة أعماله وتعزيتة في شيخوخته ، ووارث علمه ، ومجدد مجده ، وانه هو الذي تمثلت فيه ملامحه ، وتوفرت فيه خلائق أبيه وغرائزه ، ولذلك لم ينسه ولن ينساه ، فعندما سمع نبأ بنيامين ، تذكر ولده يوسف فتولى عن أولاده وخلا بنفسه ، فصارت الهواجس تتقاذفه ، والأفكار تخنقه ، وقد جرت عادته أن يتعزى عن يوسف ببنيامين ، ولكن اليوم لم يجد مايتعزى به عنه ، فاندفع الى ذكره ، وقال : « ياأسفا على يوسف ! فقد كان تعزيتي عن كل شيء ، وكان زينة أولادي ، وبيت قصيدهم » فصعد الزفرات ، وأسأل العبرات حيث طفحت عواطفه عن طريق العينين فانسكب دمعها قطرات ، يسابق بعضها بعضاً ، وبالنتيجة ابيضت عيناه من الحزن الصامت ، ولكن بدون أن يجني ذلك البياض على نظره ، وأشد الحزن

ما يبكي الرجال ، وكان حينما يبكي لا يدري ، أيبكي يوسف .. أم يبكي بنيامين ، أم يبكي رأوبين .. أم يبكي شخصه الذي أصيب بهذه المصائب .. أم يبكي تشويش حال أسرته وتشتتها .. أم سوء سمعة بنيامين واسترقاقه في مصر .. الى آخر الأحوال المحزنة الأليمة التي صبت فوق رأسه ، عليه الصلاة والسلام !!؟

وهنا رب سائل يسأل ويقول : كيف بكى يعقوب حتى ابيضت عيناه مع أنه وعد أن يصبر صبراً جميلاً ؟.. والذي يفهم من كلام بعض الشعراء أن البكاء ينافي الصبر الجميل ، قال البحري :

إن الفراق كما علمت فخلني      ومداماً تَسَعُ الفراق وتفضلُ  
إن لا يكن صبر جميل فالهوى      نشوان يجمل فيه مالا يجملُ  
وقال كثير :

وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكا      فقلت : البكا أشفى إداً لقليلي  
وقال أبو فراس الحمداني :

إذا مادعوت الصبر بعدك والبكا      أجب البكا طوعاً ولم يجب الصبر  
وقال المتنبي :

يأبى الشجاع وصبره متواتر :      يبكي ومن شر السلاح الأدمع  
وإذا حصلت من السلاح على البكا :      فحشاك رعت به وخدع تفرع

قلت في جوابه : ليس مطلق بكاء هو من نوع منافيات الصبر الجميل ، كما تشير اليه هذه الأشعار ، ولكن الذي نص عليه علماء التفسير ، وفي مقدمتهم ابن جرير ان الصبر الجميل هو الذي ليس فيه جزع ولا شكوى ، أو كما جاء في الحديث المرفوع هو الذي لا شكوى فيه ، ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق ، الا ترى الى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ ، وعلى كل فهذا المعنى يصدق بما اذا كان فيه بكاء ولو كثيراً ، ومجرد البكاء ولو كثيراً ، لا يسمى جزعاً ،



إنما الجزع ما يقع من الصباح والنياحة ولطم الحدود وشق الجيوب ، فهذا النبي ﷺ ، كان سيد الصابرين الصبر الجميل ، مع انه بكى يوم وفاة ولده ابراهيم وقال : ﴿ إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، وإننا بفراقك لمحزونون ، ولا تقول إلا ما رضي ربنا ﴾ وعنه ﷺ : « انه بكى على ولد بعض بنيه وهو يوجد بنفسه ، فقيل يارسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء ، فقال : ما نهيتكم عن البكاء ، وإنما نهيتكم عن صوتين أحقين ، صوت عند الفرح وصوت عند الترح ، وعن الحسن : « انه بكى على ولد او غيره ، فقيل له في ذلك ، فقال : مارأيت الله جعل الحزن عاراً على يعقوب » قال الشاعر :

إن البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح

وأما ما يفهمه شعر هؤلاء الادباء من المنافاة بين الصبر ومطلق البكاء ، فهو من باب المبالغات الشعرية ، وأيضاً فليس كلام الادباء بحجة في اللغة ، وإنما الحجة الحديث الشريف الذي فسر الصبر الجميل بانه الذي لا شكوى فيه الى الخلق ( فهو كظيم ) حيث صار ذا حرقة كامنة تعتلج في صدره ، ولا تجد لها متنفساً ، وقد احتفظ بسكوته وهدوئه ، فلزم خيمته يقاسي من داء قلبه وداء عينيه مالا يطيق مثله الا مثله ، وفي الختام نعلم من هذه السورة الشريفة ان حياة يعقوب عليه السلام كانت مفعمة بحوادث الأحزان والكروب النادرة المثل في التاريخ .

( جيد جيد )

وتولى عنهم وقال : يا أسفا على يوسف . . الخ

— ٣ —

وقال الطيب هبة الله الدمشقي :

افترق يعقوب والنبين عليهم السلام

كره يعقوب ماجاء به أولاده ، فبرم بهم وتركهم ، أو أنه تغفلهم فأعرض

عنهم وابتعد منهم ، لأنه يريد أن يطلق عنانه في التأسف والتحسر ، ويوغل في البكاء بحرارة ، لأنه جرب فرآى أنه إذا أراد أن يذكر يوسف أمامهم ، فرعان ما يسمع منهم الانتقاد ، أو لأنه أحب أن يخفي عنهم ألمه ، الذي عجزت مُنته عن احتماله ، وأن يحمل ثقل ذلك على عاتقه ، دون أن يكدر صفاء من حوله ، ولو أنهم هم لا يهمهم أن يكدروه ، فلم يظهر لهم شيئاً من ذلك ، ولم يظهر مايسوؤهم ، رغمًا عن أنهم أساؤوه ، شأن كل كريم ، لاسيا النبيين ، لا يظهرون انقباض نفوسهم ، ولا يحملون الناس شيئاً من اكتئابهم ، ولا يفرقون على الناس همومهم لئلا يحزنوا بذلك قلوبهم ، لأنهم هم الذين يأمرون الناس بأن يقدموا للناس ما فيه مسرات الحياة ، وترويح النفوس ، وينهونهم عن انقباض النفس وايتسار (١) الوجه أمام غيرهم ، لئلا يكدروا صفاءهم ، لأنه أما يكفي أن لا يستطيع الإنسان أن يسعد أخاه ، فاذا لم يفعل ، فعلى الأقل يجب أن لا يشقيه ، وهذا خلق عظيم من الأخلاق الفاضلة التي ينبغي لنا التخلق بها ، فحبذا لو كان كل منا يحافظ على أن لا يقطع على أخيه مسرته ، بل يزيد سعادته وغبطته ، ولا يظهر له عبوسه وبسوره (٢) بل بشره وفرحه ، وذلك إنما يكون إذا تلقى نحن الدهر بصدر واسع ، وخلق وادع ، وصبر جميل ، كما هو حال يعقوب عليه السلام .

### لماذا اختص يعقوب ولده يوسف بالحزن

بحادثة بنيامين ذكر يوسف الفقيد النائي عنه ، فحنن اليه ، حنين الناقة الى فصيلها ، وأحزته أنه لم يسمع له بخبر ، ولم يقف له على أثر ، منذ سنة ، فلم يجد له بدأً — إذ هاجه الوجد — أن يلجأ إلى ذلك الملجأ الوحيد ، الذي يفرع اليه جميع البائسين والحزونين ، وهو الأسف والشكوى الى الله بالجنان ، ولكن في خلوته بعيداً عن كل إنسان ، واختص يوسف بالأسف ، لأنه تصور في نفسه أن

(١) الابتسار العبوس . (٢) البسور الكلوح .

« رأوين » حين حبس نفسه في مصر كان عمره نحو ٦٠ سنة تقريباً ، وهما على كل حال كبيران في السن ، ومكان وجودهما معلوم متعين ، بخلاف يوسف في ذلك كله ، فانه كان حين فقد صغيراً ابن ١٧ سنة ، ولا يعلم أين مأواه ، فهو الحقيق بالأسف .

وأخيراً نقول : ماذا تظن يعقوب عليه السلام في ذلك اليوم العصيب ، يوم ماسم بأبنا ولده « بنيامين » سَرَقَ واستُرِقَ عبداً في بلاد غريبة ، وعند ذلك تذكر ابنه يوسف ، وزاد على هذا وهذا انجاس ابنه « رأوين » ؟ . . هل تظن أنه كان ساكن القلب مطمئن البال ؟ . . وهل ذاق جفناه الكرى بعد هذه الحوادث الاليمة ؟ . . كلا . . لانخاله قضى يومه ذلك ، وليلته تلك ، الا مضطرباً قد هاجه الأسف ، وأطلق لنفسه عنان البكاء . . وذرف الدموع السخينة طول ماعراه ، ليس من مصاب واحد ، بل من تلك المصائب الثلاث . قال أبو العلاء المعري :

قضى الله أن الآدمي معذب      الى أن يقول العالمون به قضى  
فهيء ولاة الميت يوم رحيله      أصابوا تراثاً واستراح الذي مضى  
أصبت

وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف . . الخ

— ٤ —

وقال الفضيل الشبراوي (١) :

اعلق على هذه الآية الكريمة بالتعليقات التالية :

تكرار اسف يعقوب على ابنه يوسف

١ — كائني سيدنا يعقوب عليه السلام ، عندما ثارت عواطف نفسه ثورة

(١) نسبة الى شبرا في مصر

عظيمة ، وتولى عن بنيه وهو خائر النفس ، وقد تراحت الموم في مخيلته ، وأكثرها  
بروزاً غياب يوسف — كآني به قال : « يا أسفا على ذلك الشباب الغض ، على غصنه  
الباسق النضير ، وا أسفا على تلك النبتة الرقيقة التي كانت تعيش بجانب دوحها ،  
يفيء عليها ظلها ، ويفيض عليها نسيمها ، ففصرت وقطعت ، فاذا النبتة ذابلة ، وإذا  
الدوحة تكلى حزينة !

أواه .. هاه هاه ..

يامن يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

لقد انحطت عليّ المصائب ، تعمل مطارقها على رأسي ، وسهامها في قلبي ، فلي  
الله ، من آسف حزين ، لي الله ، من فاقد فلذة كبده ، لي الله ، من فاقد أولاده  
الثلاثة ، أكبرهم وأصغرهم وأحبهم :

متى يستريح القلب والقلب متعب بين علي بين وهجر على هجر ؟

وهكذا تكدر وتمرمر في داخله ، حتى قهره الأسف ، وأنهكه البؤس ،  
وانقلب شوقه حزناً « وابيضت عيناه من الحزن » :

### الحاجة التي في نفس يعقوب

٢ — سمعت من عالم من علماء «دمهور» عاصمة البحيرة في الديار المصرية أنه رأى  
مناًماً سمع فيه يعقوب يقول : « يا أسفا على يوسف ، وكيف لا أتأسف عليه وقد  
خرج من عندي بارادتي لا قهراً ، وأسلمته لأعدائه برضا مني لا جبراً ، وقد كان  
بوسعي ملافاة ذلك الأمر قبل وقوعه ، بمنع ارساله مع اخوته ، مع أنني أنا كنت  
أحذره منهم ، فكان يجب أن أحذر نفسي أيضاً ، وعلى الأقل كان يجب أخذ  
الحيطة باتخاذ اليهود والمواثيق على اخوته ، حتى إذا غدروا به ، لم أحسب نفسي  
قد قصرت في أسباب سلامته » — قال : فقلت له : « ياسيدي هل هذا هو

« الحاجة » التي كنت قضيتها لبنيامين دون يوسف ؟ » — فأشار برأيه :  
« أي نعم » ، فادركت عندئذ الحاجة الواردة في قوله : « الحاجة في نفس  
يعقوب قضاها » .

### إنما الصبر عند الصدمة الأولى

٣ — إذا قلت لم ذكرت يوسف في مقام ذكر بنيامين قلت : جرت العادة  
ان المصيبة تظهر عند وقوعها عظيمة في عيني صاحبها ، وعلى ذلك جاء الحديث  
الشريف : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » ، فإذا طال صبره عليها ، وطال أمدها  
تصاغرت ، حتى ربما تكاد تزول ، ولكن متى تجدد له مصيبة أخرى ، تجددت  
ذكرى المصيبة الأولى ، وهكذا كان حال يعقوب عليه السلام ، فإنه كان استعظم  
اشجانه بالنسبة ليوسف ، ثم سكت ماشاء الله أن يسكت ، ثم لما نزلت به المصيبة  
الجديدة ، تجددت ذكرى مصيبته الأولى ، فهاجت بلابله ، وتولى عنهم ، لكي  
يخلو بنفسه ، ويطلق لها العنان ، في البكاء والتصورات ، ولأنه رآهم كالحشوية  
يقولون مالا يعقل ، وينقلون مالا يصح أن ينقل .

وكأني به عندما انعزل عنهم جانباً لاحت له صورة يوسف حبيبه الأول ،  
فأخذ منه الدهول مأخذه ، وارتفعت حرارة شوقه الى درجة عظيمة فقال :  
يا أسفا على يوسف . . .

### جرع على جرع

٤ — أخذ المقيم المقعد عندما أخبروه بنبا سرقة ولده الاصغر « بنيامين »  
واسترقاقه ، واحتباس ابنه الكبير « رأوبين » بمصر ، فتولى عنهم ، وكأني به قال  
« زعموا منذ ٢١ سنة أن يوسف أكله الذئب ، واليوم يقولون : « إن ابنك سرق »  
وهذا هو الجرح الثاني ، مع إن الاول لم يندمل بعد ، وكما ليس للايام بدل ، فليس .

للنفس خلف ، ولا للدين عوض ، فإننا لله وإنا اليه راجعون ، ومع هذا فإن لي .  
أملاً بحياة الاول ، ورجاء بقوة دين الثاني وكل ما قالوه لي سابقاً ولاحقاً لم يكن .

### وجوه اسف وحرز يعقوب على يوسف

٥ — قال : « يأسفا على يوسف » مع انه كان يثق بحياته ، وانه سيكون له  
شأن ذوبال ، ولكنه أسف وحزن عليه لوجوه أولها : لانه خرج من عنده بإرادته  
ولم يأخذ الحيلة باتخاذ الموائيق والعهود على اخوته لحفظه ، حتى إذا ما أخلفوا لم  
يجد نفسه قد قصر في أسباب سلامته . وثانيها لفرقة له وطول العهد به ، وثالثها  
لانه تذكره بسبب حادثة اخيه ، والاسى يبعث الاسى ، رابعها لما كان سمعه قديماً  
عنه من أولاده أن الذئب افترسه ، لانه وان كان لم يصدق ولن يصدق بصحة  
هذا الخبر ، لكن جرت العادة ان أخبار السوء لا يمكن أن تمر دون ترك لها أثراً  
في النفس ، حتى ولو كانت كاذبة ، بل ولو كان السامع لا يمتقد صحتها .

### المراد من العين في قوله « واييضت عيناه »

٦ — تعليقاً على قوله : « واييضت عيناه » نعلم من فن الطب ان القسم الظاهر  
من مقلة العين مؤلف في الامام والمركز من طبقة شفافة تسمى « القرنية » وفي  
وسطها دائرة مفرغة تسمى « الحدقة » ومن وراء الطبقة القرنية والحدقة ، طبقة  
اخرى تحيط بالحدقة ذات لون أسمر أو بني أو رمادي أو أزرق أو عسلي أو أخضر ،  
تسمى « بالقزحية » وهي التي تعطي العين الصفة المميزة لها ، ومن حول القرنية  
يأتي بياض العين الذي يؤلف القسم الاكبر من مقلة العين ويسمى « بالصلبة » .  
وعلى ذلك فيكون المراد من العين في قوله « واييضت عيناه » هو القسم المركزي

الملون من العين ، أي أنه عبر بلفظ الكل وأراد به الجزء وامثال هذا التعبير كثير في اللغة .

### معنى الكظيم

٧ — تعليقاً على قوله: « فهو كظيم » يقال : كظمه الغيظ والغم : أخذ بنفسه ، فهو مكظوم وكظيم ، ومنه : ﴿ إذ نادى رَبَّهُ وَهُوَ مكظوم ﴾ ( ٦٨ : ٤٨ ) أي مملوء غيظاً ، ومن كظم السقاء اذا ملاه ، و ﴿ ظلَّ وجهُهُ مُسْوِداً وَهُوَ كظيم ﴾ ( ١٦ : ٥٨ ) أي مملوء حقاً على المرأة ، والكظيم المكروب ، والكزيمة الزادة أي الراوية ؛ فالمكظوم والكظيم : المملوء من الاحزان الساكت عليها لا يظهرها لأحد ، كالاناء المملوء ماء الذي لا مُتَنَفِّسَ له ، ويقال كظمت الغيظ وعلى الغيظ فأنا كاظم اذا أمسكت على ما في نفسك على صفع أو غيظ ، ومنه : ﴿ والكَاظِمِينَ الغَيْظَ ﴾ ( ٣ : ١٣٤ ) ، وكظم القربة اذا ملاًها وشد فاهها ، وكظم البعير : اذا لم يجتر . ومنه كظم الغيظ وهو أن يسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثراً وكظّم الباب : سده ، وعلى هذا فيجوز تفسير « كظيم » بكاظم ، مثل « حصير » في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ ( ١٧ : ٨ ) أي حاصرة لهم ، وقوله تعالى : ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾ ( ٢٥ : ٥٥ ) أي مظاهراً ، وكظام القربة هو الخيط الذي يشد به فيها ، والغيظ يحمل الانسان على أفعال وأقوال لا تليق به ، فشبه مانع نفسه منها بمن كظم القربة أي منعها أن يخرج منها الماء ، وفي الحديث : « من كظم غيظاً وهو يقدر على انفاذه ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً » ، وعن عائشة ان خادماً لها غاظها ، فقالت : « لله در التقوى ، ما تركت لذي غيظ شفاء » .

### مقابلة بين حزن يعقوب وحزن ارميا

٨ — هذه هي الكلمة الفذة « يا أسفا » التي نفّس بها يعقوب عن نفسه ،

ولم ينطق قط بسواها ، ولعمري لو كان « ارميا » النبي صاحب المراثي الشجية محل يعقوب ، لملأ الأرض صراخاً وعويلًا، وثر من الأشعار ما يفتت الأكبادة، ولكن سيحان من رفع بعض النبيين على بعض درجات ، وجعل لكل واحد منهم منزلة امتاز بها دون من عداه ، ومع ذلك فر بما يقال إن يعقوب كان يندب شخصاً واحداً ويكي خيمة واحدة خلت من صاحبها، ولكن « ارميا » كان يندب شعباً ، ويكي اقلياً خلا من ساكنيه .

### سبب اقتصار أسف يعقوب على يوسف

٩ — أسف يعقوب على يوسف ، لان كل انسان يحب أن يحيا حياة طويلة طيبة ، ولا يتسنى له ذلك الا بواسطة أولاده وأحفاده الطيبين ، وأن الخوف من الموت غريزة في كل منا ، وذلك الخوف ليس هو من الموت الطبيعي بقدر الخوف من انطفاء الذكر بعد الموت ، فالرجل الذي لا يكون له أولاد ، فحياته تنتهي بانطفاء شعلته ، أما صاحب الأولاد فانه يعيش عيشة ثانية بأولاده ، ثم بأولاد أولاده ، وهكذا يظل مشعاله موقداً ، ينتقل من جيل الى جيل ؛ والرجل الصالح « كيعقوب » يجب أن يكون ذكره بعد موت شخصه حسناً ، ويجب أن يحيا في نسله حياة حسنة ، وهذا لا يكون الا بواسطة نسل صالح ، وذلك الصلاح مأمول له أن يكون في يوسف ، كما كان قال له : « وكذلك يجيبك ربك .. الخ » فلذلك نادى بأسفه على موضع آماله ومرمى رجائه .

### الرسول بشر يعترهم ما يعترى البسر

١٠ — نتعلم مما حدث ليعقوب بسبب حادثتي ولديه ، ان الرسول بشر ، يعترهم ما يعترى سواهم من الناس ، وليس لهم من تدبير الكون شيء ، وانما هم مُعَلَّمُونَ ، وأسوة حسنة فيما يُعَلَّمُونَ ، قال تعالى خطاباً لنبه الأعمم : ﴿ يَسْ لَكَ مِنْ



الأمر شيء ﴿ (٣ : ١٢٨) وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ أَمَرَ كُلُّهُ لَلَّهِ ﴾ (٣ : ١٥٤) فهذا يعقوب اصيب في ولديه بما نعلم ، وهذا النبي ﷺ كُسِرَتْ رِبَاعِيْتُهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ ، وَشَجَّ وَجْهَهُ وَوَقَعَ فِي الْحَفْرَةِ ، حَتَّى وَقَعَتِ الْمُهْزِيمَةُ عَلَى أَتْبَاعِهِ الْمُسْلِمِينَ ، فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ ، وَهُوَ قَائِدُهَا ، فَأَيُّ نَصِيبٍ مِنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ لِلَّذِينَ يَجْعَلُونَ أَمْرَ الْعِبَادِ ، وَتَدْبِيرَ شُؤْنِ الْكُونَ لَطَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ أَوْ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ يَلْقَبُونَ بِالْمَشَائِخِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، فَيَزْعَمُونَ أَنْ يَبْدَهُمُ النَّصْرَ وَالْخِذْلَانَ ، وَالْإِسْعَادَ وَالْإِشْقَاءَ ، وَالغِنَى وَالْفَقْرَ ، وَإِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ كُلَّ مَا يَشَاءُونَ ؟؟ فَهَلْ يَعْدُ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، هَلْ يَعْدُونَ مِنْ أَتْبَاعِ طَرِيقَةِ الْقُرْآنِ ، حَقًّا إِنْ تِلْكَ الْمَزَاعِمُ هِيَ مِنَ النَّزَعَاتِ الْوَثْنِيَّةِ ؛ نَجَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا .

### لفظه « يا أسفا » مسجلة الى يعقوب فقط في القرآن

١١ — كلمة « يا أسفا » لم تنزل في القرآن الكريم الا في هذا الموضع ، فكأن الله تعالى جعل هذه اللفظة في كتابه مسجلة على اسم يعقوب ، وانه لولا يعقوب وأسفه ، لم تنزل هذه الكلمة من السماء في كتاب الله تعالى .

### التجانس بين لفظي الأسف ويوسف

١٢ — التجانس بين لفظي « الأسف » و « يوسف » مما يقع مطبوعاً غير متعمل فيه فيملح ويبدع ، ونحوه : ﴿ إِثْنَا قَلَّمْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ ، أَرْضَيْتُمْ ﴾ . (٣٩ : ٩) ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ (٢٦ : ٦) ، ﴿ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٨ : ١٠٥) ، ﴿ مِنْ سِبَاءٍ بِنِبَاءٍ ﴾ (٢٧ : ٢٢) ، (كشاف) .

## الرد على من يقول ان حب يعقوب لابنه يوسف

### لا يليق إلا بمن كان غافراً عن الله

١٣ — ههنا يتساءل بعض المغفلين المتفلسفين ويقول : « إن عناية يعقوب بيوسف ، وجهه اياه لهذه الدرجة ، لا يليق إلا بمن كان غافلاً عن الله ، وجهه لمولاه ، الذي يملأ القلب ، فلا يكون فيه متسع لسواه ، فان من عرف الله أحبه ، ومن أحب الله لم يتفرغ قلبه لحب شيء عداه » ؟

وعندنا ان هذا الكلام مدخول ، مزين الظاهر ، فاسد الباطن ، غير منطبق على عقل أو شريعة ، وهو مخالف لروح الاجتماع وطبيعة الكون ؛ كيف لا .. وقد أرشد الله عباده المؤمنين الى العناية بكل شيء ، حتى بالدرهيات ، فانزل فيها في آية الدين نحو مائتي كلمة ( ٢ : ٢٨٢ - ٢٨٣ ) وانا نجد في الكتاب الكريم أن الله تعالى عُنيَ بكل شيء ، حتى بالزيتون ، فامتّنّ به في كتابه ثلاث مرات ، وبالرمان ، فامتّنّ به ثلاثاً أيضاً ، وبالنخيل ، فذكره في كتابه ممتناً به على عباده ، اثنتي عشرة مرة ، وبالعناب ، فذكره في كتابه عشر مرات ، وبالخل ، فامتّنّ به على عباده حيث قال : ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً ﴾ ( ١٦ : ٦٧ ) على أنا نجد في كتاب الله الكريم عناية الله وامتتانه على عباده بالخير ( ١٦ : ٨ ) ، وبالقضيب ، وهو الكأ اليابس ( ٢٨ : ٨٠ ) ، وبالأت ، وهو الكأ الأخضر ، ( ٨٠ : ٣١ ) وقد أقسم الله تعالى بجميع ما في هذا الكون من مخلوقاته ، أي بجميع مواليد العالم كله ، فقال : ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ ( ٩٠ : ٢ ) ، فاذا كان الله العظيم ، وهو الله العظيم ، يُعنى بهذه الأشياء ، ويهتم لها ، ويمتن على عباده بها ، أفلا يحق ليعقوب عليه السلام ، أن يُعنى بفاذة كبده ، ويهتم لمخط آماله ، ويحب ولده يوسف حباً جماً ؟ ..

( مرحى )

( وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف .. الخ )

— ٥

وقال ابن الدقيق الهندي :

ايضاض العينين امتلأها بالدمع منه اثر الحزن

السلام عليكم : ايها السادة :

ما تركت اخواتي الاربعة الاوائل ، كلمة لهذا الحقير القائل :

جزى الله خيراً قومنا وجدودنا فقد مهدوا سبلاً لنا ومسالكا  
سلكنا بها عفواً بدون مشقة ولولا هم السارى لأصبح هالكا

غير اني استميحكم ان أتكلم على قوله تعالى ﴿ وابيضت عيناه من الحزن ﴾ ،

فبعد إذنكم اقول :

يخيل لي ان معنى « ابيضت عيناه من الحزن » : امتلأت عيناه من أثر الحزن

وهو الدمع ، أو امتلأت عيناه دمعاً من أجل الحزن ،

وبيان ذلك ان الايضاض يطلق على الامتلاء والتفريغ ، ضدّ ، قال في الأساس :

« ويبيض الاناء : ملأه وفرّغه ، وعن بعض العرب : ما بقي لهم صميل إلاّ بيّض :

أي سقاء يابس إلاّ ملئ » ، وقال في القاموس : « يبيضه : ملأه وفرّغه ، ضد » ،

والأبيض الماء ، وعليه فعندنا ان المعنى ههنا : ان عينيه امتلأتا من أثر الحزن ، حيث

فاض حزنه ، من قلبه لعينيه ، أو ان عينيه صارتا تمتلآن من أجل الحزن دموعاً

وترسلانها على خديه ، فعبارة الأساس تصحح المعنى الذي قلناه ، فما بقي علينا إلاّ ان

نستدل على انه المراد ، دون غيره مما قالوه ، ولنا على ذلك دليلان : تقلي ، وعملي ،

فأما التقلي : فيعقوب نبيّ ورسول ، والأنبياء معصومون من الأمراض المنفرة

للطبيعة ، ولا ريب ان العمى نوع من تلك الأنواع المنفرة ، وأيضاً فحملة على

العمى أو على مرض بياض العين ، لنا فيه قول أولاده له : « تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً » : أي مريضاً أو فاسد الجسم ، فظاھرہ انه وقت ما كلوه بهذا القول ، لم يكن فيه نوع من أنواع المرض ، وليس فيه شيء من الفساد ، في بدنه - أو عينيه ، فكلمة أولاده هذه ، تؤيد المعنى الذي حملنا عليه الايضاض ، وتدفع المعنى الذي قاله المفسرون .

وأما الدليل العلمي : فان الفن يمنع أن يكون الحزن أو البكاء ، سبباً في بياض العين ، بالمعنى المشهور ، الذي مشى عليه الجمهور .

وبهذه المناسبة — والحديث ذو شجون — أتذكر حادثتين حدثتا لي مع بعض الطلبة : الأولى : قال لي بعض طلاب العلم : لماذا لا نقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ (٢: ٩٣) ، أن المعنى : انهم أشربوا نَفْسَ العجل ، الذي حرّقه موسى وذراه ونسفه في اليم ، وهو النيل ، وهم كانوا يشربون من النيل ، فصدق عليهم انهم اشربوه ؟ — فقلت له : وماذا تفعل في كلمة « قلوبهم » فان الشرب انها يكون في البطون دون القلوب !!

الثانية — وهي اكثر مناسبة لموضوعنا ، اتى سمعت من بعض الطلبة ينقل عن المفسرين أن يعقوب عمي أو حصل له مرض في عينيه ، يسمى « بياض العين » فقلت له : وماذا نصنع في كلمة « من الحزن » فإنه لاشيء من العمى ومن بياض العين ينشأ عن الحزن ، فما وسعه الا السكوت.

فابيضاض العين ياسادة هنا ، هو من قبيل ما يسميه علماء البلاغة « التورية » وهي أن يطلق لفظ له معنيان ، قريب وبعيد ، ويراد البعيد لقرينة ، والقرينة ههنا على ارادة المعنى البعيد ، كونه فيما سبق قد أخذ على عاتقه « الصبر الجميل » الذي لا ينافي امتلاء العين بالدمع ، فانه سبحانه « أضحك وأبكى » ، (٤٣: ٥٣)

قالعبرة لا يملكها ابن آدم ، ولا تسبب له فيها ، فلا يؤاخذ عليها ، فلاتناني « الصبر الجميل » ، ولكن ينافيه البكاء الكثير جداً ، بحيث ينشأ عنه العمى .

### تفسير ابيضاض العينين بمعناه المجازي

وأخيراً يأسادتي يمكن أن يقال أن ابيضاض العينين ههنا ليس بالمعنى الحقيقي ، بل بمعناه المجازي ، وهذا نظير ابيضاض الوجوه واسودادها ، المذكور في نحو قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ ( ١٠٦:٣ ) وقوله : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ ( ٦٠:٣٩ ) وعلى هذا النحو ماروي ﴿ ان المؤمنين يحشرون عراً محجلين ، من آثار الوضوء ﴾ . فهل تحمل هذه الأقوال على المعنى الحقيقي ، بحيث يكون المؤمنون يوم القيمة ، في وجوههم بياض ، وفي سوقهم بياض ، مخالفاً لباقي أجسامهم !... كلا.. فإنهم يكونون هزواً وضحكة للعالمين ، وهل يكون أهل النار ، بيض الأجسام ماعدا وجوههم ، فإنها ستكون سوداء؟... كلا.. ولكن البياض والسواد ، في أمثال هذه النقول ، من باب الكناية عن المسرة والغم ؛ حتى قال العرب لمن لم يتدنس بمعاب : « هو أبيض الوجه » وقال شاعرهم فتعجبوا لسواد وجهه الكاذب ، والعرب لليوم يقولون : « بيض الله وجه فلان ، وسود الله وجه فلان » وباللغة عليكم ، ماذا يقول هؤلاء الناس الجامدون ، في قوله تعالى : ﴿ واذا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى ، ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ ( ٥٨:١٦ ) ، فهل يحملونه على الحقيقة ويقولون : إن الرجل العربي ، كان إذا بشر بولادة امرأته بنتاً ، ينصبغ وجهه بلون السواد ، كأنما انقلب زنجياً بعد ما كان أبيض؟.. حاشا أن أحداً يفهم هذا المعنى ، فاحمل اللفظ في كل موضع على المعنى المناسب ، ولا تكن من الجامدين .

كاتب سر المؤتمر : نشرنا هذه الكلمة التي القاها الامتاز ابن الدقيق الهندي على مسؤولية قائلها وحده .

## اشفاق ونصح

آ (٨٥) ﴿ قالوا : تالله تفتأ تذكرك يوسف ، حتى  
تكون حرصاً او تكون من الهالكين ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية الخامسة والثانون ، فقام سعد الدين  
البرقاوي (١) وقال :

سبق أن يعقوب عليه السلام كان انسحب من ميدان المناقشة مع أولاده ،  
وتركهم وانحاز وحده وما أن انقضت مدة إلا وقد رجعوا لمناقشته والملاحظة عليه ،  
( قالوا ) مؤنيين له : قد مات الميت فليحي الحي ، ونحن لم يبق لنا صبر على السكوت  
عن هذا البكاء وهذه التأسفات ، قد أصبح يوسف شغلك الشاغل ، ( وتالله )  
رب ابراهام واسحق — وهذه التاء في تالله حرف قسم كالباء والواو ، ولكن  
فيها زيادة معنى اتعجب ، كأنهم تعجبوا من قوله : « ياأسفا على يوسف ، —  
لا ( تفتأ ) لاتزال — وحذف حرف النفي ، لأنه لا يلبس بالاثبات ، لأنه لو كان  
اثباتاً ، لم يكن خالياً من اللام والنون ، ونحوه : « فقلت يمين الله أبرح قاعداً ، —  
( تذكرو يوسف ) بياض نهارك وسواد ليلك ، في اضطراب وهياج وحزن  
وبكاء ، ولا تبرح تضرب على هذا الوتر المحزن ( حتى تكون حرصاً ) مشفياً على  
الهلاك مرضاً ، — وأحرضه المرض ، ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر  
والمؤنث لأنه مصدر ، والصفة حرض « بكسر الراء » ، ونحوها دنف  
ودنف ، وجاءت القراءة بهما جميعاً ، قال في فقه اللغة : « الحرض بالكسر هو  
الذي لا حي فيرجى ولا ميت فينسى » ( أو ) أي بل واكثر من الحرض بأن

(١) نسبة الى برقة من بلاد المغرب العربي .

( تكون من الهالكين ) فإن ذلك عاقبة الأحزان ، والحال الذي أنت عليه يذيب الشحم ، ويعرِّق العظم فإلى متى تذكر من مات ، ومات حظه من الدنيا ، هذا كلامهم لأبيهم ، وهو نصيحة منهم له واشفاق عليه ، يمازجه شيء من اللوم والتعنيف .

( قالوا : تالله تفتأ تذكر يوسف .. الخ )

— ٢ —

وقال السيد عبد العظيم الاشموني (١)

ابناء يعقوب يحاولون تهوين الخطب على ابيهم وتسرية  
همومهم واهزانهم مع شيء من اللوم

أراد أبناء يعقوب تهوين خطبه عليه ، وتسرية همومه وأحزانه ، فدلِّفوا اليه وحملقوا فيه ، وقالوا له وقد رأوه انتقع لونه ، وتولاه الهزال : اضبط زمام نفسك ، واملك تذكاراتك لولدك ، ان في الوجود عزاء عن المفقود ، وان في الحاضر خلفاً من الغائب ، ان لك في أولادك وأحفادك لشغلاً شاغلاً ، ولك في النظر لصحتك وعافيتك ما ينسبك كل شيء ، انك تخدع نفسك بهذه الأفكار ، وتسوقها الى المرض فالهلاك ، عن رضا وطواعية ، فلا تفجع نفسك في نفسك ، ولا تفجعنا فيك ، فانه يعز علينا جداً أن نراك بعد قليل في يد البثور ، مرتحلاً من بين أيدينا الى أعماق القبور ، وتالله لا تفتأ تذكر يوسف بهذا الامعان والتعمق والأطناب مرة بالشكل واللوعة ، وحيناً بالهتف والضراعة ، وطوراً بالأسف والحزن ، ونارة بالأنين والتباكي ، وآونة بالثناء ، وأوقاتاً بالدعاء ، نعم لا تزال تذكر يوسف الذي أصبح من روايات التاريخ ، والذي هو في عالم الأموات منذ

(١) نسبة الى اشمون من البلاد المصرية .

زمن بعيد ، حتى تكون حراً ، فليس لطيب ، ولا لجمع من الأطباء مقدره باستئصال هذا المرض من جسمك ، ولا يرون لك فيه إبلاً ، بل وأكثر من ذلك تكون من الهالكين ، لذوبان قلبك ، وطيرانه شعاعاً على هذا الفقيد ، فهل سمعت بأن ميتاً رجع في هذه الدنيا الى الحياة الجديدة ؟ أو هل تظن أن يوم البعث هو بعد يوم أو يومين ؟... والله ما ندري ما نقول لك ، أنعمتك وأنت واءظنا في جميع الأوقات ، ونجم هدايا الذي نستتير به في وسط الظلمات ، أم نرشدك الى ما ينبغي أن تلاحظه في نفسك ، ولا نعرف شيئاً أنت تجهله ، إن هذه الحياة التي تحياها انما يلجأ اليها من يريد أن يمشى في طريق القبر ، إن من رأى رآى همماً أوفى على المئة والستين ، مع أنك لم تسليخ المئة والثلاثة والأربعين ، استرخي حاجباك ، ثقلت أجفانك ، جمدت نظراتك تهتل عارضاك ، تجعد جبينك ، انهض عاتقك ، هوى بينها رأسك ، فلعمرنا لقد تغير فيك كل شيء ، ولم يثبت فيك إلا تلك الذكرى المؤلمة ، فخفض عليك قليلاً ، وروه نفسك بنسيان الماضي ، لا تأس على ماضى ، اصبر قليلاً أيها الشيخ الجليل « فها هو ذا الموت يمشي اليك ، بأسرع مما تمشي اليه ، اصبر فان هذه الذكرى سبب في الهلاك ، فلا تهلك نفسك بيدك ، ولا تستسلم لهذا التذكار .

و كآني بسيدنا يعقوب قد قال لهم وهو يشرق بدموعه : « أفبهذا الكلام تعزوني يا أولادي ؟ .. دعوني أذكر ابناً سليم القلب ، ذا مستقبل باهر ، ولا أدري أين هو اليوم ، ولا ماهو حاله ، وادا كنتم تشفقون علي فابكوا معي وشاطروني في أحزاني .»

( أحسنت )



( قالوا : تالله تفتأ تذكر يوسف .. الخ )

— ٣ —

وقال لسان الحق الامباي (١) :

« تالله » كلمة صحيحة أريد بها باطل

قولهم « تالله ... الخ » كلمة صحيحة ، أريد بها باطل ، لأنهم قصدوا أن أباهم ينبغي أن ينسى أو يتناسى يوسف . نفاسةً منهم عليه وحسدًا له .

### المرض ومرارقاته

وقولهم « حرضاً » من فعل حَرَضَ وبابه تَعَيَّبَ أَشْرَفَ على الهلاك ، فهو حَرَصٌ ، وسميته بالمصدر مبالغة ، أو يقال المرض والمرص والعلة والسقم والوجع والوعك والوصب والظني والتنهك والدائف والداء تقريباً واحداً ، أي دا حرس .

### استعمال كلمة « الرهوك » للمسلم والطافر سواء

وأما كلمة « المالكين » فيتصور الجمهور من الناس اليوم أنها لا تستعمل إلا في الكافر عند موته ، فيقال هلك « ماير » اليهودي ، ولا يقال هلك « محمود » المسلم إذا مات ، بل توفي مثلاً ، وهو وهم مبني على العرف الحاضر ، لا على اللغة العربية ، ولذلك نرى أولاد يعقوب هبنا ، لقد لفظوا بهذه الكلمة ، أو مايرادفها في لغتهم العبرية ، وجهين الخطاب بها لأبيهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم في شك مما جاءكم به ، حتى إذا هلك »

( ١ ) نسبة الى امباية من البلاد المصرية .

قلتم : لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴿ (٣٤:٤٠) (مرحى)

### أين الشجي من الخلي

آ (٨٦) ﴿ قال : إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ،  
وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية السادسة والثلاثون فقام المدقق

المحموي (١) وقال :

دهور يعقوب دموعه في اشداقه و( قال ) لأولاده متأففاً : مالكم تتذمرون عليّ ؟ .. لا بد للمصدر أن ينفث ، فلا تخرجوني ، ومع ذلك فما أتم وهذا الاتقاد؟ فهل اليكم أقدم شكواي ، أو لغيركم من الخلق ؟ .. حاشالي من ذلكم كله ، أنا لم أشك لأحد ، ولا أريد أن أشكو اليكم أو لغيركم ( إنما أشكو بثي ) هي العظيم — والبث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه ، فيثته للناس ، أي ينشره ، ومنه بآته أمره ، وأبثه إياه — ( وحزني ) غمي ( الى الله ) وكفى ! وأما هؤلاء الناس فلست بشاك اليهم شيئاً ، بل ولا أسألهم ديناً ، ولا أستفتيهم عن دين ، بل اليه تعالى أكل أمري ( وأعلم من ) أسرار غيب ( الله ما لا تعلمون ) ، إذ أعلم بمستقبل يوسف ، ولكأنني أراه رأي العين ، إنما أنا أحزن وأبكي وأنأسف لكوني أرى أن شقة البعد طالت ، ونور اللقاء يسير يبطء ، فهذا الذي قضى بحزني وبكائي وتأسفي ، بحكم الطبع البشري .

(١) نسبة الى بلدة حماه من سورية

( قال إنما أشكو بثي وحزني .. الخ )

— ٢ —

وقال الشهاب الخليلي (١) :

يعقوب يرد لابنائه نصيحتهم له ولومهم اياه على حزنه على يوسف

كأني يعقوب عليه السلام حثت في وجوه أولاده تحديقاً شديداً والدمع  
يتفرق في عينيه ، ثم قال :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ، رويداً رويداً أيها اللامون ، فشديد جداً على  
والد شيخ مثلي أن لا يذكر ولدأ له ، فارقه الى مالا يعلم ، لاسيما وقد امتدت  
شقة الفراق ، بحيث صار بيني وبينه هوة مسحية ، لاقرار لها ، فهل من العجب  
مع هذا أن يطير قلبي خوفاً وهلعاً ، أو شوقاً وتوقاً ؟ .. على أن غرضي من ذلكم  
أن أروته عن نفسي همومها وآلامها ، بالمناجاة والشكوى الى عالم السر والبلوى ؛  
كما يرفه المريض عن نفسه أسقامه وأوجاعه ، بترديد الأتات ، وتصعيد الزفرات ،  
ولا علي إن أبثنتُ همي لربي ، ورفعت عقيرتي لخالقي :

تموت النفوس بأوصابها      ولم يدر عوادها ما بها  
وما أنصفت مهجة تشكي      أذاة الى غير أحبابها  
وأن الشكوى الى الله لهي من ثمار الايمان ، وليس أفضل منها وسيلة  
لتعزية الانسان :

لا تسألنَّ بُنيَّ آدم حاجة      وسل الذي أبوابه لا تحجب  
الله يغضب إن تركت سؤاله      وبُني آدم حين يُسأل يغضب  
سأحك الله يا أولادي ، ماهذه الظنون التي تظنون ؟ .. وما هذا التثريب الذي

تضايقوني به ؟... و كيف تحولون بيني وبين البكاء على أولادي الثلاثة ، ولا سيما « العزيز » يوسف ؟..

وقع الشوائب شيباً      والدهر بالناس قلباً  
إن دان يوماً لشخصي      فني غد يتقلب  
فلا تثق بوميض      من برقه فهو خلب  
واصبر إذا هو أضرى      بك الخطوب وألب  
فما على البتر عاراً      في النار حين يقلب  
ساحمكم الله يا أولادي ، أراكم كلما زادت كروبي زدتم في التأنيب ، على حد ما يقول القائل :

كلما أنبت الزمان قناةً      ركب المرء في القناة سنانا  
أنا لي رجاء في يوسف ، وأنتم تقولون ، إنه صار من صيد أمس .  
وما صباية مشتاق على أمل      من اللقاء كمشتاق بلا أمل  
يا أولادي : الدمع دمعي والعيون عيوني ، فدعوني أبكي ، والقلب قلبي والفؤاد فؤادي ، فدعوني أحزن ، واللسان لساني والأسف اسفي ، فدعوني أرفع عقيرتي الى ربي بالأسف ، دعوني فانكم لم تصابوا بمصيتي ، ومصيتي هذه انما هي فوق رأسي ، سبحان الله ! أنا على أحر من الجمر . وقلوبكم أبرد من الثلج ، أنا أتأسف وأنتم تصفقون ، أنتم تشتغلون بمجادلتي .

القلب أعلم يا عدول بدائه      وأحق منك بجفنه وبمائه  
فَوَمِنْ أَحَبِّ لَأَعْيُنِكَ فِي الْمَوَى      قسماً به وبجسنة وبهائه  
أَأُحِبُّهُ وَاحِبٌ فِيهِ مَلَامَةٌ؟      إن الملامة فيه من أعدائه  
لَا تَعْدِلِ الْمَشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ      حتى يكون حشاك من أحشائه  
إِنْ الْقَتِيلَ مَضْرَجاً بِدَمِوعِهِ      مثل القليل مضرجاً بدمائه

ياأبنائي — إنا أشكو همي العظيم وغمي على ماضي الى الله عز وجل ، وهذا أمر أحلته لي الشريعة ، ودعتني اليه الطبيعة ، واعلم من اسرار غيب الله مالا تعلمون ، وليس من يعلم كمن لا يعلم ، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟.. والأيام بيننا . والمستقبل كشاف .

ياأبنائي : انالست احب يوسف لسواد عينيه ، وليس حالي معه كمحب لشخص ، ومغرم بذات ، بل انا محب لآمالي فيه ، محب لرجائي في مستقبله ، فلست اذكر اسمه الا مشفوعاً بتلك الآمال ، وذلك الرجاء ، ولذلك فأنا حتى اليوم وغدٍ أقول : آه ، ياترى ، يوسف الذي ستسجد له الكواكب أين هو ؟.. أو اه .. يا عجباً ، يوسف الذي سيحبته ربه أين « راح » ؟.. واحسرتاه .. يوسف الذي سيعلمه ربه من تأويل الأحاديث أين ذهب ؟.. يوسف الذي سيتم ربه نعمته عليه ، ماذا حل به ؟..

لذلك أنا لا اضن بيكائي واسني على يوسف ، بل ولا بصحتي ، بل ولا بحياتي ، فكيف انتم تضنون بشيء لا يرضن به صاحبه ؟.. الدموع دموعي ، والزفرات زفراتي ، والصحة صحتي ، والحياة حياتي ، فدعوني أجود بذلك كله في سبيل حبة يوسف ، مها كلفني الأمر .

فصلاحي الذي زعمتم فسادي وفسادي الذي زعمتم صلاحي

وبعد ذلك أقول لكم : اما كان يجمل بكم ان تشاطروني احزاني ، ونخفقوا عني وطأة همومي ، عوضاً عن هذا التعنيف ، وبدلاً من هذا التأنيب ؟.. سبحان الله ! لو ترك القطا لنام ، يأيها الناس ، من لم يستطع البكاء فليرحم الباكين ، ومن لم يُحس بالألم ، فليشفق على المتألمين .

ياأولادي ، اني اعلم من غيب الله مالا تعلمون ، اعلم سلامة يوسف وحياته ، وذلك مما أُوحى الي في شأنه ، ان ربه سيحبته ويعلمه من تأويل الأحاديث

ويتم نعمته عليه ، فمن هذه الأمور التي لم تجيء بعد ، ومن الرؤيا التي رآها ، ولم يأت تأويلها ، اعلم ان يوسف حي يرزق ، وانه يعيش الى ان يبلغ مبلغ الرجال ، وانما سوف نجتمع به ونراه على احسن حال ، كما يحب ونحب ، وعندئذ يقع تأويل رؤياه . يا بني — انا اعلم اكثر مما تعلمون ، بل اعلم ما لا تعلمون ، فكأنما في فؤادي الأشعة المجهولة التي تكشف عما وراء الحجب والموانع ، وعلى عيني منظار الرصد المقرب للجسم ايضاً ، ولذلك فأنا لا آخذ عليكم .

يا أولادي ، قد سمعت مقالتيكم ، وتبين لي نصيحتكم ، والإشفاق عليّ من جهتكم ، غير أنني — يرحمكم الله — لا أجهل أمراً تعلمونه ، وأما أنتم فإنكم تجهلون أموراً كثيرة أعلمها ، إن الذي يرى بصيرته ، غير الذين يرون بأبصارهم ، أنا أطالع صحيفة من صحائف الغيب ، لم يقرأ واحد منكم منها حرفاً واحداً ، بناء عليه اتركوني وشأني .

هذا آخر جواب يعقوب عليه السلام لأولاده وترى أنهم سكتوا ، ولم يعودوا يجاورون أباهم ، ولا نعلم هل كان سكوتهم عن احترام ، أو عن اقتناع ؟ . . . ( جيد )

تذييلات :

**جواز ابتلاء صاحب الحق بالمصائب والرزايا وصاحب الباطل بالنعيم والعطايا**

١ — نقرأ في هذه السورة مصيبة يعقوب بأخذ ابنه منه ، بحيلة أجراها عليه أبناؤه الصليبيون ، لا أناس بعداء عنه ، فهي مصيبة ذات وجهين ، ثم إنه ياليت شدد في الاحتياط ، إذ كان يعلم حسدهم وكرههم لأخيه ( ع ٥ ) ، بل استرسل معهم استرسالاً ، كانه لا يعرف شيئاً من مكائدهم ومصائدهم ، ثم بعد ( ٢٠ ) سنة أخذوا

١١٧٠ الحكمة من منع علم الغيب عن الناس واطلاع الانبياء على شيء منه آ (٨٦)

من عنده ولده الأصغر بنيامين وأخيراً جاؤوه بالخبر السيء ، خبر انه سرق ، وأسرق في مقابلة ذلك ، الأمر بل الأمور التي أزعجته ، وأقلقت راحته ، والحكمة في ذلك الاشارة الى أن لانجعل المصائب الشخصية دليلاً على كون من تصيبه على باطل أو على حق ، فان من الجائز عقلاً والواقع فعلاً ، أن يبتلى صاحب الحق ، بالمصائب والرزايا ، وأن يبتلى صاحب الباطل بالنعيم والعطايا ، كما أن عكس ذلك جائز وواقع ، قال تعالى : ﴿ لَتَبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ (٣ : ١٨٦) وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ (٢ : ١٢٤) وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمْنَا وَتَلَّاهُ لِلْعَجَبِينَ ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ... إنا كذلك ننجزي المحسنين ، إن هذا لهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ (٣٧ : ١٠٣-١٠٦) وقال تعالى : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ، أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ؟ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣ : ١٤١ و ١٤٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِيبَتَلَى اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٣ : ١٥٤) وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ؟ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ : مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا ، حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ : مَتَى نَصُرُ اللَّهَ ؟ !! أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢ : ٢١٤) نزلت في غزوة أحد حين غلب المشركون المؤمنين ، وشجوا رأس النبي ﷺ ، وكسروا رباعيته ، ويقول سليمان عليه السلام : ﴿ لِيَبْلُوكُنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ (٢٧ : ٤٠) .

الحكمة من منع علم الغيب عن الناس واطلاع الانبياء على شيء منه

٢ - تعليقا على قول يعقوب (وأعلم من الله مالا تعلمون) غني عن البيان

ان الله جل جلاله حجب علم الغيب عن الناس ، ذلك لأجل رحمتهم واسعادهم ،

إذ لو علم الناس الغيب لنزلوا الى الحضيض ، ولكانوا أخس مخلوقين : وأتعب الخلق أجمعين ، ذلك ان المرء لو اطلع على الغيب بعد عشر سنين مثلا سيكون رئيس حكومة أو مثيراً أو طبيباً أو استاذاً جليلاً في العلم – لو صار هذا له لم يفكر يوماً مافي علم السياسة ، ولا في جلب المال ، ولا في قراءة الكتب ، ولا في تحصيل العلم ولا في دخول المدارس العالية ، واذن تضيع الحكمة ، وتذهب الحياة سدى ، وتكدر معيشة كل إنسان ؛ أما جهل الناس بالمستقبل ، فهو الذي يكفل سعادة الناس ، وصفاء عيشتهم ، لانهم يجدون ويدأبون على السعي ، وذلك داع حثيث الى اتقان العمل .

علم الناس بالغيب ، قد بسبب أضراراً كثيرة ، ناهيك بما يكون من اطلاع بعض الناس على مافي قلوب الآخرين ، من حسد وبغض وكراهة ، فكيف يعيش الناس في صفاء ، وهم مطلعون على ذلك الجفاء والعداء والاستياء ؟ ، لهذا اقتضت حكمة الحكيم الرحيم أن يمنع علم الغيب عن الناس .

ولكن نظراً لأن سد باب الغيب مرة واحدة . وبصورة مطردة يوجب اليأس من عالم أرقى من هذا العالم ، ويوقع في النفوس أنه لا روح خالدة « ولا حياة بعد هذه الحياة ، ولا ملائكة ولا وحي ، ونظراً لأنه يلزم أن يكون لله تعالى وسطاء بينه وبين عامة عباده ، وهؤلاء الوسطاء هم الأنبياء ، سمح باطلاع أنبيائه على شيء من علم الغيب ، من طريق الوحي والإلهام ، في اليقظة أو في المنام .

ومن أدلة حصر علم الغيب في الله تعالى على الوجه الذي قلناه ، قوله تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ ، فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَن ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ؛ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا؛ لِيَعْلَمَ أَن قَدَأْتَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ (٧٢ : ٢٦ و ٢٧) ، وقال تعالى حكاية عن نوح (ع) : ولا أقول لكم : عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول : إني



مَلَكٌ ﴿١١ : ٣١﴾ وقال تعالى خطاباً لخاتم رسله ، أمره أن يبلغه خلقه : ﴿قُلْ : لا أقول لكم : عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم : إني مَلَكٌ ، إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، قل هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أفلا تتفكرون ؟﴾ (٥٠ : ٦) .

وقد أمر الله نبيه أن يستدل على عدم معرفته الغيب بقوله : ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ؛ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٧ : ٧) وقال تعالى : ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ، ولكن الله يجتبي من رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣ : ١٦٩) ، وقال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (٦ : ٥٩) .

### وجوب الوقوف عند النصوص القطعية فيما يتعلق بعلم الغيب

ومما تقدم يعلم ان الله يظهر من ارتضى من رسله على الغيب ، الذي يتعلق به تبليغ الرسالة ، وذلك مشروح في القرآن ، ومنه الملائكة والجنة والنار والحساب وغير ذلك ، والواجب في هذا المقام الوقوف عند النص ، لا تعداه بزيادة ولا نقصان ، لأنه ليس للعقل مجال في عالم الغيب ، فيقيس ويستنبط ، فما كان من النصوص قطعياً ، كآيات الكريمة المصروفة بالاخبار عن الانبياء السابقين وأممهم ، وعن الآخرة وما فيها ، وعن الملائكة والجن ، وعمما وعد الله به هذه الأمة من الاستخلاف في الارض ، فإننا نؤمن به ونقول بكفر من أنكره ، وما كان منها مروياً في أخبار الآحاد ، فلا يكلف كل مؤمن بعلمه والايان به ، وأحاديث الآحاد الواردة بإخبار النبي ﷺ بالغيب كثيرة ، وقد ظهر تأويل المشهور منها ، كالإخبار بان الله يفتح على المسلمين مصر والشام وغيرها من الأقطار ، والإخبار بأن «عمراً» تقتله الفئة الباغية ، وأن «الحسن» يصلح الله به بين فئتين من المسلمين ، وان «فاطمة» رضي الله عنها أول أهله لاحقاً به بعد موته .

وأما ما ورد من أن الجنة والنار مثلتا له في عرض الحائط، أو قبلة الجدار، ومن أنه رويت له الأرض، فرآى ما يصل إليه مثلك أمته منها فلا يدل على أن الله تعالى أطلعه على ما كان وما يكون، مما ليس في استعداد البشر الاطلاع عليه، اذ لا نهاية له، ولا هو مما يتعلق به تبليغ الرسالة وهداية الخلق، وايضاً فالنصوص تنافيه، والنبي يقول: «إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون» (١٨٧: ٧) فهو ينفي أن يكون له خصوصية غير التبليغ بالإذار والتبشير، كأنه يقول. إن الله تعالى أمرني أن ابلغكم بانني لا أمتاز عليكم بصفات الالوهية، كالقدرة على النفع والضر وعلم الغيب، و ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (١١١: ١٨).

### طرق نقل العلم

٣ — كان طريق علم يعقوب هو الوحي السماوي، ويوجد اليوم طرق اخرى لعلم الأنباء البعيدة كالبرق والبريد والهاتف والراديو واللاسلكي والطائرة والمنطاد ثم قراءة الافكار والتنويم المغناطيسي وغير ذلك من المخترعات المصرية، ولكن هذه الطرق مرتكزة على أسباب علمية، وأما الوحي فليس مرتكزاً على شيء، سوى نزول الملك والالهام.

## العودة الى مصر للتحسس

آ (٨٧) ﴿ يَا بَنِيَّ ، اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ ،  
وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ  
إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ .

افتتحت الجلسة وتليت الآية السابعة والثلاثون ، فقام وليّ الدين

البهنسي (١) وقال :

سبق ان يعقوب قال لأولاده : « وأعلم من الله ما لا تعلمون » ، فهو لما قال لهم هذه الجملة ، وأفاض في شرحها ومراميها ، اتخذ ذلك فرصة لتصريحه باعتقاده بحياة يوسف ، وبراءة بنيامين من السرقة ، فلذلك ولكون الحب مبنياً على الرجاء قال : « يَا بَنِيَّ » دعونا من المزاعم والأوهام ، والأخبار الموضوعية ، والادعاء الباطل ، فلا اخفي عنكم أنني لليوم وللغد أتوقع خلاف ما تظنون في اخويكما ، لذا ( اذهبوا ) لمصر للمرة الثالثة ( فتحسسوا ) فيها ( من يوسف وأخيه ) بنيامين ، وتعرفوا منها ، وتطلبوا خبرها ( ولا تياسوا ) ولا تقنطوا ( من روح الله ) من فرجه وتنفيسه ، ولا تفضوا أيديكم منها ، بالرغم عن قدم العهد بيوسف ، وعن أن خصيمكم في بنيامين هو الحكومة المصرية ، فلا تجملوا لليأس سبيلاً الى قلوبكم ، ( انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ) ولذلك فاني لا أياس من حياة يوسف وبراءة بنيامين واطلاق سراحه ، ولن أياس من ذلك ما تردد لي نفس على وجه الأرض ، وان طول شقة فراق يوسف وكل ما جرى على بنيامين ، لم يقللا شيئاً من أملي من هذا القبيل .

(١) نسبة الى بلدة بهنس في انظر المصري .

( يا بني ، اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه .. الخ )

— ٢ —

وقال جمال الدين الانطاكي (١) :

يعقوب يطلب من اولاده العودة لمصر للاختيار ظاهراً

والتمسى من يوسف واخيه باطناً

ما زالت حال يعقوب عليه السلام تضطرب بين فرح وهم ، وصرور وغم ،  
ومابرحت آماله تتراوح بين مد وجزر ، وبسط وقبض ، يذكر حلمي يوسف ،  
وما اوحى الله اليه في شأنه ، فيشرق له في خلال ذكراه وجه الحياة الناضر ،  
ويلوح له جمال العيش الساطع ، ثم يذكر غيبة يوسف ، وانقطاع اخباره ، وطول  
المدة وماطراً بعد ذلك من حادثة بنيامين ، واحتباس رأوين بمصر ، وما اعدت  
له الأيام في طياتها ، فيمس صدره بيده ، ليعلم اين مكان قلبه من اضالعه ، فلا تراه  
إلا متأسفاً قائلاً : ما اضيق العيش لولا فسحة الأمل ، ولذلك قال لهم مامرماه :

يا ابنائي — إن للأمور ظواهر وبواطن ، فلا تقفوا عند ظواهرها ، دون  
البحث والتنقيب عن بواطنها ، فربما لا يكون الذئب قد افترس يوسف افتراساً ،  
ولكنه حاول افتراسه ، فتجاذبا ، فأمسك الذئب بقميصه . وجرحه فقط ، وامل  
يوسف فتملص من القميص ونجا باعجوبة سالماً فائزاً بحياته ، فلقية اشقياء من  
كنعان او الكلدان او الإفريقيين ، فاسترقوه ، حسب العوائد الشائعة بين  
اولئك الأقوام ، وكذلك ربما لا يكون اخوه « بنيامين » سارقاً ، بل دبرت له  
مكيدة من عدو له ، او من بعض عمال الحكومة لأمر ارادوه ، او وضع الصواع

(١) نسبة الى بلدة انطاكية في سورية.

في رحله سهواً ثم نسي فيه ، فعسى ان تقفوا على شيء من هذا القبيل ، فيخلص اخوكم من هذه الاحبولة ، لأن الحق فوق القوة ، لذا فبيا واذهبوا الى مصر ، واستقصوا خبرها ، واسألوا عنها ، لعلكم تهتدون على ضالتكم ، يا اولادي ها هو صوت يرن في اذني ، ثم يخترق اعماق قلبي ، يقول لي : « يوسف حي » و« بنيامين امين » فقوموا اذهبوا وكونوا كلكم آذاناً ، حتى تسمعوا عنها خبراً ، كونوا كلكم عيوناً تتطلع الى روايتهما ، كونوا كلكم السنة تسأل عنها اهل الآفاق ، كونوا كلكم انوفاً ، تستنشق اريجها ، كونوا كلكم ادمغة ، تفكر في اسباب لقيائها ، وبالجملة كونوا كلكم ارواحاً تحلق في الاجواء حتى تقع عليها وعلى حقيقة امرها

يا بني — إن الإنسان إذا اقتد شاة بث عليها العيون والأرصاد ، ونشر السعاة والرواد ، ولا يهدأ له بال ، حتى ترجع اليه تلك الشاة ، فكيف والمفقود منا إنسان بل إنسانان ؟ . . . فاذهبوا وتخبروا من يوسف وأخيه ، وأبدلوا في ذلكم وسعكم وطاقتم ، ولا تننوا ، انهبوا وتبينوا حقيقة الحال ، فاتم عيوني وأرصادي لهذا الأمر كما لغيره ، فلا تألوا جهداً في اكتناه جلية الواقع ، ولا أظنكم إلا عائدنين لي ، مزودين بالخبر اليقين ، حاملين اليّ البشارة السارة عنها .

يا بني — افكروا في طريقة مثل تقفون بها عليها ، عساكم تجدونها سالمين ، فما على الله أمر عسير وان عزائم الرجال تذلل الصعاب ، وقد تكون أرهف حداً من الصوارم ، إذا اقترنت بالاخلاص ومساعدة الباري جل جلاله ، فعسى أن نصير على بينة من أمرها ، فلا بد أن يكون في الأمر سر عميق ، أتم رسلي ، فمتى وقفتم لها على خبر ، فانفذوه الى تواء ، أمعنوا في الفحص ، ونقروا عنها تنقيراً ، ولا تقنطوا من فرج الله ، ولا تقنطوا من نفوسكم جبل الرجاء ، ولا تبكتوا خيوط الأمل ، إنه لا ييأس من فرج الله الا كل كافر بنعمة الرجاء والأمل ، هذه بكلامي ، وأقول ليكم كلمة جدي ابراهيم الخليل : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ ﴾

إلا الضالون ﴿ (١٥ : ٥٦) فلا يتولاكم اليأس ، ولا يستحوذ عليكم القنوط .  
( جيد )

يابني ، اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه . . الخ

— ٣ —

وقال ضاء الدين المرعشي<sup>(١)</sup> : اعلق على الاية الكريمة بالمواد التالية :

يعقوب يطلب من اولاده التحسس من يوسف وبنيامين ثم جلب الميرة

١ — تعليقا على قوله ( اذهبوا فتحسسوا ) : الحقيقة ان أباهم دفعهم لمصر  
لأمرين ، الأول التحسس عن يوسف وأخيه ، والثاني جلب الميرة ، وانما لم يذكر  
هذا الثاني ، لأنه طبيعي ومعلوم ، ولان الامر الاول هو الاقوى ، والاهم في  
نظره ، فكأنه قال : اذهبوا ليس لاجل قوت الاجسام فقط ، بل أيضا لاجل  
قوت الارواح .

### معنى التحسس

٢ — التحسس طلب الشيء بالحاسة ، وهو قريب من التجسس ، وهو تعرف  
الشيء بواسطة الجس ، أو التحسس في الخير ، ومنه الجاسوس ، والتجسس في  
الشر ، ومنه الجاسوس ، وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس ، وكذلك  
الجؤس ، وهو طلب الشيء بالاستقصاء والتردد والطوف ، ومنه ﴿ جاسؤا  
خِلالَ الدِّيارِ ﴾ ( ١٧ : ٥ ) ويقال : التحسس ، الاستماع لحديث القوم ،  
والتجسس التفتيش عن بواطن الامور ، والجاسوس صاحب سر الشر ، والناموس  
صاحب سر الخير ، وأحس يستعمل في ادراك الحسي والمعنوي ، يقال أحسست

(١) نسبة الى مرعش في بلاد الترك

بالحرارة والبرودة مثلاً ، وأحسست منه مكرراً ، وأحسست منه بمكر ، وما أحسستنا منه خبراً ، وهل تحس من فلان بخبر .

### روح الله وان اليأس منها كفر

٣ — « روح الله » هو فرجه وتنفيسه ، أو هو فضيلة الرجاء ونعمة الامل وانه لا ييأس ، من تلك الفضيلة إلا الكافرون بها ، نعم إن اليأس كفر بتلك النعمة ، اليأس يقتل فضيلة كبيرة ، هي حياة الانسان في هذه الدنيا ، هي تعزيبته وملجأه الحريز ، ألا وهي فضيلة الرجاء ، فضيلة الامل ، فضيلة الامنية ، إذ لولا بارقة الامل ، لعاش الإنسان في حياة مظلمة ظلاماً دامساً ، فكان كافراً بتور الحياة الذي هو الرجاء والامل ، كل العالم إنما يعيش بالامل ، لان طبيعة الوجود تبعده عن اليأس ، فالامل فضيلة ، لاحياة الانسان بدونها ، فهي نعمة من الله تعالى ، لولاها لمتنا ، فمن يشس من هذه الفضيلة فقد كفر بها ، وصار في حياته من ذوي الاتعاب .

وقول يعقوب لاولاده : « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » هو نظير قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن أذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ ﴾ (١١ : ٩) ؛ فيعقوب يقول لابنائيه : إن الله كان أذاقنا رحمة وجود يوسف بيننا ، ثم نزعها منا على يد بعض خلقه ، ولكن لا يجوز أن نياس من عود هذه الرحمة ، لان اليأس من رحمة الله كفر بها .

### معنى الكفر والظلمة واطرافه على غمط النعم

٤ — تعليقاً على قوله « الكافرون » : معنى الكفر في أصل اللغة ، الستر والتغطية ، وكانوا يسمون الليل « كافراً » لانه يغطي بظلامه الاشياء ، وأطلقوا لفظ « الكافر » على طلع النخل ، واكمام التور ( الزهر ) لمذاكر ، وعلى البحر

لان الشمس تغيب فيه — بحسب الظاهر — وعلى ثوب كانوا يلبسونه فوق الدرع يقولون له كافر الدروع، وقوله تعالى : ﴿ وَأَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ (٢٠:٥٧) هم الزراع ، وأمثال هذا كثير في اللغة .

ويظهر من ذلك ان حقيقة « الكفر » تغطية المحسوس بالمحسوس ، ثم اطلق على من لم يدعن للدين ومن لم يشكر النعمة تجوزاً ، فاذا تقرر هذا فلعل الكفر ههنا بالمعنى اللغوي ، الذي هو السر ، لان اليأس من رحمة الله ، ستر لفضله وحسن الظن به سبحانه وتعالى ، وقد اطلق لفظ الكفر في بعض أحاديث مسلم على ترك الصلاة ، ولهذا شواهد كثيرة ، فمن اطلاق الكفر على غمط النعم قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ (٦٦:٢٢) أي جحود لما أفاض عليه من ضروب النعم ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ، فَفَرِحَ بِهَا ، وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ (٤٢:٤٨) أي انه يذكر البلاء وينسى النعم وينمطها ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١٤:٣٤) أي شديد الكفران للنعمة ، ومنه حديث البخاري : (اطلعت على النار فوجدت اكثر أهلها النساء يكفرن — قيل : وما يكفرن ؟ — قال العشير) ، والكفر بهذا المعنى مقابل للشكر ، قال سليمان (ع) : ﴿ لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ، وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رِبِّي غَنِي كَرِيمٌ ﴾ (٤٠:٢٧) ، وقال تعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴾ (١٥٢:٢) ويقول « منفتح » فرعون مصر : ﴿ وَفَعَلْتُ فِعْلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٩:٢٦) أي تحريت كفران نعمتي بقتلك خبازي ، وعلى الأقل بقتلك رجلاً هو من شيعتي الأقباط ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ : لَسْنَا نَعْبُدُكُمْ إِلَّا لَزِيدَ نَكْمِ ، وَاتَّخَذْتُمْ كُفْرًا تَمَّ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾



( ٧:١٤ ) فالكفر هنا مقابل الشكر ، بأن استعملنا نعمه فيما يفضبه ، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ( ٢:٢٥٤ ) فالمراد «بالكافرين» ههنا من يكفرون النعم بقرينة السياق والسباق وهم الذين لا ينفقون في سبيل البر والخير ، ولا يراد به ههنا منكرو الألوهية أو النبوة أو الجاحدون لشيء مما جاء به الأنبياء وعلم علماء ضرورياً ، لأن هذا اصطلاح لم يلتزمه القرآن الكريم .

### اطلاق الكفر على المعصية الكبيرة

وقد يطلق الكفر على المعصية الكبيرة ومنه فيما أرى قوله تعالى : ﴿ وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل ، هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولوا : إنما نحن فِتْنَةٌ فلا تكفروا ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ ( ١٠٢:٢ ) فقد تعلمون ان سليمان نبي ، والأنبياء معصومون من الكفر — المقابل للايمان — إجماعاً ما من ذلك بد ، وعليه فينبغي حمل الكفر المنفي عنه على الكفر بمعنى فعل معصية السحر ، وقوله : « ولكن الشياطين » يراد بهم شياطين الإنس كما في : ﴿ وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا : إنا معكم ﴾ ( ١٤:٢ ) وقوله : ﴿ يعلمون الناس السحر ﴾ تفسير لكفر هؤلاء الشياطين ، وقوله : « فلا تكفر » أي بتعلم صناعة السحر .

ومن أمثلة هذا النوع ما في حديث البخاري ( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ) ، وقوله تعالى : ﴿ وبكفروهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ﴾ ( ١٥٥:٤ ) ، فكفرهم ههنا هو قولهم على مريم البهتان العظيم ، فالعطف للتفسير ، وأما الكفر المعلوم فقد ذكره في الآية قبلها مرتين حيث قال : ﴿ فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم « قلوبنا

« غُتِفَ » ، بل طبع الله عليها بكفرهم ، فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴿ (٤: ١٥٤) ﴾ وفي الحديث : « كفر بأمريء ادعاء نسب لا يعرفه ، رواه ابن ماجه في سننه وفي أحاديث الجامع الصغير : « أخذ الأمير الهديية سحت ، وقبول القاضي الرشوة كفر » .

### اطراق الكفر على الضلّال

وفي صحيح البخاري « لاترجعوا بمدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » وفي رواية « ضلّالاً » فالضلال في هذه الرواية تفسير للكفر في الرواية الأولى ، كما أن الضلال في آية الحجر وهي قول إبراهيم : ﴿ ومن يقنطُ من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ (٥٦: ١٥) تفسير للكفر في آية يوسف ، وهي قول يعقوب : ﴿ إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ (ع ٨٧) كما أن « روح الله » هي « رحمة الله » واليأس هو القنوط ، وفي صحيح مسلم : « اثنتان في الناس هما كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » وفيه : « أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع اليهم » وفي سنن ابن ماجه : « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدّقه بما يقول - فقد كفر بما نزل على محمد » ، وفي البخاري : « ليس من رجل ادّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر » وفيه : « لاترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر » جعل التحاق الانسان بنسب غير نسبه كفراً وكل هذا وغيره مبني على التغليظ والتشديد .

### اطراق الكفر على ترك بعض اركان الاسلام

وقد أطلق لفظ الكافر على مانع الزكاة كما في سابق قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، أففقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ ، والكافرون هم الظالمون ﴿ (٢٥٤: ٢) ﴾ ، أي والمانعون للزكاة أو

النفقة في سبيل البر هم الظالمون ، فوضع « الكافرون » موضعه تغليظاً وتهديداً وإيداناً بأن ترك الزكاة من صفات الكفار كقوله ﴿ وَوَيْدُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ زَكَاةً ﴾ (٦:٤١) ، وكما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٩٧:٣) فقال « ومن كفر » مكان « ومن لم يحج » تغليظاً وإيداناً بأن ترك الحج من سمات الكافرين ، وقال تعالى ﴿ : فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ : أ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١٠٦:٣) ، جعل تفرقهم واختلافهم كفراً ، تغليظاً ، لأن هذا العمل لا يصدر إلا من الكافرين ، كما قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (٥٩:٦) وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤٧:٥) ، قال ابن عباس في هذه الآية : « كفرٌ دون كفرٍ » ، ولذلك قال بعده : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ — فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٤٨:٥) ثم قال : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ — فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥٠:٥) ، فهذا الكفر هو الظلم والفسق المذكوران بعده ،

وكما يطلق الكفر على ترك بعض أركان الاسلام ، فبالمقابلة قد يطلق الايمان على فعل بعض أركان الاسلام ، ونجد ذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (١٤٣:٢) ، أي صلاتكم ، وقد عقد البخاري باباً عنوانه : « وكفر دون كفر » .

### الكفر في عرف القرآن الكريم

فمن الشواهد السابقة وما إليها مما لم نذكره نعلم أن القرآن الكريم قد يطلق لفظ « الكفر » على غير المعنى الاصطلاحي للمتكلمين والفقهاء لأن القرآن هو

فوق هذه الاصطلاحات الجديدة ، وإن هذا النوع من « الكفر » مما يتهاون فيه المسلمون في هذه الأزمنة وفي أزمنة قبلها ، لظنهم ان كل كلمة « كافرين » في القرآن انها يراد بها الكافرون بالمعنى الخاص في اصطلاح المتكلمين والفقهاء ، وهذه الشواهد ونحوها تبطل ظنهم .

فالكفر في عرف القرآن الكريم ليس خاصاً بما يعده الفقهاء والمتكلمون ككفرأ ، فمن عرفه ان المتفرقين في الدين يعدون من الكفار ، وان اتحاد الكلمة والاعتصام بالوحدة ايمان ، والخروج عن ذلك كفر ، وقد فهم السلف الصالح من الكتاب والسنة أن الايمان اعتقاد وقول وعمل ، وللعمل شعب كثيرة أعظمها الاتحاد وعدم التفرقة والاختلاف ، كما أن الاعتقاد شعباً كثيرة من أعظمها الثقة بالله والرجاء في تفريج الكرب ، فاليأس إذن كفر ، وهذا تحقيق المقام في معنى كلمة « الكافرون » هذا ولم أجد أحداً من المفسرين تكلم عليها بينت شفة ، والله تعالى يهدي من يشاء الى سواء السبيل .

(مرحى)

## الفصل الرابع

### سفرة اخوة يوسف الثالثة لمصر

آ (٨٨) \* ... فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أيها العزيز ، مسنا وأهلنا الضر ، وجئنا ببضاعة مزجاة ، فأوف لنا الكيل ، وتصدق علينا ، إن الله يجزي المتصدقين \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثامنة والثمانون فقام شوكة افندي

الجركسي وقال :

سمع أبناء يعقوب كلام أبيهم ، فأنسوا منه قوة عقيدة بحياة يوسف ، وسلامة

بنيامين من التسول ، وتصميمه على رجوعهم ثلاثة لمصر ، للتنقيب عنها ، فواصلوا سيرهم حتى أتوا مصر ، وعرجوا على البلاط الذي فيه عزيز مصر الجديد ، ( فلما دخلوا عليه ) أي على العزيز ( قالوا : يا أيها العزيز ) عزيز مصر المحترم ( مسنا وأهلنا الضر ) الجوع والهزال وسوء الحال ( وجئنا ) اليك مع الخجل ( ببضاعة مزجاة ) رديئة ، من متاع الأعراب ، صوف وسمن ، أو علك وإقط ، أو نحو ذلك ( فأوف لنا الكيل ) أي أعطنا شيئاً فوق حقنا بحيث يكون طافاً زائداً عن الحق الذي لنا ( وتصدق علينا ) بالمساحة والاعماض من رداءة البضاعة ( ان الله ) له المجد ( يجزي المتصدقين ) في الدنيا وكذا في الآخرة فيما نعتقد نحن وفيما تعتقدون أتم ، إذ لافرق في ذلك بين دين ابراهيم ودين المصريين والعالمقة .

( فلما دخلوا عليه قالوا ... الخ )

— ١ —

وتابع شوكة افندي الجركسي كلامه قائلاً : لقد بينت لكم أيها السادة مجمل تفسير الآية وهاأنذا أبين لكم مفصلها :

دخول أبناء يعقوب على العزيز « يوسف » للمرة الثالثة وتزللهم له في طلب الميرة

ضاق أبناء يعقوب من بكاء أبيهم وتأسفاته ، واشفقوا على دمه الصيب فسمعوا لما طلبه منهم وقاموا ليفتشوا عن يوسف وبنيامين ، فتأهبوا بالرحيل واعدوا معدات السفر وركبوا وفصلوا عن « سيلون » وحولوا عنان دوابهم شطر الديار المصرية ، وهمزوها وأما أبوه فكان يشيعهم بالنظر ، ولما بعدوا عنه صار يشيعهم بالقلب ، وأخذوا يطوون الأرض طياً ، في غمار المسافرين من التجار والمهتارين ، حتى وصلوا « صوعن » حاضرة مملكة الهكسوس بمصر ، فنفضوا عن وجوههم وثيابهم غبار السفر ويمموا شطر بلاط العزيز ثم دخلوا على العزيز « يوسف » وهو لابس قميص

اليوص الملكي ، وقالوا له بصوت مختنق : يا أيها العزيز في هذه الديار المصرية الهكسوسية ، نحن مدينون لك سابقاً بما أوفيت لنا الكيل ، وكنت لنا خير المنزلين ، ورددت لنا بضاعتنا في رحالنا ، فكانك كلت لنا الميرة مجاناً ، فنحن لا يسمعنا إلا شكرك والثناء عليك ، وان هذه المعاملة الجميلة لتحملنا على التجاسر والطمع وعرض حالتنا المحزنة على مسامحك الشريفة ، يا أيها العزيز المحترم ، اجتزنا التخوم ، وتخطينا البلدان ، وطوينا النبراء ، لاغبين من الضرب في الأرض ، وجوب الصحراء ، يقودنا الأمل ويسوقنا الرجاء ، تارة نمشي في سحابة القيظ وحيناً نسير في زلف من الليل ، يا أيها العزيز الكريم ، الرحمة الرحمة ، لقد مسنا وأهلنا الضر ، مسنا الأين والبين ومس أهلنا الجوع والهزال وسوء الحال ، فوقعوا في شبكة السغب ، وحاط بهم جيش الهزال من كل جانب ، مسنا وأهلنا الضر ، — كلمة ترجع في بيان الواقع ، وبيان التذلل للمخاطب — وصفرت بيوتنا من الحب ، فأملقنا وتربنا ، ولحقنا النصب والأغوب ، وجثنا اليك بعد التي واللتيا ومع الخجل ، ببضاعة مزجاة ، رديئة يدفعها من تعطى له ، وقد صفرت أيدينا مما سواها ، وهي ليست من عقيلة المال ، ولا حر المتاع ، وحبذا لو كانت عندنا دنائير صفراء ، لكما قد مناها ، أو لو كان معنا دراهم بيضاء ، لكنت نفعنا في هذه الأيام السود ، فارحمنا وتعطف علينا ، وأوف لنا الكيل ، بحيث يكون طاماً زائداً عن الحق الذي لنا ، كما هي عادتك الحميدة ، منذ القدمة الأولى ، وتصدق علينا بغض النظر عن رداءة بضاعتنا ، وانها مدفوعة مردودة ، فان للصدقة مراتب. هذا منها ، وقد قيل :

عن حديث المكارم  
عُدّ في جود حاتم

عدّيا في زماننا  
من كفى الناس شره

أو أنهم تمسكنوا له وطلبوا اليه أن يتصدق عليهم بأن يعطيهم ما تسمع به يده  
بلا مقابل منهم ، وهذا هو ظاهر اللفظ الذي نطقوا به .  
فلما دخلوا عليه قالوا . . الخ

— ٣ —

ثم قام أبو الوفاء الكركوكي (١) وقال :

لي ههنا الملاحظات التالية :

### مراحل الخطاب او « الاستدعاء »

١ — تأنقوا في خطابهم ماشاءوا وشاء لهم انكسار قلوبهم ، فافتحوه  
باحترام مخاطبهم ، وتلوه بشكاية الحال اليه ، فالاستجداء ، ثم ختموه بالترغيب فيه  
إن قلنا إن الجملة الأخيرة خبرية محضة ، أو ختموه بالدعاء إن قلنا إنها جملة خبرية  
لفظاً إنشائية معنى ، فهذه الآية التي نطقوا بها ، هي من قبيل ما يسمى اليوم  
« استدعاء » يصدر بترويسة تحتوي على اللقب الرسمي للمعروض اليه ، ثم على بث  
الشكوى ، ثم الطلب ، ثم الترغيب في فعل الخير أو الدعاء للمعروض اليه .

### مقايمة بين العبرانيين والعرب في الرحمة

٢ — كلامهم هذا هو « عرض حال » شخصي ، أعني لأجل شخصية واحدة ،  
لا لأجل عموم أهل بلد مثلاً ، ولكن تحضرنا الآن حكاية ذكرها صاحب الأتاني  
وقعت من بعض العرب ، نقلها ليعمل القارئ مقايمة بين همة هؤلاء الناس  
العبرانيين ، وبين همة ذلك العربي الصميم ، واليك تلك الحادثة المدهشة :

دخل أعرابي على « هشام بن عبد الملك » فقال : « يا أمير المؤمنين ، أتت علينا

(١) نسبة الى بلدة كركوك في العراق .

ثلاثة أعوام ، فعام آداب الشحم ، وعام أكل اللحم ، وعام ألقى العظم ، وعندكم أموال ، فإن تكن لله ، فبثوها في عباد الله ، وإن تكن للناس ، فلم تحجب عنهم ؟ وإن تكن لكم فتصدقوا ، إن الله يجزي المتصدقين ، — قال هشام : « هل من حاجة غير هذه يا أعرابي ؟ » — قال : ما ضربت اليك أكباد الإبل ، أدرع الهجير ، وأخوض الدحى لخاص دون عام !!! ، فأمر هشام بأموال فرقت في الناس ، وأمر للأعرابي بمال فرقته في قومه ! . هذا هو طلب الأعرابي ، ولكن هؤلاء الإخوة جاءوا يطلبون لأنفسهم دون أنفس سواهم ، وعلى الأقل ، ما سمعنا عنهم أنهم أوصوا بسواهم من أهل فلسطين وجاراتها آرام ، فلم يتشفعوا لأحد ما قط ، بل قصروا همهم على أشخاصهم ، تأمل يارعاك الله المرمى الذي رمى إليه ذلك العربي الصميم ، والمرمى الذي رمى إليه هؤلاء الإخوة ؟ تأمل كم يوجد بين العرب واليهود فرق في الشمم ، وعلو الجناح وبعد الهمة ؟ وماذا بين العرب واليهود من البعد الشاسع في الشفاعات الذاتية الشخصية ، كما هي حالة اليهود ، والشفاعات العمومية ؛ كما هي حالة العرب ؟

ولا ريب أن هذه الشيمة في هؤلاء وهؤلاء موروثه لسلائلهم ، فعرب فلسطين اليوم إذا طلبوا أمراً ، طلبوه لعامتهم ، ولكن الصهيونيين إذا سعوا في تحصيل شيء ، فاعنا سعيهم لأنفسهم ، ولا فائدة منهم لسواهم .

### البضاعة وطرق المبادلة بها

٣ — تعليقا على قولهم : « وحننا ببضاعة » البضاعة لغة القطعة من المبيعات التي يتجر فيها ، كأنهم أرادوا أن يجروا مع « عزيز مصر » صورة مبادلة ، وصور المبادلة تختلف ، فبعضها يحصل على سبيل مبادلة الشيء بالشيء ، ويسمى المقايضة ، والمقايضة بالنقد هو النوع المتبع في البلاد المتمدينة كعصر ، ولذلك كانوا « شروه بثمان بخس دراهم معدودة » ( ع ٢٠ ) ، والمقايضة عروض بعروض هو النوع



المتبع في البلاد غير المتمدية ، كفلسطين في ذلك العصر ، لأنها كانت بدوياً ، كما سيأتي ليوسف أن يقول : « وجاءَ بكم من البدو » (ع ١٠٠) ، وقد كانت المبادلة والمقايضة شائعة منذ القديم ، من أول أيام خلقة البشر ، وان المزاي التي منحها الله للبلاد والممالك المختلفة ، وان المواهب التي اختص الله بها اناساً دون آخرين - جعلت المبادلة أمراً اضطرارياً ، فهذه أراضي السودان أكثرها خالية من الملح الذي هو أهم حاجات البشر ، ولذلك يضطر السودانيون لاستجلاب الملح من الممالك الكائنة خارج بلادهم ، يستبدلون به الحبوب والحيوان ، وان أصحاب المواشي كيعقوب وأولاده لا يشتغلون بالزراعة ولا بالبضاعة ، وانما يكون عندهم الجلود والنعال والإقط والجبجب والسمن والزبدة ، ونحو ذلك مما كان سهل وجوده بطبيعة الحال عند أولاد يعقوب ، عليه السلام ، فلذلك ، ولكونهم كانوا من أهل فلسطين المتبدية غير المتمدية ، فنحن نرى على أغلب الفكر ان هذه « البضاعة » التي جاءوا بها هي من هذا القبيل مما سهل نقله من فلسطين لمصر ، وانما قالوا « مزجاة » لأنهم ربما كانوا قد جربوا عرضها على التجار عندهم في فلسطين فلم يقبلوها ، وربما أرادوا إنهم مزجاة اليوم في مصر ، لرداءتها أو لكونها غير لازمة لأسواق مصر ، لأن العروض قد تكون مقبولة في بلد دون بلد ، وفي وقت دون وقت ، بخلاف النقود فانها مقبولة في كل مكان وزمان ، فما ذكرنا من حال فلسطين وحال أولاد يعقوب الذي كانوا عليه ، وبيان معنى البضاعة لغة ، يرجع عندكم ان تفسير هذه « البضاعة » بالنقود ضعيف جداً ، فافهموا .

٤ - ربما كانت عبارة « فأوف لنا الكيل » راجعة لقولهم « مسنا واهلنا الضر » وعبارة « وتصدق علينا » مرتبطة بقولهم : « وجئنا ببضاعة مزجاة » ، ففيه لف ونشر مرتب .

اخوة يوسف يثبتون له جزاء على صدقته

٥ - قالوا : « وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين » وهم في ظنهم إنما

يخاطبون رجلاً وثنياً من وثني الماليق المكسوس ، أو من وثني المصريين ، ومع ذلك فقد أثبتوا ليوسف ، جزاءً على صدقته ، وهذا منهم صحيح ، سواء أكان في الدنيا أم في الآخرة ، : ﴿ تَمَنَّ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ( ٧ : ٩٩ )  
 ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَىٰ بِنَاصِيَةِ الْبَاطِلِ الْأَعْيُنِ عَنَّا حَصْبًا وَكَفَىٰ بِالْحَافِيِينَ ﴾ ( ٤٧ : ٢١ )  
 ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ، وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ( ٥٦ : ٤ ) ،  
 وأما ما يوم خلاف ذلك فأول :

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى فوآدي ولكن للعتاب مواضع

### جزاء المتصدقين في الدنيا والآخرة

٦ — تعليقاً أيضاً على قولهم « إن الله يجزي المتصدقين » أي يجزيهم في الآخرة بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ؛ ويجزيهم في الدنيا بالصحة والعافية ورفع درجات الاحترام . والثناء عليهم من الناس .

قال علي بن الجهم :  
 كل الأمور تزول عنك وتنقضي إلا الثناء فإنه لك باقي

هي النفس ما حملتها تتحمل  
 وعاقبة الصبر الجميل جميلة  
 وما المال إلا حسرة إن تركته  
 وللدهر أيام تجور وتعبدل  
 وأكمل أخلاق الرجال التفضل  
 وغنم إذا قدمته متعجل

وقال غيره :

قدم لنفسك زاداً  
 من قبل أن تنفاني  
 ولست تعلم يوماً  
 إمّا لجنة عدن  
 وأنت مالك مالك  
 ولون حالك حالك  
 أي المسالك سالك  
 أو في المهالك هالك

وقال آخر :

يا غافلاً عن حركات الفلك      نهبك الله فما أغفلك  
لغيرك ما أنت ورثته      وما أنت أنفقتَه فهو لك

### ذلة الاخوة مع الاجنبي « العزيز » وعظمتهم مع ابيهم واخيهيم

٧ — تعليقا على قولهم : « مستنا واهلنا الضر » و « تصدق علينا » كلام يشف عن الذلة والمسكنة للأجنبي ، وأين هذا الصغار والتنازل مع الأجنبي من تلك الدبدبة والعظمة مع ابيهم واخيهيم ، حينما كانوا قالوا : « إن أبانا لفي ضلال مبين » ، « اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً » ، « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » ، « نال الله تفتاً تذكرو يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين » ، حتى أن أولادهم ساروا سيرة آباءهم ، وعلى العروق ينبت الشجر فقالوا : « نال الله إنك لفي ضلالك القديم » لعمرى انت الذي حملهم على ما هو المذكور هنا من عبارات الاستكانة والخضوع إنما هو الاحتياج وحب المنفعة ، قيل إن « كَشَيْتِرْ عَزَّة » و « الكميت » كانا شيعيين ، غاليين في التشيع ، وكانت مدائحهم في « بني أمية » أشرف وأجود منها في « بني هاشم » ، وما لذلك علة سوى الحاجة والانتفاع ، وان هؤلاء الأشبال !! ، اصول اليهود ، قد ورثوا هذه الطبيعة التي عاشوا عليها - سلائقهم يهود اليوم لا سيما الصهيونيين منهم ، فتراهم عند الطلب من « الانكليز » أو غيرهم من الأجنبي عنهم ، في غاية الذلة والضراعة ، لكنك تراهم في معاملة أبناء عمهم ! « العرب » ! في نهاية الخشونة والبربرية !!... شذشنة أعرفها من أخزم .

### فضوع البسر لحكم الغريب

٨ — توسلوا اليه بصوت مازجه دل السؤال ومسكنة التشكي ، لأنهم لم يكونوا يعرفونه انه أخوهم ، ولو كانوا يعرفونه انه أخوهم ما سوغوا لأنفسهم

أن يخضعوا له هذا الخضوع وذلك لما في فطرة البشر من قلة الاحترام بين الاقرباء فالانسان اذا ترك لفطرته ، ودار أمره بين أن يذل نفسه لقريبه ، أو لأحد الغرباء فضل الخضوع للغريب ، ولهذا السبب ترى الشعوب التي يحكمها الفاتحون من الغرباء - أسهل قياداً ، وأقرب خضوعاً لقوانين الدولة ممن يحكمهم اناس من أبناء جلدتهم ، وبهذه القاعدة يستدل على كثير من غوامض التاريخ المختلف في حقيقتها، كأصل الفراعنة الأولين مثلاً ، فالمؤرخون مختلفون في هل هم مصريون أو دخلاء؟ ونظراً لما هو معلوم من استعبادهم أهل البلاد الأصليين يرجح أنهم غرباء فاتحون، للسبب الذي تقدم .

( قالون )

### عتاب وتذكير

آ ( ٨٩ ) . . . \* قال : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ؟

افتتحت الجلسة وتليت الآية التاسعة والثمانون فقام حيدر افندي المرعشي (١) وقال : ان التفسير المجمل لهذه الآية هو كما يلي :

تقدم أن اخوة يوسف وقفوا بين يدي يوسف « العزيز » وقالوا له ما قالوا في الآية الكريمة السابقة ، وأما هو ، فلما سمع تدللهم وضراعتهم ، ( قال ) لهم ، بلهجة المذكر المعاتب : ( هل علمتم ) أي هل تتذكرون وتعرفون قبح ( ما ) كنتم ( فعلتم ) منذ ثلاث وعشرين سنة ( بيوسف وأخيه ) ابن أمه وأبيه بنيامين ، ( إذ أنتم جاهلون ) من أهل الجهالة والسفه ، أو جاهلون سوء منبة عملكم .

(١) نسة الى مرعش احدى المدن التركية .

قال هل علمتم . . الخ

- ١ -

ثم تابع حيدر افندي المرعشي كلامه قائلاً: واما تفسير الاية المفصل فهو :

عتاب يوسف لآخوته وتذكيرهم بالتوبة

رأى يوسف أن آخوته قد اشتكوا اليه شكاة تم عن رقة الحال ، وشظف العيش ، ولحوق المحمصه ، وآم قد ودعوا جميع أقوال الشدة ، وأعمال النزق وخواطر ثورة الشباب ، وأنه قد استحالت نفوسهم الصلبة الى نفوس أخرى غيرها ، لاصلة لها بها ، نفوس مطمئنة وديعة رقيقة ، وآم قد غلبت فيهم نزعة الخير على نزعة الشر ، سمع منهم كلمة ملؤها الوداعة والذل ، فأخذت هذه الكلمة مأخذها من نفسه ، وحزن لآجلهم ، وتأثر من بؤسهم ، واعتزم على اظهار نفسه لهم ، حتى يضمهم وأهلهم بمعيتة ، ليعيشوا عيشة الرعد والسعة ، سمع يوسف تذللهم ، فأطرق بنفسه هنيئة ثم قال لهم : أيها الذالون (١) المستعدون (٢) ، يا أبناء « ليئة » و « بلهة » و « زلفة » أتذكرون ما حفظه التاريخ بين طياته ؟ فما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وأخيه ؟ وما أقبح ما أقدمتم عليه ؟ فهل تدرون ذلك وتعرفونه وتذكرونه وأتم في حالة التمرين على أعمال الجهالة (٣) ؟ إذ جهلتم عليها بل وعلى أبيكم ، بل وعلى الاخلاق الفاضلة والطريقة المثلى ، بل وعلى أنفسكم لان من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها .

أنا الان لا أريد استعراض تلك الحوادث الممضه ، التي أدمت القلوب وفتح المنكوبين ، أنا الآن لا أريد أن أحاسبكم حساب الملائكة للميت في قبره ، ولكني أعتب على الآخوة ، أعتب على ذوي الرحم أن يفعلوا ما يدنس سمعتهم .

(١) ذل : خضع (٢) استعداه استغائه (٣) اي السفه .

هل علمتم أنكم كدتم لها ربحاً من الزمن ؟ هل علمتم أنكم شرأحصدتم لها ؟ لا إخالكم إلا تعلمون ذلك وتذكرونه ، ولا أظن أنكم تجهلون ولا أنه عزب عن أفكاركم ، راجعوا تاريخكم العتيق تجدونه قد طوى بين صفحاته الكثير المدهش من أعمال القساوة راجعوا أعمال ما قبل ٢٣ سنة تقفوا على تفاصيل ما اشير اليه .

هل تذكرون انكم شردتم يوسف عن أبيه وأخيه ومواطنيه ، وانكم قدناوأتموه ، ولم تهاندنوه ، ولم تؤاتوه ، ولم تهدأوا عن الكيد له ، والقيتموه في دماس الحب ، وأما أخوه بنيامين ، فقد أحزنتم قلبه ، أفقدتموه شقيقه ، أعدتموه لذة الحياة ، حتى صار شريكه في هذا المصاب ، بل وشريك أبيه في أحزانه ، فتجرع من الحزن كأسين كأس حزنه على شقيقه وكأس حزنه على أبيه يعقوب .

إنكم بعملكم ذلك أصبح يوسف بتشريدكم إياه عبداً مملوكاً يباع في سوق الرقيق ، ثم خادماً في بيوت الأمراء ، ثم ملوثاً بالجريمة زوراً ، ثم سجيناً مع الأثمة !! ..

وأما بنيامين فأصبح بفضل اجراءاتكم غريباً منفرداً ، لا يجد بين القلوب الخافقه حوله قلباً يحزن لحزنه ، ولا بين العيون الناظرة اليه — عيناً تبكي لبكائه ، وانه ليخيل الي انكم كتمتم تهمينونه ، لأنكم ترون فيه ذنب الأفعى .

سبحان الله ، شرارة واحدة حرقت الأخضر واليابس ، فعلتم ما فعلتم ، وكانه لاشيء في أعينكم ، ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (١٥:٢٤) أنا لا أريد بكلامي هذا أن أقوم بتنظيم خطط الهجوم ، ولا أكلفكم في مقابلة ذلك نصب آلات الدفاع ، ولا أريد أن أصفي حسابي معكم ، لا.. لا.. لا.. ولكنها زفرة نفس ، وحسرة قلب ، ونفثة مصدور ، أعالج بها بعض كلوم الفؤاد ، وذكري وكلمة مختصرة للسامع ، عساه أن يفيق بعدها من جهالته .

قال هل علمتم .. الخ

٢ -

وقام الشيخ الكواكبي (١) وقال:

يوسف يشفق على اخوته ويتنصح لهم

سمع يوسف كلامهم المتواضع ، ونظر في سحنهم ، فرأى في لحن كلامهم وملاحظهم ما يدل على ذلمهم وخضوعهم ، وأنهم قد ذهبت منهم الجرأة ؟ وانفتأت تلك الحمية الاولى ، فشعر للحال برحمة في قلبه ، وعطف جديد نحو اخوته ، فلم يتالك عن إظهار نفسه لهم ، وبما استدعى حنانه عليهم بنوع خاص قولهم : « مسنا وأهلنا الضر » ، إذ تصور أن والده من أهلهم ، وكذا قولهم « وتصدق علينا » فانه لما سمعه حرّف أسنانه ، فاذا دمة رقاقة تترجح في عينيه ، وقد خامره حنو وانعطاف نحوهم ، ففضل أن ينفذ لهم جملة حاله ، ويعرفهم بنفسه ، فأتاهم من جهة الدين ، وكان حليماً موقفاً ، وقال لهم هل أتى حين علمتم فيه قبح ما كنتم فعلتم بيوسف وأخيه ، إذ أنتم جاهلون ؟ أنا أتأكد إنكم كنتم لاتعلمون قبحه تمام العلم ، ولماذا سينجم عنه من المفسد ، فلذلك كنتم منذ ٢٣ سنة أقدمتم عليه ، ولكن اليوم هل علمتم قبحه فبتتم الى الله منه ؟ أرجو من الله أن تكونوا كذلك ، فاني على استعداد لمد يد المصافحة والمحبة ونسيان الماضي المؤلم

العلم بالقبح يدعو الى الاستقباح وهذا يجبر الى التوبة

استفهم يوسف عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه النائب ، لأن علم القبح يدعو الى الاستقباح ، والاستقباح يجبر الى التوبة ، فهذا من قبيل

(١) نسبة الى آل الكواكبي في مدينة حلب (سورية)

سياسة « جس النبض » عن توبتهم ، لعله يجدهم قد تابوا ، فيجد منفذاً للعيشة معهم بسلام ، فكان كلامه شفقة عليهم ، وتنصيحاً لهم في الدين ، لامعانة وثرية ، إثارةً لحق الله على حق نفسه ، في ذلك المقام الذي ينفث فيه المصدر ، ويتشفى المعطي المحقق ، ويدرك فيه الموتور ثأره ، وينفس فيه المكروب عن كربه ، فله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسججها (١) ؟ ولله حصا (٢) عقولهم ما أرزنها وارجحها؟

( قال هل علمتم .. )

— ٣ —

وقام الشيخ عبد الحميد الدوماني (١) وقال :  
لي على هذه الآية الكريمة المواد التالية :

### درجات المعاتبة وموقع كلام يوسف منها

المادة ١ — قيل إن كلام يوسف مع اخوته كان من قبيل المعاتبة التي هي أقل من « التثريب » بدرجات ؛ فهي المعاتبة ، ثم اللوم ، ثم التقريع ، ثم التوبيخ ، ثم التأنيب ، ثم التثريب ،

قال بعض العلماء : المعاتبة احتكاك بين القلوب ، تزيدها حرارة وتجاوزاً ، والعتاب فاتحة حديث المحبين ، وظاهر العتاب خير من باطن الحقد ، واكثر الناس لؤماً ، أقلهم لؤماً ، قال الناظم :

لعل عتبك محمود عواقبه فرجما صحت الأجسام بالعلل

صَدَقَ الْخَبَرَ الْخَبْرُ

المادة ٢ — هذا القول الذي صدر من يوسف لآخوته هو مصداق قوله تعالى:

(١) سجع الحد كقرح : سهل . (٢) الحسا العقول والحصاة العقل . (٣) نسبة الى دوما من ضواحي دمشق ( سورية )



﴿ وأوحينا اليه لتنبئهم بأمرهم هذا ، وهم لا يشعرون ﴾ (ع ١٥) .

أدب الاخوة في طلبهم ومقابلة يوسف لهم بذلك وعدم حقه عليهم

المادة ٣ — كان يوسف سمع كلام اخوته ، فرآى عليه صبغة الأدب والخنوع ، فرق لهم وابتدأ يكشف لهم عن حاله ، ويبين شخصه من هو . . توصلنا لمنفعتهم وجلبهم وأهليهم عنده ، ولم يكن ليحقد عليهم لما فعلوه معه من قبل .

وقد جرت وروى لنا التاريخ أن أدب الطالب ، قد يحمل الانسان على الجود ومكارم الأخلاق ، كما قيل انه وفد رجل من بني ضبة ، على عبد الملك بن مروان ، فقال :

والله ما ندري إذا ما فاتنا      طلب اليك — من الذي نتطلب ؟  
فلقد ضربنا في البلاد فلم نجد      أحداً سواك الى المكارم ينسب  
فاصبر لعادتنا التي عودتنا      أو ، لا ، فأرشدنا الى من نذهب ؟

فقال عبد الملك : « اليّ اليّ » وأمر له بألف دينار .

ويحكى انه جيء الى « الرشيد » « بعبد الملك بن صالح » في قيوده ، فقال له « يحيى بن خالد » البرمكي وأراد أن يسكته : « إنك حقود » — فقال : « إنما صدري خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر » — فقال الرشيد : « والله ما رأيت أحداً احتج بمثل ما احتج به عبد الملك » ،

قال بعض العلماء : إن عبد الملك بهذا الاحتجاج فتح الباب « لابن الرومي » حيث قال :

وما الحقد إلا توأم الشكر في الفتى      وبعض السجايا ينتسبن الى بعض  
فحيث ترى حقداً على ذي إساءة      ثم ترى شكراً على حسن العوض

هذا ولكن الطريقة المحمدية تعلمنا تناسي الحقد وأسبابه بته ، ولذلك لم يرد أن النبي ﷺ عاتب أحداً بما سبق ان صنعه معه ، فكان يعفو ويغفر من الابتداء ، وقد ورد انه قال يوم فتح مكة : « ما ترون أني فاعل بكم ؟ » - قالوا : « أخ كريم وابن أخ كريم » - فقال : ( أقول كما قال أخي يوسف ) : « لا تريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » ، « اذهبوا فآتم الطلقاء » .

### اسباب عدم ذكر يوسف أباه في هذا المقام

المادة ٤ - قال « يوسف وأخيه » ولم يذكر أباه ، مع إن المصيبة كانت وقعت على رؤوس الثلاثة ، بل ربما يظن الظان ان حصة أبيه من هذه المصيبة هي أكثر من حصتها ، وجوابنا عن ذلك من وجوه :

أ - ان يوسف يعلم أن أباه مزود بالبشائر الالهية في شأن ابنه الحبيب ، وانه على مثل اليقين من حياة ابنه ، وانه سيجتمع به ، وانه سيقع كل ما بشر به ولده في المنام ، وكل ما وحي به اليه في شأن ولده ، فيعقوب في الواقع مطمئن الخاطر من هذا القبيل ، بخلاف بنيامين الذي كان لا يعلم من مستقبل أخيه يوسف شيئاً ، فلا ريب أن كربه يكون شديداً .

ب - ان يوسف يعلم أن أباه نبي من أنبياء الله ، ورسول من الرسل الكرام والأنبياء والرسل أهل صبر وتحمل : ﴿ قاصبراً كما صَبرَ أولو العزيمِ من الرُّسلِ ﴾ ( ٣٥:٤٦ ) فلا تؤثر عليهم النوازل تأثيراً كبيراً ، ولذلك نرى ان سيدنا يعقوب حينما أخبر بأن ذنباً افترس ولده يوسف قال : « فصبر جميل » ، ثم لما أنبئ بأن ابنه بنيامين سرق ، قال أيضاً : « فصبر جميل » ، وأما ما نزل عليه من الحزن الذي نتج عنه ايضاض عينيه ، فهو أمر وجداني يطرأ على الانسان بغير اختياره ، كما يطرأ عليه الجوع والمعش والسرور - الى غير ذلك من الوجدانيات .

ج — ان الانسان مها عمر في هذه الدنيا ، فاما عمره اللذيذ هو أيام شبابه وكهولته ، أعني العقود الثلاث ، التي هي الثاني والثالث والرابع ، أي من العام الحادي عشر ، الى عام الأربعين ، فهذه الأعوام هي ربيع العمر ، الحاوية لبتداء الشبيبة ونهايتها ، حين تكون القوتان البدنية والنفسية قد ابتدأتا ، ثم كملتا ، حين تكون الصدور مشروحة ، والقلوب مفتوحة ، لمسرات الحياة ، وملذات العيش ، فهذه المدة هي زهرة عمر الانسان وتاج حياته ، واكليل وجوده ، فيها تكون الروح فرحة مغتبطة ، والنفس صافية مسرورة ، وأما ما قبل ذلك ، وهو العقد الأول ، فهو حلم من الأحلام ، كما ان ما بعد الأربعين ، وهو العقد الخامس فما بعده ، فهو عيشة الوقار والتقيد ، فتلك العقود الثلاث هي « الثروة » التي إن ذهبت لن تعود ، وهي أيام « الصفا » التي بتكديرها يضيع العمر كله ، فالقصد بالذات من العمر — بالنسبة للملذات الدنيوية — هو هذه العقود الثلاثة ، وأما ما قبلها من العقد الأول ، فهو كالتقدمة لها ، كما ان ما بعدها من العقود هو كالتتات والخواتيم ، وما أصدق قول من قال : العقد الأول من العمر هو حلم محض ، لا هو للدنيا ولا هو للآخرة...

إذا كنت قد فهمت ما قلناه حق فهمه ، وكنت قد علمت أن « يوسف » قد أسفه اخوته وأحزنوه في أيام شرح شبابه ، وعنفوان قدرته ، ومبدأ زهرة عمره إذ فرقوا بينه وبين شقيقه وأبيه ووطنه ، من حين أن كان عمره ١٧ سنة ، الى أن بلغ من العمر ٤٠ سنة ، وان « بنيامين » قد أسفه اخوته وأحزنوه ، في مثل تلك الأيام الزاهرة ، أيام الملذات والمسرات ، إذ فرقوا بينه وبين شقيقه من حين أن كان عمره نحو ٧ سنين ، الى أن بلغ من العمر نحو ٣٠ سنة .

إذا احطت علماً بمجموع ذلك كله ، تعلم علة كون يوسف جعل مفاعله به اخوته مصيبة نازلة عليه وعلى أخيه ، دون أبيهما فهذه المصيبة نزلت بيوسف وأخيه

في أيام الشباب ، ومقتبل العمر ، أيام اللذات والمسرات والأفراح ، التي إن ذهبت لا يمكن أن تعوض ، فيها بدلاً من أن يجدا في زهرة عمرها الفرح والغبطة والملاذة ، فقد وجدا الحزن والألم والمصائب ؛

وأما أبوها سيدنا يعقوب عليه السلام ، فهو إنها أصيب بفراق يوسف حينما كان عمره ١١٠ سنوات ، فحبيبته بابته وان تكن في ذاتها عظيمة ، لكنها صادفت أيام شيخوخته وكبره ، بعدما كان أخذ سهمه من الغبطة أيام شبابه ، فكم وكم مضت له إبان شبابه أيام صفاء وسرور ، وليالي أنس وحبور ، حينما كان في حضن أبيه « اسحاق » وأمه « رفقة » بفلسطين ، الى أن صار له من العمر نحو ٥٢ سنة ، ثم بعدما هاجر الى « العراق » عند خاله « لابان » مكث هناك عشرين سنة ، قضاه مسروراً بزوجتيه « ليثة » و« راحيل » ، وسُريرتيه « بلهة » و« زلفة » ، ثم كان أولاده الأحد عشر وبناته حوالية ، لا يكدر صفاء عيشه شيء ؛

فهل حصل ليوسف وبنيامين ، أيام شبابه من الصفاء والغبطة عشر معشار ما حصل لأبيه أيام شبابه وكهولته ؟.. كلا.. بل بالعكس قضى يوسف أيام شبابه في غيابة الجب ، الى كونه سلعة تباع وتشتري ، الى سوق الرقيق بمصر ، الى العبودية والخدمة ، الى تلك الفتنة المدهشة ، الى أعماق السجون المظلمة .. وكل هذه الكوارث كانت موزعة على بساط مدة ، هي من سن ١٧ حتى ٣١ ، وتلك هي زهرة الشبية ، ولب العمر ، وكذا قضى بنيامين لب شببته من وقت أن كان عمره سبع سنين ، الى أن صار ابن ٣٠ ، وهو في أشد الألم والذل ، بفقدان أخيه ، فقداناً لم يكن فيه مُعزٍ ولا مخفف ، بخلاف أبيه يعقوب ، فكان له مما أوحاه الله ليوسف في المنام ، وله في اليقظة — بشأن ولده — أعظم تعزية وأكبر سلوات .

د — كان بنيامين ويوسف من أم واحدة ، هي « راحيل » ، وقد ماتت ،





سلك في أعماله وأقواله مسلماً وسطاً ، سلك ذلك مع اخوته ومع سواهم ، وخير الأمور الوسط ، وهذا يظهر لنا في مواضع عدة منها:

١ — انه لما راودته زليخا لم يخضع لها ، ولم يغلظ لها القول ، بل أجابها بالمعقول والأدب ، متمنعاً عن مؤاتاتها ( ع ٢٣ ) .

٢ — انها همت به ضرباً أو قتلاً ، وهو بالمقابلة هم بها كذلك ضرباً أو قتلاً ، ولكنه رأى برهان الله القائم عليه وعلى سائر المكلفين ، « ادفع بالتي هي أحسن » فرجع لحالة التوسط ولجأ الى الفرار من بين يديها ، وبذلك صدق عليه انه سلك مسلماً وسطاً ، لاهو واتاها ، ولاهو تعدى عليها ( ع ٢٤ و ٢٥ ) .

٣ — لما بهتته واختاتته صريحاً لم يسكت ولم يرد عليها رداً عنيفاً ، بل اقتصر على أقل عبارة يدافع بها عن شرفه ، وتؤدي مطلوبه ( ع ٢٥ و ٢٦ ) .

٤ — لما رغبت اليه زليخا أن يخرج على النسوة المصريات أضيفها ، لم يمتنع ، ولكنه لم يوافقهن على رغبتهن منه ، بل سلك في ذلك مسلماً وسطاً ( ع ٣١ — ٣٣ ) .

٥ — لما استفتاه الفتيان اللذان سجنوا معه ، لم يطلب منها اجرة على الفتوى ، ولم يرد أن يفتيها مجاناً ، بلا مقابل معنوي ، بل توسط واستقضى منها اجرة أدبية ، وهي اصفاؤها لإرشاده الديني وتبشيريه بالتوحيد ( ع ٣٦ — ٤٠ ) .

٦ — لما أراد « الساقى » أن يخرج من سجنه ، لم يهم — بل يوسف تعاطي الأسباب بته ، ولم يتهافت على ذلك « الساقى » بالرجاء والاسترحام ، بل سلك معه مسلماً وسطاً ، مقتصراً على أقل عبارة تؤدي المقصود وتكفل له الشرف ( ع ٤٢ ) .

٧ — لما رجع « الساقى » ايوسف في سجنه ، ليستفتيه في حلمي الملك ، فمن جهة لم يعاتبه على نسيانه وصيته سابقاً ، ومن جهة أخرى لم يصد عنه ويتجاهل ، كما صنع « الملاء » مع الملك ، بل سلك مسلماً وسطاً باقتصاره على اعطاء الجواب ، بدون رجائه ثانية ( ع ٤٦ — ٤٩ ) .

٨ — لما جاءه « الساقى » في سجنه ثانياً ليخرج منه بأمر الملك ، لم يرد أن يسكت بته عن زليخا التي بهتته وظلمته ، ولم يرد أن يصرح باسمها ، ولكنه أشار اليها بسؤال النسوة اللاتي قطعن أيديهن (ع ٥٠).

٩ — لما جاءه اخوته لأول سفرة ، لم يطردهم ، ولم يكرمهم اكراماً هائلاً ، من قبيل ما نسمع بأمثلته مما وقع على يد جماعة كثيرين من الأجواد « كحاتم ، الطائي ، و « عبد الله بن جدعان » و « معن بن زائدة » و « آل برمك » في عهد الرشيد ، وغيرهم ممن كانوا يجودون بإسراف لا يوافق روح الشريعة ، بل توسط معهم ، فقبلهم وكال لهم كيلاً وافياً ، وأنزلهم منزلاً كريماً ، ولم يأخذ منهم ثمن الحب الذي كال لهم ، ولا أعطاهم هدية أو نحوها (ع ٥٩-٦٢).

١٠ — لما بهتته اخوته بالسرقة ، لم يسكت ولم يصدع بالرد ، بل توسط ، وزفر سرّاً زفرة المصدور ، قائلاً في نفسه : ﴿ أنتم شرٌّ مكاناً ﴾ ، حتى يرتاح نوعاً من ألم ماسم (ع ٧٧).

١١ — لما طلب اخوته اليه أن يستبدل « بنيامين » بأحدهم ، فمع انه لم يقبل منهم نراه لم يؤنبهم بأن هذا خلاف فتواكم السابقة ، وكيف تحالفون شريعة الله ؟ وكيف تقولون مالا تفعلون ؟ وعلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر :

وعالم بعلمه لم يعملن معذب من قبل عباد الوثن

فهو لم يأت شيئاً من ذلك ، بل اعتدل وردد رداً لطيفاً (ع ٧٨ و ٧٩).

١٢ — لما جاءوا اليه في السفرة الثالثة وشكوا اليه حالهم ، وأراد أن يظهر لهم نفسه ، لم يوبخهم ويحقرهم ، ولم يترك عتابهم ، بل توسط وعاتبهم عتاباً لطيفاً (ع ٨٩).

١٣ — لما سأله : أأنت لأنت يوسف ، أجابهم بجواب معتدل ، فلم يتقرب

اليهم بأن يقول : « أنا أخوكم يوسف » ولم يتجافهم بأن يقول : « أنا المحسود ، أنا



١٢٠٤ عمل الاخوة مع بنيامين لم يكن مباشرة بل بسبب عملهم مع يوسف آ (١٩)

المشرد المطرود ، أنا موضوع المؤامرة الشريرة ، أنا الملقى في البئر بسلا هوادة ،  
بل اعتدل وقال : « أنا يوسف ، وهذا أخي » ( ع ٩٠ ) .

١٤ - اعتدل في ذيل جوابه لهم فلم يقل : « أنا أهل التقوى وأهل الصبر  
والاحسان ، وأنتم أهل العداة والحرب والانتقام » بل إنما قال : « إنه من يتق  
ويصبر ، فان الله لا يضيع أجر المحسنين » ( ع ٩٠ ) .

١٥ - تسمعه يقول : لا تثرىب عليكم اليوم ، « أي أنا اليوم لا اريد ان  
اثر بكم ، وأنتم ماثلون بين يدي » ؛ مثول المالك ، بين يدي الملك ، والأذلاء ،  
أمام العزيز « ففي هذا القول ، مع قوله « يغفر الله لكم » توسط واعتدال بين  
التعنيف والتكريم .

**عمل الاخوة مع بنيامين لم يكن مباشرة بل بسبب عملهم مع يوسف**

المادة ٨ - هم لم يعملوا بأخيه بنيامين عملاً مباشراً ، إلا انه نظراً لقوة  
الاتحاد بين هذين الأخوين الشقيقين - كانت فعلتهم بيوسف كسراً لذراع  
بنيامين ، فالجناية على يوسف ، هي جناية على بنيامين بصورة خاصة ، كما ان جناية  
الانسان على غيره تعد جناية على البشر كلهم بصورة عامة ، قال تعالى : ﴿ من  
قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض - فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ (٣٥:٥) .

**معنى الجهل والمجاهلين**

المادة ٩ - للجهل معنيان ، أحدهما ، انهم فاعلون فعل الجهالة المرادف للسفه ،  
وهو ضد « الحلم » لأن من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة ، وهو عالم بذلك  
أو ظان ، فهو من أهل الجهل ، لامن اهل الحكمة ، والجهل بهذا المعنى يذم به  
الانسان مطلقاً .

وثانيهما انهم جاهلون ، اي غير عالمين ، بما يتعلق بعملهم من المكروه والمضرة ،

فتارة يذم به الانسان ، اذا جهل ما يجب عليه او ما ينبغي له ويمد كمالاً في حقه ،  
وتارة لا يذم به اذا جهل ما لم يقدر على فهمه الا بالوحي مثلاً .

وقد قال : « إذا تم جاهلون ، لأنه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوءهم  
إلا أهل الجهالة والسفه ، سيئو النظر في العواقب من أمور الدنيا والآخرة ،  
قليلو العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النعمة ، وبإلزامهم من تبعه ما اجتروا  
من العداة والجفاء ، قال ابو العلاء المعري .

والجهل داء قد تقادم عهده في العالمين ولا يزال عضالاً  
لولا الجهالة لم يكونوا كلهم إلا خلائق أخوة أمثالاً  
والعلم لا يتم الا بالعمل ، وانا صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به ، فان لم  
يستعمل ما يعلم فليس يسمى عالماً ، ولو ان رجلاً كان عالماً بطريق مخوف ، ثم سلكه  
على علم به ، سمي جاهلاً والله تعالى اعلم . ( لا يفضض الله فاك )

### اظهار يوسف نفسه لآخوته

آ ( ٩٠ ) \* — قالوا : أئنتك لائنت يوسف ؟ — قال : أنا  
يوسف ، وهذا أخي ، قد من الله علينا ، إنه من يتق ويصبر  
فإن الله لا يضيع أجر المحسنين \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية التسعون فقام الشيخ سعد الدين البيرودي (١)

وقال :

سمع أخوة يوسف كلام أخيه يوسف ، فأنعموا فكرمهم في مغزى سؤاله ،

(١) نسبة الى بيروذ من ضواحي دمشق (سورية )

ودققوا نظرم في ملامح وجهه ورنه صوته ، وتأملوا في عينيه — والعينان أظهر ملامح الوجه ، وأدل على صاحبهما من سائر الاعضاء — فانتقلوا من دور « الانكار » أي انكارهم له وعدم معرفتهم به ، الى دور « الشك » أي شكهم في أن الذي يكلمهم هو ياترى يوسف أم لا ؟ فـ ( قالوا ) وهم مضطربو الحواس ( أنتك لانت يوسف ؟ ) — بن يعقوب — ( قال ) بصوت برن رنين النحاس ، ما أبعدتم في التفرس ، ولا تجاوزتم الواقع ، لا أخفى عليكم أني ( أنا يوسف ) بن « يعقوب » من زوجه « راحيل » بنت « الابان » ، ( و ) لا أريدكم علماً بان ( هذا ) الشخص الذي ترونه بجاني ، هو ( أخي ) بنيامين ، الذي هو وأنا ، من دم واحد ، وبطن واحد ، ( قد من الله علينا ) بمناجيب وكما نحب ، بالخلص مما أبتلينا به ، بالاجتماع بعد الفرقة ، وبالعزيز بعد الذل ، وبالأنس بعد الوحشة ( انه من يتق ) يخف الله وعقابه ( ويصبر ) عن المعاصي وعلى الطاعات ، يجن ثمار تقواه وصبره ، ( فان الله ) من فضله وعدله ( لا يضيع أجر المحسنين ) وما ترونه هو ثمرة التقوى ، ونتيجة الصبر : وعاقبة الاحسان ، لأن المستقبل نتيجة الماضي ، وثمرته الطبيعية .

قالوا : أنتك لانت يوسف . . الخ

- ٢ -

وقام الشيخ عبد الغني الجيرودي (١) وقال :

استعراف يوسف لآخوته بنفسه وبأخيه وتعريضه بهم

فكروا فيما سمعوا ، ثم فكروا ، ثم قالوا بصوت يرتجف ويتقطع ، ولسان يتلعثم : أنتك لانت يوسف ؟ !!! — قال بلسان فصيح ملؤه البلاغة والبيان : قد رأيتموه وسمع كلامكم ، وبعبارة صريحة : يسرني أن أقدم نفسي اليكم ، أنا

(١) نسبة الى جيروود من ضواحي دمشق (سورية)

آ (٩٠) استعراف يوسف لآخوته بنفسه وبأخيه وتعريضه لهم ١٣٠٧

يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، وهذا الشخص الكريم الذي ترونه كني وجواري ، هو أخي بكل معنى الكلمة :

أخي — الذي قام بواجبات الاخوة ، منذ دب الى أن شب .

أخي — الذي لم يقطع صلة الاخوة بيني وبينه ، ولن يقطعها الى آخر نسمة من حياته .

أخي — الذي 'يمت' اليّ بالاخوة الصادقة المخلصة التي لم تشب بشيء من كدر الحياة .

أخي — الذي كان — على البعد — شاطرن في حزني وضيقتي فهو اليوم — على القرب — يجني ثمار ذلك ، ويشاركني في صفائي وبسطي :

أولى البرية طراً أن تراعيه عند السرور الذي راعاك في الحزن  
إن الكرام إذا ما أسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

ولا ريب أن الله سبحانه قد منّ ويمنّ وسيمن علينا بلم الشمل ، وبهذا الرقي العظيم ، فان هذا المعنى أمر مشترك بيني وبينه ، كما أن من الأمور المقررة أن من يتق ظلم اخوته وأقاربه ، ويتق التمدي على الأعراض ، ويتق كل ما يضر الإنسان في نفسه وفي جنسه القريب والبعيد ، ويتق جميع الذنوب والمعاصي ، وان من يصبر على أذى الناس ، ويصبر على غيابة الحب ، ويصبر على الخدمة بأمانه ، ويصبر عن الفحشاء والمنكر ، ويصبر على أعماق السجون ظمناً ، ويصبر على كل مرّ وضرّ ، فلا ريب أنه لا يخشى دركاً ، ولو قامت عليه الأرض ، بالطول والعرض ، ومتى كان الله مع العبد ، نجاً من كل سوء ، وترك الناس تضرب في حديد بارد ، ذلك ان الله لا يضيع أجر المحسنين ، وهذا العبد الضعيف منهم ولاخفر ، فمن زرع التقوى والصبر ، حصد الأجر كما أن — بالمقابلة — من زرع الريح ، حصد الزوابع .

وأما اخوته ، فانهم لما سمعوا هذا الجواب ، دخل بعضهم في بعض ، وسقط

في أيديهم ، واضطربت فرأصهم ، ورهبت نفوسهم ، وغشيتهم من الفراق ما غشيتهم ،  
وعلا وجوههم الاصرار ، وصاروا بحالة أحبوا معها الموت ، لا سيما وقد فهموا  
ان في قوله « إن من يتق ويصبر ، فان الله لا يضيع أجر المحسنين » ، تعريضاً بهم  
انهم ليسوا من هذا النوع .

### التعريض في الكلام

والتعريض هو الاشارة الى معنى ، لم توضع له الجملة ، لا حقيقة ولا مجازاً ،  
كقوله ﷺ في مزاحه مع احدى عماته : « إن الجنة لا تدخلها عجوز » ، فلما  
جزعت ، قال لها : « إن الله تعالى يخلقهن يوم القيامة ، شواباً أكراماً » ، وقال  
لامرأة : « ما فعل زوجك الذي في عينيه بياض ؟ » ،  
ومن ذلك ان بعض العرب أدخل على « الواثق » ، وكان الواثق يقول بخلق  
القرآن ، ويماقب من خالفه ، فقال له : « ما تقول في القرآن ؟ » ، فتصامم عليه ،  
فأعاد السؤال ، فقال : « من تعني يا أمير المؤمنين ؟ » - قال : « إياك أعني » - فقال :  
« مخلوق » ، يعني نفسه ، وتخلص منه بذلك . وقال لآخر : « ما تقول في القرآن ؟ »  
فاخرج يده وجعل يعد أصابعه ويقول : « التوراة والزبور والانجيل والقرآن ،  
هذه الأربعة مخلوقة . » وعني بذلك أصابعه ، وتخلص منه .

### التعريض في سورة يوسف

هذا ومما لا بد أن ننبه اليه ، ان التعريض في هذه السورة ، ليس مختصاً بهذا  
الموضع فقط ، بل أرى أنه وقع منها في عدة مواضع ، فمن ذلك :  
أولاً - ما في قوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ، بما أوحينا  
إليك هذا القرآن ﴾ ( ع ٣ ) فان فيه تعريضاً بقصص التوراة ، التي حوت  
أقبح القصص .

ثانياً - قول يوسف « ولكن أكثر الناس لا يشكرون » (ع ٣٨) ، فيه تعريض بالفتيين الساقى والحجاز ، أنها ليسا من أهل الشكر .  
ثالثاً - وكذا قوله : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (ع ٤٠) ، فان فيه أيضاً تعريضاً بهما .

رابعاً - قوله تعالى : ﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين ، ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ (ع ٥٦ و ٥٧) ، فيه تعريض بان يوسف من المرحومين المحسنين المتقين .

خامساً - قول المؤذن : « ولئن جاء به حمل بعير ، وأنا به زعيم » (ع ٧٢) فيه تعريض بأنهم هم الذي سرقوه .

سادساً - وأخيراً قول يوسف « هذا تأويل رؤياي من قبل ، قد جعلها ربي حقاً » (ع ١٠٠) ، فيه تعريض بما كان اخوته يقولونه له على سبيل الإنكار والتهكم : « هذا صاحب الأحلام ، هذا الذي يحلم أننا سنسجد له » .  
ولنا هنا الملاحظات الآتية :

### المحسن

الملاحظة الاولى - كلمة « المحسنين » تشمل كل محسن ، بمن كان ويكون ، من أي نحلة ومن أي ملة ، ﴿ كَفَنَ يَعْملُ مِثقالَ ذرَّةٍ خيراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْملُ مِثقالَ ذرَّةٍ شراً يَرَهُ ﴾ (٩٩ : ٧ و ٨) ﴿ وَنَضَعُ الْمُوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ، فَلَا تَظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَإِنْ كَانَ مِثقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، أَتَيْنَا بِهَا ، وَكفى بنا حاسبين ﴾ (٤٧ : ٢١) .

### احسان يوسف

الملاحظة الثانية - كان يوسف عليه السلام أحسن طريقته مع الله ومع والديه ،

أحسن الخدمة في بيت سيده « فوطيفار » بكل أمانة و إخلاص ، أحسن للمعزيز وامرأة العزيز بحفظ عرضها وشرفها ، أحسن للفتيين بوعظها وارشادها وتأويل رؤييهما ، أحسن المصريين بالمطف عليهم ، وتنظيم ثروتهم ، وترتيب ثمرات نيلهم ، أحسن لآخوته يوم وفدوا عليه لأول مرة ، وبالجملة فالفتيان اللذان كانا معه في السجن ، هما أعرف منا بتفاصيل إحسانه ، حينما قالوا له : « إنا نراك من المحسنين » ، وآخوته حينما صار بينه وبينهم تماس ، هم أعرف بوجوه إحسانه ، حينما قالوا له : « إنا نراك من المحسنين » وهو نفسه أعرف بطرق إحسانه حينما قال : « فان الله لا يضيع أجر المحسنين » ، بل الله تعالى هو أعلم من الجميع بمرامي إحسان يوسف عليه السلام وقد قال في تقريره : « ولما بلغ أشده آتيناها حكماً وعلماً ، وكذلك نجزي المحسنين » ، ثم قال : « نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين » .

### نتيجة كيد اخوة يوسف له

الملحوظة الثالثة — سمعوا ما سمعوا الآن ، وكانوا رأوا ما رأوا سابقاً ، فظهر لهم ان ذلك « الكيد » الذي كانوا دبروه ليوسف منذ ٢٢ سنة ، كان له نتيجة ذات وجهين ، فهي بالنسبة لهم من أسوأ النتائج ، وبالنسبة ليوسف عليه السلام هي من أحسن النتائج ، وبيان ذلك أنهم هم لم يخل لهم وجه أبيهم ، لأنه كان شغل بحب بنيامين الحاضر ، وبذكرى يوسف الغائب ، ولم يكونوا قوماً قد صلحت لهم أمور معيشتهم ، بل بالعكس كانوا منفرجين من أبيهم ، واليوم صاروا تحت رحمة يوسف الطريد المشرد ، وانه مهما أراد أن يجري عليهم أمكنه ، حتى انه يمكنه أن ينقص بهم عدد الأحياء ويزيد بهم عدد الأموات .

وأما يوسف عليه السلام فقد صار من رجال « البلاط » في الدولة المصرية ، ثرياً ، سرياً ، بأمر فيطاع ، عزيزاً في مصر ، وكيلاً عن مليكها . . فلهوة التي

بينه وبينهم عميقة جداً وهم يمدون عنه ، وهو بعيد عنهم بمد الثريا عن الثرى ،  
وبعد الابريز الوهاج عن البرا (١) .

سارت مشرقة وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

### سبب ذكر يوسف اخاه بنيامين مقرونا باسمه دون سؤال منهم

الملحوظة الرابعة — أجابهم عن نفسه وعن أخيه ، مع انهم لم يسألوه عنه ،  
لأنه كان معلوماً لهم ، لأن في ذكر أخيه بياناً لما سألوه عنه ، أو يقال : أتى بذلك  
لأن بنيامين كان — طبعاً — مخلصاً في حبه له ، كما أنشد إسحاق الموصلي :

وليس أخي الا الصحيح وداده      ومن هو في وصلي وقربي راغب  
تقرب مني في ميولي ومذهبي      وان باعدتنا في الولاء المناسب  
وكما قال أبو تمام :

ذو الود مني وذو القربي بمنزلة      واخوة اسوة عندي وخالاني  
عصابة جاورت آدابهم أدبي      فهم وان فرقوا في الأرض جبراني  
أرواحنا في مكان واحدٍ وغدت      أجسامنا في عراقٍ أو خراسان  
وكما قال أبو تمام أيضاً :

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم      وبلوت ما وصفوا من الأسباب  
فاذا القرابة لا تقرب قاطعاً      واذا المودة أقرب الأنساب

الملحوظة الخامسة — إن الذي جرى ذكر « بنيامين » ما في اسم يوسف من  
الإشارة للزيادة ، وهو رمز لتحقيق أمل والدته المرحومة الذي صدقه الواقع ،  
فيكون قريباً مما يسميه علماء البلاغة « استطراداً » وهو ذكر الشيء في غير  
محلّه لمناسبة .



## العبر المستنبطة من هذه الآية

الملحوظة السادسة — تتعلم من هذه الآية الفائزة الجامعة — أن التقوى هي البقوى ، وهي السبب الأقوى ، وان الصبر عواقبه الجبر والنبر ، وتتعلم منها أيضاً أن الانسان يجازى على تقواه في الدنيا والآخرة ، حيث جعل منة الله عليه وعلى أخيه من ثواب التقوى والصبر .

## يوسف نال الخطوة بأخيه بحواسه الخمس

الملحوظة السابعة — لعل يوسف قال : « وهذا أخي » ليلتذ سماعه ولسانه برنين لفظة « أخي » التي مضى عليها نحو ٢٢ سنة ، وهو لم يلتذ بها ، وعلى ذلك فقد كملت ليوسف الخطوة بأخيه بحواسه الخمس ، إذ رأى شخصه بعينه وشم ريحه بأنفه ، وذكر اسمه بلسانه ، ولمس جسمه بيده ، وسمع صوته بأذنه . ويمكن ان نقول ان يوسف ذكر اسم اخيه بنيامين وان لم يدخل في سؤالهم مع أنه معلوم لهم ومفهوم — لأجل أن يرتب على ذكر الاثنين التي تعمها ، وهي : « قد من الله علينا » معاً ، بالجمع بعد الفرقة ، والفرح بعد الحزن ، والعز بعد الذل ، والرفق بعد السقوط ، لأن كل ما حصل لأحدنا فهو للآخر ، فنحن متكافلان متضامنان في كل ما يعرض لنا .

( قالوا : أئنك لأنت يوسف .. الخ )

— ٣ —

وصعد المنبر الشيخ اليرموكي وقال :

التكليف للتصريح بكلمة « وهذا أخي »

لقد تكلم السادة الاخوان على الآية بما لم يدعوا فيه مقالاً لقائل : فأنا الفقير

الآن لا أريد أن أتكلم إلا على التنكيت للتصريح بكلمة « وهذا أخي » ، إضافة لما ذكره من النكت :

أولاً — الإشارة به الى قولهم « ليوسف وأخوه أحب الى أيينا منا ونحن عصابة ، إن أبانا لفي ضلال مبين » ، ثم قولهم ( إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ) ، فيشبه أن يكون قوله : ( أنا يوسف وهذا أخي ) من نوع التلميح لشيء آخر ، تذكيراً لآخوته بما كان سمع منهم ، كأنه يقول : ( وهذا أخي ) الذي كنتم قلم عنه : ( كيت كيت ) ، ولم تتذكروه وتذكروه بعنوان أخوتي له الا في موضعي الحسد والانتقاد ، ولكن في مقابلة ذلك ، ها أنا ذا أذكره باسم الاخوة في موضع الافتخار به والمباهاة ، فأنا اباهي وأفاخر به ، صارخاً بين الملا : « هذا أخي » .

ثانياً — لما لم يقولوا له : ( أئنتك لأنت أخونا يوسف ) ، بل تعارفوا عليه باسم فقط ، غير مقرون بالنسبة الاخوية المشتركة بين الطرفين — أجابهم بجواب من نوعه ، أي أنه لم يقل : ( نعم ، أنا أخوكم يوسف ) ، بل قال مامعناه : أنا يوسف الذي تسمونه بهذا الاسم كأنه أجني عنكم ، وهذا أخي الذي انتسب اليه ، حيث هو لم يصدر منه ما يشتم منه رائحة التباعد عن انتساب أحدنا للآخر ، فحيث أتم لم تذكروني باسم الاخوة ، فلا أعدم من أذكره بهذا الاسم .

ثالثاً — لعله أراد بقوله : ( وهذا أخي ) الإشارة إلى أنه إذا كان يوجد لي أخ حقيقي ، فهذا هو الأخ الحقيقي ، الذي يقوم بحقوق الاخوة ، ولم يمسي بأذى مطلقاً ، « هذا هو أخي الذي شاركني في سرائي وضراتي ، هذا هو أخي ، الذي اجتمعت نفسي ونفسي في صعيد واحد من هموم الحياة وآلامها ، كما اجتمعت نفسي ونفسي في صعيد واحد من الغبطة والسرور :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك شئت فيك شمله ليجمعك  
بمخلافكم في كل ذلك ، فاخوتكم لي ، اخوة اسمية فقط ، لا فائدة منها ، بل هي  
مصدر ضرري ومبعث ايدائي .

وما أكثر الاخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

رابعاً — لعله أراد بقوله : ( وهذا أخي ) إنه الأخ الذي حرصتم على التفريق  
بيني وبينه ، وعملمت على بعدي عنه ، ها هو جالس بجاني ، ها هو لصيقي ، ها هو  
لا يفصل بيني وبينه إلاّ مرّ النسيم ، ها هو ذا تسمع أذنه سريرة شفقي ، ها هو  
ذا يشار اليه بإشارة القريب ، ها هو بين بصرى وسمعي ، ضد ما كنتم سمعتم سابقاً  
من التفريق والتباعد ، وهذا على حد ما قيل :

« أزجر المسيء بثواب المحسن » . ( جيد )

قالوا : ائتك لانت يوسف

— ٤ —

ثم قام تقي الدين الدهشوري وصعد المنبر ثم قال :

الجزاء يكون في الدنيا والآخرة

لي ههنا كلمة فذة : يقول يوسف عليه السلام : ( فان الله لا يضيع أجر المحسنين )  
وهو يريد بذلك أنه تعالى لا يضيع أجرهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فتعلم منه  
أن الإنسان يجازي على أعماله في الدنيا كما في الآخرة ، وهذا يظهر لنا من آيات  
كثيرة في كتاب الله تعالى :

١ — قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي من أعمال الدنيا والآخرة  
﴿ مِنْ دَكْرٍ وَأُنْثَى — وَهُوَ مُؤْمِنٌ — فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وعلى الأقل  
بلرضى بما قسمنا له جزاء على عمله الصالح الدنيوي ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ ﴾

في الآخرة ﴿ بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ من أعمالها (١٦ : ٩٧).  
 ٢ - وقال تعالى : ﴿ من عمل صالحاً ﴾ من أعمال الدنيا والآخرة ،  
 ﴿ فلنفسه ، ومن أساء ﴾ أعماله الدنيوية والآخروية (فعلها) وهذا الجزاء  
 الذي لنفسه وعلى نفسه هو في الدنيا ، وأما جزاؤه عليها في الآخرة فهو الرموز  
 في قوله ﴿ ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ (٤٥ : ٤٤) ، أي فيجازيكم هنا على الخير  
 وعلى الشر بمثله .

٣ - وقال تعالى : ﴿ قال : أمان ظلمت فسوف نُعذِّبُه ، ثم يُرَدُّ إلى ربه  
 فيُعذِّبُه عذاباً نكراً ، وأما من آمن وعمل صالحاً ، فله جزاء الحسنى ،  
 وسنقول له من أمرنا يسراً ﴾ (١٨ : ٨٨ و ٨٩) أي فمن ظلم بتركه الواجبات  
 الدنيوية والآخروية ، فسوف يعذبه ذوالقرنين في الدنيا على تركه واجباته الدنيوية ،  
 ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً على تركه واجباته الآخروية ، وأما من آمن  
 وعمل صالحاً من أعمال الدارين فله جزاء الجنة على أعماله الآخروية ، وسنقول له  
 في الدنيا من أمرنا يسراً على عمله الصالح الدنيوي .

٤ - وقال تعالى : ﴿ فأما الذين كفروا ، فأعذِّبُهم عذاباً شديداً ، في  
 الدنيا والآخرة ، وما لَهُم من ناصرين ، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ،  
 فيؤفيهم أجورهم ﴾ (٣ : ٥٦ و ٥٧) ، فقوله : وعملوا الصالحات ، أي صالحات  
 الدنيا وصالحات الآخرة ، وقوله : فيؤفيهم أجورهم ، أي في الدنيا بالنسبة للأعمال  
 الصالحة ، الدنيوية ، وفي الآخرة بالنسبة للأعمال الصالحة ، الآخروية ، والدليل  
 على هذا المعنى ، قوله في الفريق الأول : ( فأعذبه عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة )  
 فانه بحسب المقابلة يدل على أن معنى قوله في الفريق الثاني ( فيؤفيهم أجورهم ) أي  
 في الدنيا والآخرة .

٥ - وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ،

ولا يجرمكم شئان قومٍ على أن لا تعدلوا ، إعدِلوا هو أقربٌ للتقوى ،  
 واتقوا الله ، إنَّ اللهَ خبيرٌ بما تعملون ، وعدَّ اللهُ الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ ،  
 لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيمٌ ﴿ ( ٥ : ٩ و ١٠ ) ، فقوله ( وعملوا الصالحات ) ، أي  
 مثل القيام لله ، والشهادة بالقسط ، والعدل في الحكم ، ولو مع شئان المحكوم له أو  
 عليه ، فالصالحات تشمل صالحات الدنيا وصالحات الآخرة ، وقوله ( أجر عظيم )  
 أي في الدنيا على أعمالها ، وفي الآخرة على أعمالها .

٦ — وقال تعالى : ﴿ إنَّ الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالحاتِ سيجعلُ لهم  
 الرحمنُ وُدًّا ﴾ ( ١٩ : ٩٧ ) ، فالصالحات هي دنيوية وأخروية ، والوُدُّ هو في  
 الدنيا والآخرة ، فيحدث لهم في الدنيا مودة في القلوب ، يزرعها لهم فيها من غير  
 تودد منهم ، ولا تعرض للأسباب التي توجب الود ، ويكتسب بها الناس مودات  
 القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع ببرة ، أو غير ذلك ، وانما هو اختراع  
 منه تعالى ابتداءً ، اختصاصاً منه لأوليائه بكرامة خاصة ، وكذلك يجعلهم مودودين  
 في الآخرة ، يحببهم الى خلقه ، بما يعرض من حسناتهم ، وينشر من ديوان أعمالهم  
 ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِيٍّ ، إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ ( ١٥ : ٤٧ )  
 والسين في « سيجعل » بالنسبة للدنيا ، لأن السورة مكية ، وكان المؤمنون حينئذٍ  
 محقوتين بين الكفرة ، فوعدهم الله تعالى ذلك « الود » متى انتشر الاسلام وقوي ،  
 وأما بالنسبة للآخرة ، فلأن كل آت قريب عند الله .

٧ — وقوله تعالى : ﴿ قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ،  
 وإنَّ كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعضٍ إلا الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحاتِ وقليلٌ ما هم ﴾ ( ٣٨ : ٢٤ ) فقوله : ( وعملوا الصالحات ) أي التي  
 هي من قبيل الأعمال الدنيوية ، أعني عدم الظلم والتعدي ، والتباعد عن البغي  
 والغصب ، فهي أعمال سلبية ، وهؤلاء هم الذين يُستثنون من الخلطاء الذين يبغى

بعضهم على بعض ، وهم أيضاً الذين يوصفون بالقلّة ، وأما من يعملون الصالحات من صلاة وصوم واعتكاف وتسبيح وتهليل وإقامة أذكار وقراءة أذواد ، مع الطم والتعدي والنصب ونحوه ، فلانراهم مُسْتَثْنَيْنَ من هؤلاء الخلطاء الذين يعني بعضهم على بعض ، ولا نقول في شأنهم : إنهم قليلون ، بل هم كثيرون ، أكثر من الهم على القلب ! .

٨ - وقال تعالى : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ ( ٣٨ : ٢٨ ) ، فقوله : ( وعملوا الصالحات ) أي صالحات الدنيا ، بدليل مقابلته بقوله : ( أم نجعل المتقين كالفجار )

٩ - وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وآمنوا بما نزل على محمد - وهو الحق من ربهم - كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ ( ٤٧ : ٢ ) فقوله ( وعملوا الصالحات ) أي صالحات الدنيا وصالحات الآخرة ، وقوله ( كفر عنهم سيئاتهم ) هو جزاء صالحات الآخرة ، وقوله ( وأصلح بالهم ) هو جزاء صالحات الدنيا في الدنيا ، لأن إصلاح الحال إنما يحتاج إليه في الدنيا ولا حاجة له في الجنة .

١٠ - وقال تعالى : ﴿ إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ( ١٠٣ : ٣٠٢ ) فهذا الخسر ، هو الخسران في الماديات والروحيات وهذه الأعمال الصالحة ، هي صالحات الدنيا وصالحات الآخرة .

١١ - قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنهم في الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ ( ٢٤ : ٥٥ ) فقوله ( وعملوا الصالحات ) هي الأعمال الروحية والمادية ، ومنها اعداد ما استطعنا

من قوة ومن رباط الخيل ، ومنها عدم التنازع المؤدي للفشل ، وذهاب الريح ، ومنها أن نرى المؤمنين بالله يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، الى غير ذلك مما أمر الله به المسلمين ، ومما يقتضيه فن الحرب ، بحيث تُعَدَّ في كل عصر ما يناسبه ، فاذا قاموا بذلك وما اليه ، صدق عليهم أنهم قد عملوا الصالحات ، التي يترتب عليها ، ترتب العلول على العلة - استخلافهم في الارض ، وتمكين دينهم لهم ، وابدالهم من بعد خوفهم أمنا .

وأما الصلاة والصوم والتهجد والتهليل والتسبيح واقامة الاذكار وقراءة الأوراد مع ترك ما تقدم من مأمورات الله تعالى ، فلا ينجم عنه شيء من هذا الذي وعدنا الله به في هذه الآية الكريمة .

١٢ - وقال تعالى : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ، وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ ﴾ ( ٣٤ : ١٣ ) ، قاله جل شأنه عقب ذكر الأعمال المادية الدنيوية ، كما يظهر بمراجعة سابقة .

١٣ - وقال تعالى : ﴿ إِذْنَا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْاَرْضِ زِينَةً لَهَا ، لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ؟ ﴾ ( ١٨ : ٧ ) فالعمل ههنا مادي وروحي

سألني سائل : ما هي الأعمال الصالحة الدنيوية التي تدخل في هذه الآيات ؟ - فقلت له : هي كثيرة جداً : الفنون ، العلوم ، الصنائع ، معامل الدباغة ، معامل الصابون ؛ معامل الحرير ، معامل الأجواخ ، تشييد المدارس ، تأليف الجمعيات ، السياحة ، الهجرة في طلب العلم ، إقامة الربط في الثغور ، صنع الأساطيل الحربية ، الطيارات ، المدافع ، الدبابات ، الغواصات ، تنظيم وتعليم الجيوش ، العناية بالزراعة والغرس والتجارة ، طرق المواصلات ، ايجاد فرق استخبارات في بلاد الأجانب ، إيفاد البعثات العلمية في مختلف العلوم والفنون ... الخ الخ .

نقرأ القرآن الكريم فنسمع الله تعالى يقول في اهل الكتاب موعظة لنا :

﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليهم من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ ( ٥ : ٦٩ ) ، فما هذه الاقامة للتوراة والانجيل؟ هل هي مجرد الركوع والسجود والتسبيح والتهليل ، وما الى ذلك ؟ .. كلا .. فان هذه الامور بمجرد لا يترتب عليها كثرة الزروع وغو الأشجار والثمار، وانصباب الخيرات والأرزاق ، ولكن المقصود بهذه الاقامة مع ما ذكر الاشتغال بالأعمال المادية التي تعود على امتهم بالنفع المادي الدنيوي .

تقرأ القرآن الكريم ، فنسمع الله تعالى يقول تعليماً لنا : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذّٰ كثر - أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ ( ١١ : ١٠٥ ) فهل هذا « الصلاح » هو مجرد العبادات الروحية ؟ ... كلا ... ولكنه مع ما ذكر التأهل للملك الأرض ، وعمارتها ، وخدمتها ؛ واستغلالها ، واستخراج كنوزها ، ومعادنها وثمراتها ، وخيراتها ، وأخيراً القيام على حراستها وحمايتها والدفاع عنها ، هذا ما حضرني من الجواب ، والله تعالى هو العليم بالصواب .

( مرعى )

### اعتراف الاخوة بالخطيئة

آ (٩١) ﴿ قالوا : تالله لقد آثرَكَ اللهُ علينا ، وإن كنا

لخاطئين ﴾ .

افتتحت الجلسة وتليت الآية الاحدى وتسعون ، فقام جلال الدين المصري واعتلى منصة المنبر ، ونحن ننشر نص خطابه القيم الذي القاه على مجمل تفسير هذه الآية ، قال :

أيها السادة :

سبق ان دار الحديث بين يوسف واخوته ، فعرفوه - في هذه السفرة الثالثة،



كما هو قد عرفهم في السفارة الاولى - فبغتوا وأجفلوا وارجع عليهم ، وأرادوا أن ينتحلوا عذراً يتخلصون به من عقاب أخيه ، وعلى الأقل من تربيته عليهم ، فلم يجدوا ما يعتذرون به ، ولا ما يبررون به عملهم ، فلم يسمعهم الا الاعتراف الصحيح والإقرار الصريح ، فتقدموا اليه والخجل ظاهر على وجوههم ، يمازجه الذل والانكسار ، و ( قالوا ) بلسان واحد ، يا للخجلة . . . ( تالله لقد آثرك ) فضلك ( الله علينا ) بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين ، فانت أثير الله ، وصاحب السعادة لديه من دوننا ، ( وان كنا لخاطئين ) ، فشأننا وحالنا أنا كنا متعمدين للآثم ، لم تتق ولم نصبر - أو يقال وان كنا لخاطئين في تصوراتنا وأفكارنا، خاطئين في أقوالنا ومفاضاتنا ، خاطئين في أعمالنا ومشاريعنا ، خاطئين في تهوراتنا ونزقنا .

( قالوا : تالله لقد آثرك .. الخ )

- ٢ -

ثم قام مولانا عبد الحى الدمياطي (١) وقال :

اعتراف اخوة يوسف بخطيئتهم ثم تفضيلهم له عليهم

ما كاد يوسف يتم كلامه ، حتى تحققوه انه اخوهم ، وحتى تذكروا سوء فعلتهم التي فعلوا ، وحتى وفوا على ما فرط منهم ، ولعنوا تلك الفكرة التي كانوا افكروها ، والحيلة التي كانوا احتالوها ، ثم تبين لهم أن الذي أمامهم ليس هو « فوطيفار » عزيز مصر الخليع ، ولكنه أخوهم « يوسف » بن راحيل ، فسقط في أيديهم ، واستولى عليهم السكوت ، فصغرت نفوسهم ، وتزاحمت على وجوههم صفرة الوجع وحرمة الخجل فما وسعهم إلا أن يتقهقروا من أمامه قليلا قليلا ، وقد نكسوا رؤوسهم ، ثم استنصروا جلدتهم وقوتهم ، بعدما خارت قواهم وقالوا مقرظين له :

(١) دمياط من البلاد المصرية .

بخ بخ ، تالله لقد قدمك الله علينا نحن العصابة ، فصار المأموم إماماً ، والتابع متبوعاً ، والمأمور آمراً ، والأول أخيراً ، والأخير أولاً ، والسيد مسوداً ، والمسود سيداً ، اجتباك الله علينا بتعليم الأحاديث ، بإتمام النعمة ، بتمكينك في الأرض ، تتبوا منها حيث تشاء ، باصابة الله إياك برحمته بإتيانك منه علماً وحكماً ، بجعله إياك من عباده المخلصين ، باسناد وزارة المالية المصرية لعهدتك ، بجعله إياك عزيز الديار المصرية ، بالتقوى والصبر ، بسجود الكواكب ، وأخيراً بالنبوة والرسالة . وأما نحن ، وان كنا لخاطئين ، فمثلنا من يهفو ، ومثلك من يعفو ، ها نحن أولاً قد أقررنا بذنوبنا ، وشفيع المذنب اقراره ، ونحن لا بد لنا من أن نعترف لك بالخطأ حتى لانكون قد خطئنا اليك خطأ آخر ، نحن علاظ أكباد . قساة قلوب ، فمعدرة إلى الله واليك ، وان لكل صارم نبوة ، ولكل عالم هفوة ، فأغض عن خطائنا ، وأذن لحلمك أن يسع جهلنا :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق

ولعمرنا إن نهايتنا لمحنة أليمة ، إلا أن وجدنا لنا في بعض زوايا قلبك مكاناً للرحمة بنا ، والإشفاق علينا ، ملكت فأسجج ، قدرت علينا فأرفق بنا ، ولا تأخذنا بالشدة ، وان الذي جرأنا على ما صنعتنا ، هو الذي أخرج أبويتنا من الجنة ، وأنساها العهد ، وهذا مقام العائدين بك ، أيها الأخ ، فاغسل عنا الحوبة (١) بالتوبة ، واعفر مافرط منا في تلك النوبة :

وهبنا أسأنا نحو شخصك عامداً ففغواً جميلاً كي يكون لك الفضل  
فان لم تكن للعفو عندك بالذي آتينا به — أهلاً ، فأنت له أهل

هذا مرمى كلامهم ، وأما نحن فنقول : « صح النوم يا أسيادي ! . . » وصدق من قال : « أول الغضب جنون ، وآخره ندامة » ، ولكن « بعد خراب البصرة » .

ولو تراهم إذ تمثلوا بين يدي أخيم . . . ولو تراهم إذ خفضوا رؤوسهم خائفين . . . ولو تراهم إذ تصبوا عرقاً . . . ولو تراهم إذ غشيت وجوههم غمامة من الاستكانة . . . ولو تراهم واقفين على مثل نار القضا . . . ولو تراهم تنتابهم الأفكار المتضاربة . . . وتتقاذفهم الهواجس المتناقضة . . . يتراحون بين خوف ورجاء . . . ويترجحون بين معاقبة وغفران — نعم لو تراهم بهذه الأحوال ، لترى مشهداً رهيباً ، وأمراً عصيباً ، كيف لا . . . وإذ ذلك اليوم الذي دخلوا فيه على « يوسف » ، يوم مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود ، يتمجد اسم الله !!! يتبارك اسم الله !!! ، كانوا ائتمروا على قتل أخيم ، فصاروا اليوم بين يديه ، ﴿ والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ( ١٢ : ٢١ ) . ( جيد )

قالوا : تالله ، لقد آثرك . . . الخ

— ٣ —

وقال نجم الدين الشرقاوي (١)

عندي على هذه الآية المواد التالية :

### وجوب الاعتراف بالاساءة ثم طلب الغفران

المادة ١ — تعلم من هذه الآية ، أنه ينبغي للمسيء أن يعترف بإساءته ، ويطلب المغفرة ممن أساءه ، ولو أصغر منه سناً ، كما وقع من اخوة يوسف عليه السلام ، وحينئذ ينبغي للمساء إليه أن يغفر للمسيء ، كما وقع من يوسف معهم ، حسبما تتعلمه من ( ع ٩٢ ) .

المادة ٢ — أقروا بذنوبهم ، ورجعوا الى صوابهم ، واستقبحوا عملهم ، وسخطوا على أنفسهم ، وأعلنوا فظاعة ما أجروه ، ونحن لانرتاب في أن يوسف

(١) نسبة الى منطقة الشرقية بمصر .

عليه السلام قبل منهم هذا كله ، لأن البعد إنما يحاسب الناس بحسب ظواهرهم ، ولكن هل يعتبر هذا القول منهم توبة نصوحاً بالنسبة لله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، بحيث ينالون بها من الله الغفران ؟ . .

ورب قائل يقول : (إنهم أرادوا بذلك التوصل الى استئصال عفو أخيه عنهم ، والتعرض لغفرته لهم) .

وربما يقول آخر : (إن القوم ندموا وأسفوا على ما فرط منهم ظاهراً وباطناً وأخلصوا لله التوبة) وهذا هو الأقرب ، بدليل تسميتهم «كواكب» ، لأنهم إذا لم يكونوا كواكب بعد هذه التوبة والأوبة، ففي أي وقت يكونون كذلك ؟ نعم نعم ، انهم ندموا وأنابوا وأخلصوا لله التوبة ، وصار كل واحد منهم كُسَعِيًّا يصرخ :

ندمت ندامة لو أن نفسي      تطاوعني إذا لقطعت نخسي  
تبين لي سفاه الرأي مني      لعمراييك حين كسرت قوسي

مقابلة بين خاتمة اخوة يوسف وبين ما ذكره الانجيل من خاتمة بطرس لتلميذ المسيح

المادة ٣ — قولهم . « تالله لقد اترك .. الخ » ، من هذا ومن دعاء أخيه يوسف لهم بقوله : ﴿ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ ، ومن قولهم لأبيهم . « يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين » ، وقول أبيهم لهم : « سأستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم » — من مجموع هذه الكلمات المتبادلة ، بين يوسف واخوته وبينهم وبين أبيهم ، نعلم إن خاتمة أمرهم كانت حسنة ، لأن هذه المخاطبات جاءت أخيراً ، ومتأخرة عن أعمال اخوته الفاسدة وأقوالهم الكاذبة ، ومواعيدهم الخلفة ، فكل هذه نسخت بتوبتهم الأخيرة ، وحسن حالهم مع الله وأبيهم وأخيهم ولاشك أن المدار على الخواتيم ؛

وهذا (والشيء بالشيء يذكر) ضد ما حصل لبطرس الذي طرده المسيح (ع) وسماه شيطاناً ، ثم بطرس أنكر المسيح ثلاث مرات ، وهذا هو كذب صريح وبمثابة ردة ، وكان كل هذا في آخر أمره ، بعدما كان معتمده ورأس تلاميذه ، وفي الانجيل أنه قال له : « وأنا أقول لك أيضاً ، أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة إبنى كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض ، يكون مربوطاً في السموات ، وكل ما تحمله على الأرض ، يكون محلولاً في السموات » (مت ١٦: ١٨) قال متى : « حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد : انه يسوع المسيح ، من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه انه ينبغي أن يذهب إلى اورشليم ويتألم كثير أمن الشيوخ ورؤساء الكهنة والكهنة ويقتل ، وفي اليوم الثالث يقوم ، فأخذه بطرس اليه وابتداء ينتهره قائلاً : ﴿ حشاك يارب ، لا يكون لك هذا ﴾ — فالتفت وقال لبطرس : ﴿ اذهب عني يا شيطان ، أنت معثرة لي ، لأنك لاتهتم بما لله ، لكن بما للناس ﴾ (مت ١٦: ٢٠-٢٣) ، ثم قال « متى » : ﴿ أما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار ، فجاءت اليه جارية قائلة : ﴿ وأنت كنت مع يسوع الجليلي — فأنكر قدام الجميع ، قائلاً : « لست أدري ما تقولين » ، ثم إذ خرج الى الدهليز ، رأته أخرى فقالت للذين هناك : « وهذا كان مع يسوع الناصري » — فأنكر أيضاً بقسم « إني لست أعرف الرجل » ، وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس : « حقاً أنت منهم فان لغتك تظهرك » — فابتداء حينئذ يلعن ويحلف اني لا أعرف الرجل » (مت ٢٦: ٦٩-٧٤) فهذا اللقب الذي لقب به المسيح بطرس ، وهذه الشهادة بانه معثرة وانه لا يهتم بما لله ، لكن بما للناس ، وهذا الكذب والانكار الذي صدر من بطرس لإلهه المسيح ، مع اللعن — كل هذه الامور كان على رواية « متى » بعد تلك المنحة والخصوصية التي خصه بها ، فهو ما صار لبطرس في آخرة

## آ (٩١) الفرق بين لفظي الخاطي والمخطيء واخوة يوسف كانوا خاطئين ١٢٢٥

أمره ، مخالفه لحال اخوة يوسف ، والمعبرة بالخواتيم ، هذا على رواية « متى » ، ولكن نحن نجل حوارى المسيح عن ذلك وعن أقل منه ، ولانؤمن بهذه الرواية التي تحط من قدر بطرس القديس .

### الفرق بين لفظي الخاطي والمخطيء واخوة يوسف كانوا خاطئين وليسوا مخطئين

المادة ٤ — من الناس من يقدم على الفعل السيئة ، تارة « باجتهاد » وتأويل ، بحيث يكون غير خاش بما عمل عقاباً من الله ، ولا توييخاً من الضمير ، وتارة « بالغلط » وعدم معرفة أن هذا الفعل حرام ، فصاحب هذا العمل — في الحالين — لا يعاقب ، وعلامة هذا النوع ، انه يفعل الفعل ، وهو راض عن نفسه ، مستريح لعمله ، ويقال لصاحب هذا العمل « مخطيء » ، ومن الناس من يعمل عمل السوء ، وهو عالم انه سوء ، وان الاقدام عليه غير جائز ، لافي حكم الله ، ولا في حكم الضمير ، فصاحب هذا العمل يستحق العقاب بمقدار ما عمل ، مامن ذلك بد ، إن لم يعقبه بتوبة ، وعلامة هذا النوع انه يعمل العمل ، وهو غير راض عن نفسه ، ولا مستريح لعمله ، ويقال لصاحب هذا العمل « خاطيء » .

فاذا تقرر هذا فأولاد يعقوب عليه السلام كانوا من قبيل هذا النوع ، ولذلك تراهم أقروا واعترفوا أمام أخيهم ، ثم أمام أبيهم بانهم كانوا « خاطئين » ، وهذا يدلنا على أن العلة التي كانوا توسلوا بها لقتل يوسف أو طرحه أرضاً ، أو القائه في غيابة الجب ، وهي كونه أحب لأبيهم منهم — كانت علة غير حقيقية ، حتى في نظرهم ، وانهم كانوا غير مقتنعين بها ، لأنها صورية فقط ، إذ العلة الحقيقية هي الحسد والغيرة والغيظ والآثرة .

### آيتا الاستغفار

المادة ٥ — قال عبد الله بن مسعود : في كتاب الله ، آيتان ، ماأصاب عبد ذنباً

فققرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له :

الاولى — قوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، ذَكَرُوا اللَّهَ ، فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ — وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ — وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ( ٣ : ١٣٥ ) ،

والثانية — قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ( ٤ : ١٠٩ ) .

### عدم تمادي الاخوة في انكار المحسوس

المادة ٦ — لم يتبادوا في إنكار المحسوس ، ولم يشاربوا على رد الحقائق ، ولم يهوجوا من يخاطبهم بهذا الخطاب أن يثبت أنه « يوسف » !! ، وأنه حتى اليوم « حيّ يرزق » ، لم يأكله الذئب ، ولم يفترسه الوحش !!! .

فنحن في مقابلة تساهلهم هذا ، لا يسعنا إلاّ تقديم واجبات الشكر لما أبدوه من هذا اللطف مع أخيه ، والتسامح والتساهل ، وإلاّ كان لهم أن ينكروا على هذا الذي يخاطبهم — دعواه أنه « يوسف » ويكلفوه أن يثبت تلك الدعوى في محكمة مصر العليا !!!... إذ يمكنهم أن يقولوا له : نحن أثبتنا موت « يوسف » بن يعقوب قديماً من ٢١ سنة ، فان بعضنا ادعى ذلك ، والبعض الآخر شهد عليه ، بله شهادة « القميص » ، ونحن والقميص أصدق منك أيها المتكلم المدعي النسب فينا ، فان كنت تريد إثبات انك يوسف بن يعقوب ، فعليك بنقض الحكم الصادر عليك بالموت ، وإثبات انك حتى اليوم « حيّ يرزق » !! ..

### الحي الميت

الشيء بالشيء يذكر — قرأت في بعض الصحف انه ما زال يوجد « قانون » قديم في المانيا ، يقضي بأن الشخص اذا اعتبر خطأ ميتاً في ورقة رسمية ، وهو

لا يزال على قيد الحياة ، فعليه أن يراجع السلطات ، في مدة ستة أسابيع ، من وقوع ذلك الخطأ ، فاذا انقضت المدة ولم يفعل ، يبقى في نظر « القانون » ميتاً الى الأبد . وقد حدث أن بحاراً المانيا يسمى « فوتكا » اعتبرته السلطة ميتاً وهو ما يزال حياً ، ولكنه لم يطلب تصحيح هذا الخطأ في المهلة المعينة ، ومن أجل ذلك ما يزال حتى اليوم يطالب بتركته التي وزعت على ورثته ، وقد بذل بعد انتهاء « الحرب العالمية » جهداً عظيماً ، لكي يعود الى الحياة في نظر القانون ، ولكنه لم ينجح ، قال بعض الظرفاء : إن « فوتكا » لم تبق أمامه وسيلة لاثبات حياته سوى أن يقتل انساناً آخر ، ومن الطبيعي ان الميت لا يقتل حياً ، غير أنه يخشى في هذه الحالة أن لا يتمتع طويلاً بحياته الجديدة .

هذا ولكن « يوسف » الصديق رأى أمامه وسيلة لاثبات حياته في نظر إخوته ، وأنه هو يوسف العبراني بن يعقوب - هي الإتيان بهم وأهلهم أجمعين ، ليعيشوا عنده بمصر ، فبدلاً من أن يقتل واحداً منهم ، أراد أن يجيهم جميعاً .

### توبة اخوة يوسف وتوبة امرأة العزيز

المادة ٧ - نعلم من هذه السورة انه كان ليوسف « أعداء » في فلسطين هم « اخوته » ، كانوا أذنبوا اليه ، وتمعدوا عليه ، ثم تابوا بين يديه ، ولكن بعد خراب البصرة ، أو كما قال الشاعر :

« ولكن جئت في الزمن الأخير »

كما نعلم أيضاً مما سبق أنه كان ليوسف « عدوة » لدودة « بمصر » هي « زليخا » كانت اتهمته وتعدت عليه ، وأرادت تدنيسه ، ثم بعده تابت ، ولكن في آخر نفس من أنفاسها ، فتوبة هؤلاء وتوبه هذه ، ان كانت معتبرة ، لكنها منحطة ، وفي آخر درجات التوبة ، كيف لا .. وانما كانت توبة زليخا بعد ما تخلص يوسف منها وخرج من قصرها ، وتخلص من نفوذها ، وأصبح في بلاط الحكومة ، وهي قد كبرت ،



وهو قارب سن الشيخوخة ، وذبل ورد وجتته ، وجف ماء شبابه ، وكذلك اخوة يوسف إنما كانت توبتهم بعد أن رأوا أنفسهم عبيداً بين يدي أخيهم واقفين ناكسي رؤوسهم ، وهو صاحب الحول والطول ، وذو العمل والصول ، وهم عزل من أقل من ذلك .

### مقابلة بين اقوال اخوة يوسف السابقة واقوالهم الحالية

المادة ٨ — هم « قالوا : تالله لقد آثرك الله علينا ، وان كنا لخاطئين » ، وهذا حقيقة راهنة ، فاني لم أسمع لهؤلاء الاخوة « قولاً » لا أقدر أن أتقدمه سوى هذا القول ، إنهم أولاً كانوا قالوا : « ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ، إن أبانا لفي ضلال مبين » ( ع ٨ ) ، وللسامع أن ينتقد فكرهم هذا من وجوه ، منها ان « يوسف » كان عمره في ذلك الوقت ( على اطول الروايات ) ١٧ سنة ، وكان عمر « بنيامين » إذ ذاك ٧ سنين ، وأما هؤلاء الاخوة ، فكان أكبرهم وهو « رأوين » لا يقل في ذلك التاريخ عن ٣٠ سنة ، وكان أصغرهم وهو « زبولون » لا يقل في ذلك التاريخ عن ١٨ سنة ، ولعمري إن حسد الكبير للصغير وغيرته منه لهما من الغرابة بمكان .

وانهم ثانياً — قالوا : « ونحن عصبة » أصلحهم الله ، أما كان الأولى بهم أن يعملوا بأنهم أطوع لأبيهم أو أنهم أحسن حالاً من أخيهم ؟

وانهم ثالثاً — كانوا قالوا : « إن أبانا لفي ضلال مبين » ، ونحن نقول : إن من يضلون أباهم هم لا غيرهم في الضلال المبين .

وانهم رابعاً — كانوا قالوا : « اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً ، ينخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين » ( ع ٩ ) ، أصلحهم الله ! كان الخروج من هذا الكرب والمأزق الحرج الذي تصوره ليس منه مناص بسوى « القتل » ؟!

سبحان الله ! أما كان يكفي أن يتكلموا في هذا الشأن مع والدم بلطف ، ويتفاهموا معه بالحسنى ؟ وأيضا أما كان الأحرى بهم أن يحسنوا حالهم في أنفسهم ومع أبيهم ، حتى يصير محبا لهم كأخيهيم ؟ ثم كيف ساع لهم أن يتصوروا أن « قتل » يوسف ينشأ عنه خلو وجه أبيهم لهم ، مع ان العقل يقتضي ضد ذلك ؟ ثم ما هذا الصلاح الذي سيصرون اليه ؟ مع ان كل انسان ذي احساس ، متى تذكر انه فعل فعلا سيئا مع اخيه ، لا سيما بدون ذنب منه ، فلا ريب أن عيشته تكون غير صالحة ، لأن ضميره دائما يوبخه على ما فعل .

وخامسا — سمعناهم يقولون: ﴿ يا أبانا ، مالك لا تأمنا على يوسف ؟ ﴾ (ع ١١) ولعمري ان هذا القول لما يوجب الخوف ، وبوقظ الغافل عن كراهتهم لأخيهيم .  
وسادسا — سمعناهم يقولون ﴿ لئن أكله الذئب ، ونحن عصبية ، إنا إذا نخاسرون ﴾ (ع ١٤) سبحان الله ! أما كان الأولى بهم أل يضعوا ثقتهم بالله ، ويحصرُوا اتكالمهم على الله ، ويعتصموا بحمائه تعالى !؟ ..

وسابعا — سمعناهم يقولون ﴿ إنا ذهبنا لتبقي ، وتركنا يوسف عند متاعنا ﴾ (ع ١٧) سبحان الله ! أرادوا أن يعتذروا فصرحوا بقصورهم في حفظهم لأخيهيم ، لأنهم لم يأخذوه ليكون حارسا لأمتعتهم ، ولكن ايكون معهم حين الاستباق ، وبذلك يتوجه عليهم اللوم ، وتقوم عليهم الحجة .

وثامنا — رأيناهم جاءوا بقميصه ملوثا بالدم ، ما شاء الله ، ما أعمق هذه الاستدلالات القيمة !؟ كأن « الدم » في هذا الكون لا يكون إلا من جسد يوسف عليه السلام !؟! ..

تاسعا — سمعناهم يقولون : ﴿ يا أبانا منع منا الكيل ﴾ (ع ٦٣) براعة استهلاك لطيفة ابتدأوها بلفظ « المنع » ، مع ان المقام مقام طلب ، أما كان يجدر

بهم أن يستهلوا كلامهم مع أبيهم ببشراه بملاطفة « عزيز مصر » لهم ، ثم يذكرون له حرص « العزيز » على رؤية أخيهم والآن فلا كيل لهم !؟

وعاشراً — سمعناهم يقولون : ﴿ جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه ﴾ (ع ٧٥) ، وكان الأوفق بحال أخيهم بنيامين أن يحيلوا الحكم فيه للقانون المصري ، لأنه أخف عليه ، ولأنه كان يمكن لهم أن يقولوا : إن الجريمة وقعت في المملكة المصرية فلنرجع للقانون المصري ، محافظة على شرف وسلطان مصر .

والحادي عشر — سمعناهم يقولون : ﴿ نخذ أحدنا مكانه ﴾ (ع ٧٨) وفي هذا رجوع منهم عن الشريعتين ، الشريعة الابراهيمية ، والشريعة المصرية ، فلم يحترموا الأولى لأنها شريعة جدتهم ، ولم يحترموا شريعة مصر ، مع أن الجريمة وقعت فيها .

والثاني عشر — سمعناهم يقولون : ﴿ وتصدق علينا، إن الله يجزي المتصدقين ﴾ (ع ٨٨) والاستجداء لا يليق بأولاد الأنبياء ، لاسيما إذا كانوا فتياناً وكهولاً ، زعماء ثورات ورجال حركات .

### مقابلة بين تفكير الاخوة سابقاً وتفكيرهم الآن

المادة ٩ — رأوا انفسهم اليوم في ضيق من « يوسف » أعظم من ضيقهم منه منذ ٢٢ سنة ، فقد كانوا حسدوه رغماً عن انه كان غلاماً ، ولكن لماذا ياترى حسدوه ؟ حسدوه لعله صبيانية ، هي زيادة محبة أبيه له ، حسدوه فأرادوا ازالته من الطريق ، ايجلو لهم وجه أبيهم ، هذه حادثتهم قبل ٢٢ سنة ، ولكن اليوم ما عساهم ان يصنعوا ياترى ؟ وقد توفرت اسباب الحسد الجوهرية ، توفرت دواعي الحسد الذي عهد أن يكون بين الرجال على امور ذات شأن ، فما هي المكيدة التي عساهم اليوم ان يكيدوا له بها كيدا ... هل في وسعهم هذه المرة ، أن يزيلوا

« يوسف » من الطريق ليخلوا لهم وجه مليك مصر « الريان » ؟ ... هذا أمر يصير عليهم اليوم ، لأن مليك مصر لا يعرفهم ، ولأن يوسف اليوم ليس غلاماً ابن ١٧ سنة ، حتى يستولوا عليه ، بل هو اليوم رجل ابن ٣٩ سنة ، ومن أين لهم اليوم « مرتع وملعب وميدان استباق ؟ » ومن أين لهم وحش وقميص ملون ، ودم تيس من المعزى ؟ ومن أين لهم جب ؟ حتى يقدرُوا أن أن يدوا شبكة حيلهم ، كما مدوها بالأمس ، فاليوم غير الامس ، و « العزيز » غير الذليل ، ووزير المالية غير السوقة وابن الشارع ، فمن هذا كله نرى أنهم وقعوا في « حيص بيص » ، وأنهم قد أخذوا بحلاقيمتهم ، ولم يجدوا أمامهم سوى تغيير أفكارهم العتيقة بالمرّة ، والاعتراف بخطئهم ، والاستسلام لأخيهم ، والالتجاء لرحمته ، فلذلك طرأ لهم هذا « التغيير الفجائي » ، وسبحان من يغير ولا يتغير ! ..

كان لهم في حياة يوسف الجديدة ، موت جديد ، وفي عزه فظهم ، وفي ارتقائه سقوطهم !!! ﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٦:٣) ( قالون )

### شفيح المذنب اقراره أو المصالحة والمغفرة

آ (٩٢) ﴿ قَالَ : لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية الثانية والتسعون فقام نور الدين الانبائي (١) واعتلى منصة المنبر وقال محاضراته القيمة التي نقلها اليكم بقسميها الجمل والمفصل : ( قال ) يوسف لاخوته : ( لا تثريب عليكم اليوم ) ولا تأنيب ولا عتب ، بل

(١) نسبة الى انبابة من البلاد المصرية

أطلب لكم المغفرة صارخاً الى السماء ( يغفر الله لكم ) ما فرط منكم ويحتمل أن قوله ( يغفر الله لكم ) دعاء ، و«رب اشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره» ( وهو ) سبحانه وتعالى ( أرحم الراحمين ) ورحمة الله أوسع من أن تضيق بكم ، فانها وسعت كل شيء .

( قال : لا تثرِب عليكم اليوم ... الخ )

— ٢ —

وتابع السيد نور الدين الانبائي كلامه قائلاً:

**يوسف يعفو عن اخوته ويطلب لهم المغفرة**

إن يوسف عليه السلام تأمل في الحالة السابقة بينه وبين إخوته فقال في نفسه :

ولست بمستبق أخاً لآلهم على شعث ، أي الرجال المهذب ؟  
ففضل العفو عنهم ، وقال لهم : لا مَوْجَدَة منذ اليوم في قلبي نحوكم ولا وِترَة بيني وبينكم ، ومن حق الصديق والقريب أن يتحملاً ثلاثاً ، ظلم الغضب ، وظلم الدالة ، وظلم الهفوة ، وأنتم ماخرجتم عن انكم سكان بيوت من طين ، تماسكت أجزاءها بالماء ولعل الله قد أتى بي ههنا لأجل أن تحيوا ، وتحيا عائلة اسرائيل وأنتم إن كنتم أخطأتم فما أخطأ القدر :

والناس يلحون الطيب وإنما غلط الطيب إصابة الأقدار  
وحيث حملتم شهادة التوبة بيدكم ، وبما ان شفيع المذنب اقراره فلا تثرِب عليكم اليوم ، فالانسان يصيب ويخطيء ، ويسرع ويبطيء الانسان من ماء وطين ، وليس من الملائكة العليين ، وان لكل صارم نبوة ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة ، والكمال لله والعصمة لانبياؤه ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ،

لا تثريب عليكم اليوم ، فبعد اعترافكم بالخطأ ، وانا بتكم الى الله ، لا يثربكم إلا كل صاحب إحساس أصم ، وعواطف مائة .

يامن عدى ثم اعتدى ثم اعترف ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف  
أبشر بقول الله في آياته « إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ،

لا تثريب عليكم اليوم ، إني قد وهبتكم لأبيكم وعيالكم ، واني مستعد لمساحتكم ألف مرة ، لو قدر أن يجني على الف جنابية .

لا تثريب عليكم اليوم ، فقد مرت تلك الأيام المتعبة بخيرها وشرها ، فيجب أن نسدل الستار على حلوها ومرها ، ولم يبق إلا أن نطرد أشباحها المروعة من مسرح الخيال ، ونتحامي المطالعة في ذلك التاريخ المظلم .

لا تثريب عليكم اليوم ، فأنا لست عدو اخوتي ، ولكني عدو تقطيع الأرحام ، وكما رأيتم أن من واجبكم الاعتراف بالخطأ ، أرى أن من واجبي عدم لومكم وتأنيبكم ، فلا تفكروا فيما كان بيني وبينكم من الإحـن ، فقد جعلتها دبر اذني وتحت قدمي ، فلا آخذ بها عليكم اليوم ، لان خطيئتم ذابت واضمحلت أمام هذا الاعتراف والندم .

لا تثريب عليكم ، لأنكم أتم كنتم من أهم الأسباب التي ساعدت على ارتقائي لهذا المنصب العالي وإن يكن ذلك بطريق غير مباشرة ، لكن حرركم معي أدت إلى هذه الحادثة العظيمة ذات الأثر البعيد في التاريخ البشري ، حادثة ارتقائي على عرش الملك .

لا تثريب عليكم اليوم ، بل عفوت عنكم عفواً لا يخلطه تثريب ، ولا يكدر صفوه تأنيب ، لي ولكم رب اسمه « الغفار » واسمه « الرحمن الرحيم » .

يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، ورحمة الله أوسع من أن تضيق بكم ،  
فإنها وسعت كل شيء ، غفرت لكم قولكم : « اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً » ،  
غفرت لكم قولكم : « القوه في غيابة الجب ، يلتقطه بعض السيارة » ، غفرت لكم  
قولكم : « إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » ، غفرت لكم كل مالقىته بسبب  
كيدكم لي ..

يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فالعفو من شيم الكرام ، بل هو من  
أصول الدين الأساسية ، ومن الأخلاق الفاضلة ، واني لحري بالتمشي عليه مع  
كل الناس ، لاسيما معكم أنتم أيها الاخوة :  
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

أ أكبر الأوزار في أصغر عفو الله أصغر (١)

أما هم فلما سمعوا ذلك ، لاحظك الله محلهم ، فأنهم خجلوا خجلاً عظيماً ،  
ولا بدع فان يوم العدل على الظالم ، شر من يوم الجور على المظلوم ، ولكنهم فيما بعد  
امتتارت ظلمة قلوبهم ، وأنست وحشة نفوسهم ، وسكتوا كأن على رؤوسهم  
الطير ، ولم يبدوا حراكاً ، ولعمري إن يوسف لم يبعد في الاحسان ، ولا تجاوز  
مزاياه الحميدة ، فهو منبع الكرم ، ومصدر معاني الشيم .

( قال : لا تثريب عليكم اليوم ... الخ )

— ٣ —

وقال شمس الدين الجيزاوي:

عندي على هذه الآية المواد الآتية :

معنى التثريب

المادة ١ — معنى « لا تثريب عليكم » لا تأنيب ولا عتب عليكم ، وأصل التثريب

من الثرب ، وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ، ومعناه إزالة الثرب ، كما ان التجليد إزالة الجلد ، والتأيم إزالة الإثم ، سمع من بعضهم : « اللهم أئمني » أي أبعده عني الإثم ، فالتشديد للسلب « فاذا ذهب الثرب كان ذلك غاية الهزال والمعجز الذي ليس بعده ، ويقال للتثريب تقريع ، وأصله إزالة القرع من الرأس باستعمال دوائه ، فضرب مثلاً للتقريع أي التثريب والتأيب الذي يمزق الأعراض ، ويذهب بماء الوجوه ، والتعير والتعنيف درجات ، أقواها التثريب فالتأيب فالتوبيخ فالتقريع فاللوم فالماتبة (١).

وثرَبَ وَثَرَبَ قريبان ، لأن أصل التثريب إضعاف الشيء ، أي جعله ضعيفاً ، وثرِيد الخبز : تكسيه ، وفي صحيح البخاري : ﴿ إِذَا زَانَتْ الْأُمَّةُ فُتِين زَانَهَا ، فَلْيَجْلِدْهَا وَلَا يَثْرِبْ ﴾ وفسره الشراح بالتعير والاستقصاء في اللوم .

### متعلق كلمة « اليوم »

المادة ٣ — كلمة « اليوم » متعلقة بالتثريب أو بالمقدر في « عليكم » من معنى الاستقرار ، أو متعلقة « يَغْفِر » ، والمعنى على الأول : لا أثربكم اليوم ، وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب ، فما ظنكم بغيره من الايام ، ثم ابتداء فقال « يغفر الله لكم » فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ، يقال : غفر الله لك ويغفر الله لك ، على لفظ الماضي والمضارع جميعاً ، ومنه قول المشيمت : « يرحمكم الله » وقول العاطس : « يصلح الله بالكم » .

والمعنى على الثاني : ان « يغفر الله لكم » بشارة بما جل غفران الله ، لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم ، وعلى هذا الثاني فمعنى قول يوسف « يغفر الله لكم » مغفرة ما يرجع الى حقه وحق ربه دون حق أيه ، إذ الإثم كان مشتركاً



بين الثلاثة ، ومعنى قولهم فيما يأتي : « يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا » مغفرة ما يتعلق بحقه وحق ربه دون حق ولده ، لانه تنازل عنه سابقاً ، أو مقصودهم تكرار طلب المغفرة من الله بلسان أبيهم ، كما حصل بلسان أخيهم .

### المشابهون ليوسف في عهد الاضرب مع اخوته

المادة ٣ — كما عامل يوسف اخوته عامل النبي ﷺ قريشاً وأهل مكة ، فانه يوم أن فتحها وقف على باب الكعبة ، والناس وقوف صامتون ، كأن على رؤوسهم الطير ، فخطب فيهم خطبة طويلة ، ثم قال : « ماذا تقولون ، وماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ » — قالوا : « خيراً . أخ كريم ، وابن أخ كريم ، وقد قدرت » فقال : « أقول كما قال أخي يوسف : « لا تريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » ، اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فقد مشى كل من هذين النبيين الكريمين على قاعدة « قد ملكت فأسجج » .

وثبت في التاريخ أن « المأمون » قال هذه الكلمة اليوسفية « لابراهيم بن المهدي » فان ابراهيم بن المهدي كان خرج على المأمون طالباً للخلافة فطلبه المأمون وأحضر بين يديه ، فقال له ابراهيم : « ياأمير المؤمنين ، المفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فان تعاقب فبحقك ، وان تعف فبفضلك » — قال : « بل أعفو يا ابراهيم ، وأقول ما قال يوسف لاخوته : « لا تريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » .

قال « المُقْتَنَع » الكندي ، وكأنا نظمها تصويراً لحال يوسف مع إخوته :

وإن الذي بيني وبين بني أبي	وبين بني عمي لختلف جداً
أراهم إلى نصري بطاءً ، وإن هم	دعوني إلى نصر ، أتيتهم شديداً
وإن أكلوا لحمي . وفرت لحومهم	وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم  
وان زجروا طيراً بنحس يمرّ بي  
ولا أحمل الحقد القديم عليهم  
لهم جُلّ مالي ان تتابع لي غني  
واني لعبد الضيف مادام نازلاً  
وان هم هو واغني هويت لهم رشدًا  
زجرت لهم طيراً يمرّ بهم سعدًا  
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدًا  
وان قلّ مالي لم أكلفهم رِفْدًا  
وما شيمة لي غيرها تشبه العبدًا

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة : « ان رجلاً قال يارسول الله ، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن اليهم ويسيثروالي ، وأحلمُ عنهم ويجهلون عليّ » — فقال : « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ » (١) ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » ، وعن أنس بن مالك ، « ان يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة ، فأكل منها فجيء بها ، فقيل : ألا نقتلها ؟ » — قال : « لا ! » رواه البخاري في صحيحه .

« وحكي أنه بينا قيس بن عاصم ذات يوم في داره ، إذ جاءته خادمة له بسفود عليه شواء حار ، ففرغت السفود من اللحم والقته خلف ظهرها ، فوقع على ابن له فقتله ، فدهشت الجارية ، فقال : لا روع عليك ، أنت حرة لوجه الله ! » .

### الحكمة في مبادرة يوسف بالاستغفار لأخوته بخلاف إيهام

المادة ٤ — تعليقاً على قوله « يغفر الله لكم » : هم لم يقولوا لأخيه : استغفر لنا ذنوبنا ، كما سيأتي أن يقولوا لأبيهم ، ولكنه هو بادر بطلب المغفرة لهم من الله ، قبل أن يطلبوا منه ذلك ، وأما أبوم فمع كونهم ابتدأوا وطلبوا منه استغفاره لهم ذنوبهم ، فلم يسادر بطلبهم ، وانما وعدهم بها وعداً مؤجلاً فما الحكمة ياترى في ذلك ؟

(١) اي كأنما تطعمهم الرماد الحار

والجواب عليه من وجوه :

الوجه الأول — معلوم عند العموم أن قلب الوالد سريع الانعطاف ، وانه يحب الخير بنيه بالطبع ، لأنهم مها كانوا فهم أفلاذ كبده ، فلذلك لم يحتج أن يرهن على ذلك بنحو مبادرته بالاستغفار لهم ، بل آخر ذلك لأمر ما ، ربما يكون فيه خير لأولاده ، بخلاف يوسف ، فهو أخ ، لا أب ، ولذلك أحتاج أن يرهن لهم على حنانه وعطفه عليهم بسرعة استغفاره لهم ، حتى بدون طلب منهم ، فابوهم لم يكن أقل مغفرة لهم ، وعطفاً من أخيهم عليهم ، بل هو أكثر مغفرة ورحمة ولكن اختلف الحال ، لما بيناه في جواب السؤال .

الوجه الثاني — وهو أنه أمسك عن تثريبهم ، وغفر لهم ، وأراد أن يجازي سيئتهم بالحسنة ، فرغب اليهم أن ياتوا باهلهم ليعولهم ، وأعطاهم من نفسه هذا الكرم ، لأنه يرى نفسه حاكماً ، وهم محكومون ، وأميراً ، وهم مأمورون ، وعزيراً بمصر ، وهم أدلاء ، ومن رجال البلاط ، وهم سوقة ، ووزير ماليه ، وهم فقراء يائسون ، وقويماً ، وهم ضعفاء ، وكان يراهم أصغر في عينيه من أن يأخذهم بذنب ، أو يعتد عليهم بسيئة ، وان هذه النظرة العذبة ، التي أصبح ينظر بها اليهم ، إنغاهي نظرة الربيع ، التي يلقيها على البائس الضعيف ، الذي يستحق العطف والرحمة ، شأن أصحاب المراتب العالية ، من أرباب الحكومة ، مع أفراد الرعايا ، وقد قيل : « إن الحكم والعفو في الحكم ، من الصفات التي تدل على علو أقدارهم وعظيم سلطانهم » فهذا ما حدا بيوسف عليه السلام أن يبادرهم برفع التثريب عنهم ، والاستغفار لهم ، وهذا بخلاف أبيهم عليه السلام ، فانه ليس من أصحاب المناصب الدنيوية ، بل هو لا يزال من الناس المحكومين ، الذين لا يرون لأنفسهم على غيرهم ما يراه أهل الدنيا من الرفعة والعظمة .

الوجه الثالث — وهو ان يوسف رغباً عن انه وزير مالية وعزيز مصر ووكيل

مليكما ، فهو لا يزال يتحسس بالخوف من اخوته ، ومن افسادهم عليه حاله ،  
والمقروض يخاف من جرة الجبل ، لا سيما وهم اخوته ، فطمنهم فيه اقرب للتصديق  
من طعن الاجانب فلذلك بادر بطمأنتهم بعدم تربيهم ، وبالدهاء لهم بالمغفرة ، وبالرغبة  
اليهم أن يأتوه بأهلهم أجمعين ، يستصلح بذلك قلوبهم ، ويجعل به بينهم وبين ضررهم  
إياه سداً منيعاً ، ولما كان هذا المعنى غير موجود في أيهم ، لم يحتج الى شيء من هذا  
القبيل ، بل رغماً عن كونهم تقدموا اليه في استغفار ذنوبهم ، فقد رأينا آخر  
الاستغفار لهم ، الى وقت أو مكان أو حال ، ربما يكون الدهاء فيه اقرب للاجابة .

الوجه الرابع — افكر يوسف عليه السلام في نفسه أنه ليس بين المتشفي  
المصر على النقمة ، وبين المظلوم الجبار المستبد ، إلا ستر رقيق وحجاب ضئيل ،  
ففضل أن يعفو عن اخوته ، ولا يثربهم ، بل فضل أن يغفر لهم ، لاسيا وان  
التجاوز عن أمثالهم من أهل العناصر الطيبة يفيد في حسن حالهم ، كما ان المغفرة  
لذوي الخسة والدهاء تزيدهم تعدياً وطغياناً ، فقد قيل : « إن العفو يفسد من اللئيم  
بقدر ما يصلح الكريم » وقال الشاعر :

ليست الأحلام في حال الرضا إنما الأحلام في حال الغضب

وقال آخر :

إذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائباً إليك فلم تغفر له فلك الذنب

قيل : لما أتى إبراهيم بن المهدي الى المأمون شاور وزيره في قتله ، فقال له  
وزيره : « إن قتله ، فلك نظراء ، وان عفوت عنه ، كنت الرجل الوحيد »  
فعفى عنه .

### العفو اشد أنواع الانتقام

الوجه الخامس — وهو ان العفو اشد انواع الانتقام ، وهو مرارة ساعة .

ثم السعادة الى الأبد ، والانتقام لذة ساعة ، ثم الشقاء الدائم الذي لا يفنى ، فلذلك فضل يوسف أن يعفو عن اخوته ، ويصفح الصفح الجميل ، فقال بشفته وقلبه : « لا تريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين » ، وهو حقيق بذلك كله ، لأن المقدره تذهب الحفيظة ، ولعمري لقد جاء عفوهم عنهم تزكية لا انتصاره عليهم .

### أرحم الراحمين

المادة ٥ — تعليقا على قوله : « وهو أرحم الراحمين » قال صلى الله عليه وسلم : « إنا يرحم الله من عباده الرحماء » رواه الطبراني عن جرير بسند صحيح ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الرحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عمر ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من رحم ولو ذبيحة عصفور ، رحمه الله يوم القيامة » رواه البخاري في الأدب المفرد ، والطبراني عن أبي امامة ، و اشار السيوطي في الجامع الصغير الى صحته .

### العدول عن الانتقام الى الغفران فضيلة

المادة ٦ — في العدول عن الانتقام الى الغفران فضيلة عالية ، والعفو عن الناس هو من أسمى العواطف البشرية ، لأن الدين — الذي هو دين الفطرة — يخير المظلوم بين الانتقام ، قصاصاً وتأديباً ، وبين الغفران كراماً وتكريماً ، ولكنه يفضل الثانية على الاولى ، فالدين يقول في مقام المدح : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ — ثم يقول : — ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ، وَجِزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ، وَ لَمَنْ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ، إِنْما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ

الناسَ ، وَيَتَغُوثُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾ (٤٣ - ٣٧) ، ويقول : ﴿ وَلْيَتَعَفَّوْا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ؟ ﴾ (٢٤ : ٢٢) ، ويقول : ﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٣ : ٢٣٧) ، ويقول : ﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَسَارِعُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٤ : ١٤) ، ويقول : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣ : ١٣٣) ، قال « سليمان » عليه السلام : « إِنْ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَمْلِكَ عَنَانَ نَفْسِهِ ، لَهُوَ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَفْتَتِحُ الْمَدْنَ وَالْأَمْصَارَ » ، وقال « جويبر » : « خَيْرُ الْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ حَاكِمَ قَلْبِهِ مِنْ أَنْ يَحْكُمَ الشُّعُوبَ » .

### غفران الاساءة واجب

المادة ٧ - تعليقا على قوله : « يغفر الله لكم » بما ان الله تعالى يغفر لنا الاساءة العظيمة يجب علينا أن نغفر لآخواننا إساءتهم الينا، وإن لم نسامح إخواننا في زلاتهم معنا ، يغضب الله علينا ، ولا يسامحنا بل يعاقبنا ، فقد قيل : « إِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَاتِهِمْ لَا يَغْفِرَ اللَّهُ أَيْضاً لَكُمْ زَلَاتِكُمْ » قال تعالى : ﴿ وَلْيَتَعَفَّوْا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ؟ ﴾ (٢٤ : ٢٢) ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ، لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٤٥ : ١٣) ، فالله تعالى مع كثرة رحمته شديد العقاب ، فالإيمان الذي لا يكون مصحوباً بالحبية والمسامحة ليس بإيمان كامل ، ليس هو إيمان أهل البر ، ليس هو إيمان أهل الخير والتقوى ، فأبواب السماء مغلقة في وجه القساء ،

مغلقة في وجه الذين يحبون الانتقام لأنفسهم ، من حيث انه انتقام فقط ، لا لعلة اخرى ، مغلقة في وجه أهل الحقد والتشديد ، مغلقة في وجه من يطلب من الله المسامحة وهو لا يسامح إخوته .

### من تاب غفر الله له

المادة ٨ — تعليقاً ايضاً على قوله : « يغفر الله لكم » : حصول المغفرة لهم أمر طبيعي ، لأنهم تابوا وأنابوا واعترفوا بما اقترفوا ، واذا كان الله تعالى يغفر للكافرين إذا تابوا كما قال : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (٣٩:٨) فالؤمن أولى بالمغفرة متى انتهى ، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ، لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (٤:٦٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٤:١٠٩) ، فهذه الآيات الكريمة ، وما إليها مما هو كثير ، تدل دلالة واضحة على أن الله تعالى بمجرد توبة اخوة يوسف قد غفر لهم ، أي غفر لهم حقه تعالى ، ومعلوم ان يوسف — وفي ضمنه بنيامين — قد غفر لهم ايضاً حقه ، فما بقي إلا حق أبيهم ، وسيأتي له أن يسامحهم .

### ما هو الجزاء الذي وقع على اخوة يوسف حتى غفر الله لهم

وهنا أتذكر أنني كنت سئلت سؤالاً صورته :

ان الجزاء أثر طبيعي للعمل ، إن خيراً فثواب ، وإن شراً فعقاب ، وإن الله بعيد عن المحاباة : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٩٩:٨٧) فهل يأتى وقع الجزاء لاختوة يوسف ، حتى نالوا هذه المغفرة عند اعترافهم بالخطأ ، مع أن الأعمال التي خطئوا بها إلى

الله وإلى أبيهم وأخوتهم رهية ورهية جداً؟ هذا ما سألتني عنه نبيل وذكي من الطلبة ، فاجبته بما صورته :

لأنهم بتكذيب أبيهم لهم ، إذ قال : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً ﴾ ، وبما ضيق عليهم يوسف في سفرتهم الاولي إذ قال لهم ﴿ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ﴾ ، وبما ثرّبهم أبوم إذ قال : ﴿ هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ؟ ﴾ ، وبما شدد النطاق عليهم إذ قال : ﴿ لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم ﴾ ، وبما سُرّ قوا حين قيل لهم : ﴿ أيتها العير إنكم لسارقون ﴾ ، وبما كذبوا حين قيل لهم : ﴿ فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ؟ ﴾ وبما سقط في أيديهم ، وكأنا صب من فوق رؤوسهم الحميم ، وخجلوا أمام المتارين ، وأمام المصريين وأهل البلاط ، إذ استخرجت السقاية من وعاء أحدهم ، بعدما كانوا يقاومون هذه التهمة ، أشد المقاومة ، وبما أنهم رُدّوا وخيّبوا ، ولم تنجح مساعيهم ، ولم تقبل شفاعتهم ، حين قال لهم أخوهم : ﴿ معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ ، وبما أنهم وقعوا بذلك في اليأس والحرَج ، وهم غرباء والوقت وقت جوع ، وعيالهم في انتظارهم على أحر من الجمر ، وبما أن « رأوين » أنهم ، وذكرهم يا بُحْرَجهم مع أبيهم ، وذكرهم بسابق عملهم مع أخيه ، فقال لهم : ﴿ ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ؟ ومن قبل ما فرطتم في يوسف ؟ ﴾ وبما أن أباهم قد عاد فكذبهم في أن بنيامين سرق ، ونسب اليهم في ذلك دسيسة ومكراً ، فقال : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً ﴾ مع أنهم لم يكن لهم هذه المرة دسيسة ولا مكر وبما أنهم وقفوا بين يدي أخيه ، ضارعين مستكينين ﴿ قالوا : يا أيها العزيز ، مسنا وأهلنا الضر ، وجئنا ببضاعة مزجاة ، فأوف لنا الكيل ، وتصدق علينا ، إن الله يجزي المتصدقين ﴾ ، وبما أنهم عوتبوا ووصفوا بالجهالة ، ولم يسعهم إلا السكوت ،



ساعة أن قال لهم أخوهم : ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أتتم جاهلون ؟ ﴾  
 وبما لحوا من طرف خفي الاشارة من أخيه إلى براءته منهم ، وانتسابه لبنيامين  
 فقط ، إذ قال لهم : ﴿ أنا يوسف وهذا أخي ﴾ وبما أنهم سمعوا التعريض بهم  
 أنهم لم يكونوا من أهل التقوى والصبر ، إذ يقول أخوهم أمامهم :  
 ﴿ إنه من يتق ويصبر ، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ ، وبما رأوا من حرج  
 الموقف الذي اضطرهم أن يعلنوا اختيار الله لأخيهم دونهم ، وأنهم آثمّة  
 خطاة ، إذ قالوا : ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾ ، ونظم لذلك  
 ما كانوا يرزأون به في مدة ٢١ سنة ، من عدم توجه أبيهم اليهم وحنقه عليهم ،  
 وأضف لذلك جميعه ما كان يعتريهم كل حين من توبيخ ضمائرهم لهم ، ولوم أنفسهم ،  
 إياهم ، وتمرمر معيشتهم ، فيحاول هذه النوازل عليهم ، وصبا فوق رؤوسهم ، علم  
 أخوهم يوسف عليه السلام أنهم قد استوفوا جزاءهم جزاء وفاقاً ، وانهم لم يبق  
 عليهم ما يؤخذون به ، سوى الاعتراف ، فلما اعترفوا قال لهم : ﴿ اليوم يغفر  
 الله لكم ، وهو أرحم الراحمين ﴾ هذا هو الجواب ، والله الملهم للصواب ، فان  
 أصاب الحز ، فمن نعمة الله الوهاب ، وإلا فما أنا أول واهم من بني آدم .

### المغفرة والعفو والفرق بينهما

المادة ٩ - تعليقاً ثالثاً على قوله : ﴿ يغفر الله لكم ﴾ : المغفرة من الغفر ، وهو  
 لغة الستر ، وستر الذنب بعدم الحساب والعقاب عليه - لا ينافي بقاء أثر خفي له ،  
 وأما العفو فهو ذهاب الأثر بالمرّة ، فالعفو عن الذنب ، جعله كأن لم يكن ، بأن  
 لا يبقى له أثر في النفس ، لا ظاهر ولا خفي . وبناء على هذا فالعفو لغة أبلغ من  
 المغفرة ، وانما عبر يوسف بالمغفرة دون العفو مع انه أبلغ ، لأن إخوته لا يطعمون  
 في أكثر من أن يستر الله ذنوبهم في الآخرة بعدم الحساب والعقاب ، ومع كل هذا  
 فالفرق بين اللفظين لغوي فقط ، وأما النتيجة فهي واحدة تقريباً .

## المغفرة في التلمود والانجيل

المادة ١٠ — جاء في « التلمود » أن شريعة بني إسرائيل توجب على المساء اليه أن يغفر للمسيء لحد ثلاث مرات ، لأن الإنسان عرضة للخطأ ، وأوسع منه ما جاء في « الانجيل » هكذا : ﴿ وإِن أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ ، فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحَدِّكُمَا ، فَإِنْ سَمِعَ مِنْكَ ، فَقَدْ رَجَعْتَ أَخَاكَ ﴾ ( مت ١٨ : ١٥ ) ، وفيه انه سئل المسيح : ﴿ كم مرة يخطيء إليّ أخي وأنا أغفر له ؟ هل الى سبع مرات ؟ — فقال المسيح : لا اقول لك الى سبع مرات ، بل الى سبعين مرة سبع مرات ﴾ ( مت : ١٨ : ٢١ و ٢٢ )

فينبغي للبريء المظلوم أن يسعى في إصلاح الحال بتكلمه بلطف مع ظالمه ، وتبينه له خطأه ، بدل أن يشكو الى الغير ، او ينتقم منه ، او يحقد عليه ، فيبقى المداوة له في قلبه ، وينبغي ان تكون المعاتبه سراً ، لأنه إذا عاتبه امام الناس اغتاض منه ، او استحى بأن يقر امامهم بأنه اخطأ ، فيجتهد في تبرير نفسه ويقسو بذلك قلبه ، مع انه إذا انفرد به سهل عليه ان يقنعه بالحق ، وينبغي ان يكون العتاب بلطف وحكمة ، وبروح الوداعة ، والا اتسع الخرق على الراقع ، وعمق الجرح بدل ان يبرأ ، وصُب الزيت على النار ، بدلاً من ان يصب عليها الماء .

## العبرة بالخواتيم

المادة ١١ — اذا تأمل الانسان في حوادث الدهر ، وجدها سلسلة متصلة الحلقات ، كل حادثة منها وُلدت من اخرى ، لولاها لم تولد ، وبدونها لم توجد ، ورآى الخير آتياً من صلب الشر ، والشر نازلاً من صلب الخير ، حتى ينتهي الأمر بأنه يُحكّم بعدم وجود خير محض ، ولا شر محض ، وبأنها أمور نسبية ، وينبغي أن يضع نصب عينيه ، ان ما يراه اليوم مصيبة ، قد يضمن في الغد سعادته ، وان

مايراه سعادة ، ربما يكفل له فيما بعد شقاوته ، فالأمور بخواتيمها ، والحوادث يحكم عليها لا بصدورها ، بل بأعجازها .

### فصول حوادث الحياة وتطبيقها على يوسف

المادة ١٢ — تتألف حوادث الحياة من ثلاثة فصول : فصل الأمل ، وفصل الجهاد ، وفصل الفوز ، فرؤيا يوسف وأحلامه وبشرى أبيه له يمثل الفصل الأول ، وصبره في غيابة الجب وعلى استرقاقه وعبوديته وعن شهوته البدنية وفي سجنه ، يمثل الفصل الثاني ، وفوزه برقيه على أريكة الوزارة بمصر وبانتصاره على زليخا والنسوة المصريات وعلى إخوته ، وبإتيان أبيه وأخيه وسائر أهله يمثل الفصل الثالث .

### الطريقة المثلى في المسامحة

المادة ١٣ — هذه الطريقة التي جرى عليها يوسف في مسامحة إخوته هي الطريقة المثلى التي مشى عليها وأوصى بها العقلاء من الناس .

قال الشاعر : (١)

صديقك لم تلق الذي لاتعاقبه	إذا كنت في كل الأمور معاتباً
مقارف ذنب مرة ومجانبه	فعض واحداً أو صل أخاك فانه
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه؟	إذا أنت لم تشرب مرار أعلى القذى
كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه	ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

وقال غيره :

وهل عود يفوح بلا دخان ؟

تريد مهنذباً لاعيب فيه

(١) هو بشار بن برد

وقال غيره :

لابد للكامل من زلة      تخبره آت ليس بالكامل  
وقال غيره :

فقلت لها يا عَزَّ كل مصيبة      إذا وطنت يوماً لها النفس ذلتِ  
وقال غيره :

وماقتل الأحرار كالمفوء عنهم  
وقال غيره :

إذا اعتذر الجاني عما العذر ذنبه      وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب  
وقال غيره :

اخمد بملك ما يدكيه ذو غلظ      من نار غيظك واصفح إن جنى جاني  
فالعلم أفضل ما زدان اللبيب به      والأخذ بالمفوء أحلى ما جنى جاني

### اسباغ النعمة على اخوة يوسف

المادة ١٤ — رأى يوسف أن هذا اليوم هو يوم أسبغت عليه فيه النعمة من فوقه ، فناسب أن ينعم هو على من هو دونه ، وأيضاً إن الخصاص مع الناس ، لاسيما الأقارب ، لا ينبغي أن يتأدى ويطول ، بل يجب البت فيه ولو بخسارة ، فإن الهم الذي يقلق كثيراً ، إنما هو الهم الحاضر الراهن ، أما الماضي فإن الظروف الجديدة تُعَفِّيه ، والنجاح الجديد يزيد أثره ، فذلك رأى يوسف عليه السلام أن يسدل الستار على ميدان المعركة الحزبية ، ولم يرد أن يبعث من القبر جثة عفة ، دفنت من زمن بعيد ، ولم يقض لها بالبعث والنشور ، وبذلك صارت قضية يوسف ناجحة موفقة ، قد استجمعت عناصر الفوز والظفر. (مرحبي)

## قصص البشارة

آ (٩٣) \*... إذهبوا بقميصي هذا ، فألقوهُ على وجهِ أبي  
يأت بصيراً ، واثبوني بأهلكمُ أجمعين ! \*

الجلسة وتليت الآية الثالثة والتسعون ، فقام السيد  
الغمرائي (١) وقال :

( اذهبوا بقميصي هذا ... )

— ١ —

## تحقيق عما هو هذا ( القميص ) وعن كلمة ( بصير )

أنا هنا لأحب أن أعود إلى أقوال مفسري هذه الآية الكريمة ، ولكني  
أحب أن أجتهد في أن أصل إلى تفسر جديد ، أحب ان احدث السامعين الكرام  
بصراحة وامانة وصدق ، أحب ان اكشف لهم عما كان يختلج في ضميري منذ  
القديم في التحقيق عن هذا « القميص » وعن كلمة « بصير » .

## « القميص » هو كسوة رسمية

هذا القميص هو « ثوب بوس » أي كتان ، ذو شارات مخصوصة وهو كسوة  
رسمية ، لا يقدر أن يلبسها كل شخص ، وهذا القميص كان ملك مصر « الريان »  
ألبيه يوسف يوم أقامه وكيلاً عنه ، وبيان ذلك : أن يوسف لما خرج من السجن  
وقف بين يدي الملك الريان وكلمه يوسف بكلام يشف عن قوة عقل وغزارة علم ،

(١) نسبة الى بلدة ميت غمر في القطر المصري .

فقال الريان له : « إنك اليوم لدينا مكين أمين » - فقال يوسف عليه السلام :  
« اجلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ عليم » - فقال الملك لشوراه : « هل نجد  
مثل هذا رجلاً فيه روح الله » ، أي رحمته وإلهامه وقوته ، ثم قال الملك ليوسف :  
« بعد ما أعلمك الله كل هذا ، ليس بصير وحكيم مثلك ، أنت تكون رئيساً في  
البلاط ، تكون ثانياً في المملكة ، بمنزلة ملك ثان ، فيطيعك شعبي حتى يعمل بكل  
حكمة تقوه بها بأوامرك ، انظر قد جعلتك على كل أرض مصر وخزائنها وغلاتها ،  
وخلع الملك خاتمه من يده ، وجعله في يد يوسف عليه السلام ، وكان هذا الخاتم  
تختم به الأوامر ، فكان يوسف بذلك كالملك ، ثم ألبسه « الريان » قميص بوس  
ووضع طوق ذهب في عنقه ، ومعنى « بوس » كتان تقي أبيض ، وكان هذا  
ملبوساً رسمياً ، امتاز به الملوك ، وأكبر البلاط والكهنة ، ثم أركبه مركبته  
الثانية ، ونادوا أمامه : « اركعوا » « ابركوا » ، وأتى الملك هذا الاحتفال ،  
ليبين لقومه أن يوسف عليه السلام صار حاكمهم في الدرجة الثانية ، لأن الملك  
الريان كان في مركبة تجري به ، وتجري وراءها مركبة أخرى بيوسف ، فهذا  
« القميص » متى وصل لسيدنا يعقوب ، عليه السلام ، علم أن ابنه زيادة عن انه حي ،  
قد صار من رجال البلاط بمصر ، ومتى وقف على هذا الرمز ، عرف ما هي درجة  
ابنه ومنزله في البلاط الملوكي ، وبصّر بحاله ومآله ، إذ لا بد أن يعقوب عليه  
السلام يعرف أن هذا النوع الرسمي من الأقمصة خصيص بأعظم رجال الحكومة  
والكهنة ؛

وما أشبه هذه الحادثة بمحادثة صبي بدوي فارق أهله منذ سن الحداثة بلباس  
البدواة ، وانقطعت عنهم أخباره ، لا يعلمون أحيى هو أو ميت ، ولا يعلمون عنه  
شيئاً ، ولكنهم كانوا يترجون حياته ، ثم بعد عشرات من السنين ، أرسل ساعياً

لأهله يطمئنهم بحياته وسلامته، ويذكر لهم رتبته في الحكومة ، ودرجته في البلاط الملكي ، وعلامة لذلك ، وزيادة البشارة قوة واعتباراً ، أرسل معهم لباساً من ألبسة الحكومة الرسمية ، التي يدل طرازها ، ويشير شكلها الى أن صاحبها ترقى الى درجة كذا من درجات رجال العسكرية أو المدنية ، أو الدرجات الدينية ، هذا هو المعنى المألوف قديماً وحديثاً ، المتبادر عرفاً ، الذي يساعده نقل المؤرخين ، ( انظر تك ٤١ : ٤٢ ) مع شرحه « السنن القويم » ، هذا هو القميص الذي تَبَصَّرَ به سيدنا يعقوب حياة ولده ، وعلم به حاله ودرجته في الحكومة .

### « البصير » هو العالم علماً قلبياً

إن ماسبق هو تحقيق معنى « القميص » وأما تحقيق معنى « بصير » فقد قال في المصباح : ( أَبْصَرْتُهُ بِرُؤْيَا الْعَيْنِ إِبْصَاراً ، وَبَصُرْتُ بِالشَّيْءِ بَصَرًا : عَلِمْتُ فَأَنَا بَصِيرٌ بِهِ ، وَهُوَ ذُو بَصَرٍ وَبَصِيرَةٌ أَيْ عِلْمٌ وَخَبْرَةٌ ) ، وقال في الأساس : ( بَصَرَ بِعَمَلِهِ : صَارَ عَالِماً بِهِ ، وَهُوَ بَصِيرٌ بِهِ وَذُو بَصَرٍ وَبَصَارَةٍ ، وَهُوَ مِنَ الْبُصْرَاءِ بِالتَّجَارَةِ ، وَبَصُرْتُهُ كَذَا وَبَصُرْتُهُ بِهِ ، عَلِمْتُهُ إِيَّاهُ ، وَرَبَّتُ فِي بَسْتَانِي مُبِصَّرًا : أَيْ نَاطِرًا ، وَهُوَ الْحَافِظُ ) ، وقال في المختار : ( أَبْصَرَهُ : رَأَاهُ ، وَبَصُرَ بِهِ : عَلِمَهُ ، وَبَابُهُ ظَرْفٌ فَهُوَ بَصِيرٌ ) ، وفي القاموس : ( الْبَصَرُ مَحْرُكَةٌ : حَسَّ الْعَيْنَ ، وَاجْتَمَعَ أَبْصَارٌ ، وَمَنْ الْقَلْبَ نَظَرَهُ وَخَاطَرَهُ ، وَمَنْ مَعَانِي الْبَصِيرِ الْعَالِمِ ) وفي لسان العرب : ( الْبَصِيرُ الْعَالِمُ ، قَالَ مَعَاوِيَةُ : الْبَصِيرُ خَيْرٌ مِنَ الْأَعْمَى ) .

فنعلم من مجموع هذه النقول ونحوها من أمهات كتب اللغة الموثوقة أنه يقال : ( أَبْصَرَ يُبْصِرُ إِبْصَارًا فَهُوَ مُبْصِرٌ ، وَهَذَا فِيمَا كَانَ بِرُؤْيَا الْعَيْنِ : وَيُقَالُ : بَصُرْتُ يَبْصُرُ بَصَرًا فَهُوَ بَصِيرٌ ، مِثْلُ كَرَمٍ يَكْرُمُ كَرْمًا فَهُوَ كَرِيمٌ ، وَهَذَا فِيمَا كَانَ بِرُؤْيَا الْقَلْبِ ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى : هُوَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ ، وَجَمْعُ مُبْصِرٍ مُبْصِرُونَ :

أي بالعين ، وجمع بصير بُصراء : أي بالقلب ، وتأنيث مُبْصِرٍ ( بالعين ) مُبْصِرَةٌ كما أن تأنيث بصيرٍ ( بالقلب ) بصيرة ، وأما البَصْرُ حركةً فجمعه أَبْصَارٌ ، سواء أكان حس العين أو بالقلب ، وكما يجمع على بُصراء يجمع على بصيرين ، وهو ما كان من قبيل العلم والمعرفة بالقلب ، وأما مُبْصِرٌ فجمعه مُبْصِرُونَ وهو ما كان بالعين . وأنتم تعلمون أن « بصيراً » صفة مشبهة ، والصفة المشبهة لاتصاغ قياساً إلا من فعل ثلاثي لازم ، وشذ نذير من أنذر ، ( فبصيراً ) هو مشتق من بَصُرَ ، أي بالقلب ، لا من أَبْصَرَ : أي بالعين ، مامن ذلك بد ، وأما قول بعض اللغويين ( والبصير ضد الضير ) ففيه تساهل وبعد عن التحقيق ، وأظن أن الذي دفعهم لهذا التعبير إرادة السجع .

ولم يرد في كتاب الله تعالى استعمال لفظ ( مُبْصِرٍ ) إلا وهو من معنى الرؤية بالعين ، كما لم يرد فيه استعمال لفظ ( بصير ) إلا وهو لدى التدقيق بمعنى العلم بالقلب ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ، لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ، وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ ( ٢٠ : ١٢٥ ) فاعمى أي عن حجته ، وقد كان في الدنيا بصيراً بحجته فيما يزعم إذ كان عنده شبه حجة بحسب تصوره ، فاعمى ههنا بمعنى جاهل ، وبصير بمعنى عالم وكذا لم يرد في القرآن الكريم استعمال لفظ ( أبصر ) إلا بمعنى رأى بعينه ، وأما قوله تعالى : ﴿ فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُونَ ﴾ ( ٦٨ : ٦٩ ) فمعناه : فسترى يا محمد ويرون يعني أهل مكة إذا نزل بهم العذاب بأيكم المفتون ؟ قاله البغوي في تفسيره ، أي ستري ويرون الأسباب المشاهدة التي يتبين منها من هو المفتون ، أو يقال عبر بالإبصار مبالغة ، إشارة إلى أن هذا الشيء الذي سيملمونه واضح جلي جداً ، كأنه محسوس بالنظر .

وكذا لم يرد في كلامهم استعمال ( بَصْرَ به ) إلا بمعنى العلم بالقلب ، ومنه ما حكى عن السامري : ﴿ بَصُرْتَ بِمَا لَمْ يُبْصِرُوا بِهِ ﴾ ( ٢٠ : ٩٦ ) أي



علمت مالم يعلموا وأدركت مالم يدركوا ، هذا هو المعنى الصحيح على التحقيق الذي ذهب إليه أبو مسلم الأصفهاني في معنى الآية ، وأما قوله تعالى : ﴿ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ ﴾ ( ٢٨ : ١١ ) فلما كان الابصار فيه بالعين من طريق المخاطلة والتجانف والازورار كان كأنه ليس نظراً بالعين ، بل علماً بالقلب ، فلذلك عبر فيه بالفعل الثلاثي ، على أن ( بَصُرَتْ بِمَالٍ يُبْصِرُوا بِهِ ) و ( بَصُرَتْ عَنْ جُنُبٍ ) ليسا فعلين لازمين ، « بل هما متعديان بمعنى الإبصار ، ففي إعاة اللهفان : ( بَصُرَ بِهِ وَأَبْصَرَ ، يُعْدَى بِالْبَاءِ تَارَةً ، وَبِالْهَمْزِ أُخْرَى ) .

إذا علمت كل هذا علمت أن لفظ ( بصير ) في قوله تعالى ﴿ بَاتَ بَصِيرًا ﴾ يَصِيرُ بَصِيرًا بحال ولده يوسف ، كقولك يجيء البناء محكماً ، بمعنى يصير ، ويشهد له ( فارتد بصيراً ) أي صار بصيراً ، ولا يجوز لغة تفسير لفظ ( بصير ) ببصر ، لاختلافها في المعنى اختلافاً واضحاً ، لأن ( بصيراً ) كما قلنا صفة مشبهة من بَصُرَ بمعنى علم ، وهو ثلاثي لازم ، وبابه كَطُرْفَ ، وأما ( مُبْصِرٍ ) فهو اسم فاعل من أَبْصَرَ : بمعنى رأى بعينه ، وهو رباعي متعد وبابه كما كرم ، فبينها في اللغة فروق متعددة ، وكما لا يجوز تفسير ( بصير ) بمُبْصِرٍ من حيث اللغة ، فلا يجوز أيضاً تفسيره به من حيث الشريعة ، لأن العمى لا يجوز على أنبياء الله ومظاهر أمره لأنه من الداآت المنفرة لطبائع الجمهور والأنبياء منزهون عن كل منفر للطبيعة ، هذا ما أراه في تفسير كلتي « القميص » و « بصير » ولست أبالي أن أجهر برأبي مادمت أعتقد أنني على حق ، وأما من يكلفني أن أمشي على فكر غيري ، فاني اسف على عدم استطاعتي امتثال أمره ، أسفي على إهماله مداواة نفسه .

### يعقوب بصير عالماً علماً قلبياً بحال ابنه يوسف

إذا تقرر هذا يكون معنى الآية الكريمة هكذا : قال يوسف لاختوته :

﴿الْوَحَى الْوَحَى ، والنجاء النجاء﴾ قوموا يممو شطر فلسطين ، اوغلووا في السير ، انتجموا ( قرية اربع ) او « سيلون » ( اذهبوا بقميصي هذا ) الذي يمثل الوظيفة والزلفى من التاج ، وهو القميص الرسمي الحكومي ، قميص « البوص » ذو الشارات المخصوصة ، الذي لا يلبسه الا كبراء رجال البلاط والكهنة ، ولا يقدر أحد أن يلبسه سواهم ، القميص الذي البسني إياه مليك مصر « الريان » يوم ماولاني « الصدارة » العظمى والوكالة العامة عنه ، وجعلني على خزائن أرض المملكة الهكسوسية ، و « عزيزاً » بالديار المصرية - فما هو الا أن أمر يوسف بعض فتيانه أن يذهب لقصره ، ويأتي له من مشجبه بقميص اعتيادي غير رسمي ، ثم نضا عنه قميصه الرسمي ، ولبس مااتي به اليه وسلمه يوسف لاختوته مؤقتاً ، ليراه أبوه ثم يرجعوه معهم - ثم قال لهم :

( فألقوه ) أي أطرفوه وعرضوه ( على وجه أبي ) المتضمن ذلك القاءه على عينيه ، حتى يراه ، فمتى رآه وعرف حقيقة حاله ومركزي ( يأت ) أي يَصِرُ ( بصيراً ) عالماً وعارفاً بما أنا عليه في دار الحكومة المصرية ، فاهماً كل شيء بوضوح وجلاء ، واقفاً على ما كان قد خفي عليه ، مكتشفاً لما انطوى عن إدراكه وبصيراً ههنا مقابل جاهلاً - ثم قال يوسف لاختوته : واسرعوا الكرة ( واثتوني بأهلكم ) زوجاتكم واولادكم وإمائكم ( اجمعين ) لكي تظفروا بنعمة العيش في ظلال حكومة مصر ، وتساووا اهلها في مظاهر الحياة .

واما اختوته فسمعوا هذه المقالة منه ، فحلت على نفوسهم المذبذبة يا كان من تقاطع وتباغض برداً وسلاماً ، والتفت حولها قلوبهم ، واكبروا صدورهم عن كانوا آذوه وشردوه ، واخيراً سعوا اليه حين احتاجوه .

( اذهبوا بقيصي هذا ... )

— ٢ —

وقام الطبيب بن الحارث وقال :

تفسير ( يأت بصيراً ) ييجي م بصراً بعينه

أرى أيها السادة الأكارم انه يحسن بنا أن نفسر جملة « يأت بصيراً » « ييجي م بصراً بعينه » لأن الحوادث الجسام التي مرت بسيدنا يعقوب عليه السلام ، والمؤثرات النفسانية والانفعالات الروحية المفاجئة التي اصابته أدت الى فقد حس الرؤية عنده ، كما ستؤدي إلى عودة هذا الحس له عند مفاجأته بالقاء القميص الرسمي لولده يوسف على وجهه .

والطب الحديث يؤيد هذا الرأي ، إذ يوجد فيه حالة مرضية تدعى « العمى الروحي او النفسي » تحدث بتعرض الأشخاص إلى صدمة تأثرية — فرح أو حزن — مفاجئة ، وتؤدي إلى فقد الذاكرة البصرية عندهم ، كما تعود لهم هذه الذاكرة بصدمة تأثرية مفاجئة اخرى — فرح أو حزن .

وهذا ما حصل لسيدنا يعقوب عليه السلام، إذ أنه فقد ذاكرته البصرية بسبب صدمة الحزن التي فوجيء بها حينما بلغه اولاده نبأ اوتراس الذئب لولده يوسف ، ثم عادت له هذه الذاكرة بسبب صدمة الفرح التي فوجيء بها حينما اتى اولاده بقميص يوسف الرسمي والقوه على وجهه .

وعلى ذلك يمكن ان نشرح جملة « يأت بصيراً » ييجي م اليّ وهو مبصر بعينه ، سليم من كل مرض فيها ، بريء مما كان اعترأها من ابيضاض او فقد حس الرؤية بمجرد القاء « قميصي » على وجهه ، بسبب فرحه وسروره بوقوفه على حياتي وعلى مركزي ، إذ انه بملامسة قميصي كأنما لامس شخصي — ولا بدع

في كون المحب يبرأ من مرضه بملامسة اثر محبوبه — وعليه فكلمة « بصير » تكون مقابلة لكلمة « اعمى ».

هذا ما فتح به الرحمن علي ألقينه على مسامحك الشريفة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وهنا قال رئيس المؤتمر : هذا كلام خطيبنا السيد الغمراوي والطبيب بن الحارث تركه الان على علاته ، ومن غير تحليل له أو إبداء رأي فيه ، كما يتطلبه الحياد التام مني ، وأترك حق الحكم فيه لمن يسمع ومن يقرأ فقط .  
( قالون )

( اذهبوا بقيصى هذا ... )

— ٣ —

وقام مولانا عبد الحي الدمياطي وقال .

تأويل « القميص » بالرتبة العالية

سادتي : قبل كل شيء إني احبذ ما فهمه السيد الغمراوي في كلمتي « قميص » و « بصير » ، ولكن هذا لا يمنعني من أن أفهم في لفظ « القميص » وحده فهماً ثانياً على وجه الاحتمال ، وتقريره هكذا :

يقولون : « من قمصك هذا القميص ؟ » أي من جعلك في هذه الدرجة والرتبة العالية ؟ وفي الحديث الصحيح خطاباً « لعثمان ، رضي الله عنه » إن الله سيقمصك قميصاً ، أي سيلبسك لباس الخلافة ، كما في القاموس وشراح الصحيح ، وقد روينا في سنن ابن ماجه : « ياعثمان ان ولائك الله هذا الأمر ، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه » ، وفسر شراحه هذا القميص بالخلافة ، وفي نهج البلاغة : « لقد تقمصها ابن أبي قحافة ، وهو يعلم أن محلي منها ، محلّ

القطب من الرحي ، ، واستشهادنا بهذا القول ، لا يعني اننا نعتقد انه صح عن علي كرم الله وجهه ، ولكننا نريد منه ان هذا النوع من الاستعمال وارد في اللغة العربية . وإذا قلنا إن علياً ( رض ) قاله ، قلنا : إنه قاله على وجه الاجتهاد ، والاجتهاد يحتمل الإصا به وغيرها ؛

وللمنصور من خطبة بالمداخن بعد قتل أبي مسلم : « إن من نازعنا عروة هذا القميص ، أجززناه خبيثة هذ الغمد » .

وقد كان رجل اسمه « شبننا » وكيلاً على قصر الملك « حزقيا » في مملكة بني اسرائيل الجنوبية ، وقد كان أنذره الله تعالى بقوله بلسان النبي « أشعيا » : « أطرذك من منصبك ، وأدعو عبدي « الياقم » وألبسه ثوبك » وأجعل سلطانك في يده » ( اش ٢٢ : ١٩ - ٢١ ) ، ومعنى « ألبسه ثوبك » أقيمه على قصر الملك « حزقيا » عوضاً عنك ، فيكون لا بساً ثوب السلطة على قصر الملك .

فنتعلم من مجموع هذه النقول ان إطلاق « القميص » أو « الثوب » على المنصب الجليل اصطلاح معروف في اللغة العربية كما فيما قبلها من اللغة العبرية ؛

إذا تقرر هذا « فالقميص » ههنا هو أمر معنوي ، وهو « وزارة المالية » ، في مملكة مصر ، أو هو « الوكالة المطلقة » عن مليكها ، أو هو كونه « عزيزاً بمصر » فان يوسف عليه السلام كان حائزاً على هذه المناصب كلها ؛

### انتقاد تأويل « القميص » بالرتبة العالية والرد عليه

وأذكر ان طالباً من بلدي « دمياط » كان سافر للأزهر الأنور بمصر لتكميل تحصيله ، فنقل عني لبعض علماء الأزهر ، أني أذهب الى هذا الفهم الاحتمالي في كلمة « قميص » ههنا ، فكان هذا العالم أنكر هذا الاحتمال ، وأرسل اليّ رقيباً في البريد يحتج عليّ فيه بتفسير المتقدمين ، وليس هذا الانكار لشيء سوى أنني خالفت

فيه كلام المفسرين الذين قالوا ، في تفسير هذا « القميص » « إنه القميص المتوارث الذي كان في تعويد يوسف ، وكان من الجنة ، أمره جبريل عليه السلام أن يرسله إليه فان فيه ريح الجنة ، لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي ، ويؤمنني انه فات هذا الفاضل ان التفسير ليس وفقاً على ناص دون آخرين ، وليس هو سلعة تباع وتشتري ، أو أن هذه السلعة ملك لقوم دون سواهم ، فلا يجوز أن تعرض في حانوت غير حانوتهم ، بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وان القميص الذي أنزله المفسرون من الجنة ، لم يسندوه الى حديث أو رواية صحيحة عن صحابي أو نحوه من التابعين ممن يوثق بنقله ، ولعمري إن هذا القميص ، بالصورة التي ذكرها المفسرون لهو من أبعده البعيد ، ولا يصدقه إلا من يصدق تمثال « الزرزور » الذي في « رومة » . هذا وأرجو أن يحمل كلامي على حسن النية ، وحب الحقيقة ومع ذلك فليست أقول إن تفسيري « القميص » بما ذكرته هو الصحيح وما ذكره المفسرون هو باطل - حاشا - فإني إنما ذكرت ما ذكرته على وجه الاحتمال مع إمكان صحة ما سواه ولو بعيداً ، وإني لا أبتغي هدم القول القديم ، قبل تأسيس الجديد وقبوله عند أولي النظر ، نعم إنني لا أهدم بيتي العتيق إلا إذا وجدت لي مسكناً جديداً صالحاً للسكنى فيه ، وعلى كل حال ، فأرجو من هذا العالم الفاضل أن لا يؤأخذني اذا رأي قد خالفت ساداتنا المفسرين في رأي رأوه ، فان الذهاب الى الحق هو فوق الأدب معهم ، وان « بروتوس » كان يقول: « إني أحب قيصر ، ولكن رومية أحب إلي » ، وان مذهبي في تفسير القميص يعبر عن رأي خاص يتحمل كاتبه وناشره مسئوليته ، وأما قارئوه وسامعوه فلا يتحملون منه شيئاً ؛

وقبل الفراغ من هذا البحث أرجوكم أن تذكروا ماقاله أحد الأئمة وهو  
الأمام أحمد بن حنبل ( رض ) : ( ثلاثه لا أصل لها : التفسير والملاحم والمغازي )  
ولا ينحني عليكم قدر أحمد في العلم .

تفسير ( القميص واللقاء والوجه ) بأمر معنوي من باب الاستعارة وترسيخها

ثم أذكر إن جما من طلبة الأزهر المجيد أرسلوا أيضاً إلي كتاباً في البريديقولون فيه إن تفسيري « للقميص » بالنصب ، وهو أمر معنوي لا يتلائم مع قوله بعد : ( فألقوه على وجه أبي ) فذلك كنت أرسلت لهم الجواب بأن هذا « القميص » في عبارة سيدنا يوسف . استعارة مصرحة أصلية جارية في الأسماء ، وقوله ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي ﴾ ترشيحات لهذه الاستعارة ، كما في : « بصق في وجهه » بمعنى استخف به ، كما قاله صاحب الأساس ، فليس هناك بصق حقيقي ، ولا وجه مبصوق فيه ، وإنما المراد الاستخفاف فحسب ، وكذلك يقال فيما نحن فيه : « ليس هناك قميص حقيقي ، ولا وجه ملقى عليه ذلك القميص وإنما المراد بجملة « فألقوه على وجه أبي » ، أعلموه بحالي وعرفوه بمنصبي ، وأحيطوه علماً بما أنا عليه . »

وحيث أن هؤلاء الطلبة السائلين أو المستشكلين كانوا أربعة عشر شخصاً ، أتيت بأربعة عشر شاهداً ، هي نظائر لهذه الآية الكريمة لتكون هذه الشواهد على عدد السائلين واليك بيانها :

١ - قول زهير الشهير :

لدى أسد شاكي السلاح مُقَدَّفٍ له لبد ، أظفاره لم تقلم  
فقوله « مقذف » أي مرمي باللحم ، و « له لبد » و « أظفاره لم تقلم » ترشيحات ثلاث لهذه الاستعارة ، ومعلوم أن مبنى الاستعارة على طي ذكر المستعار له ، ومن ثم نرى البلغاء المفلحين ، امرآء الفصاحة النابغين ، يتناسون في الاستعارة التشبيهية ، ويضربون عن توهمه صفحاً ، وكأنهم يريدون بالمستعار معناه الحقيقي ، فلذلك أثبت الشاعر للرجل الشجاع التقذيف ، واللبد والأظفار التي لم تقلم ، وهي أمور لا تناسب إلا المعنى الحقيقي ، وإنما أثبتنا للمعنى المجازي مبالغة

وتقوية للتشبيه كما أنه في آيتنا لمعنى « القميص » المجازي الإشارة الحسية ، والذهب به ، والإلقاء به على الوجه ، وهي ترشيحات للتشبيه وتقوية للمعنى المجازي ، كأنه هو المعنى الحقيقي ، التي لا تستند هذه الأمور الثلاثة إلا له .

وكما من الغلط الفاضح أن يقول قائل : لا يصح أن يكون « زهير » أراد من « الأسد » المعنى المجازي وهو الرجل الشجاع بدليل قوله : « مقذف ، له لبد ، أظفاره لم تقلم » ، فكذلك من الغلط الفاضح أن يقول قائل : « لا يصح أن يكون يوسف أراد بالقميص المعنى المجازي وهو المنصب في البلاط الملوكي ، بدليل قوله : « اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي » ، فافهم هذا التحقيق ، فانه بالفهم حقيق ؛  
٢ - قول أبي تمام :

فما زال يصعد طرق العلا الى النجم مرتدياً بالسَّناء (١)  
ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء

فحقيقة « يصعد » العلو الحسي في المكان العالي ، ولكنه استعار الصعود للعلو في المرتبة ، وبنى عليه انه صار مع النجم مرتدياً بالرفعة وأن الجهول اذا رآه هكذا ظن أن له حاجة في السماء ، وكل هذه ترشيحات للتشبيه لانتاسب إلا المعنى الحقيقي ، وإنما ذكرت مع المعنى المجازي وهو الرقي المعنوي الرتبى ، تقوية الاستعارة ، وكذلك الأمر ههنا في آيتنا ؛ ذكر الإشارة الحسية والذهب بالشار إليه والقائه على وجه أبيه ترشيحاً للاستعارة كأن هذا « القميص » المجازي هو قميص حقيقي .

٣ - قول القائل :

هي الشمس مسكنها في السما      ء فعز الفوآد عزآء جميلاً  
فلن تستطيع اليها الصعو      د ولن تستطيع اليك النزولا



لما أخبر عن محبوبته بأنها الشمس ، جعلها كأنها عينها ، وبني على ذلك سكناها في السماء . وانه لا يستطيع الصعود اليها ، وهي لا تستطيع النزول ، فهذه كلها ترشيدات للتشبيه ، انما تناسب المشبه به ، فكذلك في آيتنا الكريمة .

٤ - قول العرب في البليد : ( رأيت حميراً له أذنان خطلا وان ) استعاروا الحمار للبليد ، وأثبتوا له أذنين خطلاوين ، أي مسترخيتين طويلتين ، ترشيداً لتلك الاستعارة لأن الأذن الخطلاء من لوازم الحمار الحقيقي .

٥ - قول الشاعر :

ولما رأيتُ «النَّسْرَ» عَزَّ «ابن داية»

و «عشش» في «وكرَّيته» جاش له صدري

يعني لما رأيت شعر الشيب الأبيض غلب شعر الشباب الأسود ، حل ونزل في الرأس واللحية ، ارتاع واضطرب منه قلبي ، فالشاعر استعار لفظ «النسر» للشيب ، ولفظ «ابن داية» وهو الغراب ، للشعر الفاحم ، ورشح الاستعارة بذكر «التعشيش» وهو عمل العش وأخذه ، ثم بذكر «الوكر» وهو موضع الطائر ، الذي يأخذه ويعمله للتفريخ .

وأعلم أن الترشيح قد يكون باقياً على حقيقته ، تابعاً للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها ، وقد يكون مستعاراً من ملامح المستعار منه ، لملامح المستعار له ، كما في هذا البيت ، فانه استعير لفظ «الوكرين» من معناه الحقيقي ، للرأس واللحية ، أو الفودين ، أعني جانبي الرأس ، وأستعير لفظ «التعشيش» للحلول والنزول فيها وكذلك الأمر في الآية الكريمة ، فانه استعير فيها لفظ «اللقاء على الوجه» للانباء وإحاطة علم يعقوب عليه السلام بمنصب ولده يوسف .

٦ - قول بعض العرب ، يبين حاله مع أمه :

إذا الشيطانُ قَصَّعَ في قَفَاها كَنَفَقَتْنَاهُ بالجبلِ التَّوَامِ

يقال (قصع فلان اليربوع) : إذا أخرجته من قاصعائه ، أي من جحره ، ودخل هو فيه ، « وقصع الشيطان في قفا فلان » ، إذا ساء خلقه وغضب ، كأن الشيطان دخل في قفاه وصار يُبرز منه الغضب وسوء الخلق ، ويقال : ﴿ تنفق اليربوع ﴾ أي خرج من نافقائه ، و« تنفقته » أي استخرجته منها ، والجبل التوأم : المثني المجدول على طاقين .

استعار « التقصيع » أولاً ، لغضب أمه وإثارة خلقها ، ثم ضم إليه « التنفق » مستعاراً للاجتهاد في إزالة غضبها ، وإمالة ما يسوء من خلقها ، ثم جعل « الجبل التوأم » مستعاراً لسبب قوي ، يتوصل به لتلك الإزالة ، « فالجبل » هو بمعنى السبب ، وهاتان الاستعارتان تابعتان للاستعارة الأولى ، ومرشحتان لها باعتبار لفظها ، وعليه فمعنى البيت :

إذا دخل الشيطان في قفاها ، ليبرز منها الغضب ، استخرجناه من نافقائه بالجبل المثني المحكم ، يريد إذا غضبت وساء خلقها اجتهدنا في إزالة غضبها ، وإمالة ما يسوء من خلقها ، فهو لما استعار أولاً « التقصيع » أتبعه بما يشاكله ويوآخيه ، وهو « التنفق » و« الجبل التوأم » ، فهذان اللفظان ترشيحان للاستعارة يقصد منها تقويتها ، فلا يقول « إن التنفق والجبل التوأم لا يناسبان المعنى المجازي ، فلا يجوز المصير إليه » — إلا كل جاهل بأساليب اللغة العربية وطرق البلغاء المفلقين ، كما ان ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ، فألقوه على وجه أبي ﴾ ترشيحات للاستعارة ، يقصد منها تقويتها ، فلا يقول أيضاً « ان الذهاب بالقميص والاشارة الحسية إليه واللقاء على الوجه ، أمور لا تناسب المعنى المجازي ، فلا يجوز المصير لذلك المعنى المجازي » — إلا كل جاهل بأساليب اللغة العربية ، وطرق البلغاء المفلقين .

٧ — قولهم ﴿ من حفر لأخيه جباً ، وقع فيه منكباً ﴾ ، « فالجب » استعارة

مرشحة ، والحفر والوقوع والانكباب على الرأس ، ترشيحات لهذه الاستعارة .

٨ — قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ﴾ (١٦:٢) فمعنى اشتراء الضلالة بالهدى ، اختيارها عليه واستبدالها به ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، ولما استعار الاشتراء للاستبدال ، ذكر الربح والتجارة على وجه الترشيح ، كان ثم مبايعة على الحقيقة .

٩ — جاء في القرآن : ﴿ قال بصرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول ، فنبدتها ﴾ (٩٦:٢٠) ، فهذا « السامري » علم من معجزات الرسول موسى ، وفطن بما لم يفطنوا له ، من علائم صدقه ، فأمن به وأخذ جانباً من شربته ، وشيئاً من طريقته ، ولكنه لم يلبث أن رفض تلك الطريقة ، بحسب تسويل نفسه الأمانة بالسوء ، « فالقبض » استعارة مصرحة تبعية والقبضة والأثر والنبد ، ترشيحات لها ، لأنها من مناسبات المشبه به .

١٠ — قوله تعالى : ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زحزحاً فيها ، وارتبنت ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها ، أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً ، فجعلناها حصيداً ، كأن لم تغن بالأمس ﴾ (٢٤:١٠) ، شبه الأرض بالعريس ، واستعار لفظ العرس وحذفه ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو الزخرف والزينة ، وإتيان الأمر إليها ، فأخذ الزخرف والتزين وإتيان الأمر إليها ترشيحات لهذه الاستعارة المكنية .

١١ — قوله تعالى : ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار ، فأنقذكم منها ﴾ (١٠٣:٣) ، شبههم وهم كفرون بمن جلسوا على حرف حفرة من حفر النار ، وشبه نفسه تعالى بتوفيقه إياهم الاسلام وتخليصهم من الكفران بمنقذ أنقذ الجالسين على حرف الحفرة ، أو استعار شفا حفرة النار — للباطل ورشحه بالانقاذ ، وكما أن الانقاذ ، لا يناسب إلا المعنى الحقيقي ، ولكن جيء به تقوية للاستعارة ، فكذلك

آ (٩٣) تطبيق الاستعارة وترشيحاتها على قوله: اذهبوا بقميصي هذا... الخ ١٢٦٣

الذهاب بالشيء والاشارة الحسية والإلقاء على الوجه في الآية الكريمة ، هي نعم أمور لا تناسب الا القميص الحقيقي ، ولكن جيء بها تهوية للاستعارة.

١٢ — قوله تعالى : ﴿ أَقْمِنَ أَمْسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ، خَيْرٌ ، أَمْ مِنْ أَمْسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ ، فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ؟ ﴾ (٩: ١١٠) ، « شفا الجرف » مجاز عما ينافي التقوي من الباطل والنفاق ، والعلاقة قلة الثبات والاستمسك ، جعل « الجرف الهائر » مجازاً عن الباطل ، فرشحه بلفظ « الانهيار » الذي هو للجرف ، ليصور أن المبطل كأنه أسس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم ، أو يقال شبه بناء مسجد الضرار في كونه سبباً ملقياً في النار ببناء بني على حرف جرف من رمل لا يثبت حتى يسقط في الجرف الهار .

١٣ — قوله تعالى : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ، فَنَحَرَ عَلَيْهِمْ السَّقْفَ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَأَنَامَ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٦: ٢٦) شبه المكر بصرح ، وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو البناء على سبيل الاستعارة المكنية ، وذكر القواعد والخروور والسقف والفوقية — ترشيحات لهذه الاستعارة .

١٤ — سمعت بعض العرب يقول عن رجل رشى الحاكم بعشرة دنانير ذهبية: « سقاء عشرة أقداح من الحمرة شربها ، فغاب عن صوابه فحكم له بها أراد » ، فالأقداح استعارة تصريحية وهي مجاز عن الدنانير ، والسقي والشرب والغيوبة ترشيحات لهذه الاستعارة ، لانها تناسب المعنى الحقيقي .

تطبيق الاستعارة وترشيحاتها على قوله : اذهبوا بقميصي هذا... الخ

إذا تقرر هذا ، نقول ههنا في آيتنا الكريمة التي نحن بصدد شرحها : استعار

« القميص » للمنصب الذي 'قَمِصُهُ' ، وتناهى التشبيه ، وجعل « القميص » كأنه مستعمل في معناه الحقيقي ، وبني عليه ما بني على القميص الحقيقي ، وهو الثوب المحسوس الذي يذهب به ويشار إليه ويلقى على الوجه ، وبعبارة أخرى : لما استعار « القميص » للمنصب والوزارة التي له ، أتبعه بما يشاكله ويوآخيه ، وما يكمل بانضمامه إليه ، تقوية للاستعارة ، وليصور للسامع أن المنصب كأنه قميص حقيقي ، مبالغة في التشبيه ، وهذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا ، وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ، ثم تُقَفَّى بأشكال لها وأخوات ، اذا تلاحقن ، لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة ، وأكثر رونقاً ، وهو المجاز المرشح بصفة أو تفريع كلام يلائم المعنى الحقيقي ، فالتعبير بالالقاء على الوجه ، لا ينافي أن « القميص » مجاز عن المأمورية ، لأنه ترشيح ، بل ليست اللغة العربية وحدها هي المصطلحة على مثل هذه العبارات المجازية المرشحة بما يناسب المعنى الحقيقي ، بل جرى على ذلك كل لغات العالم ، والناس يفهمون هذه العبارات على ما وضعت لتأديته ، لا على لفظها ، فمثلاً لو قال رجل عن آخر : « إنه يعبد الورد » فلا يحق لنا أن نقول : إن هذا الرجل مشرك قد عبد « الورد » مع الواحد الأحد ، الذي لا يعبد سواه ، وكذا لو قال رجل : « دخلت الحمام فاذا في الخلوة عند جرن الماء أسد ذولبد واطفار لم تقلم ، وهو يزجر بصوت كالرعد يربع السامعين » فلا يحق لنا أن نقول : انه حقيقة هو الوحش المفترس الضاري ، اغتراراً بما اكتنف هذه الاستعارة من المرشحات الملائمة للمعنى الحقيقي ، وهكذا في الآية الكريمة لا يحق لنا أن نقول : إن هذا « القميص » حقيقة هو الثوب الذي يلبس على الجسم ، اغتراراً بما اكتنف هذه الكلمة من المرشحات الملائمة للمعنى الحقيقي .

وتتمة القول : إذا جاز في المثال الأول ترشيح « الأسد » المجازي بأنه مُقَدَّف وله لبد ، وله أظفار لم تقلم ، الأمور التي لا تناسب « الأسد » المجازي ، وإنما تناسب الأسد الحقيقي .

وإذا جاز كما في المثال الثاني ترشيح الصعود المعنوي يظن الجهول أن للمدوح حاجة في السماء ، الأمر الذي لا يلائم إلا الصعود الحسي في المكان.

وإذا ... وإذا ... الخ .. الخ .. فإلم لا يجوز أن يقال : إن هذا « القميص » مجازي ، وقد رشح بما هو من خصائص القميص الحقيقي مبالغة في التشبيه؟ وما الفرق بين الكلمة التي هي موضوع حديثنا وبين هذه الأمثلة الأربعة عشر التي ذكرناها؟.

اللهم لا فرق ، ولا صمونة في قبول هذا المعنى الجديد ، لولا الجود على المعنى الذي نحا إليه المفسرون .

إذا تقرر هذا فيكون المعنى :

### تفسير الآية بتطبيق الاستعارة وترشيحاتها عليها

( اذهبوا ) سراعاً ( ب ، خبر ) قميصي هذا ) وهو المنصب الكبير الذي علمتموه وتحققتموه ، حتى صار عندكم كالمحسوس الذي يشار إليه ، ( فألقوه على وجه أبي ) أي فأحيطوه علماء به لأن هذه الكلمة كما حققناها ترشيح للاستعارة ، والترشيح يجوز أن يبقى على حقيقته لا يقصد به إلا تقوية الاستعارة ، ويجوز أن يجري فيه التجوز أيضاً فيستعار من المعنى الملائم للمشبه به ، لمعنى يلائم المشبه ، على ما ذكره علماء البيان - وقولوا له : قد عثرنا على عكاز شيخوحتك ، ومستودع أسرارك وقبلة آمالك ، وطبيب أحزائك ، ومداوي بذك وهمك ، ومضمد جراحك ، قد عثرنا عليه عزيزاً بمصر ووزير مالية بها ، ووكيلاً عن مليكها الريان في البلاط فان أوقفتموه على جليلة الواقع ( يأت بصيراً ) عالماً وعارفاً ، لأن خبر هذا القميص يشف له عن الواقع ، فتظهر له الحقيقة بيضاء ناصعة ، لا غبار عليها ، ويكشف.

له عن سريرة ولده يوسف بالتفصيل ، بعدما كان عاجزاً عن رؤيتها وعلمها إلا إجمالاً ، ومعنى جملة ( يأت بصيراً ) أنه يأتي ذا بصارة ومعرفة بحالي التي أنا عليها اليوم في البلاط ، أو تقول معنى ( يأت بصيراً ) يأت مبصراً ، بذهاب ما كان على عينيه من بياض ، فإن هذا القميص ، متى بلغه خبره ، سيكون أكفاً في شفائه من كل الكحالين الحاذقين ، وأنفذ من عملية جراحية يجريها لعينه طبيب حاذق فانه حالاً أو بالتدريج يَنْقَمَه ، ويُبَلِّدَ ويتعش ، وإن اتيانه اليّ ، واجتماعي به لهوا العزاء الباقي لي عن جميع ما أتى عليّ من كل الحوادث المؤلمة والضيقات الفاجعة ( واثتوني ) على جناح السرعة ( بأهلكم أجمعين ) لنعيش جميعاً في هذه البلاد تحت رضا أئينا الشيخ الجليل ، وتحت رعاية « الريان » المليك المعظم ، فها أنا انتظركم انتظار الظمآن لورود الماء ، وها هي ذي أبواب مصر مفتوحة أمامكم على المصراعين ، فادخلوا إن شئتم من باب واحد ، أو ادخلوا من أبواب متفرقة ، لا فرق في ذلكم ، فأنتم على كل حال آمنون من كل شيء ، فالبدار البدار ، فانه لا يحول بيننا وبينكم رتاج ، وليس هناك من جبال ولا أمواج .

قوموا اثتوني بأهلكم أجمعين ، فاني أريد ذلكم لخيركم فقط لا لخيري ، والافانا مستغن عنكم بالله تعالى ، لا أسألكم دنيا ، ولا أستفتيكم عن دين ،

قلت لكم اثتوني بأهلكم أجمعين ، من كل ما خولكم الله ، من عقيلات ، من بنين وبنات ، من عبادان وخدامات ، لا تتركوا وراء ظهوركم شيئاً منوطاً بكم ، ارجعوا لمصر ، وقولوا : « على فلسطين السلام » وأنا لا أقول لكم : بيت الضيق يسع ألف صديق ، لا .. بل أقول : انكم ستجدون عندي مراغماً كثيراً وسعة ، أنتم ليس لكم في فلسطين مَبْرُك نَاقَة ، ولا مَفْحَص قطاة ، سوى ما لأبي في شكيم من قطعة الحقل ، ( إنظر تك ٣٣ : ١٩ و ٤٨ : ٢٢ و ٥٠ : ٢٥ ويش ٢٢ : ٣٣ ) واني أخشى أن ينشب الجوع أظفاره بكم ،

وإذا رأيت الأمن عزّ ببلدة وخشيت منها أن يضيق المطلب  
فارحل فأرض الله واسعة الفلا طولاً وعرضاً شرقاً والمغرب

قلت : أسرعوا الكرة واثتوني بأهلكم أجمعين ، فلنا ولهم رب اسمه الكريم ،  
والصلة التي بيني وبينكم - والحمد لله - لا تزال وثيقة ، لا ينال منها الدهر ، ولا تأخذ  
منها عاديات الأيام ، ولا يؤثر عليها شيء من تلكم الحوادث الغابرة ، أليس انكم  
إخوتي ؟ ... وهل يوجد قوة في الأرض تستطيع أن تقطع هذه الصلة ؟ ... كلا ..  
لان لحمي من لحمكم ، ودمي من دمكم ، يسوءني ما يسوءكم ، ويسرني ما يسركم ،  
أنا لكم ، وأنتم لي ، والله للجميع ؛

اثتوني بأبي ، واثتوني بأهلكم أجمعين ، فقد قيل : «اتَّخِذْ النَّاسَ آبَاءً وَأَخًا  
وَابْنًا ، ثُمَّ بَرِّ أَبَاكَ ، وَوَصِّلْ أَخَاكَ ، وَارْحَمْ ابْنَكَ ، ، فلذلك بالاولى أريد أن  
أبرّ أبي ، لأنه والدي على الحقيقة ، واريد أن أصلكم ، لأنكم إخوتي على الحقيقة ،  
واريد أن أرحم أبناءكم ، لأنهم كابني منسى وأفرايم .

الى هنا ينتهي مرعى كلام يوسف عليه السلام .  
وفي الختام أيها السادة اياكم أن تظنوا أنني بهذه الكلمات التي سطرتها يدي  
الحقيرة ، سأعتر وأقول :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائد

حاشا لي من هذا ، ومن أقل من هذا ، فأنا الفقير تراب حقير ، أصيب وأخطيء  
وأسرع وأبطيء ، ولكني أقول :

هذا ما وصل اليه فهمي القاصر ، فان حاز قبولاً عند أهل العلم والنظر ، فهو  
من فضل الله عليّ ، إذ أصبت المخرّ ، بل ومن فضل الله عليهم ، إذ لم يغمطوا  
الحق ، وان لم يرق في أعينهم ، فليضربوا به عرض الحائط وليرجعوا الى ما قاله  
سادتنا المفسرون .  
( مرعى )



( اذهبوا بقيصي هذا ... )

— ٤ —

ثم نهض السيد عبد الحق الطوموي (١) وقال :

### تفاوت فهم العلماء في دلالة النصوص الاضافية

سمعت في هذه الجلسة من بعض الاخوان الحاضرين انتقاداً سرياً على السيد الغمراوي في ذهابه الى أن « القميص » هو الكسوة الرسمية المعمولة من الكتان التي قدمت ليوسف من ملك مصر ، وهي من الألبسة الرسمية التي لا يلبسها الا الملوك وكبار أهل البلاط والكهنة، ثم انتقد كذلك على مولانا عبد الحي الدمياطي في قوله إن هذا « القميص » هو قميص معنوي رُتبيّ هو عبارة عن « وزارة المالية » في البلاط ، أو عبارة عن انه « عزيز مصر » أو وكيل مطلق عن ملكها، وقال هذا المنتقد ، كيف يجوز لنا أن نخالف ما فهمه السادة المفسرون من قبلنا ؟ هذا انتقاد الأخ المحترم واني الآن ، أريد أن أضخم صوتي الى صوت السيد الغمراوي ومولانا الدمياطي في تفسيرهما القميص ، وجميعاً عن انتقاد من انتقد عليها فأقول :

غير خاف إن دلالة النصوص الاضافية تختلف باختلاف درجات فهم السامعين وقد كان أبو هريرة وعبد الله بن عمرو ، أحفظ الصحابة للحديث ، وأكثرهم رواية له ، وكان الصديق وعمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت أفضه ، بل عبد الله ابن عباس أيضاً هو أفضه منها ومن عبد الله بن عمرو .

وان لنا على تفاوت فهم العلماء لما يسمعونه من الكلام شواهد :

منها ١- قد أنكر النبي ﷺ على عمر فهمه إتيان البيت الحرام ، عام الحديبية

(١) نسبة الى الطوموم من البلاد المصرية .

من اطلاق قوله له : ﴿ انك ستأتيه وتطوف به ﴾ ، فانه لادلالة في هذا اللفظ على تعيين العام الذي يأتيه فيه .

ومنها ٢ - أنكر صلى الله عليه وسلم على من فهم من قوله « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر » - شمول لفظه لحسن الثوب وحسن النعل ، وأخبرهم أن الكبر بطر الحق وغمط الناس .

ومنها ٣ - أنكر صلى الله عليه وسلم على من فهم من قوله : « من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه » - انه كراهة الموت ، وأخبرهم أن الكراهة للكافر ، إذا احتضر وبشر بكرامة الله ، أحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه

ومنها ٤ - أنكر صلى الله عليه وسلم على من فهم من قوله تعالى : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ ﴾ ( ١٢٢:٤ ) ان هذا الجزاء انما هو في الآخرة ، وبين ان هذا الجزاء قد يكون في الدنيا بلهم والحزن والمرض والنصب وغير ذلك من مصائبها ، وليس في اللفظ تقييد الجزاء بيوم القيامة ..

ومنها ٥ - أنكر صلى الله عليه وسلم على من فهم من قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ( ١٨٢:٦ ) - انه ظلم النفس بالمعاصي ، وبين انه الشرك ، وذكر قول لقمان لابنه ﴿ إِنْ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ( ١٣:٣١ ) ، مع ان سياق اللفظ عند اعطائه حقه من التأمل يبين ذلك ، فإن الله سبحانه لم يقل : ولم يظلموا أنفسهم ، بل قال : ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ولبس الشيء بالشيء تغطيته به واحاطته به من جميع جهاته ولا يغطي الإيمان ويحيط به ويلبسه الا الكفر .

ومنها ٦ - فهم ابن عباس من قوله تعالى : ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ ( ١٥:٤٦ ) مع قوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾

(٢:٢٢٣) — ان المرأة قد تلد لسته اشهر ، ولم يفهمه « عثمان » فهم برجم امرأة ولدت بعد ستة اشهر من زواجها ، حتى ذكره ابن عباس فأقر به .

ومنها ٧ — لم يفهم « عمر » من قوله ﷺ : « أُمرتُ ان اقاتل الناس حتى يقولوا : « لا إله إلا الله » ، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم ، إلا بحقها » — لم يفهم من هذا قتال مانبي الزكاة ، حتى بين له الصديق ذلك ، فأقر به ..

ومنها ٨ — ماروى ان « عمر » استعمل « قدامة » بن مظعون على « البحرين » فقدم « الجارود » على عمر فقال : « ان قدامة شرب فسكر » — فقال عمر : « من يشهد على ماتقول ؟ » — قال الجارود : « ابو هريرة يشهد على ماقول » — فقال عمر : « ياقدامة اني جالدك » — قال : « والله لو شربت كما يقولون ما كان لك ان تجلدني » قال عمر : « ولبة ؟ » — قال : « لأن الله يقول : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا ، اذا ما اتقوا وآمنوا وعمالوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا واحسنوا ﴾ (٥٦:٥) فأنا من الذين آمنوا وعمالوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا واحسنوا ، شهدت مع رسول الله ﷺ « بدرأ » و« أهدأ » و« الخندق » و« المشاهد » — فقال عمر : « الا تردون عليه قوله ؟ » — فقال ابن عباس : « ان هذه الآيات أنزلت عذراً للماضين ، والا فالخمر محرمة على الباقين ، لأن الله يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان ﴾ (٩٣:٥) — قال عمر : « صدقت » ، وتوضيحه ان هذه الآية التي تمسك بها الجارود ، إنما وردت جواباً لسؤال بعض الصحابة الذين استشكلوا عند نزول هذا الخطر في الخمر والميسر — حال من مات من المؤمنين الذين كانوا يشربون الخمر ، وبأكلون الميسر ، ولاسيما من حضر منهم غزوتي « بدر » و« أهدأ »

وكان امر الحجر عندهم أهم ، ومنهم من كلم النبي ﷺ في ذلك ، وفي رواية انهم سألوا عمن ماتوا ، وعن الغائبين الذين لم تبلغهم آية القطع بالتحريم ، فنزلت هذه الآية جواباً لهم ، وقيل ان الآية نزلت فيمن كانوا يشددون على أنفسهم في الطيبات من الطعام والشراب ، لافي الحجر ، ولو يتأمل الانسان سياق الآية لفهم المراد منها على نحو ما نقول ، فانه انما رفع الجناح عنهم فيما طعموه متقين له فيه ، وذلك انما يكون باجتناب ما حرمه من المطاعم ، فالآية لا تتناول المحرم بوجه ما .

ومنها ٩ - انه فهم من فهم من قوله تعالى ﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (١٩٥:٢) حرمة انغماس الرجل في العدو ، حتى بين له « أبو أيوب » الأنصاري أن هذا ليس من الالقاء بيده الى التهلكة ، بل هو من بيع الرجل نفسه ابتغاء مرضاة الله ، وان الالقاء باليد الى التهلكة هو ترك الجهاد ، والاقبال على الدنيا وعمارتها .

ومنها ١٠ - قال « الصديق » رضي الله عنه : أيها الناس ، انكم تقرؤون هذه الآية ، وتضعونها على غير موضعها ؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (١٠٨:٥) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » ، فاخبرهم أنهم يضعونها في غير موضعها في فهمهم منها خلاف ما أريد بها ، كيف وهم لا يهتدون إلا إذا غيروا المنكر (١)

ومنها ١١ - أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقالت : « يا أمير المؤمنين ، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه اليك ، وهو يقوم بطاعة الله عز وجل » - فقال لها : جزاك الله خيراً من مثنية على زوجها - فجعلت تكرر عليه القول ، وهو يكرر عليها الجواب ، وكان

« كعب بن سؤر » حاضرأ ، فقال له : « اقض ياأمير المؤمنين بينها وبين زوجها » - فقال « وهل فيما ذَكَرْتِ قضاء ؟ » - قال « إنها تشكو مباحدة زوجها لها عن فراشها ، وتطلب حقها في ذلك » - فقال له عمر : « أما إذْ فهمتَ ذلك فاقض بينها » - فقال كعب : « عليّ بزوجها » ، فأحضر ، فقال : « إن امرأتك هذه تشكوك » - قال « أقصرت في شيء من نفقتها ؟ » - قال : « لا » - فقالت المرأة شعراً :

آلهي خليلي عن فراشي مسجده  
فلست في أمر النساء أحمده  
فاقض القضا يا كعب لا ترده

ياأيها القاضي الحكيم رشده  
نهاره وليله مايرقده  
زهده في مضجعي تعبده  
قال فقال زوجها :

إني امرؤ أذهلني ماقد نزل  
وفي كتاب الله تخويف جلال

زهدي في فرشها وفي الخلل  
في سورة وفي السبع الطول  
فقال « كعب » :

ومن قضى بالحق جهر أو فصل  
تصيبها في أربع لمن عقل  
فأعطاها ذاك ودع عنك العليل

وأن خير القاضيين من عدل  
إن لها عليك حقاً يارجل  
قضية من ربنا عزوجل

ثم قال : « إن الله تعالى قد أباح لك من النساء أربعاً ، فلك ثلاثة أيام وليالهن ، تعبد فيها ربك ، ولها يوم وليلة » - فقال عمر : « والله ما أدري من أي أمريك أعجب ، أفمن فهمك أمرها ، أم من حكمك بينها ؟ . اذهب فقد وليتك قضاء البصرة » ذكر هذه الحكاية التيجاني في « تحفة العروس » نقلاً عن صاحب « الموفقيات » عن إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن معن ، ثم قال : وذكر « الرشاطي » هذا الحديث في كتابه المسمى « باقتباس الأنوار » وزاد بعد قوله « يوم وليلة »

« فلا تصل في ليلتها إلا الفريضة »، وحكى أن « كعب بن مؤر » هذا ، شهد يوم الجمل ، فلما اصطفت الناس للقتال ، أخذ مصحفاً في يده وخرج يناشد الناس في دمائهم ، فقتل على تلك الحالة .

ومنها ١٢ - ماروي عن عمر ، انه كان على المنبر فقرأ ﴿ أو يأخذم على تخوفٍ ﴾ ( ٤٧:١٦ ) ، ثم سأل عن معنى التخوف ، فقال له رجل من هذيل « التخوف عندنا : التنقص » ثم أنشده :

تخوفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا      كما تخوفَ عودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ  
« التامك » العظيم السنام ، و« القرد » الكثير القردان ، و« عود النبعة » شجر للقسي والسهم ، و« السفن » الحديدية التي يبرد بها خشب القوس ، وعلى ذلك فهو يقول : إن الرحل تنقص سنام الناقة ، كما تأكل الحديدية خشب القسي .

ومنها ١٣ - انه جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : تركت في المسجد رجلاً يفسر هذه الآية : ﴿ يوم تأتي السماءُ بدخانٍ مبينٍ ﴾ ( ١٠:٤٤ ) ، قال « يأتي الناس يوم القيامة دخان ، يأخذ بأنفاسهم ، حتى يأخذهم كهيئة الزكام » - فقال ابن مسعود : « من علم علماً فليقل به ، ومن لم يعلم ، فليقل الله أعلم » ، انما كانت هذا ، لأن قريشاً استعصوا على النبي ﷺ ، فدعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحط وجهد ، حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد .

ومنها ١٤ - أشكل على ابن عباس أمر الفرقة الساكتة من اليهود ، التي لم ترتكب ما نهيت عنه ، هل عذبوا ونجوا ؟ حتى بين له مولاه « عكرمة » دخولهم في الناجين ، دون المعذبين ، وهذا هو الحق ، لأنه سبحانه ، قال عن الساكتين : ﴿ وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً ؟ ﴾ ( ١٦٣:٧ ) فاخبر انهم أنكروا فعلهم ، وغضبوا

عليهم ، وان لم يواجههم بالنهي ، فقد واجههم به من أدى الواجب عنهم ، فات الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فرض كفاية ، فلما قام به أولئك ، سقط عن الباقيين ، فلم يكونوا ظالمين بسكوتهم ، وأيضاً فإنه سبحانه إنما عذب الذين نسوا ما ذكروا به ، وعتوا عما نهوا عنه ، وهذا لا يتناول الساكتين قطعاً ، فلما بين « عكرمة » لسيده ابن عباس أنهم لم يدخلوا في الظالمين المذبذبين ، كسأه برده ، وفرح به (١).

ثم تابع الخطيب « عبد الحق الطمومي » كلامه قائلاً :

وإذ وصلنا ههنا ، فاعتبرونا - يارعاكم الله - بمنزلة عكرمه ، واعتبروا أنفسكم بمنزلة ابن عباس ، فكما قبل ابن عباس تفسير عكرمة ، وفرح به وكسأه برده ، فاقبلوا تفسيرنا وافرحوا به فقط ، ولا تزيد منكم أن تكسونا برودكم ، بل إن شاء الله تسلم برودنا منكم . وعرضنا ودعة عندكم . ( قالون )

( اذهبوا بقميصي هذا ... ) الخ

وقال الفاضل السيد يوسف المجدلي (٢)

رد تفسير كلمة « بصير » بمبصر « ضد الاعمى »

اني أوافق السيد الغمراوي ومولانا عبد الحي الدمياطي على تفسيرها «القميص» بالرتبة العالية ، و« بصير » بعالم ، ومنع أن يكون « بصير » بمعنى مُبصر بعينه ، وأزيد ههنا كلمة وجيزة ، وهي أنه من عرف سيدنا يوسف أن أباه صار أعمى حتى يقول « بصيراً » ويريد مبصراً ، وأما قول بعض المفسرين كالبعثي وأمثاله :

(١) الطرق الحكيمة

(٢) نسبة الى بلدة المجدل بالقرب من غزة ( فلسطين )

« لما عرفهم يوسف نفسه ، سألمهم عن آبيه فقال ما فعل أي بعمدي ؟ - قالوا : ذهبنا من البكاء فأعطاهم قميصه ، وقال : إنذهبوا بقميصي هذا ، فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً ، أي بعد مبصراً ، فيحتاج إلى برهان يثبت ، لأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ، ولا يجوز التهجم على الغيب إلا ببرهان ، قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ ( ٢٧ : ٧٢ ) ، والبنوي وأمثلة من المفسرين ، ليسوا رسلاً ، حتى يظهرهم الله على غيبه ، فيقولوا : إن يوسف سألمهم عن آبيه ... الخ .

هذه كلمتي الوجيزة على معنى الآية الكريمة ، واسمحوا لي أن ألحقها بالمواد التالية :

### قَمِيصُ يَوْسُفَ كَانَ دَنَّا رَأً

المادة ١ - كل مايلي الجسد من الثياب فهو « شعار » وكل مايلي الشعار فهو « دنار » وظاهر أن القميص الذي كان يلبسه يوسف من قبيل الدنار .

### أشياء فوق الطبيعة في سورة يوسف

المادة ٢ - إذا قرأ المؤمن هذه السورة الشريفة وقع نظره على أشياء ، هي مما فوق الطبيعة ، مامن ذلك بد :

فمنها أولاً - رؤيا يوسف في حلمه سجد الأحد عشر كوكباً له والشمس والقمر ، ثم وقوع مصداق تلك الرؤيا كما رأى حرفاً بحرف .

ومنها ثانياً - بشارة يعقوب لابته ، بأن سيحببته رببه ، ويعلمه من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليه وعلى آل آبيه ، كما أتمها على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق ، ثم وقوع ذلك حذو القذة بالقذة (١) .

(١) القذة الاذن .



ومنها ثالثاً - تقطيع النسوة أيديهن بالسكين ، بدون أن يُحْسِنَ بلمبل كن غائبات عن شعورهن ، كما غا خُدَّرت أيديهن تخديراً موضعياً .

ومنها رابعاً - حلما الفتيين في السجن ، وتأويل يوسف لهما ، فوقع ذلك التأويل حسبها تكلم يوسف لا أكثر ولا أقل .

ومنها خامساً - حلما ملك مصر الريان ، فتأويلها ، فتصديق الواقع لذلك التأويل ..

ومنها سادساً - اعتذار سيدنا يعقوب لأولاده ، أو احتجاجه عليهم حين انتقدوا كثرة ذكره ليوسف ، فقال لهم : « واعلم من الله مالا تعلمون » اي من حياة يوسف ، ثم ظهور صحة هذه الدعوى يوم ماجأوه من مصر «بالقميص» فقال لهم : « الم اقل لكم : إني اعلم من الله مالا تعلمون ؟ »

ومنها سابعاً - وجود يعقوب رائحة ولده وقتما كان البشير حاملاً قميصه ، خارجاً من آخر حدود مصر ، داخلًا في اول حدود فلسطين ، « فالذين يقرأون هذه السورة المحيية من الناشئة الجديدة يرون فيها مالا يوافق مشربهم من القول بالمعجزات والكرامات ، والاعتقاد بالكشف ، وبما فوق الطبيعة ، بما يرونه حديثاً ماضياً ، لا يليق بالتربية العصرية ، التي ينبغي أن تكون مبنية على محض الحقائق الفنية ، وقلما يعظم في عين هذه الناشئة كتاب ينطوي على هذه العقائد ، مها كان مقدساً ، وقصارى ما هناك أنهم يحترمون ذلك الكتاب لكونه مقدساً ودينياً ، أو يحترمونه احتراماً تقليدياً لآبائهم وأسلافهم ، أو لاعتبارات أخرى .

ونحن نحب هذه الطبقة التي قد توجه مثل هذا الانتقاد إلى مثل هذا المقام بأن العالم المتمدين لا يزال حتى هذه الساعة منقسماً إلى فريقين ، روجي ومادي ، وإن الفريق الروجي هو أكبر جداً ، وأحصى عدداً من الفريق المادي ، بل يوجد في أوروبا وأميركا واليابان عدد لا يحصى من فحول علماء الطبيعة ، يعتقدون

بوجود العالم الروحي ، وآخرون يعترفون بأن مُشكِل الروح لم ينحل بعد ، وأنه لليوم لم يكنه أحد سر الروح واتصالها بالجسد ؛

وإذا رأينا أناساً مثل « فلمايون » الفلكي الشهير ، و« فكتور هوغو » أكبر شعراء الفرنسيين ، وسواهما من صِيابة (١) العلماء — يعتقدون باستحضار الأرواح ، ويشهدون بوقوع المحاورات بينهم وبين الأموات ، وعرفنا أن جمعيات لاتمد ولاتحصى في أوربا مؤلفة خاصة للمباحث الروحية ، واثبات الحوادث التي لاتعمل إلا بوجود شيء وراء المادة — إذا تأكد لدينا هذا كله لم يحق لنا أن نعجب من اعتقاد بعض العظماء بالخوارق والكرامات والمناسبات الروحية ؛ ويوجد اليوم قسم من الناشئة يعتقدون أن علو الدرجة في التعقل والتبحر في العلم كثيراً ، يقتضيان رفض ما وراء المادة مما ورد في الدين ، ولكن نحن إذا علمنا أن رجالاً مثل « باستور » بمكان من العلم والاكتشافات الحرثومية التي لم يسبق إليها أحد ، ورجالاً مثل « علاسطون » في الشهرة وتوقد الذهن ، كانوا من أشد الناس تمسكاً بالدين — ظهر لنا أن الالحاد التام ، ورفض الاعتقاد بما هو خارج عن المادة ليسا بشرط في علو درجة العقل ، ولا قيدياً في التبحر في العلم (٢) .

### عظمة يوسف يتوخي المنفعة لاهله ولو بعد ما اهانوه

المادة ٣ — تعليقاً على قوله : « واثتوني باهلك أجمعين » : علم يوسف عليه السلام أن الرجل العظيم هو من يتوخي للناس المنفعة ، ويوطيء لهم أسباب السرور ، ولو كانوا قد اهانوه ، ولذلك طلب اليهم الإتيان بأهلهم وكان هذا التوجه وهذه العناية من سيدنا يوسف في محلها وعند وقتها ، لأنهم كانوا في فلسطين

(١) الصيابة الحالص والصميم والسيد .

(٢) مأخوذ من تعليقات الامير شكيب ارسلان على كتابه « حاصر العالم الاسلامي » .

في ضيق عظيم ، فكان من رحمة الله أن سخر لهم قلب يوسف ، وحنّته عليهم ، حتى لو لم يعثروا على يوسف أخيهم ، لكانوا في حاجة شديدة إلى يوسف آخر يعثرون عليه ، لينقذهم من شدتهم ولأوائهم ، ويأمرهم بالإتيان بأهلهم أجمعين ، ولا يخفى ما في هذا العمل الذي تكرم به يوسف ، من نسيان أو تناسي ما كانوا عملوا معه من بخلهم عليه بوجود شخصه بينهم ، فهل آن لنا أن نفتدي بهذا القسوة الطيبة ، وفتناسي أعمال أعدائنا معنا ، لاسيما إذا كانوا من أقاربنا وذوي رحمتنا !.

وربما يكون سمح عن إخوته ، ورغب اليهم في رجوعهم لمصر ، لكي يعيشوا عنده عيشة طيبة ، مراعاة لوالده الشيخ الجليل ، ولأهل إخوته وسلائهم ، كما قيل : « بعلة الزرع يسقى الضرع » وقيل : « لأجل الورد يشرب العليق » ، وأيضاً فقد رأى يوسف انه لا يحسن انفراده بالعيشة بمصر ، متمتعاً بالنعم الرغد ، دون إخوته وسلائهم ، وهذا هو مذهب العرب حيث يقول قائلهم (١) :

ولو أني حبيت الخلد فرداً      لما أحببت بالخلد انفراداً  
فلا هطلت عليّ ولا بأرضي      سحائب ليس تنتظم البلادا

وهذا هو تعليم الدين الاسلامي ، كما في الحديث الصحيح : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وهو أيضاً التعليم المسيحي ، كما نقل عن السيد المسيح انه قال : ﴿ كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ، افعلوا هكذا أنتم أيضاً ﴾ (مت ١٢: ٧).

## لزوم استخدام المال والمنصب والجاه في منفعة ذوي الرحم

المادة ٤ - تعليقاً ثانياً على قوله « واثتوني بأهلكم أجمعين »: المال والمنصب

والجاء هو لصالح المماش والدنيا ، وشرف المنزلة في أعين الناس ، فيجب استخدام ذلك كله للأقارب والإخوان ، فمن كان له مال أو منصب ولا ينفع بها ذوي رحمه كان كالذي يمد فقيراً ، وإن كان موسراً ، ويحسب سوقة ، وإن كان ذا ولاية ، وإن أولى ما يكون في المال والجاه استخدامهما في سبيل صلة الرحم ، واستثمارهما لمنفعة الأقارب ، فلذلك أراد يوسف أن تشاطره إخوته وأهله جميعاً في ثمار هذا المركز ، الذي أعطاه الله إياه .

### أوصاف المؤمنين الاربعة تمت ليوسف

المادة ٥ — بما جرى ليوسف وما أتاه هنا ، تمت فيه الأوصاف الأربعة المذكورة في ضمن قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَانصُرُوا ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٤:٨) ، فيوسف هاجر من فلسطين بلاد الخوف ، لمصر بلاد الأمن ، وجاهد نفسه بترفمه عن النزول على إرادة سيده ، وآوى إخوته وأهلهم ، ونصرهم على شيطانهم ، لانه غفر لهم وصفح عنهم .

وما أنسب ما وقع من يوسف بالمراتب الثلاث المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَالكَافِرِينَ الْغَيْظَ ، وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤:٣) فهو عليه السلام كظم غيظه بقوله : « لا تثرِبْ عليكم اليوم » ، ثم عفا عنهم بقوله « يغفر الله لكم » ، ثم أحسن اليهم بقوله : « واثنوني باهلكم أجمعين » ونظير هذا ما وقع ( للمأمون ) حينما كان خادم وضوئه يصب عليه ، فسقط الاناء ، فغضب المأمون ، فقال له الخادم ، « والكافرين الغيظ » - فقال « كظمت غيظي » - قال « والمافين عن الناس » - فقال « عفوت عنك » - قال « والله يحب المحسنين » - فقال « اذهب فأنت حر » .

وكان « المنصور أبو عامر » - وهو أحد ملوك اسبانيا ، وإن شئت قلم :  
الأندلس - أمر بسجن فتى ، لأن عليه ثلاثة آلاف دينار للخزينة ، ثم عفا  
عن سجنه ، فقال الفتى :

أما ترى عفو أبي عامر  
كذلك الله إذا ماعفا

لا بد أن تتبعه مئة  
عن عبده أدخله الجنة

فسأله « المنصور » في ذلك المال .

### حال اخوة يوسف عند مفارقتهم له لجلب اهلهم لمصر

المادة ٦ - كانى باخوة يوسف العشرة ، بعد هذه المبادلات في الحديث ،  
وبعدما فارقه ، عتب بعضهم على بعض ، وتبرأ قسم منهم من القسم الآخر ، ولا بد  
أن يكون « رأوين ويهوذا » من اللاتين ، كما أنه لا ريب أن « شمعون » كان من  
المومنين ، أو رئيس المومنين ، أو هو الموم وحده ، ولأنشك في أن « دان وفتالى »  
كان لحقها وهما أمام يوسف ، خجل عظيم مامن ذلك بد ، وسببه أنها ابنا « بلهه »  
جارية أم يوسف ، وهي التي انتقل يوسف هو وشقيقه ( بنيامين ) لخيمتها ، بعد  
موت أمها ( راحيل ) ، فترىا عندها مع ولديها المذكورين ، ثم هل هذه  
الحادثة على هذا الوجه ، توقظ العاقل ، فيشح بنفسه ، ولا يطوح بها في المشي وراء  
الغايات النفسية .

### نتيجة رحلة بني إسرائيل لمصر

المادة ٧ - كانت النتيجة من رحلة بني إسرائيل لمصر ، أنهم بعد موت  
يوسف عليه السلام استعبدوا في مصر ، أيام فرعونها ( آحس الأول ) مؤسس  
الدولة الثامنة عشرة ، إلى أيام ( سبتي الأول ) منشيء عظمة الدولة التاسعة عشرة ،  
إلى أيام ابنه ( رعسيس الثاني ) أعظم ملوك هذه الدولة المذكورة ، ثم أخيراً

توثقوا كالمصريين ، وكان السبب الأساسي في ذلك هو حركة ( شمعون ) الثورية ، التي كانت حين كان يوسف ابن ١٧ سنة يوم عدائه الشديد ليوسف عليه السلام ، يوم مفاوضته لآخوته في قتله أو طرحه أرضاً ، يوم ما قرروا أخيراً بإجماع الكلمة القاءه في جب ( دونان ) فلعنة الله على تلك الساعة المشؤومة ، تلك الساعة الشيطانية ، ساعة النحاسة ، التي لا يمثّلها اليوم سوى ما حدث في ( الحرب العالمية الأولى ) ، مع النظر لسببها الأساسي ، وهو اطلاق ( برنزيب ) الصربي رصاصة على ( الارشيدوق فرنز ) ولي عهد النمسا عام ١٩١٤ م .

### الارهاص والمعجزة

المادة ٨ - إن حملنا قوله « يأت بصيراً » على معنى « يصير بصيراً » تكون الحادثة من قبيل خوارق العادة ، فإن كان هذا قبل نبوة يوسف ، كان من قبيل الإرهاص ، وإن كان بعدها كان من قبيل المعجزة .

### عطايا يوسف لآخوته عند زهابهم لحلب أهلهم

المادة ٩ - ( اعطاهم يوسف عليه السلام عجلات ، أي مركبات تجرها الحيوانات ، لأجل أبيه وأولادهم ونسائهم ، وأعطاهم زاداً للطريق ، وأعطى كل واحد منهم حبل ثياب ، وأما بنيامين فاعطاه ثلاثمائة من الفضة وخمس حبل ثياب ، وكانت هبة الثياب تعد في الشرق اكراماً ممتلئاً ، وأرسل لأبيه عشرة حمير حاملة من خيرات مصر ، وعشر أتن حاملة حنطة وطحاماً ، لأبيه لأجل الطريق ، أي طريق الحجىء إلى مصر ) ( تك ٤٥ : ٢١-٢٣ ) .

## عودة القافلة بالبشارة

آ (٩٤) \*... ولما فصلت العيرُ ، قالَ أبوهم : إني لأجدُ  
ريحَ يوسفَ !! لولا أن تُفَنِّدُونِ ... \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية الرابعة والتسعون فقام مولانا عبد الحي  
الدمياطي وقال :

صدع اخوة يوسف بأمر أخيه ، وانصاعوا لشارته ، وركبوا دوابهم ،  
ونشطوا في المَدْوِ ، وساروا سيراً حثيثاً ، لابلون على شيء ، حتى جاوزوا  
الحدود المصرية ، ( ولما فصلت ) أي انفصلت ( العير ) الإبل ، وتمدّت « الفرما »  
وهي آخر حدود المملكة المصرية ، وهم يحملون بشرى اسناد « وزارة المالية »  
لمهدة أخيه يوسف ، ونبأ ذلك « القميص » الكريم الذي قصه الله إياه ،  
( قال أبوهم ) يعقوب عليه السلام ، حسباً ألهمه الله تعالى ، وهو جالس بين ظهرائي  
أولاد أولاده ( إني أجد ) — من الوجدان الذي كما يطلق على الحسي ، يطلق على  
المعنوي — أي أجد بقلبي وادرك بالهامي ، ( ربح ) عمكم ( يوسف ) — والربح  
ههنا بمعنى القوة والمنصب والشوكة والدولة والغلبة والنصرة ، فإنها تأتي بكل هذه المعاني  
كما في معاجم اللغة ، قال تعالى : \* ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ \*  
( ٤٧ : ٨ ) أي قوتكم أو شوكتكم أو دولتكم الخ الخ . . ، ويقولون : « هبت  
ريح فلان » اذا واتاه الدهر وساعدته المقادير وتحسن حاله عن ذي قبل ، وانتصر  
على اعدائه وتغلب وقوي وأعطي مراده ( لولا أن تفندون ) أي تُعَجِّزُونَ  
وتكذبون وتُسَفِّهُونَ ونجھلون وتضعفون وتُهرمون ، — والتفنيد النسبة إلى الفند،  
وهو الخرف وانكار العقل من الهرم ، — أي لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني .

هذا ما أقوله أيها السادة تكميلاً وتعظيماً لما ذهبت إليه سابقاً من أن هذا « القميص » هو أمر معنوي عبارة عن رتبة الوزارة والله تعالى أعلم .

( ولما فصلت العير . . الخ )

— ٢ —

وقام الشيخ نور الدين المدرس في جامعة عليكرة في الهند وقال :

### تخيل يعقوب رائحة يوسف مع النسيم

كان يوسف عليه السلام تكلم مع اخوته بكلامه الآنف الذكر ، فسمعوا ما لم يحجر في ظنهم ، ولا سنع على فكرهم ، سمعوه فأميتت خيقتهم ، واتعشت أرواحهم فقالوا : « نفعل مأمورين طائعين » ، ثم ركبوا دوابهم ووخزوها وأطلقوا لها الأعنة ، وهم ينهبون الأرض نهباً ويطوون البيداء طياً ، ساروا ووجهتهم فلسطين ، يقطعون السهل والوعر ، وهم يودون أن يطيروا على أجنحة النسيم ، وصاروا يتفكرون في أمر يوسف ، ويتعجبون من هذا الحال الذي وصل إليه أخوهم ، ويرددون بينهم وبين أنفسهم معنى قول الشاعر :

والجدّ يفتح كل باب مُغلق	الجدّ يدني كل أمر شاسع
عوداً ، فأثمر في يديه ، فحقق	فاذا سمعت بأن مجدودا حوى
ماء ليشربه ، ففاص ، فصدق	واذا سمعت بأن محروماً أتى

مشت دوابهم في تلك الصحراء الرملية ، منحدره تارة ، ومرتفعة اخرى ، وهي تمخر عباب السراب مخراً ، حتى قاربوا آخر حدود مصر ، ولما انفصلت دوابهم من « العريش » آخر حدود المملكة المصرية ، وجاوزت حيطانه ، قال يعقوب بلسان الدهشة ، وبصوت مخنق ، ونفس أسيفة ، وهو جالس بين ظهراي أولاد أولاده : « يا حقدتي ، يا للعجب ! لعمري إنه يلوح لي أن الزمان المنتظر قد اقترب ، إنني لأجد



ريح عمك يوسف العاطر ، وأن « نسيم الصبا جاءت برّيا القرنفل » قد حمله  
النسيم الى قلبي فأنمّشه ، وإلى أنفي فملأه عرفاً شذيا ، — هذا ما قاله  
يعقوب ايها السادة ، شأن كل عاشق إذا سرت « نسمة عطرة » ووجد ريح  
معشوقه فيها ، وإذا ومض « البرق » ظن أنه وميض ثغره ، وإذا سمع « تغريد  
الطيّار » تخيل أنه صوت حبيبه ، وإذا لمس « ثوب قطيفة » ، تصور أنه لمس  
جسمه ، وإذا رأى « غصناً معتدلاً » خال أنه قوامه ، وهكذا ... وهذا التنوع  
من التطورات لا يدركه إلا أهل الحب كما قال :

لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده ولا الصبا به إلاّ من يعانها

وبعبارة اخرى : كان يخيل لسيدنا يعقوب عليه السلام ، أن يوسف ملأ قلبه ، ثم  
فاض عنه الى جميع الكائنات التي بين يديه ، فكان يرى في « صفحة السماء » صورة  
يوسف ، ويسمع في « تغريد البلابل والشحارير » صوت يوسف ، ويستشرق من  
« لألأ الشمس » نور يوسف ، ويترآى له من « باقة الورد والياسمين والفل » لون  
يوسف ، ويستروح في « النسيم العطير » رائحة يوسف ، ويرى في « بريق السماء »  
ثغر يوسف ، وفي « الماء الرقراق » رقة عواطف يوسف ،

لقد فصلت « العير » وحمل الصبا رائحة ابنه ، فهاج وجدّه وحنينه وأخذ  
يعانق الهواء ، ويضمه اليه ، كما يضم حبيباً ملقى بين يديه .

واختم كلامي هذا بتوجيهات عديدة ربما نقدر أن نفهم بها كلام سيدنا يعقوب  
عليه السلام ، ونوردها فيما يلي :

### تنسم يعقوب ريح يوسف عابقة من قميص الكتان

التوجيه الأول — لقد اثبت الشعراء ان للحب خصائص ، منها « تواصل  
الأرواح » لاسيما عند القرب ، ومنها « خفق القلوب » عند مرور الأحبة ، ومنها  
« تخيل صورة » المحبوب ، ومنها « تنسم ريحه » ، كلها هبت الصبا ؛ والمحب يتحسس

بما لا يتحسس به سواه ، وعليه فلا غرابة في أن سيدنا يعقوب تنسم ربح ولده عابقة من القميص — على القول بأن القميص لباس — فلهج سبال يخرق الصرة التي فيها القميص ، كما تخرق الكهرباء والحرارة الأجسام .

وعلى هذا المذهب الذي نحا إليه الشعراء وردت عنهم منظومات كثيرة منها قول بعضهم :

أيا جبلي « نعمان » بالله خلّيا      نسيم الصبا يخلص اليّ نسيمها  
فان الصبار يريح متى ماتنسمت      على نفس مهموم أزالته همومها  
ولما صرنا الأديب السيد أحمد عبيدالدمشقي :

وزهرة راق منها منظر عجب      إذا تقطت بنديّ كالدر منتشر  
قد فاتها الأرج الزاكي ولو علقت      بمن أحب لفازت بالشذا العطر  
ولجميل بثينة :

أيار يريح الشمال أما تريني      أهيم وإني بأدي النحون  
هي لي نسمة من ربح « بثن »      ومني بالهبوب الي « جميل »  
ولعلية ابنة المهدي العباسية أخت هرون الرشيد :

ومعترّب « بالمرج » بيكي بشجوه      وقد غاب عنه المُسعدون على الحب  
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه      تنشق يستشفي برائحة الركب  
وقال بعضهم :

واني لأستشفي بكل غمامة      يهب بها من نحو أرضك ربح  
وقال آخر :

ألا يانسيم الصبح مالك كلما      تقربت منا فاح نشارك طيبا ؟  
كأن سليمان نبئت بسقامنا      فاعطتك رّياها ، فجئت طيبا

وقال البحري :  
 ورقّ نسيم الريح حتى حسبته  
 يجيء بأنفاس الأحيّة نغمها  
 ومن ميمية البوصيري :  
 أم هبت الريح من تلقاء كاظمة  
 وأومض البرق في الظلماء من إضم

### حس يعقوب رائحة قميص يوسف بالشم

التوجيه الثاني — ربما ان الله تعالى كان أرسل على الحقيقة ، رائحة قميص يوسف عليه السلام مع نسيم الصبا ، وان الآله القدير الذي أوصل صوت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو على المنبر بالمدينة — الى قائد جيش المسلمين «سارية» بن زُنَيْم ، وقيل ابن رستم الجُلُحي ، وهو في نهاوند (١) لهو قادر على أن يوصل ريح قميص يوسف من آخر حدود مصر الى فلسطين ، وقد قرأنا في الصحف السيارة أنه وقف رجل وامرأة في لندن في غرفة «مختبر» تحتوي على آلة نقل الصورة (تليفزيون) المدهشة التي تحمل الصورة «كما يحمل الراديو الصوت» الى مسافة الالف الأميال ، فشوهدت صورتها في غرفة «مختبر» آخر ، في بلدة قريبة من نيويورك . فكما نؤمن بهذه الحوادث المستندة على آلات وأعمال فنية ، يجب أن نؤمن بالحوادث التي أخبر بها خالق الفنون والآلات .

### تحسى يعقوب برائحة يوسف تحسناً معنوياً

التوجيه الثالث — قال الجاحظ : للعرب إقدام على الكلام ، ثقة منهم بفهم

(١) وفي هذه القصة كرامتان ، احدهما ان عمر (رض) اطلع وهو على منبر حرم المدينة على حال جيش سارية مع العدو في نهاوند ، وان العدو اعد له كميناً في الجبل ، والثانية انه ناداه «ياسارية الجبل» فأسمعه ، كذا روى هذه القصة البيهقي من المحدثين وتناقلها كثير من المؤرخين .

المخاطب من أصحابهم عنهم ، كما جوزوا أن يقولوا : « ذُقتُ » ، لما ليس يطعم ، وهو قول الرجل اذا بالغ في عقوبة عبده : « ذق » ، و« كيف ذُقتَه ؟ » أي وجدت طعمه ، قال الله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (٤٩:٤٤) ، وقال تعالى ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ، بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (١١٢:١٦) وقال تعالى : ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِكُمْ ﴾ (١٥:٥٩) ثم قالوا : « طعمتُ » لغير الطعام ، كما قال العَرَجِيُّ :

فإن شئتُ حرّمتُ النساءَ سواكم وإن شئتُ لم أطعمن تقاخأولاً برّداً (١)

فنتظيره هنا قول سيدنا يعقوب : « إني لأجد ربيع يوسف » حال كون كل من يوسف ، وقميصه ليس له رائحة ، وإنما هو مجاز عن تحسسه بابه تحسناً معنوية على الوجه الذي يفهمه هو ، ويعلمه الله تعالى.

### اقتباس يعقوب ربيع يوسف بدون وساطة الحواس

التوجيه الرابع — ثبت أن الأنفس البشرية يقتبس بعضها العلم من الموجودات بشراً أو غير بشر ، وهذا الاقتباس يكون بدون وساطة الحواس وبدون الاستنباط العقلي ، كما شاهده بعض الأطباء الماديين ، الذين كانوا ينكرون مثل هذا ، فانه روى عن مريض كان يعالجه ذلك الطبيب في مصر القاهره انه — أي المريض — قال : « إن فلاناً — وذكر قريباً له في الاسكندرية — يريد أن يسافر الآن إلى مصر ، لأجل أن يعودني في مرضي » ، ثم أن هذا المريض عين القطار الحديدي الذي ركب فيه ، ثم الوقت الذي وصل فيه الى محطة مصر ، ثم لم تكن إلا مسافة سير المركبة بين المحطة ودار المريض إلا وقد وصل هذا القريب ، وكان ذلك الطبيب ينتظره لاستبانة المكاشفة ؟؟..

(١) فقه اللغة ، والتقاخ كغراب : الماء البارد والنوم في العافية والامن ، والبرد : النوم.

وكان من اخبار هذا المريض انه سيرعف أنفه في ساعة كذا من نهار غد ،  
ويخرج من دمه ما يبلغ وزنه كذا ، فكان كما قال !! .  
هذه حكاية المريض ، فلم لا يجوز أن يقتبس سيدنا يعقوب عليه السلام ريح  
ولده يوسف ، كما اقتبس هذا المريض ريح قريبه ؟ اللهم ان هذا جائز عقلاً  
ومروي نقلاً ..

وفي صحيح مسلم ، ان « أنس بن النضر » قال يوم أُحُد : « واهأ (١) لريح  
الجنة ، أجده دون أُحُدٍ » فقاتل فيه حتى قتل ، وقد ورد في الحديث الصحيح :  
« إن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام » ، فكل هذا وما اليه يحمل على ما سبق .

### ادراك يعقوب رائحة يوسف الهاماً بقلبه

التوجيه الخامس — تعلمون ان الادراك يكون حسياً ، أي بإحدى الحواس  
الخمس ، ويكون معنوياً ، أي بالقلب ، فأما الأول ، فلأن الله جعل في العين ،  
قوة باصرة ، كما جعل في الأذن ، قوة سامعة ، وفي الأنف قوة شامة ، وفي الجلد  
قوة حاسة ، وفي اللسان قوة ذائقة .

وأما الثاني ، وهو ادراك القلب ، فهو انكشاف صورة المعلوم للانسان ، بحيث  
تكون نسبتته إلى القلب ، كنسبة المرئي إلى العين مثلاً ، وقد جعل الله سبحانه  
القلب يبصر ويعمى ، كما تبصر العين وتعمى ، قال تعالى : ﴿ فَإِنهَا لَا تَعْمَى  
الْأَبْصَارُ ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦:٢٢) ، فالقلب  
يرى ويسمع ويشم ويدوق ويمس ، بل هذه القوى فيه ، أبلغ من قوى  
الحواس الخمس ..

والخلاصة : الادراك نوعان ، إدراك بالحس ، وإدراك بالبصيرة ، فادراك

(١) واهأ كلمة تحن وتلهف .

الحس وقوعه على نفس المحسوس أو مثاله الخارجي ، كرؤية وجه الانسان أو رؤية مثاله في المرآة والماء والصورة الشمسية ، وأما الادراك بالبصيرة ، فوقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي ، فيكون ادراكه له بمنزلة إدراك العين مثلاً ، للصورة الخارجية ، أو الأنف مثلاً « للريح » الخارجية ، وقد يقوى سلطان هذا الادراك الباطن ، بحيث يصير الحكم له ، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدرکہا بحيث يستغرق فيه ، فيغلب حكم القلب على حكم الحس ، فيستولي على السمع والبصر والأنف ، بحيث يراه ويسمع خطابه في الخارج ، وكذلك يشم « ريحه » ، وهو في النفس والذهن فقط ، لكن لغلبة الشهود ، وقوة الاستحضار وتمكن حكم القلب ، واستيلائه على القوى ، صار كأنه مرئي بالعين ، مسموع بالأذن ، مشموم بالأنف ، بحيث لا يشك المدرك في ذلك ، ولا يرتاب البتة ولا يقبل عدلاً : وحقيقة الأمر أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية ، تابعة للمعتقد .

فذلك الذي أدرك بعين القلب أو سمع القلب أو « أنف » القلب ، إنما هو شاهد دال على الحقيقة ، وليس نفس الحقيقة ، فإنّ شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ، ليس هو نفس نور الذات الذي لا تقوم له السموات والأرض ، فانه لو ظهر لها ، لتدكدكت وأصابها مآصاب الجبل ، وكذلك شاهد نور العظمة في القلب ، إنما هو نور التعظيم والاجلال ، لا نور نفس المعظم ذي الجلال والاکرام ، وهكذا هنا شاهد « ریح » يوسف ، ليس هو نفس رائحة يوسف ، ولكنه مثاله في المطر والشذا ، وأما نفس رائحته وحقيقتها ، فهي وراء ذلك ؛

فهذه الأمور التي قد يدركها الانسان ، إنما هي شواهد تقوم بقلبه ، كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار ، وما أعد الله لأهلها ، وهذا هو الذي وجده انس بن النضر ( رض ) يوم أُحُد ، لما قال : « واهأ لريح الجنة ، اني أجد ريحها دون أُحُد » ومن هذا قوله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ،

— قالوا : وما رياض الجنة ؟ — قال : حِلَقُ الذِّكْرِ ، وقوله : « ما بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة » ، فهو روضة لأهل العلم والايان ، لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة ، حتى كأنها مرئية لهم رأي العين ؛ ولكن إذا قصد المنافق هناك ، لم يكن ذلك المكان في حقه ، روضة من رياض الجنة ، ومن هذا حديث : « الجنة تحت ظلال السيوف » ( انتهى ملخصاً من بعض كتب الصوفية ) .  
وبناء على ما تقدم فلا مانع من أن المقصود من كلام يعقوب عليه السلام ، انه أدرك بقلبه إلهاماً رائحة يوسف ، ويقصد من تلك الرائحة « الأثر » من آثاره ، كما يقال : « هذا الثوب أو هذا الكتاب أو السيف من رائحة فلان » اي هو اثر من آثاره ، فكأنه يقول : إني لقد اتقي في روعي وصار عندي وجدان قلبي ، من طريق الالهام ادركت به اثرأ من آثار ولدي يوسف ، وهو القميص المزمع ان يكون عندي قريباً .

جواز ادراك يعقوب رائحة يوسف كما يدرك المنوم تنوياً مغناطيسياً للانباء  
التوجيه السادس — للانباء أحوال ، يغيبون فيها عن الناس الحاضرين ، ليجدوا ما غاب عن حواسهم ، من قبيل ما يحصل عند المنوم تنوياً مغناطيسياً ، وهذا النائم يرى البعيد ، كما يرى القريب ، وتسمى تلك الحالة « بالرؤيا الواضحة » ، وفيها يشعر الانسان ايضاً بالاشياء ، وان كانت عيناه مغمضتين ، بل يمكنه القراءة بأي جزء من جسمه ، فقد حدث في محاكم مصر بتاريخ ٣ كانون الاول سنة ١٩١٣ م ، انه نومت فتاة قبطية تنوياً مغناطيسياً ، فكانت تقرأ الساعة بجمعتها امام القضاة ، وكانت ترى الاشياء من قفاها ، ورأت ما بيد أحد الحمامين ، وعيناها معصوبتان ، ويد الحمامي مقبوضة . فاذا تقرر هذا ، فهذه الحالة التي كانت حصلت ليعقوب عليه السلام ، ليست بأقل من حالة المنوم تنوياً مغناطيسياً ، بل هي أقوى وأرقى بكثير ، ومن النواذر التاريخية التي لا تبعد صحتها ، ماروي ان عمر رضي

الله عنه ؛ كان يخطب بالمدينة ، فصاح في اثناء خطبته : « ياسارية الجبل ، ياسارية الجبل ، من استرعى الذئب القم فقد ظلم » ، ثم عاد الى الخطبة ، حتى قال فيه بعض الصحابة : « إنه جُنّ » ، ولما سئل رضي الله عنه عن ذلك ، قال باقده رأى جيوش المسلمين تكاد تفتك بها الاعاجم على أبواب « نهاوند » فصاح بقائدهم ليتحصن بالجبل ، وبعد ذلك جاءت الاخبار بأن المسلمين كادوا ينهزمون ، لولا أن « سارية » القائد ، سمع مع بعضهم هاتفاً يرشدهم الى الجبل ، فدهش الناس لذلك ، وعلموا منه مقدار نفس عمر وكبر روحه ، وهذه من اعظم مناقبه ، رضي الله عنه .

### شواهد على ادراك الرائحة بالالهام القلي

التوجيه السابع — كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أخ اسمه « زيد » (١) قتل في جيش اليمامة (٢) فكان عمر يقول : « ماهبت الريح إلا وجدت فيها رائحة زيد ، ولهذا قال أبو العلاء المعري من قصيدة له في كتاب الزوميات :

والقلب يَغرَى (٣) بما تُهدِي الريحُ له

كلمها الريحَ من زيد إلى عمرا

فما كان يفهمه العرب في كلام عمر (رض) هو الذي ينبغي أن نفهمه في هذا القول الذي صدر من سيدنا يعقوب عليه السلام ، فالقول واحد ، فيجب أن يكون المعنى واحداً .

(١) القول انه اخوه مصرح به في « الاغانى » وفي « منهاج السنة » خلافاً لما في ديوان ابي العلاء المعري من انه ابنه .

(٢) ارسل ابو بكر هذا الجيش في خلافته تحت قيادة خالد بن الوليد لبني حيفة في اليمامة حيث ارتدوا وآمنوا بمسيلمة .

(٣) من غري الرجل بكدا : اولع به ولرم ذكره .



ونظير هذا ما في الأغاني لأبي فرج الأصبهاني ، في أخبار « عروة بن الورد » وأحاديثه الحسان ، وقد كان مشهوراً بالسرقة والاحسان ، رَوَى أَنَّهُ جَاءَ لَيْلاً لِيَسْرِقَ شَيْئاً ، فَكَمَنَ فِي كَسْرٍ بَيْتِ رَجُلٍ ، كَانَ غَائِباً عَنْ زَوْجَتِهِ ، فَأَتَاهَا عَبْدُ زَوْجِهَا ، وَكَانَ أَسْوَدٌ — بَعْلَبَةٌ فِيهَا لَبَنٌ ، وَقَالَ لَهَا : « اشربي » — فقالت : « لا . . . أو تبدأ » ، فبدأ الأسود فشرب ، و « عروة » ينظر ، ثم جاء رجلها ، ودعا بالعلبة ليشرب ، فقال حين ذهب ليكرع : « ريح رجل ورب الكعبة » ، يتهمها باتخاذ خدن ، فقالت امرأته : « وأي ريح رجل تجده في إنائك غير ريحك؟! » ثم صاحت فجاء قومها ، فأخبرتهم خبره وقالت : « يتهمني ويظن بي الظنون » ، فأقبلوا عليه باللوم ، حتى رجع عن قوله ، ثم أوى الرجل إلى فراشه ، فوثب عروة إلى فرس ذاك الرجل ، فذهب به ، فركب الرجل فرساً عنده أخرى ، وجعل يركض وراءه ، فلما انقطع عن البيوت ، قال له « عروة » : « أيها الرجل قف ، أنا عروة بن الورد ، وقد رأيت الليلة منك عجيباً ، فأخبرني به وأرد اليك فرسك » — قال : « وما هو ؟ » — قال : « شممت ريح رجل في إنائك ، وقد رأيت أن الرجل حين آثرته زوجته زوجتك بالإناء ، وهو عبدك الأسود ، فقلت ريح رجل ، فلم تزل زوجتك تثنيك عن هذه حتى انثنت ، فرأيتك في هذه الخصلة أكمل الناس ، ولكنك تثني وترجع ! » فضحك الرجل وقال : « إن الذي رأيت من صرامتي وحسن فراستي ، فهو من قبل أعمامي ، ورأيت من ضعفي وعدم ثباتي ، فهو من قبل أخوالي ، وهم بطن من خزاعة ، والمرأة التي رأيت عندي ، امرأة منهم ، وأنا نازل فيهم ، وأنا منذ الآن لاحق بقومي ، وخارج عن أخوالي هؤلاء ، ومخلّ سبيل المرأة !!! » — فقال عروة : « خذ فرسك راشداً » — قال : « ما كنت لأخذه منك ، وعندني من نسله جماعة مثله ، فخذ مباركاً لك فيه ! » .

وفي الأغاني أيضاً : حدث عروة بن الزبير قال : سألت « كلاب » بن أمية ابن الأسكر : « أي الأعمال أفضل في الإسلام ؟ » — « فقيل له : الجهاد » ، فسأل عمر بن الخطاب فأغزاه في جيش مع أبي موسى الأشعري ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت عنه غيبة « كلاب » قال :

أناديه فيعرض في آباءٍ      فلا وأبي كلاب ما أصابا  
تركت أباك مرعشة يداه      وأمك ماتسيخ لها شرابا  
وإنك والتماس الأجر بعدي      كباغي الماء يتبع السرابا

وطالت غيبة « كلاب » ، فأهتير<sup>(١)</sup> « أمية » وخلط جزعاً عليه ، ثم أتى عمر يوماً ، وهو في المسجد ، وحوله المهاجرون والأنصار فوقف عليه ، ثم أنشأ يقول :

أعاذل قد عدلتِ بغير قدرٍ      ولا تدرين عاذل ما ألاق  
فإما كنتِ عاذلتِ فردتي      « كلاباً » إذ توجه للعراق  
فتي الفتیان في عسرٍ ويسرٍ      شديد الركن في يوم التلاقي  
فلا وأبيك ما باليتَ وجددي      ولا شغفي عليك ولا اشتياقي  
وإيقادي عليك إذا شتونا      وضحك تحتي نحري واعتناقي  
فلو فلق الفؤاد حطام وجددي<sup>(٢)</sup>      لهم سواد قلبي بانفلاق  
سأستعدي على الفاروق رباً      له دفع الحجيج إلى بساق<sup>(٣)</sup>  
وأدعو الله مجتهداً عليه      يبطن الأخشبين<sup>(٤)</sup> إلى دفاق<sup>(٥)</sup>

(١) اهتر الرجل : فقد عقله من كبر أو مرض أو حزن .

(٢) حطام الوجد : الحزن الذي يكسر القلب .

(٣) بساق : جبل بمرقات .

(٤) الاخشبان : جيلامكة .

(٥) دفاق : واد .

إن « الفاروق » لم يرد « كلاباً » إلى شيخان<sup>(١)</sup> هاهنا زواقي<sup>(٢)</sup>  
قال فبكي « عمر » بكاءً شديداً ، وكتب برد « كلاب » إلى المدينة المنورة ،  
فلما قدم دخل إلى عمر ، فقال له : « ما بَلَغَ من برِّك لأبيك ؟ » - قال : « كنت  
أورثه وأكفيه أمره ، وكنت أعتد إذا أردت أن أحلب لبناً - أغزرَ ناقةً في  
ابله واسمناها ، فاريحها<sup>(٣)</sup> واطرکہا حتى تستقر ، ثم أغسل أخلافها<sup>(٤)</sup> حتى تبرد ،  
فاحتلب له فأسقيه » ، فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه ، فأدخله يتهادى<sup>(٥)</sup> ،  
وقد ضعف بصره وانحنى ، فقال له : « كيف أنت يا أبا كلاب ؟ » - قال : « كما  
تراني يا أمير المؤمنين » - قال : « فهل لك من حاجة ؟ » - قال : « نعم ، كنت  
أشتهي أن أرى كلاباً ، فأشمه شمة ، واضمه ضمة قبل أن أموت » - فبكي عمر ثم  
قال : « ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى » ، ثم أمر « كلاباً » أن يحتلب  
لأبيه ناقةً ، كما كان يفعل ، وبيعت إليه بلبنها ، ففعل ، فناوله عمر الإناء وقال :  
« دونك هذا يا أبا كلاب » ، فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال : « نعم والله يا أمير المؤمنين ،  
أني لأشم رائحة ولدي كلاب من هذا الإناء !! » ، فبكي عمر وقال : « هذا  
كلاب عندك حاضر أقد جئناك به » ، فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله ، وجعل عمر  
يبكي ومن حضره ، وقال لـكلاب : « الزم أبويك فجاهد فيها ما بقيا ، ثم شأنك  
بنفسك بعدها » ، وأمر له بعبائه ، وصرفه مع أبيه ، فلم يزل معه مقيماً ، حتى  
مات أبواه !!!

ومن هذا القبيل قول امرأة « كعب بن الأشرف » : « إني لأسمع

(١) شيخان : هذا على لغة من ينصب ويجر المثني بالألف

(٢) زقى الصدى : صباح ، والهام جمع هامة ، والصدى قيل هو طائر صغير يخرج من رأس

الميت (على زعمهم) .

(٣) اراح الابل : ادخلها في المراح أي الماوي

(٤) اخلاف : جمع حلف بالكسر وهو صرع الناقة

(٥) التهادي : مشي فيه ثقل وتمايل وضعف .

صوتاً ، كأنه صوت دم ، ، وذلك ليلة قتله ، حينما ذهب اليه « محمد بن مسلمة » ،  
فدعاه ليلاً ، فنزل كعب اليه ، فقتل .

فما يفهم العرب في سماع امرأة كعب صوت الدم من لفظ محمد بن مسلمة ، وفي  
شم أمية رائحة ولده كلاب من الاناء ، وفي شم زوج المرأة ريح رجل في علبة  
الابن ، وفي شم سيدنا عمر رائحة أخيه زيد في كل ريح تهب من جهة اليامة - ما يفهمه  
العرب في هذا كله يجب أن نفهمه نحن في قول سيدنا يعقوب « اني لأجد ريح يوسف »؛

### انتقال رائحة يوسف ليحقوق مع الريح

التوجيه السابع — تعلمون ان المخلوقات قسيان: أجسام كثيفة وأرواح لطيفة،  
وان الارواح هي المؤثرة في الاشباح ، فاللطيف هو الذي يحدث في الكثيف المحي  
كل ما يطرأ عليه ، ومن ذلك الفرح والحزن ، والرجاء واليأس ، والنمو والحركة ،  
والنور والظلمة ، والقبض والبسط ، والسمع والصمم ، والشم والبخس (١) ، والحر  
والبرد ، إلى غير ذلك .

خذ مثلاً اليك :

١ — الهواء الذي لولاه لما عاشت هذه الأحياء ، الهواء « روح » ولذلك  
كان من اسمائه إذا تحرك « الريح » ، وأصلها « رِوح » بكسر الراء ، ولأجل  
الكسر قلبت الواو بآء .

٢ — الماء الذي منه كل شيء حي ، هو مركب من روحين لطيفين ، وهو  
يكاد يكون في حال التركيب وسطاً بين الكثيف واللطيف ، ولكنه الى  
الثاني أقرب .

٣ — الكهرباء ، فهي من الأرواح اللطيفة ، وناهيك بفعلها في الأشباح ،

(١) الخشم : بطلان حس الشم .

فهذه الموجودات اللطيفة التي تسمى أرواحا ، هي التي تحدث معظم التغيير الذي نشاهده في الكون ؟

إذا تمهد هذا نقول : إن الله المسخر للأرواح المنبثة في الكائنات قد أرسل لسيدنا يعقوب رائحة يوسف ، مع بعض المخلوقات اللطيفة كالريح . فاخبر بذلك . نحن نعلم أنه يصعب على كثير من الشبية المصريين الاعتقاد بأن رائحة قميص يوسف ، وهي من الأعراض قد انتقلت مع الهواء المتحرك من بلد إلى بلد آخر — يستصعبون هذا جموداً على العادات ، ولو كان لهم دليل عقلي على عدم ذلك ، لكانوا معذورين ، ولكن لا دليل لهم إلا أن هذا غير معتاد ، وهم في كل يوم يرون من شؤون الكون ما لم يكن معتاداً من قبل ، فمنه ما يعرفون له سبباً ، ويمبرون عنه بالاكتشاف والاختراع ، ومنه ما لا يعرفون له سبباً ، ويمبرون عنه بقلبات الطبيعة ؛ ونحن نقول : إن تلك الأشياء المبر عنها بالقلبات ، قد يكون لها سبب خفي ، لم يقفوا عليه ، وشم سيدنا يعقوب رائحة يوسف لا ينزل عن ذلك ، وإما أن يكون قد وجدت في الواقع ونفس الأمر خارقةً لنظام الأسباب ، لان الأسباب الظاهرة ليست واجبة وجوباً عقلياً مضطرباً ، وإذا كان الأمر كذلك ، امتنع على العاقل أن ينكر شيئاً ما ، ويعدده مستحيلاً ، لأنه لم يعرف له سبباً ، ولعل أبناء العصور السابقة ، كانوا أقرب إلى أن يعذروا بإنكار غير المؤلف من أبناء هذا العصر ، الذي ظهر فيه من أعمال الناس ما لو حدثت به عقلاء الغابرين ، لعدتوه من خرافات الدجالين .

### اعتبار ربح يوسف استعارة مكنية مرشحة

التوجيه الثامن — يقولون « نطق الحال بكذا » ، وأن هذا استعارة مكنية ، بأن شبت الحال بإنسان ذي نطق ، وحذف لفظ المشبه به وهو الانسان ، ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو النطق ، على سبيل الاستعارة المكنية المرشحة ، سميت

مكنية ، لأنه حذف فيها لفظ المشبه به ، وهو الانسان ، وسميت مرشحة ، لأنها رشحت بما يناسب المشبه به وهو النطق ، قالوا : « وهذا الترشيح يجوز أن يبقى على حقيقته ، لا يقصد به إلا تقوية الاستعارة ، ويجوز أن يستعار من المعنى الملائم للمشبه به ، إلى المعنى الملائم للمشبه ، بأن يستعار النطق للدلالة استعارة تصريحية تبعية » ، إذا تقرر هذا فيجوز أن يكون « ربح يوسف » من هذا القبيل ، أعني استعارة مكنية مرشحة ، وتقريرها أن يقال : شبه يوسف بالغيث ، وحذف لفظ المشبه به ، وهو الغيث ، ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو الريح ، على سبيل الاستعارة المكنية المرشحة ، سميت مكنية ، لأنه حذف فيها لفظ المشبه به ، وهو الغيث ، وسميت مرشحة ، لأنها رشحت بما يناسب المشبه به ، وهو « الريح » ، ثم هذا الترشيح يجوز أن يبقى على حقيقته ، لا يقصد به إلا تقوية الاستعارة ، ويجوز أن يستعار من المعنى الملائم للمشبه به ، إلى المعنى الملائم للمشبه ، بأن يستعار «الريح» للأمرّة والعلامة ، استعارة تصريحية أصلية ، وعليه فيكون المعنى : إني أجد — من الوجدان — علامة يوسف الشبيه بالغيث وقبل الختام نقول : من عجائب تفاوت أفهام البشر ، انه لا يزال الكثيرون ينكرون من أخبار الرسل ما لم يألفوا ولا يرون المعروف منها إلا ما عرفوا ، وإذا قيل لهم فيه أو في مثله : إنه قد اكتشفه « المسيو » فلان ، أو « المستر » فلان ، أو « الهر » علاّن - قبلوه مدعنين ، وقالوا : إنه الحق المبين ، مع أن علم الكيمياء ، وعلم الكهرباء ، ونحوها من العلوم الكونية ، قد وصلت اليوم إلى درجة ، لم يعد يستغرب معها شيء من أخبار علم الغيب ، لا سيما إذا كان المخبرون أخصائيين في هذا القبيل ، مثل الأنبياء والأولياء ؛ هذا ما فتح به الفتاح الكريم ، وفوق كل ذي علم عليم .

## الأحفاد ينتقدون جدم

آ (٩٥) ﴿ قَالُوا : تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ !! ﴾

افتتحت الجلسة ، وتليت الآية الخامسة والتسعون ، فقام الشيخ عبد الحق الطوموي (١) وقال :

ما كاد سيدنا يعقوب يتفوه بقوله : « إني لأجد ربح يوسف » أمام أحفاده الذين كانوا حاضرين حوله ، حتى بادروه مؤننين منتقدين بنفس كبيرة ، وصوت جهوري ، و ( قالوا ) له ( تالله ) التاء ههنا حرف قسم كالباء والواو ، ولكن فيها زيادة معنى التعجب ، كأنهم تعجبوا من قول جدم « إني لأجد ربح يوسف » ، أو من استمراره على ذكره إياه مع طول العهد ( إنك ) يا جداه ( لـ ) مستمر حتى الآن ( في ضلالك ) في ذهابك عن جادة الصواب ، المعروف أنت به منذ ( القديم ) منذ ولادة عمنا يوسف حتى الآن ؛ بسبب إفراطك لمحبتته ، ولهيجك بذكره ، ورجائك للقائه ، في حين أنه قد مضى وفات ، وصار في عالم الأموات .

حقاً إنه ليدهشنا أيها السادة هذا الانتقاد بل التأنيب ، وإنا لندهش بنوع خاص ، كلما تصورنا أنه صادر من حفدة سيدنا يعقوب ، الذين لم يكونوا أقل انتقاداً عليه من أبنائه القائلين : « إن أبانا لفي ضلال مبين » بل كانوا مثل آبائهم حذو القذة بالقذة ، لأنهم تلاميذهم ، أخذوا عنهم دروس الملاحظة والنقد ، بل لعمري لقد فاتوا في القحة والبهت آباءهم من ثلاثة وجوه .

١ — الحلف باليمن النعوس ، وأما أبأؤهم فأنما طمنوا طعنأ خلوأ من اليمن .

٢ — المواجهة ، فإن آباءهم لم يصفوا سيدنا يعقوب بهذا الوصف الشائن إلا

(١) نسبة الى الطوموم من البلاد المصرية .

في غيبته ، ولكن هؤلاء الأحفاد واجهوه به مواجهة ، وخطبوه به خطاباً ، ولم يحفظوا منزلة الجدودة وكرامتها ، ولم يحترموا له عقيدة ولا مذهباً ، ولم يحتملوا أن يسمعوا منه رأيه الذي رأى ، قال الشاعر :

وقد أبرك من يرضيك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستتراً

٣ — تسجيلهم على جدم بانه عاش — مع الأسف — في ضلال مستمر معه ومنذ ولادة عمهم يوسف بالعراق — الى أن جاء فلسطين — إلى أن شرد منها — الى مصر — الى هذا الوقت ، أي أنه في ضلال طيلة ( ٣٩ ) سنة ، ولذلك وصفوه « بالقديم » .

### عدم الرد على السفية اوجب لامتهانه من الرد عليه

وأما جدم ، فلما سمع ذلك من أحفاده ، كبر عليه انتقادهم ، وهب جسمه ، وتغرمر في داخله ، وتند تنهداً عميقاً ولم يجبهم بحلوة ولا مرة ، كما كان أجب أولاده الصليبين ، قائلاً : ( إنما أشكو بثي وحزني الى الله ، وأعلم من الله مالا تعلمون ) بل اغتفر لهم حديثهم وخشوتهم ، وتغاضى عن نغمتهم الجافة اليابسة ، واستقبل جفاءهم وغلظتهم بالغض والاحتمال ، أو كأنه سكت ولم يجبهم ، لأنه ذكر أن اعتراضهم عليه ، وإن يكن مصيبة من المصائب ، لكن لاقيمة لمصائب الحياة ، بعد مصابه الذي كان نزل به ، بفقدان يوسف ، وتسريق بنيامين ، واحتباس رأوبين ، فلم يعلق جدم أهمية على كلمتهم هذه ، بل سكت ، وفي سكوته ما يعني عن الجواب ، فلعمري ان سكوته عن مجاوبتهم أوجب لامتهانهم من الرد عليهم :

قال الشاعر

قد أفلج الساكت الصموت      فرمبا كلمة تميت  
ما كل نطق له جواب      جواب ما يكره السكوت



وقال :

وأبعدُ من ناداك من لاتبجيه وأغیظ من عاداك من لاتشاكل

وقال :

إذا كان دوني من بليت بجبله إيت لنفسي أن أقابل بالجهل  
وإن كان مثلي في محلّ من العلى سكت إذاً حلاً وصفحاً عن المثل  
وإن كنت أدنى منه في الفضل والحجا رأيت له حق التقدم والفضل

وقد قيل : « ما تسابّ اثنان إلا انحط الأعلى إلى مرتبة الأسفل » لذا لم يجبهم  
جدهم على قولهم : « تالله إنك لني ضلالك القديم » وقال « حذيفة بن بدر » لرجل :  
« أيسرك أن تغلب شر الناس ؟ قال نعم ، قال لن تغلبه حتى تكون شرّاً منه » ،  
وشتم رجل حكيماً ، فقال : « أَسَكْتُ فُلستُ أُدخِل في حرب ، الغالب فيها شر  
من المغلوب » ،

ومنه نتعلم أنه لا ينبغي لنا أن نكافئ السفه على سفهه بمثله ، فإننا إن فعلنا ،  
قضينا له على أنفسنا ، وأصبحنا شركاءه في الخلة التي ننقمها منه ، فان كان أحدنا  
لا بد منتقماً ، فليكن مثله مثل « الأحنف بن قيس » ، إذ جاءه رجل قد حمل  
له بعض الناس جُملاً على أن يُفضبه ، فما زال يسبه ويشتمه ، ويلحّ في ذلك إلحاحاً  
محرجاً ، والأحنف ساكت ، لا يقول شيئاً ، حتى ضاق بالرجل أمره ، فانقلب  
إلى قومه باكياً قادباً ، يأكل إصبعه أكلاً ، ويقول : « والله ما سكت عني إلا  
لهواني عليه » .

### أحفاد يعقوب

وقبل الختام ، رب سائل يسأل : إذا كانت أولاده الاثنا عشر غائبين عنه :  
ثلاثة منهم بمصر ، وتسعة في الطريق مع العير ، فمن هم هؤلاء الناس الذين خاطبهم  
سيدنا يعقوب عليه السلام ؟ والجواب إنهم حفدته ، وهم أولاد أولاده :

فلابنه « رأوين » أربعة أولاد ، ولابنه « شمعون » ستة أولاد ، ولابنه « لاوي » ثلاثة ، ولابنه « يهوذا » ثلاثة أيضاً ، ولابنه « دان » ولد واحد ، ولابنه « نفتالي » أربعة ، ولابنه « جاد » سبعة ، ولابنه « أشير » أربعة ، ولابنه « يساكر » أربعة بنين ، ولابنه « زبولون » ثلاثة ، ولابنه « بنيامين » ستة ( تك ٤٦ : ٩-١٨ ) .  
(والسنن القويم) .

فهؤلاء الحفدة الخمسة وأربعون ، كلهم كانوا حوالي جدم يعقوب عليه السلام بفلسطين ؛

هذا عدا الإناث ، وربما كان الإناث أيضاً ، خصوصاً بنات « ليئة » لمن دخل كبير في الانتقاد على أبيهم سيدنا يعقوب عليه السلام .

### البشارة

آ (٩٦) \* ... فلما أن جاء البشيرُ ، ألقاهُ على وجههِ فارتدَّ بصيراً ! قال : ألم أقل لكم : إني أعلمُ من الله ما لا تعلمون ؟ \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية السادسة والتسعون ، فقام لسان الحق الحمصي وقال :

( فلما أن جاء البشير ) وهو الابن الرابع يهوذا ، حاملاً قميص أخيه يوسف الرسمي المصنوع من الكتان ، دخل خيمة أبيه يعقوب ، ثم سلم ، فقال له أبوه : ما وراءك ؟ قال : « كل خير ... بشارتي عليك ، الرائد لا يكذب أهله ، يوسف حي » ثم أخرج القميص و ( ألقاه على وجهه ) على وجه أبيه يعقوب وعلى عينيه ، أي عرّضه لوجهه حتى رآه ( فارتد ) أي صار - لأن ارتد تأتي في اللغة العربية

فعلماً ناقصاً بمعنى صار ، فتكون من اخوات « كان » - ( بصيراً ) عالماً بالقلب ، عارفاً بما عليه يوسف ، لأنه قبل ذلك لم يكن عالماً بما لولده من جاه ومنصب .

ويجوز ان المعنى : لما جاء البشيرا القميص الكتان على وجه يعقوب وعلى عينيه ، فعوفي من شدة فرحه وسروره ، فرجع مبصراً ، هذا إذا حملنا « القميص » على اللباس الحكومي الرسمي ، فان حملناه على القميص المعنوي وهو المنصب على وجه الاستعارة ، كان قوله ( ألقاه على وجهه ) ترشيحاً للاستعارة ، والترشيح يجوز أن يبقى على حقيقته ، ولا يقصد منه إلا تقوية الاستعارة ، ويجوز أن يستعار لمعنى يلائم المشبه ، كأن يقال هنا : إن معنى ( ألقاه على وجهه ) عرفه به ، أي القاه على ذاته وأحاطه به علماً ، ( قال ) لهم أبوه ، بصوت التقرير واللوم ، يا بني ، لم يزل فكري عالماً بالجملة التي كنت أرسلتها لأسماعكم ( ألم أقل لكم ) سابقاً ، « اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ، ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ؟ » ثم ألم أقل لكم : « إني لأجد ريح يوسف ؟ » - فقول القول محذوف ، لأنه معلوم للمخاطبين - وعليه فقوله : ( إني أعلم من الله ما لا تعلمون ) كلام مبتدأ ، لم يقع عليه القول ، ويحتمل أن المعنى : ألم أقل لكم سابقاً « إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ؟ » وعليه فهو هو مقول القول ، وإذا جرينا على الاحتمال الأول ، وقفنا على كلمة « لكم » ، وبدأنا بقوله : إني أعلم . الخ وإذا جرينا على الاحتمال الثاني لم يجز الوقف على كلمة « لكم » ، بل يجب وصل الكلام بمضه ببعض لقوة الارتباط بين القول والمقول .

( جيد )

( فلما أن جاء البشير .. اللع )

- ٢ -

وقال الشيخ ابراهيم الأزهري (١) :

### وصول البشير والقاؤه القميص على وجه يعقوب

سبق أن أولاده الصليبيين انتقدوه حين تولى عنهم وقال : « يا أسفاً على يوسف وابيضت عيناه من الحزن » فقالوا له : « تالله تفتأ تذكر يوسف ، حتى تكون حرضاً ، أو تكون من الهالكين » فقال لهم : « إنما اشكو بثي وحزني إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون » ، وسبق وما بالهد من قدم — أنه قال : « إني لأجد ريح يوسف ، فقامت أولاد أولاده عليه ، وانتقدوه على كلامه انتقاداً مرأاً ، وما هي إلا سويقات قليلة ، حتى وصلت العير ، فاستعجلوا البشير الذي يحمل قميص يوسف وهو يهوذا بالذهاب والتقدم إلى أبيهم ، لينبئهم برجوعهم ويشره بحياة يوسف ومركزه الرسمي ، وفيما يعقوب جالس في خيمته إذا بالبشير « يهوذا » قد دخل عليه وهو يصبح صباح الفرح قائلاً له : « لتهناً بحياة يوسف ، وانه « عزيز مصر » و « وزير ماليتها » وهذا هو لباسه الرسمي الذي يدل على نوع رتبته في البلاط الملكي المصري !

فلم تكدموجات هذا الصوت تدرك طبله اذن والدهم حتى انفتح صدره ، وانتعشت آماله وحيي رجاؤه ، فأطرفه بالقميص الكتاني ، وألقاه على وجهه ، فأبل من ابيضاض عينيه الناتج عن الحزن ، فارتد بصيراً ، وبرح الخفاء ، وظهر الصبح لذي عينين ، اذ تبدل مرضه بالصحة ، وضعفه بالقوة ، وحزنيه بالفرح ، وبكاؤه بالضحك ، وتبلبل أفكاره بالطمأنينة ، ولانكسار قلبه بالجبران ، وأسفه بالرجاء ، فارتقى نظره الى دور السلامة كأنما في اضعاف هذا القميص جميع عقاير

(١) نسبة إلى الجامع الأزهر في القاهرة ( مصر ) .

الصحة ، وكل قطرات الشفاء ، أو كأغما هو حلقمن حلل الجنة ، من لبسها عوفي من كل سوء ، ومن هذا القبيل استشفاء العشاق بما يهب عليهم من جهة أرض المحبوب ، كما قال :

وإني لاستشفي بكل غمامة تهب بها من نحو أرضك ريح  
والتعبير بارتداده بصيراً توأ عقب إلقاء القميص على وجهه ، تصوير للقاريء الكريم ، لما كان في ذلك الموقف الرهيب ، من انقلاب سريع وتطور مدهش .  
ومالبت يعقوب أن قال لأبنائه وأحفاده ، بلسان الفرح أو الاحتجاج ، ساحمكم الله ، يا أولادي ويا أحفادي ، ألم أقل لكم سابقاً ولاحقاً ، اني أعلم من أسرار غيب الله ما لا تعلمون ؟ وليس المخبر بالعلم كالراجم بالظنون ، فلم أكن أنطق بذلك جزافاً ، ولم أكن كالحاكي ( الفونوغراف ) ينقل الصوت بلا شعور ولا إرادة ، بل كنت أتكلم معكم بكلام أقصده قصداً ، وأفهم معناه جيداً ، وأشعر بجراميه ، وأتأكد اقتراب وقوع مضمونه لا محالة ، لأنني لا أتكلم إلا عن الله تعالى ، ولكنني كنت أجمل لكم القول إجمالاً ، ولم أقله لكم بالتفصيل ، لأنه ما كل ما يعلم يقال ، وأما الآن فقد زالت الرغبة ، وبدا الصريح .

( فلما أن جاء البشير ... النخ )

— ٣ —

وقال لطفی باشا النابلسی :

خصائص قميص البشارة ورده بصر يعقوب

حكى انه اجتمع في بعض الأزمنة ملوك الأقاليم ، من الصين والهند وفارس والروم ، وقالوا : « ينبغي أن يتكلم كل منا بكلمة تدون عنه على مدى الدهر » : فقال ملك الصين : « أنا على ما لم أقل ، أقدر مني على رد ما قلت » .

وقال ملك الهند : « عجبت لمن يتكلم بالكلمة التي إن كافت له لم تنفعه ، وإن كانت عليه أو بقتة »

وقال ملك فارس : « أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتي ، وإذا لم أتكلم بها ، ملكتها » .

وقال ملك الروم : « ماندمت على ما لم أتكلم به قط ، ولقد ندمت على ما تكلمت به كثيراً » .

إذا كان الأمر هكذا ، فكم ندم أولاد يعقوب عليه السلام وأولاد أولاده على كلامهم السابق الذي أوقعهم في الخجل ، وسجله عليهم التاريخ في باب السباب والشتائم والوقاحة ، ولهذا قال تعالى ( فلما أن جاء البشير ) يحمل على يده نعمة الخالق الى المخلوق .. يحمل على يده النبأ العظيم الذي كان يعقوب يستشرف اليه منذ (٢١) سنة ، يحمل ليعقوب السرور والغبطة والفرح والجدل ، يحمل ليعقوب الحياة الجديدة ، حياة اللقاء بعد الفارقة ، حياة ثلج الصدر بعد الحرقه ، يحمل ليعقوب نبأ أن فريسة « الذئب » هو في قيد الحياة ... يحمل ليعقوب نبأ أن العبد المملوك أصبح مالكا .. وأن نزيل الجب أصبح فوق العرش ... يحمل ليعقوب أن ابن البادية ، الذي كان يرعى الغنم ، قد أصبح اليوم يرعى رعية له هي أهل مصر . يحمل ليعقوب أن صاحب الأحلام ، قد آن للكواكب أن تنخر له سجداً ، وأخيراً يحمل ليعقوب اللباس الرسمي مع الرتبة السامية الموجهة عليه من لدن ملك الديار المصرية ، وعند ذلك ألقاه على وجه هذا الشيخ البائس ، وبما في هذا « القميص » من البلاسم الشافية لجراح العيون ، ومن القطرات الممتازة المزيلة لغشاوتها البيضاء ، نشيط وأحس بحركة لا يعبّر عنها الا بالمجرى الكهربائي ، فارتد بصيراً ، لأن صحة بصره شرعت تتراجع اليه ، وجعل نشاطه يدب فيه ديبياً ، وابتدأت عيناه تقبلان على الشفاء ، فما مضى أقل مدة يمكن فيها عادة الشفاء

إلا وقد عوفي وشفي ، والتعقيب في كل شيء بحسبه ، كما يقال تزوج زيد فولد له ،  
فهذه الفاء هنا مثلها في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا  
حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾  
( ٨٠ : ٢١ - ٣١ ) ، وقوله : ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾  
( ٨٧ : ٨٧ ) وقوله : ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْهُ أُنْجُلًا ضِعْفَيْنِ ﴾ ( ٢ : ٢٦٥ ) ،  
وقوله : ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ ( ٤٣ : ٥٦ )  
وقوله ﴿ خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ، فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ ( ٢٥ : ٥٤ )

### تصديق قول يوسف في أبيه وتصديق قول أبيه فيه

وبهذا يكون الله قد صدق قول يوسف : « يأت بصيراً » بالفعل ، فيوسف  
من عباد الله الذين اذا أرادوا أراد ، كما ان الله أيضاً يجيء البشر بالقميص صدق  
بالفعل قول يعقوب « إني لأجد ريح يوسف » ، فيعقوب من الذين إذا وجدوا  
الشيء تلميحاً ، وجدوه فيما بعد صريحاً .

أثر المحبوب قد يسبب الشفاء والمعافاة . لاسيما متى كان ذلك الأثر يبشر باللقاء ،  
كما في هذه الحادثة ، وعلى العكس ربما ان اثر المحبوب قد يسبب الغشي فالموت ،  
إذا كان ينذر بعدم اللقاء .

وبعد فمن غرائب التاريخ ، ونوادير الحوادث ، ان الذين يحملون في هذه  
المرّة « القميص » الحاضر . الذي يشير إلى حياة يوسف ، وقد نشأ منه سرور  
أبيهم ، هم الذين كانوا حملوا « القميص » الماضي ، الذي كان يشير إلى موت يوسف ،  
وقد نشأ عنه حزن أبيهم !! ...

واخيراً أختتم كلمتي هذه بالتعليقات التالية :

## العلم يقر ما كان معتبراً من المعجزات قديماً فلم لا يقر

### ارتداد بصري بعقوب بالقاء القميص عليه

١ - أتى على الانسان حين - وهو يعتقد ان الضياء الساطع في ظلام الليل لا يكون إلا من طلعة القمر ، او من لهب النار ، فاذا آانس تحت جناح الليل نوراً يتألق بمكان بعيد ، لم يرتب في انه بهرة قمر ، او شعلة نار ، فلم يشعر إلا وقد انضم الى القمر والنار عنصر من عناصر الإنارة وهي « الكهرباء » فلو لم يخترع التنوير بالكهرباء ، وكان فيما نقل من معجزات الرسل إنارة بعض الاجرام من غير ان تمسه نار ، لقال الذين في قلوبهم مرض ، إن الإنارة إنما تنشأ عن لهب النار ولا سبيل الى تحقق الأثر ، متى فقد سببه .

٢ - زعم بعض المرتابين في المعجزات أن قطع المسافة الشاسعة ، كما بين « المسجد الحرام » إلى « المسجد الأقصى » في ليلة واحدة أو بعض ليلة - أمر لا يحتمله الإمكان ، ولا يتقبله العقل ، ولكن هذا الأمر الذي كانوا يذكرونه بوصف المحال قد كشف العلم الصحيح عن إمكانه ، وأخرجه للناس في جملة الكائنات المبصرة ، فهذه سكة الحديد التي قيل فيها :

هذا « وَبُورُ البر » أكبر حجة إن تنكر الاسراء « للمختار »  
إن كان صنع هذا العبد سيره فعلام تنكر صنعة « القهار »

بل إذا تمكن المخلوق باختراع « الطائرة » أن يجعلك تقطع المسافة القاصية في مدة وجيزة ، فماذا يكون شأن قدرة الخالق التي هي أبداع تقديراً وأحكم صنعاً ؟ ..

٣ - كان الفلاسفة يعتقدون أن الوزن هو من خصائص ما يوصف بالخفة والثقل من الأجسام ، وقالوا : « لا نفهم لوزن الأعراض معنى يعقل » ، ومارعهم إلا أن صنع بعض العلماء « ميزان الحرارة والبرودة » وأراهم أن وزن الأعراض



هو من قبيل الممكنات ، وأن للوزن طرقاً غير ما تعرفه الباعة في الأسواق .

٤ — لو كان النبي ﷺ قال: « إن في هذا الماء الذي تشربونه حيوانات تذهب وتجيء » ، ولم يكن قد اخترع المنظار المكبر (مكروسكوب) لأفكر ذلك كثيرون من ضعفاء الايمان ، ولكن الاكتشافات الجديدة جعلت ذلك ممكناً ، بل من الحقائق الراهنة .

إلى غير ذلك مما يفوقه ، ولا يأتي عليه الاحصاء ، فيجب علينا الايمان بأنه حينما ألقى القميص على وجه يعقوب ارتد بصيراً ، فذلك ممكن ، والله قدير على كل شيء .  
(مرحى)

### طلب الاستغفار

١ (٩٧) \* — قالوا : يا آبانا استغفر لنا ذنوبنا ، إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ \* .

افتتحت الجلسة ، وتليت الآية السابعة والتسعون ، فقام فيض الله الكرمي وقال :

( قالوا ) أي ابناء يعقوب بلهجة الاعتذار والتوبة ، وقد تزامت على وجوههم حمرة الخجل وصفرة الوجل : ( يا أبانا ) نعم ، قلت لنا : إنك تعلم من الله ما لا نعلم ، ولكننا — مع الأسف — كنا في سبات عميق ، فأنت غير كاذب ولا مُكذَّب ، ونحن الخطأة الأثمة ، ما من ذلك بد ، وحيث قد اعترفنا ( استغفر لنا ذنوبنا ، إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ) ، خاطئين أولاً بارتكابنا جرماً يستحق العقاب ، وخاطئين ثانياً بافترائنا حادثة ليس لها نصيب من الصحة ، وخاطئين ثالثاً بقطعنا رحم أحيانا ، وخاطئين

رابعا بمقوننا لك والحاقنا بك الأذى والحسرة والفكرة ، وخاطئين خامساً بحقارتنا  
لأنفسنا بتلك الأعمال الشائنة ؛

وبالجملة نحن حشو الخطيئة واعضاء الجريمة ، والهيكل العظمي للحبوب الكبير ،  
فتكراراً ومراراً نقول : ( استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ) .

( قالوا : يا أبانا استغفر لنا .. الخ )

— ٢ —

وقام ابو الخير اللدي وقال :

ابناء يعقوب يطلبون من أبيهم ان يستغفر لهم ذنوبهم

تقدم أن أباهم قال لهم : « ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ، فما كنت  
تنبأت به هاهو قد حصل » ، - قالوا : « نعم ، ذلك العتي » - قال : « فاذن ؛  
الفريقين الآن قد تفاهمنا واتفقنا وارتفع الخلاف من بيننا » - قالوا : « يا أبانا -  
قال : « قد سمعت » - قالوا « استغفر لنا ذنوبنا ، إنا كنا خاطئين إننا لا تقدر أن  
نصف -خجلنا منك ، وخطأنا اليك وإلى الله ، لما سببناه لك من البث والحزن والحسرة  
والأسف ، مع البكاء والسهر والفكر ، لإبعاد ابنك عنك ، وتشريده من وطنه ،  
نحن مدينون لك وإلى الله ، وقد خطئنا اليك وإلى السماء ، وأنت تعلم إذنا ما كنا  
في موطن منذ عقلنا إلا أننا نعرف فيه أمرنا ، غير موطننا هذا ، فكأننا هجمنا عليه  
متسرعين ، بدون حردٍ ، ولا إعمال روية ، وبلا نظر في العواقب ، وكأن القضاء  
الساوي جعلنا آلة لتنفيذ ذلك الأمر ، الذي رأينا اليوم عاقبته حميدة ، والحمد لله ،  
ولقد قيل : « النتيجة تبرر الواسطة » ، ومع كل هذا ، ورغماً عن كل ما نقول ،  
فنحن من حيث أننا لم نكن نقصد خيراً ، بل شرأ ، نعترف بالخطأ ، نعترف بالحبوب

الكبير ، نعترف بالذنوب إلى الله وإلى أيينا وأخيينا ، فلا.. ولا .. وإنتا.. وإنتا..»،  
واليك المواد التالية على الآية الكريمة :

### الشفاعة وأنواعها وحكمها

المادة ١ — اتخذوا أباهم شفيعاً بينهم وبين ربهم ، لأن شفاعة أهل التقى لأهل التقى مشروعة مأذون فيها مرجوة الإجابة ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ ( ٢٠ : ١٠٩ ) ، وقال تعالى عن الملائكة : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ، وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ ( ٢١ : ٢٨ ) وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ ، إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ( ٤٣ : ٨٦ ) وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ، لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ، وَقَالَ صَوَابًا ﴾ ( ٧٨ : ٣٦ و ٣٧ ) وقال تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ ( ١٩ : ٨٨ ) ، فهذا موطن الشفاعة المثبتة ، التي شرطها الإذن للشافع ، والرضا عن المشفوع له ؛

وأما الشفاعة المنفية ، فهي شفاعة ما كانوا يعبدونه من دون الله من الآلهة الباطلة ، أو كان المشفوع لهم من أهل الشرك أو الكفر ، فهذه لا جرم هي الشفاعة التي نزل فيها قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ : هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ، — قُلْ : أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ؟ !! سبحانه وتعالى عما يُشركون ﴾ ( ١٠ : ١٨ ) وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءَ ، وَكَانُوا بِشُرْكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ ( ٣٠ : ١٢ و ١٣ ) وقوله تعالى : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ؟ قُلْ : أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ

آ (٩٧) سبب طلب الاخوة الاستغفار من ابيهم ولم يطلبوه من اخيهم ١٣١١

شيئاً ولا يَمَقِلُونَ؟ قل: لله الشفاعةُ جميعاً، له مُلْكُ السمواتِ والأرضِ، ثم  
اليه تُرْجَعُونَ ﴿ (٣٩ : ٤٣ و ٤٤) وعلى ذلك تحمل باقي الآيات التي تفتي الشفاعة  
وذلك مثل قوله سبحانه: ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً،  
ولا يقبلُ منها عدلٌ، ولا تنفعُها شفاعَةٌ، ولا هم ينصرون ﴾ (١٢٣:٢)  
وقوله سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا، اتقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتيَ  
يومٌ، لا يبع فيه، ولا خلةٌ، ولا شفاعةٌ، والكافرون هم الظالمون ﴾  
(٢٠ : ٢٥٤)، فهذا يجمع بين الآيات التي ذكرت فيها الشفاعة نفيًا وإثباتًا،  
ويعلم أن شفاعة سيدنا يعقوب لأولاده هنا هي من قبيل الشفاعة المثبتة، والله  
تعالى أعلم.

سبب طلب الاخوة الاستغفار من ابيهم ولم يطلبوه من اخيهم

المادة ٢ — هنا يتساءل المتسائلون: لماذا لم يطلبوا الاستغفار لانفسهم من

اخيهم، وإنما طلبوه من ابيهم فقط؟

وجوابنا عنه ما يلي:

لما كان سيدنا يعقوب من جهة رجل دين، ومن جهة أخرى أباهم، رأوه  
(طبعاً) أهلاً لأن يسألوه الدعاء لهم، وأما سيدنا يوسف فلما كان من جهة أخاهم  
الأصغر، ومن جهة ثانية كان في نظرهم رجلاً مدنياً، وحاكماً ادارياً، ووزيراً  
مالياً، ولم يعلموا أيضاً أنه نبي — لم يطلبوا منه الاستغفار، ولكن ذكروا له  
ما يسرّ الرجال المدنيين، والحكام الاداريين، من علو مراتبهم وتقديمهم على  
الأقران، فقالوا له: « لقد آثرك الله علينا، ومع أنهم لم يروه (في نظرهم) أهلاً  
أن يكون واسطة بينهم وبين ربهم، فقد رأى هو شخصه أهلاً لذلك، لأنه  
أعرف بنفسه منهم، فقال: « يغفر الله لكم، وهو أرحم الرحمين».

## مذهب السلف والطوائف الاسلامية الاخرى في النجاة والايان

المادة ٣ — طلبوا من أبيهم الاستغفار لهم ، ليكونوا من الناجين ، فان العبد لا ينجو بالايان فقط ، ولكن به وبترك سييء الأعمال ، وفعل صالحها ، والتوبة إلى الله تعالى ، وهذا هو مذهب « السلف » خلافاً « للمرجئة » — وهم طائفة يرجئون الأعمال ، أي يؤخرونها ، فلا يقيمون للأعمال الصالحة وزناً في الخلاص ، وإن كان لها ثواب ، وإنما الخلاص بمحض الإيـان ، كما لا يقيمون وزناً للمعاصي في الهلاك ، وإن كان عليها عقاب ، وإنما الهلاك بالكفر فقط ، وعليه فهم يقولون : المؤمن يستحق الجنة بالايان فقط ، دون بقية الطاعات ، والكافر يستحق النار بالكفر ، دون بقية المعاصي ، وكأن مصدر هذا الخلاف ، الخلاف فيما هو الايمان ، فالسلف الصالح يقولون : « الايمان هو اعتقاد وقول وعمل » وهؤلاء يقولون : « الايمان هو الكلمة والعقد ، دون الاعمال » — « والخوارج » يكفرون مرتكب الكبيرة ، لجملمهم العمل من الايمان ، فهم بعكس المرجئة و أما « المعتزلة » فهم يقولون في مرتكب الكبيرة أنه منزلة وسطي بين المؤمن والكافر ، وانه يخلد في النار ، ولكن عذابه دون عذاب الكافر .

## تعليـل قوله « ذنوبنا » بصيغة الجمع

المادة ٤ — رب سائل يسأل : لماذا قالوا : ( ذنوبنا ) بصيغة الجمع ، مع أنه ذنب واحد ؟ وجوابنا عن ذلك من ثلاثة وجوه :

١ — أنهم اتوا بصيغة الجمع باعتبار أفرادهم ، لأن كل واحد من العشرة قد اقترب الذنب ، فهو نظير: ركب القوم دوابهم ، ولبسوا عمائمهم .

٢ — لأن ذلك الذنب الواحد مربع في الحقيقة ، باعتبار أنهم سخطوا إلى

الله ، وإلى كل من أبيهم وأخويهم ، بل وإلى اشخاصهم وضمائرهم ، وشريعتي العقل والنقل .

٣ — إن الذي اجترموه ليس هو ذنباً واحداً، بل هو ذنوب كثيرة : حسدوا أخاهم ، بغضوه من غير ما جرم ، ضلّوا أباهم ضلالاً مبيئاً ، تأمروا على قتل أخيهم أو طرحه أرضاً أو القائه في غيابة الجب ، وأخيراً قرروا هذه المشورة النهائية ، لعبوا على أبيهم دوراً مهماً ، نصبوا أمامه الا حيلة قاصطادوا فيها أخاهم من بين يديه وقالوا له : وإنا له لناصحون ، ولكن غشوه ، وعدوا أنهم سيحفظونه ، وأخلفوا وعدهم ، وكانوا مصممين على خلف هذا الوعد من البدء ، ألقوه فعلاً في غيابة الجب ولم يرحموه ، وبذلك قطعوا الرحم التي بينه وبينهم ، بل والرحم التي بينهم وبين أبيهم ، عقوا بذلك أباهم ، أحزنوا بذلك بنيامين ، بكوا كذباً ، قالوا أكله الذئب كذباً ، جاؤا على قميصه بالدم كذباً ، أقر بعضهم بعضاً على الكذب كذباً ، إلى غير ذلك مما يظهر المتأملين ، ولهذا قالوا : ( استغفر لنا ذنوبنا ) بصيغة الجمع ، وكان أقل هذا الجمع ثمانية .

### لماذا لم يستغفروا لأنفسهم بأنفسهم

المادة ٥ — طلبوا الاستغفار من أبيهم لأن ذنبهم هذا لم يكن ظمناً لأنفسهم فقط لم يتعد شيء منه إلى أبيهم فيكون فيه استغفارهم لأنفسهم بأنفسهم — بل كان ظمناً تعدى إلى ابناء أبيهم ، من حيث أنه أب ، له وحده الحق في أن يزيد من المحبة من أولاده لاسباب جوهرية ، وحكم عالية يعرفها هو ، فكان لا بد من توبتهم وندمهم على ما صدر منهم ، أن يظهر ذلك لأبيهم ، ليصفح عنهم بما اعتدوا به على حقه ، ويدعو الله تعالى أن يغفر لهم تعديهم عليه وعلى أخيه وأخيه ، فان

التوبة عن المعاصي المتعلقة بحقوق الناس ، لا تكون مقبولة ولا صحيحة ، إلا بعد استرضاء صاحب الحق .

وهناك وجه آخر في طلبهم من أبيهم الاستغفار لهم ، وهو أن مشاركة الناس بعضهم لبعض في الدعاء مسنونة ، وإن من سنتة تعالى ، أن يتقبل من الجماعة ، بأسرع مما يتقبل من الواحد ، فدعاء الجماعة أرجى للإجابة ، وإن كان كل داع موعوداً بالاستجابة ، وإنما كانت المشاركة في الدعاء ، أرجى للقبول ، لأن الداعي للناس يؤدي هذه العبادة بسببهم ، أي أن ذنوبهم تكون هي السبب في شعوره واحساسه بالحاجة إلى الله تعالى والخضوع له والاتحاد المرضي عنده ، فكان حاجتهم حاجته ، فإذا كان يعقوب (ع) هو الداعي والمستغفر لأولاده أولئك التائبين مع استغفارهم هم ، فذلك من اشتراك قلبه الشريف مع قلوبهم بالحاجة إلى تطهير الله لهم من دنس الذنب ، وطلب النجاة من عقوبته ، وناهيك بقرب أبيهم يعقوب (ع) من ربه ، والرجاء في استجابة دعائه .

فإن قلت أين مشاركتهم لأبيهم في التوبة والاستغفار ، حتى يتم هذا التوجيه الذي ذكرته ؟ قلت طلبهم من أبيهم أن يستغفر لهم ذنوبهم مع قولهم « انا كنا خاطئين » هو توبة واستغفار ، فمعنى كلامهم : يا أبانا ، هانحن أولاء نعترف بذنوبنا وخطأنا ، ونستغفر لذلك ربنا ، فشاركنا في هذا الالتجاء والخضوع ، نعم ، نحن نعلم أن الله أقرب من جبل الوريد لعباده ، لكننا نريد من هذا أن نقر لك أولاً بخطأنا معك ومع الله ، ونريد ثانياً أن يكون طلب المغفرة لنا من الخالق ، بلسان المخلوق الذي كنا قد أخطأنا إليه ، ليكون ذلك أدعى إلى مغفرة الله لنا ، فإن الله أكرم من كل ماسواه .

« اصوات متزاحمة من المؤتمر »

( موحى ) ( قالون ) ( جيد ) ( أحسنت ) ( ليعش جميع أهل اللد ،  
لأجل خاطوك يا أستاذ )

## تسوية الاستغفار

آ (٩٨) — قال : سوف أستغفر لكم ربّي ، إنّه هو الغفور الرحيمُ

افتتحت الجلسة ، وتليت الآية الثامنة والتسعون ، فقام ابو الفضل الطنطاوي وقال :

سمع منهم أبوهم توبتهم وطلبهم الاستغفار فد ( قال ) لهم : وإن يكن هذا منكم إنما كان بعد حلول الدبرة ، وخراب البصرة ، فلا عليكم ، أما أنا فلا موجدة في قلبي نحوكم ، لأن الأيام ، تمحو الآثام ، ولأني أب ، والأب يحن بطبعه لأولاده — على ما فيهم — ؛ ها يومان يا أبناءي ، وها قميصان ، فمنذ ٢١ سنة جاءني « قميص » ينمي الي يوسف ، واليوم جاءني « قميص » يحمل بشري حياته وعزّة ، نعم نعم ، منذ ٢١ سنة حمل الي « قميص » أبكاني فايضت عيني ، واليوم حمل الي « قميص » ردّني بصيراً ، والدنيا كلها ماضية ، والحمد لله على كل حال ، والله يغفر لي ولكم ولجميع من كان مخلوقاً من الماء والطين ، فهذا ما كان من جهة حقّي ، لاسيما وغريمكم يوسف ، غفر لكم ورضي عنكم ، فأنا إذن لا يصح لي أن أتقاعس عن مساحتكم ، لئلا يقال : « رضي الخصمان وأبي القاضي » ، وأما من جهة حق الله تعالى فايّ والله ( سوف استغفر لكم ربّي ) أذاتكم ، فهو حقيق بالمغفرة ، خليق بالرحمة ( إنّه هو الغفور الرحيم ) وكفى ! فهو تعالى يُقيل عثرة الخاطئين ، وينهضهم من كبوتهم .



وهنا ملاحظات :

### اسباب تسويف يعقوب الاستغفار لاولاده

الملاحظة الأولى — أجبهم بالتسويف والمهارة لأسباب :

١ — ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها ، لأنه مامن شيء يفنى في الطبيعة ، وإنما الاشياء تتبدل مظاهرها .

٢ - حينما يذهب الى المعبد الذي كان علمته بالحجر حينما كان مسافراً من فلسطين الى العراق الى خاله « لابان » (١) ، وكان هذا المكان على غاية اثني عشر ميلاً من « القدس » وعلى الشمال منها على جبل افراميم ، وبعبارة أوضح : هذا المكان يسمى « بيت إيل » وهو الى شرقي خط يمتد من « القدس » الى « نابلس » على بعد واحد من كلتا المدينتين ، ويسمى اليوم « بتير » .

٣ — حينما يصل في طريقه لمصر الى « بئر السبع » فيدخل المعبد الذي كان بناه إبراهيم وإسحاق عليها السلام (٢) وهناك يستغفر لهم ، لأنه لا يرى أنسب وأقرب لاجابة الدعاء من أن يكون في المعبد الديني ، فكأنه رأى أن طلبيتهم هذه سابقة لمكانها ، ومكانها هو هذا المعبد ؛ قال أبو الطيب المتني :

وَمِنْ الْخَيْرِ بَطءُ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعُ السُّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامِ

أي تأخر عطائك عني يسدل على كثرة ذلك العطاء ، لأن اسرع السحاب سيراً أقلها ماءً .

٤ — لبعدهما يجتمع بيوسف ويراہ قد صفح عنهم تماماً ، وحينئذ يكون العدل قد استوفى حقه ، ولم يبق الا حق الله تعالى ، فلا يكون بعداً مانع من استغفار الله تعالى لهم .

(١) انظرتك ٢٨:١٠-١٩

(٢) انظرتك ٢١:٣٣ و٣٦:٢٥

٥ — آخر ذلك جرياً مع طبع الشيخوخة التي تتطلب التؤدة والثأني في سائر الأمور مطلقاً .

٦ — لحين تكون فيه الاجابة أقرب ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَابِ ﴾ ( ١٧:٣ ) ، لأن النفس تكون حينئذ أصفى ، والقلب أفرغ من الشواغل ، كما نقل عن بعضهم انه قال : « لولا صحبة الأخيار ومناجاة الحق في الأسفار — ما أحببت البقاء في هذه الدار » .

٧ — شرط مشروعية الدعاء أن لا يكون الانسان مصراً على الذنب ، وبما أن أباهم لم يرههم في حال تدل على الاقلاع والندامة بالمرة ، بخلاف يوسف ، فانه ربما يكون قد رآهم ، بحال تدل على الاقلاع والندامة ، إذ يجوز أن يكونوا قد خشعوا وخضعوا وبكوا أمام أخيهم يوسف ، فرآى انه لا مانع شرعاً من أن يطلب لهم المغفرة ، ولكنهم أمام أبيهم لم يخشعوا ذلك الخشوع ولم يخضعوا ذلك الخضوع ، لأن لهم مع أبيهم حرية أكثر من حريرتهم مع أخيهم « وزير المالية » و « عزيز مصر » و « وكيل الملك » فلذلك آخر أبوهم الاستغفار لهم حتى يتأكد توبتهم النصوح ، وندمهم الخالص ، لاسيما وقد سبق أنه رأى منهم الحيل ، وجرب عليهم الختل ، وأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون .

٨ — يرى بعض الناس — ولعل سيدنا يعقوب منهم — أن الوعد بالخير أفضل من اعطائه بغتة ، مثلاً : « منصور بن زياد » كلم « يحيى بن خالد » في حاجة رجل ، فقال له : « عِدْهُ عني قضاءها » — فقال منصور بن زياد : « وما يدعوك الى العِدَّة مع القدرة ؟ » — فقال : « هذا قول من لا يعرف موقع الصنائع من القلوب ، إن الحاجة اذا لم يتقدمها وعد ينتظر به نجحها لم تتحدث النفس بسرورها ، إن الوعد مطَّعمٌ ، والانجاز طعام ، وليس من قاجاه طعام ، كمن وجد رائحته ، وتطعمه ثم طعمه ، فدع الحاجة تختمر بالوعد ، ليكون لها عند المُصْطَنَع حسن موقع ، ولطاب محل » .

وقال بعض البلغاء : « دع الوعد يركض ثلاثاً ، فإن كثير العطاء قبل الوعد قليل » .

### هل وفى يعقوب بوعدہ لاولاده بالاستغفار لهم

الملاحظة الثانية — سمعنا أن سيدنا يعقوب وعد أبناءه بالاستغفار ، ولكن لم يبلغنا انه استغفر لهم كما وعد ، والجواب عن ذلك : اننا نتأكد يقيناً وقوع ذلك منه ، لأن وعد الحُرِّ دَيْن ، وكما أن الله لا يخلف الميعاد ، فظاهر أمره عليه الصلاة والسلام كذلك ، ولا يسعنا أن نعتقد في سيدنا يعقوب الا انه كما قال أبو الطيب المتبي :

أمضى ارادته (سوف) له قدِّ واستقرب الأقصى (فتم) له هنا  
أو كما قال :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

### هجرتنا يعقوب

الملاحظة الثالثة — نعلم من التاريخ أن يعقوب عليه السلام هاجر من فلسطين التي هي مسقط رأسه ووطنه الأصلي — هجرتين ، الهجرة الاولى للعراق ، وهذه كانت شخصية ، أي بشخصه فقط ، حينما كان أبوه في قيد الحياة ، وكانت «الخوف» من شر أخيه « عيسو » وهرباً من أن يقتله ، ومدة هذه الهجرة كانت ٢٠ سنة ؛ والهجرة الثانية لمصر ، وهذه كانت عمومية ، بجميع الأسرة ، وكانت — طبعاً — بعد وفاة أبويه ، « إسحاق عليه السلام ، وليئة رحمة الله » ، وهذه الهجرة كانت لدفع ونفع : أي لدفع الجوع والانتفاع بالغذاء ، وان شئت قلتم : كانت رَهْباً ورَعْباً ، أي رهبة من القحط ، ورعبة في لقاء يوسف ؛

وبعبارة أخرى : كانت هذه الهجرة كمن رمى حجراً ، فأصاب صيدين ، أو

كمن هرب من النار إلى الجنة ، أو كمن خرج من البدو إلى مملكة متمدنة أكثر من كل ممالك العالم ، ومدة هذه الهجرة ( ١٧ ) سنة ، ثم توفي عليه الصلاة والسلام .

### هجرة الانبياء

وبهذه المناسبة ، والشيء بالشيء يذكر نقول : كانت هجرة نبينا ﷺ من مكة للمدينة هجرة خوف من أهل الاولى ، وأمن عند أهل الثانية ، وهجرة سيدنا ابراهيم كانت هجرة اضطهاد من أهل العراق ، وهكذا كانت هجرة المسيح عليه السلام من فلسطين إلى ربوة ذات قرار ومعين ، وهجرة موسى عليه السلام من مصر إلى مدين ، وهجرتا لوط عليه السلام الاولى مع عمه سيدنا ابراهيم من العراق إلى فلسطين ، وهجرته الثانية من سدوم وعمورة إلى صوغر .

### مخلفات سيرة ابراهيم في ارض الميعاد بعد هجرتها عنها لمصر

الملاحظة الرابعة — قضي الامر ورحل اسرائيل باسرتة جميعاً للديار المصرية فسجل التاريخ في تلك الساعة أنه قد تم جلاء سلالة ابراهيم عليه السلام عن أرض الميعاد ( سورية الطبيعية ) بعدما كانوا أقاموا فيها ٢١٦ سنة شمسية ، أعني من سنة ( ٢٥٤٤ إلى سنة ٢٨٣٨ ) شمسية قبل الهجرة ، ولم يتركوا فيها وراءهم ملكاً ، سوى تلك المقبرة ، مغارة المكفيلة ( الغار الشريف ) ، وهي تحتوي إذ ذاك خمسة قبور ، لابراهيم وزوجه ( سارة ) ، ولإسحاق وزوجه ( ريفقه ) ، ولامرأة يعقوب ( ليئة ) ، وكان لسيدنا يعقوب قطعة حقل . ملكاً له في شكيم<sup>(١)</sup> ( نابلس ) .

هذا كل ما ملكوه في تلك السنين الكثيرة ، لأنهم لم يكونوا لينظروا إلى أمور الدنيا ، ولكن كان اهتمامهم بأمور الآخرة !! ( مرحي )

(١) « تك ٣٣ : ١٩ و ٤٨ : ٢٢ و ٥٠ : ٢٥ ويش ٢٤ : ٣٢ »

## الفصل الخامس

## السفرة الرابعة والاخيرة لمصر

## يوم اللقاء

آ (٩٩) \* ... فلما دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ، آوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ ،  
وَقَالَ : ادْخُلُوا مِصْرَ « إِنَّ شَاءَ اللَّهُ » آمَنِينَ . \*

افتتحت الجلسة ، وتليت الآية التاسعة والتسعون ، فقام وفق الكرام

الرملي وقال :

أمر يعقوب أولاده بالتهيؤ والأخذ في معدات السفر، تسرعاً وشوقاً للقاء ولده يوسف ، فلذلك تهيئوا وقاموا قاصدين مصر ، وما أن صاروا في حدودها ، حتى رأوا يوسف قد أمر بنصب الخيام عند هذه الحدود ، للقاء أبويه ( فلما دخلوا ) أي أبواه وإخوته ( على يوسف ) وقد أخذ مجلسه في سرادقه جالساً على عرشه ، قام فسلم على أبويه ، سلام الابن على والديه ، ثم ( آوى ) أنزل وضم ( إليه ) في خيمته ( أبويه ) أباه يعقوب وأمه المجازية « بلهة » وهي مرييته وحاضنته بعد موت أمه « راحيل » وهو ابن عشر سنين ، ومن حيث كونه استقبلهم في مضرب خارج مصر ، وقد أراد الجميع النهوض والقيام بعدما أخذوا حظهم من الراحة ( قال ) لهم ( ادخلوا مصر ) أتم وذراريكم ( إن شاء الله آمنين ) على أنفسكم وأموالكم وأهلكم لا تخافون أحداً ، حتى ولا من ملوك مصر ، آمنون من أن يلحقكم ضرر ما من جهتي بالجرم السالف ، لا سمح الله تعالى ، لأنني غفرت لكم ؛ آمنون من كل المكارِه والخاوف قاطبة من كل أحد .

( فلما دخلوا على يوسف ... الخ )

—٢—

وقال ابو الفيض الخليلي :

سفرة يعقوب وأسرته لمصر

كان اخوة يوسف اخبروا آباهم بما عليه يوسف ، ونقضوا له جملة حاله ،  
وما أوتيته من سمو ورفعة ، فأمرهم أبوهم بتحضير وسائل السفر بما يمكن من  
السرعة لشدة اشتياقه للقاء ولده يوسف على حد قول القائل :

حديثه أو حديث عنه يطربني      هذا إذا غاب أو هذا إذا حضرا  
كلاهما حسن عندي أسرُّ به      لكن أجلاهما ماوافق النظرا

ولما هياؤا أنفسهم للرحلة من فلسطين لمصر ، ركبوا دوابهم وقد أطلقوا لها  
الأعنة ، وهم ينهبون الأرض نهياً .

وداع يعقوب لفلسطين

وكان ييعقوب لما وصل لمتهى حدود فلسطين ومبدأ حدود القطر المصري ،  
وقف يودع فلسطين بما معناه .

« أنا اليوم في آخر ساعة من ساعات وجودي فيك يا فلسطين ، وأول ساعة  
من ساعات حلولي بالديار المصرية ، فسلام لك يا فلسطين المحبوبة ، سلام لك أيتها  
الأرض التي تشخب حجارتها لبناً وعسلاً ، سلام لك يامدقن إبراهيم وساراي  
وإسحاق ورفقة . والوداع الوداع ... الوداع . »

لقاء السنين

وكان يوسف عليه السلام قد أرسل فرساناً وحرماً لاستقبال أبيه الشيخ

وجلس هو في فسطاط أعد له ، جلس يتوقع مجيء أبيه ، وهو على أحر من الجمر ، وأخيراً وصلت الأسرة الاسرائيلية إلى فسحة الفسطاط ، وفي طليعتها نبي الله يعقوب عليه السلام .

ولما دخل يعقوب الفسطاط ، ووقعت العين على العين ، ولس القلب القلب ، نظر في وجه « عزيز مصر » وتفرتس فيه ، وقال مستفهماً « يوسف ؟ .. » — فقال له مستفهماً أيضاً : « والدي ؟ .. » — قال نعم ؛ — قال : ابني ؟ .. — قال أبي ؟ .. قال : نعم .. ولعل الله بعثك من الموت بمعجزة لنجاتنا وسرورنا — قال : سأكون خادمكم أجمعين — فقال يعقوب : الحمد لله على انفراج الأزمة برؤية ولدي ، فاذا مت الآن فاني أتوسد التراب قرير العين ناعم البال .

وكأني بحاضنته « بلهة » تبادلته معه عبارات التحية والسلام والشوق قائلة : « ولدي يوسف ؟ .. قال : « أمي بلهة » ؟ .. — قالت نعم ، قال : أهلا وسهلا » ولا تسئل عن يعقوب وماحل به من دواعي الفرح التي أنسته جميع عوامل الحزن ، إذ نظر نظرة عوضت عليه كل أحزانه وبلباله ؛ والمسافر عليل ، دواءه الوصول ؛ .

وهنا يحتاج القارئ إلى تقدير قيمة تلك الساعة السعيدة ، فانها من ساعات العمر ، إذ دخلوا على يوسف وهو على حال عظيم من الرقي والسؤدد ، والتمكن في أرض مصر ، وعنئذ تمثلت له السعادة عبداً رقيقاً ، ونقد كان المشهد مشهداً بهيجاً ، وكان الجيش والناس حوالي ذلك الحفل ، زرافات ووحداً ، وكوكبة بعد كوكبة ، ثم قدمت لهم المرطبات والمنعشات الطيبة ، واستراحوا من وعناء السفر :  
والقت عصاها واستقر بها النوى      كما قر عيناً بالاياب المسافر

ولا تسئل عن فرح يوسف بمجيء أبويه إليه ، ولا تسئل عن ساعة اللقاء

ما كان أحلاها ؟

ثم قال لهم يوسف : ها قد حللتم أهلاً ، ووطأتم سهلاً ، ادخل يا والدي  
« صوعن » العاصمة بل جميع الديار المصرية آمناً مطمئناً من الفراق والتهویش  
والتشویش ، وادخلوا يا أخوان الصفا مصر . واتم آمنون من كل مقاومة وتكدير  
لأنني سبق وقلت : « لا تريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » .  
واليك التعليقات التالية :

### حال يعقوب عند رؤيته يوسف

أولاً — كأنك يعقوب عليه السلام وقع بصره على ولده فبسم وبكى ، وحمد  
ربه واشتكى ، وقال في نفسه : « أواه من الماضي ، وشكراً لله على الحاضر » .  
وعندي أنه لاشيء يصور حالته هذه مثل قول ابن نباتة المصري يهنيء السلطان  
الأفضل ، ويعزيه بوالده المؤيد :

هناؤه محاذك العزاء المقدما	فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع	شبهان لا يمتاز ذو السبق منها
زده مجاري الدمع والبشر واضح	كوا بل غيث في ضحى الشمس قد همى

### مبدأ التاريخ العبراني

ثانياً — دخلوا على يوسف سنة ٢٣٩٣ ش . ق . هـ . ( أي سنة شمسية قبل  
الهجرة ) واعتباراً من هذا الحين أصبح بنو إسرائيل جالية فلسطينية بمصر ، وهذا  
مبدأ تاريخ العبرانيين وكانت مدة إقامتهم بمصر ( ٢١٥ سنة ) ثم بعده خرجوا  
من مصر على يد قائدهم سيدنا موسى ( سنة ٢٦٠٨ ش . ق . هـ ) ثم افتتحوا بلاد  
« سورية » على يد قائدهم النبي يوشع بن نون عليه السلام ، ومن ذلك التاريخ اعتبروا أمة  
بلايا كنعان وفلسطين ، التي هي أرض « الميعاد » حسب توراتهم .



## من هي ام يوسف التي اوها اليه

ثالثاً - الكتاب الكريم يقول : « آوى اليه أبويه » وانه لمعلوم أن أباه هو سيدنا يعقوب ، ولكن من هي أمه هذه التي حضرت لمصر؟ قيل هي أمه الحقيقية « راحيل » ، ولكن ورد في كتب المؤرخين تبعاً لسفر التكوين ، أن راحيل توفيت وعمر يوسف عشر سنين ، ودفنت على طريق إفراته « بيت لحم » ، وأقام سيدنا يعقوب نصباً على قبرها ، وكان موقع قبرها معروفاً لحد أيام صموئيل وشاؤل ( ١ ص ١٠ : ٢ ) وهو من الأماكن الفلسطينية ، التي يزورها اليهود والمسيحيون والمسلمون بدعوى التبرك به ... وقد زاره السائح « مندريل » ( سنة ٢٣١٩ ق.هـ ) ، واتفاق العموم على أن ذلك المقام هو قبر « راحيل » ، لاسبيل إلى الاعتراض عليه ، لأن ما ورد في التاريخ يعضده من كل وجه .

وقيل : إن أمه التي حضرت لمصر هي « ليئة » اخت « راحيل » . لأن الخالة أم ، كما أن العم أب ، وقد سمي النبي عمه « العباس » أباه ، وقال تعالى : ﴿ وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ ( ٢ : ١٣٣ ) ، ولكن ورد في التواريخ تبعاً لسفر التكوين أن « ليئة » ماتت قبل رحلة يعقوب لمصر ، ودفنت في الغار الشريف .

وقيل ان المراد من أمه التي حضرت لمصر « بلهة » جارية أمه ، ومريته حال حياة أمه وبعد وفاتها ، لاسيما أنه بعد وفاتها قد انتقل هو وأخوه بنيامين نحيمتها ، والمربية أو الرابطة تدعى أمأ ، لقيامها مقام الأم ، كما كان « هرون الرشيد » يدعو « عبادة » امرأة يحيى البرمكي - أمأ له ، لأنها كانت أرضعته وهذا هو الصحيح ، وقد ورد في الحديث ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : « أم أيمن أمي بعد أمي » لأن « أم أيمن » كذلك حضنته وكفلته بعد وفاة أمه السيدة « آمنة » من حين أن كان عمره ست سنين ، الى أن انتقل الى بيت جده « عبد المطلب » وكان ، روجي له الفداء ، يبرها مبرة الأم ، ويكثر زيارتها ، وكان عندها كولدها ، كانت رضي

آ (٩٩) يعقوب يرحل عن ارض الميعاد لمصر حباً بولده يوسف ١٣٢٥

الله عنها مولاة لأم رسول الله ﷺ ، ثم صارت مولاة لرسول الله بالميراث ، وهكذا كان الحال في « بلهة » ، وكانت أولاً مولاة « لراحيل » أم يوسف ، ثم صارت مولاة لولدها يوسف بالواسطة ، أي بواسطة صيرورتها مولاة لأبيه يعقوب ، ثم أن راحيل وهبتها له ليفترشها .

### يعقوب يرحل عن ارض الميعاد لمصر حباً بولده يوسف

رابعاً - رحل يعقوب عليه السلام من أرض الشام مع أنها أرض الميعاد ، وهي الأرض التي بارك الله فيها للعالمين ، حباً بولده يوسف «بمجيراتها تغلوا الديار وترخص» قال بعضهم :

أقبل ذا الجدار وذا الجدارا      أمر على الديار ديار ليلي  
ولكن حب من سكن الديارا      وماحب الديار شغفن قلبي  
وقال العرجي :

نبت حولاً كاملاً كله      لانلتقي إلا على منهج  
الحج إن حجت ، وماذا منى      وأهلته؟ إن هي لم تحجج  
الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، والمؤجر قبل المؤجر ، وأخيراً  
قال تعالى : « ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة » ( ٦٦ : ١١ )

### كيف قابل يوسف ابويه عند دخولهما عليه وكيف عاملهما

سادساً - عندنا أن يوسف قابل أبويه بمقابلة تتراوح بين مراعاة مركز الحاكمية ، ومراعاة الادب ، ودليلنا على الشق الأول قوله تعالى : « فلما دخلوا على يوسف فدخولهم - بما فيه أبواه - عليه في فسطاطه يشعر بأنه لم يخرج منه لاستقبالهم ، وكذلك قوله تعالى : « آوى إليه أبويه » يشعر أنه كان عاملهم إذ ذاك معاملة رحمة ، معاملة راحم لمرحوم ، معاملة حاكم لمحكوم ، معاملة أمير لرعية ؛

ودليلنا على الشق الثاني قوله تعالى : « ورفع أبويه على العرش » ، يشعر أنه عامل أبويه إذ ذاك معاملة الاجلال والاكبار ، معاملة رعية لأمير ، معاملة ابن لأب ، فافهموا أسرار كتاب الله ، والسلام عليكم . (مرحى)

### خطبة الوثام والسلام

آ (١٠٠) \*... ورفع أبويه على العرش ، وخرُّوا له سُجَّداً ، وقال : يا أبت ، هذا تأويلٌ رؤيائي من قبلي ، قد جعلها ربي حقاً ، وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ، وجاء بكم من البدو ، من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي ، إن ربي لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم . \*

افتتحت الجلسة ، وتليت الآية المتممة للمة ، فقام ابو الفتح الحلبي وقال :

( و ) بعد أن دخل يوسف وابواه واخوته مصر ، وعبروا دار الحكومة ، ( رفع أبويه على العرش ) ليجلسا عليه معه ، ويشركها معه في الجلوس على سرير الحكم ، سرير وكيل الملك ، وأما اخوته فقد طأطأوا رؤوسهم ( وخرُّوا له سجداً ) لأنهم لم يروا أنفسهم أكبر من أن يسجدوا له ، ولم يروا يوسف وكيل الملك أصغر من أن يكون مسجوداً له ، ولأن هذا هو شكل التحية الذي كانت الرعية تؤديه للملك ، ولأن كان قريباً من منزلته كوكيله ، فهو قاعدة متبعة قديماً في مصر والصين والفرس والكلدان والهند وعند العبرانيين ، كما رواه لنا التاريخ الشرقي ، ونقله أصحاب السير والأخبار ، ثم عندئذ وقف يوسف خطيباً في أبويه واخوته ( وقال : يا أبت ، هذا ) الحال الذي تراه اليوم ، في هذه الجلسة التاريخية ، هو

( تأويل رؤياي من قبل ) أي منذ ٢١ سنة ( قد جملها ربي حقاً ) فأصبح المتأم يقظة ، والحلم علماً ، والظن يقيناً والقول فعلاً ، فهذا هو « الشمس » - وأشار إلى أبيه - وهذه هي « القمر » - وأشار إلى أمه بلهة - وهذه هي الحجر المؤلفة من الأحد عشر كوكباً - وأشار إلى إخوته - وهذا هو الحقير المسجود له - وأشار إلى شخصه الكريم ( وقد أحسن ) سبحانه وتعالى ( بي ) إحساناً مزدوجاً ( إذ أخرجني من السجن ) على الصورة التي أحب ، بريئاً ، شريفاً ، تقي الذيل ، أبيض الوجه ( وجاء بكم من البدو ) العراء ، على الصورة التي تحبون ، وكان هذا كله ( من بعد أن ) وقعت تلك الحادثة العتيقة ، وهي أنه قد كان - مع الأسف - أن ( نزع الشيطان ) أفسد وأغرى وأثار داعية الشر ( بيني وبين إخوتي ) فعاضنا الله عن ذلك ، بالصفاء والمحبة والالفة ، ولا ريب أن هذا كله بتدبير الرب ( إن ربي لطيف لما يشاء ) إذا أراد حصول شيء ، سهل أسبابه ، ودبر له طريقاً دقيقة ، فإذا هو حاصل ، وإن كان في منتهى البعد عن المحصول ( إنه هو المليم الحكيم ) والعبرة بالخواتيم .

هذا هو النطق الذي قام يوسف في تلك الجلسة التاريخية ، والقاء على الحاضرين وكان يتكلم وعواطفه تتكلم معه ، وقلبه يتهلل فرحاً ، وقد وقع صوت هذا النطق على قلب يعقوب عليه السلام وقوع الماء الزلال على قلب الظمآن .

ورفع أبويه على العرش ... الخ

— ٢ —

وقام السيد فضل الله الغزي وقال :

مصداق رؤيا يوسف الثانية

ليعني القاريء الكريم من وصف ما كان عرا سيدنا يعقوب عند تلاقيه مع

ابنه يوسف ، من الغبطة والسرور ، وما كان جد ليوسف حينذاك من الفرح والنشاط ، فذلك مالا يقع في الامكان ، ولاتناله قدرة كاتب ، ولا فصاحة خطيب ولو لم يكن يعقوب نبياً ، لو لم يكن هو ذلك الثابت الوقور الرصين ، الذي لاتزعجه حوادث الفرح والترح - لما احتمل لذة سماع البشرى ، بسلامة ابنه وأنه وكيل ملك مصر - لما احتمل ذلك بدون أن يغمى عليه من الفرح والغبطة - لما احتمل لذة رؤية ولده جالساً على العرش ، دون أن يغيب عن الوجود ، من شدة سروره وحبوره - لما احتمل سماع الخطاب التاريخي ، دون أن يملأ تلك الجلسة بكاء ، على حد « من عظم ما قد سرني أبكاني » ، وكيف لا .. وهو لا يشعر إلا وولده المحبوب قد خرج من بين أنياب « الذئب » الى عرش الوزارة بمصر - من الغيبة الى الحضور - من الموت الى الحياة - من رعي الاغنام الى رعي المصريين - من بدو فلسطين ، الى حاضر الكنانة - وبالجملة من لاشيء ، الى كل شيء !!!..

أقول : عند وصول يعقوب وأبنائه الى دار الحكومة المصرية ودخولهم قاعة العرش التي فيها يوسف ، رفع يوسف أبويه على العرش الذي كان قد استوى عليه ، أي على سرير الوزارة وحاكمية الديار المصرية كعزيز لمصر ووكيل عن ملكها الريان ، وقد كانت هذه الساعة عند سيدنا يعقوب هي أهنأ ساعات العمر وأسعدها ، فغفر للدهر من أجلها جميع سيئاته عنده ، بل نسي عندها انه ذاق شيئاً من طعم الحزن والألم ، وأما إخوة يوسف ، فقد خروا له سجداً - (هكذا قاله ابو حيان في بحره ، وكل من أرجع الضمير للاخوة والأبوين جميعاً ، فقد اعتزل الفهم الصحيح) - خروا له سجداً ، والخنوع والذل يتمشيان في أعضائهم ، واستسلموا بين يديه بحدهم وحديدهم ، مع أنهم فيما تقدم منذ ٢١ سنة لم يكونوا راضين بما هو أقل من ذلك جداً ، وهو أن يكونوا في المنزلة الثانية من محبة أبيهم اليهم ، خروا له سجداً ثم جلسوا محيطين به مثل إحاطة الهالة حول القمر ، جلسوا في

صمت عميق ، جلسوا وهم مأخوذون مسلوبون بما غمهم من الخجل والحياء ،  
ويا ما أعظم هذا المقام الرفيع ؛ وذكر رفعه لأبويه العرش ، وخروج إخوته  
للسجود أمامه ، يكفينا في تصوير ما في هذا المقام من دهشة ورهبة وجلال ، وهذا  
مصدق رؤيا يوسف الثانية المذكورة في القرآن المجيد ، وهي سجود الأحد  
عشر كوكباً ، والشمس والقمر ، كما انه بمجيء إخوته الأحد عشر عنده ، في  
السفرة الثانية ، وسجودهم له حصل مصداق رؤياه الأولى ، المذكورة في سفر  
التكوين ، وهي ان حزمهم الإحدى عشرة سجدت لحزمته ، وبهذا وهذا تم  
انتصاره على إخوته ، الذي هو من قبيل انتصار المحسود على حاسديه ، أو انتصار  
الفرد على الجماعة ، أو انتصار المشرود المطرود ، على مُشرِّديه وطارديه .

وأما أبناء اخوة يوسف ، النجباء الكرام !! . فكثوا غير بعيد ، ينظرون  
لعمهم جالساً على عرشه وبجانبه أبواه ، وتحفه إخوته ساجدين لعظمته ، وعندئذ  
اعتقدوا أن الذي يبين درجات الناس إنما هو المجالس ، واجتماع الناس بعضهم ببعض .

وإذا ما خلا الجبان بأرض ذكر الطعن وحده والنبالا

ولا بد انهم في هذه الحالة تذكروا قولهم لجدهم : « تالله إنك لفي ضلالك .  
القديم ، فخرجوا بينهم وبين أنفسهم ، وههنا وجد يوسف مكان القول ذا سعة ،  
فقام فيهم خطيباً وقال موجهاً الكلام الى أبيه : « ياأبت الشيخ الوقور المحترم ،  
تراني لم أذهب بالخيال بعيداً ، ولا أزيدك علماً أن هذا الحال الذي وقع أمامك ،  
هو مصداق رؤياي التي رأيتها سابقاً في صباي منذ ٢١ سنة ، وهو مصيرها ومرجعها  
لا أقل ولا أكثر ، وهي الرؤيا التي علقنا عليها آمالاً جسماً ، وكنا نتقائل بها .  
خيراً ، وكنا نقول ، ليس بكثير على الأيام أن يصبح حملنا يقظة ، وآمالنا حقيقة  
راهنة ، فهاهو ذا قد جعلها ربي حقيقة واقمة ، حيث جاءت كفلق الصبح ، أصفى .

من طلعة القمر ، ليس دونه سحب ، فصدق بذلك قالنا ، وصحت أحلامنا وآمالنا ، فالحمد لله على آلائه ، وله الشكر على نعمائه ، وقد أحسن سبحانه بي احساناً متصلاً بذاتي ممازجاً لنفسي ، إذ أخرجني من السجن ، سجن الظلم على الوجه الذي أحبه وتحبه ، وأرضاه وترضاه ، نقياً ، طاهر الذيل ، ناصع الجبين ، وجاء بكم من البداوة وشظف العيش ، لمصر التاريخية العظيمة بأثارها الخالدة ، المتمدنة المتحضرة ، زهرة ممالك العالم .. جاء بكم من البدو الذي قيل فيه : « من بدأ جفا (١) » أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب ، لتوحشه وانفراده عن الناس ، جاء بكم من البدو الى الحاضرة ، ذات الأنس والاجتماع ، وضروب الأشكال وأنواع المسرات ، ثم الف بين قلوبنا من بعد أن نزع الشيطان وأثار داعية الشر ودخل في الفساد بيني وبين اخوتي ، وقد ذاب وتلاشى هذا النزغ في الهواء ، أمام اتفاقنا ومحبتنا لبعضنا لبعض ، عملاً بالوصايا السماوية ، كما قال تعالى :

﴿ واذكروا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ، فَأَلْتَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَاصْتَبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ ( ١٠٣:٣ ) ، وهذا من لطفه تعالى ، إذ انه لطيف لما يشاء ، لطيف التدبير ، فلا صعب إلا وله فيه تدبير ، ينفذ فيه مشيئته ، لطيف التوصل لما يريد ، بدقة ومهارة وخفة ورشاقة ، يتلطف لاستخراج الأمر الذي يريده ، وقريب منه : ﴿ وَلِيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ ( ١٩:١٨ ) ، فمن لطفه تعالى أن سخرني لاعالة الناس في أيام السغب والمجاعة وبتنوع أخص : باعالتكم وقد بلغت اسرتكم ال ٧٥ شخصاً ، ومن لطفه تعالى انه أطفأ النائرة (١) وسكن النائرة (٢) وذهب بالعداوة بيننا ، وأبدلها بالمودة في القربى ، والرحمة مع ذوي الرحم ، ومن لطفه انه لم يحرمني منكم ، ولم يفجعكم بي ، بل حفظنا جميعاً ، ثم زاد

(١) حديث شريف .

(٢) النائرة العداوة (٣) النائرة الغضب

آ (١٠٠) اختصار يوسف القول في جلسة الالهام وتبسطه فيه في جلسة السلام ١٣٣١

في لطفه بنا ، فنظمتنا في سلك هذه الجلسة التاريخية ، وسيكون جامعاً بيننا في هذا القطر الواحد ، تحت سماء واحدة ، الى ماشاء الله ، فليذهب الماضي بخيره وشره ، ولنسدل عليه الستار وليأت لنا المستقبل بما نحب ، بقوة الله تعالى ، إنه هو العليم الحكيم .

هذه هي الخطبة « النورية » (١) اللطيفة ، خطبة الوثام والسلام بينه وبين اخوته ، كانت منه في مقابلة خطبتهم « النارية » (٢) التي في (ع ٨-١٠) التي كانوا ألقوها وتبادلوا فيها الآراء يوم المؤامرة على يوسف . (أحسنه)

( ورفع ابويه على العرش ... الخ )

— ٣ —

وقال السيد نعمة الله الدمشقي الميداني (٣) :

بمضى في الآية الكريمة على التعليقات التالية :

( اختصار يوسف القول في جلسة الالهام وتبسطه فيه في جلسة السلام )

(١) — نرى يوسف عليه السلام ، قد اندفع في خطابه الذي القاه بحضور أهليه جميعاً كالسيل المنهمر ، ورزق نشاطاً أيما نشاط ، بخلاف وقفته وهو لدى الباب بين يدي العزيز فوطيفار حينما قالت زليخا : ( ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم ) ، فأننا رأيناه في ذلك الموقف قد اختصر القول اختصاراً ، إذ قال : ( هي راودتني عن نفسي ) وسكت ، فأين ذلك الاتقباض والاختصار في القول ، من هذا التبسط والاندفاع فيه ؟ فهو قد أنشأ هنا خطاباً أظن فيه أيما إطناب .

(١) نسبة الى النور (٢) نسبة الى النار

(٣) نسبة الى حي الميدان في دمشق (سورية)



ولعل السر في هذا الاطناب هو سروره وفرحه بأبيه وذويه ، والسر في اختصاره فيما سبق ، حصره وانقباضه ، لكونه كان عبداً خادماً ، ويعجبني هنا قول القائل :

في انقباض وحشمة فاذا      صادفت أهل الوفاء والكرم  
أرسلت نفسي على سجيتهما      وقلت ما قلت غير محتشم

وأيضاً اين مقامه وهو عبد خادم من مقامه وهو سيد مخدوم ؟ واين مقامه وهو حاكم من مقامه وهو محكوم ؟ واين مقامه وهو يتكلم بين يدي أهليه ، من مقامه وهو يتكلم بين خصومه وعدويه ؟ وأخيراً أين مقامه وهو صبي يافع ، من مقامه وهو رجل كهل ؟

### ( مصداق قول يوسف ومصداق قول ابيه )

( ٢ ) — يقول هنا سيدنا يوسف : ﴿ هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ يريد أن هذا مصداق قوله سابقاً : ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكباً .. الخ ﴾ .  
واما مصداق قول ابيه له : ﴿ وكذلك يجتبيك ربك .. ﴾ فقد اجتباها بالنبوة والرسالة كما قال مؤمن آل فرعون : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم في شك مما جاءكم به ، حتى إذا هلك ، قلم : لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ ( ٤٠ : ٣٤ ) ، وأما مصداق قوله : ﴿ ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ فقد أول حلمي الساقى والخباز ، وحلمي ملك مصر ، هذا رأي الجمهور في معنى « تأويل الأحاديث » وأما على رأي البعض ، من أن « تأويل الأحاديث » مغازي (١) مطلق الكلام ، فقد علمه الله مصائر جميع الكلام وأغراضه ، ومخارجه ومدخله ، وكل ما يرمي اليه القول سواء أ كان حديث منام أو حديث يقظة ، وسواء أ كان كلاماً أخروبياً ، أو دنيوياً ، سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً ، الى

آخر فنون الكلام ، والدليل على ذلك كله أعمال يوسف الواقعة الثابتة التي قام بها في تدبير الملكة المصرية .

وأما مصداق قوله « ويتم نعمته عليك » فقد تمت بخروجه من السجن ، الى كرسي وكالة الملكة ، وأنه صار « وزير مالية مصر » و « عزيزها » وأنه كان السبب الوحيد في حياة المصريين ، حتى سماه « الريان » « صفات فنيح » ومعناه على ما قيل « طعام الحياة » أو « قوت الأحياء » أو « مخلص العالم » والمعنى على كل من هذه التفاسير ، أن يوسف كان علة قوت الأحياء أو طعامهم واتقاذهم من الموت ، بما أتاه من خزن الحنطة ، الى زمن القحط ، ومن اتمام نعمته عليه انه تزوج امرأة شريفة وهي « أسنات » بنت كاهن « أون » وهي قرية « بيت شمس » على ستة أميال من القاهرة ، وفي الشمال الشرقي منها ، وكان أبوها واسمه « فوطي فارح » من كبار رجال الدين المقدمين في نظر حكومة مصر ، وقد رزق منها ولدان هما « منسى » و « أفرايم » وكل هذا الذي بلغه يوسف لم يكن إلا بالعناية الإلهية ، فلذلك يعد من أمثلة اتمام نعمة الله عليه ، لا سيما متى تصورنا نبوته ورسالته ومنصبه الجليل .

وأما مصداق قوله « وعلى آل يعقوب » فقد صار بخروجهم فيما بعد من أرض السخرة والعبودية ، ثم بدخولهم الشام أرض العز والحرية ، حيث استولوا عليها على يد موسى ، ثم على يد « يشوع بن نون » وقبض الله لهم قضاة يحكمونهم ، ثم آتاهم الله الملك ، وجعل في سلاسلهم النبوة والكتاب ، وأنزل على موسى منهم التوراة وعلى داود الزبور ، وعلى المسيح الانجيل ، وفضلهم على عالمي زمانهم ، حيث كانوا موحدن ، وأما باقي أهل عصرهم ومواطنيهم من الأمم فكانوا وثنيين .

( الإحسان يتعدى بالباء وبإلى )

( ٣ ) — تعليقا على قوله « أحسن بي » الإحسان يتعدى بالباء وبإلى ، فيقال أحسن اليه وأحسن به ، وكذلك أساء اليه وأساء به ، قال الشاعر : « أسئني

بنا أو أحسنى لاملومة ، ، والأول أبلغ ، لأن من احسن به الله هو من يتصل به برّه ، وُحسن معاملته ، ويلتصق به مباشرة على مقربة منه ، وعدم انفصال عنه ، وأما من أحسن الله اليه ، فهو الذي يسري بره ، ولو على بعد ، أو بالواسطة ، إذ هو شيء يساق اليه سوقاً ، ونظير ما هنا قوله تعالى : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ (٢: ٨٣)

### ( معنى « البدو » )

( ٤ ) — تعليقاً على كلمة « البدو » يجوز أن يكون ذلك مصدراً ، لأنه يقال : « بدا يبدو بدواً » إذا أقام أو نزل في البادية ، والواقع ان يعقوب وأولاده وأهله جميعاً كانوا من أهل الخيام ، من ساكني البادية غالباً ، وقد يكون ساكناً في الحاضرة مثل « قرية أربع » أو « بئر السبع » أو « سيلون » ولكن ذلك قليل ، ويقال للمقيم في البادية : « باد » كقوله تعالى : ﴿ سواء العاِ كِفُ فيه والبادِ ﴾ ( ٢٢ : ٢٥ ) وجمعه « بادُون » كما قال تعالى : ﴿ لو أنهم بادُون في الأعرابِ ﴾ ( ٣٣ : ٢٠ ) ، ويحتمل أن « البدو » هنا بمعنى البادية ، وهي خلاف الحاضرة ، والنسبة اليها بَدَوِيٌّ ، وههنا أتذكر قول القائل سراج الدين الوراق مورياً :

« وبي من « البدو » كحلاء الجفون « بدت » »

في قومها كمهاة بين آساد

فلو « بدت » لحسان « الحُضر » فمن لها

على الرؤوس وقلن : الفضل « للبادي »

فقوله : « وبي من البدو » أي البادية ، وقوله « بدت » أي ظهرت . ويقال بدا من باب سما أي ظهر ، وقوله « الحُضر » جمع حاضر أي ساكن في الحاضرة ، وهو كفارس وفُرْس ، وقوله « للبادي » هو موضع التورية ، ومعناه المقيم في البادية بقرينة « البدو » ومقابلته بالحُضر ، أو معناه الظاهر بقرينة « بدت » ، ويحتمل

آ(١٠٠) معنى « النزغ » والرد على القول بان اختلاف الامة رحمة ١٣٣٥

ايضاً أن كلمة « البدو » اسم لموضع بالشام قرب « وادي القري » كالتى به منزل « علي بن عبد الله بن عباس » وأولاده (رض) ، كما فى « النهاية » .

معنى « النزغ » والرد على القول بأن اختلاف الامة رحمة

(٥) — النزغ دخول فى أمر لإفساده ، نزغ أفسد وأغرى ، وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري ، نَزَعَ وَنَزَّحَ وَنَزَّقَ وَنَزَعَ وَنَسَخَ وَنَخَسَ وَنَخَّرَ وَنَفَّرَ وَتَكَزَرَ وَوَكَزَرَ وَهَمَزَ وَطَمَنَ ، الفاظ متقاربة المعنى ، وأصله اصابة الجسد برأس شىء محدد ، كالابرة والمهاز والرمح ، أو ما يشبه المحدد كالاصبع . ويقال : نزغ ونزغ بين الناس ؛ والمراد من نزغ الشيطان ، اثارته داعية الشر والفساد فى النفس ، بداعية غضب أو شهوة ، حيوانية أو معنوية بحيث تنقحتم بصاحبها الى العمل بتأثيرها ، كما تنخس الدابة بالمهاز ، لتسرع فى العدو ، وغلب استعماله فى الشر فقط ، وبناء عليه فنزغ الشيطان ، افساده وإغراؤه ، يحمل على التفريق بين الجماعة المؤتلفين ، وهذا هو عين الشقاوة ، وأما ما يروونه من حديث « اختلاف أمتى رحمة » فقال الحافظ السخاوي : « زعم كثير من الأئمة ، أنه لا أصل له » ، وهذا القول هو الصواب ، كيف والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ، مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣ : ١٠٥) وكيف يقال : الاختلاف رحمة ؟ والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ (١١ : ١١٩) والثابت بالشرع والعقل والتجربة ، ان الاختلاف نقمة ، وبسببه تفرقت الكلمة ، وذهبت الريح والشوكة ، الى أن وصلنا الى هذه الدرجة من الضعف ، وذهب ملكنا ، وصارت المملكة الكبيرة من ممالكنا ، تقع فى قبضة الأجانب ، فلا يبالي سائر المسلمين بذلك ، فأين الوحدة والاخوة والتواد والتراحم وتمثيل مجموعهم بالجسد الواحد ؟ كل ذلك قد زال ، وكان مبدأ زواله ذلك الاختلاف .

## توجيه النزغ للشيطان

(٦) - وجهه دفعة النزغ الى الشيطان ، مع أن «الكيد» إغما وقع من إخوته ، لطفاً منه وأدباً معهم ، وأيضاً فهو وجهه فكره للسبب الأول الأساسي ، وهو الشيطان ، وأما أبوم عليه السلام فنظر للسبب الأول ، ولمن سيتأثر منه ، فقال : « فيكيدوا لك كيداً ، إن الشيطان للانسان عدو مبین . »

## أدب يوسف في التعبير وامتد من ادب تعابير القرآن

(٧) - يقول يوسف : « من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي » ولم يقل . مثلاً : من بعد أن تأمر عليّ إخوتي ، أو : من بعد أن القاني إخوتي في الجب ، أو : من بعد أن لعب الشيطان على إخوتي ، بل عبر بتلك الجملة الذهبية التي فاه بها أمام إخوته ، لأنها عبارة رقيقة معزّية ، تنعش البائسين ولا تذلل عزة السامعين ، ولا تجرح عواطفهم ، وهذا أدب مشروع في التعبير ، ولطيف جداً ، وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة منه كقوله : ﴿ لا تقولوا : راعنا ، وقولوا : انظُرنا ﴾ (٢ : ١٠٤) ، وهو خطاب للمؤمنين إذ نهام الله تعالى عن أن يقولوا للنبي ﷺ كلمة « راعنا » لما فيها من سوء الأدب وأمرهم بكلمة أدب وألطف منها وفيها المعنى الذي كانوا يريدونه منها وهي « انظُرنا » ، ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ (٥ : ٧٨) . والكلام هنا عن المسيح عليه السلام وأمه ، وقوله عز وجل كانا يأكلان الطعام كناية عن أنها بحاجة الى الغذاء والى الهضم والى دفع الفضلات .. أي أنها مفتقرتين الى ما يقوم بأودهما كسائر أفراد نوعها وجنسها ، ففي قوله : « يأكلان الطعام » من أدب اللفظ ولطف التعبير ما فيه ، ﴿ فجعلهم كعصف ما كول ﴾ (٥ : ١٠٥) ، فالعصف المأكول كناية عن التبن الذي تأكله الدواب ثم تروثه ، وقد عبر القرآن الكريم بذلك لما فيه من الادب والحشمة ، ﴿ خَلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ

بين الصُّلبِ والترائبِ ﴿ ( ٨٦ : ٦ و ٧ ) اللاء الدافق كناية عن النبي، وخروجه من بين الصلب والترائب كناية عن خروجه من مجرى التناسل ، وهي من الالفاظ التي تتضمن الأدب الرفيع ، ﴿ وَثِيَابِكَ فَطَهَّرَ ﴾ ( ٧٤ : ٤ ) فتطهير الثياب كناية لطيفة عن نظافتها من النجاسات ، والكلام موجه الى النبي ﷺ ، ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ ( ٧٣ : ٢٠ ) فاقراض الله كناية لطيفة عن أداء الزكاة الى الفقراء ، ﴿ وَوَاهِبْ لَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ ( ٧٣ : ١٠ ) فالهجر الجميل كناية لطيفة عن المخالفة والابتعاد ، ﴿ إِنَّا حَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ( ٧٠ : ٣٩ ) كناية لطيفة عن النطفة التي يُستحى من ذكرها .

﴿ يَذَّبُّحُونَ أَبْنَاءَ كَمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كَمْ ﴾ ( ٤٩ : ٢ ) ، فيستحيون يطلبون حَيَّ المرأة ، وهو فرجها ، فعبر بكلمة « يستحيون » لافها من الأدب ونظف العبارة ، (١) ﴿ أَحِلِّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ... فَالآنَ

### معنى استحياء النساء في قوله « يستحيون نساءكم »

(١) وههنا سأل بعض اعضاء المؤتمر الرئيس ان يوضح لهم ويبسط هذا البحث ، وهو بحث « استحياء النساء » الذي جاء في الآية فقال : « يستحيون نساءكم » معناه : يطلبون « حيين » وهو فرج الآدمية ، كما أن « الحيا » فرج الحيوان من ذوات الحف والظلف والسباع ، ويرجع هذا المعنى في الآية بأمر سبعة :

١ - لو كان المقصود من قوله : « يستحيون نساءكم » يستبقوهن ، لكان يستغنى عنه بالاقطار على ذكر تذييح الأبناء .

٢ - نسمع ربنا سبحانه وتعالى يقول : « وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » (٤٩:٢) ، ولاريب أنه أراد من البلاء مجموع الأمرين : تذييح الأبناء ، واستحياء النساء ؛ وما هو هذا البلاء العظيم في استبقاء النساء ؟ لعمرى انه نصف رحمة بأهلين ، ورحمة كاملة بنفس هؤلاء النساء المستبقيات ، فإذاك إلا أن لاستحياء هؤلاء النساء معنى آخر به يكون استحياءهن بلاء عظيماً ، وما ذاك الا المعنى الذي ذهبنا اليه .

٣ - لو كان المراد من الاستحياء ، الاستبقاء ، اعبر بقوله : « يحيون » لأنه أنصر ،

كما قال : « ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعاً » ( ٥ : ٣٥ ) =

بشروهن» ، وابتغوا ما كتب الله لكم\* (١٨٧:٢) ، في هذه الآية ثلاث لطائف : الأولى هي أن أصل «الرفث» الفحش في الكلام ، وأراد منه الوقاع ، والثانية أصل «المباشرة» مماسة ظاهر البشرة أي الجلد ، والمراد منه أيضاً الوقاع ، الثالثة ، يريد

٤ - لو كان الغرض من الاستحياء الاستبقاء ، لبر « بالبنات » بدل تعبيره بالنساء ، الذي يظن استعماله في المرأة الكبيرة ، موافقة للواقع ، لأن المصريين ما كانوا يستبقون النساء الكبيرات بل البنات الصغيرات ، كما ان اليهود بمصر ما كانوا يستسهلون تمكين المصريين من بناتهم ، ولكن بنسائهم فقط ، لانهم تعلموا استسهاله من اصولهم - على ذمة التوراة - وعلى هذا فيشبه أن يكون في الآية الكريمة ، استخدام على مذهب ابن مالك ، وهو أن يطلق لفظه معينان ، محفوف بقرينتين ، فالسابقة تتطلب أحد المعنيين ، واللاحقة تتطلب المعنى الثاني ، فهذا اللفظ هنا هو « يستحيي » يحتمل أن يراد به : يستحي بقرينة قوله سابقاً « يذبح » ويحتمل أن يراد منه : يطلب « حي » المرأة بالزنى ، بقرينة قوله لاحقاً : « نساءكم » .

٥ - الزنا هو لزيم التوثن ، كما يعرف تماماً بمراجعة كتب التاريخ القديمة ، لاسيما أسفار التوراة وتاريخ الكلدان وأستور ، وغيرها من الكتب التي تحكي حوادث الامم الوثنية العتيقة ، وأنه لأمر معلوم أن المصريين وثنيون ، ومثلهم الاسرائيليون بمصر في ذاك التاريخ ، فلا بد أن تكون وثنية الطرفين قد أوقعتهم في شبكة الزنا ، لان الزنا والشرك اخوان ، كما هو المعروف عند جميع الوثنيين ، حتى وثنيي العرب والهند ، وحتى أهل الصين واليابان لليوم .

٦ - هذه القصة ذكرت في القرآن في ستة مواضع ، ولم يأت في موضع واحد منها لفظه : يحييون أو يحيي أو نحبي أو استحيوا ، فلو كان المراد الاستبقاء ، لكان عبر - ولو في محل واحد من هذه المحال الستة - بدون سين وتاء ، طلباً لتنشيط القارئ والسامع والكاتب ، بالتبدلات والتغيرات في اللفظ ، كما هو عادة القرآن .

٧ - سنة القرآن باطراد ، انه متى أراد المعنى المقابل للامانة ، أن يعبر عنه « بأحيا » ، بدون سين وتاء ، كما أن سنته المطردة ، أن يقابل تذييح أو تقتيل أبناء اليهود بمصر ، بمادة « الاستحياء » أي بالسين والتاء دائماً ، فلم هذا الاختلاف المطرد يا عجباً ؟ ! اذا لم يكن لنكتة ، وتلك النكتة هي ما فهمناه ؟

هذا بسط القول في هذا البحث الذي ذكرناه استطراداً وجواباً اسؤال السائل ،

والله اعلم . آ هـ

( وليس المؤتمر )

آ (١٠٠) امثلة من ادب تمايير القرآن - معنى امتحياء النساء ١٣٣٩

بقوله ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (١٨٧:٢) الواقعة في...، لافي...، لأن ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من النسل، إنما يكون بالواقعة الأولى؛ ﴿وَلَكِنْ لَا تُوعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ (٢: ٢٣٥) والسر هنا كناية لطيفة عن النكاح، ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ (٢: ٢٣٧) المس هنا كناية عن النكاح، وهي من اللفظ وآدب الكنايات، يقول القرآن عن التابوت حين أتى به من عند الفلسطينيين لموقع بني إسرائيل ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (٢: ٢٤٨) وهذا التعبير آدب وألف من عبارة «تحملة البقر» التي عبرت بها توراة اليهود، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٣: ٦٣) ولم يقل فإن الله بفسادكم عليم، ﴿فَالصَّالِحَاتُ، قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (٤: ٣٣) فالغيب هنا هو ما يستحي من اظهاره، أي حافظات لكل ما هو خاص بأمرور الزوجية الخاصة بالزوجين، ومنه ما يكون بينهن وبين أزواجهن في الخلوة، ولا سيما حديث الرفث، فما بالاك بحفظ العرض، فهذه الكتابة من دقائق كنايات النزاهة، تقرأها فرائد المذارى جهراً، ويفهم من ماتومي اليه مما يكون سرّاً، وهن على بعد من خطرات الخجل أن تمس وجدانهن الرقيق، ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا، فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهَا﴾ (٤: ١٥) هو كناية في غاية الحشمة عن اللواط، بمقابلة قوله قبله ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ... الخ﴾ (٤: ١٤) الذي هو عبارة عن السحاق، ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ (٤: ٢٠) يقال أفضى اليه بصره، وأفضى إلى امرأته بأشرها، وهو كناية لطيفة عن الوقاع، أو معناه، خلص بعضكم إلى بعض ذلك الخلوص الخاص بالزوجين، واتصل بعضكم ببعض ذلك الاتصال الذي يكون في الخلوة، وهذا من حسن نزاهة القرآن في التعبير وأدبه العالي في الخطاب، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾



والمساكين والجارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ ، وَالصَّاحِبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴿٣٥:٤﴾ ، فالسبيل الطريق ، وليس للطريق ابن ، فهو كناية عن « اللقيط » لأن اللقيط حيث لم يعلم له أب ينسب اليه ، نسب للطريق الذي وجد فيه ؛ ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ تَخِيبِي الْغَنَّتَ مِنْكُمْ ﴾ (٢٤:٤) العنت بحسب الأصل الشقة والفساد ، وهو هنا كناية عن الزنى ، ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ (٢٤:٤) فالجبيء الإتيان والغائط هو المكان المنخفض من الأرض كالوادي والجورة ، هذا هو حقيقة الكلام ، ولكن هو كناية عن قضاء الحاجة ، وخروج شيء من أحد السبيلين ( القبل والدر ) وعبر عنه بذلك كناية كما هي سنة القرآن في التزاوة بالكناية عمالايحسن التصريح به ، وسبب هذه الكناية أن أهل البوادي والقرى ، بل جميع المسلمين وقت نزول الآية لم يكن لهم مراحيض ، بل كانوا يقصدون بحاجتهم الأماكن المنخفضة لأجل الستر والاستخفاء عن الأبصار ، وكذلك قوله : ( أو لامستم النساء ) هو كناية لطيفة عن الوقاع ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ، لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢٣:٢٤) ، فهذا « الرمي » كناية لطيفة عن القذف بالزنا ، ﴿ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ؟ ﴾ (١٦٥:٣٦) فالإتيان كناية عن الواطئة ، ويوجد في كتاب الله تعالى من الكنایات اللطيفة ما لا يحصى ، كما ويوجد في الحديث الشريف وفي كلام الأدباء وحكاياتهم ما يشبه ذلك ، وفيما ألقىته على مسامعكم الكفاية .

### عدم ممانعة الدين الاسلامي التمتع بحياة المدن الاجتماعية

(٨) — تعليقا على قوله « وجاء بكم من البدو » اذا اعتبر يوسف محبيء ابويه وأخوته من عيشة البداوة الى عيشة الحضارة ، ذات الألس والجور والحياة الاجتماعية والسرور ، إحسان به ، هذا وإن الدين لا يمنع من العناية بذلك ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ؟ قُلْ هِيَ

للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصةً يومَ القيامةِ ﴿ (٣١:٧) ، وإذا كانت  
الله يقول : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ (٢٩:٢) فهل المسلم  
خارج عن دائرة هؤلاء المخاطبين ؟ وإذا كان الله يتن على عباده بالظلال والكهوف  
والثياب التي تستر العورة كما قال : ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً ، وجعل  
لكم من الجبال أكنافاً ، وجعل لكم سرائيل تنقيم الحرء ﴾ (٨١:١٦)  
فكم تكون منته عليهم إذا سكنوا في المدن ، وتمتعوا بما فيها من مرافق الحياة ؟ ..  
وإذا كان الله قدامتن على أهل البوادي بجبال الحيوانات كما قال : ﴿ ولكم فيها  
جمال ، حين تريحون ، وحين تسرحون ﴾ (٦:١٦) فكم تكون منته على  
الناس ، بما حوته المدن من مظاهر السرور ، ومجالي شرح القلوب ؟ ..

### نوال يعقوب شرفاً دنيوياً مع الشرف الديني

(٩) — تعليقاً على قوله تعالى ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ وبذلك وأمثاله قال  
يعقوب شرفاً دنيوياً ، ونحراً زمنياً ، عطفاً على شرف نبوته ، ونحراً رسالته ،  
فكان حاله مع ابنه كحال « أبي الصقر » مع « شيان » في قول ابن الرومي يمدح  
أبا الصقر الشيباني وزير المعتمد العباسي :

قالوا : « أبو الصقر » من « شيان » قلت لهم  
كلا ، لعمري ، ولكن منه شيان  
كم من أب قد علا بابن له شرفاً  
كما علت برسول الله « عدنان »

### مقابلة بين معامدة يوسف لابويه ومعامدة المسيح

( حسب رأي الانجيل )

ويجدر بنا هنا أن نلاحظ أدب يوسف عليه السلام مع أبويه ، إذ اعتبر

حاضنته كأم ، وأعطائها واجبات الأم الحقيقية، ورفعها مع أبيه نبي الله على العرش، وهكذا جميع أنبياء الله ورسله ، كلهم يقومون بواجباتهم نحو ربهم ، ثم نحو آبائهم وأمهاتهم ، وأمثلهم في هذا الأدب، سيدنا المسيح عيسى عليه السلام، خلافاً للنصارى الذين ينسبون له عدم احترامه لأمه ، واهانتها مراراً أمام الناس ، إذ مرة جاءت له تطلب منه مساعدة أهل العرس في « قانا » ، فقال لها أمام الحاضرين والحاضرات : « مالي ولك يا امرأة » ( يو ٢ : ٤ ) فرجعت بالطبع مكسورة الخاطر ، كسيفة « البال » واأسفاه ! ويقولون : « فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفاً — أي عند الصليب — قال لأمه : يا امرأة ، هو ذا ابنك ، ثم قال للتلميذ : هو ذا أمك » ( يو ١٩ : ٢٦ ) ، ولا يخفى ما في هذا الخطاب من قلة الأدب — حاشا سيدنا المسيح من ذلك ، إذ ناداها بقوله : « يا امرأة » ، كأنها أجنبية منه ، وكأن القواميس ضاقت عليه ، حتى أنه لم يجد فيها سوى كلمة « يا امرأة » التي تشعر بالجفاء واليبس ، ويقولون : « فيما هو يكلم الجموع ، إذ أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً ، طالبين أن يكلموه ، فأجاب وقال للقائل له : من هي أمي ؟ ومن هم إخواني ؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمي وإخواني ، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات ، هو أخي واختي وأمي » ( مت ١٢ : ٤٦ - ٥٠ ) ، فقابل أعمال المسيح عليه السلام هذه مع أمه على ما في الانجيل بقول القرآن الكريم : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ، وَفِصَالُهُ فِي فِي عَامَيْنِ : أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ، فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ( ٣١ : ١٤ و ١٥ ) ، وقوله : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّاَّ إِلَٰهًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا — إِلَى قَوْلِهِ — فَلَا تَقُلْ لَهَا : أُوْفٍ ، وَلَا تَنْهَرْهُمَا ، وَقُلْ لَهَا قَوْلًا

آ(١٠٠) ذكريات يعقوب ويوسف واخوته بعد ما القى يوسف خطاب الوثام ١٣٤٣

كريباً ، واخفيض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴿ ( ١٧ : ٢٣ و ٢٤ ) ، والقرآن الشريف ، قد كذب الانجيل في هذه الدعوى أيضاً حيث نقل عن المسيح أنه قال: ﴿ وَرَبِّ آبِوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً ﴾ ( ١٩ : ٣٢ ) ، أي لم يكن عاقاً لها ولا قاسياً عليها ، ولا على غيرها ، بخلاف ما يفهم من الانجيل ، فإن حسن معاملة يوسف مع « بلهة » مريته ، التي لما اعتبرها كأم له ، رفعها مع ابيه على العرش — من معاملة المسيح لأمه الحقيقية ؛ على ذمة تلك الانجيل ، ولكننا نبرأ إلى الله تعالى من مطاعنهم هذه ، ولا نعتقد إلا بما ورد في القرآن من أنه لم يكن عاقاً لها ولا عديم الاحترام ولا قاسياً ولكنه كان باراً أبها ، ومطيعاً لها .

### ذكريات يعقوب ويوسف واخوته بعد ما القى يوسف خطاب الوثام

(١٠) — نخال أنه بعدما خرّ له إخوته سجداً ، ساد السكوت في تلك الجلسة الرهيبة ، لا يبدأ أحد بكلام ، حتى لقد يحاذر أحدهم إذا فاجأ السعال أن يتنحج ؛

هم صامتون ، والقلوب تتناجي وتتفام ، وضرباتها أصوات حية ، تفصح عما لا يعبر عنه النطق الصريح ، واستغرقوا في ذكريات الزمن الماضي وحوادثه ، فتمثلت لكل فريق حاله كما هي ؛ فأما إخوة يوسف فتذكروا حسدهم لأخيه ، فحوّامرتهم عليه ، وما زالت تتسلل الأفكار في ذهنهم ، حتى الساعة التي حضروا فيها الآن جميعاً باهليهم بين يديه ،

وأما يعقوب عليه السلام فاخذ يتذكر جميع ما جرى له منذ المنام الذي قصه عليه يوسف ، إلى لقائه إياه وهو حيّ ، بل وهو « عزيز مصر » و « وزير ماليتها » .  
والحاكم على نهر النيل بالوكالة عن الملك الريان .

وأما يوسف فقد تمثلت له حاله في تلك الجلسة كما هي ، فتذكر ما مرّ به من الأهوال منذ حدثته ، حتى وصوله إلى هذه الجلسة وسجود اخوته له ، فترك من هذه الذكريات مالا ينبغي ذكره ، فقام ملخصاً الباقي في هذا النطق الذي ألقاه كخطيب مفوه .

(١١) — سمعنا يوسف يتكلم ويخطب ويأتي بالشيء الكثير ، وأما أبوه ، فلم نسمع منه حين اللقاء ، كلمة واحدة ، فلماذا يا ترى ؟ والجواب قول العامري عاشق ليلي :  
وإني لينسني لقاؤكِ كلما لقيتك يوماً أن أثبك ما ييا

### معنى السجود والخروج وحكمها في الدين

(١٢) — حمل بعضهم السجود هنا على أعظم مظهره ، وهو وضع الجبهة على التراب ، ولا بأس بهذا المعنى هنا ، بل هو من الحسن بمكان ، وقد كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة ، كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس . من أعمال شهرت في التعظيم والتوقير ؛

نعم . نعم ، نعلم من مراجعة «أسفار العهدين» القديم والجديد والكتب التاريخية القديمة أن السجود للمخلوق ، بدون أن يتضمن شعوراً دينياً عبادياً ، كان جائزاً في الأديان السابقة ، منذ عهد سيدنا إبراهيم إلى عهد السيد المسيح ، وأما السجود الذي يقصد به العبادة ، فهو عندهم غير جائز ، لأنه عمل وثني ، ولكن دين الإسلام يمنع السجود لغير الله مطلقاً ، سواء أكان عبادياً أو احترامياً ، احتياطاً وتحفظاً .

وحمل بعضهم هذا السجود على معنى آخر ، وهو التظامن والخضوع والالتقياد كما هو معناه لغة ، ويكفي في الخروج أن يكونوا قد تظامنوا نحو الأرض ، كما يفعله بعض متمدني أهل اليوم ، عندما يريدون تعظيم إنسان ذي مقام عال .

ولما كان المقام يقتضى البسطة في الكلام نقول : قد يتجاوز بالسجود عن

الاتقياد لقدرة الله و ارادته ، وله أمثلة ، أحدها قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَظِلَالَتِهِم بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ ﴾ ( ١٣ : ١٦ ) ، يصح أن يحمل هذا كله على السجود المجازي ، وأن يحمل في حق العقلاء على السجود الحقيقي ، وفي حق الظلال على السجود المجازي ويكون فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز .

ثانيها قوله تعالى : — ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ ﴾ ( ١٦ : ٤٩ ) .

ثالثها — قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِمَّنَّ النَّاسِ ، وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾ ( ٢٢ : ١٨ ) ، وهذا إن حملته على السجود المجازي في الجميع صح ، لأن الكل منقادون لقدرته و ارادته وان حملته على السجود الحقيقي فيمن يعقل وعلى المجازي فيما لا يعقل ، كنت جامعاً بين حقيقة شرعية ومجاز لغوي ، كما قرره « عز الدين بن عبد السلام » فهنا في هذه السورة يجوز أن يحمل السجود من اخوة يوسف على المعنى الحقيقي الشرعي ، وهو وضع الجبهة على الأرض لأنه كان جائزاً في شريعتهم ، وأن يحمل على السجود اللغوي ، وهو الاتقياد والطاعة ، ولا يتنافى قوله : « وخروا » ، لأن الخروج ، لا يجب أن يكون معناه دائماً النزول من علو الى سفلى ، بل قد يستعمل في مطلق السقوط وقد يطلق على الاسترخاء ، كما نبه على كل ذلك في القاموس ، وقال في التاج ، يقال : خرّ ، إذا عثر بعد استقامة ، وفي التنزيل : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ( ٣٨ : ٢٤ ) ، وفي الأساس ، يقال : « شجرة ساجدة : مائلة ، والسفينة تسجد للرياح : تطيعها وتميل بميلها ، وسجد البعير : طمأن رأسه لراكبه » فالخروج لا يقتضي السجود بوضع

الجهة على الأرض ، بل قد يستعمل فيما قد يصل به الانسان الى حالة الركوع ، ولذلك نرى أبا حنيفة وأصحابه استشهدوا بهذه الآية في سجدة التلاوة ، على أن الركوع يقوم مقام السجود ، وأما قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ، إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ، وَيَقُولُونَ : سُبْحَانَ رَبَّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا ؛ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ، وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ ( ١٧ : ١٠٧ - ١٠٩ ) فلا يجب فيه أن يكون السجود وضع الجهة على الأرض ، بل يجوز أن يكون معنى السجود الخضوع والانحناء بالرأس للأذقان ، فقوله : « ويخرون للأذقان ، أى يسترخون وينحنون لجهة الأذقان ، خُضْعًا خُشْعًا ، وتكرير يخرون للأذقان ، يفيدنا أن الخرور وقع منهم مرتين ، مرة في بدء سماع تلاوته عليهم ، قبل قولهم : « سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا » ، واخرى في أثناء تلاوته عليهم بعد هذا القول ، ولكن كانوا في هذه المرة الثانية يكون لقوة ما اعتراهم من الخشوع .

### البدو وسكناهم وشهادتهم

١٣ — في الحديث الشريف : ( ساكن الكفور كسا كمن القبور ) ، وسكنى البدو تعد أنزل جداً من سكنى القرى ، بلنة المدن ، حتى أنه كان في الاسلام من رجع بعد الهجرة الى موضعه من البدو ، من غير عذر ، يعدونه كالمرتد ، فكان يحرم على المهاجر تركه هجرته ، ورجوعه للبادية ، ويعدّ ارتداد المهاجر أصراً من الكبائر ، ولكن كل هذا كان قبل فتح مكة ، فلما كان الفتح سقط فرض الهجرة ، وصارت السكنى في البدو جائزة ، وإنما مع الكراهة ، وذلك لما فيها من البعد عن العلم والدين والنور ، ففي الحديث « لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية » ، ففكره شهادة البدوي ، لما فيه من الجفاء في الدين ، والجهالة بأحكام

الشرع ، ولأنهم في الغالب لا يضبطون الشهادة على وجهها ، وإليه ذهب مالك ،  
والناس على خلافه . - احسنت احسنت -

### حسن الختام

آ (١٠١) رَبِّ! قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ، وَعَلَّمْتَنِي مِنْ  
تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَنْتَ وَآلِيَّتِي فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ، وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية المئة والواحدة ، فقام السيد الفراتي وقال :

قال يوسف مخاطباً الباري عز وجل ( رب ) كم أنا مدين لك ، حيث ( قد  
آتيتني ) خطأ ( من الملك ) بمصر في مملكة مليكها « الريان » ( وعلمتني من تأويل  
الاحاديث ) احاديث المنام ، واحاديث اليقظة ، يا ( فاطر ) ياخالق على غير مثال  
سبق ( السموات والارض ) - والفطر هنا الاختراع والابتداء ، وبابه نصر ،  
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : « كنت لا أدري ما فاطر السموات ؟ حتى  
أتاني اعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أي ابتدأتها » - ( أنت  
وليي ) متولي أموري ( في ) داري ( الدنيا والآخرة ) أوفي أولى أحوالي وأخراها  
( توفي مسلماً ) فلاآخرة خير للعبد من الأولى ( وألحقتني ) عند نزول الختام بي  
( بالصالحين ) في الملاء الأعلى وكفى ، فليست أسألك بعد ذلك شيئاً مع علمي بدوام  
افتقاري اليك .





دينهم ، ثم كتبه لهم كاتب منهم ، نشأ في السبي والأسر بين الوثنيين بعد عدة قرون ، فنقص منه وزاد فيه ، ولم تعرف المصادر التي جمع منها ما كتبه ، معرفة صحيحة ، كل هذا كان خفي على علماء المسلمين عدة قرون بعد انتشار العلم فيهم .

(٥) جعل الله تعالى الآية على صحة رسالة النبي ﷺ علمية ، حتى لا يبقى مجال لأن يرتاب فيها أحد من طلاب الحق المخلصين ، وهي إتيان رجل أُمِّي عاش بين الاميين، إلى ما بعد من الكهولة - بكتاب فيه أعلى العلوم الآلهية والأدبية والاجتماعية والشرعية وأخبار الأمم والأنبياء السابقين ، الذين لم يقرأ هو ولا قومه عنهم شيئاً ، وغير ذلك من أخبار الغيب التي ظهر صدقها في زمنه وبعده زمنه - ببلاغة عجز اليلغاء عن مثلها ، وأسلوب أشد إعجازاً .

(٦) ويوجد في القرآن، إخبار عن الغيب المستقبل ، كقوله تعالى : ﴿ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بضع سنينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ (٣٠ : ٢-٥) وقد ظهر صدق ذلك بعد بضع سنين من زول الآية، وكان أبو بكر الصديق (ض) راهن بعض المشركين على صدق الخبر ، فربح الرهان ؛

ومن أظهر هذه الأخبار وعده تعالى بحفظ القرآن من النسيان والتغيير والتبديل كما قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١٥ : ٩) ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ، كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ (٢٤ : ٥٥) وقد أنجز الله وعده .

الاستدلال على نبوة محمد ﷺ هنا كان عرضاً وليس قصداً لذاته

التعليق السادس - هذه الآية (ع ١٠٢) بحث من بحوث أصول الدين ، وهو

الاستدلال على النبوة ، ولم يكذب يتعرض له هنا قصداً ولذاته ، ولكن ذكر بعد تمام القصة اليوسفية استدلالاً بها على صحة النبوة ، فهو بحث ذكر بالعرض ، ولذلك اختصر جداً ولم يطوّل فيه ، إذ ليس المقام مقام استدلال ، وإنما هو مقام قصص وتاريخ .

### هل سكن اليهود والنصارى مكة أيام النبي ﷺ

التعليق السابع — غني عن البيان ان هذه السورة مكية ، واليهود والنصارى لم يسكنوا مكة ، ولو كانوا قد سكنوها ، لكان لكل منها حيّ خاص ، وكان لكل فريق معبد خاص ، يقيمون فيه صلواتهم ويدرسون كتبهم ، وليس في جميع المصادر التاريخية القديمة عند اليهود والنصارى ما يشير أقل إشارة إلى وجود شيء من ذلك .

نعم ربما أن أفراداً من اليهود كانوا يأتون إلى مكة لأشغال تجارية وأعمال مختلفة وأن أهل مكة أنفسهم كانوا يقصدون إلى « خيبر » ليجلبوا منها حليّ آل « أبي الحقيق » التي كانت نساؤهم وفتياتهم تتحلى بها حين زفافهن وغير ذلك .

كذلك كان « كعب » بن الاشرف قد جاء إلى مكة ليرثي قتلى « بدر » وكان رجال مكة يجلبون العبيد من اليهود ، ويحدثنا الواقدي ، أنه وجد في مكة عبداً من اليهود كان اسمه « عبد الدار بن جبر » سمع سورة يوسف ، فكان لها وقع شديد في نفسه فأسلم ودخل في ذمة النبي ﷺ ، ولما بلغ الخبر مشركي مكة ، أوسعوه ضرباً ؛

نعم إن بعضاً من أفراد اليهود سكنوا الطائف ، وفي مدن أخرى من الحجاز غير مكة ، ومع ذلك كانوا قليلين ، وقد كان بعض أفراد النصارى من أحرار وعبيد ساكنين في مكة ومختلطين بأهلها ، ولكنهم مع ذلك قليلون جداً .

هذا كل ما قدر عليه الأجانب أن يثبتوه لكي يخيّلوا للناس أن النبي ﷺ

ربما كان سمع ما يتعلق باليهود والنصارى كقصة يوسف ونحوها من بعض هؤلاء المذكورين .

### تكرر المعنى الذي حوته هذه الآية في آيات أخرى

التعليق الثامن إن المعنى الذي حوته هذه الآية قد تكرر في عدة آيات ، منها ما أمر النبي أن يقوله : ﴿ قُلْ : هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَتَمَّ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ، مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ، إِنَّ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنبَأُ أَنبَأُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ( ٣٨ : ٦٧ - ٧٠ ) يشير بذلك لما ذكره عقبه على الأثر من المقابلة بين الملائك النائب عن الله تعالى وبين إبليس ، وهذان الفريقان هما المراد « بالملأ الأعلى » والمراد من كونها ملأ أعلى ، أنها من العالم الروحاني لا الجسائي ،

وقوله تعالى خطاباً لنبيه ﷺ : ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأثر ، وما كنت من الشاهدين ، ولكننا أنشأنا قروناً فتناول عليهم العمر ، وما كنت ثاوياً في أهل مدين تلو عليهم آياتنا ، ولكننا كنا مرسلين ، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ، ولكن رحمة من ربك ، لتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ، لعلهم يتذكرون ﴾ ( ٢٨ : ٤٤ - ٤٦ ) ، قل ذلك بعدما قص على نبيه ﷺ قصة موسى عليها السلام ، وقوله تعالى : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نُوحِيهِ إِلَيْكَ ، وما كنت لديهم إذ يُلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ؟ وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ ( ٣ : ٤٤ ) ، وقوله تعالى بعد ما فصل قصة نوح مع قومه : ﴿ تلك من أنباء الغيب نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ ( ١١ : ٤٩ ) .

### المكر التائب والمكر المقدر بقدر العمل المرافق له

التعليق العاشر — قوله « وهم يمكرون » جملة حالية ، ولم يقل « ما كرين » ،

حتى تكون حالاً مفردة ، لأنه يوجد فرق كبير في المعنى بين هذه الحال الجملة ، والحال المفردة ، فمعنى « وهم يمكرون » أن المكر وصف ثابت لهم في نفسه ، وقد أجمعوا أمرهم في حال تلبسهم به ، ولكنهم هم مكرة أيضاً قبل ذلك وبعده ، ومعنى « ما كرين » ان المكر كان وصفاً لهم حال إجماعهم أمرهم فقط ، فهو تابع لإجماعهم أمرهم ، مقدر بقدره ، تقول مثلاً : « جاء زيد وهو راكب » ومعناه ان الركوب وصف ثابت له في نفسه ، وقد جاء هو في حال تلبسه به ، وتقول : « جاء زيد راكباً » ومعناه أن الركوب كان وصفاً له حال المجيء . فهو تابع للمجيء مقدر بقدره فإذا تقرر هذا المعنى ، فليهنأ اليهود والصهيونيون الذين هم ذرية هؤلاء « المكرة » الموصوفين هنا بدوام المكر !!!

### من عادة القرآن المجيد ذكر « التوحيد » في كل مناسبة

التعليق الحادي عشر — هذه الآية والآيات التسع التي تليها ، أتى بها بعد تمام القصة اليوسفية ، لأن عادة القرآن المجيد هكذا ، إذ بينا تراه يتكلم في التاريخ لا يلبث أن يخرج عنه إلى موضوع « التوحيد » وأدلته ، وبيننا تراه يتكلم في الشريعة لا يعم أن يحكي عن « التوحيد » وآياته ، وبيننا تراه يتكلم عن محاسن الآداب ومكارم الأخلاق ، إذا هو ينتقل لذكر « التوحيد » ، الأمر الذي نفهم منه ، أن بيان « التوحيد » هو أهم شيء في نظر القرآن ومنزله والمنزل عليه ، ولا ريب أن الغرض الحقيقي من رسالة النبي ﷺ ، ونزول القرآن عليه هو رفض عبادة الأوثان والثالوث ، وهجر الاعتقاد بذلك ، والحرص على الاعتقاد بالوهية واحدة ، خلافاً للعرب ، وبربوية واحدة . خلافاً للنصارى ، كما أن القرآن يحرص جد الحرص ، على الاعتقاد بيوم الدين ، والعمل بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الآداب ، ولعمري كأن النبي ﷺ كان يحس أن عقيدة العرب بالأوثان ، وعقيدة النصارى بالثالوث — كأنها إبرة تنخسه في جسمه ، وتشكه في رأس قلبه ، فلذلك ولكون

ربه كان يسارع في هواه ، اعتنى القرآن الجيد كثيراً وكثيراً جداً ، بالظن في تلك العقائد الوثنية الزائفة .

( ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك )

— ٢ —

وقال الحاج محمد الصومطري (١) :

طرق تبليغ كلام البشر وطريقة تبليغ كلام الله للملائكة والأنبياء  
« هذا القرآن العربي المكتوب في المصاحف ، المقروء بالألسنة باللغة العربية ، هو كلام الله تعالى المعجز للبشر ، وانه ليس لجبريل منه إلا تبليغه عن الله ، كما أن الرسول ﷺ ليس له منه إلا تبليغه ، فجبريل تلقاه من الله بالصفة التي تليق به تعالى ، ولا يعلمها من خلقه إلا جبريل ، ثم محمد ﷺ تلقاه من جبريل بالوحي الذي لا يعرف كنهه إلا محمد وأمثاله من الأنبياء الذين تلقوا مثله عن جبريل ، ثم الصحابة سمعوه من النبي ، ثم سمعه منهم التابعون ومن تبعهم إلى عصرنا ، وكما يسمعه بعضنا من بعض بأصواتنا البشرية .

وقد اخترع البشر في العصر الأخير ، وسائل لأداء الكلام وتبليغه لم يكن يعرفها ولا يفقهها أهل العصور السابقة ، كالتلغراف السلكي واللاسلكي والراديو والتلفون وكل منها مظهر من مظاهر الكلام النفسي ووسائل ادائه ، ويسمى كلاماً حقيقياً لا مجازياً ، وينسب كل كلام إلى من صدر عنه ، وكان مجلى كلامه النفس ، فالجمله من كلام زيد من الناس يتناقلها الناس بألسنتهم وأقلامهم وبتلات التلغراف والتلفون والراديو وكل منهم يقول « إنها كلام زيد » ، ومن يرى في القرطاس : « قفا نيك من ذكرى

(١) نسبة الى جزيرة صومطرة في البلاد الاندونيسية .

حبيب ومنزل ، يقول إن هذا كلام امرئ القيس ، ومن يسمع ذلك من لسان أي إنسان يقول ذلك ؛ ولم يقل أحد من العرب في هذا القول الذي كتب وعلق على الكعبة ، ثم كتب في الدفاتر وقرأه الناس : إن لفظه المرسوم في الصحيفة هو كلام الراسم ، وأن الذي أنشد على الناس فيه هو كلام المنشد ، وأن معناه فقط لامرئ القيس ، أو أن ما تمثل من هذا النظم في امرئ القيس هو شعره ، وما نقرأه في الكتب أو من حفظنا لملقته هو كلامنا ، ولا أن هذا كلامه مجازاً ، وذلك كلامه حقيقة ، بل أجمعوا على أن هذه القصيدة كلامه ، وأنه ليس لرواتها بالقول والكتابة حظ منها إلا النقل لكلام غيرهم ،

وإذا قدر البشر على تمثيل كلامهم النفسي بعدة مظاهر لا يختلف مدلولها عن مدلول ما في أنفسهم ، فالله تعالى أقدر منهم على ابلاغ كلامه النفسي لرسله من الملائكة والناس ، بما يليق باستعداد كل منهم ، فلا غرو من أن يكون لوحيه للملائكة ، صفة غير صفة وحيه للرسل من البشر ، فيما يكلمهم به بغير واسطة الملك ، وأن يكون لما يسمعه النبي من الملك صفة غير صفة ما يسمعه الملك من الرب سبحانه وتعالى ، ولكن الكلام واحد في جميع مظاهره ، لا يختلف باختلاف طرق ادائه وتبليغه ، كما نعرفه في الكلام المسموع بالأذان والمقروء في الصحف والمأخوذ من آلة التلغراف السلكي أو الهوائي ، ومثله المرسوم في الهواء أو ما تكيف به الهواء ، وبهذا المثال يظهر للمتأمل أن تجلي كلام الله تعالى في الألسنة والصحف والهواء وآلات التلغراف ، وفي اللوح المحفوظ وفي أنفس الملائكة والبشر - لا يخرج عن كونه كلامه تعالى ، ولا يقتضي أن تكون صفة الكلام النفسية له تبارك وتعالى ، مشابهة لصفة الكلام في أنفس البشر أو غيرهم من خلقه تعالى ، ولا أن يكون تكليمه للملائكة ولموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كتكليم بعضنا لبعض ولكن موأداه واحد ، فالذي نقرأه أو نكتبه في المصاحف هو عين ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد -

بِسْمِ اللَّهِ فَتَلَقَاهُ عِنْدَ بَهْذِهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ الْمَعْجَزُ ، الَّذِي يَعْجِزُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كغیره من البشر عن مثله بمقتضى ملكته العربية .  
( عن مجلة المنار )

### طبيعة أكثر الناس عدم الايمان

آ ( ١٠٣ ) \* وما أكثرُ الناسِ « وَكَوَوْ حَرَّ

بِعُومِنِينَ \* .

افتتحت الجلسة ، وتليت الآية المئة وثلاثة ، فقام الهمام احمد اليافي وقال :

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : إني قد أطلمتك يا محمد على انباء ما قد سبق ، مما فيه عبرة للناس ، ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ، ( و ) مع هذا ( ما أكثر الناس ) عموم الناس ، أو أهل مكة خاصة ، ( ولو حرصت بمؤمنين ) حيث تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، فأنت ولو استهلكت في سبيل ايمانهم ، واستقتلت في الحصول على تصديقهم إياك ، وطار قلبك شعاعاً على ذلك ، فالأكثرية هم جهنميون لا يؤمنون برسالتك ولا بالتوحيد ، لأن في قلوبهم مرضاً :

قال الشاعر :

ومن يك ذا فمٍ مريضٍ يجد مرأً به الماء الزلالا

وقال البوصيري رحمه الله :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

كما أن البدن إذا مرض ، لم ينفع فيه الطعام والشراب ، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ والارشادات .



وفيا يلي تعليقان على الآية:

تأسى الناصحين برسول الله ﷺ عند عدم افادة ارشادهم للناس

أولاً — هذا قول الله تعالى لرسوله ، وهو أعلم المرسلين وأخلص المخلصين ، في ارشاده ونصحه للخلق ، فاذا كان هو كذلك ، فليتأس به الناصحون ، الذين تصدروا للارشاد بإخلاص ، ولا يحزنوا من عدم إفادة إرشادهم لكثير من الناس . وليعلموا أن عدم النفع له سببان: فساد في الواعظ يصرف الموعوظ عن سماع ما يقول . وفساد في الموعوظ يجعله غير مستعد للانتفاع بما يسمع ، ولو جاءه جميع المرسلين .

### المؤمنون أقل من الكافرين

ثانياً — مقتضى هذه الآية أن المؤمنين أقل من الكافرين ، ولذلك شواهد :

١ — قوله تعالى : ﴿ قَالَ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَنَا عَلِيُّ ، لَسْنَا بِأَخْرَجْنَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ — إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٧:٦٢) أي لاستأصلتهم بالاغواء — من احتتك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلًا ، وأحنت الشاتين : أي أكلها جميعاً .

٢ — قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ كرر هذه الآية سبع مرات فيمن أرسل لهم نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما يعلم من سورة الشعراء .

٣ — قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ ، قَالَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟ — قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ، آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٣ : ٥٢) والحواريون كانوا اثني عشر فقط ، ارتد منهم « يهوذا الاسخريوطي »

فبقي أحد عشر ؛ فهذه الآية تفيد أن طبيعة أكثرية الناس عدم الايمان ، وأن المؤمنين بالنسبة لغيرهم هم أقلية ، فالمسلمون اليوم يعدون ( ٣٦٠ ) مليوناً ، ولكن عدد المسيحيين اليوم ( ٤٢٠ ) مليوناً ، وعدد الوثنيين ( ٥٠٠ ) مليوناً ، وهؤلاء واولئك وان كانوا مؤمنين بالله إلهاً ، لكن التصارى آمنوا به إلهاً أباً ، وبالمسيح إلهاً ابناً وبالروح القدس إلهاً ناطقاً بالأنبياء ، قالوا : « والكل إله واحد !!!... » ، وأما الوثنيون فأشركوا في الألوهية : أي العبادة ، دون الربوبية : أي الخالقية ، فالخالق عندهم رب واحد ولكن المعبود عندهم ، هو وغيره من الوسطاء .

( مرعى )

### إخلاص النبي ﷺ في دعوته

آ (١٠٤) ﴿ وما تسألهم عليه من أجرٍ ، إن هو إلاَّ

ذكرٌ للعالمين ﴾

استمرت الجلسة منعقدة ثم تليت الآية المثة وأربعة ، فقام برهان الحق

النابلسي وقال :

( وما تسألهم ) يا محمد ( عليه ) على ما تحدثهم به وتذكرهم ( من أجر ) أي من جمالة ولا أجره ولا جزاء ، أي لا تريد منهم منفعة وجدوى ، كما يعطى 'حملة الأحاديث والأخبار ( إن هو ) هذا الذي تحدثهم به ( إلاَّ ذكر ) عظة من الله . ( للعالمين ) عامة ، وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله ، يتذكرون به ويهتدون وينجون به في الدنيا والآخرة .

واليك الملاحظات التالية :

## تكرر الدعوة غير المأجورة في القرآن

- الملاحظة (١) - تكرر ذكر هذا البحث في القرآن الكريم عشر مرات :
- فولاً - قال تعالى خطاباً لخاتم النبيين : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ( ٤٧ : ٣٤ )
- ثانياً - قال تعالى خطاباً لجنابه الأعظم : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ - وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ( ٣٨ : ٨٦ ) .
- ثالثاً - قال تعالى خطاباً לנו والعالم ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ( ٦ : ٩٠ ) .
- رابعاً - قال تعالى خطاباً لسيد الأنبياء : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ، فَهُمْ مِنْ مُنْجَرَمٍ مُثَقَلُونَ ؟ ﴾ ( ٥٢ : ٤٠ ) .
- خامساً - قال تعالى خطاباً لفخر الانسانية : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ، إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ( ٤٣ : ٤٢ ) أي لكني إنما أقصد مودتي لقرباي ، فهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وهو نوع من أنواع البديع اللطيفة ، وهو أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح ، بتقدير دخولها في صفة الذم المنفيه كقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ، إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ ( ٥٦ : ٢٥ و ٢٦ ) وكقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم      بهنّ فلول من قراع الكتاب

وقول الآخر :

ولا عيب فيه غير أن خدوده      بهنّ احمرار من عيون المتئيم

والدليل على ما جرينا عليه في معنى هذه الآية ما نقلناه لك من الآيات الأربع

المخاطب بها سيد الكائنات ، التي تنفي عنه طلب الأجر من الناس من أساسه ، بالمرّة من كل وجوهه ، وخير ما فسرتّه بالوارد .

سادساً — وهكذا قال نوح: ﴿ وما أسألكم عليه من أجرٍ ، إن أجرِيَّ إلاّ على رب العالمين ﴾ ( ٢٦ : ١٠٩ ) .

سابعاً — وهكذا قال هود: ﴿ يا قوم لا أسألكم عليه أجرأ ، إن أجرِيَّ إلاّ على الذي فطرني ، أفلا تعقلون ؟ ﴾ ( ١١ : ٥١ ) .

ثامناً — وهكذا قال صالح: ﴿ وما أسألكم عليه من أجرٍ ، إن أجرِيَّ إلاّ على رب العالمين ﴾ ( ٢٦ : ١٦٤ ) .

تاسعاً — وهكذا قال شعيب: ﴿ وما أسألكم عليه من أجرٍ ، إن أجرِيَّ إلاّ على ربّ العالمين ﴾ ( ٢٦ : ١٨٠ ) .

عاشرأ — وهكذا قال حبيب النجار: ﴿ إتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ، وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ( ٣٦ : ٢١ ) يعني بذلك رسل المسيح إلى أنطاكية .

### الافترض في الدعوة من مستلزمات نجاحها

الملحوظة (٢) — هذه الآيّة تسيّر إلى اخلاص النبي ﷺ في دعوته ، إذ الغاية من « الدعوة » صلاح العالم ، وانتظام شئونه على منهاج السعادة ، فاذا وجّه الداعي قصده إلى هذا الغرض ، بدون نظر إلى منفعة مادية ، بل ولا معنوية تعود عليه ، استقام على الطريقة ، وقضى حياته في سيرة راضية ، وكان كلامه مقبولاً جيداً ، وإذا انحرف عن هذا القصد ، ولو قيداً أغلّة ، رأيته يضطرب في حال دعوته ، ويكون كالريشة تخفق بها الرياح ، أينما تصرفت ، وقد حكى التنزيل أن شعبياً (ع) قد برأ نفسه ورفعتها عن أن تؤمّ غرضاً من « الدعوة » سوى الاصلاح قال: ﴿ إن أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت ﴾ ( ١١ : ٨٨ ) ، فتشوّف

آ (١٠٥) معنى العالمين — تبريع الغافلين من التفكير في آيات الله ١٣٨٩

« الداعي » إلى ما في أيدي القوم ، وتطلّعه إلى أن ينال من وراء إرشاده شيئاً من هذه الحياة ، قادح في صدقه ، وداخل بالريبة في إخلاصه .

### معنى « العالمين »

الملحوظة (٣) — كلمة « العالمين » جمع عالم وهم الناس كما يدل عليه استعمال القرآن ، في مثل : ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٢٥ : ١) وقول لوط : ﴿ أَنَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنِّي الْعَالَمِينَ ؟ ﴾ (٢٦ : ١٦٥) أي الناس ، فهو على هذا مشتق من العالم ، ولذلك جمع جمع مذكر سالم .

### الفصل الثاني

#### تبريع الغافلين عن التفكير في آيات الله

آ (١٠٥) ﴿ وَكَأَيِّ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ، وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ .

افتتحت الجلسة وتليت الآية المئة وخمسة فقام نعمة الله الجيني (١) وقال :

يخبر الله تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكير في آيات الله، ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات ، من كواكب زاهرات ، ثوابت وسيارات ، وأفلاك دائرات ، والجميع مسخرات ، وكم في الأرض من قطع متجاورات وغير متجاورات ، وحدائق وجنات ، وجبال راسيات ، وبحار زاخرات ، وأمواج متلاطمت ، وقفار شاسعات ، وكم من أحياء وأموات ، وحيوان ونبات ، وثمرات متشابهة ومختلفات ، في الطموم

(١) نسبة الى جنين من بلاد فلسطين .

والروائح والألوان والصفات ، فسبحان الواحد الأحد خالق أنواع المخلوقات ، فقال تعالى : ( وكأَيِّ ) وكم ( من آية ) علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده ( في السموات والأرض ) مروا و ( يرون ) وسيمرون ( عليها ) ويرون فيها العجب العاجب ( وهم ) أي الناس ( عنها معرضون ) مع أن الحقيقة بنت الفكرة والنظر يريد الصواب ، ولكن التفكير والتدبر عند هؤلاء ضائع ، وهم انما يعيشون في الدنيا كالأنعام ، يأكلون ويشربون ولا يتفكرون ، مع أن هذه الآيات كثيرة ، يُحصَى النمل ولا تُحصَى ، وتُستقصى الحركات والسكنات ولا تُستقصى ، قال أبو نواس :

تأمل في رياض الأرض وانظر  
غصون من زبرجد شاهدات  
وقال أبو العلاء المرعي :

كل يسبح فافهم التقديس في  
أما الجاوز فارعة وتوقه  
ليس الذي جحد المليك وقد بدت  
صوت الغراب وفي صباح الجدجد<sup>(١)</sup>  
واستغف ربك من جوار الملحد  
آياته ، بأخ لمن لم يجحد

وكأَيِّ من آية ...

— ٢ —

وقام الشيخ المحقق اليباني وقال :

اسمحو لي أيها السادة باسماعكم بضعة مواد على هذه الآية العظيمة :

تقرير الناس المرضين عن النظر في الآيات الكونية

الدالة على توجيه اوله

المادة (١) — قوله : « وكأَيِّ من آية . الخ » — أي لم يكن كل أمرهم أنهم

(١) الجد جد طوير قفاز يشبه الجراد ويقال له صرار الليل .

لم يستدلوا بما ذكر في (١٠٢) من دليل النبوة، بل يعطف على هذا ويزاد عليه أنهم أضافوا إلى عدم الاهتداء بدليل النبوة، عدم الاهتداء بالآيات الكونية التي تهديهم وترشدهم إلى توحيد الإله في الألوهية، كما وحدوه في الربوبية، أي فهم مع هذا الاعراض عن النظر في دليل النبوة، معرضون عن الكثير من الآيات الكونية، الدالة على أن الرب الواحد، هو الحقيق بالألوهية وحده، وأنه لا يجوز أن يدعى غيره، ولا أن يعبد سواه، لأن الربوبية والألوهية متلازمتان، فالآيات الدالة على أن الرب واحد، دالة أيضاً على أنه هو الإله وحده، ولولا اعراضهم عن النظر في ذلك، والتأمل فيه عناداً من رؤسائهم، وجوداً على التقليد من دهائمهم، المانع من النظر والاستدلال، لظهر لهم ظهوراً لا يمتثل المراء، ولا يقبل الجدل. وأصل «الاعراض» التولي عن الشيء الذي يظهر به عرض المتولي المدبر عنه.

تفریح اهل مكة خاصة والناس عامة لتعطيل ابصارهم وبصائرهم

### عما في الوجود من آيات

المادة (٢) — هذه الآية الكريمة، نزلت في الغافلين من أهل مكة خاصة، كما أنها للناس عامة، وهي تفریح لمن عطلوا أبصارهم عن ادراك صحائف الوجود، وعميت بصائرهم عن تدبر ما فيه من الآيات البالغة، وكم جاء في القرآن الكريم أقوال من هذا القبيل كما في قوله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ألكم كالأنعام بل هم أضل، ألسلكهم الغافلون﴾ (١٧٨: ٦).

### النوع العتيق والنوع الجبريد من آيات الله

المادة (٢) — آيات الله التي في السموات والأرض كثيرة جداً، فمنها نوع عتيق، ومنها نوع جديد، فمن آيات الأرض من النوع العتيق أن النمل يرى الإنسان

قاصده ، أو ماشياً قريباً منه ، ولا يترك عمله الذي هو فيه ، ولا يجفل ولا ينتنى  
 لذعر ، ولا يخاف من غدره ، مع ان الانسان بالنسبة للنمل كالجبل ، ولو اننا تصورنا  
 جبلاً يعيش على الأرض ، ويكاد يصادم الانسان ، لهلع إذا رآه ، ومات قبل أن  
 يقرب منه ، فما ذاك إلا لان الله تعالى أودع في قلب النمل من الشجاعة والثبات  
 على العمل ما لم يودعه في قلب الانسان ، وإن ذلك من أعظم آيات الله في أرضه ،  
 ومن آيات الأرض ، ثبوتها إذ لولا الجبال لاضطربت دورة الأرض وذلك  
 في قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (١٦ : ١٥) .  
 ومنها ان كل شيء حي فهو من الماء ، حتى الجماد فإن له حياة قائمة بماء «التبلور»  
 وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (٢١ : ٣٠) .

ومنها ما كشفه علماء النبات من تلاقح النبات ، وأنه أزواج : أي ذكر وانثى  
 والله تعالى يقول : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾ (٢٠ : ٥٣)  
 ويقول : ﴿ وَمِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ جَعَلْنَا فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ (١٣ : ٣)  
 ويقول : ﴿ وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَسَدَّ كَسْرُونَ ﴾ (٥١ : ٤٩) .  
 ويقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ، وَمَنْ  
 أَنْفُسِهِمْ ، وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٦ : ٣٦) .

ومنها كون الرياح تلقح النبات ، بنقل أعضاء الذكورة والأنوثة في النبات  
 بعضها إلى بعض فثمر بالنلقح ، كما هو صريح قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ  
 لَوَاقِحَ ﴾ (١٥ : ٢٢) ، ولما علم الافرنج بهذا قال بعض المطلعين على القرآن من  
 المستشرقين وهو المستر « اجتيري » الانكليزي الذي كان معلم العربية في جامعة  
 اكسفورد بانكلترة : « إن أصحاب الإبل - يعني العرب - قد عرفوا ان الريح  
 تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعرفها أهل أوربة بثلاثة عشر قرناً » ( نقل ذلك  
 السيد محمد بيرم الخامس في مقدمة « صفوة الاعتبار » ) .



نعم إن أهل النخيل من العرب كانوا يعرفون التلقيح ، إذ كانوا ينقلون بأيديهم اللقاح من طلع ذكور النخل إلى إناثها ، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أن الرياح تفعل ذلك إلا من القرآن الكريم .

ومن آيات الله تعالى عظمة « الشمس » و كوكب « الشعري » بالنسبة إلى الأرض ، فإن هذه الأرض إذا نحن قدرناها تقديراً نسبياً بحجم الحمصة ، تكون مساحة « الشمس » بالنسبة إليها كمساحة مائدة مستديرة ، طول قطرها ذراع فرنسية ، ومساحة سطح كوكب « الشعري » الذي قال الله فيه : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴾ ( ٥٣ : ٤٩ ) تبلغ مئة ذراع فرنسية ؛ بالقياس إلى تلك الحمصة .

ومن آيات الله تعالى ، أن جميع هذا العالم الشمسي يدور في الثانية الواحدة بسرعة عشرين الف ذراع فرنسية ، مجتازاً فضاء الله الذي لا نهاية له ، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ ( ٣٦ : ٣٨ ) . فتأمل هذا التنكير في قوله : « لمستقر » فهو يشعر أن العالم الشمسي يجري في اللانهاية إلى نهاية محتومة ، فما الشمس بمؤلمة إذا كان لها استقرار ، بل هي محدثة فانية ، ثم قوله « لها » هو الذي يعين أنها تجري في اللانهاية ، لأن المستقر غير مطلق ، بل هو « لها » .

ومن آيات الله تعالى « الحرّة » وهي سطح هائل في عاية العظم ، وهي محيطية بالسما ، وتسبح فيها الوف من العوالم .

ومن آيات الله تعالى أن يمدد درجات الليل والنهار . واصباً ودائماً ، ثلاثمئة وستون ، كما ذكر ذلك علماء الميقات ، وقد أشير لذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ ( ٤٠ : ١٥ ) ، فإن عدد « رفيع » بحساب الجُمَّل هو ما ذكر ؛

وهل سمعت « بحمّام الزاجل » ؟ خذ حمامة من مُطَيَّرها ، واحملها إلى آخر حدود اقليم ما واطلقها ، فترجع إلى مُطَيَّرها ، فما هي هذه الحاسة التي تدفع الحمامة إلى بيتها من مسافة الوف الاميال ؟ ليست حاسة السمع ولا النظر ، ولا شيء من الحواس الخمس ، هي حاسة لا نعرفها ، لأنها ليست فينا .

ومن آيات الله الباهرة، أن ما تأخذه الأرض مطراً وتلجأ تردّه بخاراً ، وذلك بحسب الاحصاء الأخير ١٦ مليون طن في الثانية وبيانه مذكور بالتفصيل في الكتب المختصة .

ومنها الطير كما قال تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ ؟ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ ( ١٩:٦٧ )  
فمن آيات توحيده وعجائب قدرته ما يروونه في كل وقت وآن من تخليق الطيور فوق رؤوسهم ، واستعلائها في طبقات الجو ، مع أنها أجسام ضخمة ، كان من مقتضى النواميس الظاهرة للمادة أن تسقط على الأرض ، ولكنه تعالى بياهر قدرته وعجيب صنعه وحكمته ، خالف في أجسام الطيور نواميس ساثر الأجسام ذات الثقل ، وركب لها نواميس أخرى ، لا ثقة بها ، بحيث يمكنها معها أن تستعلي في الهواء من دون أن تسقط ، فمن فعل هذا ياترى ؟ ومن أمسك هذه الأجرام الثقيلة ومنعها من السقوط ؟

حقاً إنه ما أمسكها إلا الرحمن الذي رحم هذه الحيوانات ، فيستر لها من وسائل الطيران والانتقال بسهولة من مكان إلى مكان ما حفظ به نوعها ، وانتظمت به معيشتها ، واستمرت عليه حياتها ، ولا بدع ، فهو تعالى بكل شيء بصير ، يعطي كل شيء من خلقه القوَى والسُنن اللازمة له ، والمتوقف عليها ابقاؤه ، وقد اتفق العلماء على أن السبب في استمرار الطيور طائرة ، يرجع إلى تقعّر أجنحتها وتحديثها ، وكونها غير مسطحة ، وعلى أساس هذه النظرية بدأ النجاح في

طيران الإنسان ، وأخذ الطيارون يصنعون أجنحة طياراتهم على أوضاع تحكي أجنحة الطيور وأوضاعها ، ولعمري إن طيران الإنسان ، لهو من الآيات الحديثة العجيبة أيضاً كطيران الطير ، ولو كانت الإنسان قد اهتدى في عصر النبوة إلى مسألة « الطيران » في جوّ السماء . لذكره القرآن الكريم ، لأهل ذاك العصر ، ولكن قبل اختراعه كيف يذكره لهم ، وهم لا يعرفونه ؟ وكيف يحيلهم على مجهول لهم قد ينكرونه ؟ ولعمر الحق إنه لا فرق بين طيران الطير ، وطيران الإنسان ، في أن كلاهما أثر من آثار قدرة الله وعجيب صنعه في خلقه ، « طار الطائر » بقوى ونواميس مودعة في تركيب جسمه ، وهي من الله ، و « طار الإنسان » يقوى عقله وعلمه وملاحظته وصبره وثباته وشجاعته ، ونواميس المادة التي استخدمها في الوصول إلى غرضه هي من صنع طيارته ، وكل هذه القوى والنواميس لم يكتسبها بجهد ، ولم يأت بها من بيت أبيه وجده ، ولا من عالم آخر غير عالمنا ، مخلوق لإله آخر غير إلّٰهنا ، وإنما كل تلك النواميس والقوى والمواهب نعمة من الله ، وفيض من روح الله ، أمنا بالله وما أنزل إلينا من عند الله !!!... (١)

ومن آياتنا نحن أهل اليوم — النظارات المقرّبة ، التي هي عبارة عن عدسات بلورية ، ضمن انبوب طويل ، بها زّي النجوم البعيدة عنا مليارات من الأميال كأنها قريبة منا جداً .

ومنها ان قليلاً من المياه الغالية في مرجل ، تستطيع جر قطار ضخّم ، بقوة لا يستطيعها جواد ولا مئة جواد .

ومنها أن مواد كياوية في وعاء يمتد منه شريط نحاسي ، وهو ما يسمى « تلغرافاً » يجعلنا نتخاطب مع أقاصي الأرض إلى أقاصيها كأننا واقفون بعضنا إزاء بعض ،

ومن آيات الله تعالى، طريقة التصوير الضوئي «فوتوغراف» بامسك الظل، وهي مذكورة في آية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلِّ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ۖ ۖ﴾ ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً.. ﴿ (٢٥ : ٤٥ ) فتأمل قوله ﴿ ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ﴾ فان هذه الحروف تكاد تنطق بأن هذا الأمر كائن لا محالة .

ومن آيات الله تعالى ، ما اكتشفه العلماء من أن مادة الكون هي « الأثير » ، والله تعالى يقول في بدء الخليفة : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾ ﴿ (٤١ : ١١) .

ومنها ما حققوه من أن الأرض انفتقت من النظام الشمسي ، والله تعالى يقول في السموات والأرض : ﴿ كاتتا رثقاً ، ففتقناهما ﴾ ﴿ (٣٠ : ٣١) .  
ومنها المذياع « الراديو » الذي ينقل الصوت والغنة الى مئات الأميال .

### ضرورة الاستدلال والتفكر في آيات الكون

المادة ( ٣ ) — هذه الآية الكريمة تنعي على الناس أنهم لا يستعملون ما عندهم من العلم والمعرفة التي وهبهم الله تعالى ، فهذه الآية وأشباهاها أثر كبير في الحياة العقلية وإثارة العقل الى النظر لما في العالم من الظواهر ، قال تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ﴿ (٧ : ١٨٤) وقال تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ؟ ﴾ ﴿ (٨٦ : ٥) وقال : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ، أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعَيْنًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنعَامِكُمْ ﴾ ﴿ (٣٢-٢٤ : ٨٠) ، وقال تعالى : ﴿ نَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

الذين يذُكُرونَ اللهَ قِيَاماً وقعوداً وعلى جنُوبِهِم ، وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ، سُبْحَانَكَ ﴿ (١٩١:٣) ﴾  
وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ  
وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ ( ٢٢:٣٠ ) إلى كثير من أمثال ذلك ، فهذا الضرب من الآيات بعث  
العقلَ على النظر في الكون ، وكان له أثر في نحو " الحياة العقلية .

فأله تعالى لا يريد أن يكون الناس منقادين في عقائدهم ، والاعتراف بوجود  
الصانع ووحدانيته انقياداً أعمى ، بل أرشدهم إلى الاستدلال والتفكير في آيات  
الكون ، قال : ﴿ أَفَلَسَمَّ يَسِيرُوا في الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ،  
أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ ( ٤٦:٢٢ )

العقل هو نعمة من الله سبحانه وتعالى وكل من لم يستعمل عقله ، فكأنما  
رفض نعمة هذا المنعم ، وانضرب لكم مثلاً : إذا أعطانا صديق هدية ولم نستعملها  
ونستفد منها ، بل رميناها ، فاننا نهين صديقنا بهذه المعاملة ، فالصديق رمز عن الله  
تعالى ، والهدية هي العقل ، وطرحنا لهديته ظاهر بعدم استعمال عقولنا ، والاعتقاد  
بأمور تنافي العقل ، دليل عدم تحكيم عقولنا فيما نعتقد ، وعدم استعمال عقولنا  
فيما يجب أن نعرف ونعتقد ، إهانة كبرى نصنعها مع من قدم لنا هذه الهدية ، إذا  
كان باستطاعتنا إهاتته ، ولكن لانستطيع أن نهينه تعالى جل وعلا .

### التوحيد في الربوبية والإشراك في الألوهية

آ (١٠٦) ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ الْإِلَهِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية المئة وستة ، فقام الشيخ مأمون من  
علماء القنفذة (١) وقال :

قال تعالى مخاطباً سيدالرسول ( وما يؤمن أكثرهم ) أي أكثر الناس أو أكثر

(١) القنفذة من بلاد الحزيرة العربية

أهل مكة ، في إقرارهم بالله وبأنه خلقهم وخلق السموات والأرض ، (إلاّ وهم مشركون) مع عبادة الله عبادة الوثن — لأن أكثر العرب من أهل مكة كانوا يؤمنون بالله ويعترفون به رباً خالقاً ، لكنهم مع الأسف كانوا يشركون في عبادة الوثن ، فهم موحدون في الربوبية ، مشركون في الألوهية ، تعرف منهم وتنكر .

( وما يؤمن أكثرهم بالله .. الخ )

— ١ —

ثم تابع الشيخ مأمون كلامه قائلاً :

متى يعبر القرآن بلفظ « الأكثر » و « الكثير »

لقد عبر القرآن « بالأكثر » في قوله ﴿ وما يؤمن أكثرهم ﴾ لأنه كان يوجد في أهل مكة من يؤمن بالله ، وليس فيه شيء من الشرك ، وذلك « كأمية بن أبي الصلت » و « ورقة بن نوفل » و « قس بن ساعدة » وغيرهم من الحنفاء ، وأيضاً فالمعروف من طبيعة البشر من أهل كل دين أنهم على ثلاثة أقسام : قسم يميلون الى الغلو والتشدد في الدين ، وآخرون معتدلون ، وقسم ثالث متساهلون يميلون الى الفسوق والعصيان ؛ والقرآن لم يحكم على أمة بمثل : ضلال ، فسق ، هدى ، إيمان ، بنص عام يستغرق جميع الأفراد ، بل تارة يعبر « بالكثير » ، وتارة يعبر « بالأكثر » كما هنا ، واذا أطلق أداة العموم يستثنى ، كما قال في بني اسرائيل : ﴿ ثم توَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ( ٢ : ٨٣ ) ، وقوله فيهم : ﴿ فلا تَؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ ( ٤ : ٤٥ ) ، أو يحكم على البعض ابتداءً كما في قوله : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ ، يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ ( ٣ : ٧٥ ) ، وقال تعالى فيهم : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ ( ٧ : ١٥٩ ) ، وقال فيهم وفي النصارى : ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ ، وَكثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ ( ٥ : ٦٦ ) ، فقد أثبت لبعضهم

عدم التولي ، ثم أثبت للبعض الإيـان ، ثم للبعض الأمانة ، ثم للبعض الهداية بالحق والعدل ، ثم للبعض الاقتصاد — أي الاعتدال في الدين — وقال تعالى : ﴿لَكِنَّ الراسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ ، يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (٤: ١٦١) فجعل أهل العلم الذين يفهمون الدلائل والبراهين ، وأهل الإيـان المخلصين الذين يتحرون الحق ، هم الذين يقبلون دعوة النبي ﷺ لقوة استعدادهم ، فالقرآن يعلمنا أنه مامن أهل دين إلا وفيهم الغث والسمين ، فيهم الفاسق والمتشدد والمعتدل ؛ ولكن المفسر المتشيع لأمنه ، الذي لم يختبر غيرها ، ولم يكن عارفاً بطبائع الملل ، وحقائق الاجتماع البشري ، لا يكاد يتصور أن الإيـان والاخلاص والتقوى توجد عند غير أهل ملته ، فهو يطبق الآيات على اختباراه واعتقاده .

### القرآن يبين ما عليه الأمم من عقائد وأخلاق وأعمال

وجملة القول إن القرآن يبين حقائق ما عليه الأمم ، في عقائدها وأخلاقها وأعمالها ، يزن ذلك بالقسطاس المستقيم ، وإن الدقة التي نراها في تحرّيه الحقيقة لم نهداها في كتاب عالم ولا مؤرخ ولا غيره مما يسمى بالأسفار المقدسة ، فإذا جمعنا ما حكم به على أهل الكتاب وغيرهم ، وعرضناه على علمائهم وفلاسفتهم ومؤرخيهم فانهم يدعون بأنه لباب الحقيقة ، بل هم يصرحون بأنه لولا غلبة الضلال والفسق والكفر والبدع عليهم ، في عصر ظهور الإسلام ، لما انتشر الإسلام ذلك الانتشار السريع .

( وما يؤمن أكثرهم بالله .. الخ )

— ٢ —

كثير من مسلمي اليوم موحدون في الربوبية مسركون في الكوهمية  
وقام السيد الحضرمي من علماء حضرموت وقال :  
سبق لأخي الشيخ مأمون أن قال في مقدمة الكلام على تفسير مجمل الآية أن

١٤٠٠ كثير من مسلمي اليوم موحدون في الربوبية مشركون في الألوهية آ (١٠٦)

المراد بكلمة « أ كثرهم » أ كثر الناس أو أ كثر أهل مكة ، على أني أرى أنها تصدق على كثير من مسلمي أهل اليوم الممدودين من الموحدين « اسماً » و « جغرافياً » أو بحسب « هوياتهم » و « سجل نفوسهم » فترى الكثير منهم يسجدون لبعض الأولياء أو لأضرحة الأنبياء ، يرجون الله ويرجون بعض الأنبياء أو الأولياء ؛ يقدمون نذورهم لله ولسواه ؛ يحلفون بالله وبغيره ، يدعون الله وسواه ؛ وكثيراً ما نسمعهم يهجرون الله مقتصرين على ماعده !!

فيقولون : الله ياسيد ، الله يابدوي ، الله والسيد البدوي ، الله يا امام ، الله والامام علي ، الله ياسيد عبد السلام ، الله والنبي ، الله يانبي ، الله يا حسين ، في حفظ الله والسيد ، في حفظ الله والنبي ، هذا نذر لله وللنبي ، لله علي نذر ولك ياسيدي عبد السلام إن صار كذا وكذا ، هذا نذر لله وللسيد البدوي ، أسم بالله وبسيدنا الحسين ، بالله العظيم وبالامام علي ، وحياة السيدة زينب ، وحياء الله والنبي ، وحياة الباز والله .

وأما الذين يهجرون الله مقتصرين على ماسواه فيقولون :

يا سيد ، يا بدوي ، يا إمام ، يا سيدي عبد السلام ، يا نبي ، يا باز ، هذا الخروف للسيد البدوي ، وهذا الجدي لسيدي الدسوقي ، وهذا العجل لسيدي عبد السلام ، وهذا الكبش للسيدة زينب .. والح ، ولك ياسيدي يا بدوي علي خروف إن شفي ولدي ، ولك يا ستي نفيسة خروف إن رجع ولدي بالسلامة ؛ ثم يقولون : وحياة سيدنا هاشم ، وحياة سيدنا الحسين ، وحق الامام علي ، وحياة السيد البدوي ، وحياة عبد القادر الجيلاني ، وحياة الباز ، إلى آخر ما هو أكثر من الجهلاء المتعلمين وأزيد من أهل الحشو والجمود في الدين .

وعلى ذلك ترى أكثر الناس اليوم لا يذكرون الله إلا ذكراً مصحوباً بالوثنية والاحادويحرضون على سوآل الأنبياء والأولياء وأشباه الأولياء ، والاستعانة بشفعائهم حرص البخيل على درهمه ولو زائفاً ، والجبان على دمه ولو فاسداً .



## كثير من الآيات التي نزلت في غير المسلمين تصدق

### اليوم على أكثرية المسلمين

هذا وان في القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي نزلت في غير المسلمين تصدق اليوم على المسلمين ، ولكن ( مع الاسف ) وجد فينا من حشويي العلماء من طمس هذه الحقيقة ، وجعل كل ما ينكره القرآن هو منزل على غير المسلم ، وأما المسلم فلا يصيبه منه أدنى غبار ، ولا أصغر شرار ، ولو كان المسلم متلبساً بكل ما أنكره كتاب الله ، كما بالعكس جعل كل ما يحمده القرآن خاصاً بالمسلم ، ولو كان غير متلبس بشيء من تلك المحامد ، فكأن القرآن مجموعة قصائد شتى ، فما كان فيه من قبيل المدح ، فما كأنه إلا قصائد مدائح نظمت لتقريظ من حاز لقب « مسلم » سواء كانت أعماله حسنة أو قبيحة ، وما كان فيه من قبيل الطعن ، فما كأنه إلا قصائد ذم دبت لهجو جماعة اسمهم « غير المسلمين » سواء كانت أعمالهم سالحة أو طالحة . وبهذا حصل تنفير قارئ القرآن غير المسلمين من الاسلام ، كما حصل للمسلم غرور وخدعة ، ووقعت الحيلولة بين المسلمين وبين العبرة والاتماظ وفهم الحقائق ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ( لافض فوك )

( إلا وهم مشركون ... )

— ١ —

وقال العلامة المغربي (١) :

### أنواع الشرك ومظاهرها في الأعمال والأقوال

الشرك ثلاثة أنواع : (١) الشرك في الربوبية (٢) الشرك في الألوهية وهو الشرك الأعظم (٣) النفاق أو الرياء وهو الشرك الأصغر

(١) نسبة الى بلاد المغرب العربي

(١) أما الشرك في الربوبية فهو أن يعتقد أن مع الله رباً آخر يشاركه في الخلق والرزق وتدبير الكون ، وهذا النوع ليس مقصوداً في الآية ، بل هو قليل جداً في عرب مكة وفي مشركي العرب قبل الإسلام وفي أيام خاتم النبيين ، لأنهم كانوا مؤمنين بوجود الصانع ، وبأن الله خلقهم وخلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، ولكنهم كانوا مشركين باتخاذ الشفعاء والتقرب إلى الوسائط من المقربين وتسويتهم برب العالمين ، في التعظيم والتوجه بالدعاء والالتجاء .

(٢) والشرك في الألوهية ، ويقال له الشرك الأعظم ، فهو أن يقدم فرداً من أفراد العبادة لغير الله ، وذلك كالسجود والدعاء والخوف والرجاء والاستعانة والسؤال والنذر ، وما إلى ذلك مما لا ينبغي شرعاً تقديمه لغير الله ، وعلى هذا النوع تحمل الآية الكريمة التي نحن بصددنا ، ولهذا النوع مظاهر في كلام العرب ، فكان يظهر منهم في التلبية ، إذ جاء في الصحيحين ان المشركين كانوا يقولون في تليبتهم : « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » ، وفي صحيح مسلم انهم إذا قالوا : [ « لبيك لا شريك لك » . قال رسول الله ﷺ : « قَدْ ، قَدْ ، أي حَسْبُ حَسْبُ ، لا تزيدوا على هذا » .

وكان يظهر منهم في الدعاء حين يدعون في الرخاء بعد ما كانوا وقت البلاء . موحدين ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ لَكَ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، فلما نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ( ٢٩ : ٦٥ ) .

واليوم يظهر من جهلة المسلمين في الدعاء مطلقاً ، في حيني البلاء والرخاء ، فترامهم وهم في البر لا يخشون شيئاً ، يقولون : يا محمد ، يا سيد يا يدوي ، يا خضر أبا العباس . يا سروجي ، يا عبد القادر الكيلاني ، يا إمام عليّ ، كما ترام وقد جاءتهم ريح عاصف : ﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ : لَمَّا نَجَّيْتَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَسْكُونَنَ مِنْ الشَّاكِرِينَ ،

فلما أنجاهم إذا هم يَبْتَغُونَ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ ﴿ (١٠ : ٢٢) وبهذا تعلم ان مشركي هذه الأيام ، شر مكاناً من مشركي الأيام القديمة ، فالشركون القدماء كانوا إذا تضايقوا في البحر دعوا الله مخلصين له الدين ، ولكن مشركي اليوم لا يدعون الله في هذا الحال مخلصين له الدين ، بل نسميهم بقولون : يا سيد يا يدوي ، وآخر يصرخ : يا نبي الله ، وقوم ينادون : يا عبد السلام الاسمر ، وآخرون : يا حسين ، وغيرهم : يا دسوفي .. الخ الخ مما لا يحصى ولا يستقصى كل قوم لهم من يصرخون له ويلجأون اليه ؛

وقد يظهر الشرك الأكبر في بعض الاعمال الوثنية ، فإن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت : « دخل عبد الله نجس إلى جاني فرآى في عنقي خيطاً فقال : ما هذا الخيط ؟ - قالت قلت خيط رُقِي لي فيه - فأخذه فقطعه ، ثم قال : إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرقي والتائم والتولة شرك » رواه أحمد ، وفي لفظ لهما « الطيرة شرك » (١) .

(٣) وأما النوع الثالث من الشرك ، وهو النفاق أو الرياء ، ويقال له الشرك الأصغر ، وهو حين يعمل الانسان رياء الناس ، فهو مشرك بعمله ذلك ، قال تعالى : ﴿ إن المنافقين يُخادعون اللهَ ، وهو خادِعُهُمْ ، وإذا قاموا إلى الصلاةِ ، قاموا كُسَالِي ، يراؤُنَ الناسَ ، ولا يذكرونَ اللهَ إلا قليلاً ﴾ (٤ : ١٤١) ، وفي الحديث : ﴿ يقول الله : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه ﴾ رواه مسلم ، وروى أحمد : « إن أخوف ما أخاف عليكم ، الشرك الأصغر ، - قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ - قال : الرياء » .

- (١) الرقي جمع رقية ، وهي العوذة مع الفث .  
 والتائم جمع تيمة ، وهي الخرزة تنظم في الخيط ويربط في العنق .  
 والتولة كهزمة وعتبة خرز ايضاً يعلق على المرأة لكي يجيها زوجها .  
 والطيرة كعنبه وكسيرة ما ينشأ به من الفأل الرديء .

## (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)

- ٢ -

وبعد أن انتهى العلامة المغربي من بيان أنواع الشرك أضاف قائلاً ليسمح لي السادة الأفاضل أن اعلق على قوله تعالى (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) بالتعليقات التالية :

## الفرق بين الجاحد لوجود الله وبين المشرك

(١) - يوجد فرق كبير بين الجاحد النافي لوجود الاله، كالطبيعي والمادي والدهري، وبين المشرك؛ لأن الأول نافي للاله بته؛ وأما الثاني فهو مثبت، يعتقد أن الله موجود وأنه هو الخالق، يشرك معه غيره في العبادة فقط والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَسْتَينَ سَأَلْتَهُمْ: مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ؟ لَيَقُولُنَّ اللهُ، فَأَنسَى يُؤْفَكُونَ؟.. وَلَسْتَينَ سَأَلْتَهُمْ: مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؟ لَيَقُولُنَّ اللهُ، قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢٩ : ٦١ و ٦٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَسْتَينَ سَأَلْتَهُمْ: مَنْ خَلَقَهُمْ؟ لَيَقُولُنَّ اللهُ، فَأَنسَى يُؤْفَكُونَ﴾ (٤٣ : ٨٧) وقوله جل شأنه: « قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ؟ وَمَنْ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمِيتِ، وَيَخْرِجُ الْمِيتَ مِنَ الْحَيِّ؟ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟ فَسَيَقُولُونَ اللهُ، فَقُلْ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠ : ٣١) وما الى ذلك من الآيات الكثيرة التي تنطق بأن وثنيي العرب في الحجاز ما كانوا مشركين شيئاً في الربوبية، ولكن كانوا مشركين في الألوهية، فكانوا يسجدون لغير الله، ويرجون ويخافون ويسألون ويدعون أوثانهم، ويستغيثون بالهتهم، ويحلفون بها وينذرون لها، ويتكلمون عليها، وكل ذلك عبادة لغير الله، فإذاً قد اتخذوا لهم إلهاً غير الله، وهم مأمورون أن يشهدوا: ( أن لا إله إلا الله ) أي لا معبود بحق إلا الله.

آ (١٠٦) تشابه أكثر مسلمي اليوم في الشرك مع أهل مكة في زمن الجاهلية ١٤٠٥

### تشابه أكثر مسلمي اليوم في الشرك مع أهل مكة في زمن الجاهلية

(٢) - قوله تعالى: «إلا وهم مشركون» يعني بهم أهل مكة إذ كانوا يقدمون لأصنامهم التذور ، ويحلفون بها ، ويسجدون ويركعون أمامها ويدعونها ، الى غير ذلك من أنواع العبادات ، وكان هذا مع ايمانهم بالله ، أي بوجوده ووحده في الربوبية وأنه الخالق الرازق المحيي المميت ، القائم بتدبير هذا العالم ، وهذا النوع من الشرك قد نشأ في أمتنا ، فبنينا للاولياء الهياكل والاضرحة في مساجدنا ، ودعوناها مع التعظيم والتذلل ، وسجدنا وركعنا لها ، ونقول اننا لم نقصد بذلك العبادة ، يعني اننا لانسمي هذه الاعمال عبادة ، بل فتتحل لها اسما آخر . فنقول انها «استشفاع» وهذه جنابة على اللغة ، تضم الى الجنابة على الدين .

### الوصول في دعوة المسيح وموسى عليهما السلام التوحيد المطلق

(٣) - الأصل في النصارى هو التوحيد ، فما كانوا ليؤمنوا إلا بالله وحده ، كما قال المسيح عليه السلام: « وهذه هي الحياة الابدية » ، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » ( يو ١٧ : ٣٠ ) ولكن الشرك طرأ لهم في الربع الاول من الجيل الرابع ، فصاروا يعتقدون بالله أباً إلهاً قديماً ، وبالمسيح ابناً متولداً من الآب ، وهو إله قديم من إله قديم ، ويؤمنون بالروح القدس ، إلهاً متولداً من الآب والابن ، وجموع الثلاثة إله واحد ، هذا هو ثالوثهم الأقدس ، وهذا ما رتبوه أيام الملك قسطنطين الوثني ، وخلقفه من ملوك الرومان ، وهو طور جديد لم يعرفه المسيح وحواريوه عليهم السلام ، وتشكيل لدينهم بشكل من أشكال وثنيتهم السابقة ، مؤلف من تقاليد وثني الهندوس والصين والمصريين والأوريين القدماء ، كما بين ذلك علماء اوربا الأحرار .

هذا وإن من المعلوم أن الله تعالى أرسل قبل المسيح عيسى رسلاً بشرائع

مخصوصة ، نخص من بينهم موسى ، لوجود بقية من اتباعه ، ولا اعتراف المسيح عيسى بناموسه ، وإقراره بشريته ، وانه جاء مكملاً لها فقط ، ولو سألنا قومه اليهود عن أصل شريعتهم ، وعن اعتقادهم في الله ، المبني على دعوة موسى ، لأجابوا بالتوحيد المطلق ، المجرد عن التثليث والأقانيم ، أخذاً من كتبهم ، فههنا نقول : هل هذه هي دعوة موسى؟ وانها كانت للتوحيد المطلق ، أو أن قومه غيروها بعدما كانت بالتثليث؟ لا شك أنهم سيقولون بالأول، أي إن دعوة موسى كانت للتوحيد، وعليه نقول: هل كان موسى يجهل ما يجب اعتقاده في مولاه، الذي أرسله واصطفاه؟ أو كان يكذب على قومه ، فيدعوهم إلى أن الله واحد فقط ، وهو يعلم انه ثلاثة في واحد ، أو واحد في ثلاثة أقانيم ، أو كان يستعمل التورية في أساس الرسالة ، إذ معرفة الله أصل كل دين ، وأساس كل رسالة وشريعة سماوية؟؟ سيقولون إنه كان يعلم أنه واحد في ثلاثة ( أي يعلم التثليث ) ولكن لم يؤمر بتبليغه ، لأن الشرائع تأتي على قدر العقول ، فنقول لهم : إن اليهود في تاريخ البشر ، هو ميلهم إلى الوثنية والتعدد ، وهؤلاء قدماء المصريين والأشوريين والكلدانيين واليونان والهنود - كان تعدد الآلهة ، معروفاً بينهم وآخذاً حده ، فلو أتى موسى قومه ، ودعاهم على قدر العقول ، لكان الأليق به أن يدعوهم إلى التثليث ، ويقلل تعدد الآلهة نوعاً ما ، خصوصاً وقد كان ظهوره ، في مدة مجد المصريين ، وتعدد الآلهة عندهم أشهر من أن يذكر . فهذا قول لا يقوله عاقل .

وإن قالوا : إن قضية التثليث غير معقولة، فيجب الايمان بها اتباعاً للوحي، نقول:

فلم لم يدع اليها موسى والانبياء ، ما دام لا يشترط فيها العقل ولا الاستعداد؟

### الاعتقاد بقدره الأولياء والصالحين والتوسل بذواتهم شرك بالله

(٤) - يدعي البعض أو يعتقد ان الاولياء والصالحين في قبورهم يضرون

ويفعون ، ويمحون ويميتون ويعطون ويمنون ، وانه يتوسل الى الله تعالى بذواتهم

ويدعى تعالى بواسطتهم ، لا وحده ، وهو شرك محض . إمد لا نافع ولا ضار الا الله ، وانه لا يتوسل اليه تعالى إلا بما شرعه لعباده في كتابه ، وعلى لسان رسوله من الفرائض والسنن ، وانه لا سبب لقضاء الحاجات ، وجلب المانع ودفع الضار إلا ما هدى الله الناس اليه من سننه المطردة في خلقه ، كما انه لا فاعل الا الله ، ولا يدعى معه أحد سواه ، وان التوسل بالاولياء والصالحين ، انما يصح بمعنى الاهتداء بهديهم المبين ، ولله أن يكرم من عباده من شاء ، ولكن لا يصح ان تكون الكرامات والخوارق ، كصنعة من الصناعات ، في أيدي الأولياء ، والحق انه ليس لهم من الامر شيء ، وانه لا يكلف مؤمن ان يعتقد بولي مخصوص ، ولا بكرامة لولي معين مطلقاً ، ولكن على المؤمن أن يعتقد بانه يوجد اولياء وتوجد لهم كرامات ..

ويقولون بأن للاولياء « ديواناً » يجتمع فيه الاحياء والميتون منهم ، فما أقروا عليه ، فهو الذي يقع في الكون . فنقول : اذا كان اولياء المسلمين وانصار الدين ، هم المتصرفون في الاكسوان ، لا يجري فيها الا ما يجرونه ، ولا يستقر الا ما يقررونه فما بالهم ينصرون الكافرين على المسلمين ؟ وما بال الاسلام يتخذ الآن ، باتفاق الاحياء منهم والاموات ؟؟

### فضل الله على عباده واقسامه

(٥) - « يعتقد البعض أن الله فضل بعض الناس على بعض في الرزق والمواهب الظاهرة والباطنة ، التي منها السر والمدد ، ويقولون كما أن الفني يعطي الفقير شيئاً من رزقه المادي ، فلا مانع أن يمدّه بشيء من رزقه المعنوي » ، غير أن الحقيقة هي أن فضل الله على عباده قسبان : قسم مكسوب يمكن بذله أو البذل منه ، وقسم ليس في استطاعة البشر بذله أو البذل منه ، كالايان والمعارف الوجدانية ، ومنها ما يسميه الصوفية « بالأسرار » فانهم قالوا : انها أمور ذوقية ، لا يعرفها إلا من ذاقها . فلا يصح أن تطلب ولا أن توهب .

## تحريم سؤال الأولياء ذوي الأضرحة شيئاً مادياً أو معنوياً

(٦) - هذا ولا يصح أن نسأل الأولياء أصحاب الأضرحة شيئاً ما ، لاماديا ولا معنوياً ؟ إذ كيف نسألهم ما قطعه الله عنهم من رزق الدنيا ومصالحها ، وما لا يبذل من ذلك بحسب الأسباب والسنن الإلهية ، وما يبذل ؟ فيطلبون منهم المال وزيادة الغلة ونماء الزرع وشفاء المرضى ، والانتقام من الأعداء ؟ وكيف يجوز أن ندعو ممن كان بالأمس في نعشه ، والمصلون واقفون يدعون له ، يشهدون له بالاسلام ، ويقولون : « اللهم ان كان مسيئاً ، فتجاوز عنه ولفه برحمتك رضاك ، حتى تبعثه آمناً برحمتك يا أرحم الراحمين » . فكل مسلم من أبي بكر الصديق الى اليوم ، يدعى له يوم يموت ويصلى عليه بهذا الدعاء ونحوه فهل يعقل أن يدعى للميت بالامس يوم موته ، ولكنه متى قبر تدعوه الناس أو يدعوه من دعا له قبل ساعة ؟ !

هذا ولم يرد في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسوله ﷺ ولا نقل عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ، ولا نقل عن التابعين والأئمة المجتهدين وقدماء الصوفيين ما يدعيه بعض المشايخ من أن سيدي فلان من الصالحين . وسيدي فلاناً من الأولياء ، هم أصحاب سر ومدد ، ون تلامذتهم في حياتهم ، وأتباعهم بعد مهاتهم ، يتوسلون بهم الى الله تعالى ، ويطلبون منهم المدد والسر ، كما نرى ذلك في كتبهم ، ولم يكلفنا الله باتباعهم بل باتباع كتابه وسنة نبيه ، وهدى أصحاب نبيه ، الذين أخذوا الدين عنه مباشرة ، وكانوا به خير العاملين ، وبسيرة السلف الصالح لأنهم أعلم الناس بها .

وأما كلام الصوفية المتأخرين ، فقد صرحوا بأنه رموز واصطلاحات لا يعرفها إلا أهلها ، الذين سلكوا هذه الطريقة الى نهايتها ، وهم صرحوا بأن من أخذ بظاهر أقوالهم ضل . وقد قال الشعراني في بعض كتبه : « أنه سأل شيخه الخواص :



لماذا يطلب من الناس تأويل كلام الأنبياء إذا خالف ظاهر الشرع ، ولم يطلب منهم تأويل كلام الأولياء ؟ فأجابه : لأن الأنبياء معصومون ، فيجب حمل كلامهم على الصحة دائماً والأولياء ليسوا بمعصومين ، فيجوز أن يكونوا فيما خالفوا فيه مخطئين .

### التوسل بجاه الأنبياء والأولياء

(٧) - لسائل أن يسأل : ألا يجوز أن نضيف كلمة «جاه» إلى الأنبياء والأولياء . عند التوسل بهم ؟ والجاه هو القدر والمنزلة ، وكل واحد من الأنبياء ، له قدر ومنزلة عند ربه ، قال تعالى في موسى : ﴿ وكان عند الله وجيهاً ﴾ (٣٣ : ٦٩) . وقال في عيسى : ﴿ وجيهاً في الدنيا والآخرة ﴾ . (٣ : ٤٥) وقال تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) (٤ : ١٢٤) وغنى عن البيان أن من اصطفاه الله للخلة ، لا بد أن يكون وجيهاً في نظره ، وإلا لم يكن فيه أهلية للخلة ؟

فنقول في جوابه : المفهوم العرفي للفظ (الجاه هو السلطة ، وإن شئت قلت : نفوذ الكلمة ، يقال : فلان اغتصب مال فلان بجاهه ، ويقال : فلان خلص فلاناً من عقوبة الذنب بجاهه لدى الأمير أو الوزير مثلاً ، فزعم زاعم أن فلان جاهاً عند الله بهذا المعنى اشراك حلي لاخفي ، وقلمنا يخطر ببال أحد من المتوسلين معنى اللفظ اللغوي ، وهو المنزلة والقدر ، والتوسل بلفظ الجاه ، مبتدع بعد القرون الثلاثة من الهجرة ، وفيه شبهة الشرك والعياذ بالله ، وشبهة العدول عما جاء به الرسول والسلف الصالح ، وأما ﴿ وكان عند الله وجيهاً ﴾ (٣٣ : ٦٩) فليس معناه ، أنه وجيه عليه ، وإنما معناه أنه وجيه عنده ، وفرق كبير بين قولك (فلان وجيه علي وولان وجيه عندي ، فالوجهة الأولى معناها السلطة والنفوذ ، والوجهة الثانية معناها أنه في حكم الله ذو قدر ومنزلة .

## الرد على من احتج بحديث رواه الترمذي بجواز التوسل الى الله بغيره

وقد يحتج البعض على جواز التوسل بما رواه الترمذي بسنده الى عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال : ( إن رجلاً ضرير البصر ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادعُ الله ان يعافيني — فقال : إن شئت دعوتُ ، وإن شئت صبرتَ ، فهو خير لك — قال : فادعه ، — فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك واتوجه اليك ، بنبيك محمد ، نبي الرحمة ؛ اني توجهت بك الى ربي ، ليقضي لي في حاجتي هذه ، اللهم فشفعه فيّ » ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب ) ، فنقول أولاً : قد وصف الحديث بالغريب ، وهو ما رواه واحد ، والمسألة داخلة في باب العقائد ، لافي باب الأعمال ، ذلك ان الأمر فيها ، يرجع الى سؤال صورته : هل يجوز أن نعتقد أن واحداً سوى الله ، يكون واسطة بيننا وبين الله في قضاء حاجتنا ، أو لا يجوز ؟ والكتاب صريح في أن تلك العقيدة من عقائد المشركين ، وقد نعاها عليهم في قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ، وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ( ١٠ : ١٨ ) ، وقد جاء في السورة التي نقرأها كل يوم في الصلاة : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ( ١ : ٤ ) ، فلا استعانة إلا به ، وقد صرح الكتاب بأن أحداً لا يملك للناس من الله نفعا ولا ضراً ، وهذا هو التوحيد الذي كان أساساً للرسالة المحمدية ، ونحن لا يمكننا أن نتخذ حديثاً من أحاديث الآحاد ، دليلاً على العقيدة ، مها قوى سنده ، فان المعروف عند الأئمة قاطبة أن أحاديث الآحاد لا تفيد الا الظن ، ﴿ إِنَّ الظنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحقِّ شيئاً ﴾ ( ١٠ : ٣٦ ) وفي الختام نذكر قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ، فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ( ٢ : ١٨٦ ) وقال الشيخ محي الدين بن العربي ، شيخ الصوفية في صحيفة ٢٢٦ من الجزء الرابع من فتوحاته ، عند الكلام

آ (١٠٦) واجب الوجود واحد ومستحق العبادة واحد وهو الله تعالى ١٤٠١١

على هذه الآية : « ان الله تعالى لم يترك لعبده حجة عليه ، بل لله الحجة البالغة ، فلا يتوسل اليه بغيره ، فان التوسل إنما هو طلب القرب منه ، وقد أخبرنا الله انه قريب وخبره صدق . »

### واجب الوجود واحد ومستحق العبادة واحد وهو الله تعالى

(٩) - ان واجب الوجود - وهو الله تعالى - واحد ، وهذا هو توحيد الربوبية ، وكذا مستحق العبادة - وهو الله سبحانه - واحد ، وهذا هو توحيد الألوهية ؛

فالمستحق للعبادة هو واجب الوجود ، وواجب الوجود هو المستحق للعبادة ، وهو الله تعالى ، ولا تصدق العبارتان الا عليه تعالى ، وإن اختلفا في المفهوم ؛ هذا هو مقتضى الشرع والعقل والمنطق والانصاف ، ولكن مشركي العرب المعاصرين لخاتم الانبياء وقبله أيضاً . لم يعقلوا ولم ينصفوا ، فهم مع قولهم بأن واجب الوجود واحد ، قد اعتقدوا غلطاً تعدد المستحق للعبادة ؛

أو نقول قد صرفوا كثيراً من أنواع العبادة لغير الله ، ومثل ذلك مثل شعب لا يعرفون لهم الا ملكاً واحداً ، هو الذي يرتب لهم المعاشات ، وهو الذي يوليهم الولايات ، وهو الذي يصدق عليهم بالخيرات ، وهو الذي يمنع عنهم الغارات ، الى غير ذلك ، ونظام هذا الملك أن يكون له الخضوع والركوع ، له الاكبار الموكي والاجلال السلطاني ، له الذل والخنوع ، ولا يطلب شيء من غيره ؛ هذه ونحوها هي شارات هذا الملك وخصائصه التي أراد أن ينفرد بها عما سواه ، فاذا صرف الشعب شيئاً من هذه الاشياء لغير ملكه ، فقد خانته وأشرك معه غيره من الوزراء في مزاياه وخصائصه ، ولو اعتقد بأنه ليس له سلطان سوى المليك ، فلا يمنع عنه تسميته - الكلام عائد للشعب - أنه أشرك مع ملكه سواه ، ولا يمنع عنه العقاب .

## ماهو المراد بمثقال حبة من خردل من الإيمان في حديث البخاري

(١٠) - جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : « أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » ، فيخرجون منها ، قد اسودوا - الحديث » ، فهل المؤمنون إيمان ربوية ، المشركون شرك ألوهية - يشملهم هذا الخروج ، لأنه يصدق عليهم أن في قلوبهم مثقال حبة من خردل من إيمان ؟ والجواب عن ذلك : يراد بمثقال حبة الخردل من الإيمان في حديث البخاري المثقال للإيمان الخالص ، الذي لا يشوبه مثقال خردلة من شرك ، جمعاً بينه وبين قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤: ١١٧ و ١١٨) وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ، فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٥: ٧٥) ، وقال تعالى في سياق محاجة إبراهيم لقومه في التوحيد والشرك ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ ، وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (٦: ٨٢) وقد فسر النبي ﷺ - الظلم هنا - بالشرك ، وهو نكرة في سياق النفي ، يفيد أن الأمن من العذاب المقيم ، الذي أعده الله للمشركين ، خاص بمن آمنوا إيماناً لا يشوبه شيء ما من الشرك ، وإن كان مثقال حبة من خردل ، وحينئذ فلا مندوحة من حمل حديث البخاري المستؤل عنه - على ما يتفق مع هذه الآيات ، هذا هو المراد من الحديث ، فإن لم يكن هذا هو المراد من الحديث ، كان معارضاً لما ذكرنا من الآيات ، ولا يمكن ترجيحه عليها ، أو إرجاعها إليه ، والقول بأن مثقال حبة من خردل من إيمان مشوب بالشرك ، ينجي صاحبه من النار بعد دخولها ، ويجعله من أهل الجنة ، لم يقل به أحد من المسلمين ، بل أجمعوا على أن الشرك بالله ، لا يغفر منه شيء ، ولا

شك أنه يصدق على مشركي العرب في زمن البعثة ، أنه كان في قلوبهم إيمان كحبة الخردل أو أعظم ، كما هو مقتضى آيتنا اليوسفية وماشبهها من الايات القرآنية ، فلو كان الإيمان بوجود الله ، مع اتخاذ شركاء له منجياً ، لكان مشركوا العرب في الجاهلية - ناجين حتماً ، ولا قائل به من أهل الإسلام .

### المعطل المنكر لوجود الله تعالى شر من المشرك

(١١) - المعطل المنكر لوجود الله تعالى ، لا يسمى مشركاً ، ولكنه شر من المشرك ، فاذا كان الله لا يغفر لمن يؤمن به بأنه الخالق الرازق ، إذا توجه لغيره ودعاه من دونه ، ولو ليقرب به إلى الله زلفى ، فهل يغفر لمن جحدته مطلقاً ؟

### حكم تلوث الجاهلين من مسلمي اليوم بشرك اولوهم

(١٢) - من تلوث من مسلمين اليوم بشيء من شرك الألوهية ، ولا يسمى نفسه مشركاً ولا فعله شركاً ، ولكنه يسمى نفسه متوسلاً متشفعاً متقرباً ، كما أنه يسمى فعله ، توسلاً وتشفعاً وتقرباً ، وهو مسكين جاهل لم يقصد الشرك ، فاهماً أنه شرك ، ولكنه وقع فيه بجهله ، لأنه لا يمتقد أن ما يفعله شرك ، وهذا يجب أن يُعلم ، حتى تقوم عليه الحججة .

### شرك النصارى في الربوبية واولوهم

(١٣) - النصارى لا يقولون بتعدد واجب الوجود صريحاً ، ولكن لهم فيه فلسفة لاتعقل ، وهي التوحيد مع التثليث ، ومع ذلك فهم مشركون في الربوبية ، من جراء قبولهم التشريع من رؤسائهم ، فيحلون لهم ويحرمون ، وكل النصارى لذلك يقبلون ؛ وأما شركهم في الألوهية ، فهو أيضاً واقع ، ماله من دافع ، لأنهم يعبدون المسيح عيسى ، وليس أقنوم الابن فقط الحال في جسد المسيح ، بل

يعبدون أيضاً جسد المسيح ، أعني إنهم يعبدون المسيح كله ، الحاوي للاهوت والناسوت — على رأيهم — ، فهم مشركون في الألوهية قطعاً وليس من هذه الجهة فقط ، بل هم أيضاً مشركون في الألوهية ، من جهة أنهم يقدمون أنواعاً من العبادات ، كالسجود والركوع والتذور والأصوام — للسيدة مريم عليها السلام .

### الطوائف المنسلخة عن الإسلام بسبب شركها بالله أو بالتشريع

(١٤) — يوجد في مشركي المسلمين اليوم ، من أشركوا بالله بعض آل بيت نبيه بالعبادة والدعاء ونحوها ، ومنهم من أشركوا بالتشريع أيضاً ، كأصناف الباطنية وآخرهم البابية والأزلية والبهائية ، ومن هؤلاء من أنسلخ من اسم الإسلام كما أنسلخ من معناه ، ومنهم من حافظ على انتحال اسمه ، مع لقب مذهب أو طريقة أو طائفة ، ولو على سبيل التقية .

### المشرك من يدعو الأصنام أو من يدعو الصالحين

(١٥) — إن بعض المشركين ، بل الغالب من أفرادهم اليوم ، يزعم أن جميع الايات التي جاء فيها تقبيح الشرك وتوبيخ المشركين ، هي خاصة بالأصنام بمعنى الجناد ، مع أننا لو تتبعنا هذه الايات ، التي جاءت في شأن الشرك والمشركين ، لوجدناها مصرحة بأن المشركين فريقان : فريق يدعو الأصنام المجمعولة ثمائيل لعباد الله الصالحين ، وفريق يدعو الصالحين غير ناظر إلى التماثيل ، فما جاء في تسفية أحلام الفريق الأول قوله تعالى : ﴿ أتعبدون ما تشحون ؟ ﴾ (٩٥:٣٧) وقوله : ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ ﴾ (٥٢:٢١) ، وما جاء في التشنيع على الفريق الثاني قوله تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله — من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ؟ وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشِرَ الناس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ (٦٥:٤٦) وقوله :

﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف الضر عنكم ، ولا تحويلاً ، أو لئن الذين يدعون ، يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ ( ١٧ : ٥٦ و ٥٧ ) وقوله تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ، ليكونوا لهم عزا ، كلاً ، سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾ ( ١٩ : ٨٢ و ٨٣ ) وقوله تعالى : ﴿ والذين يدعون من دون الله ، لا يخلقون شيئاً ، وهم يُخلقون ، أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيانَ يُبعثون ؟ ﴾ ( ١٦ : ٢١ و ٢٠ ) فهل يعقل بأن الأصنام بمعنى الجماد تتصف بهذه الصفات ، التي وصف بها المدعون في هذه الآيات ، التي جاءت بشأن الفريق الثاني ؟ لا ريب أنه لا يعقل أن يتصف الجماد بالفلة أو بضدها ، أو يتصف بالمداوة وضدها ، أو بالكفر وضده ، ولا يتأتى أن تبغى الجمادات الوسيلة إلى ربهما ، وأن ترجو رحمته ، وتخاف عذابه ، ولا يمكن أن تكون الأصنام بمعنى الجماد ، ضداً على المشركين يوم القيامة ، ولا يتصور أن يوصف الجماد بموت أو حياة ، أو شعور يبعث ، فمن عنده أدنى مسكة من عقل ، يدرك أن جميع هذه الصفات ، لا تنطبق على الأصنام بمعنى الجماد ، بل لا تنطبق إلا على المقرين من الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين .

( مرعى مرعى )

### إنذار المشركين بالله

آ ( ١٠٧ ) ﴿ ... أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ، أو تأتيهم الساعة بغتة ، وهم لا يشعرون ﴾

افتتحت الجلسة ، وتليت الآية المئة وسبعة ، فقام الامام القليلي وقال : قتل الانسان ما أكفره ( أفأمنوا ) أي أفأمن هؤلاء المشركون بالله ( أن تأتيهم غاشية ) أي نقمة أو وقعة أو عقوبة تقشاهم بحيث تعمرهم وتجلبهم .

فيكونون حشوها (من عذاب الله) وعقابه في الدنيا (أو تأتيهم الساعة بغتة) أي هلاكهم الذي يعقبه خلاص الموحدين من شرهم ، (وهم لا يشعرون) باتيانها فوق رؤوسهم ، فهل هم آمنون من ذلك ؟ حال كونهم تحت وقوع شيء منه في القريب العاجل ، فما عليهم إلا أن ينتظروا المعركة المقبلة ، ويعدوا لها العدة ، إن جوزوا لأنفسهم مقاومة سوط النقمه الالهية .

( أفأمنوا ان تأتيهم غاشية . . . الخ )

— ١ —

وتابع الامام القلقيلي كلامه قائلاً :

### الساعة الصغرى الدنيوية وأمثالها

إن الساعة في قوله ﴿ أو تأتيهم الساعة ﴾ هي فيما نختاره ساعة « بدر » ، فإن صناديد قريش وزعماء المشركين ، قد هلكوا جميعاً في وقعة بدر وغيرها ، ثم هلك باقي المشركين عن آخرهم ، أو نقول إن غزوة بدر هي من أشراط تلك الساعة ، وإنما ساعتهم هي ذلهم واضمحلالهم وهلاكهم التام ، وفناؤهم العام ، بحيث لا يبقى منهم ديار ، ولا نافخ نار ، قال تعالى في سورة الأنعام المكية : ﴿ قل أرأيتمكم إن أناكم عذاب الله ، أو أتتكم الساعة ، أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؟ بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ، وتنسون ما تشركون ﴾ ( ٤١٥ : ٤١٠ ) .

قال شيخنا الغواص : هذه « الساعة » هي ساعتهم الصغرى ، التي تحققت في غزوة بدر ونحوها ، ولا يجوز أن يراد بها الساعة الكبرى ، لأن الساعة الكبرى لا تكشف لا عن المشركين ولا عن غيرهم ، ولا يشاء الله كشفها ، لأنها أمر حتم لا بد منه ، وقال تعالى في سورة الحج المكية : ﴿ ولا يزال الذين كفروا في



مَرِيَّةٍ مِنْهُ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ، أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ، الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ، يُحْكُمُ بَيْنَهُمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٢٢ : ٥٥-٥٧﴾

قال شيخنا العارف بالله ، لا يزال أهل مكة الكافرون في شك من أمر الرسول الى أن تجيء ساعة انحطاطهم وهلاكهم في غزوة بدر ، وتماظم أمر المسلمين وتعالى شأنهم ، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم بافتتاح المسلمين مكة وانتصار أهل الإيمان عليهم ومن ذلك اليوم يكون الملك لظهر أمر الله ومنبع سلطانه وهو سيد الخليقة (ص) وخلفائه من بعده ، وقد حكم النبي وخلفاءه بين الناس ، فلمؤمن العامل في نعيم ورفاه ، والكافرون من أهل مكة ويهود يثرب في ذل وهوان ، وقال تعالى في سورة الزخرف المكية: ﴿ وَإِنَّ لَعَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ ، فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ، وَاتَّبِعُونِ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٤٣ : ٦١) قال شيخنا ولي الله : المسيح هو علامة على ساعة انقراض النبوة من بني اسرائيل ونقلها الى بني اسماعيل ، ولذلك كان قال لهم : ﴿ لَئِنْ أَقُولَ لَكُمْ إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يَنْزِعُ مِنْكُمْ وَيُعْطِي لَأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ ، وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هَذَا الْحِجْرِ يَتَرَضَّضْ ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ ﴾ (مت ٢١ : ٤٣ و ٤٤) ، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ، وَاتَّبِعُونِ ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (٤٣ : ٦١) .

ويجوز أن يكون المسيح « علماً للساعة » ساعة هلاك ودمار وسقوط وانحفاض اليهود ، بسبب كفرهم به ، وايدائهم له ، وساعة ارتفاع ورتقي النصرى ، بسبب ايمانهم وتصديقهم له ، أي ساعة مجازاة كل منهم على عمله مجازاة دنيوية ، ونرى متى ومرقس ولوقا ، بعد أن نقلوا ما وصفه المسيح من أهوال الساعة وقيامتها ، قالوا نقلوا عن المسيح : ( الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله ) (مت ٢٤ : ٣٤ مر ١٣ : ٣٠ لو ٢١ : ٣٢) .

وفي الحديث: ﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين ﴾ وأشار الى إصبعيه السبابة والوسطى ،

أي متقاربين متلاصقين كهاتين الاصبعين: أي أن ظهوره (ص) علامة على قرب ساعة هلاك وسقوط من كفر به، وارتفاع ورقى من آمن به في الدنيا، وفي البخاري: «إذا ضيقت الأمانة انتظر الساعة» قيل: وما إضاعتها يارسول الله؟ - قال: إذا وسد الامر لغير أهله فانتظر الساعة» ، وفي البخاري أيضاً « إن من اشراط الساعة أن تلد الأمة ربها أو ربها ، وأن ترى الحفاة الرعاة يتطاولون في البنيان ، وأن يكثُر شرب الخمر والزنا» وكل ذلك وقع فعلاً ، فهذه الأشرط هي أشرط للساعة الصغرى وهذه الساعة هي لناس وعلى ناس ، فلناس ساعة علو وارتقاء ومنعة ، وعلى ناس ساعة انقراض واضمحلال ، وعلى الأقل ساعة ضعف وفتور .

ومن أمثلة استعمال لفظ الساعة في معنى الساعة الصغرى ، مافي الحديث الذي ذكره صاحب الأساس : « إذا رأيت مكة بُعِجَت كظائم وسواوى بناؤها رؤوس الجبال ، فاعلم أن الساعة قد أظلت (١) » .

( أفامنوا ان تأتيهم غاشية .. الخ )

— ٢ —

وقال الفاضل البيساني (٢) :

الساعة الصغرى الدنيوية والساعة الكبرى الأخروية

أضم صوتي الى صوت أخي الإمام القليلي حفظه الله وأقول :

( ١ ) ليس أن لفظ « الساعة » متى أطلق ينصرف للساعة الكبرى دائماً ، بل قد يكون مراداً منه « الساعة » الصغرى ، والحكم في ذلك القرائن ، والقرينة هنا على أن « الساعة » هي الساعة الصغرى قرننا بغاشية من عذاب الله وانتظامها

١ - بعجت : حفرت فيها آبار كثيرة ، وكظائم جمع كظيمة وهي بئر بجنب بئر بينهما مجرى في بطن الارض .

٢ - نسبة إلى بيسان من بلاد فلسطين .

في سلك واحد ، فكما ان هذه الناشئة هي في الدنيا ، فكذلك هذه « الساعة » تحصل لهم في الدنيا ، فآيتنا هذه في أنها تحتوي على مواعيد دنيوية هي نظير ما قال تعالى في سورة الاعراض المكية : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ؟ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ ؟ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ؟ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ( ٧ : ٩٦ - ٩٨ ) وقال تعالى ، في سورة النحل المكية : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ؟ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ؟ ﴾ ( ١٦ : ٤٥ ) ، وقال في سورة الإسراء المكية : ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ ؟ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ؟ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴾ ( ١٧ : ٦٨ ) وقال في سورة الملك المكية : ﴿ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ ، فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ؟ أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ؟ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴾ ( ١٦ : ٦٧ و ١٧ ) .

### الحشر الدنيوي

٢ - وكما أن لفظ « الساعة » يدل على يحدث في الدنيا وهو الانقلابات والاضطرابات التي تحصل مفيدة لقوم ضارة بآخرين ، فكذلك لفظ « الحشر » يأتي بمعنى يحدث في الدنيا ، ويأتي للحشر الأخروي ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ( ٧٩ : ٢٣ و ٢٤ ) فهذا الحشر كان باسم فرعون الخروج « منفثا » لعبيده القبط ، فهو حشر دنيوي . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَحَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ ﴾ ( ٢٧ : ١٧ ) ، وقال تعالى في سورة الحشر : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ ( ٥٩ : ٢ ) ومعنى أول الحشر ، ان هذا أول حشرهم من المدينة الى الشام ، وآخر حشرهم إجلاء « عمر » إياهم من خيبر الى الشام ، واللام في قوله « لأول » هي

اللام في قولك : جئته لوقت كذا ، وكتبت لعام كذا ، ولشهر كذا ، فهي التي تصحب التاريخ ، وقال تعالى : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ ( ٣٨ : ١٩ ) فحشر الطير لداود وحشر بني النضير في الشام ، وحشر الجنود لسليمان وحشر القبط لمنفتا ، كل ذلك حشر دنيوي .

### النشر والحساب الدنيويان

( ٣ ) - وكذلك لفظ « النشر » يأتي لمعنى دنيوي كما في سورة الفرقان : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِباساً ، وَالنَّوْمَ سُباتاً ، وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً ﴾ ( ٢٥ : ٤٧ ) أي جعل النوم موتاً ، والنهار عيشة وحياة بعد الموت .

وكذلك « الحساب » يكون في الدنيا ويكون في الآخرة ، قال تعالى في سورة الرعد : ﴿ وَإِنْ مَا نُزِيتُكَ بِمَعْصِيَ الَّذِي نَعِدُّهُمْ ، أَوْ ذَمَّوْفَيْتُكَ ﴾ قبل ذلك ﴿ فَإِنَّا عَلَيْكَ الْبلاغُ وَعَلَيْنَا ﴾ لا عليك ﴿ الْحسابُ ﴾ ( ١٣ : ٤٢ ) وقال تعالى في سورة الأنبياء المكية : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ، مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لآهِيَّةٍ قُلُوبُهُمْ ﴾ ( ٢١ : ١ - ٣ ) ، قالنا هنا هم مشركوا اهل مكة كما قال ابن عباس وهو اصطلاح القرآن يعبر « بالناس » عن اهل مكة المشركين وبأهل الكتاب عن اليهود والنصارى ، وبالمؤمنين عن اتباع النبي المسلمين ، وكما هو صريح نفس هذه الايات التي إنما ذكرت أحوال المشركين وأقوالهم خاصة ، فإن الذين غفلوا عن حسابهم ، ثم لما نهوا أعرضوا ، وأتاهم الذكر فاستمعوه وهم يلعبون ، ذاهلين عنه وقالوا ما قالوا — إنما هم المشركون من اهل مكة لأن السورة مكية ، فهذا « الحساب » الذي اقترب إنما هو حسابهم فقط ، لا دخل لغيرهم فيه ، وهو حساب خاص ، يتجلى في مجازاتهم واهلاكهم في الدنيا ، في مثل غزوة بدر وفتوح مكة وغيرها .

## الحساب العام الآخروي

(٤) - واما « الحساب العام » في يوم القيامة الذي يعم المؤمنين وأهل الكتاب وجميع العالمين ، فهو المذكور في مثل قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٥ : ١٢) ، كما في سورة الأنبياء يفيد أنه قرب جداً وقت محاسبة ومجازاة واهلاك هؤلاء المشركين في حالي غفلتهم ثم إعراضهم عن الذكر ، وفي حال أنهم لا يستمعونه إلا وهم يلعبون ، ذاهلين عنه ، أي أن عذابهم وهلاكهم سيكون في الدنيا وهم متلبسون بهذه الأحوال ، ويساعد هذا الفهم قوله تعالى على الاثر : ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ، أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ! ﴾ (٢١ : ٦) أي أنهم لا يؤمنون كما لم تؤمن القرى التي أهلكتناهم قبلهم ، أي فحيث لا بد من إهلاكهم مثلهم في الدنيا لعدم إيمانهم ، كما كنا أهلكتنا تلك القرى لعدم إيمانهم أيضاً .

## الصراط والعذاب والعقاب والاجر والثواب الدنيويات

(٥) - وكذلك « الصراط » يطلق على الصراط الدنيوي بمعنى الطريق ، وقد ذكر بهذا المعنى في القرآن أكثر من ٤٥ مرة ، ويطلق على الصراط الآخروي ، وليس له ذكر في القرآن ، ولكنه مذكور في الأحاديث ، وكذلك « الميزان » يطلق على الميزان الدنيوي كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَفْئُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ (٦ : ١٥٢) وقد ذكر هذا في القرآن تسع مرات ، ويطلق على الميزان الآخروي وقد أشير له في مثل قوله تعالى : ﴿ وَالوزنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ ﴾ (٧ : ٧) .

وكذلك « العذاب والعقاب » وضده « الأجر والثواب » يكونان في الدنيا والاخرة ، كما يعلم من كثير آيات الكتاب الكريم .

## الميعاد النبوي

(٦) — وكذلك لفظ «الميعاد» يأتي بمعنى في الدنيا ولمعنى سيحدث في الآخرة ومن مثل الأول ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٣٣: ١٢) قال «معتب بن قشير» حين رأى الأحزاب: «يعدنا محمد فتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا، ما هذا إلا وعد غرور» فهذا وعد نبوي، ومثله ما في قوله تعالى: ﴿وَلِمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ، قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ (٣٣: ٢٢) وقال تعالى في سورة الزخرف المكية: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ، فَإِنَّا مِثْلَهُمُ مُتَقِيمُونَ﴾ — في الآخرة — ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَا لَهُمْ﴾ — من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر — ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ (٤٣: ٤١ و ٤٢)، وقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمَمٍ لَّيْسَ بِكَفٍ تَقْرَءُ عَينُهَا وَلَا تَحْزَنُ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَلَكِنَّا أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨: ١٣)، فوعد الله هنا هو قوله: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنْكَ الْيَوْمَ﴾ (٢٨: ٧) وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ، لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠: ٦) يشير لوعده الله أن يغلب الروم الفرس في بضع سنين وقد وقع سنة ٦٢٥ ميلادية.

وقال الملائكة في أهل سدوم وعمورة وإهلاكمهم:

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ (١١: ٨١)، وقال تعالى في شأن المؤمنين مع المشركين في غزوة بدر: ﴿وَكَوُتُوا عِدَّتُمْ لِاِخْتِلَافَتِهِمْ فِي الْمِعَادِ﴾ (٨: ٤٢) وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ، أَوْ تَهْلِكُ قَرْيَةً مِنْ دَارِهِمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ (١٣: ٣١)، وعد الله هنا فتح مكة، وكان الله قد وعد النبي بذلك وقال تعالى:

﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين - قل : لكم ميعاد يوم ، لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ ( ٣٤ : ٢٩ و ٣٠ ) ، فهذا الميعاد دينوي وقع في غزوة بدر ، ولفظ اليوم يراد منه السنة ، كما وقع كثيراً بهذا المعنى في العهد العتيق والعهد الجديد ، وغزوة بدر كانت في نهاية السنة الأولى من الهجرة الشريفة ، وبهذا المعنى وعلى هذا التفسير انطبق الجواب على السؤال ، فهم سألوا عن وقت الوعد وتحديده ، فأجيبوا بأن تحقيق هذا الوعد يكون بعد يوم من الهجرة .

### البعث الديني

(٧) - وكذلك لفظ « البعث » قد يستعمل في معنى دينوي ، كما في قول صموئيل ﴿ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا ﴾ ( ٢ : ٢٤٧ ) وقوله تعالى : ﴿ بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد ﴾ ( ١٧ : ٥ ) وقوله تعالى : ﴿ وبعثنا منهم اثنتي عشر نقيباً ﴾ ( ١٣ : ٥ ) .

### الآخرة والجزاء الدينيان

(٨) - وكذلك لفظ « الآخرة » قد يجيء مستعملاً في معنى دينوي ، كما في قوله تعالى : ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة : لیسئوآ وجوهكم .. الخ ﴾ ( ١٧ : ٧ ) أي المرة الآخرة ، وقولهم : ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ ( ٣٨ : ٧ ) وقوله تعالى : ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾ ( ٧٩ : ٢٥ ) أي كلمته ، فالآخرة هي ﴿ أن ربكم الأعلى ﴾ ( ٧٩ : ٣٤ ) ، والأولى هي ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ ( ٢٨ : ٣٨ ) .

وكذلك لفظ « الجزاء » قد يأتي لمعنى دينوي ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيئ العريم ، وبذلناهم بجننتيهم جننتين ذواتي أكل خنط وأنثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل

نَجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ؟ (١) (١٧:٣٤ و١٦:١٧) وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ، وَمِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا، إِلَّا مَا سَحَمَتَ ظُهُورُهَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ، ذَلِكَ جَزَايُنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (١٤٦:٦) وقولها تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نِعْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا، كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥:٥٤ و٣٤:٣٥).

### الحياة بعد الموت في الدنيا

(٩) - وكذلك لفظ « الحياة » بعد الموت ، قد يستعمل في معنى دنيوي ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ، حَذَرَ الْمَوْتِ ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ : مَاتُوا ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ؟ ﴾ ( ٢٤٣:٢ ) قوم خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم ، لامن قلة ، فقد كانوا الوفاً ، أي كثيرين وإنما هو الحذر من الموت الذي يولده الجبن ، فأماهم الله بإمكان العدو منهم ، فالأمر أمر التكوين ، أي قضت سنته في خلقه بأن يموتوا موتاً معنوياً ، بما أتوه من سبب الموت المادي الطبيعي ، وهو تمكين المحارب من ألقائهم بالفرار ، ففتتكت بهم وقتل أكثرهم ، ثم أحياهم حياة معنوية ، بأن أعاد إليهم استقلالهم ، حيث قد جمعوا كلمتهم ووثقوا رابطتهم ، فعادت لهم وحدتهم القوية ، فاعتزوا وكثروا إلى أن خرجوا من ذل الفرقة والعبودية ، إلى عز اجتماع الكامة والاستقلال كذا قاله الاستاذ الامام وكما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ( ٢٤:٨ ) وقوله : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمُخَارِجٍ مِنْهَا ؟ ﴾ ( ١٢٢:٦ ) .

( مرعى )

(١) الاكل : الثمر ، الحظ والائل والسدر شجر .



## الفصل الثالث

## الدعوة إلى الإيمان بالدليل

آ (١٠٨) ﴿قُلْ: هَذِهِ سَبِيلِي: أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ،  
أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

افتتحت الجلسة وتليت الآية المئة وثمانية ، فقام المدقق الذي وقال :

قال الله تعالى مخاطباً نبيه الكريم محمد ﷺ: أخبر الناس يا محمد و ( قل ) لهم: ( هذه ) السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد هي ( سبيلي ) أي طريقي ومسلكي وستي ونهجي ( أدعو ) الناس ( إلى ) دين ( الله ) وسأدعو وسوف أدعو ولا أزال أدعو إلى شهادة أن لا آله إلا الله ، وحده لا شريك له ، هذه سبيلي التي أحيأ فيها وأموت عليها ، أدعوهم دائماً حتى يدفع الحق الباطل ، أدعوهم حال كوني ( على بصيرة ) ودليل قاطع ، وحجة واضحة غير عمياء ( أنا ومن اتبعني ) — فكل من اتبعه كذلك يدعو إلى مادعا إليه الرسول ، على بصيرة وبقين وبرهان عقلي وشرعي — ( وسبحان الله ) أي وأنزه الله عن الشركاء وأجله وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة أو وزير أو مشير ، تبارك وتقدس وتنزه : ﴿سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، تَسْبِيحُہُ لَہُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيہِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِہِ ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّہُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (١٧: ٤٣ و٤٤) ، ( وما أنا من المشركين ) لاشرك ربوبية ولا شريك ألوهية .

( قل هذه سبيلي ، أدعو . . . الخ )

— ١ —

وتابع المدقق اللذي قوله بسررد المواد التالية على الآفة :

### التقليد في الدين باطل

المادة ( ١ ) — البصيرة الحجة الواضحة والمعقيدة ، ومنه : ﴿ بل الانسانُ على نفسه بصيرة ﴾ ( ١٤:٧٥ ) أي هو حجة وشاهد ؛ يقال جوارحه بصيرة عليه : أي شاهدة ؛ ومنه ( اجعلني بصيراً عليهم ) أي شاهداً ؛ فالنبي والقرآن دائماً يستدل على قدرة الله تعالى وارادته وعلمه وحكمته ووحدانته بالآيات الكونية ، وهي كثيرة جداً في القرآن ، وبالآدلة النظرية والعقلية كقوله : ﴿ لو كان فيها آلهةٌ إلاّ اللهُ لفسدتا ﴾ ( ٢٢:٢١ ) وغير ذلك بما لا يحصى ، حتى أنه ليستدل على الأحكام بما يترتب عليها من نفي المضرات ، والافضاء إلى المنافع ؛ فالتقليد في الدين باطل ، لأنه ينافي أصل العلم باليقين ، فان المقلد في الدين هو من يعتمد في دينه على قول من يثق به من أهله وقومه أو معلمه ، وليس على علم وبصيرة فيه .

### النبي والمؤمنون طأورا على بصيرة من الدعوة للإيمان

المادة ( ٢ ) — نعلم من قوله ﴿ أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ أن النبي ﷺ ومثله المؤمنون ، جميعهم كانوا على بصيرة ، فليس عندهم شيء من الشك ، بل هم من أهل العلم ، ومن هذا نعلم أن الأمر بالسؤال في قوله تعالى في سورة النحل المكية : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم ، قاسألوا أهل الذكّر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ﴾ ( ٤٤و٤٣:١٦ ) إنما هو للكفار من وثني العرب ، الذين قالوا ﴿ هل هذا إلاّ بشرٌ مثلكم ؟ ﴾ فكان جواب الله إليهم بهذه الآفة ، فالخطابون هنا بتوجيه

السؤال لغيرهم مخصوصون ، وهم جهلة العرب الوثنيين ، والشيء المستؤل عنه هنا مخصوص ، وهو أن الرسل الذين جاءوا قبل محمد ﷺ ماذا كانوا؟ هل رجالاً أو ملائكة؟

وكذلك الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ، لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ( ١٠ : ٩٥ و ٩٤ ) فهذا الخطاب إنما هو للشاك في صدق هذا الكتاب الذي أنزل لأجله ولأجل هدايته ، وأما النبي ﷺ فلم يكن شاكاً أبداً كما قال : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حكماً ، وهو الذي أنزل اليكم الكتابَ مُفَصَّلًا ؟ ﴾ ( ١١٤ : ٦ ) وقال : ﴿ إني على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ﴾ ( ٥٧ : ٦ ) وقال : ﴿ إِنْ اتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إني أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ( ١٥ : ١٠ ) ، فتوجيه الخطاب إذاً في آيتي « فاسألوا . . . » الخ ود فإن كنت . . . الخ ، هو لغير العالم وللشاك في صدق القرآن المجيد الذي أنزله الله لهدايته : أي إن كنت أيها الانسان تشك فيما أنزلناه اليك بواسطة نبينا « فاسأل الذين يقرأون الكتابَ مِنْ قَبْلِكَ » أي المحققين منهم هل يكن مذكوراً في كتبهم مجيء نبي وكتاب يجب الايمان بهما ؟ حقاً « لقد جاءك » أيها الانسان مطلقاً بواسطة نبيك : « الحقَّ مِنْ رَبِّكَ ، فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، فَتَكُونَ » أيها الانسان « مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

وكون التنزيل يقصد به الناس أيضاً موضع في آيات كثيرة كما في آية : ﴿ وهو الذي أنزل اليكم الكتابَ مُفَصَّلًا ﴾ ( ١١٤ : ٦ ) وآية : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ( ١٦ : ٤٤ ) وآية : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ( ٧ : ٢ ) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ( ١٠٨ : ١ )

ربكم ، وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً ﴿ (١٧٣:٤) وآية : ﴿ لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكرُكم ﴾ (١٠:٢١) إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة ، ويظهر جلياً صدق هذا المعنى الذي نذهب اليه من قوله تعالى بعد آيات من قوله : « فإن كنت في شك . . » الخ ﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني ، فلا أعبدُ الذين تعبُدونَ من دونِ اللهِ ، ولكن أعبدُ اللهَ الذين يَتَوفَونَكم ، وأمِرتُ أن أكونَ من المؤمنين ﴾ (١٠:١٠٤) كذا أفاده بعض المصريين من العلماء .

### دعوة النبي ﷺ للتوحيد كانت بالحجج العقلية

المادة (٣) — قام النبي ﷺ بدعوة الخلق إلى عبادة الحق ، وقرّر ان للعالم لها واحداً بريثاً من كل ما ينسبون اليه من كل ما لا يليق به ، أثبت ذلك بالحجج البيّنات ، وأمر الناس باستعمال الفكر والعقل في كل شيء ، ونهى عن التقليد ، وحض على النظر في الموجودات .

دعاهم بالحجج العقلية ، لتوحيدهم تعالى ، وإلى دين « العدالة » بين الغني والفقير ثم « المساواة » في الحقوق المدنية والقضائية والسياسية والدينية ، ثم « الأخوة » بين المالك والمملوك .

تلك الأمور التي لم يهتد اليها الناس في « الغرب » إلا بعد أن وصل اليهم شعاع من نور الاسلام في « الشرق » ، فأرجع البصر إلى تاريخ أوربا قبل الاصلاح الديني بـ « لوثر » وقبل الاصلاح السياسي « بالثورة » الفرنسية ، لتعرف ما كانوا عليه ، نعم إن النبي صلوات الله عليه وسلامه أتى بجميع الأخلاق الفاضلة الممتدلة ، والعبادات الصالحة والمعاملات الكاملة ، والمباديء السليمة ، والسياسة القويمة ، وغيرها مما كان السبب في إصلاح أمر الانسان ، وتحريره من العبودية ، وإفقاذ العقل من الأسر ، ورده إلى مملكته ، ليحكم فيها بالقسط ، فنهض « الشرق » نهضة

سريعة عالية ، لم يعهد لها مثيل في التاريخ ، ثم امتدت إلى « الغرب » .

### أكثر دعاة أهل اليوم هم على غير بصيرة

المادة ( ٤ ) — النبي عليه الصلاة والسلام ، كان يدعو إلى الله على بصيرة . وهكذا خلفاءه وعلماء السلف والأئمة المجتهدون وسائر العلماء الصالحين ، ولكن من المؤسف ، أن أكثر دعاة أهل اليوم ، هم على غير بصيرة ، لأنهم مزجوا الدخائل بمقائد الدين ، وأدخلوا البدع والأخلاق الرديئة في العوائد الإسلامية ، وعلّموا الجهال معالم خادعة ، لبّست الغي بالرشاد ، كما علّموهم التأويلات الباطلة ، التي شبهت الحق بالباطل ، حتى صار الجبر « توحيداً » ، وإنكار الأسباب « إيماناً » وترك الأعمال المفيدة « توكلأ » ، ومعرفة الحقائق « كفوفاً » وإلحاداً ، وإيذاء المخالف في المذهب « ديناً » والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات « صلاحاً » . واختبال العقل وسفاهة الرأي « ولاية وعرفاناً » والذلة والمهانة « تواضعاً » ، والخنوع وقبول الضيم « رضياً وتسليماً » ، والتقليد الأعمى لكل متقدم « علماً وإيقاناً » .

### دعوة النبي ﷺ وبعثه بتاتاً عامنين

المادة ( ٥ ) — مفعول « أدعو » محذوف إيداناً بالعموم ، أي أدعو كل الناس حملاً على الآيات الأخرى ، الدالة على عموم بعثته ﷺ ، كقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ ( ٣٤ : ٢٨ ) وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ( ٢١ : ١٠٧ ) ، وقال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويؤزّكهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وآخرين منهم لما بلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم ﴾ ( ٦٣ : ٢ ) ، فقوله وآخرين الخ : معناه يعلم آخرين

غير العرب ، من جميع الأمم الأخرى ، فإنهم صاروا من العرب ، لأن بلادهم صارت بلاد العرب ، ولغتهم لغة العرب ، وكذلك دينهم وعاداتهم ، وقد اختلطوا بالعرب بالزواج وغيره ، حتى صاروا منهم في كل شيء ، ولذلك قال : ( وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ) أي لم يتجنسوا بالجنسية العربية الآن ، ولم يلحقوا بهم بعد ولكنهم سيلتحقون بهم فيما بعد في كل شيء » ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ( ٢١ : ٩٢ ) والمقصود إن بعثة النبي العظيم عامة ، وأما سائر النبيين ، فكانت رسالتهم خاصة ، بقوم دون آخرين ، ومنهم المسيح عيسى ، ولا يلتفت الي دعوى المسيحيين ، من أن المسيح مرسل لعموم الخلق ، فإن لانجمل في أيديهم ينطق بلسان المسيح بقوله : ﴿ لَمْ أَرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ ﴾ ( مت ٢٤ : ١٥ ) ، وهو حصر صحيح ، ولا ينافية قول انجيل مرقس : ( واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها ) « مر ١٦ : ١٥ » لأن اللام في « للخليقة » لا يصح أن تكون للاستغراق ، لأنه يدخل فيها حينئذ الحيوان الأعجم والنبات والجماد ، فيتعين أن تكون للعهد ، ولا معهود إلا خراف إسرائيل الضالة ، وبهذا يرتفع التناقض ويلتئم كلام الإنجيل مع قول القرآن الكريم : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ( ٤٩ : ٣ )

### الدعوة والدعاء والادعاء والدعوى

المادة ( ٦ ) — كلمة « أدعو » من الدعوة وهي الطلب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَجَبَيْتَ دَعْوَتُكُمَا ﴾ ( ١٠ : ٨٩ ) ، وقوله : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ، إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيِّهِ إِلَى الْمَاءِ ، لِيَبْلُغَ فَاهُ ، وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ . وَمَا دَعَا الْكَاْفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ ( ١٣ : ١٥ ) ، وقوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةٌ مِنَ الْأَرْضِ ، إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ( ٣٠ : ٢٥ ) ، وقوله : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴾ ( ١٤ : ٤٤ ) وقول نوح : « اني دعوت قومي ليلا ونهاراً ، فلم يزدتهم

دُعائي إلا فراراً ، ( ٧١ : ٥ و ٦ ) فكل ذلك بمعنى الطلب ، سواء أكان طلباً من العبد الى الله ، وهو مانسميه دعاء كما في الاية الأولى ، أو طلب الانسان من الأوثان ، بمعنى دعائهم أيضاً ، وهو ما في الاية الثانية ، أو طلب الله أن يخرج الميت من قبره ، وهو ما في الاية الثالثة ، أو الطلب من الانسان أن يؤمن ، كما في الايتين الرابعة والخامسة .

وأما « الإدعاء » مثل ادعى عليه كذا ، بمعنى زعم أنه له ، سواء أكان حقاً أم باطلاً ، فصدره أو الاسم منه « الدعوى » وذلك كما في ﴿ فما كان دَعَوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا ، إِلَّا أَنْ قَالُوا : إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ( ٧ : ٤ ) ، أي ما كانوا يدعونهم من دينهم ويتحلونهم من مذهبهم ، إلا اعترافهم بظلالته .

وقد يطلق لفظ « الدعوى » على « الدعوة » بمعنى الدعاء ، كما في : ﴿ قَالُوا : يَا وَيْلَتَنَا ، إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعَوَاهُمْ .. الخ ﴾ ( ٢١ : ١٥ ) فنلك إشارة إلى « يا وَيْلَتَنَا » ، فهوى دعوى ، بمعنى الدعوة ، وكما في ﴿ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ .. الخ ﴾ ( ١٠ : ١٠ ) ، فدعواهم هنا : دعاؤهم ، لأن « اللهم » نداء لله ، ففيه أيضاً إطلاق الدعوى على الدعوة .

### الدين الاسلامي قام بالحجة لا بالسيف والقوة

المادة ( ٧ ) - قوله : ﴿ ادعوا الله على بصيرة ﴾ أي بحجة واضحة غير عمياء . لأن الرجل الثبّت ، لا يتكلم إلا بثبّت ، قال : ﴿ ادعُ الى سبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ( ١٦ : ١٢٥ ) فالدين إنما يقوم بالحجة ، لا بالسيف والقوة ، كما قال : ﴿ لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ﴾ ( ٢ : ٢٥٦ ) وقال : ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ ( ١٠٩ : ٦ ) وكذلك نوح عليه السلام قال : ﴿ يا قوم ، أرأيتم إن كنتم على بينة من

ربي ، وآتاني رحمة من عنده ، فَعَمَّيْتْ عَلَيْكُمْ ، أَنْ لَنْزِرَ مَكُومَهَا وَأَتَمَّهَا كَارِهُونَ ( ١١ : ٢٨ ) ، وقال تعالى عن لسان نبيه الكريم : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ ( ٦ : ١٠٤ ) ، وقال : ﴿ فَذَكَّرْ ، إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ ( ٨٨ : ٢١ و ٢٢ ) الى غير ذلك من الايات الكريمة ، التي تفيد أن الإسلام إنما قام بالدعوة ، لا بالسيف والقوة .

وأما حديث : ( أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ ، حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّهَا ) ، فانما ورد في مشركي العرب ، الذين لم تقبل منهم الجزية بعد الإذن بقتالهم ، وما أُذِنَ للمسلمين بقتالهم إلا بعد أن آذوا النبي ومن معه ، وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ، وقعدوا لهم كل مرصد ، ووقفوا في سبيل الدعوة ، فلم يكن الإذن إلا للدفاع عن الحق وحماية الدعوة ، والغرض من الحديث ، بيان أن قول « لا إله إلا الله » ، كاف في حقن الدماء ، وان لم يكن القائل لها من المشركين معتقداً ، لأن الأمر في ذلك يبنى على الظاهر ، ولأن القصد من الاكتفاء بالاسلام ظاهراً ، أن لا يؤذوا المسلمين ، ولا يقفوا عقبة في طريق انتشار الدين ، لأن القصد أن تكون الجزيرة « معملاً » لأنوار كهرباء الاسلام ، تمتد منها أسلاكه الى كل المعمورة ، ولا يناسب أن يكون في الجزيرة من يحول دون امتداد هذه الأنوار الى باقي الجهات ، وبما يؤيد قولنا : إن الحديث خاص بالمشركين ، وان كان لفظه عاماً ، رواية النسائي له بلفظ ( أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ ) ، ولأن « الناس » بحسب اصطلاح القرآن ، يقصد بها غالباً أهل الشرك ، وقد علمت أن المراد بيان غاية القتال ، لا مشروعيته ، وأن سببه المدافع وتأمين الدعوة ، ومنع الفتنة ، لا إكراه على الدين المنفى بنص القرآن العظيم .



## الاسلام لا يضطهد الناس لعقيدتهم - و بيان حديث (من بدل دينه فاقتلوه)

(المادة ٨) - الاسلام لا يضطهد الناس لعقيدتهم ، إذا كفوا أذاًم عن المسلمين ، وإنما تتعرض لهم إذا تعرضوا لنا بالأذى ، لأن كل إنسان ، حر فيما يعتقد من الأديان ، وأما حديث « من بدل دينه فاقتلوه » فسيبه أنه كان المرتد من مشركي العرب ، يعود بعد رده ، الى محاربة المسلمين وايدائهم ، وهو مطلع على عوراتهم وقلة عددهم و'عددهم ، ويعرف مواطن ضعفهم ، فمشروعية قتله ، أظهر من مشروعية قتال جميع المشركين ، المحادين للاسلام ، وكان بعض اليهود ، ينفر الناس من الاسلام ، باظهار الدخول فيه ، ثم باظهار الارتداد عنه ، ليقبل قوله بالظن فيه كما ورد : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ النَّهَارَ ، وَكَفَرُوا آخِرَهُ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢:٣) فاذا هدد أمثال هؤلاء بقتل من يؤمن ثم يرتد ، فانهم يرجعون عن كيدهم هذا ، فالظاهر أن الأمر بقتل المرتد ، كان لمنع شر المشركين من العرب ، وكيد الماكرين من اليهود ، فهو لأسباب قضت بها سياسة ذلك العصر ، وهي التي تسمى في عرف أهل عصرنا ، سياسة عرفية عسكرية .

## منع النبي ﷺ بعض المسلمين من اكره اولادهم المتهودين على الاسلام

(المادة ٩) - إن خير دليل على أن الاجراء الآنف الذكر لم يكن لاضطهاد الناس في دينهم ، هو أن بعض المسلمين أرادوا أن يكرهوا اولادهم المتهودين على الاسلام - فمنعهم النبي ﷺ عن ذلك بوحي من الله ، وكان ذلك عند جلاء بني النضير ، والاسلام في أوج قوته ، وقد نزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ﴾ (٢٥٦:٢) ، لأن سبب نزول هذه الآية ماروى أبو داود والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس قال : كانت

١٤٣٤ منع النبي ﷺ بعض المسلمين من إكراه أولادهم المتهودين على الإسلام آ (١٠٨).

المرأة تكون مقلاة — أي لا يعيش لها ولد — فتجعل على نفسها ؛ إن عاش لها أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير ، كان فيهم من أبناء الأنصار ، فقالوا : ﴿ لا تدع أبناءنا ﴾ ، فأنزل الله : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ وأخرج ابن جرير من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس قال : نزلت ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ، يقال له « الحصين » كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو مسلماً ، فقال للنبي صلوات الله عليه وسلامه : ألا استكرههما ، فأنها قد أيا إلا النصرانية ؟ ﴿ — فأنزل الله الآية ، وفي بعض التفاسير ، « انه حاول إكراهها ، فاختصموا الى النبي ﷺ ، فقال يارسول الله ، أيدخل بعضي النار وأنا انظر ؟ » ولابن جرير عدة روايات في نذر النساء في الجاهلية — تهويد أولادهم ، ليعيشوا ، وأن المسلمين بعد الاسلام ، أرادوا إكراه من لهم من الأولاد الذين تدينوا بدين أهل الكتاب — على الاسلام — فنزلت الآية ، وكانت فصل ما بينهم ، وفي رواية له عن سعيد بن جبير أن النبي صلوات الله عليه وسلامه ، قال عندما أنزلت : ( قد خير الله أصحابكم ، فان اختاروكم ، فهم منكم ، وان اختاروهم ، فهم منهم ) .

هذا هو حكم الدين الذي بزعم الكثيرون من أعدائه — وفيهم من يظن أنهم من أوليائه — أنه قام بالسيف والقهر ، وكان يُعرض على الناس ، والقوة عن عيئه ، فمن قبله نجاة ، ومن رفضه ، حكم السيف فيه حكمه ، هكذا قال أعداء الدين ، ومنهم البروتستانت وبعض الجبهة من أتباع الدين ، ومنهم من له عمامة بيضاء على رأسه .

وهنا نسأل فنقول : هل كان السيف يعمل عمله في إكراه الناس على الاسلام في مكة ، أيام كان السيد الأعظم ، يصلي مستخفياً ، وكان المشركون يفتنون المسلم بأنواع من التعذيب ، ولا يجردون رادعاً من المسلمين يردعهم ، حتى اضطر النبي وأصحابه الى الهجرة ؟ أم يقولون إن ذلك الاكراه وقع في المدينة ، وأكثر

أهلها أسلم طوعاً قبل أن يهاجر النبي إليها ، وقد أعز الله الاسلام بأهلها الأنصار وهذه الآية نزلت في غرة هذا الاعتزاز ، فان غزوة بني النضير ، كانت في شهر ربيع الاول من السنة الرابعة ، نقض بنو النضير عهد النبي فكادوا له ، وهما باغتياله مرتين ، وهم بجواره في ضواحي المدينة ، فلن يكن له بد من إجلائهم عن المدينة ، فحاصروهم حتى أجلاهم ، فخرجوا مغلوبين على أمرهم ، ولم يأذن لمن استأذنه من أصحابه باكره اولادهم اليهوديين - على الاسلام - ومنعهم من الخروج مع اليهود ، فذلك هو أول يوم ، خطر فيه على بال بعض المسلمين ، الاكره على الاسلام ، وهو اليوم الذي نزل فيه : ﴿ لا اكره في الدين ﴾ ( كذا حرره بعض المعاصرين ) .

### مرتبنا الدعوة الى التوحيد

المادة (١٠) - قوله : ﴿ ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ ، أي ندعو الكافر الى التوحيد ، والمسلم الموحد الى فعل الخير وترك الشر ، فللدعوة مرتبتان : المرتبة الاولى - هي دعوة هذه الأمة سائر الأمم الى التوحيد والاسلام ، وان يشار كهم فيما هم عليه من النور والهدى ، وهذا مطلوب منا بحكم جعلنا أمة وسطا وشهداء على الناس ، وبحكم كوننا خير أمة أخرجت للناس ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وبحكم قوله في وصف المؤمنين : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ﴾ ( ٤١:٢٢ ) ، فالواجب دعوة الناس الى الاسلام أولاً ، فان أجابوا ، فالواجب أمرهم بالمعروف ونهيمهم عن المنكر .

والمرتبة الثانية - هي دعوة المسلمين بعضهم بعضاً الى الخير ، وتأميرهم فيما بينهم بالمعروف ، وتناهيهم عن المنكر ، ولهذا المرتبة صورتان ، الصورة الاولى ،

الدعوة العامة الكلية ، وانما يقوم بها خواص الامة ، العارفون بأسرار الأحكام وحكمة الدين وفقهه ، وهم المشار اليهم بقوله تعالى : ﴿ فَلَولا نَفَرنا مِن كُلِّ فِرقةٍ مِنْهُمْ طائفةٌ ، لَيتَفَقَهاوا في الدين ، وَلَيتَذَرُوا قَوْمَهُمْ ، إِذا رَجَعُوا اليَهُمْ ، لَعَلَّهُمْ يَحذَرُونَ ﴾ ( ١٢٣:٩ ) ، والصورة الثانية ، الدعوة الخاصة الجزئية ، وهي ما يكون بين الأفراد بعضهم مع بعض ، ويستوى فيه العالم والجاهل ، وهو ما يكون بين المتعارفين ، من الدلالة على الخير ، والحث عليه عند عروضة ، والنهي عن الشر ، والتحذير منه ، وكل ذلك من التواصي بالحق ، والتواصي بالصبر ، وكل واحد يأخذ من الفريضة العامة بقدر .

جاء في الحديث « المؤمن مرآة المؤمن » رواه الطبراني في الأوسط ، والضياء من حديث أنس ، ورواه البخاري في الادب المفرد ، وأبو داود عن أبي هريرة بزيادة ﴿ والمؤمن أخو المؤمن ، يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه ﴾ ، وفي الحديث : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهين عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم ، فلا يستجاب لهم » ، وفي الحديث : « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيانه » رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة من حديث أبي سعيد الخدري ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا رأى الناس المنكر ، فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله يعقاب » رواه ابن ابي شيبة واحمد والترمذي وصححه .

### الدعوة الى توحيد الله بالعقل والدليل

المادة ( ١١ ) — قوله : ﴿ أدعو إلى الله على بصيرة ﴾ يعني انه يدعو الى توحيد الله الذي أثبتته العقل بالدليل ، ولكنه لم يعرف كنهه ، وليس يدعو الى ما ينفيه العقل ، ويجزم بعدم إمكان تحققه ، كأن يدعو الناس أن يؤمنوا بأن بعض الأنبياء إله كامل ، وإنسان كامل ، وأن الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ، لأن

هذا الدعاء ، ليس على شيء من البصيرة ، يدعو الى توحيد الله الذي أثبتته النص والنقل في التوراة والزبور والأنجيل والقرآن المجيد ، وليس يدعو الى ما هو خال عن البصيرة ، مما لم يثبت ثقلاً صريحاً ، كالقول بثلاثة أقانيم ، فان هذا إنما هو شيء ناتج عن اجتهاد مجتهدى النصراني في المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ ب. م ولا يجوز الاجتهاد مع وجود النص .

### علينا أن نتأسى برسول الله في الدعوة اليوم

المادة ( ١٢ ) — قوله : ﴿ ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ :  
ولذلك فنحن أتباعه اليوم ندعو الناس الى الله بفهم كلامه والتأسي برسوله مع البصيرة . أي الدليل والبرهان، ندعو المسلمين الى الأهداء بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه ، كل بقدر استطاعته ، لكن طالب الاهتداء إذا كان من العامة ، أمكنه أن يسأل العلماء عما يجهل عند الحاجة اليه ، لا عن رأيهم وفهمهم لكلام المقلدين فقط ، بل عن حكم الله ورسوله في الحادثة ، ولا يلزمه أن يبحث عن الدليل عندما يريد أن يعمل عملاً ؛ لأن الله يقول : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلا ما آتاها ﴾ ( ٦٥ : ٧ ) ، ويقول : ﴿ لا تُنذِرَكم به ومن بلغ ﴾ ( ١٩ : ٦ ) .

## الفصل الرابع

## قياس حاضر محمد ﷺ على ماضي الانبياء

آ (١٠٩) وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ، نُوحِي إِلَيْهِمْ ،  
 مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ، فَيَنْظُرُوا كَيْفَ  
 كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ  
 اتَّقَوْا ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ !

افتتحت الجلسة وتليت الآية المئة وتسعة فقام الفقيه الدمشقي وقال: كان قوم نوح يقولون : ﴿ ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴾ (٢٤: ٢٣) ، وكذلك عاد وثمود : ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ : أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ — قَالُوا : لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ، فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٤١ : ١٤) ، وكذلك أهل مكة طلبوا أن يرسل إليهم ملك ، كما قال تعالى في سورة الأسراء المكية : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا : أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ؟ ! — قُلْ : لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمَشِّقُونَ مَطْمَئِنِّينَ ، لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (١٧ : ٩٤ و ٩٥) ، وكذلك نفر من اليهود : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إِذْ قَالُوا : مَا نُنزِلُ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٦ : ٩١) .

هذا ولما قال أهل مكة ما قالوه كغيرهم ، قال تعالى لنبيه ﷺ (وما

أرسلنا من قبلك ( يا محمد ( إلا رجلاً ) لا ملائكة ( نوحى اليهم من أهل القرى )  
وهي المدن الجامعة لزعماء الأمة ورؤسائها التي يعبر عنها اليوم « بالعواصم » — وهذا  
من قبيل قياس الحاضر من الماضي — ( أفلم يسيروا في الأرض ) يعني هؤلاء  
المشركين المكذبين لك يا محمد ( فينظروا كيف كان عاقبة ) آخر أمر ( الذين من  
قبلهم ) يعني الأمم المكذبة ، فيعتبروا ، فانهم متى وقفوا على ذلك رأوا أن الله قد  
أهلك الكافرين ونجى المؤمنين ، وهذه كانت سنته تعالى في خلقه ولهذا قال  
تعالى ( ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ) الذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم  
يمصوه ( أفلا تعقلون ؟ ) أي وكما نجينا المؤمنين في الدنيا ، كذلك كتبنا لهم النجاة  
في الآخرة ، وهي خير لهم من الدنيا بكثير .

( أفلم يسيروا في الأرض ... الخ )

— ١ —

وتابع الفقيه الدمشقي كلامه معلقاً على الآية بما يلي :

### تطبيق القول على الواقع

التعليق الأول — سبق أن الله تعالى بما قص عليهم من سيرة يوسف واخوته  
— علمهم بالقول ، ولما كان التعليم بالقول وحده من غير تطبيق على الواقع مما ينسى  
أو يقل الاعتبار به ، نبههم إلى النظر في الامور الواقعة فقال : ﴿ أفلم يسيروا  
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ وهذا كما قال في  
موضع آخر : ﴿ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾  
( ٣ : ١٣٧ ) أي أن المصارعة بين الحق والباطل قد وقعت في الأمم الماضية ،  
وكان أهل الحق يغلبون أهل الباطل ، وكان ذلك يجري بأسباب مضطردة ، وعلى  
طرائق مستقيمة ، يعلم منها أن صاحب الحق إذا حافظ عليه ينصر ، وأن من ينحرف

عنه يخذل ، فليسيروا في الأرض ، وليستقرّوا ما حلّ بالأمم ، ليحصل لهم بذلك العلم الصحيح التفصيلي ، لأن السير في الأرض ، والبحث عن أحوال الماضين ، وتعرّف ما حلّ بهم ، هو الذي يوصل إلى معرفة سنن الله في خلقه ، والاعتبار بها كما ينبغي ، نعم إن النظر في التاريخ ، وسماع قصص الماضين ، يعطى الانسان من المعرفة . ما يهديه إلى تلك السنن ، ويفيده عظة واعتباراً ، ولكن دون اعتبار الذي يسير في الأرض بنفسه ، ويرى الآثار بعينه .

### الحث على السياحة المفيدة والاحسان الى السائح

التعليق الثاني — لأجل الترغيب في السير في الأرض للنظر في أحوال الأمم ، ولأجل الاعانة على السياحة ، لرؤية الآثار وسماع الأخبار ، أمر الله بالاحسان الى السائح في قوله تعالى : ﴿ وبالوالدين إحسانا ، واليتامى والمساكين ، والجار ذي القربى ، والجار الجنب ، والصاحب الجنب ، وابن السبيل ﴾ ( ٤ : ٣٥ ) ، فإن السبيل — في قول — هو السائح الرحالة ، في غرض صحيح غير محرّم ، سواء كان دينياً أو اجتماعياً أو سياسياً ، أو علمياً أو اقتصادياً ، ففي هذه الآية بل الآيات تنبيه إلى أصل عظيم من أعظم أصول العلم التي تُستفاد من السياحة ، واختبار أحوال الأمم وعواقبها ، وهذا العلم بسنن الله في شؤون البشر العامة ، هو المعبر عنه في هذا العصر « بعلم الاجتماع » .

### أهل القرى وأهل البوادي والوعراب

التعليق الثالث — قلنا المقصود من القرى في قوله « من أهل القرى » المدن الجامعة لزعماء الأمة ورؤسائها التي يعبر عنها اليوم بالعواصم ، وإنما كان الأنبياء يبعثون في القرى الجامعة ، لأن سائر البلاد تتبع أهلها إذا آمنوا ، فالرسل تبعث من أهل المدن والأمصار ، لأنهم أعقل من أهل البوادي ، وأرق طباعاً وألطف



عريكة ، واعلم وأحلم من أهل العمود ، بخلاف أهل البوادي ، الذين هم من أجفى الناس طبعاً وأخلاقاً، أما أهل الريف والسواد فإنهم أقرب حالاً من الذين يسكنون في البوادي ، ، وقد وردت في أهل البوادي آيات كثيرة ، وقرأوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ الأعرابُ أشدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّحِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ ﴾ (٩٨:٩) ، وقرأوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا - قُلْ : لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا : أَسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (٤٩ : ١٤) ، وقرأوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَفَقَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٩١:٩) - الْمُعَذِّرُ مَنْ عَذَّرَ فِي الْأَمْرِ إِذَا قَصَرَ فِيهِ وَتَوَانَى وَلَمْ يَجِدْ ، وَحَقِيقَتُهُ أَنْ يَوْمَ أَنْ لَهُ عَذْرًا فِيمَا يَفْعَلُ وَلَا عَذْرَ لَهُ - قَرْنَ هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّرِينَ بِالْمُنَافِقِينَ ، وَوَعَدَ كَلَامًا بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ : شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ، فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ، يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ - قُلْ : أَفَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ؟ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ، بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ، يَلْظَنُّنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ، وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سُوًّا ، وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ (١١٩:٤٨) .

### الاستدلال بالقياس الاستقرائي على صحة الدعوة

التعلق الرابع - تقدم أنه قال : ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ،

أوتأيتهم الساعة بغتة ﴿﴾ ، فهذه دعوى صورتها: أنهم إن لم يؤمنوا صار فيهم هكذا . وهنا استدل على صحة هذه للدعوى بالقياس الاستقرائي ، ومعلوم أن القياس الاستقرائي أعلى مرتبة من جميع القياسات التي تثبت بها حقائق الأشياء ، فإذا ثبت لدينا شيء بواسطة ، لا يسعنا إنكاره ، وإذا أنعمنا النظر نرى أن علم أكثر أشياء هذا العالم ، وعلم حوادث الدهور الغابرة والأزمنة الماضية — إنما حصل لدينا بواسطة الاستقراء ؛ خذ اليك مثلاً: نحن نقول الآن : إن الإنسان منذ خلق يأكل بغمه ، وينظر بعينيه ، ويسمع بأذنيه ، ويشم بأنفه ، ويتكلم بلسانه ، فإذا ادعينا خلاف هذا نكون قد رفضنا أيدينا من النتائج القطعية الثابتة لدينا من الاستقراء .

### الأنبياء رجال كباقي الرجال امتازوا عنهم بالوحي

التعليق الخامس — قوله : « إلا رجالاً نوحى إليهم » ، يراد بهذا الحصر الرد على مزاعم ثلاث :

فأولاً — الرد على من يزعم أنه قد تكون المرأة نبيه ، كما هو مذهب اليهود والنصارى ، وشرذمة قليلة من فرق المسلمين ، وهذا الرد وإن يكن صحيحاً ، لكنه غير مراد ههنا .

وثانياً — الرد على مشركي العرب ، إذ قالوا : ﴿ لولا أنزلَ عليه مَلَكٌ ؟ ﴾ (٨:٦) ، ﴿ أو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾ (١٣:١١) ، ﴿ لن نُؤمِنَ لك حتى ... تأتي باللهِ والملائكةَ قبلاً ﴾ (٩٢:١٧) وهذا قد يكون مراداً ههنا .

وثالثاً — الرد على من يقولون إن الأنبياء هم سياسيون محنكون ، استفادوا من حنكهم وحسن سياستهم تأييد سلطتهم وتصحيح دعواهم النبوة ، وهذا ما يعتقدونه ويذعمونه في نبينا بعض مشركي العرب ، كما يعتقدونه اليوم أهل أوربا ، أي

أنهم يعتقدون أن النبي القرشي ، قام بما قام به ، بحنكته وسياسته ، لا بتأييد  
 لله تعالى له بوحيه وعنايته به ، ومثل الافرنج في هذا الرأي ، كل من لا يدين  
 بدين الإسلام من علماء نصارى الشرق ، فدعوى أن نجاح النبي ﷺ كان  
 بسياسته وحنكته أي بتجاربه ، هي أكبر شبهتهم على الإسلام ، حتى أنهم لولاها  
 لمكانوا مسلمين ، ومن هؤلاء الدكتور « شميل » اللبناني الشهير ، إذ يقول من  
 آيات يمدح بها النبي ﷺ : « رجل الحجا رجل السياسة والدها » ومنهم البرنس  
 « كائاني » الإيطالي ، فإنه ألف كتاباً في تاريخ الإسلام ، ذكر فيه أن مزية  
 النبي (ص) هي كفاءته العجيبة كسياسي حنك ، وهو يعتبر أن ماتم على يديه ،  
 إنما كان بالدهاء والسياسة وسمو الأفكار وعلو الأخلاق الذي يكون عادة لكثير  
 من الرجال ، « كسبارك » و « نابليون الأول » وإن ما ادعاه من النبوة ، وما جاء  
 به القرآن ، لا تأثير لها في نفسها ، وإنما التأثير له هو بنفسه وبها ، لأنه استخدمها  
 في تأثير سياسته .

هذا ملخص ما كان يعتقد به بعض مشركي العرب ، ثم صار أهالي أوروبا  
 يعتقدونه ويقررونه ويشرحونه بيسط ، فالله تعالى يرد عليهم ، بهذه الآية  
 . وأمثالها فيقول : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى اليهم ﴾ ، أي ما كان  
 الرسل إلا رجالاً عاديين ، إنما امتازوا عن باقي الرجال وتأيدوا بالوحي السماوي .

نعم الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فلا بد أن يكون الرسل من ذوي الفصاحة  
 وقوة الحججة والعارضة ، ومن أهل الفطنة والذكاء ، ولكن مجرد هذا لا يملوهم  
 عن أمثالهم من الرجال الفصحاء الفطناء الأذكياء ، أقوياء الحججة شديدي العارضة  
 وإنما الذي بهم عن الرجال ، ويميزهم عنهم ، هو الوحي والتأييد الالهي السماوي ،  
 فهذه هي الخاصة التي تعلو بهم إلى الثريا ، ويمتازون بها عن كل من عداهم ، من  
 فصحاء وأذكياء كل الرجال .

وعليه فيكون معنى الآية حينئذ وما أرسلنا من قبلك رجالاً، يكون جل أو كل اعتمادهم ونجاحهم ، على أخلاقهم ومزايهم الشخصية ، أو على حسن سياستهم وحنكتهم ودهائهم ، . . . كلا . . . فإن هذا وحده لا يفيد ، ولكن إنما أرسلنا رجالاً جل اعتمادهم أوكله على الوحي ، الذي نسدده به خطاهم ، وبه نرشدهم ونثقفهم ونؤدبهم ، وبه نصرهم ونعضدهم ونؤيدهم ، فالخاصة التي يمتازون بها عن باقي الرجال العقلاء الفطناء ، ويميلون بها على الفصحاء والبلغاء ، ويتشرفون بها فوق كل السياسيين والمحنكين والحكماء ، هي الوحي ، كالقرآن مثلاً ، فالقرآن هو السبب في نجاح النبي المختار ، وفي هداية المسلمين .

تطمين محمد ﷺ بالنصر

آ (١١٠) \* . . . حتى إذا استتأس الرُّسُلُ ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين . \*

افتتحت الجلسة وتليت الآية المئة وعشرة ، فقام الاستاذ الخوارزمي (١) وقال :

« حتى » هذه متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام « فكأنه قيل : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً فتراخى نصرهم ( حتى إذا ) حمي الوطيس ، وقامت الحرب على ساق و ( استتأس الرسل ) وقنطوا من نصرهم العاجل في الدنيا ، فهماً منهم أنهم سوف ينصرون في الآخرة ( وظنوا أنهم قد كذبوا ) — فيه قراءتان ، فان قريء بالتخفيف على البناء للهجول فمعناه : ظنوا أنهم كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم

(١) نسبة الى بلدة خوارزم في تركستان .

آ (١١٠) الله سبحانه وتعالى يطمئن محمدا ﷺ بأنه ناصره في دعوته ١٤٤٥

بأنهم ينصرون ، أو ظنوا أنهم قد كذبهم رجاؤهم ، وهذا نظير قوله : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم : مستتهم البأساء والضراء وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب ﴾ ( ٢١٤ : ٢ ) .

وإن قريء بالتشديد على البناء للمجهول أيضاً فمعناه : ظنوا أن من آمن بهم من قومهم قد كذبوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء عليهم واستبطاء النصر - وعند ذلك ( جاءهم ) أي الرسل ( نصرنا ) فجأة ، من غير احتساب ( فنجى من نشاء ) عند نزول العذاب ، وهم المؤمنون المطيعون ، لأنهم الذين يستأهلون نجاتهم ( ولا يرد بأسنا ) عذابنا في تلك المعركة ( عن القوم المجرمين ) مها أعدوا لها العدة ، بل يحيط بهم من كل جانب .

( حتى إذا استيأس الرسل ، وظنوا .. الخ )

وقال الشيخ عبد الرحمن رياض الحيدر آبادي : عندي على هذه الآية التحيقان التاليان :

الله سبحانه وتعالى يطمئن محمدا ﷺ بأنه ناصره في دعوته

التحقيق الاول - لقد كان النبي ﷺ يحزن ويضيق صدره لما يكذبه قومه ، والحق يسطع نوره ، وهم يعمون عنه ، حتى قال الله له : ﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك ، أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير ، والله على كل شيء وكيل ﴾ ( ١١ : ١٢ ) وقال له : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ، حتى آتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله

ولقد جاءك من نبي المرسلين ، وإن كان كبر عليك إعراضهم ، فإن استطعت أن تبغني نفاقاً في الأرض ، أو سلعاً في السماء ، فتأتيهم بآية ... ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين ﴿٦ : ٣٣-٣٥﴾ وقال تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفر له إنه كان توابا ﴾ (١١٠ : ١-٣) وجاء في غير ذلك من آيات الكتاب ، ما يدل على النبي ﷺ كان يضجرو ويقلق من استبطاء نصر الله للحق ، الذمي بعث به نبيه ، بل فيه شيء من السهو عن وعد الله بتأييد دينه ، وليس ذلك من النقص الذي يعاب به الأنبياء ، فإن كل مخلوق لا يعلم من غيب الله ما يعلم الله ، لا بد أن يمسه هذا الضجر ، ويصيبه هذا القلق ، وتأخذه الشدة بهذا النسيان ، حتى يكون الكمال لله وحده ، ولكن الله جل شأنه يعده على أقرب المقربين إليه ، كما قالوا : ( حسنات الأبرار سيئات المقربين ) .

### تخریج كلمة « كذبوا » بتشديد الذال وتخفيفها

التحقيق الثاني — الأظهر المنطبق على قواعد العقائد ، أن المراد باستيأس الرسل بأسهم من إيمان قومهم ، وفي قوله تعالى ( كذبوا ) بضم الكاف ، قراءتان سبعيتان أحدهما بتشديد ذال ( كذبوا ) ولا إشكال فيها ، غير أن الظن فيها بمعنى اليقين لأنه قد يستعمل في الفصح بهذا المعنى وبمعنى الوهم ، وبمعنى حديث النفس ، والقرائن هي التي تعين المعنى المراد ، والقراءة الثانية بتخفيف ذال ( كذبوا ) ، وفي تطبيق القواعد عليها وجهان : أحدهما أن الضمير في ( ظنوا ) لأقوام الرسل : أي ظن الأقوام أنهم كذبوا فيما أوعدوا به من وقوع العذاب عليهم ، وثانيهما أن الضمير للرسل ، و ( كذبوا ) ههنا ، معناه : كذبتهم أنفسهم فيما تمنوا وأملوا في قومهم ، أي خابت آمالهم فيهم ، من كذبه نفسه . إذا منته الأمانى وخيلت إليه من الآمال مالا يكاد يكون ، قال في الأساس : ( وكذب نفسه ، وكذبت نفسه .

اذا حدثته بالاماني البعيدة والامور التي لا يبلغها وسعه ومقدرته ) ، والمعنى حتى اذا يش الرسل من ايمان قومهم وظنوا : أي يقتوا أن امانهم في ايمانهم وآمالهم في قبولهم الدعوة ضائعة ، جاءهم نصرنا ، وورد أن عائشة (رض) كانت تنكر قراءة التخفيف ، كما في صحيح البخاري من طريق عروة بن الزبير ، وقد علمت أن العلماء خرجوا هذه القراءة على معنى مستقيم والله تعالى أعلم .

هذه كلمتي القيتها على أسماءكم الشريفة ، وما اشبهني بمن قيل فيه :  
فانك واستبضاعك الشعر نحونا      كمستبضع تمرأ الى أهل خيرا  
فانني أيها السادة أجنبي عن لغتكم ، وأنتم الأصل والأهل .  
( مرحي مرحي ولا فض فوك ) .

### الفصل الخامس والآخر

#### العبرة من قصص الرسل مع اقوامهم

آ ( ١١١ ) ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون )

افتتحت الجلسة ، وتليت الآية المئة واحدى عشرة ، وهي الآية الاخيرة في السورة ، فقام الفهامة الشيخ احمد من علماء « عليكرة » في الهند وقال : يقول الله تعالى : بذاتي حلفت ( لقد كان في قصصهم ) أي في خبر الرسل مع قومهم وذويهم ، وكيف نجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين ، وكيف نصرنا .

المظلومين على الظالمين ( عبرة لأولي الألباب ) وعظة لذوي العقول، فان تاريخ الرسل حافل بالمواعظ والذكريات ( ما كان ) القرآن المجيد ( حديثاً يفترى ) يكذب ويمخلق من دون الله ( ولكن ) كان ( تصديق الذي بين يديه ) أي قبله من الكتب السماوية ، كصحف ابراهيم والتوراة والانجيل والزبور ، فهو يصدق ما فيها من الصحيح ، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير وزيادة ، ويشير لما وقع فيها من نقصان ، ويحكم عليها بالتقرير لأكثرها ، والنسخ لبعضها ( وتفصيل كل شيء ) من تحليل وتحريم ، ومحجوب ومكروه ، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات ، والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات والأخبار عن الأمور الجليلة ، وعن الغيوب المستقبلية ، المجملية والتفصيلية ، والأخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات ، وتنزهته عن مماثلة الخلق ، فلماذا كان ( هدى - ورحمة ) وبياناً ونعمة ( لقوم يؤمنون ) تهدي قلوبهم من الغي الى الرشاد ومن الضلال الى السداد .

( لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب )

—١—

وقال السيد نور الدين من علماء سنغافورة (١) ههنا مواد جميلة المسالك على هذه الفقرة من الآية الكريمة جمعناها من هنا وهناك وهناك واليك بيانها:

محمد ﷺ مؤسس امة وامبراطورية وديانة

المادة (١) — قال « بوسورت سميت » في كتابه « حياة محمد » « من حسن الحظ في التاريخ دون غيره أن « محمداً » أسس في وقت واحد ، ثلاثة أشياء من عظام الأمور ، وجيل الأعمال ، فانه مؤسس لأمة ، وامبراطورية ، وديانة ، مع أنه أمي »

(١) نسبة الى بلدة سنغافورة في شبه جزيرة ملاقا جنوب الهند الصينية



وما كان يقدر أن يقرأ أو يكتب ، ومع ذلك أتى بكتاب هو آية في البلاغة ،  
ودستور للشرائع وللصلاة وللدين في آن واحد ، وقال الدكتور « موريس »  
الفرنسي « إن القرآن أفضل كتاب أخرجته يد العناية الأزلية لبني البشر » .

### الغاية من قصص القرآن

المادة (٢) — قص علينا القرآن أحسن القصص ، ليكون عبرة وذكرى  
وشفاء للقلوب من أمراض الجهالة ، وارشاداً لتقويم شؤون البشر ، وتهذيب نفوسهم ،  
وإصلاح معاشهم ومعادهم ، وليس الغرض من تلك الأقسام ، سرد تواريخ  
الماضين ، وذكر شؤونهم وأطوارهم ، ولكنها للعتة والاعتبار ، ولهذا لا يبالي  
فيها بالتكرار ، ولا يستهجن معها الاطناب بعد الايجاز ، أو الايجاز بعد الاطناب ،  
ولا أن تسرد غير مراعى فيها تعاقب الوقائع ، ولا ترتيب الحوادث ، فالقرآن  
يذكر القصة في مواطنها ، بأساليب متغايرة ، أو صور متقاربة . ولكل منها مغزى  
لا يؤديه غيره ، ومرمى لا يصيبه سواه ، والى هذا يشير قوله تعالى هنا : ﴿ لقد  
كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وكلاً نقص  
عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق ، وموعظة ﴾  
وذكرى للمؤمنين ﴿ ( ١٢٠ : ١١ ) .

هذا ولم تتكرر قصة يوسف لأنها قصة محزنة مؤسفة ، ولأن فيها من ذكر  
ما يتعلق بالعرض والناموس مالا يتفق مع التكرار .

### الغاية من ذكر الانبياء وقصصهم في القرآن

المادة (٣) — ورد قوله تعالى بعد ذكر ثمانية عشر نبياً : ﴿ أولئك الذين  
هدى الله ، فبهداهم اقتده ﴾ (٩١ : ٦) فالغرض من ذكر الانبياء وحوادثهم  
القدوة بهم في التبليغ وإقامة الحججة والصبر على التكذيب مثلاً ، والصبر على إيذاء

أهل العناد ، والأقارب والأباعد ، واعطاء كل حال حقها ، من مكارم الأخلاق ، وأحسن الأعمال ، والفائدة موجودة دائماً في كل قصص ، حتى في قصص يوسف مع امرأة العزيز وسيرة عشقها له ، ومرادتها إياه ، ثم في سيرة عشق النسوة المصريات لجمالها ، فان ذلك كله قد اقترن بما يدفع الانسان عن التدهور في مثل هذه الوهدات التي تنزل بالنساء الى الحضيض الأسفل ، وقد قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ - إِلَى أَنْ قَالَ - وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾ ( ١٧ : ٨٢ ) وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً ، فَفَنَّهُمْ مِنْهُمَنَ يَقُولُ : أَتَيْكُم زَادَاتُهَا هَذِهِ إِيْمَانًا ؟ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ، وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ( ٩ : ١٢٥ و ١٢٦ ) فكل أحد يرغب في سماع هذه القصة ، لتحريك المحبة المذمومة ، أو برعب عن سماعها ، دفماً لهذه المحبة ، فهو مذموم ، وانما المدوح من يجب سماع تلك السيرة لما حوته من العبر والذكر ، وما يستفاد من عواقب العشق السيئة ، وكذا كل من أحب أن يسمع هذه السورة لتعلم ضروب الحيل ، فهو مذموم ، ولكن المدوح من يتدبر بعض هذه الحيل بما اشتملت عليه من النتائج السيئة ، والبعض الآخر بما شمله من العواقب الحسنة ، وهكذا كل من لذ له أن يسمع ما انطوت عليه من الحسد والعقوق وقطع الرحم والختل والكذب والقساوة وخلف الوعد فهو مذموم ، وانما المشكور من قرأ ذلك وعلم ما فيه من نتائج السيئة وعواقبها المكروهة ، ثم التوبة منه الى الله والى الناس المشكور بهم .

وليس ما ذكر خاصاً بسورة يوسف ؛ فقد ذكر الله تعالى في غير هذه السورة أحوال الكفار والفجار واللوطية والفراعنة والظلمة ، ثم الشرك بأنواعه ، والكفر بأسبابه ، وسائر ضروب الفسق ، والحسد وقطع الرحم والعقوق والكذب والاحتيال وتقض اليهود وخلف الوعود ، الى غير ذلك مما فيه ذكر معاصي الله .

والصد عن سبيله ، فهذا الباب تجتمع فيه الشبهات والشهوات والكفريات وأنواع الفسوق، وكله مذكور في كتاب الله تعالى، ولكن ذكره محفوف بالهني والترهيب وبيان سوء المغبة ، وقبح السمعة في الدنيا ، والعذاب في الآخرة .

### ليس في القرآن تاريخ بل عبر وعظات

المادة (٤) — القرآن ليس بتاريخ ، كما هو الشأن في سفر التكوين ، وأسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل والملوك والأيام وعزرا والخ والخ فإن هذه الأقاويص ، هي تاريخ محض جاف خال عن العبرة .

القرآن لا ينشر إلا التقوى والفضيلة بين الناس ، ولذلك نص نصاً صريحاً ببراءة الأنبياء الكرام ، الذين رماهم « أهل الكتاب » بالكبائر . راجع القرآن وقوله : ﴿ وما كفر سليمان . ولكن الشياطين كفروا ﴾ ( ٢ : ١٠٢ ) وهو رد على توراة اليهود التي تنسب لسليمان — حاشاه — عبادة غير الله .

راجع القرآن وقوله : ﴿ قالوا : ما أخلفنا موعداً كـمـلـكـنا ، ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقد فتنناها فكذلك ألقى السامري ، فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار » — فقالوا : « هذا إلهكم وإله موسى فنسي » أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ، ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً؟ ولقد قال لهم هرون من قبل : « يا قوم إنما فتنتهم به وإن ربكم الرحمن ، فاتبعوني وأطيعوا أمري » .. — قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى » ... قال : ياهرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعين ؟ أفعمصيت أمري ؟ .. — قال : « يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، إني خشيت أن تقول : « فرقت بين بني اسرائيل ، ولم تر قب قولي » — قال : « فما خطبك ياسامري ؟ » — قال : « بصرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول ، فنبدتها ، وكذلك سولت لي نفسي » — قال : « فاذهب

فإن لك في الحياة أن تقول: «لامساس»<sup>(١)</sup> وإن نك موعداً لن تتخلفه، وانظر إلى إلهيك الذي ظلت عليه ما كفاً لنحرقه ثم لننسفنه في اليم نسفاً (٢٠ : ٨٧ - ٩٧) فهذا فيه رد على اليهود والنصارى الذين يقولون إن هرون هو الذي صنع لهم المعجل الذهبي (خر ٣٢ : ١ - ٦) .

القرآن لم يذكر من تاريخ الأنبياء ونحوهم إلا ما فيه عبرة ، وما به تفتية النفوس بالصلاح والاستقامة وتحصين الاخلاق والآداب — بسياج الفضيلة ، ولكن كتب اليهود والنصارى تقول ما فيه افساد للأخلاق وتعليم للرذيلة ، اقرأ ما جاء في ( تك ٩ : ٢٠ - ٢٧ ) عن ترجمة حياة نوح ، وما جاء في ( تك ٢٧ : ٢٥ ) عن سكر الانبياء ، وما جاء في ( خر ٢٩ : ٤٠ ) و ( لا ٢٣ : ١٣ ) عن إيجاب تقريب الخمر للرب ، وما جاء في ( صم ٦ : ١٩ ) عن سقى داود الخمر لمن أصعد تابوت الرب إلى مدينة داود وما جاء في ( يو ٢ : ٧ - ١٠ ) عن تحويل المسيح الماء خمرأً وتقديمها للضيوف وما جاء في ( مت ٢٦ : ٢٧ ) عن شرب المسيح الخمر وأمره تلاميذه أن يشربوا منها ، وما جاء في ( تك ١٩ : ٣٠ - ٢٨ ) عما فعله لوط مع ابنتيه ،

( ١ ) المراد من قوله « لامساس » أنه كان في شريعة موسى عليه السلام ان الذي يرتكب خطيئة كبيرة ، يعد كأن به داء معديا ، فيفصل عن سائر الشعب ، خارج المحلة ، باعتبار أنه نجس . وكان عندهم يجب عليه أن يعلن مرضه ذلك ، بيباه وإشارته وكلماته ، وذلك بأن تشق ثيابه ، ويكشف رأسه ، ويغطي شاربيه ، ويتردد من المحلة أو المدينة الى الخارج ، ويلزم أن يصرخ متى رأى أحداً مقرباً إليه ، فيقول: لامساس لامساس ، أو يقول : نجس نجس ، ويبقى على هذا الحال الى أن يتاب عليه ، فيرجع ويختلط بالناس ، ويختلط الناس به ، ويعاشرهم ويعاشرونه ، وهذا قريب من « الهجر » المشروع في الاسلام ، لمرتكي الكبائر ، كما في قصة « كعب بن مالك » و « زرارة بن الربيع » و « هلال بن أمية » المشار إليهم في قوله تعالى : [ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم ] ( ٩ : ١٩ ) .

فأي عبرة في سرد ذلك للقارئین؟ وما هو منفعته للسامعين؟ بل ماهي الحكمة وما هي العبرة في ذكر جريمة لوط — حاشاه من ذلك — التي أتت في كتبهم كأنها أمر عادي، وكان لوطاً لم يرتكب منكراً، حتى لم يذكر أن الله وبخه أو عاقبه على ذلك، أو أنه تاب من ذنبه، بل العجيب أن الكتاب المقدس، سماه باراً تقياً (٢ بط ٢: ٧ — ٩)، فأبي عبارة أتى بها الكاتب لبيان شناعة هذا العمل الفظيع، واستقباحه له، أو وجوب التوبة منه؟ وقد قالوا إن الحكمة في ذكر هذه القصة وأمثالها هي إظهار درجة قبح شرب الخمر، وبيان ما تؤدي إليه!!! ونحن نقول إنما افتجر اليهود هذه القصص تبريراً لشروهم الكثيرة، وعصيانهم لله مرات عديدة، واعتذاراً بها عن جرائمهم وآثامهم المتكررة المستمرة إلى اليوم.

القرآن لا يذكر من تاريخ داود، إلا ما فيه عظة وعبرة لأولي الألباب، ولكن سيرة داود عند اليهود والنصارى، معروفة مشهورة، وقساوته وظلمه، لا مثيل لهما — حاشاه —، اقرأ ما جاء في (٢ صم ١٢: ٣١) و (١ أي ٢٠: ٣) عن نشره أسرى بني عمون بالمنشير ونوارج الحديد والفؤوس، وما جاء في (١ مل ١٥: ٥) عن تعريضه أوريا الحي وزناه بزوجته، وما جاء في (١ صم ٢١: ٢) من كذبه وتعليمه الكذب، وما جاء في (١ صم ١٨: ٢٥ و ٢٧) من قتله ٢٠٠ من الفلسطينيين ليتزوج ابنة شاول، وما جاء في (١ مل ٢: ٨ و ٩) من وصيته لابنه سليمان وهو محتضر بقتل رجل، وما جاء في (٢ صم ١٣: ١ — ١٤) من حزنه على ابنه «أمنون» حينما قتل، مع أنه فسق باخته بعد أن خدعها خدعة دنيئة، وما جاء في (٢ صم ١٤: ٢٤ و ٢٨) من أن داود حقد على ابنه أبسالوم الذي قتل أخاه «أمنون» انتقاماً لاختها؛ وداود هذا، هو الرجل الذي نصت كتبهم على أنه كان باراً، وان جميع أفعاله مرضية عند الله تعالى، وكلها مستقيمة، في عيني الرب، وطبق وصاياه، (١ مل ١٥: ٥).

## قصص القرآن يعلم التوحيد والعلم والاخلاق

المادة (٥) — لازى قصة من قصص القرآن ، إلا وفيها توحيد وعلم ومكارم أخلاق وحجج عقلية ، ومحاورات جميلة تليق العقلاء ، وإرشاد ونصح ، وتبصرة وتذكرة ، ونرى القرآن يعرض عن كثير من الوقائع التاريخية التي لازوم لها ، ولا معول عليها ، وبالأولى تراه يعرض عما ذكرته تورات اليهود ، التي بين أيديهم ، من الحوادث المخجلة الشائنة ، التي نوهنا بالشيء الكثير عنها .

## لوفائدة من درسي التاريخ ان عدل به عن العبرة

المادة (٦) — درس التاريخ أن عدل به عن العبرة ، كان شغلا بلا فائدة ، وضياح وقت وحياة بلا ثمرة ، و « العبرة » مشتق من عبور البحر ، فينقل قاريء التاريخ حال غيره على نفسه ، ويعبر به على سفن الألفاظ إلى الحقائق الراهنة المنوطة بشخصه ، أو بأسرته أو بأمتة ووطنه ، وبدبنة ودنياه ، وهو ما أريد به من قصص القرآن التاريخية ، قال تعالى : ﴿ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ (٦٧ : ٣) وقال : ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قو لهم ، تشابهت قلوبهم ﴾ (٢ : ١١٨) ، ويقول سليمان عليه السلام : ﴿ فليس تحت الشمس من جديد ﴾ (جا : ٩) ، ويقول العلماء : « التاريخ يعيد نفسه » ، وقد غفل الناس عن تلك العبرة ، جهالة بالقصد ، ورمياً للفحوى ، ورضى بالقشور ، وابتعاداً عن أسرار البلاغة : جاء الخطاب بلسان العرب ، وهم يعلمون ضرب الأمثال والمواعظ ، ولكل مثل مورد ومضرب ، وقد علموا مواردنا ومضاربها ومغازيها ومراميها ، فمن أجهل ممن جمد على الألفاظ دون معناها ، أو المعاني دون مفزاها ، وترى كثيراً من الأدباء إذا أزمع هداية إنسان ، ذكر له قصصاً تشبه حاله ، فيردعه عن غبه ، فتكون أشد تأثيراً من وقع الحسام ، وتثير في القلب حمية

وإقداماً ، أو خيفة وإحجاماً أو صلاحاً واستقامة ، فيزول المرء ، ويرتفع الغطاء ، فان المثل في مغزاه ، كالسهم في مرماه .

### قصة يوسف تسوق المتعظ بها الى السعادة

المادة ( ٧ ) — إن جمال قصة يوسف ، سائق لما به السعادة ، وهو حفظ الأخلاق ودوام الثقة بالله تعالى ، وانتظار الفرج منه ، فإذا قرأ القاريء ، أن يوسف كان عفيفاً ، حين راودته زليخا لكي يخالطها ، تشوق القاريء الذكي التي أن يكون كيوسف ، عفة وأمانة ، وكذلك يقلده في العفو ممن ظلمه ، وسماح من تعدى عليه ، بل في نفعه وتشريفه ، ويقول في نفسه : إن هذه الأخلاق اليوسفية ، كانت عاقبتها النبوة والملك ، فهكذا من قلده في أخلاقه ، تكون عاقبته الولاية والرفعة .

ليس المقصود من قصة يوسف ، أن نلوم إخوة يوسف على حسدهم له ، ولكن المقصود أن نلوم أنفسنا عندما يحصل منا حسد لآخوتنا ، وليس الغرض أن نتكدر منهم حينما احتالوا على أبيهم وغدروا بأخيه ، ولكن الغرض أن نتكدر من أنفسنا عندما نجري الحيل على بعضنا ، ويندر بعضنا ببعض ، وليس المطلوب أن نعترض على أخوة يوسف وقتما نراهم قد قطعوا الرحم ، وقذفوا بأخيه في غيابة الجب ، وإنما المطلوب أن نعترض على أنفسنا وقتما تحصل منا أعمال شاذة وحشية كهذه مع ذوي رحمتنا وأقاربنا .

كما أنه ليس بالأخبار بلقيا يعقوب لولده يوسف ولم شمله به ، واجتماع الأسرة الاسرائيلية جميعاً ، في صعيد واحد ، مطمئنين مسرورين ، وإنما المراد أن نفرح بلم شملنا نحن المساهين ، وجمع كلمتنا واتحادنا واجتماعنا جميعاً ، تحت راية واحدة ، وتحت إمام واحد .

## ان اكرمكم عند الله اتقاكم

المادة ( ٨ ) — لقد كان في قصص يعقوب وأولاده عبرة، فليعتبر بذلك هؤلاء الناس ، الذين اقتصروا على معرفة الفروع الفقهية ، وظنوا أن الحلال والحرام ، كافيان في الإسلام ، وكم تركوا العظة بآيات كثيرة ، بحجة أنها نزلت في الكفار أو المناقين ، فلا لزوم للتأمل فيها والاتعاظ بمرامها .

ليقيسوا حالهم على حالهم ، وليقيس كل من كان اليوم من ذرية النبي ﷺ أو غيره من الصحابة ، كأبي بكر أو عمر ( رض ) — نفسه على أولاد يعقوب ، ويعلم أن كل من كان من السلالة المحمدية أو البكرية أو العمريّة مثلاً ، فهو بين شيئين ؛ إن كان من الصالحين المتقين ، كان على قدم يوسف عليه السلام ، وإن كان من المذنبين ، احتاج للتوبة وكان على قدم اخوة يوسف رحمهم الله تعالى ، فيوسف واخوته كلهم من سلالة بيت نبوة ؛ لكن يوسف إنما انتفع باستقامته وتقواه ، كما أن اخوته إما انتفعوا بتوبتهم إلى الله ، وهكذا كل من كان اليوم من سلالة الحسين أو الحسن أو أبي بكر أو عمر ( رض ) أو نحو ذلك ، لا ينفعهم عند الله العمل الصالح والتقوى ، والسيرة الحسنة ، قال تعالى : ﴿ وقلّ اعملوا ، فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ ( ١٠٦ : ٩ ) وقال : ﴿ يا أيها الناس ، إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل ، لئلا تعرفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ( ١٣ : ٤٩ ) ، وقد قال تعالى : ﴿ أم حسب الذين احتراخوا السّيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء محيياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون ! ﴾ ( ٤٥ : ٢٠ ) ، وهذا استفهام إنكاري ، يقتضي الإنكار على من يحسب ذلك ويطه ، وإعما بذكر على من حسب وظن الخطأ صواباً ، والباطل صحيحاً .



فعلم أن التسوية بين أهل الطاعة وأهل المعصية ، مما يعلم بطلانه ، وأن ذلك من أظلم الشيء الذي ينزه الله عنه ، ومثله قوله تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ؟ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٢٨:٣٨) وقوله تعالى : ﴿ أَوْ نَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ، مَا لَكُمْ ؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟ ﴾ (٦٨ : ٣٥) وبالأجمال ، فالتسوية بين الأبرار والفجار ، والمحسنين والظالمين ، وأهل الطاعة وأهل المعصية — حكم باطل يجب تنزيه الله عنه ، فإنه ينافي عدله وحكمته ، وهو سبحانه كما ينكر التسوية بين المختلفين ، فهو يسوي بين المتماثلين كقوله تعالى : ﴿ أَكُفِّرُكُمْ حَيْرٍ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ ؟ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ؟ ﴾ (٥٤ : ٤٣) وقوله : ﴿ كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (١١:٣) ، فالشريف الهاشمي التقي النقي الصالح ، هو كيوسف ، والشريف الهاشمي الذي خرج عن الحد ، ثم ناب وأتاب إلى الله وحسنت حاله ، هو كأخوة يوسف .  
( الله أكبر الله أكبر )

( ما كان حديثاً يفترى )

— ١ —

وتابع السيد نور الدين السنغافوري كلامه فقال :

ليس القرآن مخترعاً ولا مفترى وليس فيه خرافات وأساطير

المراد من قوله ﴿ ما كان حديثاً يفترى ﴾ : أن قصص القرآن ، ليس مخترعاً ولا مفترى بدليل وجود أمثله بين الناس قبل نزوله ، فهو وأن اختلف قليلاً في بعض التفاصيل أو الحرفيات — عما يرويه الناس ، إلا أنه موافق في الجملة والجوهر . فلا تظنوا أنها المشركون ، ان النبي اخترعه بعقله ، بل اسألوا عنه .

أهل الكتاب ، تجدوا أنه معروف بينهم ، ومروي في كتبهم ، فوجود قصص القرآن عند أهل الكتاب من قبل ، لا يضعف حجته ، كما يتوهم « المبشرون » بل هو من أعظم ما يصدقه ويؤيده ، ولذلك ترى القرآن نفسه ، يستدل بذلك على كونه من عند الله ، لأن النبي لم يطلع على كتب أهل الكتاب . ولا يستنتج القاريء من هذه الآية ، أن قصص القرآن ، يجب أن لا يختلف عن قصص التوراة والانجيل في شيء ما . . . كلا . . . إذ لو كان هذا الاستنتاج صحيحاً ، لما قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ (٧٦:٢٧) ، فقصصه قد يختلف عما عندهم ، فيبين لهم حقه من باطله ، فلا منافاة بين تصديق القرآن لقصصهم في الجملة ، وبين مخالفته لها في بعض الجزئيات ، كما قلنا .

ويقال أيضاً « ما كان حديثاً يفترى » من قبيل الخرافات والأساطير التي في أسفار الغير ، ولكنه كان بالعكس هادماً لتلك الخرافات والأساطير ، التي خلقتها تلك المصور اليهودية ، والمصور الستة قبله ، وكان مصدقاً لما تقدمه من الكتب خلا ما زيد فيها أو حذف منها ، أو سد بسبب الترجمة السيئة ، وكذلك خلا الكتب « الأبو كريفية » — أي التي ليست قانونية — الموجودة في الترجمة السبعينية ، التي قبلتها الكنيسة البابوية بين الكتب الملهمة .

( ولكن تصديق الذي بين يديه )

— ١ —

وقال المدقق اللدي :

ليسمح لي السادة أن أعلق على هذه الفقرة من الآية الكريمة بالتعليقات التالية:

القرآن مصدق لما قبله من أمور التوحيد

أولاً — القرآن مصدق لما قبله في تقرير التوحيد الخاص وافتقار الشرك ،

صغيرة وكبيرة ، واثبات النبوات والرسالات ، وما يغذي ذلك الإيمان ويقويه ، ومن ترك الفواحش والمنكرات ، وعمل الصالحات .

### القرآن مصدق لما قبله من اصول الدين

ثانياً — القرآن مصدق لأصول الدين وأركانه ، التي هي المقصد من ارسال جميع الرسل ، لا يختلفون فيها ، وإنما يختلفون في طرق حمل الناس عليها ، وهدايتهم بها ، وترقيتهم في معارجها ، بحسب سنة الله في ارتقاء البشر بالتدريج ، جيلاً بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، خذ اليك مثلاً على ذلك : المقصد من جميع الحكومات هو العدل ، وإنما تختلف الدول في القوانين المقررة له ، باختلاف أحوال الأمم ، فليس من العقل ولا الصواب أن تنكر الأمة تغيير حاكم جديد ، ما كان عليه من قبله ، إذا كان يوافق في جعله مُقَرَّرًا للعدل ، مقيماً لميزانه بين الناس ، كما كانت أو أكمل ، وهو في هذه الحال يسمى مصدقاً لما بين يديه لا مكذباً ولا مخالفاً ، فالقرآن قرر نبوة ابراهيم وموسى وداود وعيسى ونحوهم ، وصدقهم فيما جاءوا به عن الله تعالى ، ووبخ الأقسام المدعين اتباعهم ، على إضافتهم لبعض ما جاءوا به ، وتحريفهم للبعض ، وزيادتهم في بعض المواضع ، وعلى عدم الاهتداء والعمل بما هو محفوظ عندهم ، حتى أن أكثرهم هدموا الأساس الأعظم للدين ، وهو التوحيد ، فثلثوا واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، فتصدق القرآن لما بين يديه ، لا ينافي مانعاً عليهم من الاضافة والنسيان والتحريف والتأويل المغلط .

### القرآن مصدق لما قبله من كتب التوحيد

ثالثاً — القرآن مصدق للكتب السالفة في التوحيد ، وروح العبادة وتزكية النفس بالأعمال التي تقوم الملكات ، وتهذب الأخلاق ، وفي الكليات الخمس ، وهي

« حفظ الدين » بعدم الردة والكفر ، و « حفظ النفس » بعدم الانتحار وقتل الناس ، و « حفظ المال » بعدم السرقة والربا والغش والخيانة ، و « حفظ النسب » بالتباعد عن الزنا ، و « حفظ العقل » بان لا يتعاطى مسكراً ولا مخدراً ، هذه هي الكليات الخمس ، التي هي مشروعة في كل دين ، وموصى عليها في كل كتاب .

### القرآن مصدق لدين اليهود والنصارى الاصيلين

رابعاً - القرآن مصدق لدين اليهود ودين النصارى الاصيلين ، فان ديننا هو عين دينهم ، مع مزيد بيان ، واصلاح يقتضيه ترقى البشر ، ومع ازالة بدع وأوهام دخلت عليهم من باب الدين ، وماهي من الدين في شيء .

### القرآن مصدق للكتب السماوية الاصلية

خامساً - القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب السماوية ، ولكن وجد في هذه السورة ، في القصة اليوسفية ، ما هو مغاير للقصة في سفر التكوين الموجود عند اليهود والنصارى ، ما بين زيادة في السيرة عما هو في سفر التكوين ، ونقصان في السيرة عما هو في السفر المذكور ، ولا يهولكم ذلك ، فالقرآن نزل مهيمناً على كتب اليهود والنصارى ، ومصححاً لها ، فما حكاه القرآن كان صحيحاً ، وما نفاه كان ليس بصحيح ، وما سكت عنه كان غير مهم ، لأن التوراة دخلها مادخلها من التحريف والزيادة والنقصان ، وأما قوله تعالى : ﴿ وكيف يحكُمونكَ وعندهم التوراةُ فيها حُكْمُ اللَّهِ ؟ ﴾ (٤٦:٥) ونحو ذلك مما يحتج به دعاة النصرانية ، على كون التوراة التي في أيديهم وأيادي اليهود ، هي ما أنزله الله تعالى على موسى ، لم يعرض لها تغيير ولا تحريف - فهو احتجاج ضعيف ، لأنه لا يجوز للانسان أن يأخذ من القرآن ما يوافق هواه ، ويرد ما يخالفه جداراً ، فالؤمن

يؤمن بالكتاب كله ، والكتاب يبين لنا أن عندهم التوراة ، وأن فيها حكم الله ، في القضية التي تحاكموا فيها الى النبي ﷺ ، وهي قضية رجم الزاني المحسن ، وقد صدق الله تعالى ، وهو أصدق الصادقين ، ولكنه يبين لنا مع ذلك في نفس الكتاب أنهم حرفوا الكلام عن مواضعه ( ٤ : ٤٥ ) ، وأن اليهود نسوا خطأ مما ذكروا به ( ٥ : ١٤ ) ، وكذا النصارى نسوا خطأ مما ذكروا به ( ٥ : ١٥ ) ، وأن اليهود إنما اتقوا نصيباً من الكتاب ( ٣ : ٢٣ ) ، إذ أضعوا منه نصيباً آخر ، وقد صدق الله أيضاً في ذلك كله ، فقوله : ﴿ وعندهم التوراة ﴾ ( ٥ : ٤٦ ) لا يجب أن يعنى التوراة الصحيحة ، بل يجوز أن يراد بها التوراة ولو محرفة أو مزيدة أو ناقصة ، فكل ذلك يصدق عليه أنه توراة ، ولا تنس هنا قوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقيسُ على بني اسرائيلَ أكثرَ الذي هم فيه مختلفون ﴾ ( ٢٧ : ٧٦ )

### شواهد من التوراة الحالية على ان فيها زيادة

هذا ولما خرجت امة القرآن بالقرآن من الأمية ، وعرفوا تاريخ اهل الكتاب وغيرهم كالبابليين ، ظهر لهم أن إخبار القرآن بذلك ، كان من معجزاته الدالة على أنه من عند الله ، إذ ظهر لهم أن اليهود كانوا فقدوا التوراة التي كتبها موسى ، ثم لم يجدوها ، وإنما كتب لهم بعض علماءهم ما حفظ منها ممزوجاً بما ليس منها ، والتوراة التي في أيديهم تثبت ذلك ، فإن فيها ما نصه : ( فمئذما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب الى تمامها ، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا ، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إليهم ، ليكون هناك شاهداً عليكم ، لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة ، هو ذا وأنا بعدُ حيٍّ معكم اليوم ، قد صرتم تقاومون الرب ، فكم بالحري بعد موتي ؟ اجمعوا اليّ شيوخ أسباطكم وعرفاءكم ، لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات ، وأشهد عليهم السماء والأرض ، لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون ، وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم ، وبصبيكم الشر في آخر الايام ،

لأنكم تعملون الشر أمام الرب ، حتى تفيظوه بأعمال أيديكم - فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيدالي تمامه ) ( تث ٣١ : ٢٤ - ٣٠ ) وههنا ذكر النشيد في ( تث ٣٢ ) .

ثم قال الكاتب يسفر التثنية : ( فأتى موسى ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب ، هو ويشوع بن نون ، ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع بني اسرائيل بهذه الكلمات ، قال لهم : وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات ، التي أنا أشهد عليكم بها اليوم ، لكي توصوا بها أولادكم ، ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة ، لأنها ليست أمراً باطلاً عليكم ، بل هي حياتكم ، وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن اليها لتملكوها ) ( تث ٣٢ : ٤٤ ) ، فلا شك ان هذا الخبر أي كتابة موسى للتوراة زائد على التوراة ليس منها .

وثانياً — خبر موت موسى ، وكونه لم يقم في اسرائيل نبي مثله بعد ، أي إلى وقت الكتابة ، فقد ورد في سفر التثنية ( وصعد موسى عن عربات موآب الى جبل نبو ، الى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا ، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان ، وجميع نفتالي ، وأرض أفرايم ومنسى ، وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي ، والجنوب والدائرة بقعة اريحا مدينة النخل إلى صوغر ، وقال له الرب : هذه هي الأرض التي اقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلاً : انسلك اعطيها قد أريتك اياها بعينيك ، ولكنتك إلى هناك لا تعبر ، فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ، ودفن في الجواء في أرض موآب ، مقابل بيت فنور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ، وكان موسى بن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته ، فبكى بنو اسرائيل موسى في عربات موآب ، ثلاثين يوماً ، فكملت أيام بكاء مناحة موسى ، وبشوع بن نون كان قد

امتلاً روح حكمة ، إذ وضع موسى عليه يديه ، فسمع له بنو اسرائيل ، وعملوا كما  
أوصى الرب موسى ، ولم يقيم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى ) (تث ٣٤ : ١ - ١٠ ) فهذا  
الخبير عن موت موسى معدود عندهم من التوراة ، وما هو في الحقيقة من التوراة  
المنزلة على موسى ، التي كتبها ووضعها بجانب التابوت ، بل هذا الخبير كتب كغيره  
بعده ، وقد ظهر تأويل علم موسى في بني اسرائيل ، فانهم فسدوا وازاغوا بعدهم  
كما قال ، وأضاعوا التوراة التي كتبها ، ثم كتبوا غيرها ، ولا ندري عن أي شيء  
أخذوا ما كتبوه ، على أنه فقد أيضاً ، وقد قالوا : ( إن « حلقيا » الكاهن وجد  
سفر شريعة الرب وسلمه إلى « شافان » الكاتب ، فجاء به شافان إلى الملك » ( ٢ أي  
٣٤ : ١٤ - ١٦ ) ، قال صاحب دائرة المعارف العربية : « إنهم ادعوا أن هذا السفر  
الذي وجدته حلقيا هو الذي كتبه موسى ، ولا دليل لهم على ذلك ، على أنهم  
أضاعوه أيضاً » ثم إن « عزرا » الكاهن الذي ( هياً قلبه لطلب شريعة الرب ،  
والعمل بها ، وليعلم اسرائيل فريضة وقضاء ) ( عز ٧ : ١٠ ) قد كتب لهم الشريعة  
بأمر « أرتخشستا » ملك فارس ، الذي أذن لبني اسرائيل بالعودة إلى اورشليم .

### التوراة الحالية كتبت بعد السبي

وعلى ذلك فجميع أسفار التوراة التي عند أهل الكتاب قد كتبت بعد السبي ،  
كما كتب غيرها من أسفار العهد المتيق ، ويدل على ذلك كثرة الألفاظ البابلية فيها ،  
وقد اعترف علماء اللاهوت من النصارى بفقد توراة موسى ، مع أنها هي أصل دين  
النصارى وأساسه ؛ وقد قال صاحب كتاب « خلاصة الأدلة السنية » ، على صدق  
أصول الديانة المسيحية « ما نصه : « والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية  
في الوجود إلى الآن ، ولا نعلم ماذا كان من أمرها ، والمرجح أنها فقدت مع التابوت .  
لما « ب » مختصر « الهيكل ، وربما كان ذلك سبب حديث كان جارياً بين اليهود

١٤٦٤ الرد على القول بأن «عزرا» الكاتب هو الذي كتب التوراة الحالية آ (١١١)

هو أن الكتب المقدسة فقدت، وأن «عزرا» الكاتب ، الذي كان نبياً، جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة ، وأصلح غلطها ، وبذلك عادت إلى منزلتها الأصلية ، انتهى بحروفه .

### الرد على القول بأن «عزرا» الكاتب هو الذي كتب التوراة الحالية

ولقد نعلم أنهم يجيبون من يسأل : من أين جمع «عزرا» الكاتب تلك الكتب ، بعد فقدانها ، وإنما يجمع الموجود؟ وعلى أي شيء اعتمد في اصلاح غلطها ؟ فيجيبونه قائلين : « إنه كتب ما كتب بالالهام ، فكان صواباً » !!

ولكننا نقول : هذا الالهام مما لا سبيل إلى إقامة البرهان عليه ، ولا هو مما يحتاج فيه إلى جمع ما في أيدي الناس الذين لا ثقة بنقلهم ، ولو كتب «عزرا» بالالهام الصحيح ، لكتب شريعة موسى مجردة من الأخبار التاريخية، الزائدة على التوراة، ومنها ذكر كتابة موسى لها ، وأنه أمر بوضعها في جانب التابوت ، ومنها ذكر موته ودفنه وعدم بحجىء مثله ؛

وقد بين بعض علماء أوربا أن أسفار التوراة كتبت بأساليب مختلفة ، لا يمكن أن تكون كتابة واحد فقط ، وليس من غرضنا الآن أن نطيل في ذلك ، وإنما نقول : إن الذي بين يدي القرآن ، الذي أتى القرآن مصداقاً له — هو ما أوحاه الله إلى موسى ليبلغه قومه بالقول والكتابة ، وأما سفر التكوين الذي عند القوم المشتمل على قصة يوسف ، فهو سفر تاريخ مشتمل على ما هو صحيح وغير صحيح.

( الله اكبر )



## « وتفصيل كل شيء .. »

- ١ -

وقال الشريف المكي :

## القرآن يذكر كل شيء مهم من امور الدين

يقول القرآن الكريم : وتفصيل كل شيء ، أي كل شيء يحتاج اليه في الدين ، لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس ، بمد أدلة العقل ، وهذا نظير ما قال عن موسى عليه السلام : ﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شيء ﴾ ( ٧ : ١٤٤ ) مع أن الألواح إنما هي ثلاثة أو اثنان ، جرياً على قول اليهود وعلى قول من قال : « أقل الجمع اثنان » ، وكانت من حجر ، وهل لا تسع إلاّ بعض الشيء ، ولكن المقصود من كلمة « وتفصيلاً لكل شيء » مهم يحتاج اليه في الدين ، وذلك الكلمات العشر وما اليها ، فالدين هو نقطة كثرها الناس ،

والشيء بالشيء يذكر ، فقد كان سألي بعض مبشري البروتستانت : كيف تقولون إن القرآن كان « تفصيل كل شيء » كما في آخر آية من سورة يوسف ، وكيف يقول القرآن إن ألواح موسى مكتوب فيها من كل شيء ، وفيها التفصيل لكل شيء ، مع أن تلك الألواح الحجرية الثلاثة على قولكم أو الاثنان على قولنا لا تسع كل شيء ، لا جملة ولا تفصيلاً ؟

فاجبته بقولي : المقصود كل شيء مهم يحتاج اليه في الدين ، ثم ماذا تقول فيما هو في آخر انجيل يوحنا « وأشياء أخر كثيرة ، صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة ، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » ( يو ٢١ : ٢٥ ) ثم ماذا تقول فيما ينقل عن موسى أنه قال لبني اسرائيل : « وهوذا أتم اليوم كنجوم

السما في الكثرة» (تث ١ : ١٠) ، وماذا تقول في قول سفر القضاة : « وكان المديانيون والعمالقة وكل بني المشرق حاليّن في الوادي ، كالجراد في الكثرة ، وجمالهم لا عدد لها ، كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة » (قض ٧ : ١٢) ، وماذا تقول فيما ينقل عن المسيح : « وأنت يا كفرناحوم المرتفعة إلى السماء » (مت ١١ : ٢٣) ، وماذا تقول فيما هو في سفر يوحنا « هو ذا العالم قد ذهب وراءه » أي وراء المسيح (يو ١٢ : ١٩) ، وما يقرب من قول يوحنا هنا قول جامعة سليمان : « لعمل كتب كثيرة لا نهاية » (جا ١٢ : ١٢) فما قاله مفسروكم في مثل هذه الأقوال تقوله في آيات القرآن الكريم ، مع انك سمعت الجواب عن آيات القرآن الكريم ، ولله الحجة البالغة .

( احسنت )

( وهدى ورحمة ، لقوم يؤمنون )

— ١ —

وقال الشيخ القبرصي (١) :

القرآن هدى ورحمة وشفاء وموعظة

القرآن في نفسه هدى ورحمة ، وشفاء وموعظة ، فمن اهتدى به واتعظ واشتفى ، كان بمنزلة من استعمل الدواء الذي يحصل به الشفاء ، فهو دواء له بالفعل ، وإن لم يستعمله ، فهو دواء له بالقوة ، وكذلك الهدي ، فالقرآن هدى بالفعل لمن اهتدى به ، وبالقوة لمن لم يهتد به ، والهدى في الأصل مصدر هدى يهدي هدى ، فمن لم يعمل بعلمه ، لم يكن مهتدياً ، كما في الأثر : ( من ازداد علماً ولم يزد هدى . لم يزد من الله تعالى إلا بعداً ) ، ولكن سمي هدى ، لأن من شأنه

(١) نسبة الى جزيرة قبرص الواقعة في البحر الابيض المتوسط غربي شاطئ البلاد السورية.

أن يهدي ، وههنا ثلاثة أشياء ؛ فاعل وقابل وآلة ، فالفاعل الهادي هو الله تعالى ،  
والقابل هو قلب العبد ، والآلة هو الذي يحصل به الهدى وهو الكتاب المنزل ،  
قاله سبحانه يهدي خلقه هدى ، كما يقال دلهم دلالة ، وأرشدهم إرشاداً ، وبين  
لهم بياناً ، والمقصود أن المحل القابل هو قلب العبد المتقى المنيب إلى ربه ، الخائف  
منه ، الذي يبتغي رضاه ، ويهرب من سخطه ، فاذا هداه الله بكتابه ، وصل أثر  
فعله إلى محل قابل ، فيتأثر به ، فصار هدى له وشفاء ورحمة وموعظه بالوجود  
والفعل والقبول ، وإذا لم يكن المحل قابلاً ، وصل إليه الهدى فلم يؤثر فيه ، كما  
يصل الغذاء إلى محل غير قابل للاغتذاء فإنه لا يؤثر فيه شيئاً ، بل لا يزيده  
إلا ضعفاً وفساداً إلى فساده ، كما قال تعالى في حق الآية التي كان نزهاً :  
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستنبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرضٌ  
فزادتهم رجساً إلى رجسهم ﴾ ( ٩ : ١٢٥ و ١٢٦ ) وقال : ﴿ وَنَزَلَ مِنْ  
الْقُرْآنِ مَاهُو شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾  
( ١٧ : ٨٢ ) ، فتخلف الاهتداء يكون لعدم قبول المحل تارة ، ولعدم آلة الهدى  
تارة ، ولعدم فعل الفاعل وهو الهادي ، ولا يحصل الهدى على الحقيقة إلا عند  
اجتماع هذه الثلاثة ، وقد قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ ،  
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْاْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ ( ٨ : ٢٣ ) فأخبر سبحانه أنه قطع عنهم  
مادة الاهتداء ، وهو إسماع قلوبهم ، وإفهامها ما ينفعها ، لعدم قبول المحل ، فإنه  
لاخير فيه ، فإن الرجل إنما ينقاد للحق بالخير الذي فيه ، والميل إليه والطلب له ،  
والحرص عليه ، والقرح بالظفر به ، وهؤلاء ليس في قلوبهم شيء من ذلك ،  
فوصل الهدى إليها ووقع عليها ، كما يصل الغيث النازل من السماء ويقع على الأرض  
الغليظة العالية ، التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فلا هي قابلة للماء ولا للبنات ،  
فاللأ في نفسه رحمة وحياة ، ولكن ليس فيها قبول له ، ثم أكد هذا المعنى في

حقهم بقوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعْتَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٨: ٢٣) أي أنهم مع عدم قبولهم وقلة فهمهم ، فهم آفة أخرى ، وهي الكبر والأعراض وفساد القصد ، فلو فهموا لم ينقادوا ولم يتبعوا الحق ولم يعملوا به ، فالهدى في حق هؤلاء ، هدى بيان وإقامة حجة ، لاهدى توفيق وإرشاد ، فلم يتصل الهدى في حقهم بالرحمة ، وأما المؤمنون فاتصل الهدى في حقهم بالرحمة ، فصار القرآن لهم هدى ورحمة ، ولأوائك هدى بلا رحمة .

( وهدى ورحمة لقوم يؤمنون )

- ٢ -

وقال السيد الدمشقي :

القرآن هدى ورحمة لمن يتفهمه

يقول الله تعالى إن القرآن هدى ورحمة لقوم يؤمنون ، لأنهم هم الذين يفهمونه فيعملون به فينتفعون ، وأما من لا يفهم كتاب الله ، فنفسه « حمارية » كما قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ، ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا ، كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ ( ٥: ٦٢ ) ، وكذلك الذين يولون مدبرين عن درس كلام الله القرآن ، هم في نظر الله تعالى حمير ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِ مُعْرِضِينَ ؟ كَانَهُمْ « حَمِيرٌ » مُسْتَنْفِرَةٌ ، أَفَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ ( ٧٤ : ٤٩ - ٥١ ) ، وأما من يفقه الكتب السماوية كالقرآن مثلاً ، ولكنه لا يعمل حسب ما يعلم ، فهو عالم السوء ونفسه « كلبية » ، وفيه بقول الله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ، فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ : إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ بَلِيتٌ ، أَوْ تَتْرُكْهُ يَلِيتْ ﴾ ( ٧ : ١٧٤ و ١٧٥ ) .

## الهدى هو الدعوة والدلالة والبيان

والهدى يكون بمعنى الدعوة والدلالة والبيان ، سواء وصل أم لم يصل ، وهذا يشترك فيه المؤمن والكافر ، كقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ ( ١٧ : ٤١ ) ، ويكون بمعنى جعل الإنسان مهتدياً ، أي بمعنى الدلالة الموصلة ، وهذا يختص بالمؤمنين ، وهو المطلوب في قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ( ١ : ٥ ) وبقوله في وصف الكتاب : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ( ٢ : ٢ ) ثم قوله : ﴿ أَوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ ( ٥ : ٢ ) وقوله هنا في الآية : ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، وقد شرع الله لنا ، أن نسأله ذلك في كل صلاة ؛ وهو أفضل الدعاء ، وأفضله وأجمعه لكل خير ، وكل أحد محتاج الى الدعاء به ، فهذا أوجبه الله تعالى على العبد ، في كل صلاة .

( الله أكبر )

## انتهى الجزء الثاني

وهنا وقف كاتب سر المؤتمر واختتم جلسات المؤتمر باسم السيد رئيس المؤتمر ثم اتى كلمة تناسب المقام ، شاكراً فيها المحاضرين الأكارم على ما بذلوه من مشقة وجهد في سبيل كتاب الله العظيم ، واعداداً إليهم بدعوتهم إلى عقد مؤتمرات تفسيرية لسور أخرى من القرآن الكريم ، ثم انفض عقد اجتماعهم وهم يهتفون بعضهم بعضاً على حسن الختام (١) .

(١) غير أننا نذكر بملء الأسف والأسى ان المنية قد عاجلت السيد كاتب السر ، اذ تغدده الله برحمته ورضوانه في اليوم التاسع من شهر جادى الأولى لسنة ١٣٥٥ هـ الموافق لليوم السادس والعشرين من شهر تموز ( يوليو ) لسنة ١٩٣٦ م .

( ابن المؤلف )

## قهرس الجزء الثاني من كتاب مؤتمر تفسير سورة يوسف (ع)

الصحيفة والموضوع :

٧٤١ الفصل الخامس .

يوسف (ع) يعرف بحاله ويمهد للدعوة للتوحيد .

آ (٣٧) ﴿ قال : لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نباتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمني ربي ، إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ ٧٤٢ يوسف يترجم حياته الشخصية والعلمية ٧٤٤ يوسف يفتن الفرصة فيعظ الفتيين تمهيداً لدعوتها للتوحيد ٧٤٦ المراد « بالترك » الامتناع ، القوم الوثنيون الذين عناهم يوسف ٧٤٨ الأدوار التي مسكت فيها يوسف والتي تكلم فيها ، معنى « ترزقانه » ٧٤٩ معنى « ذلكما مما علمني ربي » ، مصدر فضل يوسف ، ترك يوسف ملة الوثنيين بدون سبق مزاوله ٧٥٠ البيئة الوثنية التي عاش فيها يوسف وتغلبه عليها ٧٥١ الوثنيون لا يؤمنون بالله واحداً والماديون لا يؤمنون به موجوداً ٧٥٢ الأدلة على وجود الله تعالى ٧٥٣ عقيدة ابراهيم (ع) وأولاده وعقيدة العرب الجاهليين ٧٥٤ بيان سقوط أكثر بني اسرائيل في هاوية التوثن حسب التوراة التي هي اليوم بين أيديهم ٧٥٨ الإيمان بالله واليوم الآخر ٧٥٩ يوم الآخرة ٧٦٠ الإيمان بالآخرة والطوائف التي لا تعقد به ٧٦١ اتباع يوسف ملة آبائه بعد التفكير ٧٦٢ الفرق التي لا تؤمن بالله كما يجب له ٧٦٤ عقيدة الإيمان الكاملة بالله .

٧٦٥ يوسف (ع) يبدأ بالدعوة إلى التوحيد .

آ (٣٨) ﴿ واتبعت ملة آبائي ، ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس

## الصحيفة والموضوع :

لايشكرون ﴿ ٧٦٦ ملة آباء يوسف ، أصول الدين الموجودة في كل ملة  
 موحدة ٧٦٧ أركان الإيمان الستة ٧٦٨ العمل بأركان الإيمان شرط مهم في  
 الدين ٧٦٩ عمن تلقى يوسف عقيدة التوحيد ؟ ٧٧١ يوسف ينهي عن الشرك  
 بالله واسلوب القرآن في استعمال النفي بمعنى النهي ٧٧٢ دين التوحيد هو الدين  
 الخالص الذي جاء به الأنبياء ٧٧٣ نصوص عقيدة التوحيد في الإنجيل ،  
 الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية ٧٧٤ التوحيد فضل من الله على عباده  
 ٧٧٥ المؤمنون إخوة ٧٧٦ المرء بأعماله لا بنسبه ٧٧٨ الغمز من فتاة الفتيين ،  
 أدب الأنبياء في الخطاب .

٧٨٠ يوسف ( ع ) يدعو الى التوحيد .

آ ( ٣٩ ) ﴿ يا صاحبي السجن ، أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟! ﴾  
 ٧٨١ يوسف يهدي الفتيين بالحاجة والاقناع ٧٧٢ الديانة الوثنية بمصر ٧٨٤  
 واجب الواعظ نحو الموعوظين وأمثلة من القرآن ٧٨٦ واجب المصلح المرشد ،  
 الدعوة الى الحق تكون بالدليل والبرهان ولا اكراه في الدين ٧٩١ انطباق  
 الآية على معتقد البولسيين من النصارى ورد استدلالهم على معتقدم في الوهية  
 المسيح ٧٩٢ التثليث عند المصريين القدماء ٧٩٦ فرق النصارى الشهيرة ٧٩٩  
 شرك المصريين القدماء في الربوبية والالوهية ٨٠٠ وحدانيتا الربوبية والوهية ،  
 الدعوة الادبية ٨٠١ واجب الداعي التحقق مما يدعو اليه ٨٠٢ سبب اقتصار  
 يوسف على دعوة صاحبي السجن الى التوحيد فقط ، مثل من يعبد عدة آلهة  
 أو آلهة واحداً كمثل العبد المملوك لشركاء عبيدين أو لملك واحد ٨٠٣  
 فكرة الدعوة والارشاد في القرآن ومراتبها ٨٠٤ صفات الداعي الى التوحيد  
 ٨٠٥ اعتقاد المصريين القدماء بيوم الدين ٨٠٦ وجه عدم ذكر اليوم الآخر

## الصحيفة والموضوع :

في التوراة ٨٠٧ عقيدة اليهود الفريسيين والصدوقيين بيوم الدين ، ضعف  
عقيدة اليهود بيوم الدين كانت سبباً في كون اكثر معجزات المسيح (ع)  
تدل على هذه العقيدة ٨٠٨ وجود المسيح (ع) من غير أب آية على وجود  
القيامة ٨٠٠ التعليق على قوله « أم الله الواحد » ، التعليق على قوله « القهار » .

٨١١ يوسف (ع) يتابع الدعوة للتوحيد .

آ (٤٠) ﴿ ماتعبدون من دونه إلا أسماء ، سميتوها أتم وأبؤكم ، ما أنزل  
الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين  
القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ٨١٢ اعتناق المصريين الاقباط  
النصرانية ٨١٣ وجوب الجهر بالدعوة الدينية ، الامور الداعية لعبادة المعبود  
٨١٤ العبادة ضرب من الخضوع لعظمة المعبود وسلطته ٨١٥ ليس في المخلوقات  
شيء من اللاهوت ٨١٦ وجوب علم امور الدين علماً استقلالياً استدلالياً ٨١٧  
اصطلاحات القرآن اللفظية ، السلطان والحق وتعظيم شأنها ٨٢٠ الدين مبني  
على الحجة والعلم ، المسميات لا تتبدل بتبدل الاسماء كما أن العجل والشمس  
والتاسيح لا تصير آلهة بتبديل اسمائها ٨٢١ سكوت صاحبي السجن عن  
الجواب حكم صامت بصحة كلام يوسف (ع) ٨٢٢ الاستدلال مطلوب في  
الدين ٨٢٣ الحكم الشرعي والحكم الفعلي ٨٢٤ وحدة الالهية ووحدة  
الربوبية ٨٢٥ الدين والعلم اخوان ٨٢٦ يوسف بكرر الغمز من قناة صاحبيه  
في السجن ٨٢٧ عظة يوسف للفتيين كانت صرخة في واد ، وجوب الجهر  
بعقيدة التوحيد في كل زمان ومكان وحال ٨٢٨ حكم القرآن بالاحكام الرديئة  
على الاكثرية الساحقة من الناس ٨٣٠ حكم القرآن بالاحكام الحسنة على القليل  
من الناس .



الصحيفة والموضوع :

٨٣١ يوسف يعبر رؤيا الفتين بالجزم .

آ ( ٤١ ) ﴿ يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً ، وأما الآخر فيصلب ، فتأكل الطير من رأسه ، قضى الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ ٨٣٢ .  
يوسف يعبر رؤيا الفتين بصراحة ٨٣٣ اصغاء الفتين الى وعظ يوسف ٨٣٤ .  
استبشار يوسف ببراءة رئيس السقاة ، الحجر الأول في بناء مجد يوسف ،  
حال الفتين حين سماعها تعبير رؤييهما ٨٣٥ النواة والشجرة والثمرة ، تسمية الملك رباً عند المصريين ، لماذا عبر يوسف رؤيا الخباز بصراحة ٨٣٦ تحقق وقوع تعبير رؤيا الفتين ٨٣٧ خباز فرعون يوسف وخباز فرعون موسى ، من عادة قدماء المصريين حلق شعر رؤوسهم ولحام ٨٣٨ الصلب عرفاً هو الامانة على الصليب ، معنى الصلب في القرآن .

٨٣٩ استشفاع يوسف بالناجي من الفتين .

آ ( ٤٢ ) ﴿ وقال الذي ظن أنه ناج منها : اذكرني عند ربك ، فأنساه الشيطان ذكر ربه ، فلبث في السجن بضع سنين ﴾ ٨٤١ نسيان الفقى الناجي ذكر يوسف للملك وأسبابه ٨٤٣ مدة بقاء يوسف في السجن ، التوسل وأنواعه والجائز منها شرعاً ٨٤٤ الرد على من انتقد توسل يوسف برئيس السقاة لدى ملك مصر ، التوكل ٨٤٥ تحقق رجاء يوسف من الشرايبي ٨٤٦ الاستعانة بالاسباب في قضاء الحاجة ٨٤٧ هل قام الشرايبي بما طلبه منه يوسف فور خروجه من السجن ٨٤٨ أسباب عدم اخبار يوسف أباه بسجنه ٨٥٠ .  
فصول مأساة يوسف ( ع ) ، على من يريد انتقاد أحد أن يتمهل حتى تستوفي البيئة نصابها ٨٥١ تعليل تعبيره بكلمة « ظن » في الآية ، اطلاق لفظ « الرب » .

## الصحيفة والموضوع .:

مضافاً للماقل على غير الله تعالى ٨٥٢ علاقة الشر بالله تعالى ٨٥٣ معنى قوله « ذكر ربه » ٨٥٤ سبب مكث يوسف في السجن بضع سنين ، التحقيق في معنى « البضع » وفي مدة مكث يوسف في السجن .

٨٥٦. الفصل السادس — حلما الملك .

آ ( ٤٣ ) \* ... وقال الملك : إني أرى سبع بقرات سمان ، يأكلن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر ، وآخر يابسات ، يأبها الملاء ، أفتوني في رؤياي ، إن كنتم للرؤيا تعبرون \* ٨٥٧ الملك الريان يقص حلمه على الملاء طالباً تعبيرها له ٨٥٨ من هو الملك في قوله : وقال الملك .. ٨٥٩ دولة الهكسوس في مصر ، تعبير القرآن بلفظ « ملك » ولفظ « فرعون » لحكام مصر الأقدمين ٨٦٠ غلط المؤرخين والمفسرين في تسميتهم « ملك مصر » في زمن يوسف باسم « فرعون » ٨٦١ عدد سبعة في تاريخ يوسف ، احتياج الملوك للعطاء ٨٦٢ الملاء جماعة من رجال البلاط والعلماء ، يغلب على الحلم أن يرى ولا يسمع ٨٦٣ الفتوى ، تعبير الرؤيا ٨٦٥ طعن الملاء في رؤيا الملك على اعتبار أنها غير صحيحة ٨٦٦ جهل الملاء بتأويل رؤيا الملك على اعتبار أنها صحيحة ٨٦٧ كذب الملاء وصدقهم في جوابهم للملك ، جواب الملاء للملك يدل على جهلهم تعبير الرواى ، معنى « الضفت » ٨٦٨ الحنم والحنم ، احتمال تجاهل الملاء تعبير رؤيا الملك وسببه .

٨٧٠. وعند جهينة « يوسف » الخبر اليقين أو تذكر الفتى الناجي يوسف وطلبه أن يذهب إليه ليؤول له حلمي الملك .

آ ( ٤٥ ) \* وقال الذي نجا منها ، وادكر بعد أمة : أنا أنبئكم بتأويله ، فأرسلون \* ٨٧١ تذكر الفتى الناجي يوسف وطلبه الذهاب إليه ليستعبره

الصحيفة والموضوع :

حلمي الملك ٨٧٢ ثمرة الاحسان ، الحكمة من صرف الله الملائع عن تأويل رؤيا الملك ٨٧٣ التداير الآهية وجهل الملائع ، الفتى الناجي يتحدى الملائع .

٨٧٤ استعمار رؤيا الملك من يوسف .

آ ( ٤٦ ) \* ... يوسف ، أيها الصديق ، أفتنا في سبع بقرات سمان ، يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، لعلني أرجع الى الناس لعلهم يعلمون \* الفتى الناجي يقابل يوسف ويمتدحه ويستعبره روي الملك ٨٧٦ الشرايبي ينبه يوسف الى سابق صحبته له بدعوته اياه باسمه ولقبه ، كرم اخلاق يوسف بعدم معاتبته الشرايبي لعدم قيامه بما كان طلبه منه ، القاب يوسف ٨٧٧ إخفاء رئيس السقاة اسم الملك عن يوسف ٨٧٨ معنى الافتاء ، معنى الصديق ٨٧٩ وجوب التزام الأدب عند مخاطبة النبي ﷺ ٨٨٠ الايجاز في القرآن .

٨٨٣ تأويل يوسف لرؤيا الملك .

آ ( ٤٧ ) \* قال تزرعون سبع سنين دأباً ، فما حصدتم فذروه في سنبله ، إلا قليلاً مما تأكلون \* ٨١٣ تعبير يوسف لرؤيا الملك يبسط التدبير اللازم ٨٨٤ سرعة إجابة يوسف بتعبير رؤي الملك دون قيد ولا شرط ٨٨٥ تدبير يوسف الاقتصادي لأهل مصر ، ملكية الحاصلات في مصر ، الخبر في معنى الأمر والانشاء في قوله « تزرعون » ٨٨٧ ادخار الحنطة ، السنين والأعوام ٨٨٨ أقسام الأحلام الصحيحة ، معنى الدأب .

٨٨٩ تنمة تعبير يوسف لرؤيا الملك .

آ ( ٤٨ ) \* ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ، يأكلن ماقدمتم لهن ، إلا قليلاً مما تحصنون

## الصحيفة والموضوع :

٨٩٢ يوسف يبشر بانهاء أزمة رؤيا الملك بالبركة والخصب .

آ ( ٤٩ ) \* ثم يأتي من بعد ذلك عام ، فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون \* ، عزو اخبار يوسف بحسن عاقبة الازمة الى ذكائه ٨٩٣ عناية قدماء المصريين بالحدائق والبساتين ، بشرى يوسف للمصريين بحسن خاتمة الرؤيا ٨٩٤ لطف الله بالمصريين عن يد يوسف ، إغفال يوسف تأكيد ذكره عند الملك في هذه المرة ٨٩٥ تدبير يوسف أزمة المصريين بنفسه ، مقابلة بين « الملاء » الجهلاء وبين يوسف العالم ، أين فوطيفار في هذه الأزمة ٨٩٦ الرؤيا على ما عبرت أولاً .

٨٩٦ الفصل السابع .

## القصر يطلب يوسف ( ع )

آ ( ٥٠ ) \* ... وقال الملك : ائتوني به ، فلما جاءه الرسول ... قال : ارجع الى ربك ، فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ؟ إن ربي يكيدهن علم \* ٨٩٨ الملك يطلب يوسف فيرفض الخروج من السجن قبل تبرئة ذمته ٩٠١ البراءة أولاً ثم الخروج ثانياً ، تأدب يوسف بعدم ذكر اسم امرأة العزيز في قصة تبرئته ، سوآل يحقق البراءة ٩٠٢ هوية الرسول الذي ذهب الى يوسف ، تسمية « الملك » « رباً » ، العلماء اغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك باغنياء عن العلماء بالملك ، حجر اصاب صيدى ٩٠٣ الاجتهاد واجب في نفي التهم ، ديموقراطية حكم الملك الريان ٩٠٤ سبب نزول الملك الريان عن رغبة يوسف بعدم خروجه من السجن قبل اجراء التحقيق في التهمة الموجهة اليه ٩٠٥ دواعي عدم خروج يوسف من السجن ٩٠٦ كيف لم يخش يوسف

## الصحيفة والموضوع :

من النسوة أن يكتمن حقيقة أمره ، كيف ينسب يوسف الكيد للنسوة ثم يطلب سؤالهن عن قصة المراودة ولم يقع منهن شيء من ذلك ٩٠٧ لم يقصد يوسف التشهير بامرأة العزيز في طلبه التحقيق بل ظهور براءته ، سعة صدر الملك الريان ٩٠٨ قذف البريء يعود عليه بالخير عندما تظهر براءته ، على الباغي تدور الدوائر ٩٠٩ المراد بالكيد .

٩١٠ اعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف .

آ ( ٥١ ) ﴿ ... قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ؟ - قلن : حاش لله ، ما علمنا عليه من سوء ، - قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين ﴾ ٩١١ استنطاق النسوة عن قصة المراودة مجتمعات أو منفردات ثم اعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف ٩١٢ نسبة المراودة الى جميع النسوة والمراد منه واحدة ، شهادة النسوة ليوسف بالعمق والطهارة ٩١٣ حال زليخا عند اعترافها بمراودة يوسف عن نفسه ٩١٤ دواعي اعتراف زليخا بوقوع المراودة منها ٩١٦ معنى حصحص ، الاجماع على سلامة شرف يوسف ٩١٨ تحقق صرف الكيد عن يوسف ٩١٩ الاعتراف بالخطأ فضيلة ، انصياع الرسول ليوسف بمراجعة الملك ، عاطفة المرأة تملك عقلها وعقل الرجل يملك عاطفته ٩٢٠ داعي اندفاع زليخا للاعتراف بفعلتها والدفاع عن شرف يوسف .

٩٢٣- تمة اعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف .

آ ( ٥٢ ) ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ ٩٢٤ توبة زليخا ، معنى بالغيب ومحله اللغوي ٩٢٥ الكيد المذموم والكيد

## الصحيفة والموضوع :

المدوح ، نسبة القول في قوله « ذلك ليعلم .. الخ الآية الى زليخا وليس الى يوسف .

٩٢٧ ختام اعتراف امرأة العزيز ببراءة يوسف ثم طلبها الرحمة والغفران .  
 آ ( ٥٣ ) ﴿ وما أبريء نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ، إلا ما رحم ربي ، إن ربي غفور رحيم ﴾ ٩٢٩ إطلاق لفظة « ما » على العاقل وغيره اذا اريد بها الصفة ، فضائل الرحمة ومزاياها ٩٣٠ رحمة الله الخاصة ورحمته العامة ، أقوال في توبة زليخا ٩٣١ نهاية سيرة العزيز وامراته ٩٣٢ الماردائم والسبب خالدة ، زليخا تعد مجرمة عزمياً وليست مجرمة فعلاً ٩٣٣ مؤثرات الحب في النفس والأخلاق ٩٣٤ زليخا سهلت ليوسف الخروج من السجن شريفاً باعترافها ، صدى جواب النسوة وامرأة العزيز في الاوساط ٩٣٥ عبرة وذكرى من حادثة العزيز وامراته .

## ٩٣٨ الباب الرابع .

## الفصل الاول .

من ظلمة السجن الى نور الحرية أو خروج يوسف من السجن بريئاً .  
 آ ( ٥٤ ) ﴿ وقال الملك : « ائتوني به أستخلصه لنفسي » فلما كلمه ، قال : « إنك اليوم لدينا مكين أمين . » ﴾ ٩٤٠ طلب الملك ليوسف ثانية بعد رجوع المتدوب من التحقيق ٩٤١ عدد جيئات الرسول السجنين ٩٤٢ دواعي حب الملك ليوسف ثم استخلاصه إياه لنفسه ، هندام يوسف حينما استعد لمقابلة الملك ٩٤٣ إكبار الملك ليوسف عندما كلمه وسمع كلامه ثم تقريبه منه ، عمر يوسف عند مثوله بين يدي الملك ٩٤٤ تفاهم يوسف مع الملك في اللغة .

## الصحيفة والموضوع :

دعاء يوسف لأهل السجن الذي كان فيه ، العبرة في هذه الآية وما بعدها .

٩٤٥ يوسف وزير مالية .

آ ( ٥٥ ) ﴿ قال اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ عليم ﴾ ، مؤهلات .  
 يوسف لترشيح نفسه لوزارة مالية مصر ٩٤٨ عمل يوسف في سني الخصب .  
 والجذب في مصر ٩٤٩ الشدائد علت يوسف ادارة شئون مصر المالية  
 والاقتصادية ٩٥٢ عزيز مصر وخديويها ٩٥٣ حادثة يوسف في التاريخ ٩٥٥ .  
 الدين الاسلامي والسعي في الدنيا ٧٥٧ دحض اعتراض بعض رجال الدين على .  
 طلب يوسف وزارة المال ٩٦١ حكم طلب يوسف في الدين الاسلامي .  
 والتصوف في الاسلام ٩٦٤ التزهيد والبراءة من الدنيا في الشريعة المسيحية  
 ٩٦٥ انتقاد يوسف على طلبه وزارة المالية ليس مبنياً على التعاليم الاسلامية ٩٦٨ .  
 حدود تعاون المسلم مع غير المسلم ، خضوع المسلم لغير المسلم ٩٦٩ موالاة المؤمن .  
 لغير المؤمن ٩٧٢ ارتقاء يوسف لوزارة المالية كان بإرادة الله وقدرته .

٩٧٣ تمكين يوسف عليه السلام

آ ( ٥٦ ) ﴿ ... وكذلك مكنا ليوف في الأرض ، يتبوا منها حيث يشاء ،  
 نصيب ترحمنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ ٩٧٤ تمكين يوسف  
 الخاص والعام ٩٧٥ تقدير الملوك الأقدمين للناس بحسب مواهبهم ٩٧٦ تزكية .  
 أنتصار يوسف ، كيف أن اخبار يوسف لم تصل لأبيه ٩٧٧ الانتصارات  
 التي فاز بها يوسف ، اطلاق يد يوسف في مصر ٩٧٨ تمكين يوسف في مصر  
 سبعين عاماً ، مصر في أيام يوسف وبعده ٩٧٩ رحمة الله واحسانه يصيبان جميع .  
 من يستحقها ٩٨٠ أجر المحسنين في الدنيا ، إحسان يوسف الذي استحق .

## الصحيفة والموضوع :

عليه التمكين والتبوأ في الارض ، مبدأ تبادل الاحسان ٩٨١ أجر المحسنين  
في الدنيا والآخرة ، صلة الملك الريان ييوسف .

## ٩٨٣ أجر الدنيا وأجر الآخرة

آ (٥٧) \* ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون \* ٩٨٣ الآخرة  
لغة واصطلاحاً ٩٨٤ ثواب الجنة جسماني وروحاني ، حظ المؤمن في الآخرة  
أرقى منه في الدنيا ٩٨٥ أجر الآخرة مادي وروحي ، أجر يوسف في  
الآخرة أجل مما كان له في الدنيا ٩٨٦ الاخلاص يكون بالايان والعمل  
الصالح ٩٨٧ يوسف النبي والرسول ، الجزاء يكون على الايمان والعمل  
مماً ٩٨٨ عقيدة الصلب والفداء ٩٨٩ رد دعوى زواج يوسف بزيخا بعد  
موت زوجها فوطيفار .

## ٩٩١ الفصل الثاني — سفرة اخوة يوسف الاولى لمصر

آ (٥٨) \*... وجاء إخوة يوسف ، فدخلوا عليه ، فعرفهم وهم له منكرون\*  
٩٩٢ مجيء اخوة يوسف لمصر للامتيار ٩٩٤ وصف منظر المتارين من  
الناس في مصر في زمن يوسف ٩٩٥ رقب يوسف مجيء اخوته ،  
يوسف يشرع في تحقيق هدفه ، ابتداء يوم يوسف ٩٩٦ حال اخوة يوسف  
بعد ما شردوه ، مجيء اخوة يوسف لمصر كان من أكبر المساعدات لتحقيق  
آماله ، الصلة الاقتصادية بين مصر وفلسطين ، اسباب عدم معرفة اخوة  
يوسف له عندما قابلوه ٩٩٧ معنى نكر وأنكر ٩٩٨ سبب عدم اظهار  
يوسف نفسه لآخوته ٩٩٩ داعي مجيء اخوة يوسف اليه رأساً .

٩٩٩ يوسف يجهز اخوته بالميرة ويطلب منهم الاتيان بينيامين

آ (٥٩) \*... ولما جزمم بجهازهم ، قال : أئتوني بأخ لكم من أيكم ، ألا



## الصحيفة والموضوع :

ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين ﴿ ١٠٠٠ جود يوسف على اخوته  
 وبعض الامثلة المشابهة في التاريخ ١٠٠٢ معنى « الجهاز » ١٠٠٣ اشارة  
 رمزية من يوسف لأبيه يعقوب عليها السلام ١٠٠٥ وجه قبول اخوة  
 يوسف منة أخيه ، سلسلة كرم يوسف مع اخوته ١٠٠٦ دواعي طلب يوسف  
 لبنيامين ، منشأ زيادة محبة يوسف لبنيامين ١٠٠٧ لماذا لم يذكر يوسف أباه  
 بشيء ١٠٠٨ سلوك يوسف مع اخوته على قاعدة المثل القائل اذا لم تغلب  
 فاخلب ، كيف يمن يوسف على اخوته بما جاد به عليهم ١٠٠٩ محاولة يوسف  
 اغراء وتحذير اخوته لجلب بنيامين معهم ، محاولة يوسف رجوع اخوته  
 ببنيامين عن طريق الترغيب والتجيب ١٠١٠ معنى الايقاع ووجه امتنان  
 يوسف على اخوته .

## ١٠١٣ يوسف يطلب بنيامين بالقهر

آ ( ٦٠ ) ﴿ فان لم تأتوني به ، فلا كيل لكم عندي ، ولا تقربون ﴾ ،  
 ١٠١٣ يوسف ينذر اخوته اذا لم يأتوه ببنيامين

## ١٠١٥ وعد الاخوة باحضار بنيامين لمصر

آ ( ٦١ ) ﴿ قالوا : ... سترأود عنه أباه ، وإنا لفاعلون ﴾ ، وعد الاخوة  
 باحضار بنيامين معهم لمصر عند موافقة أبيهم .

## ١٠١٧ يوسف يأمر باعادة ثمن الميرة لاخوته لضمان مجيء بنيامين

آ ( ٦٢ ) ﴿ وقال لفتياناه : اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا  
 انقلبوا إلى أهلهم ، لعلهم يرجعون ﴾ ١٠١٨ سمي يوسف بمجيب بنيامين  
 بالقول والفعل ، المراد من حكمة « الفتيان » ، ماذا أراد يوسف برد بضاعة

## الصحيفة والموضوع :

اخوته اليهم ١٠١٩ كيف جاز ليوسف التصرف بأموال الخزينة المصرية ،  
١٠٢٠ معنى « الرحال » ١٠٢١ مقصد يوسف مما قاله لآخوته ومما فعله  
معهم ، لماذا يخبر يوسف اخوته بجلية الواقع في سفرتهم الاولي ١٠٢٢  
كنه البضاعة التي اشترى بها الاخوة ميرتهم .

١٠٢٤ الاخوة يطلبون بنيامين من أبيه

آ ( ٦٣ ) ﴿ ... فلما رجعوا إلى أبيهم ، قالوا : يا أبانا ، منع من الكيل... ،  
فأرسل معنا أخانا ، نكتل ، وإنا له لحافظون ﴾ ١٠٢٥ إخوة يوسف بين  
مطرقين ، فكرة سفر بنيامين ١٠٢٦ يعقوب يفكر فيما عمله العزيز  
« يوسف » مع أولاده

١٠٢٦ الشك يخامر نفس يعقوب

آ ( ٦٤ ) ﴿ قال : هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل ؟ ! !  
فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾ ١٠٢٧ جواب يعقوب لأولاده  
جواباً سلبياً مندداً بهم وبوعودهم ١٠٢٩ موقف يعقوب مع أبنائه في  
طلبهم بنيامين ١٠٣٠ عمر بنيامين عندما طلبه أخوته من أبيهم ١٠٣١  
الفائدة من قص القرآن المقاولات بين يعقوب وأولاده .

١٠٣٢ أولى الأمور بالنجاح التكرار والالاح أو اتخاذ أبناء يعقوب رد بضاعتهم  
اليهم حجة للالاح في طلب أخيه بنيامين

آ ( ٦٥ ) ﴿ ... ولما فتحوا متاعهم ، وجدوا بضاعتهم ردت إليهم ، قالوا :  
يا أبانا ، ما نبغي ؟ ! هذه بضاعتنا ردت إلينا ... وغير أهلنا ، ونحفظ أخانا ،  
ونزداد كيل بعير ، ذلك كيل يسير ﴾ ١٠٣٤ « ما » استغماية في قوله

## الصحيفة والموضوع :

« مانبغي » ١٠٣٥ اغراء الاخوة لأبيهم بأربعة أشياء ، نجاح حيلة يوسف .  
 في طلبه بنيامين ، معنى « الميرة » ، معنى « البعير » ١٠٣٦ معنى « المتاع » -  
 ١٠٣٦ قلب المؤمن دليلاً أو اشتراط يعقوب على أولاده لارسال بنيامين معهم أن  
 يماهدوه على ارجاعه .

آ ( ٦٦ ) \* ... قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأقني به ، إلا  
 أن يحاط بكم ... فلما أتوه موثقهم ، قال : الله على ما نقول وكيل \* ١٠٣٩  
 الاحتياط والتحفظ لازمان بجانب المقدر ، وجوه سماح يعقوب بانقضاء  
 بنيامين مع اخوته ١٠٤٠ الحالف بالله حالف على حساب الله ، حس  
 يعقوب بما سيجري لأولاده قبل أوانه ، وجوب التعلم من دروس الماضي  
 ١٠٤١ معنى الاحاطة بالشيء ١٠٤٢ وعد رأوين ويهوذا لأبيها باعادة  
 بنيامين اليه .

١٠٤٣ نصح يعقوب لأولاده عند دخولهم مصر في المرة الثانية

آ ( ٦٧ ) \* ... وقال : يا بني ، لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من  
 أبواب متفرقة ، وما أغني عنكم من الله شيء ، إن الحكم إلا لله ، عليه  
 توكلت ، وعليه فليتوكل المتوكلون \* ١٠٤٤ استعداد أبناء يعقوب  
 الاخذ عشر للسفر ونصح أبيهم لهم ١٠٤٧ سر التوكيل ؛ وجوب الأخذ  
 بأسباب التحرز والحيطه مع التوكل ١٠٤٨ الأخذ بأسباب الحيطه والسلامة  
 فرض ديني ، أسباب نجاح الغربيين وتأخر الشرقيين هو موقف كل منهم  
 من القضاء والقدر ١٠٥٠ التوكل والآيات التي تحض على العمل الدنيوي  
 والأخروي ١٠٥٢ العين الشريرة وعادات الأمم في دفع أذاها ١٠٥٣

## الصحيفة والموضوع:

أبواب الدخول الى مصر ١٠٥٤ الحذر لا يعني من القدر ، هل للعبد إرادة واختيار ١٠٥٥ قول الخوارج : لا حكم إلا لله ١٠٥٦ نظام الطبيعة وأحكام سيرها تعين على حل مشكلة القدر .

١٠٥٦ الفصل الثالث — سفرة اخوة يوسف الثانية لمصر

آ ( ٦٨ ) \* ... ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ، ما كان يعني عنهم من الله من شيء ، إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها ؛ وإنه لذو علم لما علمناه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون \*

١٠٥٩ اجتماع شمل الشقيقين .

آ ( ٦٩ ) \* ولما دخلوا على يوسف ، آوى إليه أخاه ، قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون \* ١٠٦٠ إخوة يوسف الأحد عشر بين يدي يوسف ١٠٦٢ يوسف يعرف أخاه بنيامين به ويؤاويه إليه .

١٠٦٤ بدء المعركة بين يوسف واخوته — التسريق .

آ ( ٧٠ ) \* ... فلما جهزهم بجهازهم ، جعل السقاية في رحل أخيه ... ثم أذن مؤذن : أيتها العير ، إنكم لسارقون \* ١٠٦٥ المحادثة التي يظن أنها جرت بين يوسف وأخيه بنيامين قبل تسريقه ١٠٦٨ هل كانت العير حميراً أم لبلاً ١٠٧٠ المراد « بالمؤذن » ، بدء المعركة بين يوسف واخوته بايقاعهم في مأزق خرج مع أبيهم ١٠٧١ اتفاق يوسف مع بنيامين على تسريقه ، مبررات قبول بنيامين التسريق ١٠٧٣ الرد على من قال ان يوسف

قال لبنيامين أنا أخوك اخوة صداقة وحب ١٠٧٤ كيف جوز يو لنفسه أن يعمل على اخوته حيلة تسريق بنيامين ليأخذه بها ١٠٧٨ شبه

الصحيفة والموضوع :

حادثة يوسف هذه بمحادثتي العبد الصالح الذي خرق السفينة وقتل الغلام.

١٠٧٨ استفهام اخوة يوسف واستهجانهم نسبة السرقة اليهم .

آ (٧١) ﴿ قالوا : — وأقبلوا عليهم — ماذا تفقدون ؟! ﴾

١٠٧٩ الصواع المفقود .

آ (٧٢) ﴿ قالوا : نفقد صواع الملك ، ولمن جاء به حمل بعير ، وأنا

به ر

١٠٨٠ اخوة يوسف يردون التهمة .

آ (٧٣) ﴿ قالوا : تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض ، وما

كنا سارقين ﴾

١٠٨٢ استدراج الاخوة للحكم على نفسهم بنفسهم بجزاء سارق الصواع .

آ (٧٤) ﴿ قالوا : فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ﴾

١٠٨٣ الجزاء من جنس العمل .

آ (٧٥) ﴿ قالوا : جزاؤه من وجد في رحله ، فهو جزاؤه ، كذلك

نجزى الظالمين ... ﴾ ١٠٨٤ جزاء السارق في شريعة آل يعقوب أخذه

كعبد ١٠٨٥ اقامة الظاهر مقام المضمّر في قوله « جزاؤه » ، جزاء السارق

في شتى الشرائع ١٠٨٦ الاسترقاق في شتى الشرائع ، كيف جوز يوسف

لنفسه أن يجازي اخوته بشريعتهم .

١٠٨٨ الوقوع في الفخ أو ثبوت السرقة .

آ (٧٦) ﴿ ... فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ، ثم استخرجها من وعاء

أخيه ، — كذلك كدنا ليوسف ، ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ، إلا

## الصحيفة والموضوع :

ان يشاء الله ، نرفع درجات من نشاء ، وفوق كل ذي علم عليم ﴿ ١٠٨٩ ﴾  
 كيد يوسف لاختوته بوحي من الله عقاباً لهم في الدنيا ١٠٩١ كيد  
 يوسف يجوز أن يكون كيداً تكوينياً راجعاً للقضاء والقدر ، كيد  
 يوسف لاختوته كان حيث اقتضاه الحال بينه وبينهم أو حيث اختاره  
 لنفسه ١٠٩٢ ﴿ لَمْ يَلْمُ سَرَقَ ﴾ يوسف أحد اخوته غير بنيامين ١٠٩٣ يوسف  
 يحتال على اخوته بالحسنى لشعوره بالضعف نحوهم ، أين جرى تفتيش  
 الأوعية ١٠٩٥ تذكير ضمير « الصواع » وتأنيثه ، كيف جاز ليوسف أن  
 يعمل هذه الحيلة على اخوته ، الرأي واتباع المصلحة مصدر من مصادر  
 الشريعة ١٠٩٦ علم الله فوق كل علم في الكيف والكم ١٠٩٧ علم الله فوق  
 كل علم توصل ويتوصل اليه الانسان ١٠٩٨ كيف رضي بنيامين بتطبيق  
 حيلة اخيه يوسف عليه ، ماهية الكيد في هذه الحادثة وأنواعه ١١٠٠  
 معاني « الدين » ١١٠١ جزاء السارق في حادثة بنيامين كان حسب شريعة ابراهيم  
 ١١٠٢ الدرجات وأنواعها واطلاقها ١١٠٣ رفع الله درجات من يشاء من  
 عباده لا يتاني ما وهبه لهم من الاختيار والاستقلال ١١٠٥ جواز كون  
 ما عمله يوسف عقاباً لاختوته في الدنيا كان موحي به من الله تعالى .

١١٠٦ الطعن بيوسف وشقيقه :

آ ( ٨٧ ) ﴿ ... قالوا : « إن يسرف فقد سرق أخ له من قبل » فأسرهما  
 يوسف في نفسه ، ولم يبدها لهم ، قال : « أنتم شر مكاناً ، والله أعلم بما  
 تصفون » ﴿ ١١٠٧ ﴾ اتهام يوسف بالسرقة وحقيقة هذه السرقة ١١١٠  
 إعراض يوسف عن اللغو ١١١١ تذكير الاخوة ليوسف بالسوء ، ظن

الصحيفة والموضوع :

الاخوة بأن بنيامين بريء من السرقة ، ثبات الاخوة على كره يوسف  
١١١٣ اختصار الاخوة الطعن بيوسف ١١١٣ أوجه احتمال قوله  
« فأسرها... » ، مثال لحم يوسف .

١١١٥ استعطاف الاخوة :

آ ( ٧٨ ) \* ... قالوا : يا أيها العزيز ، إن له أباً شيخاً كبيراً ، فخذ أحدنا  
مكانه ، إنا نراك من المحسنين \* ١١١٦ استعطاف الاخوة ليوسف باطلاق  
سراح بنيامين وأخذ واحد منهم عوضاً عنه ١١١٧ أي الاخوة قام  
بالاستعطاف ، طلب الاخوة ترك الجاني وأخذ البريء .

١١١٨ يوسف يرد استعطاف اخوته ويصر على أخذ سارق الصواع .

آ ( ٧٩ ) \* قال : معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ، إنا إذا  
لظالمون \* ١١١٩ رفض يوسف ترك بنيامين أو أخذ غيره من الاخوة  
١١٢٠ يوسف بين عاملي فرح وكدر ١١٢١ لا محاباة في أحكام الشرع ،  
لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ، يوسف يصر على تنفيذ الحكم الذي نطق به  
اخوته ١١٢٢ تكرار جملة « معاذ الله » في القرآن ، ظاهر قوله « إنا إذا  
لظالمون » وباطنه ١١٢٣ التورية في قوله « متاعنا » ١١٢٤ برقيتا شفرة من  
يوسف لأبيه .

١١٢٤ اليأس والمفاوضة والمناجاة .

آ ( ٨٠ ) \* فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً ..؟ قال كبيرهم : ألم تعلموا  
أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ، ومن قبل ما فرطتم في يوسف ،  
فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي ، أو بحكم الله لي ، وهو خير الحاكمين \*

الصحيفة والموضوع :

١١٢٧ يأس الاخوة من تخليص بنيامين وتفاوضهم وأقوال أخيهم الاكبر  
١١٢٩ معنى « النجى » ١١٣٠ مجلس شورى الاخوة ١١٣١ إقرار الاخوة  
على التفريط بيوسف سابقاً ، تعريض رأوين باخوته بعدم اشتراكه في  
التفريط بيوسف سابقاً .

١١٣٢ نتيجة المفاوضة .

آ ( ٨١ ) \* ارجعوا الى آيبيكم ، فقولوا : يا أبانا ، إن ابنك سرق ، وما  
شهدنا إلا بما علمنا ، وما كنا للغيب حافظين \* ١١٣٣ جهل البشر وفهم  
الانبياء بالغيب ، اقامة الحججة على النصارى بعدم الوهية المسيح .

١١٣٥ شهود الحال على جريمة التسريق .

آ ( ٨٢ ) \* وأسأل القرية التي كنا فيها ، والمير التي اقبلنا فيها ، وإنا  
لصادقون \* ١١٣٦ التحقيق من القرية والمير ، المراد من القرية أهلها  
١١٣٧ حال يعقوب وأسرته أنثذ .

١١٣٨ تكذيب فصبر فترجى .

آ ( ٨٣ ) \* ... قال : بل سولت لكم أنفسكم أمراً ، فصبر جميل ، عسى  
الله أن يأتيني بهم جميعاً ، إنه هو العليم الحكيم \* ١١٣٩ حال يعقوب  
عندما بلغه نبأ تلصص واستعباد بنيامين ١١٤١ هاتف من يعقوب ١١٤٢  
الايجار والحذف في القرآن ١١٤٣ استغشاش يعقوب لاولاده في نبأ  
بنيامين ، يعقوب بين الابتسام والانسجام ، تشكك يعقوب في حادثتي يوسف  
وبنيامين ١١٤٤ صبر يعقوب ، موقف يعقوب واحد في حالتي كذب  
وصدق اولاده ، خوف يعقوب من اولاده .



## الصحيفة والموضوع :

١١٤٥ دمة على يوسف .

آ ( ٨٤ ) ﴿ وتولى عنهم ، وقال : يا أسفا على يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن ، فهو كظيم ﴾ ١١٤٦ تجديد حزن يعقوب ١١٤٨ أخلاق يعقوب .  
والنبيين عليهم السلام ١١٤٩ لماذا اختص يعقوب ولده يوسف بالحزن  
١١٥٠ تكرار أسف يعقوب على ابنه يوسف ١١٥١ الحاجة التي في نفس  
يعقوب ١١٥٢ انما الصبر عند الصدمة الاولى ، جرح على جرح ١١٥٣  
أوجه أسف وحزن يعقوب على يوسف ، المراد من العين في قوله « وابيضت  
عيناه » ١١٥٤ معنى الكظيم ، مقابلة بين حزن يعقوب وحزن ارميا ١١٥٥  
سبب اقتصار أسف يعقوب على يوسف ، الرسل بشر يعترهم ما يعترى .  
البشر ١١٥٦ لفظة « يا أسفا » مسجلة الى يعقوب فقط في القرآن ، التجانس .  
بين لفظي « الاسف » و « يوسف » ١١٥٧ الرد على من يقول إن حب  
يعقوب لابنه يوسف لا يليق الا بمن كان غافلاً عن الله ١١٥٨ ايضاض .  
العينين امتلائها بالدمع من أثر الحزن ١١٦٠ تفسير ايضاض العينين .  
بمعناه المجازي .

١١٦١ اشفاق ونصح

آ ( ٨٥ ) ﴿ قالوا : تالله تفتأ تذكر يوسف ، حتى تكون حرضاً أو تكون  
من الهالكين ﴾ ١١٦٢ أبناء يعقوب يحاولون تهوين الخطب على أبيهم  
وتسرية همومه وأحزانه مع شيء من اللوم ١١٦٤ « تالله » كلمة صحيحة .  
اريد بها باطل ، الحرض ومرادفاته . استعمال كلمة الهلاك للمسلم  
والكافر سواء .

الصحيفة والموضوع :

١١٦٥. ابن الشجوي من الخلي

آ ( ٨٦ ) ﴿ قال: إنما أشكو بثي وحزني الى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾  
 ١١٦٦ يعقوب يرد لابنائهم نصيحتهم له ولومهم إياه على حزنه على يوسف  
 ١١٦٩ جواز ابتلاء صاحب الحق بالمصائب والرزايا وصاحب الباطل بالنعم  
 والعطايا ١١٧٠ الحكمة من منع علم الغيب عن الناس وإطلاع الانبياء على  
 شيء منه ١١٧٢ وجوب الوقوف عند النصوص القطعية فيما يتعلق بعلم الغيب  
 ١١٧٣ طرق نقل العلم

١١٧٤: العودة الى مصر للتحسس

آ ( ٨٧ ) ﴿ يا بني ، اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ، ولا تيأسوا  
 من روح الله ، إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ ١١٧٥  
 يعقوب يطلب من أولاده العودة لمصر للامتيار ظاهراً والتحسس من يوسف  
 وأخيه باطناً ١١٧٧ يعقوب يطلب من أولاده التحسس من يوسف وبنيامين  
 ثم جلب الميرة ، معنى التحسس ١١٧٨ روح الله وأن اليأس منها كفر ،  
 معنى الكفر والكافرين وإطلاقه على غمط النعمة ١١٨٠ إطلاق الكفر على  
 المعصية الكبيرة ١١٨١ إطلاق الكفر على الضلال ، إطلاق الكفر على ترك  
 بعض أركان الاسلام ١١٨٢ الكفر في عرف القرآن الكريم .

١١٨٣: الفصل الرابع — سفرة اخوة يوسف الثالثة لمصر .

آ ( ٨٨ ) ﴿ ... فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أيها العزيز ، مسنا وأهلنا الضر  
 وجئنا ببضاعة مزجاة ، فأوف لنا الكيل ، وتصدق علينا ، إن الله يجزي  
 المتصدقين ﴾ ١١٨٤ دخول أبناء يعقوب على العزيز « يوسف » للمرة  
 الثالثة وتذللهم له في طلب الميرة ١١٨٦ مراحل الخطاب أو « الاستدعاء »

## الصحيفة والموضوع :

مقايسة بين العبرانيين والعرب في الهمة ١١٨٧ البضاعة وطرق المبادلة بها  
١١٨٨ اخوة يوسف يثبتون له جزاء على صدقته ١١٨٩ جزاء المتصدقين  
في الدنيا والآخرة ١١٩٠ ذلة الاخوة مع الأجنبي « العزيز » وعظمتهم  
مع أبيهم وأخيه ، خضوع البشر لحكم الغريب .

١١٩٦ عتاب وتذكير

آ ( ٨٩ ) \* ... قال : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون \*  
١١٩٢ عتاب يوسف لآخوته وتذكيرهم بالتوبة ١١٩٤ يوسف يشفق  
على إخوته ويتنصح لهم ، العلم بالقبح يدعو الى الاستقباح وهذا يجر الى  
التوبة ١١٩٥ درجات المماتية وموقع كلام يوسف منها ، صدق الخبير  
الخبير ١١٩٦ أدب الأخوة في طلبهم ومقابلة يوسف لهم بذلك وعدم  
حقده عليهم ١١٩٧ أسباب عدم ذكر يوسف أباه في هذا المقام ١٢٠١  
تضمن يوسف عتابه لآخوته الاعتذار عنهم بالجهل تمحلة لهم ، سلوك  
يوسف مسلكاً وسطاً في أعماله وأقواله ، ١٢٠٤ عمل الاخوة مع بنيامين  
لم يكن مباشرة بل بسبب عملهم مع يوسف ، معنى الجهل والجاهلين .

١٢٠٥ اظهار يوسف نفسه لآخوته

آ ( ٩٠ ) \* قالوا : أئنك لأنت يوسف ؟ قال : أنا يوسف ، وهذا أخي  
قد من الله علينا ، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين \*  
١٢٠٦ استعراف يوسف لآخوته بنفسه وبأخيه وتعريضه بهم ١٢٠٨  
التعريض في الكلام ، التعريض في سورة يوسف ١٢٠٩ المحسن ، إحسان  
يوسف ١٢١٠ نتيجة كيد اخوة يوسف له ١٢١١ سبب ذكر يوسف  
أخاه بنيامين مقروناً باسمه دون سؤال منهم ١٢١٢ يوسف نال حظوة

الصحيقة والموضوع :

١٢١٤ بإخيه بحواسه الخمس ، التنكيت للتصريح بكلمة « وهذا أخي » ،  
الجزاء يكون في الدنيا والآخرة .

١٢١٩ اعتراف الاخوة بالخطيئة

آ ( ٩١ ) ﴿ قالوا : تالله لقد آثرك الله علينا ، وإن كنا لخاطئين ﴾ ١٢٢٠  
اعتراف اخوة يوسف بخطيئتهم ثم تفضيلهم له عليهم ١٢٢٢ وجوب  
الاعتراف بالاساءة ثم طلب الغفران ١٢٢٣ مقابلة بين خاتمة يوسف وبين  
ما ذكره الانجيل من خاتمة بطرس تلميذ المسيح ١٢٢٥ الفرق بين لفظي  
الخاطيء والخاطيء واخوة يوسف كانوا خاطئين وليسوا مخطئين ،  
آيتا الاستغفار ١٢٢٦ عدم تماذي الاخوة في افكار المحسوس ،  
الحي الميت ١٢٢٧ توبة اخوة يوسف وتوبة امرأة العزيز ١٢٢٨ مقابلة  
بين أقوال اخوة يوسف السابقة وأقوالهم الحالية ١٢٣٠ مقابلة بين تفكير  
الاخوة سابقاً وتفكيرهم الآن .

١٢٣١ شفيع المذنب اقراره أو المصالحة والمغفرة

آ ( ٩٢ ) ﴿ قال : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم  
الراحمين ﴾ ١٢٣٢ يوسف يعفو عن إخوته ويطلب لهم المغفرة ١٢٣٤  
معنى « التريب » ١٢٣٥ متعلق كلمة « اليوم » ١٢٣٦ المشابهون ليوسف  
في عمله الاخير مع اخوته ١٢٣٧ الحكمة في مبادرة يوسف بالاستغفار  
لاخوته بخلاف أبيهم ١٢٣٩ العفو أشد أنواع الانتقام ١٢٤٠ أرحم  
الراحمين ، المدول عن الانتقام الى الغفران فصيلة ١٢٤١ غفران الاساءة  
واحب ١٢٤٢ من تاب غفر الله له ، ماهو الجزاء الذي وقع على اخوة  
يوسف حتى غفر الله لهم ١٢٤٤ المغفرة والعفو والفرق بينهما ، ١٢٤٥

## الصحيفة والموضوع :

المغفرة في التلمود والانجيل ، العبارة بالخواتيم ١٣٤٦ فصول حوادث الحياة وتطبيقها على يوسف ، الطريقة المثلى في المساحة ١٢٤٧ اسباغ التعمه على اخوة يوسف

## ١٢٤٨ قميص البشارة

آ (٩٣) \* ... اذهبوا بقميصي هذا ، فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً ، واثتوني بأهلكم أجمعين \* ، تحقيق عما هو هذا القميص وعن كلمة بصير ، القميص هو كسوة رسمية ١٢٥٠ « البصير » هو العالم علماً قلبياً ١٢٥٢ يعقوب بصير عالماً علماً قلبياً بحال ابنه يوسف ١٢٥٤ تفسير « يأت بصيراً » يجيء مبصراً بعينه ١٢٥٥ تأويل القميص بالرتبة العالية ١٢٥٦ انتقاد تأويل القميص بالرتبة العالية والرد عليه ١٢٥٨ تفسير « القميص واللقاء والوجه » بأمر معنوي من باب الاستعارة وترشيحاتها ١٢٦٣ تطبيق الاستمارة وترشيحاتها على قوله : اذهبوا بقميصي هذا .. الخ ١٢٦٥ تفسير الآية بتطبيق الاستمارة وترشيحاتها عليها ١٢٦٨ تفاوت فهم العلماء في دلالة النصوص الاضافية ١٢٧٤ رد تفسير كلمة « بصير » ببصر « ضد الأعمى » ١٢٧٥ أشياء فوق الطبيعة في سورة يوسف ١٢٧٧ عظمة يوسف بتوخي المنفعة لأهله ولو بمد ما أهانوه ١٢٧٨ لزوم استخدام المال والمنصب والجاه في منفعة ذوي الرحم ١٢٧٩ أوصاف المؤمنين الاربعة تمت ليوسف ١٢٨٠ حال اخوة يوسف عند مفارقتهم له لجلب أهلهم لمصر ، نتيجة رحلة بني اسرائيل لمصر ١٢٨١ الارهاص والمعجزة ، عطايا يوسف لاختوته عند ذهابهم لجلب أهلهم

## ١٢٨٢ عودة القافلة بالبشارة

آ (٩٤) \* ... ولما فصلت العير ، قال أبوم : إني لأجد ريح يوسف !!

## الصحيفة والموضوع :

لولا أن تفندون .. ❖ ١٢٨٣ تخيل يعقوب رائحة يوسف مع النسيم ١٢٨٤  
تنسم يعقوب ريح يوسف عابرة من قميصه الكتان ١٢٨٦ حس يعقوب  
رائحة يوسف بالشم ، تحسس يعقوب برائحة يوسف تحسناً معنوياً ١٢٨٧  
اقتباس يعقوب ريح يوسف بدون وساطة الحواس ١٢٨٨ ادراك يعقوب  
رائحة يوسف إلهاماً بقلبه ١٢٩٠ جواز ادراك يعقوب رائحة يوسف  
كما يدرك المنوّم تنوياً مغناطيسياً الاشياء ١٢٩١ شواهد على  
ادراك الرائحة بالالهام القليبي ١٢٩٥ انتقال رائحة يوسف ليعقوب مع  
الريح ١٢٩٦ اعتبار ريح يوسف استعارة ممكنة مرشحة .

١٢٩٨ الأحفاد ينتقدون جدم

آ (٩٥) ❖ قالوا : تالله إنك لفي ضلالك القديم !! ❖ ١٢٩٩ عدم الرد على  
السفيه أوجب لامتهانه من الرد عليه ١٣٠٠ أحفاد يعقوب .

١٣٠١ البشارة

آ (٩٦) ❖ ... فلما أن جاء البشير ، ألقاه على وجهه فارتد بصيراً !! قال :  
ألم أقل لكم : لاني أعلم من الله مالا تعلمون ؟ ! ❖ ١٣٠٣ وصول البشير  
والقاؤه القميص على وجه يعقوب ١٣٠٤ خصائص قميص البشارة ورد  
بصر يعقوب ١٣٠٦ تصديق قول يوسف في أبيه وتصديق قول أبيه فيه  
١٣٠٧ العلم بقر ما كان معتبراً من المعجزات قديماً فلم لا يقر ارتداد بصر  
يعقوب بالقاء القميص عليه

١٣٠٨ طلب الاستغفار

آ (٩٧) ❖ — قالوا : يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا ، إنا كنا خاطئين ❖ ١٣٠٩  
أبناء يعقوب يطلبون من أبيهم أن يستغفر لهم ذنوبهم ١٣١٠ الشفاعة

## الصحيفة والموضوع :

وأنواعها وحكمها ١٣١١ سبب طلب الاخوة الاستغفار من أبيهم ولم يطلبوه -  
من أخيه ١٣١٢ مذهب السلف والطوائف الاسلامية الأخرى في النجاة -  
والإيمان ، تعليل قوله « ذنوبنا » بصيغة الجمع ١٣١٣ لما لم يستغفروا  
لأنفسهم بأنفسهم

١٣١٥ تسوية الاستغفار

آ (٩٨) \* - قال : سوف أستغفر لكم ربي ، إنه هو الغفور الرحيم \*  
١٣١٦ أسباب تسوية يعقوب الاستغفار لأولاده ١٣١٨ هل وفي  
يعقوب بوعدده لأولاده بالاستغفار لهم ، هجرتا يعقوب ١٣١٩ هجرة  
الأنبياء ، مخلفات سلالة ابراهيم في أرض الميعاد بعد جلائتها عنها لمصر

١٣٢٠ الفصل الخامس - السفرة الرابعة والاخيرة لمصر - يوم اللقاء .

آ (٩٩) \* ... فلما دخلوا على يوسف ، آوى اليه أبويه ، وقال : ادخلوا  
مصر « إن شاء الله » آمين \* ١٣٢١ سفرة يعقوب واسرته لمصر ،  
وداع يعقوب لفلسطين ، لقاء الشتيتين ١٣٢٣ حال يعقوب عند رؤيته  
ليوسف ، مبدأ التاريخ العبراني ١٣٢٤ من هي أم يوسف التي آواها اليه ١٣٢٥  
يعقوب يرحل عن أرض الميعاد لمصر حياً بولده يوسف ، كيف قابل يوسف أبويه  
عند دخولها عليه وكيف عاملها .

١٣٢٦ خطبة الوثام والسلام .

آ (١٠٠) \* ... ورفع أبويه على العرش ، وخرّوا له سجداً ، وقال :  
يا أبت ، هذا تأويل رؤياي من قبل ، قد جعلها ربي حقاً ، وقد أحسن بي .  
إذ أخرجني من السجن ، وجاء بكم من البدو ، من بعد أن نزع الشيطان

## ، الصحيفة والموضوع :

بيني وبين إخوتي ، إن ربي لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم \*  
 ١٣٢٧ مصداق رؤيا يوسف الثانية ١٣٣١ اختصار يوسف القول في  
 جلسة الاتهام وتبسطه فيه في جلسة السلام ١٣٣٢ مصداق قول يوسف  
 ومصداق قول أبيه ١٣٣٣ الاحسان يتعدى بالباء وباءلى ١٣٣٤ معنى  
 « البدو » ١٣٣٥ معنى « النزغ » والرد على القول بأن اختلاف الامة رحمة  
 ١٣٣٦ توجيه النزغ للشيطان ، أدب يوسف في التعبير وامثلة من أدب  
 تعابير القرآن ١٣٣٧ معنى استحياء النساء في قوله « يستحيون نساءكم »  
 ١٣٤٠ عدم ممانعة الدين الاسلامي التمتع بحياة المدن الاجتماعية ١٣٤١  
 نوال يعقوب شرفاً دنيوياً مع الشرف الديني ، مقابلة بين معاملة يوسف  
 لأبويه ومعاملة المسيح (ع) — حسب رأي الانجيل — لامه ١٣٤٣  
 ذكريات يعقوب ويوسف واخوته بعدما ألقى يوسف خطاب الوئام  
 ١٣٤٤ معنى السجود والخروج وحكمهما في الدين ١٣٤٦ البدو  
 وسكنام وشهادتهم .

١٣٤٧٠ حسن الختام .

آ ( ١٠١ ) ﴿ رب ! قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الأحاديث ،  
 فاطر السموات والارض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفي مسلماً ،  
 والحقني بالصالحين ﴾ ١٣٤٨ تحدث يوسف بنعمة الله وترجيه أن تكون  
 خاتمة حياته حسنة ١٣٤٩ أنواع الادعية في القرآن ١٣٥٢ طفرات حياة  
 يوسف عليه السلام ، إيتاء الملك الشرعي وغير الشرعي ١٣٥٣ الرد على  
 من يقول ان يوسف استقل بالملك ١٣٥٤ الانبياء الذين آتاهم الله الملك  
 والنبوة معاً ١٣٥٥ تحليل عدم ذكر يوسف النبوة في قوله « رب قد



## الصحيفة والموضوع :

آتيتي ... الخ ١٣٥٦ الاحاديث التي علم الله يوسف تأويلها ١٣٥٧ الولي  
 وأنواع الولاية ١٣٥٩ درجات الولاية ، الآخرة في كتب اليهود والنصارى  
 ١٣٦٠ الاسلام دين جميع الرسل ١٣٦٢ دعاء يوسف باماتته مسلماً ١٣٦٣  
 مبلغ ما أوتييه يوسف من الملك ١٣٦٤ الاسلام والجاهلية لغة ١٣٦٥ حال  
 يوسف اثناء وبعد حفلة الختام ، وفاة يوسف ويعقوب ومدفنها ١٣٦٦  
 نهاية اخوة يوسف ١٣٦٧ نهاية بني اسرائيل ومملكته .

١٣٦٨ الباب الخامس .

الفصل الاول .

خاتمة الشيء المقصود الذي انعقدت له السورة أو الاستدلال على نبوة  
 محمد ﷺ .

آ ( ١٠٢ ) ﴿ ذلك من أنباء الغيب ، فوحيه اليك ، وما كنت لديهم إذ  
 أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ ١٣٧٠ الرد على دعوى الكفرة بأن  
 الرسول ﷺ قد تلقى العلم من الناس قبل النبوة ١٣٧٣ الرد على دعوى  
 الكفرة بأن الرسول ﷺ قد تلقى العلم من الناس بعد النبوة ١٣٧٤ الرد  
 على دعوى البروتستانت بأن الرسول ﷺ كان يتصيد المسائل من نصارى  
 العرب ويهودها ١٣٧٥ أساس تسرب الغش لأذهان مفسري القرآن وعصمة  
 النبي ﷺ من ذلك ١٣٧٦ بعض معجزات القرآن الدالة على أنه وحي من  
 الله ١٣٧٨ الاستدلال على نبوة محمد ﷺ هنا كان عرضاً وليس قصداً  
 لذاته ١٣٧٩ هل سكن اليهود والنصارى مكة أيام النبي ﷺ ١٣٨٠ تكرر  
 المعنى الذي حوته هذه الآية في آيات اخرى ، المكر الثابت والمكر المقدر  
 بقدر العمل المرافق له ١٣٨١ من عادة القرآن المجيد ذكر « التوحيد » في

## الصحيفة والموضوع :

كل مناسبة ١٣٨٢ طـرق تبليغ كلام البشر وطريقة تبليغ كلام الله للملائكة والانبيااء .

١٣٨٤ طبيعة اكثر الناس عدم الايمان .

آ ( ١٠٣ ) \* وما اكثر الناس ، ولو حرصت ، بمؤمنين \* ١٣٨٥ تأسى الناصحين برسول الله ﷺ عند عدم افادة ارشادهم للناس ، المؤمنون أقل من الكافرين .

١٣٨٦ اخلاص النبي ﷺ في دعوته .

آ ( ١٠٤ ) \* وما تسألهم عليه من أجر ، إن هو إلا ذكر للعالمين \* ١٣٨٧ تكرر الدعوة غير المأجورة في القرآن ١٣٨٨ الاخلاص في الدعوة من مستلزمات نجاحها ١٣٨٩ معنى «العالمين» .

١٣٨٩ الفصل الثاني — تقرير العاقلين عن التفكير في آيات الله .

آ ( ١٠٥ ) \* وكأي من آية في السموات والارض ، يرون عليها ، وهم عنها معرضون \* ١٣٩٠ تقرير الناس المعرضين عن النظر في الآيات الكونية الدالة على توحيد الاله ١٣٩١ تقرير أهل مكة خاصة والناس عامة لتعطيل أبصارهم وبصائرهم عما في الوجود من آيات ، النوع العتيق والنوع الجديد من آيات الله ١٣٩٦ ضرورة الاستدلال والتفكر في آيات الكون .

١٣٩٧ التوحيد في الربوبية والاشراك في الالوهية .

آ ( ١٠٦ ) \* وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون \* ١٣٩٨ متى يعبر القرآن بلفظ « الأكثر ، و « الكثير » ١٣٩٩ القرآن يبين ما عليه

## الصحيفة والموضوع :

الأمم من عقائد وأخلاق وأعمال ، كثير من مسلمي اليوم هوحدون في الربوبية مشركون في الألوهية ١٤٠١ كثير من الآيات التي نزلت في غير المسلمين تصدق اليوم على أكثرية المسلمين ، أنواع الشرك ومظاهرها في الأعمال والأقوال ١٤٠٤ الفرق بين الجاحد لوجود الله وبين المشرك ١٤٠٥ تشابه أكثر مسلمي اليوم في الشرك مع أهل مكة في زمن الجاهلية ، الأصل في دعوة المسيح وموسى عليها السلام التوحيد المطلق ١٤٠٦ الاعتقاد بقدره الأولياء والصالحين والتوسل بذواتهم شرك بالله ١٤٠٧ فضل الله على عباده وأقسامه ١٤٠٨ تحريم سوال الأولياء ذوي الأضرحة شيئاً مادياً أو معنوياً ١٤٠٩ التوسل بجاه الأنبياء والأولياء ١٤١٠ الرد على من احتج بحديث رواه الترمذي بجواز التوسل إلى الله بغيره ١٤١١ واجب الوجود واحد ومستحق العبادة واحد وهو الله تعالى ١٤١٢ ماهو المراد بمثقال حبة من خردل من الإيمان في حديث البخاري ١٤١٣ المطل المنكر لوجود الله تعالى شر من الشرك ، حكم تلوث الجاهلين من مسلمي اليوم بشرك الألوهية ، شرك النصاري في الربوبية والألوهية ١٤١٤ الطوائف المنسلخة عن الإسلام بسبب شركها بالله أو بالتشريع ، المشرك من يدعو الأصنام أو من يدعو الصالحين .

١٤١٥ انذار المشركين بالله .

آ ( ١٠٧ ) \* ... أفامنوا أن تأتيهم عاصية من عذاب الله ، أو تأتيهم الساعة بفتة ، وهم لا يشعرون ؟ \* ١٤١٦ الساعة الصغرى الدنيوية وأمثلة عليها ١٤١٨ الساعة الصغرى الدنيوية والساعة الكبرى الآخروية ١٤١٩ الحشر الدنيوي ١٤٢٠ النشر والحساب الدنيويان ١٤٢١ الحساب العام الآخروي ، الصراط والعذاب والعقاب والأجر والثواب الدنيويات ١٤٢٢ الميعاد

## الصحيفة والموضوع :

الدينوي ١٤٢٣ البعث الدينوي ، الآخرة والجزاء الدينويان ١٤٢٤ الحياة  
بعد الموت في الدنيا .

## ١٤٢٥ الفصل الثالث : الدعوة الى الايمان بالدليل .

آ ( ١٠٨ ) ﴿ قل : هذه سبيلي ، أدعوا الى الله على بصيرة ، أنا ومن اتبعني ،  
وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ ١٤٢٦ التقليد في الدين باطل ، النبي  
والمؤمنون كانوا على بصيرة من الدعوة للايمان ١٤٢٨ دعوة النبي ﷺ  
للتوحيد كانت بالحجج العقلية ١٤٢٩ اكثر دعاة اهل اليوم هم على غير  
بصيرة ، دعوة النبي ﷺ وبعثته كانتا عامتين ١٤٣٠ الدعوة والدعاء  
والادعاء والدعوى ١٤٣١ الدين الاسلامي قام بالحجة لا بالسيف والقوة  
١٤٣٣ الاسلام لا يضطهد الناس لعقيدتهم - وبيان حديث ( من بدل دينه  
فاقتلوه ) ، منع النبي ﷺ بعض المسلمين من اكرام اولادهم المتهودين على  
الاسلام ١٤٣٥ مرتبنا الدعوة الى التوحيد ١٤٣٦ الدعوة الى توحيد الله  
بالعقل والدليل ١٤٣٧ علينا أن تتأسى برسول الله في الدعوة اليوم .

## ١٤٣٨ الفصل الرابع : قياس حاضر محمد ﷺ على ماضي الانبياء .

آ ( ١٠٩ ) ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً ، نوحى اليهم ، من أهل  
القرى ، أفلم يسيروا في الارض ، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من  
قبلهم ؟ ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ، أفلا تعقلون ؟ ﴾ ١٤٣٩ تطبيق  
القول على الواقع ١٤٤٠ الحث على السياحة المفيدة والاحسان الى السائح ،  
أهل القرى وأهل البوادي والأعراب ١٤٤١ الاستدلال بالقياس

الصحيفة والموضوع :

الاستقرائي على صحة الدعوة ١٤٤٢ الانبياء رجال كباقي الرجال امتازوا  
عنهم بالوحي .

١٤٤٤ تطمين محمد ﷺ بالنصر .

آ ( ١١٠ ) \* ... حتى اذا استياس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ،  
جاءهم نصرنا ، فنجي من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين \*  
١٤٤٥ الله سبحانه وتعالى يطمئن محمداً ﷺ بأنه ناصره في دعوته ١٤٤٦  
تخريج كلمة « كذبوا » بتشديد الذاال وتخفيفها .

١٤٤٧ الفصل الخامس والاخير — العبرة من قصص الرسل مع أقوامهم .

آ ( ١١١ ) \* لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثاً  
يفتري ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى  
ورحمة لقوم يؤمنون \* ١٤٤٨ محمد ﷺ مؤسس امة وامبراطورية وديانة  
١٤٤٩ الغاية من قصص القرآن ، الغاية من ذكر الأنبياء وقصصهم في  
القرآن ١٤٥١ ليس في القران تاريخ بل عبر وعظات ١٤٥٤ قصص  
القرآن يعلم التوحيد والعلم والاخلاق ، لا قائد من درس التاريخ ان عدل  
به عن العبرة ١٤٥٥ قصة يوسف تسوق المتعظ بها الى السعادة ١٤٥٦ إن  
أكرمكم عند الله أتقاكم ١٤٥٧ ليس القران مخترعاً ولا مفترى وليس فيه  
خرافات وأساطير ١٤٥٨ القرآن مصدق لما قبله من أمور التوحيد ١٤٥٩  
القرآن مصدق لما قبله من اصول الدين ، القرآن مصدق لما قبله من كتب  
التوحيد ١٤٦٠ القرآن مصدق لدين اليهود والنصارى الأصليين ، القرآن

الصحيفة والموضوع :

مصدق للكتب السماوية الاصلية ١٤٦١ شواهد من التوراة الحالية على ان  
فيها زيادة ١٤٦٣ التوراة الحالية كتبت بعد السبي ١٤٦٤ الرد على القول  
بأن « عزرا » الكاتب هو الذي كتب التوراه الحالية ١٤٦٥ القرآن يذكر  
كل شيء مهم من امور الدين ١٤٦٦ القرآن هدى ورحمة وشفاء وموعظة  
١٤٦٨ القرآن هدى ورحمة لمن يتفهمه ١٤٦٩ الهدى هو الدعوة والدلالة  
والبيان ، كلمة الختام .

## فهرس الآيات والمواضيع التي للمؤف فيها وأي أو فهم خاص في الجزء الثاني

### الصحيفة والموضوع :

٧٧٨ التمز من قناة الفتيين وأدب الأنبياء في الخطاب ٧٨٤ واجب الواعظ  
نحو الموعوظين وامثلة من القرآن ٨٠٢ سبب اقتصار يوسف (ع) على دعوة  
صاحبي السجن الى التوحيد فقط ٨١٦ وجوب علم امور الدين علماً استقلالياً  
استدلالياً ٨٤١ نسيان الفتى التاجي ذكر يوسف للملك وأسبابه ٨٩٦ الرؤيا على  
عبرت اولاً ٩٠٢ حجر أصاب صيدين ٩٢٠ داعي اندفاع « زليخا » للاعتراف بفعلتها  
والدفاع عن شرف يوسف ٩٢٥ نسبة القول في قوله « ذلك ليعلم.. الخ » الى زليخا  
وليس الى يوسف ٩٤١ عدد جيئات الرسول السجين للسجن ١٠٠٩ محاولة يوسف  
(ع) رجوع اخوته بينامين عن طريق الترغيب والتجيب ١٠١٠ معنى الايفاء ووجه  
امتنان يوسف على اخوته ١٠١٩ كيف جاز ليوسف التصرف باموال الخزينة  
المصرية ١٠٢١ لماذا لم يخبر يوسف اخوته بجلية الواقع في سفرتهم الاولى ١٠٤٠  
الحالف بالله حالف على حساب الله ١٠٥٧ « الحاجة » التي في نفس يعقوب (ع)  
١١٨٧ البضاعة وطرق المبادلة بها ١٣٤٢ ماهو الجزاء الذي وقع على اخوة يوسف  
حتى غفر الله لهم ١٢٥٠ البصير هو العالم علماً قلبياً . ١٢٥٨ تفسير « القميص  
والالقاء والوجه » بامر معنوى من باب الاستعارة وترشيحاتها ١٢٩٦ اعتبار ربح  
يوسف استعارة مكنية مرشحة ١٣٢٥ كيف قابل يوسف ابويه عند دخولها  
عليه وكيف عاملها ١٣٦٤ الاسلام والجاهلية لغة .

## جدول الأخطاء المطبعية وتصويبها في هذا الجزء ( الثاني )

صحيفة	سطر	الخطأ	التصويب
٧٤٣	١٣	ولو	لو
٧٤٦	٤	الفرصة	الفرجة
٧٥٢	٨	والعقل	والفعل
٧٥٣	٢٣	العظيمة	العظمية
٧٥٥	١٤	لشركهم	بشركهم
٧٥٥	١٥	قض ٦ : ٦٥	قض ٦ : ٢٥
٧٥٥	٢٣	حيدون	صيدون
٧٥٦	١٥	تراقيم	ترافيم
٧٥٦	٢٤	ونبوا	وبنوا
٧٦١	٤	وملحاؤهم	وصلحاؤهم
٧٦٣	١٥	أذربيجان	أذربيجان
٧٦٤	١٥	الغَيْبُ	الغيبِ
٧٦٨	٧	( ٢٧٦ : ٢ )	( ١٧٦ : ٢ )
٧٧٥	١١	وعشية	وعشيه
٧٧٥	١٣	نِعْمَتِي	نِعْمَتِي
٧٨٤	١٧	عليها كثيرة	عليها في مواضع كثيرة
٧٨٥	٧	تَلْبِسُونَ	تَلْبَسُونَ
٧٨٥	٩	مُصِدِّقًا	مُصَدِّقًا
٧٨٥	١٥	يا أيها آمنوا	يا أيها الذين آمنوا
٧٨٨	٤	حيان	حيان
٧٩١	١٧	منه ، أو ما شاءوا	منه ، أو منشقان منه ، أو ما شاءوا



تابع جدول الاخطاء المطبعية وتصويبها في الجزء الثاني

التصويب	الخطأ	سطر	صحيفة
أخرجاه	أخرجناه	١٤	٧٩٢
مترات	مثرات	١٩	٧٩٤
مترات	متراث	٢٠	٧٩٤
اورمية	اوزمية	١٥	٧٩٨
الافسوسي	الاقسوسي	١٧	٧٩٨
الفراعة وثنين على طريقة الفراعة في التوثن	الفراعة في التوثن	١٢	٧٩٩
كما في قوله عز وجل	بقوله عز وجل	٢	٨٠٠
ولا يتخذ	ولا يتخذ	٤	٨٠٠
الادبية	الأدبية	٢١	٨٠٠
أدبية	أدبية	٢	٨٠١
أصحاب	أصحاب	١٢	٨٠٢
شركاء	شركاء	٢	٨٠٣
وإن كان	وإن كان	٥	٨٠٦
منهم	فهم	١٤	٨٠٦
القيامه	القامة	١	٨٠٨
بين	بين	٣	٨٠٨
(أع ٢ : ٢٢)	(أع ٢٠ : ٢٢)	٥	٨٠٨
وتطيعوني « آه	وتطيعوني	١٦	٨٠٨
إن الحكم	إن الحكم	٤	٨١١

التصويب	الخطأ	سطر	صحيفة
دائماً	ودائماً	٨	٨١٧
بَيْنِيَّاتِهِمْ	بَيْنِيَّاتِهِمْ	١٢	٨١٧
من قبيل	من قبل	٧	٨١٨
يسمعان	يسمعانه	٢٠	٨٢١
داء	أداء	١٦	٨٢٢
وتفصّى	وتَقَصَّى	٨	٨٢٣
الكردي	الكري	١٤	٨٢٣
والسؤال	السؤال	١٧	٨٢٤
وكما	كما	٢٠	٨٢٤
نُشْرِكْ	نَشْرِكْ	٤	٨٢٥
أدنان	أدن	١٥	٨٢٦
لِيُضِلُّونَ	لِيَضِلُّونَ	١١	٨٢٩
« نبو »	« بنو »	١١	٨٣١
بالحزم والصرافة	بصرافة	٤	٨٣٢
« مجلت » أو « ملحب »	« مجللت »	١٥	٨٣٢
شعرا	شعر	٦	٨٣٤
« قاتون »	« قانون »	١٠	٨٣٧
يوسف	يوسف	٢٠	٨٤٥
والجوائح	والجوانح	١٨	٨٤٧
يبخلون	يبحلون	١٦	٨٤٨
إخبار	خبار	٢١	٨٤٨

التصويب	الخطأ	سطر	صحيفة
الصدى	الصدى	١٩	٨٥١
الله خالق	الله خالق	٢١	٨٥٢
أن	أن	١٢	٨٥٣
إن	إن	١٣	٨٥٣
يوم القيمة	يوم القيمة	٤	٨٥٤
سَيَفْلِحُونَ	سَيُفْلِحُونَ	٢٢	٨٥٤
« أبي بن خلف »	« أمية بن خلف »	٥	٨٥٥
« أبي بن خلف »	« أمية بن خلف »	٧	٨٥٥
فزده	فزوده	٨	٨٥٥
وزاده	وزادوه	٩	٨٥٥
رؤياي	رؤياي	٦	٨٥٦
ورقيقة	وربيعة	١٥	٨٥٧
نابتة	نائة	٢٠	٨٥٧
من عبرت	من عبرت	٤	٨٦٤
قلت هو جمع	هو جمع	٥	٨٦٥
( كما يستفاد من رؤياه )	( يستفاد من رؤياه )	٢٢	٨٦٩
أمة	أمة	١٨	٨٧٠
أنت وروحك	أنت وزوئك	١٦	٨٨٠
الرؤيا	الرؤية	٧	٨٨٣
بشأن	لشأن	٢	٨٨٥
قد متهم	قد متهم	١٥	٨٨٩

التصويب	الخطأ	سطر	صحيفة
الحمام	الحمم	٢٠	٨٩٠
قضى يوسف	قضى يوسف	٧	٨٩٢
هذه المرة أيضاً كحظه في سابقتها، أولمه	هذه المرة بقول	١٩	٨٩٤
اكتفى في هذه المرة بقول « الشرايبي »	« الشرايبي »		
باتهامها	باتهامه	١٩	٩٠٢
وأزلقه	وأزلقه	٤	٩٣٩
أو نقصه	أو نقصه	١٤	٩٤١
لحزيم	لحريم	١١	٩٦٤
وطمع	وطمع	٧	٩٦٥
خزائن الملكة	خزائن	١٢	٧٦٨
تصبيان	بصبيان	٨	٩٧٩
بتوئيل	بيوئيل	١٤	٩٩٠
اخوة	اخوة	٦	٩٩١
للمتارين	للمتارين	٨	٩٩٣
فغنيح	فغنيح	١٠	٩٩٧
قال	وقال	١٥	٩٩٩
للقرآن	للقرآن	٧	١٠٠١
وقال	وقام	١٧	١٠٠٢
من	على	٨	١٠٠٧
اجلوا	جعلوا	٢١	١٠٢٢
التمدينة	التمدينة	٧	١٠٢٣

التصويب	الخطأ	مطر	صحيفة
( فلما رجعوا )	( فلما رجعوا )	٩	١٠٢٤
ضمن	صمن	١٨	١٠٢٨
الفَرَر	الْفَرَر	٦	١٠٤٥
أمرهم	أمرهم	١٣	١٠٥٦
إلا حاجة	لا حاجة	١٢	١٠٥٦
علم	علم	١٥	١٠٥٦
أكثر	كثر	١٥	١٠٥٦
مؤذن	مؤذن	٤	١٠٦٤
قبول بنيامين التسريق	قبول بنيامين	١٨	١٠٧١
التسريق	التسويق	١	١٠٧٢
وادي الغضا	وادي الفضا	٢٣	١٠٨١
يردون	يرددون	١	١٠٨٠
'كل'	كُل	٨	١٠٨٨
بوحى	يوحى	١٩	١٠٨٩
كيداً تكوينياً راجعاً	كيد تكويني راجع	١	١٠٩١
سارق	مارق	١٢	١٠٩٥
العلائت	العلائت	١٣	١١٢٣
« العير »	« العيرة »	١٣	١١٣٥
فأتيا	فأقيا	٢٢	١١٤٢
دون أن تترك	دون تترك	١١	١١٥٣
واسترق	واسرق	٣	١١٧٠

التصويب	الخطأ	سطر	صحيفة
وَلِيْمَحْصَ	وَلِيْمَحْصَ	١٣	١١٧٠
رَبُّكُمْ	رَبُّكُمْ	١٣	١١٧٩
يُعَلِّمُونَ	يُعَلِّمُونَ	١٦	١١٨٠
العبرانيين	العبرانيين	١٨	١١٨٦
التمدينة	التمدينة	١٢	١١٨٨
« لابان »	« الابان »	٨	١٢٠٦
من أن أذكره	من أذكره	١٧	١٢١٣
تَرْجِعُونَ	تَرْجِعُونَ	٦	١٢١٥
( ٥ : ٦٦ )	( ٥ : ٦٩ )	٣	١٢١٩
يا للخجالة	يا للخجالة	٦	١٢٢٠
دَبْرَ	دَبْرَ	١٣	١٢٣٣
بَصْرَ بَعْمَلِهِ	بَصْرَ بَعْمَلِهِ	١٣	١٢٥٠
لذوه يوسف ثم فقده له	لولده يوسف	١٥	١٢٥٤
من فقد الذاكرة البصرية فقدا	من ايضاض أو فقد	١٩	١٢٥٤
روحياً نفسانياً	حسن الرؤية		
ناس	فاص	٥	١٢٥٧
لوازمه	لوارمه	١٦	١٢٦٢
لهو	لهوا	٨	١٢٦٦
المخرّ	المخرّ	٢١	١٢٦٧
أرشدُهُ النَّهْيَ	رشدہ آلهي	٨	١٢٧٢
( إني لأجد )	( إني أجد )	١٣	١٢٨٢

التصويب	الخطأ	مطر	صحيفة
وما رأيت من	ورأيت من	١٨	١٢٩٢
جمع مغزى	جمع معزى	٢٣	١٣٣٢
الكناية	الكتابة	١٣	١٣٣٩
ومملكتهم	ومملكتاهم	١	١٣٦٧
ومملكتهم	ومملكتاهم	٥	١٣٦٧
فالإخبار	فالأخبار	١٢	١٣٧٧
المجيد	الجيد	٢	١٣٨٢
عنه	عند	٢	١٣٨٤
تشير	تسير	١٥	١٣٨٨
فارعه	فارعة	١٤	١٣٩٠
من	على	١	١٣٩٢
تلغرافاً	تلغرافاً	٢٠	١٣٩٥
غيرها	غيرها	٨	١٣٩٩
في دين النصارى	في النصارى	١٢	١٤٠٥
الحاجات	لحاجات	٤	١٣٠٧
النافع	المانع	٤	١٤٠٧
الأنبياء	الأنباء	٨	١٤٠٩
بجاهه	بجاه	١٥	١٤٠٩
واحد	واحد	٥	١٤١١
يُشْرِكُ	يُشْرِكُ	١٢	١٤١٢

التصويب	الخطأ	سطر	صحيفة
وحيثذ	وحيثذ	١٨	١٤١٢
مسلمي	مسلمين	١١	١٤١٣
تسفيه	تسفية	١٧	١٤١٤
عقوبة	عقوية	٢٢	١٤١٥
الاعراف	الاعراض	٤	١٤١٩
مخشورة	مخشورة	٣	١٤٢٠
ذلك	ذلك	١٢	١٤٢٠
وأوفسوا	وأفوا	١٧	١٤٢١
تستأخرون	تستأخرون	٣	١٤٢٣
وقوله	وقولها	٥	١٤٢٤
حذّر	حذّر	٩	١٤٢٤
والمبودية	والمودية	١٧	١٤٢٤
هل لم يكن	هل يكن	١٦	١٤٢٧
الله الذي	الله الذين	٦	١٤٢٨
إيداناً	إيداناً	١٦	١٤٢٩
فإن الانجيل الذي في	فإن لا تجمل في	٩	١٤٣٠
فهو	فهوى	١٣	١٤٣١
أولادهن	أولادهم	١٠	١٤٣٤
على الماضي	من الماضي	٤	١٤٣٩
( فينظروا كيف	( فينظروا كيف	٥	١٤٣٩
به من القرآن	به القرآن	١٢	١٤٤٣



التصويب	الخطأ	سطر	صحيفة
استخدمها	استخدمها	١٢	١٤٤٣
عن كل الرجال	عن الرجال	٢١	١٤٤٣
أيقنوا	يقنوا	٣	١٤٤٧
فهذا الباب	فهذ الباب	٢	١٤٥١
صغيره وكبيره	صغيرة وكبيرة	٢	١٤٥٩
من عربات	عن عربات	١٤	١٤٦٢
التوراة	التوواة	٧	١٤٦٣
الفرح	القرح	-٢٠	١٤٦٧
للنبات	للبنات	٢٢	١٤٦٧
التذكّر	التذكر	١٥	١٤٦٨
فكان من الغاوين	فكان الغاوين	١٩	١٤٦٨
والالوهية	والوهية	١٨	١٤٧١

وقد يوجد اخطاء اخرى لا تحفى على القارىء اللبيب

انتهى